سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٦٨)

يحبهم ويحبونه

من مصنفات العقيدة والتفاسير وشروح الأحاديث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"١٣٩ – قال: وحدثني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي أن عمر بن عبد العزيز أرسل يوما إليه، وعمر أمير المدينة يومئذ، -[٦٣]- فقال: يا أبا حمزة، آية أسهرتني البارحة، قال: محمد: وما هي، أيها الأمير، قال: قول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم))، قال محمد: أيها الأمير، إنما عنى الله بـ ﴿أيها الذين آمنوا﴾ الولاة من قريش، ﴿من يرتد منكم﴾ عن الحق ﴿يأتي الله بقوم﴾، وهم أهل اليمن؛ قال عمر: يا ليتني وإياك منهم، قال: آمين.." (١)

"١٩٢ – قال: وحدثني ابن سمعان قال: بلغنا عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾، هم ناس من أهل اليمن سابقتهم الأنصار.." (٢)

"قال الشيخ – رحمه الله –: في الآية خبر بانقلاب من علم الله أنه يرتد بموت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كقوله – عز وجل –: (ومن يرتدد منكم عن دينه).

والشاكرون: الذين جاهدوهم، قد أخبر الله – تعالى – أنه **يحبهم ويحبونه**.

وقال الحسن: إن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – كان – والله – إمام الشاكرين.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى – عليهما السلام – كانوا يكذبون رسلهم ما داموا أحياء؛ حتى قال لهم موسى – عليه السلام – (يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم)، وكذلك قال عيسى – عليه السلام –: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا) الآية، فإذا ماتوا ادعوا أنهم على دينهم، وأنهم صدقوهم فيما دعوهم إليه، وإن لم يكونوا على ذلك، فلم ينقلبوا على أعقابهم؛ فكيف تنقلبون أنتم على أعقابكم إن مات محمد – صلى الله عليه وسلم – أو قتل؟!.

والانقلاب على الأعقاب: على الكناية والتمثيل، ليس على التصريح، وهو الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل من الدين.

وقوله – عز وجل –: (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا):

أي: من ارتد بعد الإسلام فلن يضر الله شيئا؛ لأنه لم يستعملهم لنفسه، ولكن إنما استعملهم لأنفسهم؛ ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الآخرة، فإنما يضرون بذلك أنفسهم، لا الله – تعالى.

والثاني: أنه إنما يأمرهم ويكلفهم؛ لحاجة أنفسهم، لا أنه يأمر لحاجة نفسه، ومن أمر آخر في الشاهد: إنما يأمر لحاجة نفس الآمر، فإذا لم يأتمر لحق ضرر نفس ذلك الآمر، فإذا كان الله – سبحانه – يتعالى عن أن يأمر لحاجته؛ وإنما يأمر لحاجة

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب ٦٢/١

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب ٨٦/١

المأمور، فإذا ترك أمره – ضر نفسه، وبالله التوفيق.

(وسيجزي الله الشاكرين):

قيل: الموحدين لله.." (١)

"على ذلك، ويضمرون الخلاف لهم والعداوة، والمودة للكفرة؛ كقوله – تعالى –: (يحلفون بالله ما قالوا)، (يحلفون لكم لترضوا عنهم)، ونحو ذلك، فذلك معنى قوله: (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم)، والله أعلم.

وقوله: (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين).

أي: حبطت أعمالهم التي عملوها قبل إسرار ما أسروا في أنفسهم إذ أسروا ذلك، (فأصبحوا)، أي: صاروا خاسرين بعد الافتضاح؛ حيث ذهبت منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم.

ويحتمل قوله – تعالى –: (حبطت أعمالهم): التي عملوا ظاهرا؛ مراءاة للناس.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)

وقوله – عز وجل –: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه. . .) الآية

قوله – تعالى –: (من يرتد منكم عن دينه): إن قوله: (من يرتد منكم) – وإن كان حرف توحيد وتفريد – فإن المراد منه الجماعة؛ ألا ترى أنه قال: (فسوف يأتي الله بقوم)؟! دل هذا على أن المراد منه الجماعة والعصابة، ولأن الواحد – والاثنين – إذا ارتد عن الإسلام يؤخذ ويحبس ويقتل إن أبي الإسلام، والجماعة إذا ارتدوا عن الإسلام احتيج إلى نصب الحرب والقتال؛ على ما نصب أبو بكر الحرب مع أهل الردة.

وفي الآية دلالة إمامة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لأن العرب لما ارتدت عن الإسلام، بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاربهم؛ فكان هو ومن قام بحربهم ممن أحب الله وأحبه الله.

وعن الحسن – رضي الله عنه –: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) قال: هو – والله –." (٢)

"أبو بكر وأصحابه، رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله – تعالى –: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٢/٤٩٩

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣/٥٤١

الله أجرا حسنا): يدل على إمامة أبي بكر – رضي الله عنه – لأنه كان الداعي إلى حرب أهل الردة.

فإن قيل: يجوز أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – هو الذي دعاهم – قيل له: قال الله – تعالى –: (فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) فمحال أن يدعوهم فيطيعوا، وقد قال الله – تعالى –: إنهم لن يخرجوا معه أبدا.

فإن قيل: قد يجوز أن يكون عمر – رضي الله عنه – هو الذي دعاهم – قيل له: فإن كان، فإمامة عمر – رضي الله عنه – ثابتة بدليل الآية، وإذا صحت إمامته صحت إمامة أبي بكر – رضي الله عنه – لأنه المختار له والمستخلف.

فإن قيل: قد يجوز أن يكون علي – رضي الله عنه – هو الذي دعاهم إلى محاربة من حارب – قيل له: قال الله – تعالى –: (تقاتلونهم أو يسلمون)، وهذه صفة من يحارب من مشركي العرب الذين لا تقبل منهم الجزية، وعلي – رضي الله عنه – إنما حارب أهل البغي وهم مسلمون، ولم يحارب أحد بعد النبي أهل الردة غير أبي بكر – رضي الله عنه – فكانت الآية دليلا على صحة إمامته.

وقوله – عز وجل –: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه)**

(فسوف) كقوله: (عسى)، والعسى من الله واجب. أخبر – عز وجل – أنه يأتي بقوم يحبهم؛ لبذلهم أنفسهم في مجاهدة أعداء الله، وتركهم في الله لومة لائم؛ فذلك لحبهم لله؛ لأنه لا أحد يبذل نفسه للهلاك، وترك لومة لائم – إلا لمن يحب الله، وأحبهم الله: لما أثنى عليهم بقوله: (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)، وحبهم لله: لما بذلوا أنفسهم في مجاهدة أعدائه، وتركهم لومة لائم.

وفيه دلالة إثبات إمامة أبي بكر – رضي الله عنه – لأنه – عز وجل – أثنى عليهم بخروجهم في سبيل الله ومجاهدة أعدائه؛ فلو كان غاصبا ذلك على علي – رضي الله عنه – أو كان غير محق لذلك – لم يكن الله ليثني عليه بذلك؛ لأنه كان آخذا ما ليس له أخذه." (١)

"قدره عند الله وجلت صولته عنده فإنه لا يخرج من العبودة، وأنه عبد الله، ليس بإله، ولا ابن له، على ما زعم أولئك الكفرة، والله الهادي.

وقوله – عز وجل –: (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥).

هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون حرف " من " صلة زائدة، ومعناه: فاختلف الأحزاب بينهم، والاختلاف فيما بينهم في عيسى أمر ظاهر بين (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي: اختلف الأحزاب من اختراع كان منهم فيما بينهم، أو كلام نحوه؛ ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم إنما كان باختراع من ذات أنفسهم، لا أن كان ذلك سماعا من الرسل – عليهم السلام – ولذلك نهى هذه الأمة عن الاختلاف والتفرق؛ حيث قال: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)، وقد اختلفت هذه الأمة بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قاتلهم أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – على

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣/٥٤٢

ذلك، واتبعه سائر الصحابة على ذلك، حتى قاتل الرجال، وسبى النساء والذراري، وظهرت - أيضا - الخوارج في زمن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على ذلك، حتى اجتمعوا على الوفاق، وغير ذلك من الاختلاف والتفرق الذي كان ظهر ووقع فيما بينهم، وكان في ذلك دلالة الرسالة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه ذكر - عز وجل - في كتابه أنهم يختلفون بعد وفاته، وأنهم ينقلبون على أعقابهم؛ حيث قال: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. . .) الآية، وقال في ارتدادهم: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**)، هذا في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقال في علي - رضي الله عنه -: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يقاتل هذا بالتأويل كما نقاتل نحن على التنزيل " يعني: عليا - رضي الله عنه - وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع في الدين من الانقلاب على الأعقاب والارتداد والامتناع عن إيتاء الزكاة، وإتيان ما ذكر من قوم **يحبهم ويحبونه**، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، وغلبة حزب الله وأهل توحيده على أولئك؛ ففي ذلك كله دلالة إثبات الرسالة؛ إذ خرج على ما أخبر - صلى الله عليه وسلم - وذكر في المستقبل، والله أعلم.

ثم إن الله - عز وجل - بفضله وبرحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق والتنازع بينهم، وجمعهم على ألفة وحب، ولم يرفع من بين أولئك فقال: (فاختلف الأحزاب من بينهم) والأحزاب: الفرق الذين تحزبوا؛ أي: تفرقوا، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.

وقوله - عز وجل -: (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) هي ظاهرة.." (١)

"وأولئك هم الضالون﴾، وقال الله عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠)﴾ وقال ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ وقال عز وجل ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقوله عز وجل ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ إلى قوله ﴿من بعدها لغفور رحيم﴾ وقال عز وجل ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ الآية.

[١٣٠٤]- (٤٣٤١) خ نا موسى بن إسماعيل، نا أبوعوانة، نا عبد الملك، عن أبي بردة.

و (٤٣٤٤) نا مسلم، نا شعبة، نا سعيد بن أبي بردة، عن أبيه.

ح، (٧١٤٩) نا محمد بن العلاء، نا أبوأسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى.

و (٦٩٢٣) نا مسدد، نا يحيى، عن قرة بن خالد قال: حدثني حميد بن هلال قال: حدثني أبوبردة، عن أبي موسى قال: أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، ورسول الله صلى

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ١٨١/٩

الله عليه وسلم يستاك، وكلاهما.

قال أبوأسامة: فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله.." (١)

"ضمير من يعقل على غير الأصل. وقال ابن كيسان والزجاج أيضا: معنى" يحبونهم كحب الله" أي يسؤون بين الأصنام وبين الله تعالى في المحبة. قال أبو إسحاق: وهذا القول الصحيح، والدليل على صحته:" والذين آمنوا أشد حبا لله". وقرأ أبو رجاء" يحبونهم" بفتح الياء. وكذلك ما كان منه في القرآن، وهي لغة، يقال: حببت الرجل فهو محبوب. قال الفراء: أنشدني أبو تراب:

أحب لحبها السودان حتى ... حببت لحبها سود الكلاب

و" من" في قوله" من يتخذ" في موضع رفع بالابتداء، و" يتخذ" على اللفظ، ويجوز في غير القرآن" يتخذون" على المعنى، و" يحبونهم" على المعنى، و" يحبهم" على اللفظ، وهو في موضع نصب على الحال من الضمير الذي في" يتخذ" أي محبين، وإن شئت كان نعتا للأنداد، أي محبوبة. والكاف من" كحب" نعت لمصدر محذوف، أي يحبونهم حبا كحب الله." والذين آمنوا أشد حبا لله" أي أشد من حب أهل الأوثان لأوثانهم والتابعين لمتبوعهم. وقيل: إنما قال" والذين آمنوا أشد حبا لله" لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه. ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى:" **يحبهم ويحبونه**". وسيأتي بيان حب المؤمنين لله تعالى وحبه لهم في سورة" آل عمران «١» " إن شاء الله تعالى. قوله تعالى:" ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب" قراءة أهل المدينة وأهل الشام بالتاء، وأهل مكة وأهل الكوفة وأبو عمرو بالياء، وهو اختيار أبي عبيد. وفي الآية إشكال وحذف، فقال أبو عبيد: المعنى لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعا. و" يرى" على هذا من رؤية البصر. قال النحاس في كتاب" معاني القرآن" له: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير. وقال في كتاب" إعراب القرآن" له: وروي عن محمد بن يزيد أنه قال: هذا التفسير الذي جاء به أبو عبيد بعيد، وليست عبارته فيه بالجيدة، لأنه يقدر: ولو يرى الذين ظلموا العذاب، فكأنه يجعله مشكوكا فيه وقد أوجبه الله تعالى، ولكن التقدير وهو قول الأخفش:

---

(١). راجع ج ٤ ص ٥٩.." (٢)

"لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر. قال أبو الفتح: والأصل فيه حبب كظرف، فأسكنت الباء وأدغمت في الثانية. قال ابن الدهان سعيد: في حب لغتان: حب وأحب، وأصل" حب" في هذا البناء حبب كظرف، يدل على ذلك قولهم: حببت، وأكثر ما ورد فعيل من فعل. قال أبو الفتح: والدلالة على أحب قوله تعالى:" **يحبهم ويحبونه**" [المائدة: ٥٤] بضم الياء. و" فاتبعوني يحببكم الله" [آل عمران: ٣١] و" حب" يرد على فعل لقولهم حبيب. وعلى فعل كقولهم محبوب: لم يرد اسم الفاعل من حب المتعدي، فلا يقال: أنا حاب. ولم يرد اسم المفعول من أفعل إلا قليلا، كقوله:

---

(١) المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، المهلب بن أبي صفرة ٣٢/٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٤/٢

مني بمنزلة المحب المكرم «١»

وحكى أبو زيد: حببته أحبه. وأنشد:

فو الله لولا تمره ما حببته ... ولا كان أدنى من عويف وهاشم

وأنشد:

لعمرك إنني وطلاب مصر ... لكالمزداد مما حب بعدا

وحكى الأصمعي فتح حرف المضارعة مع الباء وحدها. والحب الخابية، فارسي معرب، والجمع حباب وحببة، حكاه الجوهري. والآية نزلت في وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب لله عز وجل، قاله محمد بن جعفر بن الزبير. وقال الحسن وابن جريج: نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحب ربنا. وروي أن المسلمين قالوا: يا رسول الله، والله إنا لنحب ربنا فأنزل الله عز وجل:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني". قال ابن عرفة: المحبة عند العرب إرادة «٢» الشيء على قصد له. وقال الأزهري: محبة العبد لله ورسول طاعته لهما واتباعه أمرهما، قال الله تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني". ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى:" فإن الله لا يحب الكافرين" [آل عمران: ٣٢] أي لا يغفر لهم. وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب

---

(١). هذا عجز بيت لعنترة في معلقته وصدر:

ولقد نزلت فلا تظني غيره.

(٢). في ب ود: إرادتها.." (١)

"أي قالوا إنهم، ويجوز" أنهم"] نصب [«١» ب"- أقسموا" أي قال المؤمنون لليهود على جهة التوبيخ: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم يعينونكم على محمد. ويحتمل أن يكون من المؤمنين بعضهم لبعض، أي هؤلاء الذين كانوا يحلفون أنهم مؤمنون فقد هتك «٢» الله اليوم سترهم. (حبطت أعمالهم) بطلت بنفاقهم. (فأصبحوا خاسرين) أي خاسرين الثواب. وقيل: خسروا في موالاة اليهود فلم تحصل لهم ثمرة بعد قتل اليهود وأجلائهم.

[سورة المائدة (٥): آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى:" من يرتد منكم عن دينه" شرط وجوابه" فسوف". وقراءة أهل المدينة والشام" من يرتدد" بدالين. الباقون" من يرتد". وهذا من إعجاز القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم: إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/ ٦٠

في عهده وكان ذلك غيبا، فكان على ما أخبر بعد مدة، وأهل الردة كانوا بعد موته صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب إلا ثلاثة مساجد، مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جؤاثى «٣»، وكانوا في ردتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها، قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي، فقاتل الصديق جميعهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم «٤» وسباهم، على ما هو مشهور من أخبارهم.

---

(١). من ع وك.

(٢). في ج وك وع: انهتك سترهم.

(٣). جؤاثا مهموز: اسم حصن بالبحرين. وفي الحديث" أول جمعة جمعت بعد المدينة بجواثا. (النهاية).

(٤). في ج وك وز وع: فقتلهم.." [1]

"الثانية- قوله تعالى:" (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) " في موضع النعت. قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه. وقال السدي: نزلت في الأنصار. وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك «١» الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية، وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة، ومن أشجع. وقيل: إنها نزلت في الأشعريين، ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن، هذا أصح ما قيل في نزولها. والله أعلم. وروى الحاكم أبو عبد الله في" المستدرك" بإسناده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري لما نزلت هذه الآية فقال: (هم قوم هذا) قال القشيري: فأتباع أبي الحسن من قومه، لأن كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الأتباع. الثالثة- قوله تعالى: (أذلة على المؤمنين) " أذلة" نعت لقوم، وكذلك" (أعزة) " أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شي. ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته، قال الله تعالى:" أشداء على الكفار رحماء بينهم
" «٢»] الفتح: ٢٩]. ويجوز" أذلة" بالنصب على الحال، أي **يحبهم ويحبونه** في هذا الحال، وقد تقدمت معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له «٣». الرابعة- قوله تعالى: (يجاهدون في سبيل الله) في موضع الصفة أيضا. (ولا يخافون لومة لائم) بخلاف المنافقين يخافون الدوائر، فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٢١٩

(١). في ك وع: وقت نزول الآية، وهم أحياء. إلخ.

(٢). راجع ج ١٦ ص ٢٩٢.

(٣). راجع ج ٤ ص ٥٩ وما بعدها.." [1]

"قوله تعالى: (ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) فبدأ بالتوبة منه. قال أبو زيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني، قال الله تعالى:" **يحبهم ويحبونه**" [المائدة: ٥٤]. وظننت أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي عني، قال الله تعالى:" رضي الله عنهم ورضوا عنه" [المائدة: ١١٩]. وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني، قال الله تعالى:" ولذكر الله أكبر". وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي، قال الله تعالى:" ثم تاب عليهم ليتوبوا". وقيل: المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة، كما قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا آمنوا" «١» [النساء: ١٣٦] وقيل: أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغير هم، قال عز وجل:" فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم" «٢» [النساء: ١٦٠].

[سورة التوبة (٩): آية ١١٩]

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" وكونوا مع الصادقين" هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين. قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف. واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال، فقيل: هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب. وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين، أي اتقوا مخالفة أمر الله." وكونوا مع الصادقين" أي مع الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين. أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم. وقيل: هم الأنبياء، أي كونوا معهم بالأعمال الصالحة في الجنة. وقيل: هم المراد بقوله:" ليس البر أن تولوا وجوهكم" «٣» - الآية إلى قوله-" أولئك الذين صدقوا" [البقرة: ١٧٧]. وقيل: هم الموفون بما عاهدوا، وذلك لقوله تعالى:" رجال صدقوا ما عاهدوا الله «٤» عليه" وقيل: هم المهاجرون، لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين

---

(١). راجع ج ٥ ص ٤٠٥. [.....]

(٢). راجع ج ٦ ص ١٢.

(٣). راجع ج ٢ ص ٢٣٧.

(٤). راجع ج ١٤ ص.." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٢٠/٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٨٨/٨

"٤٧ – باب علامات حُبِّ الله تَعَالَى للعبد والحث عَلَى التخلق بِهَا والسعي في تحصيلها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].." (١)

"٧١ – باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ **يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عنكم جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨ – ٤٩].." (٢)

"فاصطفاهم، وصفاهم، ثم أخذهم عنهم، وسلبهم منهم، فقام بنفسه مقام صفاتهم، وفاءوا لموافاتهم، فقال: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت له سمعاً وبصرا، فبي يسمع، وبي يبصر.

باب العطف

الأصل في حروف العطف الواو. والمراد به إلحاق ما بعد حرف العطف بما قبله في الحكم.

فتمسك القوم بأذيال حروف العطف، وتوسلوا بشفيع الألطاف إلى واو الاستعطاف، ليتعطف عليهم، وينظر إليهم.

فوسطت واو العطف بين المحب ومحبوبه، حتى جمعت بينهما على بلوغ مطلوبه، وبه كتبت بينهما بالعهود المصونة عقدا يتضمن: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾، وخلعت عليهم خلع الأنعام المستمدة منه، من خزائن الله: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.." (٣)

"لإظهار الحق وتكريمه عما يقدح في التوحيد جائزة، والمحاجة لمن هو مبطل وهي المؤديات إلى القدح في قواعد العقائد باطلة ممنوعة.

قوله تعالى: ﴿ومن آبائهم وذرياتهم ... (٨٧)﴾

أخذوا من عموم الضمير المضاف إلى الذرية أن الحال أب؛ لأنه يعود على جميع ما تقدم وذريتهم عيسى عليه الصلاة

---

(١) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/١٣٩

(٢) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/٢٠١

(٣) تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة، المقدسي، عز الدين ص/٣٥

والسلام ولا ذرية له.

قال ابن عرفة: والآية حجة لمالك في أن الرجل يعتق عليه عمود النسب والأخوة دون نبيهم فلاختصاصهم بالذكر في التشريف.

قوله تعالى: ﴿ذلك هدى الله يهدي ... (٨٨)﴾

قال ابن عرفة: المهدي يحتمل أن يكون اسما، وأن يكون مصدرا، والظاهر الأول؛ لأنه إذا كان مصدرا، [وعاد*] عليه الضمير في قوله تعالى: [(يهدي) *] [ففيه*] إيهام التسلسل وهذه الآية احتراس؛ لأنه قد يتوهم أن الوصف في القرابة هو الذي حصل للذرية، والأخوة هنا للتشريف والاختصاص فاحترس من ذلك، بقوله (يهدي به من يشاء) هذا يتم أنه يجيء بتوفيق الله ومشيئته لا بوصف القرابة.

قوله تعالى: ﴿قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ... (٩١)﴾

قال ابن عرفة: حكوا عن الفخر ابن الخطيب أن هذه الآية دليل على أن السالبة الكلية تناقضها الموجبة الجزئية.

قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك ... (٩٢)﴾

قال أبو حيان: هذه الآية تبطل قول ابن عصفور في النعت أنه يبدأ فيه بالمفرد ثم بالمجرور ثم بالجملة.

وأجاب ابن عرفة: بأن يكون (مبارك) خبر مبتدأ تقديره أي فهو مبارك قال: وإنما الرد عليه بقوله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ... (٩٣)﴾

ابن عرفة: هذا من عطف الخاص على العام؛ لأنه من افتراء الكذب.." (١)

"أما التأمر فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمّر الصديق أول حجة في الإسلام. وأمر كثيرا من أصحابه على كثير من الغزوات، بل كل غزوة خرج بها أو لم يخرج كان عليها أمير من أصحابه.

وأما قوله: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فليس هو من خواص علي رضي الله عنه. هذه صفة المؤمنين جميعا كما قال الله تعالى عمن حضر القادسية من عساكر عمر: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾." (٢)

"وهي من أهل البيت المراد إذهاب الرجس عنهم. وأمثال ذلك.

ومن ذلك أنهم يكفرون بمناقضة القرآن في حق الصحابة وحق الجمهور من أهل السنة. فإن الله تعالى أخبر أنه راض عنهم بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ والتابعون

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/١٧١

(٢) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، جلال الدين الدواني ص/١٧١

لهم هم أهل السنة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأمثال ذلك.

ومن ذلك أنهم يكفرون ببغضهم الصحابة حيث يخالفون الله تعالى في محبتهم ويكذبون بها ويزعمون أن الله تعالى يبغضهم، وهم على خلاف ما أخبر به من محبتهم بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

ومن ذلك أنهم يكفرون بتكذيب المهاجرين في شهادتهم للصديق رضي الله عنه باستحقاقه الإمامة لأن الله تعالى أخبر بصدقهم في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وأكد صدقهم بالإشارة وضمير الفصل والجملة الاسمية.

ومن ذلك أنهم يكفرون بدعواهم خسران الأنصار باتباعهم الصديق رضي الله عنه، والله تعالى أخبر بفلاحهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا." (١)

"عنهم بالجنة بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي الجنة.

ووعدت الشيعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالنار. فوقع الخلاف بينهم وبين الله تعالى.

[النكتة ٢٢]

ومنها أن الله تعالى قد أثنى على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومدحهم بأنهم يحبون الله تعالى والله يحبهم وأنهم ذليلون للمؤمنين شديدون على الكافرين مجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، وذلك بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

وقالت الشيعة إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أعداء الله تعالى." (٢)

"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)." (٣)

"القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره، فقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه في الانتهاء.

---

(١) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، جلال الدين الدواني ص/٣٧٥

(٢) النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة، فصيح الدين الحيدري ص/٨٥

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٤٥١

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال: تليت عند النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – قومك يا أبا موسى أهل اليمن، وفي الباب روايات (١).

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قول (فسوف يأتي الله بقوم) الآية فقال: هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب (٢).

وعن ابن عباس هم أهل القادسية، وقال السدي نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعانوه على إظهار الدين، والأول أولى.

ثم وصف الله سبحانه هؤلاء القوم بالأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء فقال: (**يحبهم ويحبونه**) من كونهم (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم، أشداء أقوياء غلظاء على أعدائهم، قاله علي، قال ابن عباس: تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته.

قال ابن الأنباري: أثنى الله عليهم بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم، ويعنفون الكافرين إذا لقوهم، ولم يرد ذل الهوان بل الشفقة والرحمة، وإنما أتى بلفظة (على) ليدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم، والأذلة جمع

---

(١) ابن كثير ٢/ ٧٠.

(٢) ابن كثير ٢/ ٧٠.." (١)

"الرسول – عليه الصلاة والسلام – في تلك الغزوات التي وقع فيها القتال، ولم ينقل لنا». وإذ فتح هذا الباب يقال كذلك: يجوز عزل الأمير بعد الغدير ونصب أبي بكر وتحريض الناس على اتباعه، ولم ينقل لنا. فانظر وتعجب. وقال بعضهم: الداعي هو الأمير، فقد دعا إلى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين. (١) ويقال فيه: إن قتل الأمير إياهم لم يكن لطلب الإسلام بل لانتظام أحوال الإمام، ولم ينقل في العرف القديم والجديد أن يقال لإطاعة الإمام (إسلام) ولمخالفته (كفر). ومع هذا نقل الشيعة روايات صحيحة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حق الأمير أنه قال: إنك يا علي تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. وظاهر أن المقاتلة على تأويل القرآن لا تكون إلا بعد قبول تنزيله، وذلك لا يعقل بدون الإسلام، بل هو عينه، فلا يمكن المقاتلة على التأويل على الإسلام بالضرورة وهو ظاهر.

ومنها قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾. مدح الله تعالى في هذه الآية الكريمة الذين قاتلوا المرتدين بأكمل الصفات وأعلى المبرات، وقد وقع ذلك من الصديق وأنصاره بالإجماع، لأن ثلاث فرق قد ارتدوا في آخر عهده – عليه السلام –. (٢) الأولى بنو مدلج قوم أسود العنسي ذى الخمار الذي ادعى النبوة في اليمن وقتل على يد فيروز الديلمي، الثانية بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب المقتول في أيام خلافة الصديق

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٤٥٢

على يد وحشي، الثالثة بنو أسد قوم طليحة بنى خويلد المتنبئ، ولكنه آمن بعد أن أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – خالدا وهرب منه إلى الشام. وقد ارتد في خلافة الصديق سبع فرق: بنو فزارة قوم عيينة بن حصن، وبنو غطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم ابن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر، وبنو كندة قوم أشعث بن قيس الكندي، وبنو بكر في البحرين. وارتدت فرقة في زمن عمر – رضي الله تعالى عنه – والتحقت بالنصارى إلى الروم. وقد استأصل الصديق كل فرقة وأزعجهم واستردهم

---

(١) يعني من قاتل علي بن أبي طالب في خلافته، وخاصة أهل صفين كما نقل عن الإمامية، وبذلك صرح المازندراني في المناقب: ٣/ ١٦٤؛ وقال أيضا: «المعني به أمير المؤمنين – عليه السلام – في قتال الخوارج». متشابه القرآن: ٢/ ٦٨.
(٢) لذا قال القمي في تفسير هذه الآية: «هو مخاطبة لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم، وارتدوا عن دين الله، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ... ». تفسير القمي: ١/ ١٧٠؛ وأخرجها أيضا الصافي في تفسيره: ٢/ ٤٢.." (١)

"على باطلهم وتفرقكم عن حقكم. وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل. وبأدائهم الأمانة إلى أصحابهم. وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم. فلو ائتمنت أحدكم على قعب (١) لخشيت أن يذهب بعلاقته. اللهم قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني، فأبدلني خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني. اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح بالماء. لوددت والله لو أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم (٢)
هنالك لو دعوت أتاك منهم ... فوارس مثل أرمية (٣) الحميم (٤)
ويقول في خطبة أخرى: أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب. ثم قال بعد كلام: وإني لصحبتكم قالٍ وبكم غير كثير ... » (٥) الخ. والنهج مملوء من أمثال هذه الكلمات، ومحشو من مثل هذه الشكايات. فانظر هل يمكن تطبيق الأوصاف القرآنية على هؤلاء الأقوام (٦) وهل يجتمع النقيضان! (٧) وكلام الله كاذب، أم كلام الإمام؟ (٨)
وأيضا يستفاد من سياق الآية وسباقها أن فتنة المرتدين تدفع بسعي القوم الموصوفين ويتحقق صلاح الدين، إذ الآية سيقت لتسلية قلوب المؤمنين وتقويهم، ولإزالة خوفهم من المرتدين وفتنتهم، ولم تنته مقاتلات الأمير إلا إلى الضد كما لا يخفى.
هذا وبقيت آيات كثيرة وأدلة غزيرة تركناها اكتفاء بما ذكرناه، واعتمادا على أن المنصف يكفيه ما سطرناه.
وأما أقوال العترة فمنها ما أورده المرتضى في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين من كتابه الذي كتبه إلى معاوية وهو:
«أما بعد فإن بيعتي يا معاوية لزمتك وأنت بالشام، فإنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وعلى ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٢٩

(١) «القعب: قدح من خشب مقعر». لسان العرب: مادة قعب، ١/ ٦٨٣.

(٢) «حي مشهور بالشجاعة». شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٤١.

(٣) لأرمية: «جمع رمي وهو السحاب، والحميم ها هنا وقتا الصيف، وإنما خص الشاعر هنا سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفوا». شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٤٢

(٤) تاريخ دمشق: ١٠/ ٣٦١؛ نهج البلاغة (بشرح ابن أبي الحديد): ٣/ ٧٥؛ البداية والنهاية: ٨/ ١٢.

(٥) نهج البلاغة (بشرح ابن أبي الحديد): ١٠/ ٦٧.

(٦) فمن هذه صفاته لا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله حق جهاده ولا يخافون لومة لائم﴾ فأين هم من الجهار؟ وهذه المعاناة ليست خاصة بعلي، ففي رواية أخرجها الطوسي عن أبي حمزة الثمالي قال: «قال أبو عبد الله – عليه السلام – لطائفة من شيعته: وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنما نتقي! ولكانت التقية أحب إليكم من آبائكم وأمهاتكم ولو قام القائم ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك ولأقام في كثير منكم حد النفاق». تهذيب الأحكام: ٦/ ١٧٢.

(٧) يعني الأوصاف الواردة في الأية ﴿فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه**. أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ... ﴾

(٨) أي ذم أمير المؤمنين شيعته وجنده، والوصف القرآني الوارد في الآية.." (١)

"بالخاتم في حالة الركوع فإنما هو الثعلبي فقط وهو متفرد به (١) ولا يعد المحدثون أهل السنة روايات الثعلبي قدر شعيرة، ولقبوه بحاطب ليل، فإنه لا يميز بين الرطب واليابس، وأكثر رواياته في التفسير عن الكلبي (٢) عن أبي صالح، (٣) وهي ما يروى في التفسير عندهم. (٤)

وقال القاضي شمس الدين ابن خلكان (٥) في حال الكلبي: إنه كان من أتباع عبد الله بن سبأ الذي كان يقول إن علي بن أبي طالب لم يمت وإنه يرجع إلى الدنيا. وينتهي بعض روايات الثعلبي إلى محمد بن مروان السدى الصغير وهو كان رافضيا غاليا يعلمونه من سلسلة الكذب والوضع. وأورد صاحب (لباب التفسير) أنها نزلت في شأن عبادة بن الصامت إذ تبرأ من حلفائه الذين كانوا هودا على رغم عبد الله بن أبي وخلافه (٦) فإنه لم يتبرأ منهم ولم يترك حمايتهم وطلب الخير لهم. وهذا القول أنسب بسياق الآية فإن سياقها ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾ لأن هذه الأية بعد تلك الآية. وقال جماعة من المفسرين إنها نزلت في حق عبد الله بن سلام. (٧) ونقول ثانيا: إن لفظ «الولي» (٨) تشترك فيه المعاني الكثيرة: المحب، والناصر، والصديق، والمتصرف في الأمر. ولا يمكن أن يراد من اللفظ المشترك معنى معين إلا بقرينة خارجة، والقرينة ههنا من السباق يعني ما سبق هذه الآية (٩) فهو مؤيد لمعنى الناصر، لأن الكلام في تقوية قلوب المؤمنين وتسليتها وإزالة الخوف عنها من المرتدين، والقرينة من السياق – يعني ما بعد هذه الآية – معينة لمعنى المحب والصديق وهو قوله تعالى

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٣١

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (مقدمة أصول التفسير) ص ٣٩ طبع المطبعة السلفية عند تنبيه على تفسير الرافضة هذه الآية بأن المراد بها علي بن أبي طالب: «ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم وهو تصدقه بخاتمه في الصلاة». فالقصة إذن مكذوبة على كتاب الله من أصلها بإجماع أهل العلم، وليست هذه بأول دسائسهم ولا بأخرها.

(٢) في المطبوع (الكليني)، والصحيح أنه أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، تركه معظم المحدثين، مات سنة ١٤٧هـ. ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال: ٦/ ١١٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٥٧.

(٣) وكلاهما من صناديد التشيع. قال النسائي عن أبي صالح: ليس بثقة، وقال عنه ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير. ميزان الاعتدال: ٢/ ٣؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٣٦٤

(٤) تفسير الثعالبي: ١/ ٤٧١، وقد نقل مفسرو الإمامية هذه الرواية عن الثعالبي: مجمع البيان: ٢/ ٢٠٩؛ جوامع الجامع: ١/ ٣٣٧ ..

(٥) وفيات الأعيان: ٤/ ٣١٠.

(٦) تفسير الطبري: ٦/ ٢٨٧؛ السيوطي، الدر المنثور: ٣/ ٩٨.

(٧) الدر المنثور: ٣/ ١٠٥.

(٨) قال ابن منظور: «الولي هو الناصر، وقيل هو المتولي لأمور العالم المتصرف فيها ... ». لسان العرب: مادة ولي، ١٦/ ٤٠٦.

(٩) أي قوله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾.." (١)

"الأربعة المذكورين، بل يجب في غيرهم أيضا. روى الحافظ أبو طاهر السلفي (١) في مشيخته عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «حب أبي بكر وشكره على كل أمتي». وروى ابن عساكر عنه نحوه. (٢) ومن طريق آخر عن سهل بن سعد الساعدي نحوه. (٣) وأخرج الحافظ عن عمر بن محمد بن خضر الملا في سيرته عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله تعالى فرض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كما فرض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج» (٤) وروى ابن عدي عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر» (٥) وروى الترمذي أنه أتي بجنازة رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يصل عليه وقال «إنه كان يبغض عثمان، فأبغضه الله». (٦) وهذه الروايات لم يسلمها الشيعة لكونها في كتب أهل السنة فيثبت وجوب محبة الخلفاء الثلاثة بقوله تعالى **﴿يحبهم ويحبونه﴾** فإنه نزل في حق المقاتلين لأهل الردة بالإجماع، والخلفاء الثلاثة كانوا سادة أولئك المجاهدين وقادتهم، ومن كان الله يحبه فهو واجب المحبة. على أن قياسهم بعد تسليم صحة مقدماته لا يستلزم النتيجة المذكورة جزما، لأن صغراه «أهل البيت واجبو المحبة» وكبراه «وكل واجب المحبة واجب الإطاعة» وبعد ترتيبها على الشكل الأول حصلت النتيجة هذه «أهل البيت واجبو الإطاعة» لا تلك النتيجة. وهذه النتيجة عامة، وثبوت العام

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٤٢

لا يستلزم ثبوت الخاص بخصوصه، والنتيجة العامة المذكورة ليست مطلوبة للمستدل ولا مدعاة بل محتملة له، والمطلوبة غير حاصلة من الدليل فالتقريب غير تام. ولو فرضنا الاستلزام لا يحصل مدعاه أيضا لأن كون الأمير إماما بلا فصل غير حاصل من الدليل، والحاصل كونه إماما مطلقا وهو غير مدعاه فلا يتم تقريبه أيضا.

ومنها آية المباهلة، وطريق تمسكهم بها أن قوله تعالى ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ الخ، لما نزل خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – من منزله محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا. (٧) فقد علم بذلك أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين وبأنفسنا الأمير، وإذا صار الأمير نفس الرسول. وظاهر أن المعنى الحقيقي مستحيل، فالمراد كونه مساويا له، فمن كان مساويا لنبي الزمان فهو أفضل وأولى بالتصرف بالضرورة من غيره، لأن المساوي للأفضل

---

(١) توفي سنة ٥٧٦. تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٩٨؛ طبقات الحفاظ: ص ٤٦٩.

(٢) الحديث فيه عمر بن إبراهيم بن خالد الكردي الهاشمي مولاهم، قال عنه الدارقطني: «كذاب خبيث»، وقال الذهبي عن هذا الحديث: «منكر جدا». ميزان الاعتدال: ٥/ ٢١٧؛ انظر تاريخ بغداد: ١١/ ٢٠٢؛ لسان الميزان: ٤/ ٢٨٠.

(٣) في سنده عمر بن إبراهيم السابق ذكره

(٤) ضعيف الجامع ٢٦٧٩

(٥) ضعيف الجامع: رقم ٢٦٨٠.

(٦) سنن الترمذي: ٥/ ٣٦٠، رقم ٣٧٠٩، وقال عنه: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ومحمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران ضعيف في الحديث جدا». ووضعه في ضعيف الجامع: رقم ٢٠٧٣.

(٧) بهذا اللفظ أورده ابن المطهر الحلي في نهج الحق: ص ٢١٥. لكن المشهور ما أخرجه مسلم عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: «خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا». صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل أهل البيت: ٣/ ١٦٤٩، رقم ٢٠٨١ .. والخروج كان للمباهلة كما صرحت رواية الترمذي. ينظر عارضة الأحوذي على صحيح الترمذي ٨/ ٢٧٩.." (١)

"الحديث أصح وأقوى من غيره، ولكن مدعى الشيعة غير حاصل منه إذ لا ملازمة بين كونه محبا لله ورسوله ومحبوبا لهما وبين كونه إماما بلا فصل أصلا، على أنه لايلزم من إثباتهما له نفيا عن غيره، كيف وقد قال الله تعالى في حق أبي بكر ورفقائه ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقال في حق أهل بدر ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قبا ﴿فيه رجال يحبون

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٥٥

أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾ وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ «يا معاذ إني أحبك». (١) ولما سئل: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل: ومن الرجال؟ قال: «أبوها». (٢) وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق الأمير مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله «يفتح الله على يديه» وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٣) فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له فصار المقصود منه تخصيص مضمون «يفتح الله على يديه» وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم.

الحديث العاشر: «رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (٤)

وهذا الحديث يقبله أيضا أهل السنة، ولكن لا مساس له بمدعى الشيعة وهو الإمامة بلا فصل، وقد جاء في حق عمار بن ياسر «الحق مع عمار حيث دار» (٥) وفي حق عمر أيضا «الحق بعدي مع عمر حيث كان» (٦) بل في هذين الحديثين إخبار بملازمة الحق لعمر ولعمار، بخلاف الحديث عن الأمير فإنه دعاء في حقه، والفرق بين الإخبار والدعاء غير خاف، خصوصا على ما قرره الشيعة من أن استجابة دعاء النبي لازمة عندهم، فقد روى ابن بابويه القمي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا ربه أن يجمع أصحابه على محبة علي فلم يكن ذلك. وزاد في حق عمر لفظ «بعدي» ليكون دليلا على صحة إمامته وإمامة من رآه عمر إماما. وعلى مذاق الشيعة يكون هذا الحديث دليلا على عصمته، لكن مذهب أهل السنة لا يكون غير النبي معصوما. وقد تمسك بعض ظرفاء أهل السنة بحديث علي المذكور على صحة أبي بكر وعمر

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث علي في المناقب، باب مناقب علي – رضي الله عنه –: ٥/ ٦٣٣، رقم ٣٧١٤ وقال عنه: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؛ والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٣٤، رقم ٤٦٢٩. وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في العلل المتناهية: ١/ ٤١٠؛ والألباني في ضعيف الترمذي: ١/ ٧٦٧.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان: ٢/ ٤١٩؛ والعقيلي، الضعفاء الكبير: ٤/ ٢٣٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٣/ ٤٧٦. من طريق مبشر بن الفضيل، قال العقيلي عنه: «مجهول».

(٦) أخرجه العقيلي عن ابن عباس في الضعفاء الكبير ٣/ ٤٨٢؛ والحكيم الترمذي، نوادر الأصول: ٢/ ٢١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٤/ ١٢٦؛ قال الذهبي: «الحديث من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه، وحديثه منكر». ميزان الاعتدال: ٥/ ٤٦٣. قال ابن حجر: «وأخرجه الحميدي من طريق أخرى وفي إسناده عطاء عن ابن عباس، قال علي بن المديني: هو عندي عطاء بن يسار، وليس له أصل من حديث عطاء بن أبي رباح ولا عطاء بن يسار، وأخاف

أن يكون عطاء الخرساني لأنه يرسل كثيرا عن ابن عباس. قال ابن حجر: أخاف أن يكون كذبا مختلقا». لسان الميزان: ٤/ ٤٦٧. ولذا حكم عليه العجلوني بالوضع في كشف الخفاء: ١/ ٤٣٦؛ والألباني في ضعيف الجامع: رقم ٢٧٨٥.." (١)

"دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾، فإنها نزلت في حق رفقاء الخليفة الأول، (١) و ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعو ن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ إذ هي نازلة في حق عساكر الخليفة الثاني، (٢) وما وقع من الجهاد في غير الأوقات المذكورة فهو فاسد عندهم، وليس تقسيم الغنائم في الجهاد الفاسد بوجه مشروع، فلا بد أن تكون الجواري المأسورة مملوكة لأحد ولا يصح التمتع بهن. (٣) وقد استخرجوا فتوى عجيبة لتسهيل هذا العسير، ونسبها صاحب الرقاع المزورة (٤) ابن بابويه إلى صاحب الزمان أن تلك الجواري كلها مملوكة للإمام. (٥) وقد حلل الأئمة جواريهم لشيعتهم، فبهذه الحيلة يجوز التسرى بالجوارى المأسورة في الجهاد الفاسد للشيعة.

سبحان الله، أية كلمات خبيثة ثقيلة في السوء يكتبونها في كتبهم الفقهية التي هي محل تنقيح الدين، وإذا قال أهل السنة بإزائهم: إن الأمير – رضي الله عنه – تسرى خولة بنت جعفر اليمامية الحنفية (٦) التي جاء بها خالد بن الوليد مأسورة في عهد الخليفة الأول وولد للأمير منها محمد بن الحنفية، فلو كان جهاد ذلك الوقت فاسدا ولم يكن تقسيم غنائمه للخليفة صحيحا فلماذا تصرف الأمير بالتسري في الغنائم؟ يجيبون بأنه قد صح عندنا رواية أن الأمير أعتقها

---

(١) روى الطبري عن الضحاك في تفسير الآية قوله: «هو أبو بكر وأصحابه لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام». تفسير الطبري: ٦/ ٢٨٣؛ وينظر الدر المنثور للسيوطي: ٣/ ١٠٢.

(٢) وفسر الطبري أولئك القوم بأنهم أهل فارس والروم، ومعلوم أن قتال هؤلاء كان في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –. تفسير الطبري: ٢٦/ ٨٢ .. لكن عسكر الخليفة الثاني لهم ذنب عظيم، وهو أنهم اطفأوا نار المجوسية وأدخلوا إيران في ملة الإسلام، وقد استحق الخليفة الثاني القتال على ذلك في حياته، والسب واللعن من ذلك اليوم إلى الآن.

(٣) ولكن «الحنفية» التي تسرى بها الإمام علي وولدت له محمد بن الحنفية رضوان الله عليه هي من بني حنيفة في اليمامة أسرت أيام خلافة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبي بكر الصديق. انظر المناقشة في هذه المسألة بين السيد عبد الله السويدي وملا باشي كبير مجتهدي الشيعة في زمان نادرة شاه سنة ١١٥٦ في رسالة مؤتمر النجف ص ٣١.

(٤) ويسميها الإمامية ب (التوقيعات المقدسة)، وهي كتب ادعوا أنها بخط الإمام المنتظر، وأول من أظهرها في مصنف مستقل عبد الله بن جعفر بن مالك القمي الذي يعده الإمامية من شيوخهم الوجهاء، ومات بعد ٣٠٠هـ. رجال النجاشي: ٢/ ١٨؛ الذريعة: ٤/ ٥٠١.

(٥) قال المفيد: «الأنفال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حياته، وهي للإمام القائم بعده». تهذيب الأحكام:

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٧٠

٤/ ١٣٢. لأن الدنيا عند الإمامية للإمام يتصرف فيها كيف يشاء. روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير عن الصادق أنه قال: «إن الدنيا للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها حيث يشاء ... ». من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٩.

(٦) هي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يربوع، كانت من سبي اليمامة فصارت إلى علي بن أبي طالب، وهبها له أبو بكر الصديق، قالت أسماء بنت أبي بكر: «رأيتها سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة». طبقات ابن سعد: ٥/ ٩١؛ المنتظم: ٦/ ٢٢٨.." (١)

"بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية فإن قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ جملة مبينة للمشهود به في قوله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ ففيها ثناء عظيم على رسوله، ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت على وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم. ومن ثم قال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين." (٢)

"غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١) ومنها قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢) ومنها قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)

واعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم داخلون بيقين في جميع هذه الآيات القرآنية وغيرها مما ذكر في القسم السابق التي أثنى الله بها على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها داخلة أيضا بيقين في أكثرها مما لم يختص بالرجال من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

---

(١) الحشر: ٨ - ١٠

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/٢٢٢

(٢) الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، يوسف النبهاني ص/٦٠

(٢) الفتح: ٢٩

(٣) المائدة: ٥٤." (١)

"ميل الطبع أو الحكمة، فتقول: أحب الرجل وأحب الصلاة، وأن الود يختص بميل الطبع، فتقول: أود الرجل، ولا تقول: أود الصلاة. وفرق أيضاً بين المحبة والإرادة بأن الإرادة تتعلق بالشيء لذاته، والمحبة تتعلق به لمعنى فيه، فتقول: أحببت زيداً، تريد نفعه وإكرامه، ولا تقل: أردته؛ بهذا المعنى [ص:٩٨ - ٩٩].

ﷺ أوجه المحبة:

وقال الراغب: " المحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة؛ كمحبة الرجل المرأة، ومنه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ [الإنسان: ٨]. ومحبة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]. ومحبة للفضل؛ كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فسرت المحبة بالإرادة في نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وليس كذلك، فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم آنفاً، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة ... ".

ﷺ معنى المحبة في القرآن:

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فمحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ... ﴾ [ص: ٣٢]، فمعناه: أحببت الخيل حبي للخير.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: يثيبهم وينعم عليهم، وقال: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].." (٢)

"الأصنام حبّاً لله لتقربنا إليه زلفى، فنزلت " (١٠/ ٤٥٩).

ﷺ لوازم المحبة الشرعية:

وقد أرشدت هاته الآية إلى آية الصدق في دعوى حب العبد ربه، وأثبتت آية المائدة لهؤلاء المحبين أربع صفات، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]:

- فقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ معناه: الإخبار عنهم بالسهولة والتواضع في رحمة وعطف مع إخوانهم

---

(١) الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، يوسف النبهاني ص/٩٩

(٢) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٢٦٢

في الدين، وبعزة النفس وشرف القوة مع خصومهم في الدين، وعن هاتين الصفتين عبر في سورة الفتح بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

- وقوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: إخبار عنهم ببذل نفوسهم وأموالهم في نصرة الدين في مواطن الحرب بالسيف، وفي مواضع السلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: إخبار عن عدم مبالاتهم بمن يغضبون من كلمة فيها رضى الرب.

ومجموع ما أفادته آيتا آل عمران والمائدة خمس صفات هي الدلائل على صدق المحبة لله، وهي: اتباع الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتراحم مع الإخوان في الدين، والشدة على الأعداء فيه، والقيام بكل ما يؤيد الدين، وعدم التقصير في الصدع بالحق مراعاة للناس.." (١)

"٤٧ - باب علامات حب الله تَعَالَى للعبد والحث عَلَى التخلق بِهَا والسعي في تحصيلها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

في هذه الآية: وعدٌ من الله عزَّ وجلّ بالمحبة، والرحمة، وغفران الذنوب، لمن اتبع محمدًا - صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي -[٢٦٠]- اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذا من الكائنات التي أخبر الله بها قبل وقوعها، وقد ارتد العرب في آخر عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنو مدلج، ورئيسهم العنسي، وبنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة، وبنو أسد ورئيسهم طليحة.

وفي عهد الصديق، فزارة وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وبعض تميم، قوم سجاح زوجة مسيلمة، وكِنْدة، وبنو بكر بن وائل، وكفى الله أمرهم على يد الصديق رضي الله عنه.

وفي إمرة عمر، غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾، قيل: هم أهل اليمن؛ لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى، وقال: «هم قوم هذا».." (٢)

"٧١ - باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

أي: ألن جانبك للمؤمنين وارفق بهم.

وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ **يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٢٦٧

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٢٥٩

الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد ارتد قبائل من العرب في عهده – صلى الله عليه وسلم – وفي خلافة أبي بكر فقاتلهم أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم. ولما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، -[٣٩٨]-

أشار – صلى الله عليه وسلم – إلى أبي موسى الأشعري وقال: «هم هذا وقومه». يعني أهل اليمن.." (١)

"٢٦٩ – باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

أي: وشأن الأخوة التواصل. قال تعالى في مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤمِنينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

أي: عاطفين على المؤمنين، خافضين لهم أجنحتهم، متغلّبين على الكافرين.

وقال تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن محمد – صلى الله عليه وسلم –، أنه رسوله حقًّا بلا شك ولا -[٨٧٦]- ريب. فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار.." (٢)

"وعدم الخيانة، ومن السخاء والتضحية والمعاونة والشجاعة والصبر والشكر ... إلى غير ذلك من أوصاف النفوس الحميدة، والنهي عن الأوصاف الخبيثة؛ كالعجب والرياء والحسد والكبر، وما جرى مجرى ذلك، فيأمره كيف يعامل زوجه وأولاده أكمل معاملة، ومن أوضح ذلك أنه يحذره أولا من ضرهم؛ لأن أولاده وزوجته قد يضيعون دينه، والله يقول: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ [المنافقون: آية ٩] فإن الأولاد قد يحملون الرجل على بعض المخالفات، والمرأة قد يحمله خاطرها على بعض المخالفات، والله يقول: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ [التغابن: آية ١٤] فيأمرهم بالحذر أولا من أن يوقعوهم فيما لا ينبغي، ثم إن الله يعلم أنه لا بد أن يقع منهم شيء يسوء الرجل، فبعد ذلك يأمره بالصفح والعفو عنهم، ويحذره أولا منهم، ثم يأمره بعد الوقوع بالمعاملة الحسنة معهم: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾.

[٢٣/ب] / أي: وإن وجدتم ما لا يليق فقابلوهم بالصفح والعفو والرحمة، يأمر أولا بالحذر خوفا منهم، وثانيا بمعاملتهم بالإحسان إذا وقع منهم بعض الشيء.

ويأمرنا بما نعامل به الأعداء، وما نعامل به الإخوان، يقول: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾

---

(١) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٣٩٧

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٨٧٥

[الفتح: آية ٢٩] فالمسلم رحيم بالمسلم، شديد على عدو المسلم، وقال (جل وعلا): ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: آية ٥٤] فيبين أن صفات المسلم أن يكون لينا هينا على أخيه المسلم، وأن يكون غليظا فظا على أعدائه؛ ولذا يقول للنبي." (١)

"عليهم الغلظة والقوة والعزة، ولا يلاينون، ولا تقابل سيئاتهم بالحسنات، كما وصف الله بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: آية ٢٩] ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة: آية ٧٣] مع أنه يقول: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [الحجر: آية ٨٨] ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥)﴾ [الشعراء: آية ٢١٥] ويقول في غيرهم: ﴿واغلظ عليهم﴾ [التوبة: آية ٧٣] وقد مدح الله قوما بلين جانبهم لإخوانهم المسلمين وقوتهم على الكفرة ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: آية ٥٤] وقد قال الشاعر في نبينا صلى الله عليه وسلم:

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد (١)

صلوات الله وسلامه عليه. ومن شعر مالك بن نمط الهمداني لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد همدان:

---

(١) هذا البيت وما ذكره الشيخ بعده لمالك بن نمط. وقوله: «أبر وأوفى ذمة من محمد» ليس في أبياته التي أوردها ابن هشام في السيرة (٤/ ١٤٥٥)، وإنما هو باللفظ الأول الذي ذكره الشيخ (أشد على أعدائه من محمد). والبيت المذكور (أبر وأوفى ذمة من محمد) ذكره الصالحي في (سبيل الهدى والرشاد) (١/ ٤١٩) منسوبا لأسيد بن أبي إياس الدؤلي. ونقل عن أبي علي الحاتمي قوله: «اتفق أهل الأدب على أن أصدق بيت قالته العرب هو قول أبي إياس الدؤلي ... » وذكره. كما أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ١٣٢) في ترجمة أنس بن أسيد بن أبي إياس بن زنيم الكناني. وقال الحافظ بعد أن أورده: «هذا البيت من قصيدة أنس بن زنيم» اهـ. وأورده في ترجمته (١/ ٦٩)، وانظر ما قاله الحافظ (رحمه الله) في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم الكناني الدؤلي (١/ ٤٧).." (٢)

"وهذا أيضا يدل على أن الفتنة والفساد الكبير تتعدد أسبابها وهو كذلك، فإن للافتتان والفساد الكبير المنتشر في الدنيا أسبابا كثيرة، ومن أعظم تلك الأسباب وأبرزها: مقاطعة المسلم للمسلم وموالاته للكافر، فهذا مما لا ينبغي، وهو من الأسباب العظيمة؛ لأن الله يقول لنبيه: ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التحريم: الآية ٩] فاللين للكفار والمحبة والمؤاخاة لهم ليست من شأن المسلمين، ولا من خلق النبي وأصحابه، فالله (جل وعلا) أثنى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه بأنهم لا يضعون اللين إلا في موضع اللين، ولا يضعون القسوة إلا في موضع القسوة، قال: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ ليسوا بأصدقاء لهم ولا محبين ولا أولياء ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: الآية ٢٩] هذه عادة

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٥٤٤

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٤/٤٣٦

المسلم أن يكون شديدا عظيما على الكافر، رحيما رفيقا ذليلا على المسلم، هذه عادة المسلمين وصفات المسلمين، وقد مدح الله بها قوما في سورة المائدة حيث قال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين﴾ -يعني لا يهتم بهم المسلمون لعدم صعوبتهم وذلهم وتواضعهم للمسلمين- ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: الآية ٥٤] أشداء، وقد صدق من قال (١):

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد

(صلوات الله وسلامه عليه)، فهو لا يوالي الكفار، بل هو ولي المسلمين ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: الآية ٦]

---

(١) مضى عند تفسير الآية (١٩٩) من سورة الأعراف.." (١)

"ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣)﴾ [النساء: آية ١٣٣] وقوله في الأنعام: ﴿وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣)﴾ [الأنعام: آية ١٣٣] وقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز (٢٠)﴾ [إبراهيم: الآيتان ١٩، ٢٠]. وقوله في سورة القتال: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: آية ٣٨] ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: آية ٥٤] أي: بدلا من هؤلاء المرتدين، وهذا معنى قوله: ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ [التوبة: آية ٣٩] أي: يأتي بقوم يجعلهم بدلكم خيرا منكم، إذا استنفروا نفروا، ولا يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، كما دلت عليه هذه الآيات المذكورة، وهذا معنى قوله: ﴿يستبدل قوما غيركم﴾.

وقد ذكرنا مرارا (١)، أن لفظة (القوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه، يطلق في اللغة العربية الإطلاق الأول على الذكور خاصة دون النساء؛ لأنه وضع للذكور خاصة، وربما دخلت فيه النساء بحكم التبع إذا دل على ذلك قرينة، أما الدليل على أن القوم اسم جمع خاص بالرجال، في أصل وضعه: فقوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ [الحجرات: آية ١١] ثم قال: ﴿ولا نساء من نساء﴾ فعطفه النساء على القوم يدل على عدم دخولهن في اسم القوم، ونظيره من كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى (٢):

---

(١) مضى عند تفسير الآية (٨٠) من سورة الأنعام.

(٢) السابق.." (٢)

"والتخريج الأول أظهر وأقرب إلى الخاطر، وهو المتبادر، ولقد قال بعد ذلك: (والذين آمنوا أشد حبا لله)، أي أن المؤمنين لوصفهم بالإيمان ولإذعانهم بالحق ولأنهم يعبدون من يملك النفع والضر، وأنه خالق الكون؛ ولأن حبهم مقصور

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٢٢١/٥

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٥١١/٥

على الذات العلية، فإنهم بذلك أشد حبا لله، ومظهر حب الله تعالى الإخلاص له، وتسليم الوجه والطاعة له، والخضوع له، ولما يأتي من عنده، فحب الله طاعته، وأن تمتلئ النفس بذكره، وأن يكون حبه كله لله تعالى لا يحب شيئا في الوجود إلا لله، كما قال تعالى: (**يحبهم ويحبونه** ...) ولقد قال – صلى الله عليه وسلم –: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه إلا لله " (١) فالله في قلبه وفي عمله، وقوله واختلاطه بالناس، وهو معه دائما.

وإن الله تعالى قد أعد العقاب الشديد لأولئك الذين اتخذوا الأنداد، وقدسوا الحجارة، وعبدوا الطاغوت، وقد قال تعالى في وصف عقابهم الهائل: (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) والذين ظلموا هم الذين اتخذوا الأنداد، وأظهرهم، ولم يعبر عنهم بالضمير أو الإشارة، لبيان أنهم ظالمون ظلموا أنفسهم وظلموا الحقيقة، وضلوا وأضلوا، وإن ما ينالهم من جزاء هو بسبب ظلمهم، وقوله تعالى: (أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) مفعول يرى، ويصح أن تكون يرى الأولى علمية، ويكون المؤدى أن ذلك يوم القيامة وظلمهم كان في الدنيا، ويكون سياق الكلام هكذا: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب، لو يرى الذين ظلموا ذلك، وهم يرون العذاب الواقع فعلا، والمعنى يرون العذاب رأي العين بالعين البصرية يوم القيامة ويعلمون أن القوة لله جميعا، وأن الله شديد العقاب.

فهم يرون العذاب فعلا رأي العين، وقد علموا في ذلك الوقت أن الله سبحانه وتعالى له القوة جميعا، فلا قوة لأحد أن يزحزحهم من النار التي هم فيها، ويعلمون أن الله شديد العقاب.

---

(١) عن أبي أمامة، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ". [سنن أبي داود: كتاب السنة (٤٠٦١)].." (١)

"وقبل أن نترك الكلام في هذه الآية الكريمة، لابد من الإشارة الواضحة إلى أمرين:

أولهما: في معنى الاتباع الذي يوجب المحبة، ومعنى ترتيب المحبة على الاتباع.

وثانيهما: التعريف بهذه المحبة التي يتصف بها العبد، وتترتب عليها محبة الله تعالى: أهي الطاعة أم شيء أعلى من الطاعة؛ وما محبة الله: أهي الرحمة أم أمر أعلى من الرحمة والإحسان، ولله الفضل والمنة في كل حال.

أما بالنسبة للأمر الأول؛ فإن النص الكريم (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) يفيد الطريق والغاية، أو الدليل والنتيجة؛ أما الطريق فهو اتباع الشريعة، وأما الغاية القصوى فهي محبة العبد لربه، ومحبة الرب لعبده، أي تبادل المحبة بين الخالق والمخلوق، وكل بما يليق به، وبما يتفق مع نوع وجوده؛ فواجب الوجود وذو الكمال المطلق جل جلاله محبته تليق بذاته العلية، وجائز الوجود الحادث المخلوق محبته حال يتفق مع حدوثه، ونقص وجوده.

وقد فصل الله الاتباع الذي يوجب المحبة السامية بعض التفصيل في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. . .(.

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١/٤٩٤

فعلامات الاتباع التي يترتب عليها أن يحبهم الله ويحبوه، أربع:

أولها: أنهم أذلة على المؤمنين، وقد قال عطاء في هذا: إنهم للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته: (أشداء على الكفار رحماء بينهم. . .).

والعلامة الثانية: أنهم أعزة على الكافرين، أي لا يخضعون للكافرين ولا يحالفونهم على المؤمنين، ولا يختارون أن يدخلوا في ولايتهم ويتركوا ولاية المؤمنين.." (١)

"وبهذا يتبين أن المحاربين كانوا فريقين: أحدهما رعب واضطرب، والثاني ثبت وجاهد، ولقد ذكر الله حال الفريقين، ومقام كل واحد من الحق ودعوته فقال تعالت كلماته في الفريق الأول: (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا).

أي ومن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلن يضر دين الله تعالى في شيء، ولأن دين الله تعالى بعد أن بلغ النبي رسالة ربه، وأكمل البيان لهذا الدين، قد ظهر وصار حقيقة ثابتة في الوجود، فلا عبرة بمن يخرج، كما قال تعالى: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. . .).

وفي هذا تنبيه إلى ثلاثة أمور:

أولهما: أن من يجاهد عليه أن يجاهد لحقيقة من الحقائق الثابتة الخالدة التي لا تفنى ولا تنتهي، ولا يقاتل لأجل الأشخاص الذين ينتهون ويفنون، فالمعاني خالدة، والأشخاص ميتون.

الثانية: أن من يفسد قلبه فيرتد بعد إيمان ويكفر بعد يقين، لا يضر دين الله بل يضر نفسه؛ لأن الضال المضل يضر نفسه قبل أن يضر غيره.

ثالثها: إخبار الله تعالى بأن هذا الدين خالد ثابت باق إلى يوم القيامة؛ لأنه سبحانه قد قرر أنه لا يضره من يخرج عنه أو يمرق عن أحكامه، أو يتركها مستهينا، فإن للإسلام ربا يحميه، ورجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ثم بين سبحانه من بعد ذلك جزاء الصابرين الذين لم يرعبوا ولم يضطربوا، فقال سبحانه: (وسيجزي الله الشاكرين).

أي وسيجزي الله سبحانه وتعالى الذين صبروا في هذه الشديدة وشكروا الله تعالى في السراء والضراء، فلم يزعجهم البلاء كما لم تبطرهم النعماء، فصفة الشكر كصفة الصبر كلتاهما تظهر في السراء والضراء معا، فالصبر يكون في النعمة بالقيام بحقها، وفي الكريهة باحتمالها، من غير تململ وتضجر.." (٢)

"آخر يعبده ويؤمن به، فإنه الفاعل المختار المريد، ويكون القصد بيان قدرة الله تعالى الشاملة، وإثبات أن كفر الكافر ليس بعيدا عن تقديره، وإيمان المؤمن كذلك، فهو الذي خلق الإنسان صالحا لأن يسلك طريق الشر وطريق الخير، وأن ذلك بإرادته، ولو أراد غيره لكان ما أراد لأنه هو الذي يقول للشيءكن فيكون، وهو الذي خلق الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويكون ذلك كقوله تعالى: (إن يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد).

وعلى التوجيه الثاني - وهو أن يكون الخطاب للمشركين الكافرين بالرسالة المحمدية والمسلمين الذين يكونون على طرف

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٣/١١٨٦

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٣/١٤٣٣

الإسلام – يكون المعنى إن استمررتم على الشرك أو كان منكم الكفر بعد الإيمان، فإن الله تعالى بمقتضى سننه في الفطرة الإنسانية يفنيكم بإذهاب قوتكم وسيطرة الفساد عليكم، ويجيء من بعدكم من ينصر الحق، ويكون النص كقوله تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)، وكقوله: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**)، وقد ذيل الله سبحانه النص الكريم ببيان قدرته الكاملة على ذلك التغيير، فقال تعالى: (وكان الله على ذلك قديرا) أي أن الله سبحانه وتعالى قدير على ذلك التغيير والتبديل الذي تستغربونه وتستبعدونه، وقد قدم الجار والمجرور وهو قوله (على ذلك) لموضع الاهتمام وهو التغيير والتبديل، الذي يستبعدونه لفرط إحساس المشركين بقوتهم، وغرورهم بدولتهم، واستضعافهم لشأن المؤمنين الصادقين.

* * *." (١)

"(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

* * *

في الآيات السابقة نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن أن يتخذوا من اليهود والنصارى نصراء يستنصرون بهم، ويعطونهم حق الولاية عليهم، فيجعلون الولاء لهم، وهم أعداء الإيمان وأعداء المؤمنين، وإن أظهروا الولاء لدولة الإيمان فهم في قلوبهم لا يألونهم خبالا، وإن ذلك موضوعه علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول التي تعاديها، ولا يدخل في هذا الذميون الذين يعيشون في ظل الإسلام والمسلمين إلا إذا مالئوا الأعداء، فإنهم يكونون قد نقضوا العهد الذي عاهدوا المسلمين عليه.

وفى هذه الآيات، يومئ سبحانه وتعالت كلماته، إلى أن الذين يوالون دولة معادية للإسلام وأهله يسيرون في طريق الردة، لأنهم تركوا ولاية الله." (٢)

"ووسطها – إهمال الأحكام القرآنية، واستبدال غيرها بها، وزعم صلاحية غيرها، وعدم صلاحية الأحكام القرآنية، ومن ذلك قول الذين يقولون: إن أحكام القرآن خاصة بزمان نزوله دون غيره، وإن للناس أن يبدلوا فيها ما شاء لهم التبديل.

وأدناها – تقليد غير المسلمين فيما عندهم من شر، وجعل القرآن وآدابه، والسنة وما اشتملت عليه أمرا مهجورا.

وإن المرتبة الأولى تبيح قتل معتنقيها، والأخريان يحبس أصحابهما، ويمنعوا من الجهر بنحلهم، وذلك لولي الأمر، وإن ذا النورين الإمام عثمان – رضي الله عنه – قال: " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " (١) وإن الله وعد. وإن وعده لصدق أنه إذا ارتد عن الإسلام من يرتد، فيكون من بعدهم من يعتز الإسلام بهم، ويرفعون شأنه، ولذا قال تعالت كلماته: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).

هؤلاء هم الذين وعد الله بأنهم سيزيدون عدد المؤمنين، إذا خرج من صفوفهم المنافقون، والذين يوالون أعداء الله، وإن (سوف) هنا لتأكيد وقوع الأمر في المستقبل، والتعبير – بـ (يأتي الله بقوم) فيه إشارة إلى أمرين: أحدهما – أن الله سبحانه

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٨٩٢/٤

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٢٤٧/٥

الذي خلقكم، وهو ولي المؤمنين هو الذي يأتي بهؤلاء الأقوام الذين **يحبهم ويحبونه**. . .، وثانيهما – أنهم يكونون قوما متحدة مشاعرهم وأحاسيسهم، قد كانت قوميتهم نصرة الله ورسوله بنصرة الدين الحكم، ولذا عبر عن هؤلاء بأنهم قوم، أي عنصر قوي متآزر وحدته مكونة من الإيمان، ولا يكونون تابعين لغير دين الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى أولئك الذين يأتي بهم في المكان الذي أخلاه المرتدون بأربع صفات هي من نعم الله تعالى عليهم، أولها – أن الله تعالى يحبهم وهم

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ج ٢، ص/٩.." (١)

"التغيير سبب تسلط الأعداء

ولكنهم بعد ذلك أيضا بدلوا وغيروا وعصوا وخالفوا فسلط الله عليهم الاستعمار الأوروبي، فلم يتوبوا فسلط عليهم الاحتلال اليهودي، وهانحن نعيش اليوم في بلاء ومحنة وفتنة، ولن ترفع حتى نعاود ديننا، وإذا لم نفعل يوشك أن يغير الله هذه الأجيال بأجيال غيرها أصلح منها.

وقد قال ربنا جل جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

فهؤلاء –أي: الصليبيون وأذنابهم– لم يأتوا المسلمين إلا لإذلالهم، وسفك دمائهم، وانتهاك أعراضهم، ونحن نتفرج عليهم، ونحن كأن الأمر لا يعنينا، مزقنا ديار الإسلام إلى وطنيات ضيقة، وقوميات فاجرة، ووثنيات ما أنزل الله بها من سلطان.

وهكذا وعد الله المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ [النور:٥٥].

أي: يعيشون عابدين لله موحدين له، ممتثلين لكتابه ولسنة نبيه، فكانوا السادة وكانوا القادة قرونا بعدها قرون، حتى بدلوا وغيروا، وهو ما قاله الله في ختام الآية: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥] فمن جحد النعمة، وخرج على الدين الحق، واستبدل النعمة بالنكران وبالجحود، وخالف أمر الله وأمر نبيه المعصوم صلى الله عليه وسلم، فالأمر كما قال الله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد:١١]، فغيرنا ما بأنفسنا فغير الله عنا نعمه، فنرجو الله أن يرفع عنا ذلك، ويعيدنا لدينه وينصرنا بنصره، ويطلقنا لطاعته، وللجري وراء من يجدد أمر هذا الدين بفضل الله وكرمه.

وهذا كله قد حدث، كان أيام الخلفاء الراشدين، وأيام الدول الأموية والعباسية والعثمانية، كانت الكثير من أصقاع الأرض مغارب ومشارق تحت حكمهم، ولكن عندما بدلوا ابتداء من قتل عثمان بن عفان ذي النورين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى قتل علي بن أبي طالب الخليفة الراشد الرابع رضي الله عنه، ذل الإسلام بذلهم، وهان المسلمون على

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٢٥٠/٥

الناس، وهكذا دواليك يغيرون فيغير الله عليهم، ويتوبون فيتوب الله عليهم.
ونعيش نحن اليوم ومن زمن طويل في أوضاع تزداد سوءا، فيعيش المسلمون في ذل وهوان على غناهم وترفهم، وعلى سلاحهم وكثرتهم، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، كما قال صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قيل: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل)، فمن كفر بعد ذلك، ومن كفر بعد هذه النعمة وبعد هذا العز والشرف، وبعد هذه الخلافة الإلهية التي كانت بفضل الله وبنصره، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥] أي: العصاة المخالفون الذين خرجوا عن الحق، وخرجوا عن الدين؛ فلم يشكروا النعمة، وقديما قيل: من لم يشكر النعمة سلبها، وقد قال الله في ذلك جل جلاله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم:٧]، والعذاب الشديد هو سلب تلك النعمة، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)

قال الله تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ [الأحزاب: ٣٠].

بعد أن اخترن الله ورسوله نزلت الآيات في نسق واحد، فقد توعدهن الله وأنذرهن أن يؤذين رسول الله من غيرة بعضهن من بعض، حتى لقد كانت عائشة تهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم كله، وكلهن يهجرن رسول الله اليوم واليومين والثلاثة؛ لشدة غيرتهن، بل لقد كانت عائشة تهجر الحديث معه، فقال لها يوما عليه الصلاة والسلام: (يا عائشة إني لأعلم عندما تكونين عني راضية وعندما تكونين عني غضبى، قالت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا غضبت قلت: لا ورب إبراهيم، وإذا رضيت قلت: لا ورب محمد، فقالت: والله يا رسول الله لا أهجر إلا اسمك).

فهن يردن الدلال عليه، وهذا حق الزوجات على الأزواج، ولكن لا يصل الدلال إلى الإيذاء لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

وكان شيخ أعرابي متزوجا صغيرة ففرت منه وذهبت عند أهلها وامتنعوا أن يردوها عليه، فجاء يشتكي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بقطعة شعرية بليغة ختم القصيدة والشكوى الشعرية بقوله: وهن شر غالب لمن غلب، وإذا بالنبي عليه الصلاة والسلام يكرر معه هذا الشطر من البيت فيقول: (وهن شر غالب لمن غلب).

فهو صلى الله عليه وسلم قد قاسى من غلبة فيهن، ومن كثرة دلالهن عليه لكن الله غار عليه أكثر من غيرته على نفسه صلى الله عليه وسلم، فأدبهن وأنذرهن، وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يراجعهن فيما إذا أصررن على أن يعشن ملكات مترفات أن يطلقهن ويمتعهن، ويذهبن إلى حال سبيلهن، ولكنهن رضي الله عنهن كن جميعا من التقوى والإيمان ومن الحب لله والطاعة لرسول الله في الدرجة القصوى، بحيث لم تستشر إحداهن أبا ولا أما، ومن أول مرة قلن له: أفيك نستشير أبوينا يا رسول الله؟ نحن نختار الله ورسوله والدار الآخرة، وبعد هذا لم يعدن أبدا إلى طلب شيء من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٦/١١٢

فالله يتوعدهن بقوله: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة﴾ [الأحزاب:٣٠].

والفاحشة هنا فسرت بالنشوز على رسول الله، وبمخالفته المخالفة الدلالية التي تكون بين الزوج والزوجة، لا المخالفة التي تكون بين المؤمن ورسول الله فهي ردة وكفر، وهي خروج عن طاعة رسول الله، وخاصة عندما يأمر كفاحا ومواجهة فيعتبر ذلك تمردا، لكن فسروا الفاحشة هنا بسوء الخلق والنشوز والإيذاء بكثرة المطالب وشدة الغيرة.

وننقل ما قاله القرطبي وغيره: حتى لو كان الإنذار بالفاحشة المعروفة من الفساد والزنا وحاشاهن من ذلك، فالشرط لا يلزم منه الوقوع، وقد قال الله لنبيه: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر:٦٥] ورسول الله معصوم من الذنوب صغارها وكبارها، ولكن إذا قيل هذا للرسول عليه الصلاة والسلام فغيره ممن ليس معصوما من باب أولى.

ولم يكد يموت رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى ارتد الكثير من العرب، وتنبأ أربعة من الكذبة وادعوا النبوة، وامتنع الكثيرون من أداء الزكاة ممن بقوا على الإسلامه، وقد أنذرهم الله قبل أن يكون ذلك فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

أعني أن الشرك والكفر يكون من غير الأنبياء وقد كان، أما من الأنبياء الذين عصمهم الله فلا، وتكريما للأنبياء ولرسول الله في الدرجة الأولى لم تصدر الفاحشة من إحدى زوجاته، ولن يكون ذلك، وهو يبقى شرط، والشرط لا يلزم منه الوقوع، وأمهات المؤمنين لا يأتين الفاحشة، وبالتالي لا يعاقبن لا ضعفا ولا ضعفين، ولا مرة ولا مرتين، ولكنه وعيد وإنذار ليعلمن أنه لا يوجد عبد من عبيد الله من الأنبياء فمن دونهم فوق حساب الله وعقاب الله، وأن الخروج عن أمر الله جزاؤه العذاب.

والله أراد أن يجعل من أمهات المؤمنين مثالا لباقي المؤمنين والمؤمنات، فقال: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ [الأحزاب:٣٠] أي: يضاعف فيما لو فعل مثل ذلك غيرهن مرتين في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ [الأحزاب:٣٠].

أي: أن مضاعفة العذاب لهن -إن صدر منهن ذلك- هين على الله ويسير عليه؛ لأنهن إن فعلن ذلك لم يكن لهن عند الله مقام ولا اعتبار، فيعذبهن ويضاعف لهن العذاب في الدنيا والآخرة، ومن إكرام الله للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن إكرامه لهن لم يصدر ذلك عنهن، وبالتالي لم تكن عقوبة لا مرة ولا مضاعفة.

نكون قد ختمنا من كتاب الله واحدا وعشرين جزءا ولله الحمد والشكر والمنة، أي: بقي علينا تسعة أجزاء، وهي أقل من الثلث، وندعو الله ونرجوه ضارعين كما أعاننا على تفسير كتابه إلى حيث وصلنا، أن يعيننا على إتمامه، وأن يقبله فضلا منه وشكرا له جل جلاله.

وقد مضى على هذا تسع سنوات، ومما أشكر الله عليه وأشكر عليه أخانا الشيخ محمد ناظرين؛ لأنه قد سجل جميع ما مضى معنا من تفسير في أشرطة، فأصبح لنا تفسير منطوق به، وكون القرآن سجل متلوا فهذا عرفه كثير، أما أنه سجل التفسير من البداية إلى النهاية لم أسمع بهذا، وتسجيل واحد وعشرين جزءا نعمة أشكر الله عليها.

وقد كنت أكتب التفسير في أيامي الأولى وكتبت بضعة أجزاء، ثم توقفت عن الكتابة عندما شعرت بأن أخانا الملازم لنا منذ تسع سنوات يسجل ذلك ويتكلف له مالا، ويتكلف له زمنا وعملا، فحمدت الله أولا، ثم شكرته على صنيعه.." (١)

"إحسان الله تصوير الإنسان

وقوله تعالى: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر:٦٤].

فهذه الصور الجميلة للإنسان هي أجمل من صور كل المخلوقات، ولو خلقنا الله على أشكال القردة فماذا كنا نستطيع أن نعمل؟ ولم يستشر ربنا سبحانه في خلقنا أحدا، ولكن خلقنا فأحسن خلقتنا، فضلا منه وكرما، وكل الدواب تأكل بفيها وأما نحن فخلق لنا يدا نغسلها وننظفها ثم نأكل الطعام، ونرفع بها اللقمة التي نستطيع مضغها، ثم نستطيع بها أن ننظف أجسامنا، ونغتسل ونزيل الوساخة والعرق بها.

وأما الدواب فبماذا تتطهر؟ إنها بألسنتها تسمح أدبارها وأقدامها، وتلد القطة أو الكلب أو غيرهما من الحيوانات وتنظف وليدها من دمه ووساخته بلسانها.

وأما نحن فالله خلقنا وجمل صورنا، وركبنا في أحسن تركيب، وجعلنا على أحسن حال دون جميع خلقه، فمن يشبهنا؟ ونحن عندما نشبه المحبوب نقول: غزال، والغزال حيوان له قرون، وله أربع أرجل يمشي عليها، ولكن الأصل العكس، أي: أن نمدح الغزال بأنه على خلق المرأة، ومن الناس من إذا أراد أن يمدح إنسانا أو امرأة يقول: قمر، وما القمر بجوار الإنسان؟ ونحن إن وصفنا الإنسان بأنه فيه جمال التراب أو الجبال لكان هذا ذما؛ لأنه قلد المتأخرون المتقدمين في المدح والذم، فقالوا: غزال، مدحا للمرأة، وتمدحوا أيضا فقالوا: فلانة كبقر الوحش، وما معنى هذا الكلام؟ معناه: أن البقر لها أعين كبيرة، وهذه البقرة قليلة في الجزيرة، وتوجد في بعض دول الخليج، فتشبه المرأة بها لأجل سعة العيون، فشبهوا المرأة التي خلقها الله في أحسن تقويم وصورة بالبقر، وهل هناك مذمة أو شتيمة أكثر من أن نقول لإنسان: أنت كالبقرة، أو كالحيوان، ولكن هكذا طلبوا أن يقولوا، وأجمل شيء أن يقال ما قاله ربنا: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر:٦٤]، فأحسن صورنا في أيدينا وفي عيوننا وفي أفواهنا، وأحسن صورنا بالجمال الذي هو أجمل من كل جميل في الأرض.

وقد يقال عن بعض الناس: هذا أبيض، أو أسمر، أو أكثر شعرا، لكن جميعنا خلقنا الله وصورنا فأحسن صورنا، ولو خلق الله جل جلاله لنا عيونا في جباهنا، وخلقنا بيد واحدة -وهو قادر على كل شيء- فكيف الحال حينئذ؟ وطالما هددنا الله وأنذرنا في القرآن في آيات كثيرة بأنه قادر على أن يخلق خيرا منا وينهينا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

وهذا المعنى بنى عليه أنه قادر على أن يخلقنا خلقا آخر على غير الخلق التي نحن عليها، ولذلك كان الأولون يمسخون، فيصبح إنسانا ثم يصير خنزيرا أو قردا أو كلبا، ولكن الله كرم نبينا وأمته، فقد ألغى المسخ، فلا يمسخ الإنسان من صورة آدمية إلى صورة حيوانية، ولكن مسخ العقول قد أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام بأن من الخلق من صورته صورة بني آدم

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٢/٢٠١

ولسانه من ألسنتهم، وعقله كعقول القردة والخنازير، وهذا نراه كثيرا، فيبيت معك رجل ذا طول وعرض وجمال وهيئة، إذا أخذ في الكلام ترى أن القرد أشرف منه، من عقله من رأيه، كما نرى الآن في كثير من الخطب التي تلقي التعلق باليهود، والتذلل لهم، وشتم للموحدين المؤمنين، وسب لعباد الله الصالحين، فماذا ترى في هذا؟ القرد أشرف منه وكذا الخنزير، وهذا كثير في الأرض.." (١)

"فدليل الكونية قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام) (الأنعام: الاية١٢٥). ودليل الشرعية قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء: ٢٧).

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

الفرق بينهما أن الكونية لا بد فيها من وقوع المراد، وقد يكون المراد فيها محبوبا إلى الله، وقد يكون غير محبوب، وأما الشرعية فلا يلزم فيها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبا لله.

محبة الله.

محبة الله صفة من صفاته الفعلية، ودليلها قوله تعالى: (فَسَوْفَ يأتي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (المائدة: الاية٥٤). وقوله تعالى: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) (البروج: ١٤). والود خالص المحبة، ولا يجوز تفسير المحبة بالثواب؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل.

المغفرة والرحمة:

الدليل على ثبوت صفة المغفرة والرحمة لله قوله تعالى:." (٢)

"١٤٨ – ومما نزل فيه وفي قومه حدثنا سليمان ، ثنا أحمد بن عمرو القطراني ، ثنا سليمان بن حرب وحدثنا الغطريفي ، ثنا أبو خليفة ، ثنا الحوضي ، قالا : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعري ، قال : « لما نزلت : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (١) قال رسول الله A : هم قوم هذا » ، وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعري ورواه إدريس الأودي ، عن سماك

---

(١) سورة : المائدة آية رقم : ٥٤." (٣)

"٧٠٠ – حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب ، ثنا إبراهيم بن أحمد الخلنجي ، ومحمد بن العباس بن أيوب ، وعبيد الله بن أحمد بن عقبة ، قالوا : ثنا الحسن بن عرفة ، ثنا وكيع بن الجراح ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن ، في

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٨/٢٩٣

(٢) مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ص/٢٢

(٣) أخبار أصبهان، ١/١٦٠

قوله : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (١) قال : « هو والله أبو بكر وأصحابه »

---

(١) سورة : المائدة آية رقم : ٥٤." (١)

"١٧٢٦ – نا عباس ، نا يحيى بن أبي بكير ، نا الحسن بن صالح ، عن أبي بشر ، عن الحسن ، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (١) قال : أبو بكر وأصحابه

---

(١) سورة : المائدة آية رقم : ٥٤." (٢)

"قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران / ٣١]

قال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) [المائدة / ٥٤]

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : قال الله تعالى من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .

(حديث أبي هريرة الأشعري في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض .

(حديث قتادة بن النعمان الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : إذا أحب الله عبدا حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء .

(حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :

يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه). فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: (أين علي). فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لك يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: (على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم).." (٣)

---

(١) أخبار أصبهان، ٨٦/٣

(٢) معجم ابن الأعرابي، ٢٣٣/٤

(٣) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ٦٤/١

"قال تعالى: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [سورة: الشعراء - الآية: ٢١٥]

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم) [سورة: المائدة - الآية: ٥٤]

(حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغي أحد على أحد

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .

(حديث أنس في الصحيحين) أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يفعله .

(حديث الأسود بن يزيد في صحيح البخاري) قال سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان يصنع النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة .

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، قال أصحابه وأنت ؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة.

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت و لو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت .." (١)

"فعلي يقول هذا لنفسه ولطلحة والزبير ، ويترحم عليهم أجمعين ، ونحن فلا نذكرهم إلا بما أمرنا الله عز وجل به ﴿اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ . وقال عز وجل : ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ . ثم قال أبو عبد الله : هذا الطريق الواضح ، والمنهاج المستوي ، لمن أراد الله به خيرا وفقهه ، وعصمنا الله وإياكم من كل هلكة برحمته . قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : من سلم ما عليه أصحاب محمد عليه السلام أرجو أن يسلم . قال أبو عبد الله : وما أجد في الإسلام أعظم منة على الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر رحمه الله لقتاله أهل الردة وقيامه بالإسلام ، ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورحم أصحاب النبي عليه السلام ، ونفعنا بحبهم . قال أبو عبد الله : أرجو لمن سلم عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الفوز غدا لمن أحبهم ، لأنهم كانوا عمادا للدين ، وقادة للإسلام ، وأعوان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنصاره ، ووزراء على الحق ، واتباع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السنة ، ولا يذكرون إلا بخير ، ويترحم على أولهم وآخرهم قال : حدثنا حنبل ، وحدثنا أبو غسان قال : حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبي بشر ، عن الحسن : ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾." (٢)

"النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا

---

(١) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ٦٩/٢

(٢) كتاب السنة للخلال كاملا موافقا للمطبوع، ٤٨٢/٢

١١٠٦ وحدثنا علي بن يعقوب ثنا أحمد بن أنس مثله

١١٠٧ حدثنا أبي رحمه الله وعلي بن الحسن بن علان الحراني قالا ثنا سعيد بن هاشم بن مرثد الطبراني ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عودوا نساءكم المغزل فإنه أزين لهن وأرزن

١١٠٨ حدثنا أبي رحمة ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشا ببغداد ثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى الأشعري قال قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال هم قومك أهل اليمن

١١٠٩ أخبرنا أبو بكر يحيى بن عبد الله بن الحارث بن الزجاج ثنا أبو بكر بن هارون بن محمد بن بكار بن بلال ثنا سليمان بن عبد الرحمن ثنا هاشم بن أبي هريرة الحمصي عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن سلمان بن عامر الضبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصائم في عبادة وإن كان راقدا على فراشه

---

(١) ".

"(خ) ، وعن عائشة ك قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

" قال الله تعالى : من عادى لي وليا (١) فقد آذنته بالحرب (٢) وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه (٣) وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل (٤) حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت (٥) سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها (٦) وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه (٧) " (٨)

---

(١) المراد بولي الله : العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته . فتح الباري – (ج ١٨ / ص ٣٤٢)

(٢) أي : أعلمته بأني سأحاربه ، حيث كان محاربا لي بمعاداة أوليائي ، قال تعالى : (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) [البقرة : ٢٧٩] وهذا في الغاية القصوى من التهديد ، والمراد عادى وليا لأجل ولايته لا مطلقا ، وإذا علم ما في معاداته من الوعيد علم ما في موالاته من الثواب . فيض القدير – (ج ٢ / ص ٣٠٥)

(٣) فيه إشارة إلى إنه لا تقدم نافلة على فريضة ، وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة ، وإلا فلا يتناولها إسم النافلة . شرح الأربعين النووية (ج ١ / ص ٣٤)

(٤) لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له ، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم ، وتجب موالاتهم ، فذكر ما يتقرب به إليه ، وأصل الولاية : القرب ، وأصل العداوة : البعد ، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه ، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين : أحدهما : من تقرب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وترك المحرمات ؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده ،

---

(١) الفوائد لتمام الرازي، ٤٩/٢

والثاني : من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل ، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمن ادعى ولاية الله والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق ، تبين أنه كاذب في دعواه ، كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه ، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ، وكما حكى عن اليهود والنصارى أنهم قالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ مع إصرارهم على تكذيب رسله ، وارتكاب نواهيه ، وترك فرائضه ، فلذلك ذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين : أحدهما : المتقربون إليه بأداء الفرائض ، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين ، وأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله عز وجل ، وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته : أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه ، ويوجب لهم رضوانه ورحمته ، وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه : الصلاة ، كما قال تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ ، وقال النبي > : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) ، ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى : عدل الراعي في رعيته ، سواء كانت رعيته عامة كالحاكم ، أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده ، كما قال > : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) ، وفي " صحيح مسلم : ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)) ، والدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله ، كما قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ ففي هذه الآية إشارة إلى أن من أعرض عن حبنا وتولى عن قربنا لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق ، فمن أعرض عن الله ، فما له من الله بدل ، ولله منه أبدال ، ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل : كثرة تلاوة القرآن ، وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم ، قال خباب بن الأرت لرجل : " تقرب إلى الله ما استطعت ، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه " أخرجه : الحاكم ٢/٤٤١ ، فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم ، فهو لذة قلوبهم ، وغاية مطلوبهم ، قال عثمان : لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم أخرجه أبو نعيم في " الحلية " ٧/٣٠٠ بإسناد منقطع ، ومن ذلك : كثرة ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلب واللسان ، وعن معاذ قال : قلت : يا رسول الله أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله تعالى ؟ ، قال : " أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى " .جامع العلوم والحكم – (ج ٣٨ / ص ١٧)

(٥) أي : صرت . فيض القدير – (ج ٢ / ص ٣٠٥)

(٦) استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ ؟ ، والجواب من أوجه : أحدها : أنه ورد على سبيل

التمثيل ، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري ، فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ، ثانيها : أن كليته مشغولة بي ، فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به ، ولا يتحرك له جارحة إلا في الله ولله ، فهي كلها تعمل بالحق للحق ، ثالثها : كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه .فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٣٤٢)

(٧) أي : أعذته مما يخاف ، وفي حديث أبي أمامة " وإذا استنصر بي نصرته " . فتح الباري

(٨) (خ) ٦١٣٧." (١)

"(ك) ، وعن عياض الأشعري - رضي الله عنه - قال :

لما نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (١) " أومأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - فقال : هم قوم هذا " (٢)

---

(١) [المائدة/٥٤]

(٢) (ك) ٣٢٢٠ ، (طب) ج ١٧ص٣٧١ ح ١٠١٦ ، انظر الصحيحة : ٣٣٦٨." (٢)

" الطاعة عندكم يجمع الأعمال كلها المفترضة وغيرها فاسم الإيمان طاعة وضده معصية كفر والفرائض طاعة وضدها معصية لا كفر والنوافل طاعة وضدها نقص لا معصية ولا كفر فإذا كان الحب طاعة لا إيمان فالبغض لله معصية لا كفر فإن قالوا ليس بغض الله كفرا فقد خرجوا من قول أهل الإسلام وزعموا أن من أبغض الله كان مؤمنا فكل مؤمن وإن أصاب المعاصي فهم يرجون له العفو من الله عز و جل والرحمة فمن أبغض لله فهو مؤمن يرجون له أن يدخل جنته والله تعالى يقول يحبهم ويحبونه فأخبر أن أولياءه له محبون وهم يرجون أن يكون من أوليائه من أبغضه بعد أن يقربه وبما قال وإن قالوا من أبغض الله فهو كافر قيل لهم فقد أثبتم البغض كفرا فكذلك الحب إيمان لأن الإيمان ضد الكفر فما نفى الكفر فهو إيمان وما نفى الإيمان فهو كفر فإن زعمتم أن الكفر ينفي ما ليس بإيمان فإن الإيمان ينفي ما ليس بكفر فإذا كان كافرا ببعض المعاني ثم أتى بالإيمان لم ينتف منه الكفر وكان مؤمنا بعد الكفر ." (٣)

"العمال ٩١٧٧]

أخرجه ابن هشام فى السيرة النبوية (٣٧/٦) .

٤٠٨٤٩- عن عوف بن مالك الأشجعى قال : لأن يمتلئ ما بين عانتى إلى رهابتى قيحا يتخضخض دما أحب إلى من أن يمتلئ شعرا (ابن عساكر) [كنز العمال ٨٩١٦]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٣٥/١

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٩٢٩/٤

(٣) تعظيم قدر الصلاة، ٧٢٩/٢

أخرجه ابن عساكر (٥٢/٤٧) .

٤٠٨٥٠- عن شداد بن أبي عمار قال قال عوف بن مالك : يا طاعون خذنى إليك فقالوا أما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال كلما طال عمر المسلم كان خيرا له قال بلى ولكنى أخاف ستا إمارة السفهاء وبيع الحكم وسفك الدماء وقطيعة الرحم وكثرة الشرط ونشؤ يتخذون القرآن مزامير (ابن أبى شيبة) [كنز العمال ٣٩٥٩٨]

أخرجه ابن أبى شيبة (٥٣٠/٧ ، رقم ٣٧٧٤٦) .

مسند عياض الأشعرى

٤٠٨٥١- عن عياض الأشعرى : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال فى قوله ﴿فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هم قوم هذا وأشار إلى أبى موسى الأشعرى (ابن أبى شيبة ، وابن عساكر) [كنز العمال ٣٧٥٥٦]." (١)

" طالب قال أخبرنا اسحاق بن منصور قال أخبرنا الحسين بن صالح عن أبي بشر

عن الحسن فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال أبو بكر الصديق وأصحابه رضي الله عنهم

قال أخبرنا عبد الرحمن قال أخبرنا خيثمة قال أخبرنا ابراهيم بن اسحاق ابن أبي العنيسي بالكوفة قال أخبرنا يعلى بن عبيد الطنافسي عن الكلبي عن أبي صالح

عن ابن عباس في قوله عز و جل فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى قال أبو بكر الصديق

قال أخبرنا عبد الرحمن قال أخبرنا خيثمة قال أخبرنا محمد بن الحسين الجنابي قال أخبرنا الحسن بن أيوب الخثعمي قال أخبرنا حصين بن عمر الأحمسي عن مخارق بن عبد الله الأحمسي

عن طارق بن شهاب قيل لابن عباس أخبرني عن أبي بكر وأي رجل كان قال كان كالخير كله ما حدة كانت فيه

قال أخبرنا عبد الرحمن قال أخبرنا خيثمة قال اخبرنا محمد بن ابراهيم المروزي السمسار بسامراء قال أخبرنا رجاء بن عيسى المقبري قال أخبرنا مهدي بن ميمون

عن صدقة القرشي عن رجل قال قال رسول الله أبو بكر الصديق خير اهل الأرض إلا أن يكون نبي إلا مؤمن آل ياسين ولا مؤمن آل فرعون ." (٢)

"فإن انضاف إلى جواره الذكونه قرابتك أو ذوي رحمك فهذا حقه آكد، وكذا إن كان أحد أبويك ذمياً فإن للأبوين وللرحم حقاً فوق حقوق الجوار فأعط كل ذي حق حقه وكذا رد السلام فلا تبدأ أحداً من هؤلاء بسلام أصلاً وإذا سلم أحد منهم عليك فقل وعليكم أما كيف أصبحت كيف أمسيت فهذا لا بأس به وأن يقول منه غير إسراف ولا مبالغة في الرد قال الله تعالى: (فَسَوفَ يَأتِي اللهُ بِقَومٍ **يُحِبُهم وَيُحِبونَهُ** أَذِلَةً عَلى المُؤمِنينَ أَعِزَةً عَلى الكافِرينَ).

فالمؤمن يتواضع للمؤمن ويتذللك لهم ويتعزز على الكافرين ولا يتضال لهم تعظيماً لحرمة الإسلام وإعزازاً للدين من غير أن

---

(١) جامع الأحاديث، ٤٣٧/٣٧

(٢) حديث خيثمة، ص/١٣٢

تؤذيهم ولا تودهم كما تود المسلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.." (١)

"وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ على حسب معرفته به، وأعرف الناس با تعالى نبينا ، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب﴾، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر ا هـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها. (١٢/١)." (٢)

"وقال تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم﴾) بالكفر (﴿عن دينه﴾) قال البيضاوي: وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها، وقد ارتد، من العرب في آخر عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد، فقتل العنسي رئيسي بني مدلج الذي تنبأ ليلة قبض النبي ، قتله فيروز، وأخبر به النبي فسر به المسلمون وأتى الخبر بذلك أواخر ربيع. ومسيلمة رئيس بني حنيفة وادعى النبوة، قتله وحشي قاتل حمزة، وبنو أسد قوم طليحة بن خالد تنبأ فبعث إليه النبي خالد بن الوليد ففر إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه. وقد ارتد في عهد الصديق سبع: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاجة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل قوم الحطم، وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام (﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾) يل هم أهل اليمن لما روي «أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى وقال: هم قوم هذا» وقيل سلمان لما روي «أنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: وذووه» وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس، والراجع إلى من محذوف والتقدير: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم (

---

(١) حق الجار، ص/٧

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١٢/١

(٤/٨٩)

﴾." (١)

"٩٤٨ ـ (الثامن: عنه) أي: عن أبي هريرة (رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم خيبر:) بوزن جعفر، وكانت في السنة السابعة (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله) بالنصب. ومحبة العبد ورسوله: هو الإيمان بهما واتباع ما جاء به (يفتح الله على يديه) أي: بعض حصون خيبر، وكان كذلك بعد إرسالها مع رجلين من كبار الصحابة وما كان الفتح على أيديهما ففيه معجزة للنبي حيث أخبر عن مغيب فكان كما أخبر به كما سيأتي (قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة) بفتح الهمزة وكسرها (إلا يومئذ) ليس حبه لها لذاتها إنما هو لكونها علامة لحب ذلك الأمير تعالى اللازمة لحب الله تعالى (له) قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة:٥٤) ولحصول الفتح على يديه (فتساورت) أي: تطاولت له كما جاء في رواية لمسلم أيضا (رجاء أن أدعى لها) بالبناء للمفعول (فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليبن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال التوجه (حتى يفتح الله عليك) أي: واصبر على الجهاد واترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك، ويحتمل أن تكون حتى تعليلية ويكون علم كونه علة لذلك بالوحي (فسار علي) أي: عقب الأمر مبادرا للجهاد (شيئا) أي: من السير فهو مفعول مطلق (ثم وقف ولم يلتفت) لئلا يخالف نهيه عنه، وفهم منه علي رضي الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة، فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب وإن كان يحتمل أن يكون المراد من ترك الالتفات كما قال المصنف الحث على الإقدام والمبادرة إلى ما أمر به، وأن يكون المراد لا تتصرف بعد لقاء عدوك حتى يحصل الفتح، ففيما فعله علي رضي الله عنه الأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر (فصرخ) أي: رفع صوته (يا رسول الله على ماذا) مركب بمعنى على أي شيء (أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن." (٢)

"وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة:١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين **يحبهم ويحبونه**. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١/٢٥١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١/٣٧٧

السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها).

(١/٣٧٦)." (١)

"توفي سنة إحدى وتسعين، وروي له عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا، اتفقا على ثمانية وعشرين، وانفرد البخاري بأحد عشر (أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم خيبر) جرت عادة العرب الكناية بيوم كذا عن غزوته سواء كانت في يوم أقل أو أكثر، هذا المقال صدر منه في بعض أيام تلك الغزوة فإنها كانت أياما (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه) والتنوين في رجل للتعظيم، وأبدل منه ما يزيد في تعظيمه قوله: (يحب الله ورسوله) بالنصب (ويحبه الله ورسوله) أي: جامع للوصفين حائز للشرفين المتلازمين ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وتقدم أن المراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإنابته، والمراد من محبة العبد ورسوله امتثال أوامرهما واجتناب مناهيهما (فبات الناس يدوكون) يخوضون (ليلتهم) أي: فيها (أيهم يعطاها) بالبناء للمفعول (فلما أصبح الناس غدوا) هو السير أول النهار، والرواح: السير آخره هذا أصلهما، وقد يستعمل كل في موضع الآخر (على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلهم يرجو) الإفراد باعتبار لفظ كل قال في «مغني اللبيب» إذا أضيفت كل إلى معرفة فقالوا: يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناه وقد اجتمعا في قوله

(٢/١٤٢)

تعالى:

﴾." (٢)

"وقال الله تعالى): (﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾) قال ابن عطية: وهذه استعارة بمعنى لين لهم جانبك ووطىء لهم أكنافك والجناح الجانب والجنب ومنه واضمم يدك إلى جناحك فهو أمر بالميل إليهم، والجنوح الميل اهـ. ولا مخالفة بين كونه كناية واستعارة: أي تمثيلية لاختلاف الاعتبار، قال في «النهر»: وقد كان كثير الشفقة على من بعث إليه، وقد تقدمت الآية مع الكلام عليها في باب ضعفة المسلمين.

(وقال تعالى): (﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾) وقد ارتد قبائل في عهده ، وفي خلافة أبي بكر وعمر (﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾) بدلهم ومكانهم، وحرف التنفيس لتحقيق الوعد (يحبهم) يهديهم ويثبتهم (ويحبونه) أي يطيعونه وهم أبو بكر وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون، قال في النهر في «مستدرك الحاكم» عن أبي موسى الأشعري: لما نزلت

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١/٣٨٣

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٢/٦٩

أشار إلى أبي موسى وقال: هم هذا. وهذا أصح الأقوال وكان لهم بلاء في الإسلام زمن رسول الله ، وعامة فتوح عمر على أيديهم (﴿أذلة على المؤمنين﴾) أي متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين عليهم أجنحتهم. وأذلة جمع ذليل لا ذلول الذي هو نقيض الصعب لأنه لا يجمع على أفعلة، بل على ذلل وتعديته بعلى لما أشرنا إليه من تضمينه معنى الحنو والعطف (﴿أعزة على الكافرين﴾) شداد متغلبين عليهم. قال في «النهر»: جاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة لأن أذلة وأعزة جمع ذليل وعزيز، وهما من صيغ المبالغة، وجاءت الصفة قبلهما بالفعل في قوله، **يحبهم ويحبونه** لأنه الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صيغة مبالغة وكانت لا تتجدد، بل هي كالغريزة جاء الوصف بالاسم. ولما كانت الصفة قبل تتجدد لأنها عبارة عن فعل الطاعات والإنابة المرتبة عليها جاء الوصف بالفعل المقتضي للتجدد، ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن آكد ولموصوفه ألزم قدم على الوصف المتعلق بالكافر ولشرف المؤمن أيضا، ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه آكد مما بينه وبين المؤمن قدم قوله

.") (١)

"٥/٤٩)

يحبهم ويحبونه على قوله أذلة على المؤمنين وفي الآية إبطال قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم والفعل لا يتقدم الفعل إلا في ضرورة الشعر، وقرىء شاذا بنصب أذلة وأعزة على الحالية من النكرة لقربها بالوصف من المعرفة.

(وقال تعالى): (﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾) آدم وحواء فأنتم متساوون في النسب فلا فخر لأحد على أحد بالنسب (﴿وجعلناكم شعوبا﴾) الشعب بالفتح رأس القبائل والطبقة الأولى والقبائل تشعبت منه (﴿وقبائل﴾) هي دون الشعب كتميم من مضر، وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب (﴿لتعارفوا﴾) أي ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر، وفي الحديث «لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل» (﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾) بيان للخصلة التي بها التفاضل.

(٥/٥٠)

.") (٢)

"وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** على حسب معرفته به، وأعرف الناس با تعالى نبينا ، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٢/٢٤١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٢/٢٤٢

في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر ا هـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها.
". (١)

"٩٤٨ ـ (الثامن: عنه) أي: عن أبي هريرة (رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم خيبر:) بوزن جعفر، وكانت في السنة السابعة (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله) بالنصب. ومحبة العبد ورسوله: هو الإيمان بهما واتباع ما جاء به (يفتح الله على يديه) أي: بعض حصون خيبر، وكان كذلك بعد إرسالها مع رجلين من كبار الصحابة وما كان الفتح على أيديهما ففيه معجزة للنبي حيث أخبر عن مغيب فكان كما أخبر به كما سيأتي (قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة) بفتح الهمزة وكسرها (إلا يومئذ) ليس حبه لها لذاتها إنما هو لكونها علامة لحب ذلك الأمير تعالى اللازمة لحب الله تعالى (له) قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة:٥٤) ولحصول الفتح على يديه (فتساورت) أي: تطاولت له كما جاء في رواية لمسلم أيضا (رجاء أن أدعى لها) بالبناء للمفعول (فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليبن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال التوجه (حتى يفتح الله عليك) أي: واصبر على الجهاد واترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك، ويحتمل أن تكون حتى تعليلية ويكون علم كونه علة لذلك بالوحي (فسار علي) أي: عقب الأمر مبادرا للجهاد (شيئا) أي: من السير فهو مفعول مطلق (ثم وقف ولم يلتفت) لئلا يخالف نهيه عنه، وفهم منه علي رضي الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة، فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب وإن كان يحتمل أن يكون المراد من ترك الالتفات كما قال المصنف الحث على الإقدام والمبادرة إلى ما أمر به، وأن يكون المراد لا تتصرف بعد لقاء عدوك حتى يحصل الفتح، ففيما فعله علي رضي الله عنه الأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر (فصرخ) أي: رفع صوته (يا رسول الله على ماذا) مركب بمعنى على أي شيء (أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا." (٢)

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٢/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٣٧٠/١

"وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة:١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين **يحبهم ويحبونه**. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها)..." (١)

"١٧٥٣ ـ (وعن أبي العباس) وقيل: أبو يحيى (سهلبن سعد)بن مالكبن خالدبن ثعلبة ابن حارثةبن عمروبن الخزرجبن ساعدةبن كعببن الخزرج الأنصاري (الساعدي رضي الله عنه) كان اسمه حزنا فسماه النبي سهلاً. قال الزهري سمع سهل من النبي ، وكان له في وفاة النبي خمس عشرة سنة، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين. قال ابن سعد: وهو آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي ليس فيه خلاف، وقال غيره: بل فيه الخلاف كذا في «التهذيب» للمصنف. قلت: ويؤيد الخلاف الذي نقله المصنف ما تقدم في باب التقوى من «اليواقيت الفاخرة» أن آخر من مات بالمدينة السائببن يزيد المعروف بابن أخت النمر. توفي سنة إحدى وتسعين، وروي له عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا، اتفقا على ثمانية وعشرين، وانفرد البخاري بأحد عشر (أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم خيبر) جرت عادة العرب الكناية بيوم كذا عن غزوته سواء كانت في يوم أقل أو أكثر، هذا المقال صدر منه في بعض أيام تلك الغزوة فإنها كانت أياما (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه) والتنوين في رجل للتعظيم، وأبدل منه ما يزيد في تعظيمه قوله: (يحب الله ورسوله) بالنصب (ويحبه الله ورسوله) أي: جامع للوصفين حائز للشرفين المتلازمين ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وتقدم أن المراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإنابته، والمراد من محبة العبد ورسوله امتثال أوامرهما واجتناب مناهيهما (فبات الناس يدوكون) يخوضون (ليلتهم) أي: فيها (أيهم يعطاها) بالبناء للمفعول (فلما أصبح الناس غدوا) هو السير أول النهار، والرواح: السير آخره هذا أصلهما، وقد يستعمل كل في موضع الآخر (على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلهم يرجو) الإفراد باعتبار لفظ كل قال في «مغني اللبيب» إذا أضيفت كل إلى معرفة فقالوا: يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناه وقد اجتمعا في قوله." (٢)

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٣٧٦/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٤٢/٢

"(وقال تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم﴾ بالكفر (﴿عن دينه﴾) قال البيضاوي: وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها، وقد ارتد، من العرب في آخر عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد، فقتل العنسي رئيسي بني مدلج الذي تنبأ ليلة قبض النبي ، قتله فيروز، وأخبر به النبي فسر به المسلمون وأتى الخبر بذلك أواخر ربيع. ومسيلمة رئيس بني حنيفة وادعى النبوة، قتله وحشي قاتل حمزة، وبنو أسد قوم طليحة بن خالد تنبأ فبعث إليه النبي خالد بن الوليد ففر إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه. وقد ارتد في عهد الصديق سبع: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاجة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل قوم الحطم، وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام (﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾) يل هم أهل اليمن لما روي «أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى وقال: هم قوم هذا» وقيل سلمان لما روي «أنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: وذووه» وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس، والراجع إلى من محذوف والتقدير: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم (١) ".

"(وقال الله تعالى): (﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾) قال ابن عطية: وهذه استعارة بمعنى لين لهم جانبك ووطىء لهم أكنافك والجناح الجانب والجنب ومنه واضمم يدك إلى جناحك فهو أمر بالميل إليهم، والجنوح الميل اهـ. ولا مخالفة بين كونه كناية واستعارة: أي تمثيلية لاختلاف الاعتبار، قال في «النهر»: وقد كان كثير الشفقة على من بعث إليه، وقد تقدمت الآية مع الكلام عليها في باب ضعفة المسلمين.

(وقال تعالى): (﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾) وقد ارتد قبائل في عهده ، وفي خلافة أبي بكر وعمر (﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾) بدلهم ومكانهم، وحرف التنفيس لتحقيق الوعد (يحبهم) يهديهم ويثبتهم (ويحبونه) أي يطيعونه وهم أبو بكر وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون، قال في النهر في «مستدرك الحاكم» عن أبي موسى الأشعري: لما نزلت أشار إلى أبي موسى وقال: هم هذا. وهذا أصح الأقوال وكان لهم بلاء في الإسلام زمن رسول الله ، وعامة فتوح عمر على أيديهم (﴿أذلة على المؤمنين﴾) أي متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين عليهم أجنحتهم. وأذلة جمع ذليل لا ذلول الذي هو نقيض الصعب لأنه لا يجمع على أفعلة، بل على ذلل وتعديته بعلى لما أشرنا إليه من تضمينه معنى الحنو والعطف (﴿أعزة على الكافرين﴾) شداد متغلبين عليهم. قال في «النهر»: جاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة لأن أذلة وأعزة جمع ذليل وعزيز، وهما من صيغ المبالغة، وجاءت الصفة قبلهما بالفعل في قوله، **يحبهم ويحبونه** لأنه الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صيغة مبالغة وكانت لا تتجدد، بل هي كالغريزة جاء الوصف بالاسم. ولما كانت الصفة قبل تتجدد لأنها عبارة عن فعل الطاعات والإنابة المرتبة عليها جاء الوصف بالفعل المقتضي للتجدد، ولما كان الوصف الذي يتعلق

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/٨٩

بالمؤمن آكد ولموصوفه ألزم قدم على الوصف المتعلق بالكافر ولشرف المؤمن أيضا، ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه آكد مما بينه وبين المؤمن قدم قوله." (١)

"يحبهم ويحبونه على قوله أذلة على المؤمنين وفي الآية إبطال قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم والفعل لا يتقدم الفعل إلا في ضرورة الشعر، وقرىء شاذا بنصب أذلة وأعزة على الحالية من النكرة لقربها بالوصف من المعرفة.

(وقال تعالى): (﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾) آدم وحواء فأنتم متساوون في النسب فلا فخر لأحد على أحد بالنسب (﴿وجعلناكم شعوبا﴾) الشعب بالفتح رأس القبائل والطبقة الأولى والقبائل تشعبت منه (﴿وقبائل﴾) هي دون الشعب كتميم من مضر، وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب (﴿لتعارفوا﴾) أي ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر، وفي الحديث «لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل» (﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾) بيان للخصلة التي بها التفاضل.." (٢)

"ويظهر من الحديث أن الدعاء في ليلة القدر كان معروفاً ومشهوراً عند الصحابة رضي الله عنهم وقد جاء في الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه) .

قول [من قام ليلة القدر] .

أي قام يصلي ويدعو ، وفي هذا دليل على مشروعية الإكثار من الدعاء في ليالي القدر .

قوله [قولي : اللهم إنك عفوٌ].

فيه إثبات صفة العفو له سبحانه وتعالى .

قوله [إنك عفو تحب العفو] .

فيه إثبات صفة المحبة لله وقد قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة العفو وصفة المحبة لله تعالى إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل فلا يحرفون ولايكيفون ولايمثلون ولايعطلون بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يقول ابن القيم رحمه الله ناظماً معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات قال رحمه الله :

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا

كلا ولا نخليه من أوصافه

من شبه الرحمن العظيم بخلقه

أو عطل الرحمن عن أوصافه ... إن المشبه عابد الأوثان

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤٩/٥

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥٠/٥

إن المعطل عابد البهتان

فهو الشبيه لمشرك نصراني

فهو الكفور وليس ذا الإيمان

قوله [فاعف عني] .

فيه دليل على أنه يستحب للداعي إذا دعا أن يتوسل إلى الله جل وعلا بالصفة المناسبة لدعائه فإذا أراد المغفرة يقول ياغفور اغفر لي وياعفو اعفو عني وإذا أراد العزة يقول ياعزيز أعزني ولابن القيم رحمه الله كلام مفيد حول هذه القضية أفاده في جلا الأفهام في الصلاة على خير الأنام .

٦٥٩/ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) . متفق عليه .." (١)

"بإسناد ضعيف(١) عن معاذ بن جبل ، سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((إن يسير الرياء شرك ، وإن من عادى لله وليا ، فقد بارز الله بالمحاربة ، وإن الله تعالى يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا ، لم يدعوا ، ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة)) .

فأولياء الله تجب موالاتهم ، وتحرم معاداتهم ، كما أن أعداءه تجب معاداتهم ، وتحرم موالاتهم ، قال تعالى : ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون ﴾ (٣) ، ووصف أحباءه الذين **يحبهم ويحبونه** بأنهم أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، وروى الإمام أحمد في كتاب " الزهد " (٤) بإسناده عن وهب ابن منبه ، قال : إن الله تعالى قال لموسى – عليه السلام – حين كلمه : اعلم أن من أهان لي وليا ، أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة ، وبادأني ، وعرض نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ؟ أو يظن الذي يعازني أن يعجزني ؟ أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ؟ وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، فلا أكل نصرتهم إلى غيري .

---

(١) بل ضعيف جدا ؛ فإن في إسناده عيسى بن عبد الرحمان بن فروة متروك .

(٢) الممتحنة : ١ .

(٣) المائدة : ٥٥ – ٥٦ .

(٤) برقم (٣٤٢) عن وهب بن منبه ، به ، وهو جزء من حديث طويل .." (٢)

---

(١) شرح البلوغ (الصلاة-الجنائز-الصوم-الحج)، ص/٩٠

(٢) جامع العلوم والحكم محقق، ٤٠/٧

"وفي " الترمذي " (١) عن أبي سعيد ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل)) .

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله ، كما قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) (٢) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٣) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن من

أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة

منه وأحق ، فمن أعرض عن الله ، فما له من الله بدل ، ولله منه أبدال .

ما لي شغل سواه ما لي شغل

ما يصرف عن هواه قلبي عذل

ما أصنع إن جفا وخاب الأمل

مني بدل ومنه ما لي بدل

(١) في " جامعه " (١٣٢٩) ، وهو حديث ضعيف في إسناده عطية بن سعد العوفي ضعيف عند المحدثين ، وقال الترمذي : ((حسن غريب)) ، وهو من تساهله رحمه الله .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) المائدة : ٥٤ .." (١)

"وأفضل فرائض البدن التي تقرب إلى الله الصلاة ، كما قال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقال – صلى الله عليه وسلم – (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) .

قال عمر بن الخطاب : " أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله " .

الأعمال الصالحة تتفاضل من حيث الجنس ومن حيث النوع .

فمن حيث الجنس : الفرائض أحب إلى الله من النوافل .

(١) جامع العلوم والحكم محقق، ١١/٤٠

ومن حيث النوع : الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض .

إثبات المحبة الله ، محبة تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل .

قال تعالى ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ .

وقال – صلى الله عليه وسلم – (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) .

أن من أسباب محبة الله كثرة النوافل لقوله (ولا يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه) .

وهناك أسباب تجلب محبة الله :

منها : كثرة النوافل .

كما في حديث الباب .

قال ابن القيم : " التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة " .

ومنها : متابعة الرسول .

قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

قال أبو سليمان الداراني : " لما ادّعت القلوب محبة الله ، أنزل آية المحنة ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ " .

ومنها : الذلة على المؤمنين .

ومنها : العزة على الكافرين .

ومنها : الجهاد في سبيل الله .

ومنها : لا يخافون لومة لائم .

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لا ئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .

قال ابن القيم : " فذكر لهم أربع علامات :

أحدها : أذلة على المؤمنين ، قيل معناه أرقاء ، وقيل : رحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم .." (١)

" |

حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن [مروك] قال : ح محمد بن عيسى | الطرسوسي ، قال : حدثني يحي بن معين ، وعلى بن بحر قالا : حدثنا هشام بن | يوسف ، عن عبد الله بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، | عن أبيه ، عن جده ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله – [ ] | – : ' أحبو الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي | لحبي ' . | | قال الشيخ الإمام الزاهد أبو بكر بن أبي

---

(١) شرح الأربعين النووية/اللهيميد، ص/١٢٢

إسحق – رحمه الله – : يجوز أن يكون | قوله – [ ] – : ' أحبوا الله ' خبرا عن محبتهم إياه ، وإن كان لفظه | لفظ الأمر ، وقد جاء مثله في كلام العرب مثل قولهم : عش رحبا تر عجبا ، أي لأن | العيش ليس إلى الإنسان فيؤمر بأن يعيش . | | ومثله ما روي عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : وجدت الناس أخبر تقله . | معناه : إن خبرتهم قليتهم ، يدل عليه قوله : وجدت الناس ، كأنه قال : وجدت الناس | صفتهم إن خبرتهم قليتهم . | | وكذلك قوله ' أحبوا الله ' معناه إنما تحبون الله لأنه أنعم عليكم فأحبكم فأحببتموه | لحبه لكم قال الله عز رجل : ! ' يحبهم ويحبونه ' [المائدة : ٥٤] أخبر عن حبه لهم | قبل حبهم له . |

---

(١) ".

" | الصاغرين) ^ [يوسف : ٣٢] . وأما النسوة فغبن عن حظوظ الغيرة وآلامهن حتى | قطعن أيديهن ولم يحسسن بالألم ، وزليخا لم تمكن الحب منها قالت : ^ (الآن حصحص | الحق أنا راودته عن نفسه) ^ (يوسف : ٥١] أقرت على نفسها وشهدت له بالبراءة ، هذا | ظهر دليل أن محبت النعمة محبة لذة ومطالبة حظوظ النفس فإن حملنا هذا الحديث | على ظاهر اللفظ كان أمرا معلولا والمحبة نهاية الأحوال المعلوات الذين جازوا كثيرا منها | فمثل هؤلاء لا يخاطبون بالمعلول من الأمر كما قال الله تعالى ، وقد قالت رابعة أو | غيرها : والله لو قطعتني بالبلاد إربا إربا ازددت لك إلا حبا ، فمثل هذا لا يحمل | على المحبة رؤية النعم التي هي حظوظ النفس ، ونحمل أيضا معنى الحديث إذا حمل | على ما قلنا تنبيها لهم على ما من الله عليهم . . . . . أوصافهم معرضين كما نبههم الله | عز وجل بقوله . ^ (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) ^ [الأنفال : ١٧] . | | وأما قوله ' وأحبوا أهل بيتي لحبي ' أي إنما تحبونهم لأني أحببتهم ، وأحببتهم لأن | الله تعالى أحبهم ، ويجوز أن يكون أمرا أن تحبوهم فيكون تصديقا لحبهم النبي – | | [ ] – ويكون معنى الحب لهم إيثارهم على غيرهم . | حديث آخر | |

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الخلوتي الجيدموني قال : ح عبد العزيز | ابن حاتم ، قال : ح الحارث بن مسلم ، قال : ح زياد بن ميمون ، عن أنس بن مالك | – رضي الله عنه – قال : سمعت النبي – [ ] – يقول : ' علامة | حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله ' . | | قال الشيخ الإمام الزاهد – رحمه الله – : معناه إن شاء الله علامة حب الله عبده | ذكره وذلك أنه إذا أحب عبدا ذكره ، وإذا ذكر الله عبدا حبب إليه ذكره فيذكر العبد ربه | لذكر ربه له كما أحب ربه لحب ربه له كما قال الله تعالى : ^ (يحبهم ويحبونه) ^ [المائدة : | | ٥٤] وقال عز وجل : ^ (ولذكر الله أكبر) ^ [العنكبوت : ٤٥] يجوز أن يكون معناه ذكر | الله عبده أكبر من ذكر العبد الله ، لأن ذكر الله للعبد يسر من العبد ذكره لله إذ علة كل |

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٢٠

(١) ".

" | والأخذ لهم ، والتدسر عليهم فهو يحبس عنهم عقوبته ، ويؤخر عنهم عذابة ولا | يعاجلهم بالعقوبة التي استحقوها على شركهم به ، وافترائهم عليه وهو مع تأخير | العقوبة يرزقهم ويعافيهم فهو اصبر على الأذى من الخلق ، لأن الخلق يؤذون بما قد | يجوز أن يكون ذلك لهم وفيهم ، وما يؤذون الله تعالى به لا يجوز عليه بوجه من | الوجوه حقيقة ولا مجازا ، ولا إضافة ، وهم إن صبروا صبروا ضرورة وتكلفا ورقا | وعبودة ، ثم لا يحسنون إلى من يؤذيهم . | | ففي الحديث إبانة عن كرم الله تعالى وفضله في ترك معاجلة العقوبة وتأخير | العذاب وإدرار الرزق على المؤذي له وعاقبته إياه ، فهذا كرمه في معاملة من يؤذيه | ويكذب عليه وهو بغيضه وعدوه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الأذى فيه ويثني عليه | وهو وليه وحبيبه ، قال الله تعالى ^ (الله ولي الذين آمنوا) ^ [البقرة : ٢٥٧] وقال : | ^ (يحبهم ويحبونه) ^ [المائدة : ٥٤] سبحان الكريم الرحيم الرؤف الحليم . | | ففي الحديث أيضا حث على الصبر وتحمل الأذى فيما يصيب العبد مما يكرهه | ويغمه ويؤلمه ويشق كأنه - [ ] - يقول : إن الله تعالى يؤذي بالغاية | من الاذى ، وهو قادر على الانتقام منهم ، وهو يؤخر عنهم عقوبته ، ويحبس عنهم | عذابه مع تعاليه عن جر منفعة فيه ، أو دفع مضرة عنه ، فالعبد المضطر المحتاج إلى | الثواب المودوع على الصبر والخوف من العقوبة المتوعد على الجذع على أدنى أذى | يلحقه ، ثم يعتاض عليه ما هو خير منه أولى أن يصبر وأحق . | حديث آخر | |

قال الشيخ - رحمه الله : حدثنا حاتم ، قال : ح يحيي ، قال : ح يحيي ، | قال : ح هشيم ، قال : ح عمر بن أبي سلمة ، عن ابيه ، عن أبي هريرة - رضي الله | عنه - عن النبي - [ ] - قال : ' أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر ، | أو ذكر الله ' . |

---

(٢) ".

" | كنت له جليسا ، اخبره بأنه منع بأبلغ غايات القرب وأقصى نهايات الدنو اليه ، كأنه | يقول له : أنت مني بالقرب والدنو بمنزلة المرء من جليسه . | | ولم يقل في الحديث إن من ذكرني جليسي ، لأنه لو كان كذلك لكانت الحالة | مكتسبة ولم يكن فيه دلالة الخصوص والافضال على من اثره الله ، لأن الله تعالى اجل | من أن يرام مجالسته والدنو إليه من حيث البعد ، وإنما ذكر انه هو الجليس إظهارا | لفضله ، وتقربا إلى عبده ، ولطفا بذاكره ، كما قال تعالى : ^ (ما يكون من نجوى | ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) ^ [المجادلة : ٧] وكما قال الله تعالى : | ^ (يحبهم ويحبونه) ^ [المائدة : ٥٤] جل الله البر الرءوف الرحيم بعباده اللطيف الخبير . | حديث آخر | | ح أبو النضر محمد بن إسحاق الرشادي ، ح علي بن عبد العزيز ، ح مسلم ، ح | شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الاحوص

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٢٢

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/١٨٤

، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله | عنه - عن رسول الله - [ ] - قال : ' لو كنت متخذا خليلا من | أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا ' . | | وفي حديث آخر : ' لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ' . | |

حدثناه خلف بن محمد ، ح إبراهيم بن معقل ، ح محمد بن اسماعيل ، حدثني | عبد الله بن محمد ، ح أبو عامر ، ح فليح ، حدثني سالم أبو النضر ، عن بشر بن | سعيد ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي - [ ] - . | | وفي حديث آخر : ' إن صاحبكم خليل الله ' . | | سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف العماني ، يقول : سمعت كهمس ، يقول : | سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت عبد الله بن شقيق - رحمه الله - يقول : | قلت لعائشة - رضي الله عنها - : من كان احب إلى رسول الله - [ ] - |

---

(١) ".

" | افترض عليهم ليطهروا بها من أدناس الذنوب ، ويتنظفوا من أرجاس العيوب ، فقال | الله تعالى : ^ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ^ [هود : ١١٤] ، وقد قال : ^ (خذ من | أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ^ [التوبة : ١٠٣]) وقال : ^ (إن الله يحب التوابين | ويحب المتطهرين) ^ [البقرة : ٢٢٢] فإذا أتوا بهذه الفرائض تطهروا فصلحوا لدار | الطهارة وقربة القدس . | وقوله ' ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ' لما علم المؤمن الوجه الذي جعله | الله سببا لطهارته ، والعمل الذي هو علامة من قربه الله تعالى منه ، وهو آداء فرائضه ، | أدى فرائضه باذلا فيها مجهود ٣ ، وكانت الفرائض في أوقات معدودة تسارع بعد الفراغ | منها إلى أمثالها من الاعمال وأشباهها من الأفعال طلبا لازدياد من السبب المقرب إليه ، | والسمة الدالة عليه ، فزاده الله تعالى محبة إلى تقريبه منه كما ازداد العبد تعبدا في حال | الحرية من رق العبودية في أداء ما لزمه ، فان مثل العبد في آداء الفرائض مثل المكاتب ، | كاتبه مولاه على مال يؤديه إليه نجوما ، فاذا أدى ما عليه عتق ، فكذلك العبد أوجب | الله تعالى عليه فروضا محدردة ، . وألزمه أمورا محدودة مؤقته ، فإذا أداها خرج من | رقها فهو إلى أن ياتيه وقت آخر عتيق في عمله ، وإلى أن يستقبله فرض ثان حر ، فمن | تعبد في حال الحرية شوقا إلى مولاه استحق المحبة ، كما أن من تعبد في حال الرق | استوجب القربة . | وقوله : ' فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ويؤيد) إذا أحب الله عبدا | أحدث فيه حبا لله ، فيحب الله كما أحبه الله ، قال الله تعالى : ^ (يحبونهم كحب الله) ^ | [البقرة : ١٦٥] ، وقال تعالى : ^ (**يحبهم ويحبونه**) ^ [المائدة : ٥٤] فالمحبوب محب ، | والمحب منخلع من جميع شهواته ، خارج من جميع صفاته ، لأن المحبة إذا استولت | على المحب أفنته عنه ، وسلبته عن صفاته ، واصطفته من نعوته فأصمه وأعماه ، وعن | جميع الأشياء به أبلاه ، وقال النبي - [ ] - : ' من حبك الشيء ما | يعمي ، وما يصم لا ' . | |

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٢٧٥

حدثناه حاتم بن عقيل ، قال : ح يحيى بن إسماعيل ، قال : ح الحماني ، قال : ح | ابن المبارك ، عن ابن أبي مريم ، عن خالد بن محمد الثقف ، عن بلال بن أبي الدرداء | عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن رسول الله - [ ] - . |

" (١)

" | فالمحب يصم عن الأغيار ، ويعمى عما سرى المحبوب الأبصار ، وقال في ذلك | بعض الكبار : | ٪ (أصمني الحب إلا عن تساوده ٪ فمن رأى حب حب يورث الصمما) ٪ | ٪ (وكف طرفي إلا عن وعايته ٪ والحب يعمي وفيه القتل إن كتما) ٪ | | وقيل لقيس المجنون : أتحب ليلى ؟ فقال : لا ، قيل : لم ؟ قال : إن المحبة ذريعة | الوصلة ، فإذا وقعت الوصلة سقطت الذريعة ، فأنا ليلى ، وليلى أنا . | | قال الشيخ - رحمه الله - : وأنا أحكي لك عني عجبا في رؤيا رأيتها ، رأيت فيما | يرى النائم امرأة رقيقة ممشوقة عليها ملاحة ، ولها شعر ما رأيت على أمرأة مثله طولا | وغلظا وسوادا ، فخيل لي أنها ليلى ، وهي تنشد أشعارا ، فكنت حفظت منها أبياتا ثم | أنسيتها ، فقلت لها وعزمت عليها : أخبريني عن قيس ، فقالت . كان عنوان حبي | وكنت معناه الذي قام به ، فلم تكن له حال يوصف ، ولا كانت له صفة تعرف . في | كلام كثير حفظت منه هذا . | | فإذا كانت هذه أحوال المحب ، فمن أحبه الله تعالى صرفه عن الأشياء إليه ، | وأقبل به عليه ، فاحب الله تعالى كما أحبه الله ، قال الله تعالى : ^ (يحبهم ويحبونه) ^ | والمحدث لا يطيق تحمل أعباء المحبة لأنها تفنيه ، فإذا أفنته محبة الله عن نفسه أنشأه الله | لمحبته له خلقا جديدا فأفاده سمعا بدل سمعه ، وبصرا بدل بصره ، ويدا بدل يده ، | وأيدا أقوى من أيده ، فلا يبصر إلا ربه ، ولا يسمع إلا منه ، ولا يبطش إلا له ، ولا | يقوى إلا فيه . ألا تراه يقول . ' يدعونى فاستجب له ، ويستنصحني فأنصح له ' لأنه | لا يعرف له مولا ، ولا وليا إلا إياه ، ولا يرى في الدارين له غيره ، فمن يدعو سواه | ومن يجيبه إلا هو ، إذ ليس عنده مجيبا له إلا ربه ، ولا مدعوا إلا محبوبه . | | وقوله : ' يستنصحني فانصح له ' لأنه سقطت عنه اختياراته ، وماتت فيه شهواته ، | وبطلت منه إرادته ، قد ذهل عن أوصافه ، وشغل في محبة محبوبه عن نعوته ، فهو | لا يهتدي إلى مصالح نفسه ، ولا يتخير في أحكام مولاه فوض أمره إليه ، وألقى | نفسه بين يديه ، وأقبل بكليته عليه ، كما قال النبي - [ ] - | ' إكلأني كلائة الوليد ' ، فهذا استنصاحه له ، فهو تعالى يصرفه في مشيئته ، ويجعله في | قبضته ، ويحوطه بعصمته ، ويصرفه في محابه ، فهذا نصحه له . |

" (٢)

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٣٨٠

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٣٨١

" ٧٣ - باب [٣٤٨٩] قوله (أخبرنا أبو داود) الطيالسي (عن أبي إسحاق) السبيعي (سمعت أبا الأحوص) إسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي

قوله أللهم إني أسألك الهدى والتقى أي الهداية والتقوى

قال الطيبي أطلق الهدى والتقى ليتناول كل ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق وكل ما يجب أن يتقي منه من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق وطلب العفاف والغنى تخصيص بعد تعميم انتهى العفاف والغنى العفاف والعفة هو التنزه عما لا يباح والكف عنه والغنى ها هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه مسلم وبن ماجة

٤ - باب [٣٤٩٠] قوله (عن محمد بن سعد الأنصاري) الشامي صدوق من السادسة (عن عبد الله بن ربيعة) بن يزيد الدمشقي وقيل بن يزيد بن ربيعة مجهول من السادسة

قوله (يقول) إسم كان بحذف إن أي قوله أللهم إني أسألك حبك من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول والأول أظهر إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** وحب من يحبك كما سبق إما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء

وإما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا كما ورد في الدعاء حببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا

وأما ما ورد في الدعاء من سؤال حب ." (١)

"تمهيد حول هذا الموضوع

وقد حذر الله تعالى من الردة :

قال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) (المائدة:٥٤)

إن تهديد من يرتد عن دينه من الذين آمنوا - على هذه الصورة . وفي هذا المقام - ينصرف - ابتداء - إلى الربط بين موالاة اليهود والنصارى وبين الارتداد عن الإسلام . وبخاصة بعد ما سبق من اعتبار من يتولاهم واحدا منهم ، منسلخا من الجماعة المسلمة منضما إليهم: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . .

وعلى هذا الاعتبار يكون هذا النداء الثاني في السياق توكيدا وتقريرا للنداء الأول

يدل على هذا كذلك النداء الثالث الذي يلي هذا النداء والسياق ، وهو منصب على النهي عن موالاة أهل الكتاب والكفار ، يجمع بينهم على هذا النحو ، الذي يفيد أن موالاتهم كموالاة الكفار سواء ، وأن تفرقة الإسلام في المعاملة بين أهل الكتاب والكفار ، لا تتعلق بقضية الولاء ، إنما هي في شئون أخرى لا يدخل فيها الولاء .

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) . .

---

(١) تحفة الأحوذي، ٣٢٤/٩

إن اختيار الله للعصبة المؤمنة ، لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض ، وتمكين سلطانه في حياة البشر ، وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم ، وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم ، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة . .

إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته . فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة . .

فهو وذاك ، والله غني عنه – وعن العالمين . والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم .

والصورة التي يرسمها للعصبة المختارة هنا ، صورة واضحة السمات قوية الملامح ، وضيئة جذابة حبيبة للقلوب:

(فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) . .

فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم . . الحب . .

هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش . . هو الذي يربط القوم بربهم الودود .

وحب الله لعبد من عبيده ، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله – سبحانه – بصفاته كما وصف نفسه ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها . .

أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي . . الذي يعرف من هو الله . .

من هو صانع هذا الكون الهائل ، وصانع الإنسان الذي يلخص الكون وهو جرم صغير ! من هو في عظمته . ومن هو في قدرته . ومن هو في تفرده . ومن هو في ملكوته . .

من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب . . والعبد من صنع يديه – سبحانه – وهو الجليل العظيم ، الحي الدائم ، الأزلي الأبدي ، الأول والآخر والظاهر والباطن .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . .

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما ، وفضلا غامرا جزيلا ، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد ، الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه . .

هو إنعام هائل عظيم . . وفضل غامر جزيل .

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه ، فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين . .

وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين – وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل – ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد ، وهي تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب

وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد ، والحب من العبد للمنعم المتفضل ، يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض ، وينطبع في كل حي وفي كل شيء ، فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود ، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب المحبوب . .

والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب . . وليست مرة واحدة ولا فلتة عابرة . . إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل:

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) . . (إن ربي رحيم ودود) . .(وهو الغفور الودود) . . (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) . . (والذين آمنوا أشد حبا لله) . . (قل:إن كنم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . . وغيرها كثير . .

وعجبا لقوم يمرون على هذا كله ، ليقولوا:إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف ، يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر ، وعذاب وعقاب ، وجفوة وانقطاع . . .

لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله وأقنوم الإله ، فيربط بين الله والناس ، في هذا الازدواج !

إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، لا تجفف ذلك الندى الحبيب ،بين الله والعبيد ، فهي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل ، وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد ، وهي علاقة الحب كما أنها علاقة التنزية . . .

إنه التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين

وهنا - في صفة العصبة المؤمنة المختارة لهذا الدين - يرد ذلك النص العجيب: (**يحبهم ويحبونه**) ويطلق شحنته كلها في هذا الجو ، الذي يحتاج إليه القلب المؤمن ، وهو يضطلع بهذا العبء الشاق . شاعرا أنه الاختيار والتفضل والقربى من المنعم الجليل . .

ثم يمضي السياق يعرض بقية السمات: (أذلة على المؤمنين) . .

وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين . . فالمؤمن ذلول للمؤمن . . غير عصي عليه ولا صعب . هين لين . . ميسر مستجيب . . سمح ودود . . وهذه هي الذلة للمؤمنين .

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة . إنما هي الأخوة ، ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس ، فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين .

إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموسا عصيا شحيحا على أخيه . فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه ، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به . .

وماذا يبقى له في نفسه دونهم ، وقد اجتمعوا في الله إخوانا ؛ **يحبهم ويحبونه** ، ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه ! (أعزة على الكافرين) . .

فيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء . . ولهذه الخصائص هنا موضع . .
إنها ليست العزة للذات ، ولا الاستعلاء للنفس . إنما هي العزة للعقيدة ، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين . إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير ، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين !
ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى ؛ وبغلبة قوة الله على تلك القوى ؛ وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية . . فهم الأعلون حتى وهم ينهزمون في بعض المعارك ، في أثناء الطريق الطويل . .
(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) . .
فالجهاد في سبيل الله ، لإقرار منهج الله في الأرض ، وإعلان سلطانه على البشر ، وتحكيم شريعته في الحياة ، لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس . . هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد . .
وهم يجاهدون في سبيل الله ؛ لا في سبيل أنفسهم ؛ ولا في سبيل قومهم ؛ ولا في سبيل وطنهم ؛ ولا في سبيل جنسهم . . في سبيل الله . لتحقيق منهج الله ، وتقرير سلطانه ، وتنفيذ شريعته ، وتحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق . . وليس لهم في هذا الأمر شيء ، وليس لأنفسهم من هذا حظ ، إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك . .
وهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . .
وفيم الخوف من لوم الناس ، وهم قد ضمنوا حب رب الناس وفيم الوقوف عند مألوف الناس ، وعرف الجيل ، ومتعارف الجاهلية ، وهم يتبعون سنة الله ، ويعرضون منهج الله للحياة إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس ؛ ومن يستمد عونه ومدده من عندالناس ؛ أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناسوشهواتهم وقيمهم ؛ وأما من يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته ، فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون . كائنا هؤلاء الناس ما كانوا ؛ وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان ، وكائنة "حضارة " هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون !
إننا نحسب حسابا لما يقول الناس ؛ ولما يفعل الناس ؛ ولما يملك الناس ؛ ولما يصطلح عليه الناس ؛ ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين . .
لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم . .." (١)
"كان ذلك من المحرر حين اعتبر الخليفة الراشد أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أول من أوجد (أيديولوجيا التكفير) وزعم المحرر أن حروب الردة هي أول واقعة تاريخية عبرت عن ميلاد (فكرة التكفير في الإسلام) وأنها (أول بيان رسمي يعلن ميلاد أيديولوجيا التكفير ، ويقرن التعبير عن حكم التكفير بقتال الجهة التي يشملها الحكم إياه) .
ومما ساءني وساء كل مسلم ومسلمة أن محرر جريدة الرياض نظم الصديق أبا بكر رضي الله عنه في قائمة الغلو والإرهاب ، واعتبر جهاد أبي بكر والصحابة رضي الله عنهم للمرتدين من جملة أعمال الإرهاب التي يحمل عليها التكفير . إلى غير ذلك مما جاء في التقرير ، والذي يغلب على ظني أن المحرر قد استقى بعض معلوماته من مصادر غير أمينه ، إذ يبعد أن

---

(١) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه، ٢/٢

يكون معتقدا لهذه الإساءات في حق الصديق رضي الله عنه .

ومهما يكن ، فإن من الواجب على كل مسلم أن يستنكر هذه الإدعاءات ، وأن ينزه الصديق عنها ، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " رواه مسلم في صحيحه .

وموقفنا من تلك الادعاءات التي جاءت في التقرير أجمله في المسائل التالية :

الأولى : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بمنزلة عالية كريمة ، بما يعتبر معها كل من نال منه أو رماه بسوء مسيئا لنفسه ، وظالما لها ، ومرتكسا في ضلال كبير وذنب عظيم ، ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه مقدم الأمة ، وسابقهم في جميع الأوصاف الحميدة فإنه ، كان صديقا تقيا كريما جوادا ، بذالا لأمواله في طاعة مولاه ، وصاحب فضل على المسلمين ، بما جعل الله له من الأسبقية في الإيمان ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حاز الصديق تزكية رب العباد في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وزكاه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

قال الله تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) الآية (التوبة : ٤٠) .

وقد ذكر المفسر الفخر الرازي رحمه الله أن هذه الآية تدل على فضيلة أبي بكر من اثني عشر وجها ، ثم شرع في بيانها .

وقد أجمع المفسرون على أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه هو المراد في قول الله تعالى : (وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتي ماله يتزكى) (الليل : ١٧ و ١٨) .

وقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ، ثم عمر ثم عثمان ... إلخ.

زاد الطبراني في رواية : فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره .

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخرقة ، فقعد على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد ، غير خوخة أبي بكر " لفظ البخاري .

وروى أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان من طريق ربعي بن خراش عن حذيفة قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال : " إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدي " وأشار إلى أبي بكر وعمر . الحديث .

وثبت في المسند وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة عن علي رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال : " يا علي ، هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين " .

وثبت في صحيح البخاري من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال : صعد رسول الله أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل ، فضربه رسول الله برجله ، وقال : " اثبت ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان " .

وثبت في المسند أن عليا قام على المنبر ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر فعمل بعمله ، وسار بسيرته ، حتى قبضه الله على ذلك ، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما ، وسار بسيرتهما ، حتى قبضه الله على ذلك ".

فهذا جانب من فضل الصديق وثناء الله عليه ، وثناء رسوله ، وثناء خيار المؤمنين ، أوردته تشريفا لهذا المقال ، وما تركته مما يبين فضله أضعاف هذا ، وهو معلوم لدى عامة أهل الإسلام ، فكيف تسمح نفس أي مسلم بعد هذا أن يأتي بمثل ما جاءت الإشارة إليه مما قاله المحرر.

المسألة الثانية : لقد كانت حروب الردة التي قادها ورفع لواءها الصديق رضي الله عنه واحدة من نعم الله على الأمة المحمدية ، والتي حفظ الله بها دين الإسلام من الاضمحلال ، ولذا كانت من أعظم محامد أبي بكر وأجل مناقبه .

وقد جاءت تزكية حروب الردة وتزكية من رفع لواءها وشارك فيها في قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) الآية . (المائدة : ٥٤) .

قال الإمام أبو جعفر الطبري : قال بعضهم : هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ، حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه . اختار ذلك علي والحسن والضحاك وقتادة وابن جريج .." (١)

"وحكم على من أظهر كفره من المنافقين، أو كفر من المسلمين بالقتل كفا لشرهم وردعا لغيرهم؛ فإن محاربتهم للإسلام بألسنتهم أعظم من محاربة قاطع الطريق بيده وسنانه؛ فإن فتنة هذا في الأموال والأبدان، وفتنة هذا في القلوب والإيمان، وهذا بخلاف الكافر الأصلي؛ فإن أمره كان معلوما، وكان مظهرا لكفره غير كاتم له، والمسلمون قد أخذوا حذرهم منه، وجاهروه بالعداوة والمحاربة، ولو ترك ذلك الزنديق لكان تسليطا له على المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومسبة الله ورسوله. وأيضا فإن من سب الله ورسوله، وكفر بهما فقد حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا؛ فجزاؤه القتل حدا. ولا ريب أن محاربة الزنديق لله ورسوله وإفساده في الأرض أعظم محاربة وإفسادا؛ فكيف تأتي الشريعة بقتل من صال على عشرة دراهم ولا تأتي بقتل من صال على كتاب الله وسنة نبيه بين أظهر المسلمين وهي من أعظم المفاسد؟ (٢).

وبين يديك ـ أخي القارئ الكريم ـ ورقات قليلة في جريمة الردة تعرض جانبا من نظرة الإسلام إليها وإلى عقوبتها سائلا الله – تعالى – أن ينفع بها.

تعريف الردة:

الردة في اللغة: الرجوع عن الشيء والتحول عنه، سواء تحول عنه إلى ما كان عليه قبل، أو لأمر جديد.

ويقال: ارتد عنه ارتدادا، أي: تحول.

ويقال: ارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه(٣).

وتدل في الاصطلاح الشرعي: على كفر المسلم بقول أو فعل أو اعتقاد(٤).

وقوع الردة وحصولها:

---

(١) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه، ٣/٧٠

الردة عن الإسلام والتحول عنه ـ أعاذنا الله منها وثبتنا على دينه ـ أمر ممكن الحصول؛ فقد ذكرها الله – تعالى – في كتابه محذرا منها، ومبينا عاقبتها. قال – تعالى –: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال – تعالى –: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ [النحل: ١٠٦].

إضافة إلى آيات كثيرة تبين هذا المعنى.

كما أخبر – تعالى – عن وقوع الكفر من طائفة من الناس بعد إيمانهم.

قال – تعالى –: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ [محمد: ٢٥].

وقال: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. [التوبة: ٦٥ – ٦٦]

وقال: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ [النساء: ١٣٧].

كما وقعت الردة في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – في مواقف نذكر منها: قصة عبيد الله بن جحش؛ فإنه كان قد أسلم وهاجر مع زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى الحبشة فرارا بدينه.

قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله زوجي بأسوأ صورة وأشوهها، ففزعت وقلت: تغيرت والله حاله! فإذا هو يقول حين أصبح: إني نظرت في الدين، فلم أر دينا خيرا من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، وقد رجعت، فأخبرته بالرؤيا، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر..حتى مات(٥).

ومنها ما حصل عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مما استفاض به النقل عند أهل العلم بالحديث والتفسير والسير أنه كان رجال قد آمنوا ثم نافقوا، وكان يجري ذلك لأسباب: منها أمر القبلة لما حولت ارتد عن الإيمان لأجل ذلك طائفة، وكانت محنة امتحن الله بها الناس. قال – تعالى –: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ [البقرة: ١٤٣](٦).

ومنها ما حصل في غزوة تبوك إذ قال رجل في هذه الغزوة: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فجاء الرجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب. فقرأ عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله – تعالى –: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وما يلتفت إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم

-(٧).

وقريب من هذا ما حصل لهشام بن العاص – رضي الله عنه – فإنه أسلم وتواعد على الهجرة مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثم إنه حبس عنه وفتن فافتتن.

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر في حديثه قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم!." (١)

" خرج البزار بعض الحديث من طريق صدقة بن عبد الكريم الجزري عن أنس وخرج الطبراني من حديث الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش سمعت حذيفة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى أوحي إلى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي حتى يرد تلك الظلامة على أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وأكون بصر الذي يبصره به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري من النبيين والصديقين والشهداء في الجنة وهذا إسناد جيد وهو غريب جدا ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة الذي خرجه البخاري وقد قيل إنه أشرف حديث في ذكر الأولياء قوله تعالى من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب يعني فقد أعلمته بأني محارب له حيث كان محاربا لي بمعاداته أوليائي ولهذا جاء في حديث عائشة فقد استحل محاربتي وفي حديث أبي أمامة وغيره فقد بارزني بالمحاربة وخرج ابن ماجه بسند ضعيف عن معاذ بن جبل سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن يسير الرياء شرك وإن من عادي لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة وأن الله تعالى يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدي يخرجون من كل غبراء مظلمة فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الممتحنة وقال إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون المائدة ووصف أحباءه الذين **يحبهم ويحبونه** بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى قال لموسي عليه السلام حين كلمه اعلم أن من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وعاداني وعرض نفسه ودعاني إليها وإن أسرع شيء إلى نصرة أوليائي أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أنه يعجزني أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني ويفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم إلى غيري واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله تعالى قال الحسن بن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة فإن من عصي الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد ولهذا سمي الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده وكذلك معاداة أوليائه فإنه تعالى يتولي نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادي الله تعالى وحاربه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

(١) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه، ١٧٥/٣

الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذي الله ومن آذي الله يوشك أن يأخذه خرجه الترمذي وغيره وقوله وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما ." (١)

" من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم المائدة ففي هذه الآية إشارة إلى أن من أعرض عن حبنا وتولي عن قربنا ولم يبال استبدلنا به من هو أولي بهذه المنحة منه وأحق فمن أعرض عن الله فما له عن بدل ولله منه أبدال مالي شغل سواه مالي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذل ما أصنع إن جفا وخاب الأمل مني بدل وما لي منه بدل وفي بعض الآثار يقول الله تعالى ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء وكان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل كثيرا اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا إن بعدت قربني وإن قربت منه دنا من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونا فكيف إذا لم يحصل له إلا نزر حقير يسير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة ولذا قيل من فاته أن يراك يوما فكل أوقاته فوات وحيثما كنت في بلاد فلي إلى وجهك التفات ثم ذكر وصف الذين يحبهم الله ويحبونه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يعني أنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم والغلظ لهم فلما أحبوا أولياءه الذين يحبونه فعاملوهم بالمحبة والرأفة والرحمة وبغضوا أعداءه الذين يعادونه فعاملوهم بالشدة والغلظة كما قال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم المائدة فإن من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب وأيضا فالجهاد في سبيل الله دعاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم إلى الله فمن لم يجد الدعوة باللين والرفق احتاج بالدعوة إلى الشدة والعنف عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ولا يخافون لومة لائم ما للمحب غير ما يرضي حبيبه رضي من رضي عليه وسخط من سخط من خاف الملامة في هوي من يحبه فليس ." (٢)

" بصادق في المحبة وقف الهوي بي حيث أنت فليس لي متأخر عنكم ولا متقدم أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء المائدة يعني درجة الذين **يحبهم ويحبونه** بأوصافهم المذكورة والله واسع عليم المائدة واسع العطاء عليم بمن يستحق الفضل فيمنحه ومن لا يستحقه فيمنعه ويروى أن داود عليه السلام كان يقول اللهم اجعلني من أحبابك فإنك إذا أحببت عبدا غفرت ذنبه وإن كان عظيما وقبلت عمله وإن كان يسيرا وكان داود يقول في دعائه اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي ومالي ومن الماء البارد وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتاني ربي يعني في المنام فقال لي يا محمد قل اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك وكان من دعائه عليه الصلاة و السلام اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني ما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغا

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص/٣٦٠

(٢) جامع العلوم والحكم، ص/٣٦٢

لي فيما تحب وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي وخشيتك أخوف الأشياء عندي واقطع عني حاجة الدنيا بالشوق إلى لقائك فإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك فأهل هذه الدرجة من المقربين ليس لهم هم إلا فيما يقربهم ممن **يحبهم ويحبونه** قال بعض السلف العمل على المخافة قد يغير الرجاء والعمل على المحبة لا يدخله الفوز ومن كلام بعضهم إذا سئم البطالون من بطالتهم فلا يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك قال فرقد السنجي قرأت في بعض الكتب من أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من هواه ومن أحب الدنيا لم يكن عنده آثر من هوي نفسه فالحب لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء زمرته أول الزمر يوم القيامة ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك والمحبة منتهي القربة والاجتهاد ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله تعالى يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم القيامة يوم تبدو الفضائح أولئك أولياؤه وأحباؤه وأهل صفوته أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه وقال فتح الموصلي المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين وقال محمد بن النضر الحارثي ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله وما يكاد يسأم من ذلك وقال بعضهم المحب لله طائر القلب كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دأبا وشوقا وأنشد بعضهم ." (١)

"وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة: ٥٤].

فقد أثبتت المحبة من طرفين؛ محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد .

وجاء في الحديث أن النبي كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(١).

فقد اشتمل هذا الحديث الشريف على ثبوت لذة النظر إلى وجه الله، وعلى ثبوت الشوق إلى لقائه .

وأيضا : عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَجَعُوا

---

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، باب: نوع آخر، برقم: (١٣٠٥)، ومسند أحمد، برقم: (١٧٨٦١).." (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص/٣٦٣

(٢) ثلاث من كن فيه، ص/٢٠

"وإن من ارتد عن دينه فلا يضر الله شيئا كما قال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا [سورة آل عمران: ١٤٤].

بل إن الله يأتي بقوم يقيمون دينه كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة: ٥٤].

وهو من الداخلين في النار، كما قال تعالى: وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة :٢١٧].

وله عذاب شديد مع غضب الله عليه: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النحل: ١٠٦].

قال ابن حجر: «فِي الْآيَةِ وَعِيد شَدِيد لِمَنْ اِرْتَدَّ مُخْتَارًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: صدق الله العظيم (– (– – – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – صدق الله العظيم ﴾ تم بحمد الله – رضي الله عنهم –– رضي الله عنهم –– عليه السلام – – – ((–))) –) – (– – –) – – – جل جلاله – –) – –) إِلَى آخره»(١).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٢/ ٣١٢.." (١)

"وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [المائدة (٥٤)] .

هذا من الكائنات التي أخبر الله بها قبل وقوعها ، وقد ارتد العرب في آخر عهد رسول الله (بنو مدلج ، ورئيسهم العنسي ، وبنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة ، وبنو أسد ورئيسهم طليحة .

وفي عهد الصديق ، فزارة وغطفان ، وبنو سليم ، وبنو يربوع ، وبعض تميم ، قوم سجاح زوجة مسيلمة ، وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وكفى الله أمرهم على يد الصديق رضي الله عنه .

وفي إمرة عمر ، غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام .

وقوله تعالى : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ، قيل : هم أهل اليمن ؛ لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى ، وقال : « هم قوم هذا » .

[٣٨٦] وعن أبي هريرة (قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها وإن سألني

---

(١) ثلاث من كن فيه، ص/١٠٩

أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . رواه البخاري .

معنى « آذنته » : أعلمته بأني محارب له . وقوله : « استعاذني » روي بالباء وروي بالنون .." (١)

"كقوله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون [آل عمران (١٠٤)] ، وقوله تعالى : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص [الصف (٤)] .

٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [الشعراء (٢١٥)] .

أي : ألن جانبك للمؤمنين وارفق بهم .

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة (٥٤)] .

وقد ارتد قبائل من العرب في عهده (وفي خلافة أبي بكر فقاتلهم أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم . ولما نزلت : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة (٥٤)] ، أشار (إلى أبي موسى الأشعري وقال : « هم هذا وقومه » . يعني أهل اليمن .

وقال تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات (١٣)] .

الشعب : رأس القبائل ، كمضر ، والقبيلة : كتميم ، أي : جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا لا لتفاخروا .

وقال النبي (: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل » .

وقال تعالى : فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى [النجم (٣٢)] .

أي : لا تمدحوها ولا تفخروا بأعمالكم .." (٢)

"وقال تعالى : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة (٥٤)] .

أي : عاطفين على المؤمنين ، خافضين لهم أجنحتهم ، متغلبين على الكافرين .

وقال تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [الفتح (٢٩)] .

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن محمد – صلى الله عليه وسلم – ، أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب . فقال : محمد رسول الله ، وهذا مبتدأ وخبر ، وهو مشتمل على كل وصف جميل ، ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم ، فقال : والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، كما قال عز وجل : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة (٥٤)] ، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار ، رحيما برا بالأخيار .

[١٥٦٧] وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ١/٢٦٣

(٢) تطريز رياض الصالحين، ١/٣٩٨

تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » . متفق عليه .
قوله : « لا تباغضوا » ، أي : لا تفعلوا ما يؤدي إلى التباغض ، من التحاسد ، والتدابر ، والتقاطع .
قوله : « ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه » ، أي : بالإعراض عنه ، وترك السلام عليه فوق ثلاث . أغتفرت الثلاث لأن حدة المزاج قد تدعوا للهجر في زمنها .
وفي رواية : « فمن هجر فوق ثلاث ، فمات دخل النار » .." (١)
"قوله (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم)
كذا ذكر قطعتين من آيتين ، وتلطف في ذكر الثانية عقب الأولى ؛ لرد من توهم من قوله في الحديث "كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء " أن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل ، وكذا من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع ، وربما تمسك بعضهم وهو أبو إسحاق الهروي بما أخرجه من طريق سفيان الثوري " حدثنا أبو هشام " هو الرماني بالراء والتشديد عن مجاهد عن ابن عباس قال " إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فأول ما خلق الله القلم " وهذه الأولية محمولة على خلق السماوات والأرض وما فيهما ، فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) قال هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء وعرشه من ياقوتة حمراء فأردف المصنف بقوله (رب العرش العظيم) إشارة إلى أن العرش مربوب وكل مربوب مخلوق ، وختم الباب بالحديث الذي فيه " فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش " فإن في إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء ، والجسم المؤلف محدث مخلوق ، وقال البيهقي في " الأسماء والصفات " : اتفقت أقاويل هذا التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة ، وفي الآيات – أي التي ذكرها – والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه .
قوله (قال أبو العالية استوى إلا السماء ارتفع فسوى خلق)
في رواية الكشميهني " فسواهن خلقهن " وهو الموافق للمنقول عن أبي العالية لكن بلفظ " فقضاهن "كما أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه في قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال ارتفع ، وفي قوله " فقضاهن " : خلقهن وهذا هو المعتمد والذي وقع " فسواهن " تغيير ، ووقع لفظ سوى أيضا في سورة النازعات في قوله تعالى (رفع سمكها فسواها) وليس المراد هنا وقد تقدم في تفسير سورة فصلت في حديث ابن عباس الذي أجاب به عن الأسئلة التي قال السائل إنها اختلفت عليه في القرآن فإن فيها " أنه خلق الأرض قبل خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ثم دحا الأرض " ثم إن في تفسير سوى بخلق نظرا ؛ لأن في التسوية قدرا زائدا على الخلق كما في قوله تعالى (الذي خلق فسوى) .
قوله (وقال مجاهد استوى : علا على العرش)
وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه قال ابن بطال اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة معناه

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ٣٤٢/٢

الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق وقالت الجسمية معناه الاستقرار ، وقال بعض أهل السنة معناه ارتفع ، وبعضهم معناه علا ، وبعضهم معناه الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك ، يقال لمن أطاعه أهل البلاد ، وقيل معنى الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء ، ومنه قوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى) فعلى هذا فمعنى استوى على العرش أتم الخلق ، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء وقيل إن " على " في قوله على العرش بمعنى : إلى ، فالمراد على هذا انتهى إلى العرش أي فيما يتعلق بالعرش ؛ لأنه خلق الخلق شيئا بعد شيء ، ثم قال ابن بطال : فأما قول المعتزلة فإنه فاسد ؛ لأنه لم يزل قاهرا غالبا مستوليا ، وقوله " ثم استوى " يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، ولازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه ، وهذا منتف عن الله سبحانه ، وأما قول المجسمة ففاسد أيضا ؛ لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي ، وهو محال في حق الله تعالى ، ولائق بالمخلوقات لقوله تعالى (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) وقوله (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) قال وأما تفسير استوى : علا فهو صحيح وهو المذهب الحق ، وقول أهل السنة ؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه بالعلى ، وقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) وهي صفة من صفات الذات ، وأما من فسره : ارتفع ففيه نظر ؛ لأنه لم يصف به نفسه ، قال واختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل ، فمن قال معناه علا قال هي صفة ذات ، ومن قال غير ذلك قال هي صفة فعل ، وإن الله فعل فعلا سماه استوى على عرشه ، لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به انتهى ملخصا . وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن ، فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن ؛ والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى (وكان الله عليما حكيما) فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك ، كما تقدم بيانه عن ابن عباس في تفسير فصلت ، وبقي من معاني استوى ما نقل عن ثعلب استوى الوجه اتصل ، واستوى القمر امتلأ واستوى فلان وفلان تماثلا ، واستوى إلى المكان أقبل ، واستوى القاعد قائما والنائم قاعدا ، ويمكن رد بعض هذه المعاني إلى بعض ، وكذا ما تقدم عن ابن بطال ، وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل (الرحمن على العرش استوى) فقال هو على العرش كما أخبر ، قال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى ، فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد ، ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي سمعت ابن الأعرابي يقول أرادني أحمد بن أبي داود أن أجد له في لغة العرب (الرحمن على العرش استوى) بمعنى استولى فقلت والله ما أصبت هذا ، وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش ؛ لأنه غالب على جميع المخلوقات ، ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع وقال أبو عبيدة والفراء وغيرهما بنحوه ، وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر " ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش ؟ فقال : " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، وعلى الله الرسالة ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم " وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قوله تعالى (ثم استوى على

العرش) فقال : هو كما وصف نفسه ، وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله " الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى وصف به نفسه ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه " ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه " والإقرار به واجب ، والسؤال عنه بدعة " وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال : كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف ، قال أبو داود وهو قولنا ، قال البيهقي وعلى هذا مضى أكابرنا وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير ، فمن فسر شيئا منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفارق الجماعة ؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء ، ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكا والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف " وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر ، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه ، فقال (ليس كمثله شيء) وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال " كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه " ومن طريق أبي بكر الضبعي قال : مذهب أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) قال بلا كيف والآثار فيه عن السلف كثيرة ، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل ، وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه ، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ، وقال في باب فضل الصدقة قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف ، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف ، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه ، وقال إسحاق بن راهويه إنما يكون التشبيه لو قيل : يد كيد وسمع كسمع ، وقال في تفسير المائدة قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير ، منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، ولم يكيفوا شيئا منها ؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة ، وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية : اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى . وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم ، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة ، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل

القرون الثلاثة ، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة ، وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء ، والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين ؛ لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها ، أحدهما يقول لا نؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده ، والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء ، واليد القدرة ونحو ذلك ، وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة أحدهما يقول يجوز أن تكون صفة وظاهرها غير مراد ، ويجوز أن لا تكون صفة ، والآخر يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به ؛ لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه .

قوله (وقال ابن عباس المجيد الكريم ، والودود الحبيب)

وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ذو العرش المجيد) قال المجيد الكريم ، وبه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهو الغفور الودود) قال الودود الحبيب وإنما وقع تقديم المجيد قبل الودود هنا ؛ لأن المراد تفسير لفظ المجيد الواقع في قوله (ذو العرش المجيد) فلما فسره استطرد لتفسير الاسم الذي قبله إشارة إلى أنه قرئ مرفوعا بالاتفاق ، وذو العرش بالرفع صفة له واختلفت القراء في المجيد بالرفع ، فيكون من صفات الله ، وبالكسر فيكون صفة العرش ، قال ابن المنير : جميع ما ذكره البخاري في هذا الباب يشتمل على ذكر العرش إلا أثر ابن عباس ؛ لكنه نبه به على لطيفة وهي أن المجيد في الآية على قراءة الكسر ليس صفة للعرش ، حتى لا يتخيل أنه قديم بل هي صفة الله ، بدليل قراءة الرفع ، وبدليل اقترانه بالودود فيكون الكسر على المجاورة لتجتمع القراءتان على معنى واحد انتهى . ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى ما أردفه به ، وهو يقال حميد مجيد إلخ ، ويؤيده حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدارقطني بلفظ " إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي " ذكره ابن التين قال : ويقال المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، فالماجد من له آباء متقدمون في الشرف ، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء ، فالمجيد صيغة مبالغة من المجد وهو الشرف القديم ، وقال الراغب : المجد السعة في الكرم والجلالة ، وأصله قولهم مجدت الإبل أي وقعت في مرعى كثير واسع وأمجدها الراعي ، ووصف القرآن بالمجيد لما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية انتهى . ومع ذلك كله فلا يمتنع وصف العرش بذلك لجلالته وعظيم قدره كما أشار إليه الراغب ، ولذلك وصف بالكريم في سورة قد أفلح ، وأما تفسير الودود بالحبيب فإنه يأتي بمعنى المحب والمحبوب ؛ لأن أصل الود محبة الشيء ، قال الراغب : الودود يتضمن ما دخل في قوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) وقد تقدم معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له .

قوله (يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد)

كذا لهم بغير ياء فعلا ماضيا ولغير أبي ذر عن الكشميهني محمود من حميد ، وأصل هذا قول أبي عبيدة في "كتاب المجاز " في قوله (عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) أي محمود ماجد ، وقال الكرماني : غرضه منه أن مجيدا بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر وحميدا بمعنى مفعول ، فلذلك قال مجيد من ماجد وحميد من محمود ، قال وفي بعض النسخ : محمود من حميد

، وفي أخرى من حمد مبني للفاعل والمفعول أيضا ، وذلك لاحتمال أن يكون حميد بمعنى حامد ومجيد بمعنى ممجد ، ثم قال : وفي عبارة البخاري تعقيد . قلت : وهو في قوله محمود من حمد ، وقد اختلف الرواة فيه والأولى فيه ما وجد في أصله وهو كلام أبي عبيدة ، ثم ذكر في الباب تسعة أحاديث لبعضها طريق أخرى .." (١)

"باب حكم المرتد و المرتدة و استتابتهم

...

٢- باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم وقال ابن عمر والزهري وإبراهيم تقتل المرتدة وقال الله تعالى ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون﴾ وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ وقال ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ وقال ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم﴾ يقول حقا أنهم في الآخرة هم الخاسرون - إلى قوله - ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾، ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

٦٩٢٢- حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال "أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه"." (٢)

"الأنصار أسلم ثم ندم وأرسل إلى قومه فقالوا يا رسول الله هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كيف يهدي الله قوما - إلى قوله - إلا الذين تابوا﴾ فأسلم". قوله: "وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ قال عكرمة نزلت في شاس بن قيس اليهودي، دس على الأنصار من ذكرهم بالحروب التي كانت بينهم فتمادوا يقتتلون، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فذكرهم فعرفوا أنها من الشيطان فعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا سامعين مطيعين فنزلت، أخرجه إسحاق في تفسيره مطولا. وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس موصولا وفي هذه الآية الإشارة إلى التحذير عن مصادقة أهل الكتاب إذ لا يؤمنون أن يفتنوا من صادقهم عن دينه. قوله: "وقال إن الذين آمنوا ثم كفروا" إلى "سبيلا" كذا لأبي ذر، وللنسفي ﴿ثم كفروا ثم آمنوا ثم ازدادوا كفرا﴾ الآية وساقها كلها في رواية كريمة. وقد استدل بها

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٩٤/٢٠

(٢) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٢٦٧/١٢

من قال لا تقبل توبة الزنديق كما سيأتي تقريره. قوله: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وساق في رواية كريمة إلى الكافرين، ووقع في رواية أبي ذر ﴿من يرتد﴾ بدالين وهي قراءة ابن عامر ونافع، وللباقين من القراء ورواة الصحيح ﴿من يرتد﴾ بتشديد الدال، ويقال إن الإدغام لغة تميم والإظهار لغة الحجاز، ولهذا قيل إنه وجد في مصحف عثمان بدالين، وقيل بل وافق كل قارئ مصحف بلده، فعلى هذا فهي في مصحفي المدينة والشام بدالين وفي البقية بدال واحدة. قوله: "ولكن من شرح بالكفر صدرا" إلى "وأولئك هم الغافلون" كذا لأبي ذر وساق في رواية كريمة الآيات كلها، وهي حجة لعدم المؤاخذة بما وقع حالة الإكراه كما سيأتي تقريره بعد هذا. قوله: ﴿لا جرم﴾ يقول حقا ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون – إلى – لغفور رحيم﴾ والمراد أن معنى لا جرم حقا وهو كلام أبي عبيدة وحذف من رواية النسفي ففيها بعد قوله صدرا الآيتين إلى قوله :﴿غفور رحيم﴾، وفي الآية وعيد شديد لمن ارتد مختارا لقوله تعالى:﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ إلى آخره. قوله: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا – إلى قوله – وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ كذا لأبي ذر وساق في رواية كريمة أيضا الآيات كلها، والغرض منها قوله: ﴿إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ إلى آخرها فإنه يقيد مطلق ما في الآية السابقة ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم﴾ إلى آخرها قال ابن بطال: اختلف في استتابة المرتد فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور، وقيل يجب قتله في الحال جاء ذلك عن الحسن وطاوس وبه قال أهل الظاهر. قلت: ونقله ابن المنذر عن معاذ وعبيد بن عمير وعليه يدل تصرف البخاري فإنه استظهر بالآيات التي لا ذكر فيها للاستتابة والتي فيها أن التوبة لا تنفع، وبعموم قوله: "من بدل دينه فاقتلوه " وبقصة معاذ التي بعدها ولم يذكر غير ذلك، قال الطحاوي: ذهب هؤلاء إلى أن حكم من ارتد عن الإسلام حكم الحربي الذي بلغته الدعوة فإنه يقاتل من قبل أن يدعى، قالوا: وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة، فأما من خرج عن بصيرة فلا. ثم نقل عن أبي يوسف موافقتهم لكن قال: إن جاء مبادرا بالتوبة خليت سبيله ووكلت أمره إلى الله تعالى وعن ابن عباس وعطاء: إن كان أصله مسلما لم يستتب وإلا استتيب، واستدل ابن القصار لقول الجمهور بالإجماع يعني السكوتي لأن عمر كتب في أمر المرتد: هلا حبستموه ثلاثة أيام وأطعمتموه في كل يوم رغيفا لعله يتوب فيتوب الله عليه؟ قال: ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة كأنهم فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه" أي إن لم يرجع، وقد قال تعالى :﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ واختلف القائلون." (١)

"الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة، وقسم بعضهم أقوال الناس، في هذا الباب إلى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء، والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها، أحدهما يقول لا نؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده، والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء، واليد القدرة ونحو ذلك، وقولان لمن لا يجزم

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٢٦٩/١٢

بأنها صفة أحدهما يقول يجوز أن تكون صفة وظاهرها غير مراد، ويجوز أن لا تكون صفة، والآخر يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه. قوله: "وقال ابن عباس المجيد الكريم، والودود الحبيب" وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ذو العرش المجيد﴾ قال المجيد الكريم، وبه عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿وهو الغفور الودود﴾ قال الودود الحبيب وإنما وقع تقديم المجيد قبل الودود هنا لأن المراد تفسير لفظ المجيد الواقع في قوله: "ذو العرش المجيد" فلما فسره استطرد لتفسير الاسم الذي قبله إشارة إلى أنه قرئ مرفوعا بالاتفاق، وذو العرش بالرفع صفة له واختلفت القراء في المجيد بالرفع، فيكون من صفات الله، وبالكسر فيكون صفة العرش، قال ابن المنير جميع ما ذكره البخاري في هذا الباب يشتمل على ذكر العرش إلا أثر ابن عباس، لكنه نبه به على لطيفة وهي أن المجيد في الآية على قراءة الكسر ليس صفة للعرش، حتى لا يتخيل أنه قديم بل هي صفة الله، بدليل قراءة الرفع، وبدليل اقترانه بالودود فيكون الكسر على المجاورة لتجتمع القراءتان على معنى واحد انتهى. ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى ما أردفه به، وهو يقال حميد مجيد إلخ، ويؤيده حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدار قطني بلفظ: "إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي " ذكره ابن التين قال ويقال المجد في كلام العرب: الشرف الواسع، فالماجد من له آباء متقدمون في الشرف، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء، فالمجيد صيغة مبالغة من المجد وهو الشرف القديم. وقال الراغب المجد السعة في الكرم والجلالة، وأصله قولهم مجدت الإبل أي وقعت في مرعى كثير واسع وأمجدها الراعي، ووصف القرآن بالمجيد لما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية انتهى. ومع ذلك كله فلا يمتنع وصف العرش بذلك لجلالته وعظيم قدره كما أشار إليه الراغب، ولذلك وصف بالكريم في سورة قد أفلح، وأما تفسير الودود بالحبيب فإنه يأتي بمعنى المحب والمحبوب لأن أصل الود محبة الشيء، قال الراغب الودود يتضمن ما دخل في قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقد تقدم معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له. قوله: "يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد" كذا لهم بغير ياء فعلا ماضيا ولغير أبي ذر عن الكشميهني محمود من حميد، وأصل هذا قول أبي عبيدة في "كتاب المجاز " في قوله: "عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد" أي محمود ماجد. وقال الكرماني غرضه منه أن مجيدا بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر وحميدا بمعنى مفعول، فلذلك قال مجيد من ماجد وحميد من محمود، قال وفي بعض النسخ محمود من حميد، وفي أخرى من حمد مبني للفاعل والمفعول أيضا، وذلك لاحتمال أن يكون حميد بمعنى حامد ومجيد بمعنى ممجد، ثم قال وفي عبارة البخاري تعقيد. قلت: وهو في قوله محمود من حمد، وقد اختلف الرواة فيه والأولى فيه ما وجد في أصله وهو كلام أبي عبيدة، ثم ذكر في الباب تسعة أحاديث لبعضها طريق، أخرى. حديث عمران بن حصين وقوله في السند." (١)

"من لم يجد من نفسه ذلك لم يكمل إيمانه على أن كل من آمن إيمانا صحيحا لا يخلو من تلك المحبة وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له وأن عمر رضي الله عنه لما سمع هذا الحديث قال يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٣/٤٠٨

ومن نفسك يا عمر فقال ومن نفسي فقال الآن يا عمر وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل قلب ولكن الناس يتفاوتون في ذلك قال الله تعالى فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤) ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم والله أعلم ويقال المحبة إما اعتقاد النفع أو ميل يتبع ذلك أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والجمال وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار عنه ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله لما جمع من جمال الظاهر والباطن وكمال أنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما فيجب كونه أحب منهما لأن المحبة ثابتة لذلك حاصلة بحسبها كاملة بكمالها وأعلم أن محبة الرسول عليه السلام إرادة فعل طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله حتى يأتي الله بأمره (التوبة ٢٤) وقال النووي فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة بالسوء والمطمئنة فإن من رجح جانب المطمئنة كان حب النبي عليه السلام راجحا ومن رجح جانب الإمارة كان حكمه بالعكس." (١)

"وقال الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرالم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا

هذه الآية الكريمة في سورة النساء وسيقت هذه الآية كلها في رواية كريمة وفي رواية أبي ذر هكذا إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى سبيلا وفي رواية النسفي ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا الآية أخبر الله تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع واستمر على ضلالته وازداد حتى مات بأنه لا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ولا طريقا إلى الهدى ولهذا قال لم يكن الله ليغفر لهم وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلى هذه الآيةإن الذين آمنوا الآية

وقاليأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء والله واسع عليم

هذه الآية الكريمة في المائدة ساقها بتمامها في رواية كريمة وأولها يا أيها الذين آمنوا من يرتد الآية ووقع في رواية أبي ذر من يرتدد بفك الإدغام وهي قراءة ابن عامر ونافع ويقال إن الإدغام لغة تميم والإظهار لغة الحجاز وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في الولاة من قريش وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر الصديق قولهبقوم **يحبهم ويحبونه** قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم وقال أبو بكر بن أبي شيبة سمعت أبا بكر بن عياش يقول هم أهل القادسية وعن مجاهد هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم بإسناده إلى ابن عباس قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون قوله أذلة جمع ذليل وضمن الذل معنى الحنو والعطف فلذلك قيل أذلة على المؤمنين كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وقرىء أذلة وأعزة بالنصب على الحال." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٨٥/١

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٠٤/٣٤

"٦٩٢١ – قوله: (من أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر)... إلخ، وهذا لا يخالف ما روي من حديث الهدم، فإنه فيما إذا تضمن إسلامه التوبة، وإلا فالحكم فيه، كما في حديث الباب، وقد مر تفصيله في – الإيمان .

باب حكم المرتد والمرتدة

وقال ابن عمر والزهري وإبراهيم: تقتل المرتدة. واستتابتهم.

وقال الله تعالى: ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمنهم وشهدوا أن الرسول حق وجآءهم البينت والله لا يهدى القوم الظلمين أولئك جزآؤهم أن عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين خلدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمنهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضآلون﴾ (آل عمران: ٨٦ – ٩٠) وقال: ﴿يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتب يردوكم بعد إيمنكم كفرين﴾ (آل عمران: ١٠٠) وقال: ﴿إن الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ (النساء: ١٣٧). وقال: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكفرين﴾ (المائدة ٥٤). ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله." (١)

"٢٥٢٠– قوله (يقول) اسم كان بحذف أن ، أي قوله ((اللهم إني أسالك حبك)) من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول ، أي حبك إياي أو حبي إياك والأول أظهر إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى : " **يحبهم ويحبونه** " (٥ – : ٥٤) قاله القاري : ((وحب من يحبك)) كما سبق ، أما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء ، وأما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا كما ورد في الدعاء ((حببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا)) (والعمل) بالنصب عطف على المفعول الثاني ويحتمل الجر عطفا على من يحبك ، أي وحب العمل من إضافة المصدر إلى مفعوله فقط ، ويؤيده حديث معاذ بن جبل عند الترمذي في تفسير ص بلفظ : وأسالك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك (الذي يبلغني) بتشديد اللام ، أي يوصلني ويحصل لي (حبك) يحتمل لاحتمالين (اللهم اجعل حبك) أي حبي إياك (أحب إلي من نفسي ومالي) أي من حبهما حتى أوثره عليهما ((وأهلي)) كذا وقع في نسخ المشكاة الحاضرة عندنا ((من نفسي ومالي وأهلي)) وهكذا في جامع الأصول (ج٥ ص١١٠) وجمع الفوائد (ج٢ ص٦٥٨) ، وفي الترمذي ((من نفسي وأهلي)) ، أي بدون لفظة ((ومالي)) وهكذا عند الحاكم (ج٢ ص٤٣٣) ، وكذا ذكر ابن الجزري في الحصن . قال في اللمعات قوله ((من نفسي)) ، أي من حب نفسي ، والمراد اجعل حب نفسك أحب إلي من نفسي لكنه لم يقل كذلك وإن جاز إطلاقه عليه مشاكلة لغاية التأدب – انتهى . قلت : وقع إطلاقه عليه في الحديث من غير مشاكلة أيضا ((أنت كما أثنيت على نفسك)) (ومن الماء البارد) أعاد ((من)) ها هنا ليدل على استقلال

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٢٩٣/٧

الماء البارد في كونه محبوبا وذلك في بعض الأحيان فإنه يعدل بالروح . قال في اللمعات : فيه مبالغة لأن حب الماء البارد طبيعي لا اختيار فيه ، ففيه." (١)

"والحديث له شواهد منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[(١١٥٠)].

وله شواهد أخرى من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع، رضي الله عنهم أجمعين[(١١٥١)].

الوجه الثاني: في شرح ألفاظه:

قوله: (إن الله يحب) المحبة من صفات الله تعالى الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى، قال تعالى: ﴿﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾﴾ [المائدة: ٥٤] ، وأما تفسيرها بالثواب أو بالرضا ونحو ذلك، فهذا تعطيل؛ لأنه خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل.

قوله: (أن تؤتى رخصه) أي: تُفعل، والرخص: جمع رخصة، وهي تخفيف الحكم الأصلي، دون إبطال العمل به؛ كالقصر والفطر في حق المسافر ـ مثلاً ..

قوله: (كما يكره) الكراهة من الله تعالى لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال تعالى: ﴿﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾﴾ [التوبة: ٤٦] ، وهي كراهة حقيقية من الله تليق به، على ما تقدم.

قوله: (أن تؤتى معصيته) أي: مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

وقد شبه الرسول صلّى الله عليه وسلّم محبةَ اللهِ إتيانَ رخصه بكراهته إتيانَ المعصية، وذلك ـ والله أعلم ـ دليل على أن في ترك إتيان الرخصة تركَ طاعةِ الله تعالى، كالترك للطاعة الحاصل بإتيان المعصية، فيكون ترك الطاعة بعدم الأخذ بالرخصة كترك الطاعة بفعل المعصية.

قوله: (عزائمه) جمع عزيمة، وهي الحكم الثابت أصلاً دون ملاحظة التخفيف؛ كالصوم في السفر، وإتمام الصلاة، ونحو ذلك.." (٢)

"صحيحة وما هن بزيادة الواو قلت مشى الأقدام إلى الجماعات أي للصلوات المكتوبات والجلوس في المساجد أي التي هي روضات الجنات بعد الصلوات أي المقضيات وإسباغ الوضوء بفتح الواو ويضم أي إكماله حين الكريهات أي وقت المكروهات من أيام البرودات أو أزمنة الغلاء في ثمن الماء قال ثم فيم أي فيم يختصم الملأ الأعلى أيضا وفيه إشارة إلى تقديم الكفارات قلت وفي نسخة

قال قلت في الدرجات أي في درجات الجنات العاليات قال وما هن بالواو قلت وفي نسخة قال قلت إطعام الطعام أي

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٥٩١/٨

(٢) منحة العلام في شرح بلوغ المرام، ص/٣٦٢

اعطاؤه للخاص والعام ولين الكلام أي لطفه مع الأنام والصلاة أي بالليل كما في نسخة والناس نيام الجملة حالية والنيام جمع نائم قال وفي نسخة ثم قال سل وفيه إشارة إلى أنه ينبغي أن تكون الدعوات بعد الطاعات قلت وفي نسخة قال قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات بكسر الفاء وقيل بفتحها أي المأمورات وترك المنكرات أي المنهيات وحب المساكين يحتمل الإضافتين والأنسب بما قبله إضافته إلى المفعول وأن تغفر لي ما فرط مني من السيئات وترحمني بقبول ما صدر عني من العبادات وإذا أردت فتنة أي ضلالة أو عقوبة في قوم أي جمع أو قبيلة فتوفني غير مفتون وهو إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى حسن الخاتمة وأسألك حبك قال الطيبي يحتمل أن يكون معناه أسألك حبك إياي أو حبي إياك أقول لا شك أن الأول أكمل فعليه المعول قال تعالى **يحبهم ويحبونه** قال الطيبي وعلى هذا يحمل قوله وحب من يحبك ولا يخفى أن الإضافة هنا إلى المفعول أنسب لأنه إلى التواضع أقرب قال الطيبي وأما قوله وحب عمل يقربني إلى حبك فيدل على أنه طالب لمحبته ليعمل حتى يكون وسيلة إلى محبة الله إياه فينبغي أن يحمل الحديث على أقصى ما يمكن من المحبة في الطرفين ولعل السر في تسميته بحبيب الله لا يخلو من هذا القول ا هـ وقوله لا يخلو ظاهر ولا يخلو من احتمال آخر فقال رسول الله إنها أي هذه الرؤيا حق إذ رؤيا الأنبياء وحي فادرسوها أي." (١)

"لقاء الله كره الله لقاءه قال الطيبي وليس الغرض بلقاء الله الموت لأن كلا يكرهه فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ومن أثرها وركن إليها كره لقاء الله لأنه يصل إليه بالموت دون لقاء الله وبه تبين أن الموت غير اللقاء لكنه معترض دون الغرض المطلوب فيجب أن يصبر عليه ويتحمل مشاقه ليصل بعده بالفوز إلى اللقاء قال ابن الملك وهذا على أنه تعالى لا يرى في الدنيا في اليقظة عند الموت ولا قبله وعليه الإجماع فقالت عائشة أو بعض أزواجه شك من الراوي أنا أي كلنا معشر بني آدم لنكره الموت أي بحسب الطبع وخوفا مما بعده قال ليس ذلك بكسر الكاف وفي نسخة بفتحها أي ليس الأمر كما ظننت يا عائشة إذ ليس كراهة المؤمن الموت لخوف شدته كراهة لقاء الله بل تلك لكراهة هي كراهة الموت لإيثار الدنيا على الآخرة والركون إلى الحظوظ العاجلة إذا بشر بعذاب الله وعقوبته عند حضور الموت ولكن المؤمن بالتشديد ويخفف إذا حضره الموت أي علامته أو وقته أو ملائكته بشر برضوان الله بكسر الراء وضمها وكرامته قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة الآيات الثلاث فصلت فليس شيء أي من الدنيا وزينتها حينئذ أحب إليه أي إلى المؤمن مما أمامه أي قدامه من المنزلة والكرامة عند الله فأحب لقاء الله أي بالضرورة أي طمعا للحسنى وزيادة وأحب الله لقاءه بالمحبة السابقة الأزلية التي أوجبت محبة العبد له تعالى كما قال **يحبهم ويحبونه** وإن الكافر إذا حضر على بناء المفعول أي حضرة الموت وملائكة العذاب وأنواعه ولعل حكمة البناء للمجهول هنا زيادة التهويل بحذف الفاعل ليشمل جميع ما ذكره وغيره بشر فيه تهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم أو مشاكلة للمقابلة أو أريد المعنى اللغوي أي أخبر بعذاب الله له في القبر وعقوبته وهي أشد العذاب في النار وأبعد ابن حجر فقال إطناب لمزيد التهويل أو المراد بأحدهما الغضب وبالآخر العذاب." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٤٢/٣

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣١٣/٥

"سبحانه وتعالى لكن في الصحة ينبغي أن يغلب الخوف ليجتهد في الأعمال الصالحة وإذا جاء الموت وانقطع العمل ينبغي أن يغلب الرجاء وحسن الظن بالله لأن الوفادة حينئذ إلى ملك كريم رؤوف رحيم رواه مسلم

$الفصل الثاني

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله إن شئتم أنبأتكم أي أخبرتكم وعلقه بمشيئتهم لأنه ليس مما يجب تعلمه ولحثهم على التفرغ لسماعه ما أول ما يقول الله ما الأولى استفهامية والثانية موصولة للمؤمنين بلا واسطة أو بواسطة ملك أو رسول يوم القيامة وما أول ما يقولون أي المؤمنون له أي الله تعالى قلنا نعم يا رسول الله وهذا توطئة للتهيؤ بالإصغاء للكلام ليحصل الإدراك على الوجه التام قال إن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي يحتمل أن يكون المراد باللقاء المصير إلى دار الآخرة وأن يكون بمعنى الرؤية وكلاهما صحيح قاله الأبهري وفي الثاني نظر فيقولون نعم يا ربنا استعطاف لمزيد عطائه ورضوانه فيقول لم قال ابن الملك أي لأي سهو أذيتم والصحيح لم أحببتم لقائي فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك وفيه أن من حسن الظن بالله أحب لقاء الله ولعل حكمة الاستفهام مع علمه تعالى ببواطنهم أعلام السامعين بسبب محبتهم للقائه على حد أو لم تؤمن قال بلى أو المراد زيادة الانبساط والتلذذ بهم لسماع كلام الرب على البساط كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى طه فيقول قد وجبت لكم أي ثبتت ففي الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء رواه الطبراني والحاكم عن وائلة وقال تعالى إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه رواه مالك والبخاري والترمذي عن أبي هريرة ومعناه أن محبة لقائه تعالى علامة محبة الله لقاءه لا إنها سبب لهذه فإن صفات الله تعالى قديمة وكذا حكم الكراهة التي هي بمعنى عدم الرضا ففي التنزيل **يحبهم ويحبونه** رضي الله عنهم ورضوا عنه رواه في شرح السنة وأبو نعيم في الحلية وقال المنذري رواه أحمد من طريق عبد الله بن زجر قال." (١)

"هي علم الكتاب والسنة لا علوم الفلاسفة قال القشيري من حكمه تعالى على عباده تخصيصه قوما بحكم السعادة من غير استحقاق وسبب ولا جهد ولا طلب بل تعلق العلم القديم بإسعاده وسبق الحكم الأزلي بإيجاده وخص قوما بطرده وإبعاده ووضع قدره من بين عباده من غير جرم سلف ولا ذنب اقترف بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المشيئة بجحد قلبه وقساوته فالذي كان شقيا في حكمه أبرزه في نطاق أوليائه ثم بالغ في ذمه حيث قال فمثله كمثل الكلب والذي كان سعيدا في حكمه خلقه في صورة الكلب ثم حشر في زمرة أوليائه وذكره في جملة أصفيائه فقال رابعهم كلبهم الكهف ا هـ وهو معنى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسألون الأنبياء وورد أنه تعالى يدخل النار بلعم ابن باعورا على صورة كلب أصحاب الكهف ويدخل الجنة كلبهم على صورة بلعم فلا تغتر بالظواهر فإن العبرة باسرائر الودود مبالغة الواد من الود وهو الحب أي الذي يحب الخير لكل الخلائق وقيل المحب لأوليائه وهو الأظهر لقوله تعالى والله يحب المحسنين وأنه لا يحب الظالمين وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة وقيل فعول بمعنى مفعول فالله محبوب في قلوب مخلوقاته مطلوب لجميع مصنوعاته وفي الحقيقة كما في نظر أرباب الشهود أنه ليس في الكون لغير موجود فهو الواد وهو المودود كما أنه الحامد

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣١٨/٥

والمحمود والشاهد والمشهود ليس في الدار غيره ديار وحظ العبد منه أن يريد للخلق ما يريد في حقه ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعه ومنه قوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال القشيري معنى الودود في وصفه أنه يود المؤمنين ويودونه قال تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة ومعنى المحبة في صفة الحق لعباده ورحمته عليهم وإرادته للجميل لهم ومدحه لهم ومحبة العباد لله تعالى تكون بمعنى طاعتهم له وموافقتهم لأمره وتكون بمعنى تعظيمهم له وهيبتهم منه ا هـ وقال تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا مريم أي فيما بينه وبينهم أو فيما." (١)

"وعن عبد الله بن يزيد الخطمي بفتح المعجمة وسكون المهملة قال المؤلف أنصارى شهد الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة عن رسول الله أنه كان يقول في دعائه اللهم ارزقني حبك يحتمل إضافته إلى الفاعل وإلى المفعول والأول أبلغ وهو الأصل مع أنهما متلازمان قال تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة والثاني أظهر لأن الأول أزلي ولا يتعلق الدعاء إلا بالحادث ولمناسبة قوله وحب من ينفعني حبه عندك على ما هو الظاهر منه والظرف متعلق بينفعني وكلام ابن حجر وهو من يتقرب إليك بحبه إليك بحبه من المقربين إليك موهم فتأمله اللهم ما رزقتني ولفظ الحصن كما رزقتني مما أحب أي الذي أعطيتني من الأشياء التي أحبها من صحة البدن وقوته وأمتعة الدنيا من المال والجاه والأولاد والأمنية والفراغ فاجعله قوة أي عدة لي فيما تحب بأن أصرفه فيما تحبه وترضاه من الطاعة والعبادة اللهم ما زويت في الحصن اللهم وما زويت من الزي بمعنى القبض والجمع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم ازولنا الأرض وهون علينا السفر أي أطوهما كما في رواية أخرى أي ما قبضته ونحيته وبعدته عنى بأن منعتني ولم تعطني مما أحب أي مما اشتهيه من المال والجاه والأولاد وأمثال ذلك فاجعله فراغا أي سبب فراغ خاطري فيما تحب أي من الذكر والفكر والطاعة والعبادة قال القاضي يعني ما صرفت عني من محابي فتحه عن قلبه واجعله سببا لفراغي لطاعتك ولا تشغل به قلبي فيشغل عن عبادتك وقال الطيبي أي اجعل ما نحيته عن محابي عونا لي على شغلي بمحابك وذلك أن الفراغ خلاف الشغل فإذا زوى عنه الدنيا ليتفرغ بمحاب ربه كان ذلك الفراغ عونا له على الاشتغال بطاعة الله وفي الحديث قال عمر رضي الله عنه عجبت لما زوى الله عنك رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه أي قل تركه لهم اللهم اقسم لنا أي اجعل لنا قسما ونصيبا من خشيتك وهو خوف مع التعظيم ما تحول به أي مقدار تحتجب أنت." (٢)

"واسعا أي ضيقت ما وسعه الله فخصصت به نفسك دون غيرك وأما الثاني فمحل الاشكال فيه أن القضاء متعد بنفسه فما الحكمة في زيادة في فأجابوا فيه وأمثاله أن التعدية بفي التعدية بقي إنما هو لتضمن معنى الإيقاع الذي لا يتعدى إلا بقي ويتصور القضاء في مكان حتى يقال هنا للمكان المجازي وعلى تقدير كونه للمجازي كما في قولك نظرت في الكتاب فأي مبالغة فتأمل فإنه تنبيه نبيه وفي أصل الحصن وأتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضي لي على بناء المجهول اللهم التفات ثان فشفعة بتشديد الفاء أي أقبل شفاعته في أي في حقي قال الطيبي رحمه الله الفاء عطف على قوله أتوجه أي أجعله شفيعا لي فشفعه وقوله اللهم معترضة وقوله إني توجهت بك بعد قوله إني أتوجه إليك فيه معنى قوله من ذا الذي

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٨٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٤٠٢

يشفع عنده إلا بإذنه البقرة سأل الله أولا بطريق الخطاب ثم توسل بالنبي على طريقة الخطاب ثانيا ثم كرر إلى خطاب الله طالبا منه أن يقبل شفاعة النبي لله في حقه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله كان من دعاء داود يقول اسم كان بحذف أن كما في أحضر الوغى أي قوله اللهم إني أسألك حبك من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول والأول أظهر إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة وأما قول ابن حجر أي حبي إياك فإنه فاتحة كل كمال فغفلة عن اصطلاح أرباب الحال وحب من يحبك كما سبق أما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء وأما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا كما ورد في الدعاء وحببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا وأما ما ورد في الدعاء عن سؤال حب المساكين فمحتمل والعمل بالنصب عطف على المفعول الثاني وفي نسخة بالجر أي وجب العمل من إضافة المصدر إلى مفعوله فقط ولا يحتاج إلى تقييده لقول ابن حجر أي الصالح فإنه استغنى عنه بقوله الذي يبلغني بتشديد اللام أي يوصلني ويحصل لي." (١)

"باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله أي في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء والهوى ومن الله أي من جهة الله أي إذا أحب عبدا أحبه لأجل الله وسببه ومن ههنا كما في قوله تعالى تفيض من الدمع المائدة وفي كما قوله تعالى والذين جاهدوا فينا العنكبوت وهو أبلغ من حيث جعل المحبة مظروفا كذا حققه الطيبي وفيه أن مآلهما إلى معنى واحد والظاهر أن مراده من عنوان الباب فضيلة الحب لله وما يترتب عليه من الحب من جانب الله كما سيصرح الأحاديث الآتية بهذا المعنى فالصواب أن يقال إن في تعليلية ومن ابتدائية والمعنى حب العبد لعبد لأجل رضا الرب والحب الكائن من الله للعبد والثاني نتيجة الأول كما في الشريعة أو مقدمة له كما في الطريقة أو هو محفوف بهما كما في الحقيقة على ما حقق في قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة وقوله تعالى إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله آل عمران والله أعلم

$الفصل الأول

عن عائشة قالت قال رسول الله الأرواح أي أرواح الإنسان جنود." (٢)

"كان السؤال محتملا لأن يكون تعنتا وإنكارا لها وأن يكون تصديقا بها وإشفاقا منها واشتياقها للقاء ربه قال امتحانا له ويلك وما أعددت لها وإلا لو تحقق عنده إيمانه بها وإيقانه لها لقال له ويحك بدل ويلك قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله ولم يذكر غيره من العبادات القلبية والبدنية والمالية لأنها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها ولأن المحبة هي أعلى منازل السائرين وأغلى مقامات الطائرين فإنها باعثة لمحبة الله أو نتيجة لها قال تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة وقال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فكان من المعلوم الواضح عندهم أن المحبة المجردة من غير المتابعة ليس لها كثير فائدة ولا كبير عائدة قال أنت مع من أحببت أي ملحق بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس والأهل والمال ومدخل في زمرته ومن علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب ونهيه على مراد غيره ولذا قالت رابعة العدوية تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٤١٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٢٩٤

لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع وقال الطيبي سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم لأنه سأل عن وقت الساعة فقيل له فيم أنت من ذكراها وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند إرسالها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة فأجاب بقوله ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله اه وبعده من المبني والمعنى لا يخفى قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام أي بعد فرحهم به أو دخولهم فيه فرحهم بفتحات أي كفرحهم بها أي بتلك الكلمة وهي أنت مع من أحببت قال الخطابي ألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة اه ولا يخلو عن إيهام وإبهام والتحقيق أنهم حسبوا أن لا تحصل المعية بمجرد المحبة مع وجود المتابعة بل تتوقف على كثرة العبادات وزيادة الرياضات والمجاهدات ويدل عليه ما أورده عماد الدين ابن كثير في تفسيره بإسناده إلى عائشة قال جاء رجل إلى." (١)

"رسول الله لما بعث به أي أرسله إلى اليمن أي قاضيا وواليا قال إياك والتنعم وهو المبالغة في تحصيل قضاء الشهوات على وجه التكلف في البغية بتكثير النعمة والحرص على النهمة فإن عباد الله أي المخلصين ليسوا بالمتنعمين بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى ذرهم يأكلو

ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون الحجر وقال ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم محمد وقال إنهم كانوا قبل ذلك مترفين الواقعة رواه أحمد وكذا البيهقي في شعب الإيمان وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله من رضي من الله باليسير من الرزق أي من قنع منه بقليل من العطاء رضي الله منه وفي نسخة عنه بالقليل وفي نسخة باليسير من العمل أي من الطاعة وفي حديث رواه ابن عساكر عن عائشة من رضي عن الله رضي الله عنه فإن قلت هذا الحديث يدل على أن رضا العبد مقدم وفي قوله سبحانه رضي الله عنهم ورضوا عنه المائدة التوبة المجادلة البينة إيماء إلى أن رضا العبد متأخر قلت التحقيق أن رضا العبد محفوف برضاءين من الله رضا أزلي تعلق به العلم الأولي ورضا أبدي تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الأخروي وفي الحقيقة رضا العبد إنما هو أثر رضا الله عنه أولا وأما رضا الله آخرا فإنما هو غاية الرضا الذاتي من النعت الصفاتي وهو الإحسان والإنعام وكذلك القول في قوله تعالى يحبهم ويحبونه المائدة وقوله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله آل عمران وعن ابن عباس قال قال رسول الله من جاع أي في نفسه بالفعل أو احتاج أي إلى ما يدفع الجوع أو غيره فأو للتنويع فكتمه الناس قيل أي من الناس ففيه إشارة إلى أن الرواية بتخفيف التاء وأنه متعد إلى واحد فنصب الناس على نزع الخافض ويحتمل أن تكون الرواية بتشديدها وأنه حينئذ متعد إلى اثنين على ما في القاموس كتمه كتما وكتمانا وكتمه إياه كان حقا على الله عز وجل أي وعدا ثابتا عليه أو أمرا لازما لديه أن." (٢)

"وعن سهل بن سعد أي الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر أي زمن محاصرته أو آخر نهار من أيامه لما في البخاري فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين هذه الراية أي العلم التي هي علامة للإمارة غدا أي في غد رجلا يفتح على يديه أي بسببه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٠٤/١٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧٢/١٥

وفيه إيماء إلى قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** المائدة وبحثه طويل الذيل عزيز النيل وفي رواية قال فبات الناس يدوكون ليلهم أيهم يعطى والدوك الخوض فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أتوه وقت الغدوة كلهم يرجون أي يتمنون أن يعطاها أي الراية التي هي آية الفتح فجمع الضمير في يرجون نظر إلى معنى كلهم وأفرد في يعطي نظرا إلى لفظه وفيه لطيفة وهي شمول الرجاء دون حصول الإعطاء فقال أين علي بن أبي طالب فيه أنه وقع في هذا المقام مراد وغير مريد والله غالب على أمره في إعطاء المزيد لمن يريد فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه والمعنى أنه حصل عذر لديه قال الطيبي أي أين علي ما لي لا أراه حاضرا فيستقيم جوابهم هو يا رسول الله يشتكي عينيه ونحوه قوله تعالى ما لي لا أرى الهدهد النمل كأنه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته عن حضرته في مثل ذلك الموطن لا سيما وقد قال لأعطين هذه الراية إلى آخره وقد حضر الناس كلهم طمعا بأن يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد وتقديم القوم الضمير وبناء يشتكي عليه اعتذار منهم على سبيل التوكيد قال فأرسلوا إليه بكسر السين والمعنى فأرسلوا إليه فأتي به أي فجيء به فبصق وفي رواية فلما جاء بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ألقى بزاقه في عينيه وفي رواية فدعا له فبرأ بفتح الراء وقد يكسر أي فصح على من جهة عينيه وعوفي عافية كاملة حتى كأن لم يكن به وجع أي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر أصلا فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم بهمزة مقدرة أو بدونها حتى." (١)

" ١٠٥٥ - (أشد الناس بلاء في الدنيا نبي أو صفي) ولهذا قيل في حديث آخر : إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم . وسر ذلك قال الحراني إن من شأن الطين الذي منه البشر وما تولد منه أنه لا يخلص من الشوائب ويصفو عن الكدر إلا بعد معاناة شديدة . ألا ترى أن الذهب أصفاه وهو لا يخلص عن غش ما ولا يعرى عن مخالطة الدنس بالكلية إلا بالإمتحان بشدة النيران ؟ قال القرطبي : أحب الله أن يبتلي أصفياءه تكملا لفضائلهم ورفعة لدرجاتهم عنده وليس ذلك نقصا في حقهم ولا عذابا . بل كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجريه الله عليم وقال الجيلاني : إنما كان الحق يديم على أصفيائه البلايا والمحن ليكونوا دائما بقلوبهم في حضرته لا يغفلوا عنه لأنه **يحبهم ويحبونه** فلا يختارون الرخاء لأنه فيه بعدا عن محبوبهم وأما البلاء فقيد للنفوس يمنعها من الميل لغير المطلوب فإذا دام ذابت الأهوية وانكسرت القلوب فوجدوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد كما قال تعالى في بعض الكتب الإلهية : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي : أي على الكشف منهم والشهود وإلا فهو عند كل عبد انكسر قلبه أم لا

(تخ عن أزواج النبي صلى الله عليه و سلم) أي عن بعضهم رمز المصنف لحسنه ." (٢)

" ١٠٥٦ - (أشد الناس بلاء الأنبياء) قالوا ثم من ؟ قال (ثم الصالحون) أي القائمون بما عليهم من حقوق الحق والخلق قالوا ثم من ؟ قال (ثم الأمثل فالأمثل) قال الراغب : الأمثل يعبر به عن الأشبه بالفضل والأقرب إلى الخير وأماثل القوم كناية عن خيارهم . وقال الأمثل أفعل من التماثل والجمع أماثل وهم الفضلاء قال ابن عطاء الله : خرجت زوجة القرشي من عنده وهو وحده فسمعت رجلا يكلمه ثم انقطع كلامه فدخلت عليه . فقالت ما عندك أحد والآن

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٢٧/١٧

(٢) فيض القدير، ٥١٩/١

سمعت كلاما عندك . قال : الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد فقال كل هذه ففيها شفاؤك . قلت اذهب [ص ٥٢٠] أنت وزيتونتك لا حاجة لي فيها وكان به داء الجذام (١) قال ابن عربي : هنا مسألة يجب بيانها : إن الله أحب أنبياءه وأولياءه والمحب لا يؤلم محبوبه . ولا أحد أشد ألما ولا بلاء منهم فمن أين استحقوا هذا مع كونهم محبوبين ؟ قلنا إن الله قال ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ والبلاء لا يكون أبدا إلا مع الدعوى فمن ادعى فعليه الدليل على صدق دعواه فولا الدعوى ما وقع البلاء ولما أحب الله من عباده من أحب رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حبه فادعوه فابتلاهم من حيث كونهم محبوبين فإنعامه دليل على صدق محبته فيهم وابتلاهم لما ادعوه من صدق حبهم إياه . فافهم . قال الطيبي : وثم فيه للتراخي والفاء للتعاقب على التوالي كما سبق وإنما ألحق الصالحون بالأنبياء لقربهم وإن كانت درجتهم منحطة عنهم وسره أن البلاء في مقابل النعمة فمن كانت نعمة الله عليهم أكثر كان بلاؤهم عليه أشد ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد وفيه دليل على أن القوي يحمل ما حمل والضعيف يرفق به لكن كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان البلاء ومنهم من ينظر إلى أهل البلاء فيهون عليه وأعلى منه من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض وأرفع منه من يشغله المحبة عن طلب رفع البلاء وأنهى المراتب من يلتذ به

(طب عن أخت حذيفة) بن اليماني فاطمة أو خولة رمز المصنف لحسنه ." (٢)

" ٤٢٢٥ - (دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله سمعت امرأة من العابدات تقول : بحبك لي إلا غفرت لي ما غفرت لي فقيل : أما يكفيك أن تقولي بحبي لك ؟ قالت : أما سمعت قوله ﴿ ويحبهم ويحبونه ﴾ فقدم محبته على محبتهم له

(ابن سعد) في الطبقات (عن الحسن مرسلا) وهو البصري ." (٣)

" ٥٤٥٠ - (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز و جل) أي علامة حب الله لعبده حب عبده لذكره لأنه إذا أحب عبدا ذكره وإذا ذكره حبب إليه ذكره فيذكر ربه بذكره تعالى له كما يحبه بحبه له قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله لأن ذكر الله للعبد يثير من العبد ذكره له وقد يجري على ظاهره ويكون المعنى علامة المحب لله كثرة ذكره له لأن من أحب شيئا أكثر ذكره وفي الخبر أنت مع من أحببت أي إن كنت كذلك فأنت مع من أحببت شهودا له بالقلب وذكرا له باللسان وخدمة له بالأركان فذكر الله من العبد بلسانه علامة شهوده له بجنانه كما قال : اعبد الله كأنك تراه

(هب عن أنس) بن مالك ورواه عنه الحاكم والديلمي ." (٤)

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير، ١/٥١٩

(٣) فيض القدير، ٣/٥٣٢

(٤) فيض القدير، ٤/٣٢٠

" ٨٣٠٩ - (من أحب لقاء الله) أي المصير إلى ديار الآخرة بمعنى أن المؤمن عند الغرغرة يبشر برضوان الله وجنته فيكون موته أحب إليه من حياته (أحب الله لقاءه) أي أفاض عليه فضله وأكثر عطاياه (ومن كره لقاء الله) حين يرى ماله من العذاب حالتئذ (كره الله لقاءه) أبعده من رحمته وأدناه من نقمته وعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف [ص ٣٠] منال النفس من المعرفة التي بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه والقصد بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم لأن المحبة صفة الله ومحبة العبد ربه منعكسة منها كظهور عكس الماء على الجدر كما يشعر به تقديم يحبهم على يحبونه في التنزيل كذا قرره جمع وقال الزمخشري : لقاء الله هو المصير إلى الآخرة وطلب ما عند الله فمن كره ذلك وركن إلى الدنيا وآثرها كان ملوما وليس الغرض بلقاء الله الموت لأن كلا يكرهه حتى الأنبياء فهو معترض دون الغرض المطلوب فيجب الصبر عليه وتحمل مشاقه ليتخطى لذلك المقصود العظيم وقال الحرالي : هذه المحبة تقع لعامة المؤمنين عند الكشف حال الغرغرة وللخواص في محل الحياة إذ لو كشف لهم الغطاء لما ازدادوا يقينا فما هو للمؤمنين بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للموقن في حياته لكمال الكشف له مع وجوب حجاب الملك الظاهر

(تتمة) ذكر بعض العارفين أنه رأى امرأة في المطاف وجهها كالقمر معلقة بأستار الكعبة تبكى وتقول بحبك لي إلا ما غفرت لي فقال : يا هذه أما يكفيك أن تقولي بحبي لك فما هذه الجرأة ؟ فالتفتت إليه وقالت له : يا بطال أما سمعت قوله تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ فلولا سبق محبته لما أحبوه فخجل واستغفر

(حم ق) في الدعوات (ت) في الزهد (ن) في الجنائز (عن عائشة وعن عبادة) بن الصامت وفي الباب غيرهما أيضا ." (١)

"(لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية) قال الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] أي من الكفر والمعاصي، وبه استدل أبو حنيفة على أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (ومن أساء في الإسلام) بأن ارتد عن الإسلام ومات على كفره (أخذ بالأول) الذي عمله في الجاهلية (والآخر) بكسر الخاء الذي عمله من الكفر فكأنه لم يسلم فيعاقب على جميع ما أسلفه، ولذا أورد المؤلف هذا الحديث بعد حديث أكبر الكبائر الشرك وأوردهما في أبواب المرتدين، ونقل ابن بطال عن جماعة من العلماء أن الإساءة هنا لا تكون إلا الكفر للإجماع على أن المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية فإن أساء في الإسلام غاية الإساءة وركب أشد المعاصي وهو مستمر على الإسلام فإنه إنما يؤاخذ بما جناه من المعصية في الإسلام.

والحديث سبق في الإيمان.

٢ - باب حكم المرتد والمرتدة

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم: تقتل المرتدة، واستتابتهم وقال الله تعالى:

﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين * أولئك

---

(١) فيض القدير، ٢٩/٦

جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم * إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٩٠]
وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ [آل عمران: ١٠٠]
وقال: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ [النساء: ١٣٧]
وقال: ﴿من يرتد منكم، عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]
﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لا جرم﴾ [النحل الآيات: ١٠٦ - ١٠٩] يقول حقا: ﴿أنهم فى الآخرة هم الخاسرون﴾ إلى قوله: ﴿ثم إن ربك. . . من بعدها لغفور رحيم﴾
﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم، عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧].
(باب حكم) الرجل (المرتد و) حكم المرأة (المرتدة) هل هما سواء؟
(وقال ابن عمر) عبد الله -رضي الله عنهما- فيما أخرجه ابن أبي شيبة (والزهري) محمد بن مسلم فيما أخرجه عبد الرزاق (وإبراهيم) النخعي فيما أخرجه عبد الرزاق أيضا (تقتل) المرأة (المرتدة) إن لم تتب وعن ابن عباس فيما رواه أبو حنيفة عن عاصم عن أبي رزين عنه لا تقتل النساء إذا هن ارتددن أخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني وخالفه جماعة من الحفاظ في لفظ المتن، وأخرج الدارقطني من طرق عن ابن المنكدر عن جابر أن امرأة ارتدت فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتلها قال في الفتح وهو يعكر على ما نقله ابن الطلاع في الأحكام أنه لم ينقل عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قتل مرتدة (واستتابتهم) كذا ذكره بعد الآثار المذكورة وقدم ذلك في رواية أبي ذر على ذكر الآثار وللقابسي واستتابتهما بالتثنية وهو أوجه ووجه الجمع قال في فتح الباري: على إرادة الجنس، وتعقبه العيني فقال: ليس بشيء بل هو على قول من يرى إطلاق الجمع على التثنية.
(وقال الله تعالى) في سورة آل عمران (﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾) استبعاد لأن يهديهم الله فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد، وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد والآية نزلت في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه فقالوا يا رسول الله هل له من توبة فنزلت (﴿كيف يهدي الله قوما﴾) إلى قوله: (﴿إلا الذين تابوا﴾) فأسلم رواه النسائي وصححه ابن حبان والواو في قوله تعالى:
(﴿وشهدوا أن الرسول حق﴾) للحال وقد مضمرة أي كفروا وقد شهدوا أن الرسول أي محمدا حق أو للعطف على ما في

إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا (﴿وجاءهم البينات﴾) أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾) ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا على الكفر (﴿أولئك﴾) مبتدأ (﴿جزاؤهم﴾) مبتدأ ثان خبره (﴿أن عليهم لعنة الله﴾) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل اشتمال من أولئك (﴿والملائكة والناس أجمعين خالدين﴾) حال من الهاء والميم في عليهم (﴿فيها﴾) في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما وهو يدل بمنطوقة على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون من الهدى مأيوسون من الرحمة بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فإن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه قاله القاضي: (﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾) الارتداد (﴿وأصلحوا﴾) ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (﴿فإن الله غفور﴾) لكفرهم (﴿رحيم﴾) بهم (﴿إن الذين كفروا﴾) بعيسى والإنجيل (﴿بعد إيمانهم﴾) بموسى والتوراة (﴿ثم ازدادوا كفرا﴾) بمحمد والقرآن أو كفروا بمحمد بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم." (١)

"الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (﴿لن تقبل توبتهم﴾) إيمانهم لأنهم لا يتوبون أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها (﴿وأولئك هم الضالون﴾) الثابتون على الضلال وسقط لأبي ذر من قوله: (﴿وجاءهم بالبينات﴾) إلى آخر قوله: (﴿الضالون﴾) وقال بعد قوله: (﴿حق﴾) إلى قوله: (﴿غفور رحيم﴾).
(وقال) جل وعلا: (﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾) التوراة (﴿يردوكم بعد إيمانكم﴾) بمحمد -صلى الله عليه وسلم- (﴿كافرين﴾) [آل عمران: ١٠٠] وفيها إشارة إلى التحذير عن مصادقة أهل الكتاب إذ لا يؤمنون أن يفتنوا من صادقهم عن دينه.
(وقال) تعالى: (﴿إن الذين آمنوا﴾) بموسى (﴿ثم كفروا﴾) حين عبدوا العجل (﴿ثم آمنوا﴾) بموسى بعد عوده (﴿ثم كفروا﴾) بعيسى (﴿ثم ازدادوا كفرا﴾) بكفرهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- (﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾) [النساء: ١٣٧] إلى النجاة أو إلى الجنة أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت وسقط من قوله: (﴿ثم آمنوا﴾) إلى آخر الآية. وقال بعد (﴿ثم كفروا﴾) إلى (﴿سبيلا﴾).
(وقال) تعالى (﴿من يرتد﴾) بتشديد الدال بالإدغام تخفيفا ولأبي ذر من يرتدد بالإظهار على الأصل وامتنع الإدغام للجزم وهي قراءة نافع وابن عامر (﴿منكم عن دينه﴾) من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر (﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾) قيل هم أهل
اليمن وقيل هم الفرس. وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف أي فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز من معاصيه (﴿أذلة على المؤمنين﴾) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل واستعماله مع على إما

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠/٧٨

لتضمين معنى العطف والحنو أو التنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم (﴿أعزة على الكافرين﴾) [المائدة: ٥٤] أشداء عليهم فهم على المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته وسقط لأبي ذر من قوله أذلة إلى آخر الآية.

(﴿ولكن﴾) ولأبي ذر وقال أي الله جل وعلا ولكن (﴿من شرح بالكفر صدرا﴾) طاب به نفسا وأعتقده (﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾) إذ لا أعظم من جرمه (﴿ذلك﴾) أي الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (﴿بأنهم استحبوا﴾) آثروا (﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾) أي بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة (﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾) ما داموا مختارين للكفر (﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾) فلا يتدبرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (﴿وأولئك هم الغافلون﴾) الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها (﴿لا جرم﴾) يقول حقا أنهم في الآخرة (﴿هم الخاسرون﴾) إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد (إلى قوله: ﴿إن ربك من بعدها﴾) من بعد الأفعال المذكورة قبل وهي الهجرة والجهاد والصبر (﴿لغفور﴾) لهم ما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (﴿رحيم﴾) [النحل: ١٠٦ - ١١٠] لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الإكراه وسقط لأبي ذر (﴿فعليهم غضب﴾) إلى آخر لغفور رحيم.

(﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم﴾) إلى الكفر وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله: (﴿وإن استطاعوا﴾) استبعاد لاستطاعتهم (﴿ومن يرتدد منكم عن دينه﴾) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم (﴿فيمت وهو كافر﴾) أي فيمت على الردة (﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب (﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾) [البقرة: ٢١٧] كسائر الكفرة واحتج إمامنا الشافعي بالتقييد في الردة بالموت عليها أن الردة لا تحبط العمل إلا بالموت عليها وقال الحنفية قد علق الحبط بنفس الردة بقوله." (١)

"وورد وعلم آدم الأسماء كلها وعلمك ما لم تكن تعلم ولا يجوز يا معلم قال: ولا يجوز عندي يا محب وقد ورد: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤].

فإن قلت: ما ورد في شرح السنة عن أبي أمية قال: إنه رأى الذي بظهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: دعني أعالجه فإني طبيب فقال: أنت رفيق والله هو الطبيب هل هو إذن منه -صلى الله عليه وسلم- في تسمية الله تعالى بالطبيب؟ فالجواب: لا لوقوعه مقابلا لقوله: فإني طبيب مشاكلة وطباقا للجواب على السؤال كقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة: ١١٦] وهل يجوز تفضيل بعض أسماء الله تعالى على بعض، فمنع من ذلك أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني لما يؤدي ذلك إلى اعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم وأن أسماء الله تعالى عظيمة. وقال ابن حبان: الأعظمية الواردة المراد بها مزيد ثواب الداعي بها، وقيل الأعظم كل اسم دعا العبد ربه به مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله فإنه يستجاب له،

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٧٩/١٠

وقيل الاسم الأعظم ما استأثر الله به وأثبته آخرون معينا، واختلفوا فيه فقيل: هو لفظة هو نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف، وقيل: الله، وقيل الله الرحمن الرحيم، وقيل الرحمن الرحيم الحي القيوم، وقيل الحي القيوم، وقيل الحنان المنان بديع السماوات، والأرض ذو الجلال والإكرام رآه رجل مكتوبا في الكواكب في السماء، وقيل ذو الجلال والإكرام، وقيل الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وقيل رب رب، وقيل دعوة ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وقيل هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. نقله الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فعلمه في النوم، وقيل هو مخفي في الأسماء الحسنى، وقيل وهو الرابع عشر كلمة التوحيد نقله القاضي عياض اهـ. ملخصا من الفتح وبالله التوفيق.

٦٩ - باب الموعظة ساعة بعد ساعة

(باب الموعظة ساعة بعد ساعة) خوف السآمة.

٦٤١١ - حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنى شقيق، قال: كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية فقلنا: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم وإلا جئت أنا فجلست، فخرج عبد الله وهو آخذ بيده فقام علينا فقال: أما إنى أخبر بمكانكم، ولكنه يمنعنى من الخروج إليكم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا.

وبه قال: (حدثنا عمر بن حفص) قال: (حدثنا أبي) حفص بن غياث قال: (حدثنا الأعمش) سليمان بن مهران قال: (حدثني) بالإفراد (شقيق) أبو وائل بن سلمة (قال: كنا ننتظر عبد الله) يعني ابن مسعود -رضي الله عنه- (إذ جاء يزيد بن معاوية) العبسي الكوفي التابعي وليس له في الصحيحين ذكر إلا في هذا الموضع (فقلنا) له: (ألا) بالتخفيف (تجلس) يا يزيد (قال: لا ولكن أدخل) منزل ابن مسعود (فأخرج إليكم صاحبكم) عبد الله بن مسعود (وإلا) أي وإن لم أخرجه (جئت أنا فجلست) معكم، وفي مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن شقيق فقلنا أعلمه بمكاننا فدخل عليه (فخرج عبد الله) بن مسعود (وهو آخذ بيده) بيد يزيد (فقام علينا فقال): جوابا لقولهم وددنا أنك لو ذكرتنا كل يوم كما مر في العلم (أما) بالتخفيف (إني أخبر) بفتح الهمزة والموحدة (بمكانكم ولكنه يمنعني من الخروج إليكم) للموعظة (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يتخولنا) بالخاء المعجمة يتعهدنا (بالموعظة في الأيام) يعني يذكرنا أياما ويتركنا أياما (كراهية السآمة علينا) أي أن تقع منا السآمة رفقا منه -صلى الله عليه وسلم- بنا وحسنا في التوصل إلى تعليمنا لنأخذ عنه بنشاط فإن التعليم بالتدريج أدعى إلى الثبات وضمن السآمة معنى المشقة فعداها بعلى والله الموفق.

هذا آخر كتاب الدعاء فرغ منه مولفه أحمد القسطلاني بعد صلاة العشاء في الليلة المفسر صباحها عن يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وتسعمائة أعانه الله على إتمامه ونفع به والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

بكسر الراء وبالقافين بينهما ألف جمع رقيق وهو الذي فيه رقة وهي الرحمة ضد الغلظة قال." (١)

"لا يشغُلَنَّك شاغلٌ عن وَصْلِنا *** وانهض على قدمِ الرجاء وقدّمِ

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم، وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، سأل النبي) الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين، أحدهما: محبة من يحب ما يحبه الله تعالى، فإن من أحب الله أحب أحباءه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي): "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله..." الحديث.

وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد) الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى:)قُلْ إنْ كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُم الله ويغفرْ لكم ذُنُوبَكم(آل عمران: ٣١، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى:)قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفْتُموها وتجارةٌ تخشَون كسادَها ومساكنُ ترضَونَها أحبَّ إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصوا(التوبة: ٢٤.

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين: من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين: من البغض لهم والجهاد في سبيله، فقال تعالى:)فسوفَ يأتي الله بقومٍ **يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه** أذِلَّةٍ على المؤمنينَ أعِزَّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيلِ الله ولا يخافون لومة لآئم(المائدة: ٥٤.." (٢)

"قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فيه إثبات القول لله جل وعلا وهذا ثابت في الكتاب والسنة والإجماع.

قال الله جل وعلا ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ص٨٤ ،وصفة الكلام لا يختلف أهل السنة في إثباتها لله فإن الله يتكلم متى شاء إذا شاء والله جل وعلا موصوف بالكلام ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾النساء١٦٤، حين قال الله جل وعلا " تكليما " كان هذا التأكيد يبطل قول من قال بأن الكلام مجازي فإن التأكيد يمنع من وجود المجاز، وحين قال بعض أهل البدع " وكلم اللهَ موسى تكليماً " فجعل موسى هو المكلِّم للرب وليس الرب هو المكلم لموسى، مع أن هذا يمتنع لغة، لأنه في اللغة إذا كان فيه أسم مقصور واسم ظاهر فإنه يقدم الفاعل على المفعول حتى لا يوجد لبس . قال بعض أهل السنة حين ناظر هذا الجهمي: هب أني قرأت الآية كما تريد فما تصنع بقول الله جل وعلا ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾الأعراف ١٤٣ ،فبهت هذا الجهمي ولم ينطق بشيء، لا يستطيع أن يقول وكلمه ربَّه لأن العرب تمنع هذا في لغتها بتاتاً ودائماً، الذي يرتبط بالفعل يكون مفعولاً ولا يمكن أن يقول " وكلمه ربَّه " وهذا غلط يمتنع لغة من جميع الوجوه ولا سيما أن رَبّه أي رب موسى وكلمه ربه، فالضمير عائد إلى موسى إذن الله هو المكلِّم ، ولا يختلف أهل العلم من أهل السنة في هذا الأمر ، إذن الأدلة مصرحة بهذا وإن كان حديث الباب ضعيفاً نستغني عن ذلك بكتاب الله وسنة رسول الله وبما أجمع عليه

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/٢٣٥

(٢) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/٥٧

العلماء .

(قال أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا) فيه إثبات صفة المحبة لله جل وعلا قال الله جل وعلا ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾المائدة٥٤ ".. (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٧١ """""""

- باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهما

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم تقتل المرتدة . وقال الله تعالى : (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم (الآيات ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (، [آل عمران : ١٠٠] وقال : (إن الذين آمنوا ثم كفروا (إلى) سبيلا) [النساء : ١٣٧] . وقال : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه (، [المائدة : ٥٤] . وقال : (ولكن من شرح بالكفر صدرا (إلى) الغافلون لا جرم (، [النحل : ١٠٦] يقول حقا ،) أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) [النحل : ١٠٩] إلى) لغفور رحيم) [النحل : ١١٠] ،) ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا (إلى) خالدون) [البقرة : ٢١٧] . / ٤ - فيه : عكرمة ، قال : أتى على بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس ، فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تعذبوا بعذاب الله ، ولقتلتهم لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بدل دينه فاقتلوه) . / ٥ - وفيه : أبو موسى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعثه إلى اليمن ، ثم اتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه إذا رجل موثق ، قال : ما هذا ؟ قال : كان يهوديا ، فأسلم ، ثم تهود ، قال : اجلس ، قال : لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله فأمر به فقتل . اختلف العلماء فى استتابة المرتد ، فروى عن عمر بن الخطاب." (٢)

"أو نرضى به ، لبئس ما رأيتم ، فقال النعمان بن حارثة : بل نخرجه وأنفك راغم ، والله لو نعلم أنه أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن نخرجك معنا لأعلقنا في عنقك حبلا ، ثم سقناك ذليلا ، قال : فارتدع أبو سفيان ، وقال : ما تلك لكم بعادة ، ولو تكلمت بهذا في جمع من الموسم لكذبك غير واحد ، إن العرب لتعلم أنا أعز أهل البطحاء وأمنعه ، أفما عندكم من الجواب غير هذا ؟ قال : يقول عبد الله بن رواحة : بل تنصرفون عنا ، فإنه أجمل في الرأي ، وأحسن لذات البين ، وأمثل ، قال أبو سفيان : ونغادره عندكم ؟ فقال عبد الله بن رواحة : نعم ، تغادرونه عند قوم يحبهم ويحبونه غير خاذلين له ، ولا أضناء عليه ، قال أبو سفيان : فماذا نقول لنسائنا ؟ قال : تقولون لهن : فلما رأينا القوم دون نبيهم كأسد حمت عريشها وعرينا صددنا صدودا كان خير بقية لنسوائنا من بعدنا وبنينا ولم نر إلا ذاك وجها أو الردى وطلقا لنا ورنينا@." (٣)

---

(١) شرح كتاب الصيام من سنن الترمذي - العلوان، ص/١٣٩

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٥٧١/٨

(٣) الشريعة للآجري، ١٦٦٦/٤

"١١٤٥ – حدثنا ابن عبد الحميد أيضا قال : حدثنا محمد بن معمر قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال : حدثنا أبو مودود بحر بن موسى قال : سمعت الحسن ، قرأ هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (١)) قال : « والله ما هي لأهل حروراء ، ولكنها لأبي بكر ، وعمر ، وأصحابهما »

١١٤٦ – وحدثنا ابن عبد الحميد أيضا قال : حدثنا الفضل بن زياد@." (١)

"كتاب مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين . قال محمد بن الحسين رحمه الله : أما بعد ، فإن سائلا سأل ، عن مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكيف كانت منزلتهم عنده ؟ . وهل كان متبعا لهم في خلافته بعدهم ؟ . وهل حفظ عنه شيء من فضائلهم ؟ . وهل غير في خلافته شيئا من سيرتهم ؟ . فأحب السائل أن يعلم من ذلك ما يزيده محبة لجميعهم رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وعن جميع أزواجه أمهات المؤمنين ، وعن جميع أهل البيت فأجيب السائل إلى الجواب عنه مختصرا إن شاء الله ، والله الموفق للصواب من القول والعمل . اعلموا رحمنا الله وإياكم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم : فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع **يحبهم ويحبونه** ، ويعظم قدرهم@." (٢)

"مرضيا بالمدح والثواب، وما وقع على خلاف الأمر، ولكن لا يكون إلا على وقف العلم سمي مرادا بالتخصيص والتجدد مسخوطا، وغير مرضي بسبب الذم والعقاب، انتهى.

وقال الشيرازي (١) في كتاب الحدود الكلامية ما نصه:

فصل الإرادة، والمشيئة والمحبة والرحمة والإحسان والولاية كلها بمعنى واحد وهي الإرادة، فإذا قلنا: إنه راضٍ أو محب أو مختار، أو شاء، فالمراد به مريد لإدخالهم الجنة والإنعام عليهم في الدنيا، وكذا كراهته وسخطه وغضبه وعداوته، جميع ذلك بمعنى واحد تتعلق بجميع متعلقاتها، وهي كالكلام أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد ووعيد وهو واحد، وإنما نصفه بهذه الأشياء؛ تعظيما له وإجلالا واتباعا له حيث يقول: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾، ﴿فعال لما يريد﴾ (٢)، ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ (٣)، ﴿رضي الله عنهم﴾ (٤)، ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ (٥)، **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** (٦)، ﴿الله الرحمن الرحيم﴾،

---

(١) الشيرازي، كتاب الحدود الكلامية ص ٩٦.

(٢) البروج: ١٦.

(٣) الأنعام: ١١٢. وبقية الآية: (فذرهم وما يفترون).

(٤) المجادلة: ٢٢. وبقية الآية: (ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون).

---

(١) الشريعة للآجري، ١٦٨٧/٤

(٢) الشريعة للآجري، ٢٣١١/٥

(٥) القصص: ٦٨. وبقية الآية: (ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون).

(٦) المائدة: ٥٤. وبقية الآية: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).." (١)

"وقال الشيرازي في كتاب الحدود الكلامية ما نصه (١): فصل الإرادة والمشيئة، والمحبة والرحمة، والإحسان والولاية، كلها بمعنى واحد وهي الإرادة، فإذا قلنا: إنه راض أو محب أو مختار أو شاء فالمراد به مريد لإدخالهم الجنة والإنعام عليهم في الدنيا، وكذا كراهته وسخطه وغضبه وعداوته، جميع ذلك بمعنى واحد تتعلق بجميع متعلقاتها، وهي كالكلام أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعيد، وهو واحد، وإنما نصفه بهذه الأشياء؛ تعظيما له وإجلالا واتباعا له حيث يقول: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ (٢)، ﴿فعال لما يريد﴾ (٣) ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ (٤) ﴿رضي الله عنهم﴾ (٥)، ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ (٦)، **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** (٧)، ﴿الله الرحمن الرحيم﴾ (٨)، ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ (٩)، ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ (١٠)، ﴿وغضب الله عليهم﴾ (١١)،

---

(١) انظر الشيرازي، كتاب الحدود الكلامية ص ٩٢.

(٢) النساء، الآية: ٢٦.

(٣) البروج، الآية: ١٦.

(٤) الأنعام، الآية: ١١٢.

(٥) المجادلة، الآية: ٢٢.

(٦) القصص، الآية: ٦٨.

(٧) المائدة، الآية: ٥٤.

(٨) الفاتحة، الآية: ١.

(٩) البقرة، الآية: ٢٥٧.

(١٠) التوبة، الآية: ٤٦.

(١١) الفتح، الآية: ٦.." (٢)

""قتل عثمان بن علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وقال الضاحك: إن خولى بن يزيد رمى عثمان بن علي بسهم فأوهطه (أي أضعفه) وشد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وأخذ رأسه" (١).

فهذا هو ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صهر رسول الله وحبيبه في الدنيا والآخرة، وحبيب أهل البيت وابن عمهم وعمتهم، وقريبهم، **يحبهم ويحبونه** مثل الصديق والفاروق:

---

(١) التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، ص/٢٥

(٢) التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، ص/١٢٤

"وأقرب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشيجة رحم منها، ونال من صهره ما لم ينالا" (٢) كما قاله المرتضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا هو موقفهم تجاهه وتجاه الصديق والفاروق الخلفاء الراشدين المهديين الثلاثة، بيّنّاه من كتب القوم أنفسهم، ومن المصادر الأصلية الموثوقة المعتمدة لديهم بذكر الصفحات والمجلدات.

موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين الثلاثة

وأما الشيعة الذين يتزعمون حب أهل البيت وولاءهم، وينسبون مذهبهم إليهم، ويدّعون اتباعهم واقتدائهم، فإنهم عكس ذلك تماماً، يخالفون الصديق والفاروق وذا النورين ويبغضونهم أشد البغض، ويعاندونهم، ويسبونهم، ويشتمونهم، بل ويفسقونهم ويكفرونهم، ويعدون هذه الأسباب والشتيمة واللعان من أقرب القربات إلى الله، ومن أعظم الثواب والأجر لديه، فلا يخلو كتاب من كتبهم ولا رسالة من رسائلهم إلا وهى مليئة من الشتائم والمطاعن في أخلص المخلصين لرسول الله فداه أبواي وروحي، وأحسن الناس طراً، وأتقاهم لله، وأحبهم إليه، حملة شريعته، ومبلغي ناموسه ورسالته، ونوّاب نبيه المختار

---

(١) "مقاتل الطالبين" ص٨٣، "عمدة الطالب" ص٣٥٦ ط نجف، و"تاريخ اليعقوبي" ج٢ ص٢١٣

(٢) "نهج البلاغة" تحقيق صبحي صالح ص٢٣٤." (١)

"حدثنا محمد قثنا يعقوب قثنا وكيع قثنا الفضل بن دلهم عن الحسن * فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال هو أبو بكر وأصحابه

ابن حنبل في فضائل الصحابة ج١/ص٤٢٧ ح٦٧٤." (٢)

"تفاضل محبوبات الله تعالى

ذكر بعض القربات:

العدل

خفض الجناح للمؤمنين

الجهاد في سبيل الله

ما تفيده الإضافة في قوله: (عبدي)

شرح قوله تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)

بيان معنى (النوافل)

ذكر بعض النوافل

---

(١) الشيعة وأهل البيت، ص/١٥٦

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/١٩٧٨٦

الرد على من فهم من الحديث الحلول أو الاتحاد

شرح قوله تعالى: (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)

التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة من أعظم أسباب إجابة الدعاء

أمثلة لسرعة استجابة الله تعالى لبعض السلف

ذكر بعض دعوات السلف المستجابة

دعوة سعد بن أبي وقاص على من ظلمه رياء

دعوة سعيد بن زيد على المرأة التي ادعت أنه ظلمها

دعوة عبد الله بن جحش يوم أحد

استسقاء العلاء بن الحضرمي لسريته

دعوة أنس بن مالك لأرض له عطشت." (١)

"محبة الله تعالى لعباده متفاضلة

حفظ الله تعالى لأوليائه وتوفيقه لهم

جماع الحاجات: مطلوب يسأل، ومحذور يستعاذ منه

الأسئلة:

س١: بين بإيجاز منزلة حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س٢: بأي شيء تكون المعاداة؟

س٣: بين ما يفيده تقديم : (لي) على (ولياً).

س٤: بم تنال ولاية الله تعالى مع الاستدلال؟

س٥: ما المراد بإيذان الله تعالى بالحرب؟

س٦: ما الواجب تجاه أولياء الله تعالى؟

س٧: استدل من الحديث على تفاضل محبوبات الله تعالى.

س٨: ما هي أفضل القربات إلى الله تعالى؟

س٩: بين ما تفيده الإضافة في قوله تعالى: (عبدي)؟

س١٠: ما معنى النافلة ومثل لها ببعض الأمثلة؟

س١١: بين بإيجاز معنى قول الله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**).

س١٢: اذكر بعض الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى للعبد.

---

(١) الأربعون النووية، ص/١١٩

س١٣: ما معنى قوله تعالى: (كنت سمعه الذي يسمع به) واذكر رواية للحديث توضح هذه الرواية؟

س١٤: ما معنى قوله تعالى: (ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها).

س١٥: كيف ترد على من فهم من الحديث الحلول أو الاتحاد؟

س١٦: اذكر بعض الأمثلة لدعوات السلف المستجابة؟

س١٧: اذكر بعض أولياء الله تعالى الذين أقسموا عليه؟

س١٨: ما معنى (التردد) في قوله تعالى: (وما ترددت في شيء)؟

س١٩: ما معنى (سكرات الموت) واذكر بعض الآثار في وصف هوله؟

س٢٠: ما حال المؤمن عند نزع الروح من حيث شدة ذلك وخفته؟

س٢١: عدد بإيجاز بعض الفوائد المستنبطة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؟

الدرس السادس والثلاثون:

٣٩- عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيِ اللهُ عَنْهُما، أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)). حديثٌ حسَنٌ رواه ابنُ ماجَه والبيهقيُّ وغيرُهما.." (١)

"ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم، وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، سأل النبي (الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين، أحدهما: محبة من يحب ما يحبه الله تعالى، فإن من أحب الله أحب أحباءه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي (: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله... " الحديث.

وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد (الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى: (قُلْ إنْ كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبِعوني يُحبِبْكُم الله ويغفرْ لكم ذُنُوبَكم) آل عمران: ٣١، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: (قل إن كان آبآؤكم وأبنآؤكم وإخوآنُكم وأزوآجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفْتُموها وتجارةٌ تخشَون كسادَها ومساكنُ ترضَونها أحبَّ إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصوا) التوبة: ٢٤.

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين: من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين: من البغض لهم والجهاد في سبيله، فقال تعالى: (فسوفَ يأتي الله بقومٍ **يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه** أذِلَّةٍ على المؤمنينَ أعِزَّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيلِ الله ولا يخافون لومة لآئم) المائدة: ٥٤.

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي

---

(١) الأربعون النووية، ص/١٢١

خرجه البخاري: " وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عندي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " . فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي (من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار. وسئل ذو النون: متى أحب ربي؟. قال: إذا كان ما يكرهه عندك أمر من الصبر. ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات، وترك دقائق المكروهات والمشتبهات.

ومن أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن، وخصوصاً مع التدبر، قال ابن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله. ولهذا قال النبي (لمن قال: إني أحب سورة (قل هو الله أحد) لأنها صفة الرحمن. فقال: " أخبروه أن الله يحبه " . وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لما قدم النبي (المدينة خطب، فقال في خطبته: " إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من الأحاديث، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم " .

وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلاً يقول له:

إن كنت تزعم حُبّي ... فلِمَ جفوت كتابي

أما تدبّرت ما في ... هـ من لطيف عتابي

فاستيقظ وعاد إلى تلاوته.

ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان، قال بعضهم: ما أدمن أحد ذكر الله إلا وأفاد منه محبة الله تعالى. وقال ذو النون: من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه. وقال بعض التابعين: علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره. وقال فتح الموصلي: المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين. المحبون إن نطقوا نطقوا بالذكر، وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر:

فإن نطقتُ فلم ألفظ بغيركم ... وإن سكتُّ فأنتم عند إضماري

ومن علامات المحبين لله وهو ما يحصل به المحبة أيضاً حب الخلوة بمناجاة الله تعالى، وخصوصاً في ظلمة الليل:

الليلُ لي ولأحبابي أسامرهم ... قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا." (١)

"شرح حديث: (ازهد في الدنيا يحبك الله)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف رحمه الله: [عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله سلم فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/٢٥

حديث حسن، رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة].

أيها الإخوة! نجد في ألفاظ هذا الحديث تصويرا لاتجاه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبعد غايتهم، فهذا رجل جاء يسأل رسول الله عن عمل، لا لمال يحصل عليه، ولا لرئاسة يتولاها، ولا لمفخرة في الدنيا؛ ولكن جعل نصب عينيه أن يكون في الدنيا محبوبا عند الناس، وفي الآخرة محبوبا عند الله، فمحبة الله سبحانه غايته، وهكذا حال الصحابة يسعون بكل أعمالهم للحصول على شرف محبة الله سبحانه، ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة:٥٤]، وإن تبادل المحبة بين العبد وربه أمر عجيب! يصعب على إنسان أن يصور كنهه، وهو -كما يقولون-: أمر ذوقي، يتذوقه الإنسان ولا يستطيع أن يعبر عنه.

هذا الرجل أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الاتجاه؛ لأن غايته سليمة، ومطلبه كريم، ويوجهه إلى العمل الذي يحصل به على هذه المحبة من الله ومن الناس: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).

إذا: الزهد طريق المحبة، فإن كان لله فزهدك في الدنيا، وإن كان للناس ففي ترك ما في أيديهم.

ولو فتشنا تفتيشا أدق قليلا: فهل الذي بأيدي الناس كله والذي يزهد فيه الإنسان إنما هو جزء من الدنيا؟! ولكن عمليا: الزهد في عموم الدنيا هو الزهد في خصوص ما بأيدي الناس.." (١)

"١) سورة الممتحنة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة/٥٥-٥٧] ، ووصف أحبَّاءهُ الذين **يحبهم ويحبونه** بقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤) سورة المائدة، وروى الإمام أحمد في كتاب " الزهد " بإسناده عن وهب ابن منبِّهٍ ، قال : إنَّ الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - حين كلمه : اعلم أنَّ مَنْ أهان لي وليّاً ، أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة ، وبادأني ، وعرَّض نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرعُ شيءٍ إلى نُصرة أوليائي ، أفيظنُّ الذي يُحاربني أنْ يقومَ لي ؟ أو يظنُّ الذي يعازّني أنْ يعجزني ؟ أم يظنُّ الذي يبارزني أنْ يسبقني أو يفوتني ؟ وكيف وأنا الثَّائرُ لهم في الدنيا والآخرة ، فلا أَكِلُ نصرتهم إلى غيري .(١)

واعلم أنَّ جميعَ المعاصي محاربة لله - عز وجل - ، قال الحسن(٢): ابنَ آدم هل لك بمحاربة الله من طاقةٍ ؟ .فإنَّ مَنْ عصى الله ، فقد حاربه .

---

(١) - برقم (٣٤٢) عن وهب بن منبه ، به ، وهو جزء من حديث طويل . وأسناده حسن إلى وهب

(٢) - حديث أبي الفضل الزهري(٥٩٨) مطولا." (٢)

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٢/٧٣

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٢٩٣

"وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) [المائدة/٥١-٥٦] ﴾(١)،

---

(١) – يَنْهَى اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالاَةِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَاتِّخَاذِهِمْ حُلَفَاءَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ مَنْ يَتَّخِذْهُمْ نُصَرَاءَ وَحُلَفَاءَ وَأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهُوَ مِنْهُمْ فِي التَّحَزُّبِ عَلى اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ ..وَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ بَرِيئَانِ مِنْهُ . وَمَنْ يَتولَّ أَعْدَاءُ اللهِ فَهُوَ ظَالِمٌ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِيهِ إلى الخَيْرِ . وَاليَهُودُ وَالنَّصارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ وَلِيٌّ وَلا نَصِيرٌ .

وَإِذْ كَانَتْ وَلاَيَةُ أَهْلِ الكِتَابِ لاَ يَتْبَعُها إلاَّ الظَّالِمُونَ فَإِنَّكَ تَرَى الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ (مَرَضٌ) يُبَادِرُونَ إِلَى مُوَالاَتِهِمْ ، وَإِلَى مُوَادَّتِهِمْ فِي البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، وَيَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَفِي مُوَالاَتِهِمْ ، أَنَّهُمْ يَخْشَونَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الكَافِرِينَ بِالمُسْلِمِينَ (تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) فَتَكُونَ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ حِينَئِذٍ . فَعَسَى اللهُ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَهُ بِنَصْرِ المُسْلِمِينَ ، وَيُحَقِقَ لَهُمُ الفَتْحَ وَالغَلَبَةَ ، أَوْ يَتِمَّ أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ كَفَرْضِ الجِزْيَةِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَيُصْبحَ الذِينَ وَالَوْا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ المُنَافِقِينَ نَادِمِينَ عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُوَالاَةِ هَؤُلاَءِ تَحَسُّباً لِما لَمْ يَقَعْ ، وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ شَيْئاً ، وَلاَ دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُوراً .

(هَذِهِ الآيَةُ وَالتِي قَبْلَهَا نَزَلَتَا فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ مِنَ الخَزْرَجِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُمَا حُلَفَاءُ مِنَ اليَهُودِ ، فَجَاءَ عُبَادَةَ إِلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ لِي مَوَالٍ مِنَ اليَهُودِ كَثِيرُ عَدَدُهُمْ ، وَإِنِي أَبْرَأُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ وَلاَيَةِ يَهُودٍ ، وَأَتَوَلَّى اللهَ وَرَسُولَهُ .وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ : إِنّي رَجُلٌ أَخَافُ الدَّوَائِرَ وَلاَ أَبْرَأُ مِنْ وَلاَيَةِ مَوَالِيَّ) .

لَمَّا التَجَأَ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ إِلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى يُوالُونَهُمْ وَيُوادُّونَهُمْ ، افْتَضَحَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَتَسَتَّرُونَ ، لاَ يَدْرِي أَحَدٌ كَيْفَ حَالُهُمْ ، فَتَعَجَّبَ المُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ ، كَيْفَ كَانُوا يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، يُعَاضِدُونَهُمْ وَيُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمِ اليَهُودِ ، فَلَمَّا جَدَّ الجِدُّ أَظْهَرُوا مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ مُوَالاَتِهِمْ وَمُمَالأَتِهِمْ عَلَى المُؤْمِنِينَ . وَلَمَّا اسْتَبَانَ حَالُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالُوا : لَقَدْ هَلَكَتْ أَعْمَالُ هَؤُلاَءِ المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةٍ وَصَوْمٍ وَزَكَاةٍ وَجِهَادٍ ، وَخَسِرُوا بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إِنَّ الذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ إلى الكُفْرِ ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ ، وَإِقَامَةِ

شَرِيعَتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَأَشَدُّ مَنَعَةً ، وَأَقْوَمُ سَبِيلاً ، **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ، يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ المُؤْمِنِينَ وَهِيَ : العِزَّةُ عَلَى الكَافِرِينَ ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاضُعُ مَعَ المُؤْمِنِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلاَ يَرُدُّهُمْ رَادٌّ عَنْ إذاعَةِ أَمْرِ اللهِ ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ . وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ كَبِيراً ، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ ، عَلِيمٌ بِمَنْ يِسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ ، مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرِمُهُ إيَّاهُ . (وَقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أنَّ النَّاسَ سَيَرْتَدُّونَ عَنِ الإِسْلاَمِ ، وَأَنَّ عُصْبَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ ، مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، سَيَقُومُونَ بِمُحَارَبَةِ المُرْتَدِّينَ ، وَأَنَّهُمْ سَيَثْبُتُونَ فِي حَرْبِهِمْ حَتَّى يُتِمَّ اللهُ نَصْرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى مُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، وَيُسَاعِدُونَ المُحْتَاجِينَ مِنَ الضُعَفَاءِ وَالمَسَاكِينِ ، وَهُمْ دَائِمُونَ الرُّكُوعِ للهِ . (نَزَلْت هَذِهِ الآيَةُ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ حِينَ بَرِئَ مِنْ مُوَالاةِ اليَهُودِ ، وَرَضِيَ بِمُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ) . وَكُلُّ مَنْ رَضِي بِمُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، لأنَّهُ يَكُونُ فِي حِزْبِ اللهِ ، وَحِزْبِ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ ، وَلاَ يُغْلَبُ مَنْ يَتَوَلاَّهُمُ اللهُ .." (١)

"وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »(١)..

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- : « إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ »(٢). .

الدرجة الثانية : درجةُ السابقين المقرَّبين ، وهُمُ الذين تقرَّبوا إلى الله بعدَ الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفافِ عن دقائقِ المكروهات بالوَرعِ ، وذلك يُوجبُ للعبدِ محبَّة اللهِ ، كما قال : ((ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتّى أُحبَّه)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبَّته وطاعته والاشتغالَ بذكره وخدمته ، فأوجبَ له ذلك القرب منه ، والزُّلفى لديه ، والحظْوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤) سورة المائدة ، ففي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحقُّ ، فمنْ أعرضَ عنِ الله ، فما له مِنَ الله بَدَلٌ ، ولله منه أبدال .

---

(١) – صحيح مسلم(٤٨٢٥)

(٢) – سنن الترمذى (١٣٧٩) صحيح لغيره." (٢)

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٠٠

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٤١

"﴿ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ (المائدة : ٥٤) ؛ لا همَّ للمحبِّ غيرُ ما يُرضي حبيبه ، رضي من رضي ، وسَخِطَ من سخط ، من خاف الملامة في هوى من يُحبُّه ، فليس بصادقٍ في المحبَّةِ

وقال أبو الشِّيص الخُزاعِيّ(١):

وَقَفَ الهَوَى بِي حيثُ أَنْتِ، فلَيْسَ لي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ ولا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ المَلامَةَ في هَواكِ لَذِيذَةً .... حُبَّاً لذِكْرِكِ، فلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

أَشْبَهْتِ أَعْدائي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إذْ كانَ حَظِّي منكِ حَظِّيَ مِنْهُمُ

وأَهَنْتِنِي، فأَهَنْتُ نَفْسِيَ صاغِراً ... ما مَنْ يَهُونَ عليكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ

قوله : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (المائدة : ٥٤) ، يعني درجة الذين **يُحبهم ويُحبونه** بأوصافهم المذكورة ، ﴿ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة : ٥٤) : واسعُ العطاءِ ، عليمٌ بمن يستحقُّ الفضل ، فيمنحه ، ومن لا يستحقُّه ، فيمنعه .

---

(١) – الحكم الجديرة بالإذاعة – (ج ١ / ص ٨) والبداية والنهاية لابن كثير مدقق – (ج ١١ / ص ٤٣٢) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – (ج ٤ / ص ٥٠٢) والبديع في نقد الشعر – (ج ١ / ص ٦٠) وزهر الآداب وثمر الألباب – (ج ١ / ص ٢٢٤)والحماسة البصرية – (ج ١ / ص ١٦٥) و الشعر والشعراء – (ج ١ / ص ١٨٤) وتراجم شعراء موقع أدب – (ج ٧٧ / ص ٤٧٣)." (١)

"ورُوي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنَّه كان يدعو : ((اللهمَّ اجعل حُبَّك أحبَّ الأشياءِ إليَّ ، وخشيتَك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عنِّي حاجاتِ الدُّنيا بالشَّوق إلى لقائك ، وإذا أقررتَ أعيُنَ أهل الدُّنيا من دنياهم ، فأقرِرْ عيني من عبادتك))(١).

فأهلُ هذه الدرجة مِنَ المقرَّبين ليس لهم همٌّ إلاَّ فيما يُقرِّبُهم ممن **يُحبهم ويحبونه** ، قال بعضُ السلف : العمل على المخافة قد يُغيِّرُه الرجاءُ ، والعملُ على المحبة لا يَدخله الفتورُ ، ومن كلامِ بعضهم : إذا سئم البطَّالون من بطالتهم ، فلن يسأم محبُّوكَ من مناجاتك وذكرك.

قال فرقد السَّبَخي : قرأتُ في بعض الكتب : من أحبَّ الله ، لم يكن عنده شيءٌ آثَرَ من هواه ، ومن أحبَّ الدُّنيا ، لم يكن عنده شيءٌ آثر من هوى نفسه ، والمحب لله تعالى أميرٌ مؤمَّر على الأمراء زمرته أول الزمر يومَ القيامة ، ومجلسه أقربُ المجالس فيما هنالك ، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولنْ يسأم المحبُّون من طول اجتهادهم لله – عز وجل – يُحِبُّونه ويحبُّون ذكرَه ويحببونه إلى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائحُ ، أولئك أولياءُ الله وأحباؤه ، وأهلُ صفوته ، أولئك الذين لا راحةَ لهم دُونَ لقائه .

وقال فتح الموصليُّ : المحبُّ لا يجد مع حبِّ الله – عز وجل – للدنيا لَذَّةً ، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عينٍ .

وقال محمدُ بن النضر الحارثي : ما يكادُ يملُّ القربةَ إلى الله تعالى محبٌّ لله – عز وجل – ، وما يكاد يسأمُ من ذلك .

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٤٤

وقال بعضهم : المحبُّ لله طائرُ القلب ، كثيرُ الذكر ، متسبب إلى رضوانه بكل سبيلٍ يقدر عليها من الوسائل والنوافل دَوباً دَوباً ، وَشوقاً شوقاً ، وأنشد بعضهم :

وكُنْ لِرَّبك ذا حُبٍّ لِتَخْدمه إنَّ المحبين للأحبابِ خُدَّامُ

وأنشد آخر :

---

(١) – الاتحاف ٥/٧٨ و٩/٥٤٩ و٦٠٩ و حلية ١/٢٢٦و٨/٢٨٢ ، و فيه ضعف." (١)

"لَا يَكُونُ الْعَبْدُ وَلِيًّا لِلَّهِ إلَّا إذَا كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا(١)

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إلَّا إذَا كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ [يونس/٦٢، ٦٣] ،وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ – وَقَدْ تَقَدَّمَ – يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ﴾(٢)

---

(١) – الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص ٢٨٢-٢٨٧

(٢) – صحيح البخارى (٦٥٠٢)

وفي جامع العلوم والحكم – (ج ٣٨ / ص ١١)

الدرجة الثانية : درجةُ السابقين المقرَّبين ، وهُمُ الذين تقرَّبوا إلى الله بعدَ الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفافِ عن دقائقِ المكروهات بالوَرعِ ، وذلك يُوجبُ للعبدِ محبَّة اللهِ ، كما قال : ((ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتّى أُحبَّه)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبَّته وطاعته والاشتغالَ بذكره وخدمته ، فأوجبَ له ذلك القرب منه ، والزُّلفى لديه ، والحظْوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ((المائدة : ٥٤ .)) ، ففي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحقُّ ، فمن أعرضَ عنِ الله ، فما له مِنَ الله بَدَلٌ ، ولله منه أبدال .

ما لي شُغل سِواه ما لي شُغلُ ما يَصرِفُ عن هواه قلبي عذلُ

ما أصنعُ إنْ جفا وخابَ الأملُ مِنّي بدل ومنه ما لي بدلُ

وفي بعض الآثار يقول الله – عز وجل – : ((ابنَ آدم ، اطلبني تجدني ، فإنْ وجدتني ، وجدتَ كُلَّ شيء ، وإنْ فُتُّك ، فاتك كُلُّ شيءٍ ، وأنا أحَبُّ إليك من كلِّ شيءٍ)) .

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٤٦

كان ذو النون يردّد هذه الأبيات بالليل كثيراً :

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وَجَدْتُ أنا

قد وجدت لي سكَناً ليس في هواه عَنَا

إنْ بَعَدْتُ قرَّبَني أو قَرُبْتُ مِنه دَنا

من فاته الله ، فلو حصلت له الجنةُ بحذافيرها ، لكان مغبوناً ، فكيف إذا لم يحصل له إلاَّ نزرٌ يسيرٌ حقيرٌ من دارٍ كلها لا تَعدِلُ جَناحَ بعوضةٍ :

مَنْ فَاتَهُ أَنْ يَراكَ يَوماً فَكُلُّ أوقاتِهِ فَواتُ

وحَيثُما كنتُ من بِلادٍ فَلِي إلى وَجْهِكَ التِفَاتُ." (١)

"أ – مَحَبَّةُ اللَّهِ وَمَحَبَّةُ الرَّسُول – صلى الله عليه وسلم –

أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنَّ حُبَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحُبَّ رَسُول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَرْضٌ عَلَى كُل مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ مِنْ شُرُوطِ الإْيمَانِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (سورة البقرة / ١٦٥) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ (سورة المائدة / ٥٤) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ « فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ » (١) .

وعَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلاَّ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : الآنَ يَا عُمَرُ." (٢)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " (٣) .

كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنْجَاةٌ مِنَ النَّارِ وَمُوجِبَةٌ لِلْجَنَّةِ (٤) ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا » . قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قَالَ « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » (٥) .

---

(١) – صحيح البخارى– المكنز – (١٤)

(٢) – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٤٤١)(١٨٩٦١) ١٩١٦٩– حسن

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٩٨

(٣) – صحيح البخارى– المكنز – (١٥) وصحيح مسلم– المكنز – (١٧٨)

(٤) – إحياء علوم الدين ٤ / ٤٢٨ وما بعدها ، وتفسير القرطبي ٤ / ٦٠ وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية / ٢٩٤ ، والآداب الشرعية ١ / ١٧٣ ، ودليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٢ / ٢٣٣ .

(٥) – صحيح البخارى– المكنز – (٦١٧١)." (١)

"وَيَرْضَاهُ ، وَأَنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ وَأَعْضَاءَهُ حَتَّى يُقْلِعَ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَغْرِقَ فِي الطَّاعَاتِ بِجَعْلِهِ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ (١) ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَل لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (سورة مريم / ٩٦) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤) سورة المائدة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – :« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِى بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِى عَبْدِى أَعْطَيْتُهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ». رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى جِبْرِيلُ فِى السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى أَهْلِ الأَرْضِ » (٣) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ : إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيَقُولُ جِبْرِيلُ لأَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ رَبَّكُمْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا فَمِثْلُ ذَلِكَ. (٤)

---

(١) – إحياء علوم الدين ٤ / ٤٧٣ – ٤٧٦ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٥٩ ، وما بعدها ، ١١ / ١٦٠ – ١٦١ ، دليل الفالحين ٢ / ٢٦٠ ، وما بعدها ، الآداب الشرعية ١ / ١٧٣ .

(٢) – السنن الكبرى للبيهقي– المكنز – (١٠ / ٢١٩) (٢١٥٠٨) وصحيح البخارى– المكنز – (٦٥٠٢)

(٣) – صحيح البخارى– المكنز – (٧٤٨٥)

(٤) – صحيح ابن حبان – (٢ / ٨٥) (٣٦٤) صحيح." (٢)

---

(١) الخلاصة في شرح الخمسين الشامية، ص/٣٧

(٢) الخلاصة في شرح الخمسين الشامية، ص/٣٩

"(دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض) لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد فلا يتعرض لها إلا بإذن فلا تسعروا ولا تتلقوا الركبان (فإذا استنصح أحدكم أخاه) أي طلب منه النصح (فلينصحه) وجوبا وذكر الأخ للاستعطاف وإلا فالنصح واجب لكل معصوم (طب عن أبي السائب) جد عطاء بن السائب وكان ينبغي تمييزه فإنه متعدد وإسناده صحيح
(دعوا لي أصحابي) إضافة تشريف تؤذن باحترامهم وزجر سابهم وتعزيره (فوالذي نفسي) بسكون الفاء (بيده) بقدرته وتدبيره (لو أنفقتم مثل) جبل (أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم) أي ما بلغتم من أنفاقكم بعض أعمالهم لما قارنها من مزيد إخلاص وصدق نية وكمال يقين والخطاب لخالد ونحوه ممن تأخر إسلامه والمراد من تقدم إسلامه منهم الذين كانت لهم الآثار الجميلة والمناقب الجليلة (حم عن أنس) ورجاله رجال الصحيح
(دعوا لي أصحابي وأصهاري) أي اتركوا التعرض لهم بما يؤذيهم لأجلي وتمامه فمن آذاني في أصحابي وأصهاري آذاه الله تعالى يوم القيامة (ابن عساكر عن أنس) بإسناد فيه مجهول ومضعف
(دعوا صفوان بن المعطل) بضم الميم وفتح الطاء المشددة أي اتركوه فلا تتعرضوا له بشر (فإنه خبيث اللسان طيب القلب) أي سليم الصدر نقي القلب من الغش والتكبر والخيانة والعبرة بطهارة القلب (ع عن سفينة) مولى المصطفى يكنى أبا عبد الرحمن كان اسمه مهران أو غير ذلك فلقب سفينة لأنه حمل شيئا كثيرا
في السفر وإسناده حسن
(دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله يحبهم ويحبونه (ابن سعد عن الحسن مرسلا) هو البصري
(دعوني من السودان) يعني من الزنج كما بينه في رواية أخرى (فإنما الأسود لبطنه وفرجه) أي لا يهتم إلا بهما فإن جاع سرق وأن شبع فسق وحينئذ فاقتناء الزنجي خلاف الأولى عبدا كان أو أمة (طب عن ابن عباس) بإسناد ضعيف (١) ".

" شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم
هم قوم هذا وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعري قال أبو نعيم رواه إدريس الأودي عن سماك أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الكريم ابن حمزة بن الخضر السلمي بدمشق ثنا ابو محمد عبد العزيز بن أحمد الحافظ أنبأ أبو القسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي ثنا ابي رحمه الله ثنا ابو بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء ببغداد ثنا أبو معمر اسمعيل بن إبراهيم القطيعي ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى الأشعري قال قرئت عند النبي صلى الله عليه و سلم
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ١٥/٢

هم قومك أهل اليمن أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الفضل الفقيه أنبا أبو بكر الخسر وجردي أنبأ أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو عبد الله الصفار ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى قال تليت عند النبي صلى الله عليه و سلم

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم

هم قومك ياأبا موسى أهل اليمن أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي أنبا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الحافظ قال أما بعد فإن بعض أئمة الأشعريين رضي الله عنهم ذاكرني بمتن الحديث الذي أخبرناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال ثنا أبو العباس محمد بن ." (١)

" يعقوب ثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا وهب بن جرير وأبو عامر العقدي قالا ثنا شعبة عن سماك وأخبرنا أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي في كتابه وحدثني أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد بن أبي نصر الطبسي بنيسابور عنه قال أنبا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ثنا محمد ابن يعقوب ثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا وهب عن شعبة قال وثنا إبراهيم ثنا ابو عامر عن شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أومأ النبي صلى الله عليه و سلم إلى أبي موسى رضي الله عنه فقال

هم قوم هذا قال البيهقي وذلك لما وجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصا من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة ورد الشبهة والأشبه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل قوم أبي موسى من قوم يحبهم الله ويحبونه لما علم من صحة دينهم وعرف من قوة يقينهم فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفي التشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولهم جعل من جملتهم وعد من حسابهم بمشيئة الله وإذنه أعاننا الله تعالى على ذلك بمنه وختم لنا بالسعادة والشهادة بجوده وليعلم المنصف من أصحابنا صنع الله تعالى في تقديم هذا الأصل الشريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة وجعله خلف حق السلف صدق أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله المصري وأبو بكر ناصر بن أبي العباس بن ." (٢)

" علي الصيدلاني بهراة قالا أنبأ محمد بن عبد العزيز الفارسي انبأ عبد الرحمن ابن أحمد بن ابي شريح قال نا يحيى بن محمد بن صاعد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد الله بن إدريس عن ليث عن مجاهد في قوله عزوجل فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال قوم سبأ والأشعريون قوم من سبأ وأكرم بذلك اصلا ونسبا

أخبرنا الشيخان أبو القسم عبد الملك بن عبد الله بن داود المغربي وأبو غالب محمد بن الحسن بن علي البصري الماوردي ببغداد قالا أنبأ أبو علي علي بن احمد بن علي التستري بالبصرة ثنا القاضي الشريف أبو عمر القسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ثنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/٤٩

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/٥٠

كتاب السنن قال ثنا سليمان بن داود المهري أنبا ابن وهب اخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال

إن الله عزوجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها قال أبو داود رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يخبر به شراحيل أخبرناه الشيخ أبو القسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي انا أبو القسم اسماعيل بن مسعدة الجرجاني ببغداد أنا أبو القسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني انا العباس بن محمد بن العباس البصري والقسم بن عبد الله بن مهدي نا حميم قالا نا عمرو بن سواد السرحي ح قال أبو أحمد بن عدي ونا يحي بن محمد بن يحي بن ." (١)

" عنه حدثنا الشيخ أبو القسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ املاء بأصبهان أنا أحمد بن عبد الرحمن الذكواني أنا ابو بكر بن مردويه حدثني أحمد بن محمد بن سليمان المالكي نا الحسين بن علي بن حريش التستري حدثنا الحرث بن ابي الحرث نا يعلى بن عبيد عن أبي عمرو بن العلاء عن شهر بن حوشب قال قدم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه و سلم في رهط من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه

إنه ليدلني على حسن إيمان الأشعريين حسن اصواتهم بالقرآن قال لنا اسماعيل الحسين بن علي بن حريش بالحاء غير المعجمة أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي انا ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أنا محمد بن عبد الله الحافظ أنا ابو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك نا عبد الملك بن محمد الرقاشي نا وهب بن جرير وسعيد بن عامر قالا نا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عياضا الأشعري رضي الله عنه يقول لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه و سلم هم قومك ياأبا موسى وأومأ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده إلى ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ابو عبد الله الحافظ هذا حديث صحيح أخبرناه الشريف أبو القسم علي بن إبراهيم الخطيب وأبو الحسن علي بن أحمد الفقيه قالا نا وأبو منصور محمد بن عبد الملك المقري قال أنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب أنا ابو الحسن علي بن محمد بن محمد الطرازي بنيسابور انا أبو حامد أحمد بن علي حسنويه المقري أنا ابو جعفر الصائغ البغدادي وإسمه محمد بن اسماعيل ." (٢)

" ابن سالم نا شبابة بن سوارنا شعبة عن سماك عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أوما النبي صلى الله عليه و سلم إلى ابي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال

هم قوم هذا قلت وكذا رواه ابو عامر العقدي عبد الملك بن عمرو عن شعبة وكذلك المحفوظ عن عبد الله بن ادريس الأودي عن شعبة وأخبرناه أبو الفضل محمد بن اسماعيل الفضيلي انا ابو القسم أحمد بن محمد الخليلي أنا أبو القسم علي بن أحمد الخزاعي انا الهيثم ابن كليب الشاشي نا العسقلاني يعني عيسى بن أحمد أنا يزيد هو ابن هرون أنا شعبة بن

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/٥١

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/٦٢

الحجاج عن سماك بن حرب قال سمعت عياضا الأشعري يقول لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي موسى رضي الله عنه

هم قومك ياأبا موسى أو قال

قوم هذا يعني أبا موسى وأخبرناه الشيخان أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله المقري الواعظ وأبو بكر ناصر بن أبي العباس بن علي الصيدلاني بهراة قالا أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي أنا عبد الرحمن بن أحمد بن أبي شريح الأنصاري نا يحيى بن محمد بن صاعد نا ابو سعيد الأشج نا عبد الله بن إدريس عن شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

هم قوم هذا لأبي موسى رضي الله عنه وعياض هذا هو ابن عمرو الأشعري نسبه مختلف في صحبته وإلا ظهر أن له صحبة وقد أدرك عصر النبي صلى الله عليه و سلم لإنتفاء ." (١)

" الشكوك في إنه شهد في صدر خلافة عمر رضي الله عنه يوم اليرموك وقد ضمن بعض أصحاب شعبة أبا موسى إسناده ووصله بذكر أبي موسى فيه وإجازة أخبرناه الشيخ أبو عبد الله بي أبي مسعود الصاعدي أنا ابو بكر أحمد بن الحسين الحافظ أنا ابو عبد الله الحافظ في جمعه لأحاديث شعبة قال انا بكر بن محمد بن حمدان بمرو نا ابو قلابة نا عبد الصمد وأبو الوليد قالا نا شعبة عن سماك عن عياض الأشعري عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال النبي صلى الله عليه و سلم

هم قوم هذا يعني أبا موسى وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله أنا ابو بكر أنا ابو علي الروذباري نا ابو طاهر محمد بن الحسن المحمد آبادي نا ابو قلابة فذكره باسناد مثله وقال عن عياض عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله فسوف يأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** قال

هم قوم هذا يعني أبا موسى وهكذا رواه إدريس ابن يزيد الأودي عن سماك أخبرناه الشيخ أبو عبد الله الفراوي أنا أحمد بن الحسين البيهقي انا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار نا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبو معمر قال البيهقي وأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان نا أحمد بن عبيد الصفار نا محمد بن عيسى نا ابو معمر نا عبد الله بن إدريس عن ابيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى رضي الله عنه قال تلوت عند النبي صلى الله عليه و سلم فسوف يأتي الله ." (٢)

" بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم

هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن لفظ حديث الإسناد وليس في حديث أبي الحسن أهل اليمن أخبرنا أبو القسم زاهر بن طاهر المعدل أنا ابو بكر أحمد بن الحسين الحافظ أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله أنا ابو العباس محمد بن أحمد

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/٦٣

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/٦٤

المحبوبي نا سعيد بن مسعود نا عبيد الله بن موسى نا شيبان عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال إني لجالس عند النبي صلى الله عليه و سلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال

أقبلوا البشرى يابني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا يارسول الله قال فدخل عليه اناس من أهل اليمن فقال

إقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن اول الأمر ما كان الله قال

كان الله عزوجل ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء قال وأتاه رجل فقال يا عمران بن حصين راحلتك أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت في طلبها وإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت إنها ذهبت وإني لم أقم وأخبرنا أبو القسم أنا ابو بكر ح وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا ابو بكر محمد بن هبة الله اللالكائي قالا أنا ابو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان نا عمر بن حفص نا ابي نا الأعمش نا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز إنه حدثه عن عمران بن الحصين قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ." (١)

" بنصرة شريعته ومن قام بها إلى يوم القيامة وحين نزل قول الله عز و جل يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم أشار المصطفى صلى الله عليه و سلم إلى أبي موسى وقال

قوم هذا فوعد الله عز ثناؤه وجل شيئا معلقا بشيء وخص النبي المصطفى صلى الله عليه و سلم به قوم أبي موسى فكان خبره حقا ووعد الله صدقا وحين خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من بين أمته وقبضه الله عزوجل إلى رحمته إرتد ناس من العرب فجاهدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم منهم ابو موسى وقومه حتى عاد أهل الردة إلى الإسلام كما وعد رب الأنام وحين كثرت المبتدعة في هذه الأمة وتركوا ظاهر الكتاب والسنة وأنكروا ما ورد به من صفات الله عزوجل نحو الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام وجحدوا مادلا عليه من المعراج عذاب القبر والميزان وأن الجنة والنار مخلوقتان وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران وما لنبينا صلى الله عليه و سلم من الحوض والشفاعة وما لأهل الجنة من الرؤية وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل ولا يصح في الرأي أخرج الله عزوجل من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إماما قام بنصرة دين الله وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله وزاد ." (٢)

" في التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسنة وماكان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة والآراء تصديقا لقوله وتحقيقا لتخصيص رسوله صلى الله عليه و سلم قوم أبي موسى بقوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** هذا والكلام في علم الأصول وحدث العالم ميراث أبي الحسن الأشعري عن أجداده وأعمامه الذين قدموا على

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/٦٥

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/١٠٤

رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألوه عن علم الأصول وحدث العالم إلا وفد الأشعريين من أهل اليمن ثم ذكر حديث عمران بن الحصين حين أتاه نفر من بني تميم وقد ذكرته في الجزء الأول باسناده ثم قال فمن تأمل هذه الأحاديث وعرف مذهب شيخنا أبي الحسن رضي الله عنه في علم الأصول وعلم تبحره فيه أبصر صنع الله عزت قدرته في تقديم هذا الأصل الشريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة وجعله خلف حق لسلف صدق وبالله التوفيق هذا وعلماء هذه الأمة من أهل السنة والجماعة في الإشتغال بالعلم مع الإتفاق في أصول الدين على اضرب منهم من قصر همته على التفقه في الدين بدلائله وحججه من التفسير والحديث والإجماع والقياس دون التبحر في دلائل الأصول ومنهم من قصر همته على التبحر في دلائل الأصول دون التبحر في دلائل الفقه ومنهم من جعل همته فيهما جميعا كما فعل الأشعريون من أهل اليمن حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم ." (١)

" على الجملة المذكورة صدر هذا الذكر وكتبه عبد الله بن اسماعيل الصابوني وبخط الشريف البكري الأمر على نحو ما بين درج هذا الذكر وكتبه علي بن الحسن البكري الزبيري بخطه وبخط آخر هو إمام من أئمة أصحاب الحديث والأمر على ما وصف في هذا الذكر وكتبه محمد بن الحسن بيده وبخط أبي الحسن الملقاباذي أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه إمام من أئمة أصحاب الحديث ورئيس من رؤسائهم في أصول الدين وطريقته طريقة السنة والجماعة ودينه واعتقاده مرضي مقبول عند الفريقين وكتبه علي بن محمد الملقاباذي بخطه وبخط عبد الجبار الاسفرايني بالفارسية أين بو الحسن أشعري إمام أست كه خداوند عزوجل اين آيت درشان وي فرستاد فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ومصطفى عليه السلام درآن وقت بجدوى اشارت كردبو موسى اشعري فقال

هم قوم هذا وكتبه عبد الجبار بن علي بن محمد الاسفرايني بخطه وبخط إبنه هكذا يقول محمد بن عبد الجبار بن محمد قال الإمام الحافظ رضي الله عنه نقلت هذه الخطوط على نصها من ذلك الدرج ونقلها غيري من الفقهاء وتفسير قول هذا الفارسي

هذا أبو الحسن كان إماما ولما أنزل الله عزوجل قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أشار المصطفى صلى الله عليه و سلم إلى أبي موسى رضي الله عنه وقال

هم قوم هذا ." (٢)

" أحمد الهروي قال سمعت ابن شاهين يقول رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء جعفر بن محمد بن حنبل كتب إلي أبو القسم العكبري يخبرني عن أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك قال لما تم للهجرة مايتان وستون سنة رفعت أنواع البدع رؤسها وتسقت عوام الخلائق كؤوسها حتى أصبحت آيات الدين منطمسة الآثار وأعلام الحق مندرسة الأخبار فأظهر الله سبحانه وتعالى ناصر الحق وناصر الخلق محي السنن مرضي السنن الإمام الرضي الزكي أبا الحسن سقى الله بماء الرحمة تربته وأعلى في غرفات الجنان درجته من أصل باذخ الذري وشرف شامخ القوى وهو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/١٠٥

(٢) تبيين كذب المفتري، ص/١١٤

صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم وقاضيه والمستخلف من قبل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين على القضاء والصلوات والجيوش والإمارة على المؤمنين وتعليم الشريعة للمسلمين وكان زوج أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب وهي أم أبي بردة بن أبي موسى الأشعري جد الإمام أبي الحسن الأشعري وروى دعلج بن أحمد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل نبأ معمر قال ثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى الأشعري قال قرئت عند رسول الله صلى الله عليه و سلم

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال صلوات الله عليه وسلامه

هم قومك ياأبا موسى أهل اليمن ومعلوم بأدلة العقول وبراهين الأصول أن أحدا من أولاد أبي موسى لم ." (١)

" فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فجمع بين الحبين حب الخالق وحب المخلوق متقارنين

ثم فرق بين ما يحب وما لا يحب ليعلم خلقه أنهما متضادان غير متفقين فقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول و إنه لا يحب المسرفين وقال تعالى لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ثم فرق بين سخطه وإسخاط العباد إياه فقال ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وقال وغضب الله عليهم ولعنهم ثم ذكر إغضاب الخلق إياه فقال تعالى فلما آسفونا انتقمنا ." (٢)

"@ ٢٠@حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن [مروك] قال : حَدَّثَنا محمد بن عيسى الطرسوسي ، قال : حدثني يحيى بن معين ، وعلي بن بحر قالا : حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الله بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي.

|قال الشيخ الإمام الزاهد أبو بكر بن أبي إسحق رحمه الله : يجوز أن يكون قوله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله خبرا عن محبتهم إياه ، وإن كان لفظه لفظ الأمر ، وقد جاء مثله في كلام العرب مثل قولهم : عش رجبا تر عجبا ، أي لأن العيش ليس إلى الإنسان فيؤمر بأن يعيش.

|ومثله ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : وجدت الناس أخبر تقله . معناه : إن خبرتهم قليتهم ، يدل عليه قوله : وجدت الناس ، كأنه قال : وجدت الناس صفتهم إن خبرتهم قليتهم.

|وكذلك قوله أحبوا الله معناه إنما تحبون الله لأنه أنعم عليكم فأحبكم فأحببتموه لحبه لكم قال الله عز رجل : ! **يحبهم ويحبونه** [المائدة : ٥٤] أخبر عن حبه لهم قبل حبهم له.." (٣)

"@ ٢٢@الصاغرين﴾ [يوسف : ٣٢] . وأما النسوة فغبن عن حظوظ الغيرة وآلامهن حتى قطعن أيديهن ولم يحسسن بالألم ، وزليخا لم تمكن الحب منها قالت : ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه) ﴿يوسف : ٥١] أقرت

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/١٦٤

(٢) نقض الدارمي، ٢/٨٦٥

(٣) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٠

على نفسها وشهدت له بالبراءة ، هذا ظهر دليل أن محبت النعمة محبة لذة ومطالبة حظوظ النفس فإن حملنا هذا الحديث على ظاهر اللفظ كان أمرا معلولا والمحبة نهاية الأحوال المعلوات الذين جازوا كثيرا منها فمثل هؤلاء لا يخاطبون بالمعلول من الأمر كما قال الله تعالى ، وقد قالت رابعة أو غيرها : والله لو قطعتني بالبلاد إربا إربا ازددت لك إلا حبا ، فمثل هذا لا يحمل على المحبة رؤية النعم التي هي حظوظ النفس ، ونحمل أيضا معنى الحديث إذا حمل على ما قلنا تنبيها لهم على ما من الله عليهم . . . . . أوصافهم معرضين كما نبههم الله عز وجل بقوله . ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ [الأنفال : ١٧].

| وأما قوله وأحبوا أهل بيتي لحبي أي إنما تحبونهم لأني أحببتهم ، وأحببتهم لأن الله تعالى أحبهم ، ويجوز أن يكون أمرا أن تحبونهم فيكون تصديقا لحبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون معنى الحب لهم إيثارهم على غيرهم.

$حديث آخر$

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الخلوتي الجيدموني قال : حَدَّثَنَا عبد العزيز ابن حاتم ، قال : حَدَّثَنَا الحارث بن مسلم ، قال : حَدَّثَنَا زياد بن ميمون ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : علامة حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله.

| قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله : معناه إن شاء الله علامة حب الله عبده ذكره وذلك أنه إذا أحب عبدا ذكره ، وإذا ذكر الله عبدا حبب إليه ذكره فيذكر العبد ربه لذكر ربه له كما أحب ربه لحب ربه له قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] وقال عز وجل : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت : ٤٥] يجوز أن يكون معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد الله ، لأن ذكر الله للعبد يسر من العبد ذكره لله إذ علة كل | ." (١)

"@ ١٨٤@والأخذ لهم ، والتدسر عليهم فهو يحبس عنهم عقوبته ، ويؤخر عنهم عذابة ولا يعاجلهم بالعقوبة التي استحقوها على شركهم به ، وافترائهم عليه وهو مع تأخير العقوبة يرزقهم ويعافيهم فهو اصبر على الأذى من الخلق ، لأن الخلق يؤذون بما قد يجوز أن يكون ذلك لهم وفيهم ، وما يؤذون الله تعالى به لا يجوز عليه بوجه من الوجوه حقيقة ولا مجازا ، ولا إضافة ، وهم إن صبروا صبروا ضرورة وتكلفا ورقا وعبودة ، ثم لا يحسنون إلى من يؤذيهم.

| ففي الحديث إبانة عن كرم الله تعالى وفضله في ترك معاجلة العقوبة وتأخير العذاب وإدرار الرزق على المؤذي له وعاقبته إياه ، فهذا كرمه في معاملة من يؤذيه ويكذب عليه وهو بغيضه وعدوه فما ظنك بمعاملته مع من يتحمل الأذى فيه ويثنى عليه وهو وليه وحبيبه ، قال الله تعالى ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة : ٢٥٧] وقال : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] سبحان الكريم الرحيم الرؤف الحليم.

| ففي الحديث أيضا حث على الصبر وتحمل الأذى فيما يصيب العبد مما يكرهه ويغمه ويؤلمه ويشق كأنه صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله تعالى يؤذي بالغاية من الاذى ، وهو قادر على الانتقام منهم ، وهو يؤخر عنهم عقوبته ، ويحبس عنهم عذابه مع تعاليه عن جر منفعة فيه ، أو دفع مضرة عنه ، فالعبد المضطر المحتاج إلى الثواب المودوع على الصبر والخوف من العقوبة المتوعد على الجذع على أدنى أذى يلحقه ، ثم يعتاض عليه ما هو خير منه أولى أن يصبر وأحق.

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٢

$حديث آخر$

قال الشيخ رحمه الله : حدثنا حاتم ، قال : حَدَّثَنا يحي ، قال : حَدَّثَنا يحي ، قال : حَدَّثَنا هشيم ، قال : حَدَّثَنا عمر بن أبي سلمة ، عن ابيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر ، أو ذكر لله.." (١)

"@ ٢٧٥@كنت له جليسا ، اخبره بأنه منع بأبلغ غايات القرب وأقصى نهايات الدنو اليه ، كأنه يقول له : أنت مني بالقرب والدنو بمنزلة المرء من جليسه.

|ولم يقل في الحديث إن من ذكرني جليسي ، لأنه لو كان كذلك لكانت الحالة مكتسبة ولم يكن فيه دلالة الخصوص والافضال على من اثره الله ، لأن الله تعالى اجل من أن يرام مجالسته والدنو إليه من حيث البعد ، وإنما ذكر انه هو الجليس إظهارا لفضله ، وتقربا إلى عبده ، ولطفا بذاكره ، كما قال تعالى : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ [المجادلة : ٧] وكما قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] جل الله البر الرءوف الرحيم بعباده اللطيف الخبير.

$حديث آخر$

حَدَّثَنا أبو النضر محمد بن إسحاق الرشادي ، حَدَّثَنا علي بن عبد العزيز ، حَدَّثَنا مسلم ، حَدَّثَنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الاحوص ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا.

|وفي حديث آخر : لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا.

|حدثناه خلف بن محمد ، حَدَّثَنا إبراهيم بن معقل ، حَدَّثَنا محمد بن اسماعيل ، حدثني عبد الله بن محمد ، حَدَّثَنا أبو عامر ، حَدَّثَنا فليح ، حدثني سالم أبو النضر ، عن بشر بن سعيد ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

|وفي حديث آخر : إن صاحبكم خليل الله.

|سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف العماني ، يقول : سمعت كهمس ، يقول : سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت عبد الله بن شقيق رحمه الله يقول : قلت لعائشة رضي الله عنها : من كان احب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم | ." (٢)

"@ ٣٨٠@افترض عليهم ليطهروا بها من أدناس الذنوب ، ويتنظفوا من أرجاس العيوب ، فقال الله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود : ١١٤] ، وقد قال : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة : ١٠٣]) وقال : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة : ٢٢٢] فإذا أتوا بهذه الفرائض تطهروا فصلحوا لدار الطهارة

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/١٨٤

(٢) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٧٥

وقربة القدس . وقوله ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه لما علم المؤمن الوجه الذي جعله الله سببا لطهارته ، والعمل الذي هو علامة من قربه الله تعالى منه ، وهو آداء فرائضه ، أدى فرائضه باذلا فيها مجهود ٣ ، وكانت الفرائض في أوقات معدودة تسارع بعد الفراغ منها إلى أمثالها من الاعمال وأشباهها من الأفعال طلبا لازدياد من السبب المقرب إليه ، والسمة الدالة عليه ، فزاده الله تعالى محبة إلى تقريبه منه كما ازداد العبد تعبدا في حال الحرية من رق العبودية في أداء ما لزمه ، فان مثل العبد في آداء الفرائض مثل المكاتب ، كاتبه مولاه على مال يؤديه إليه نجوما ، فاذا أدى ما عليه عتق ، فكذلك العبد أوجب الله تعالى عليه فروضا محدردة ، . وألزمه أمورا محدودة مؤقته ، فإذا أداها خرج من رقها فهو إلى أن ياتيه وقت آخر عتيق في عمله ، وإلى أن يستقبله فرض ثان حر ، فمن تعبد في حال الحرية شوقا إلى مولاه استحق المحبة ، كما أن من تعبد في حال الرق استوجب القربة . وقوله : فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ويؤيد) إذا أحب الله عبدا أحدث فيه حبا لله ، فيحب الله كما أحبه الله ، قال الله تعالى : ﴿يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقال تعالى : **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة : ٥٤] فالمحبوب محب ، والمحب منخلع من جميع شهواته ، خارج من جميع صفاته ، لأن المحبة إذا استولت على المحب أفنته عنه ، وسلبته عن صفاته ، واصطفته من نعوته فأصمه وأعماه ، وعن جميع الأشياء به أبلاه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من حبك الشيء ما يعمي ، وما يصم لا.

| حدثناه حاتم بن عقيل ، قال : حَدَّثَنا يحي بن إسماعيل ، قال : حَدَّثَنا الحماني ، قال : حَدَّثَنا ابن المبارك ، عن ابن أبي مريم ، عن خالد بن محمد الثقف ، عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"@ ٣٨١@فالمحب يصم عن الأغيار ، ويعمى عما سرى المحبوب الأبصار ، وقال في ذلك بعض الكبار : ٪ (أصمني الحب إلا عن تساوده ٪ فمن رأى حب حب يورث الصمما) ٪ ٪ (وكف طرفي إلا عن وعايته ٪ والحب يعمي وفيه القتل إن كتما) ٪ وقيل لقيس المجنون : أتحب ليلى ؟ فقال : لا ، قيل : لم ؟ قال : إن المحبة ذريعة الوصلة ، فإذا وقعت الوصلة سقطت الذريعة ، فأنا ليلى ، وليلى أنا.

| قال الشيخ رحمه الله : وأنا أحكي لك عني عجبا في رؤيا رأيتها ، رأيت فيما يرى النائم امرأة رقيقة ممشوقة عليها ملاحة ، ولها شعر ما رأيت على أمرأة مثله طولا وغلظا وسوادا ، فخيل لي أنها ليلى ، وهي تنشد أشعارا ، فكنت حفظت منها أبياتا ثم أنسيتها ، فقلت لها وعزمت عليها : أخبريني عن قيس ، فقالت . كان عنوان حيي وكنت معناه الذي قام به ، فلم تكن له حال يوصف ، ولا كانت له صفة تعرف . في كلام كثير حفظت منه هذا.

| فإذا كانت هذه أحوال المحب ، فمن أحبه الله تعالى صرفه عن الأشياء إليه ، وأقبل به عليه ، فاحب الله تعالى كما أحبه الله ، قال الله تعالى : **﴿يحبهم ويحبونه﴾** والمحدث لا يطيق تحمل أعباء المحبة لأنها تفنيه ، فإذا أفنته محبة الله عن نفسه أنشأه الله لمحبته له خلقا جديدا فأفاده سمعا بدل سمعه ، وبصرا بدل بصره ، ويدا بدل يده ، وأيدا أقوى من أيده ، فلا يبصر إلا ربه ، ولا يسمع إلا منه ، ولا يبطش إلا له ، ولا يقوى إلا فيه . ألا تراه يقول . يدعونى فاستجب له ، ويستنصحني فأنصح

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٣٨٠

له لأنه لا يعرف له مولا ، ولا وليا إلا إياه ، ولا يرى في الدارين له غيره ، فمن يدعو سواه ومن يجيبه إلا هو ، إذ ليس عنده مجيبا له إلا ربه ، ولا مدعوا إلا محبوبه.

| وقوله : يستنصحني فانصح له لأنه سقطت عنه اختياراته ، وماتت فيه شهواته ، وبطلت منه إرادته ، قد ذهل عن أوصافه ، وشغل في محبة محبوبه عن نعوته ، فهو لا يهتدي إلى مصالح نفسه ، ولا يتخير في أحكام مولاه فوض أمره إليه ، وألقى نفسه بين يديه ، وأقبل بكليته عليه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إكلأني كلائة الوليد ، فهذا استنصاحه له ، فهو تعالى يصرفه في مشيئته ، ويجعله في قبضته ، ويحوطه بعصمته ، ويصرفه في محابه ، فهذا نصحه له.." (١)

"٤٢٢

وقرأ الباقون بالدال الواحدة مع التشديد فأما من قرأ " يرتدد " فهو الأصل في اللغة وروي عن أبي عبيدة أنه قال رأيت في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه بالدالين وأما من قرأ " يرتد " لأنه أدغم الدال الأولى في الثانية فأسكن الأولى ثم حرك الثانية إلى النصب لالتقاء الساكنين

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أهل الردة الذين ارتدوا على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أن العرب ارتدوا وقالوا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أن نعطي من أموالنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خرج مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة وامتنعوا فشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف نقاتل قوما وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الزكاة من حقها ثم قال والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فاتفقت الصحابة على قول أبي بكر وجمعوا العسكر وجاءهم من قبل اليمن سبعة آلاف رجل واجتمع ثلاثة آلاف من أفتى الناس فخرجوا وأميرهم خالد بن الوليد وقاتلهم وخرج مسيلمة الكذاب مع أهل اليمامة واجتمع الأعراب معه وكان بينهم قتال شديد فقتل يومئذ من المسلمين مائة وأربعون رجلا ومنهم ثابت بن قيس بن شماس وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهما فكاد المسلمون أن ينهزموا كلهم حتى نصرهم الله وأظهرهم على أعدائه وقتل مسيلمة الكذاب وأصحابه وتاب أهل الردة فذلك قوله " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " يعني يحبون الله " أذلة على المؤمنين " يعني رحيمة لينة على المؤمنين " أعزة " يقول شديدة غليظة " على الكافرين " يعني أهل اليمين

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال " فسوف يأتي الله بقوم " يعني بجند من جنود الله مددا وعونا للخليفة أبي

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٣٨١

للخليفة أبي بكر يحبهم الله الوالد لولده ويحبونه كحب الولد لوالده " أذلة على المؤمنين " كالعبد لسيده و " وأعزه على." (١)

٤٢٣"

الكافرين) كالسبع على فريسته ويقال " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " هو أبو بكر وأصحابه وقال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه وقال الضحاك هو أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم حتى ردهم إلى الإسلام وهذا من كرامة أبي بكر حيث اتفقت الصحابة على رأيه وذلك أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم هم المنافقون أن يظهروا كفرهم وتحير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك حتى جاء عمر وصعد المنبر فقال من قال إن محمدا قد مات فأنا أفعل به كذا وكذا بل هو حي حتى يخرج إليكم وقد وعدنا الله تعالى أن يظهره على الدين كله فجاء أبو بكر فقال له انزل يا عمر فصعد أبو بكر فقال من كان يعبد محمدا فأن محمدا فقد مات ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت ومن أراد أن يرجع عن دينه فليس بيننا وبينه إلا السيف وفي رواية من كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت والسيف الذي أظهر الله به دينه بعث على عواتقنا ومن شاء أن يبرز فليبرزه وقال ابن مسعود كنا مثل الثعالب قال أبو بكر إن كل واحد منا كالأسد فلما سمع المنافقون ذلك كتموا نفاقهم وقرأ " إنك ميت وإنهم ميتون " الزمر ٣٠ وقرأ " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " آل عمران ١٤٤ فقال عمر كأني لم أكن سمعت هذه الآية ثم اختلاف آخر كان في دفنه فقال أبو بكر يدفن حيث مات فاتفقوا على قوله ثم اختلاف آخر كان في سقيفة بني ساعدة في أمر الخلافة فاتفقوا على قوله ثم اختلاف أهل الردة وكلهم اتفقوا على قوله فذلك قوله تعالى " يجاهدون في سبيل الله " يعني في طاعة الله عز وجل " ولا يخافون لومة لائم " يعني لا يخافون ملامة الناس بما يعملون من الطاعات " ذلك فضل الله " يعني ذلك توفيق الله " يؤتيه من يشاء " يعني يوفق به من يشاء ويقال ذلك دين الله الإسلام يهدي به من يشاء " والله واسع عليم " يعني " واسع " الفضل " عليم " بمن يصلح للهدى

سورة المائدة الآيات ٥٥ - ٥٦

قوله تعالى " إنما وليكم الله ورسوله " وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن اليهود أظهروا لنا العداوة وحلفوا أن لا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم بعيدة من المسجد ولا نجد مسجدا دون هذا المسجد فنزلت هذه الآية " إنما وليكم الله ورسوله " يقول حافظكم وناصركم الله ورسوله " والذين آمنوا " فقالوا يا رسول الله رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين وقال الضحاك إن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أتاه بنو أسد بن خزيمة وهم سبعمائة رجالهم ونساؤهم فلما قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله اغتربنا وانقطعنا عن قبائلنا وعشائرنا فمن ينصرنا فنزل " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا "

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٤٢٢/١

ثم

قال تعالى " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة " قال ابن عباس وذلك أن بلالا لما." (١)

"الحجة السابعة: أن قوله: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ لا شك أنه خطاب مع الأمة، وهم كانوا قاطعين بأن المتصرف فيهم هو الله ورسوله، وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبا لقلوب المؤمنين وتعريفا لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار، وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصرا له ومعينا له فأي حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى وإذا كان كذلك كان المراد بقوله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة، ولا شك أن لفظ الولي مذكور مرة واحدة، فلما أريد به ههنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا.

الحجة الثامنة: أنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله:

﴿ **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة: ٥٤] فإذا حملنا قوله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ على معنى المحبة والنصرة كان قوله ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ يفيد فائدة قوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وقوله:﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ [المائدة: ٥٤] يفيد فائدة قوله ﴿ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [المائدة: ٥٥] فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجوه أن الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف.أهـ(١)

٢– المائدة:٣

﴾

---

(١) – الفخر الرازي/تفسير مفاتيح الغيب(١٢/٣٠–٣١)." (٢)

"تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ثم ختم – سبحانه – الآية بوصفين جليلين فقال : ﴿ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى أنه – سبحانه – كثير الغفران والرحمة لمن تقرب إليه بالطاعة ، واتبع رسوله فيما جاء به من عنده .

ثم كرر – سبحانه – الأمر لرسوله A بأن يحض الناس على اتباع ما يسعدهم فقال له : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ الله والرسول ﴾ .

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ١/٤٢٣

(٢) بحث في التفسير بين السنة والشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ١/١٨٠

أى قل لهم يا محمد أطيعوا الله وأطيعوا رسوله في جميع الأوامر والنواهى ، وإن من يدعى أنه مطيع لله دون أن يتبع رسوله فإنه يكون كاذبا في دعواه ، ولذا لم يقل – سبحانه – أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، للإشعار بأن الطاعة واحدة وأن طاعة الرسول A طاعة لله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾ ثم ذكر – سبحانه – عاقبة العصاة المعاندين فقال : ﴿ فإن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الكافرين ﴾ أى : فإن أعرضوا عما تأمرهم به يا محمد ولم يستجيبوا لك واستمروا على كفرهم ، فإنهم لا ينالون محبة الله ، لأنهم كافرون .

ففى هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول A لأنه – سبحانه – نفى حبه عن الكافرين ، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه ، و لأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولى وهو أفحش أنواع الإعراض ، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيداً عن محبة الله .

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية ، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس في النفوس إخلاص العبادة لله ، والخشية من عقابه ، والأمل في ثوابه ، والإكثار من العلم الصالح الذى يؤدى إلى رضا الله ومحبته .

وبعد هذا الحديث الحكيم المتنوع – من أول السورة إلى هنا – عن وحدانية الله ، وقدرته النافذة وعلمه المحيط ، وعن أحقيته للعبادة والخضوع ، وعن الكتب السماوية وما اشتملت عليه من هدايات وعن محكم القرآن ومتشابهه ، وعن رعاية الله – تعالى – لعباده المؤمنين ، وعن تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم ، وعن الشهوات الذى ارتضاه الله لعباده ، وعن بعض الرذائل التى عرفت عن أكثر أهل الكتاب ، وعن حث الناس على مراقبة الله – تعالى – وإخلاص العبادة له حتى يكونوا ممن **يحبهم ويحبونه** فيسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم . . . بعد كل ذلك تحدث القرآن – في أكثر من ثلاثين آية – عمن اصطفاهم الله من عباده ، وعن جانب من قصة مريم ، وقصة زكريا وابنه يحيى – عليهما السلام – وعن قصة ولادة عيسى – عليه السلام – وما صاحبها من خرق للعادات ، وما منحه – سبحانه – من معجزات وعن محاجة الكافرين من أهل الكتاب في شأنه وكيف رد القرآن عليهم . . . استمع إلى القرآن الكريم وهو يحكى ذلك بأسلوبه البليغ المؤثر فيقول : ﴿ إِنَّ الله . . . ﴾ .." (١)

"قوله – تعالى – ﴿ مَن يَرْتَدَّ ﴾ من الارتداد . ومعناه : الرجوع إلى الخلف ونمه قوله – تعالى – ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ أي : ارجعوها على . وقوله : ﴿ إِنَّ الذين ارتدوا على أَدْبَارِهِمْ ﴾ والمراد بالارتداد هنا : الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر والضلال ، والخروج من الحق الذي جاء به رسول الله A إلى غيره من الأباطيل والأكاذيب .

قالوا : وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن من الذين دخلوا في الإسلام من سيرتد عنه إلى غيره من الكفر والضلال ، وقد كان الأمر كما أشارت الآية الكريمة؛ فقد ارتد عن الإسلام بعض القبائل كقبيلة بني حنيفة – قوم مسيلمة الكذاب – وقبيلة بني أسد ، وقبيلة بني مدلج وغيرهم .

وقد تصدى سيدنا أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين الصادقين للمرتدين فكسروا شوكة الردة ، وأعادوا لكلمة الإسلام

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٥٩٢

هيبتها وقوتها .

قال الآلوسي ما ملخصه : هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها – وقد وقع المخبر به على وفقها فيكون معجزاً – فقد روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة .

ثلاث في عهد الرسول A وهم : " بنو مدلج ، ورئيسهم الأسود العنسي و " بنو حنيفة " قوم مسيلمة الكذاب و " بنو أسد " قوم طليحة بن خويلد الأسدي . وسبع في عهد أبي بكر وهم : فزارة ، وغطفان ، وبنو سليم ، وبنو يربوع ، وبعض بني تميم ، وكنده ، وبنو بكر بن وائل .

وارتدت فرقة واحدة في عهد عمر وهي قبيلة " غسان قوم جبلة بن الأيهم " .

والمعنى : يا أيها الذين آمنوا لا يتخد أحد منكم أحدا من أعداء الله وليا ونصيراً لأن ولايتهم تفضي إلى مضرتكم وخسرانكم . بل وإلى ردتكم عن الحق الذي آمنتم به ، ومن يرتدد منكم عن دينه الحق إلى غيره من الأديان الباطلة فلن يضر الله شيئا ، لأنه – سبحانه – سوف يأتي بقوم آخرين مخلصين له ، ومطيعين لأوامره ، ومستجيبين لتعاليمه . بدل أولئك الذين ارتدوا على أدبارهم ، وكفروا بعد إيمانهم . قال – تعالى – : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يكونوا أَمْثَالَكُم ﴾ ولفظ ﴿ فسوف ﴾ جيء به هنا لتأكيد وقوع الأمر في المستقبل ، إذا ما ارتد بعض الناي على أدبارهم .

وقد وصف الله – تعالى – أولئك القوم الذين يأتي بهم بدل الذين كفروا بعد إيمانهم ، وصفهم بعدد من الصفات الحميدة ، والسجايا الكريمة .

وصفهم – أولا – بقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .

ومحبة الله – تعالى – للمؤمنين هي أسمى نعمة يتعشقونها ويتطلعون إليها ، ويرجون حصولها ودوامها . وهي – كما يقول الآلوسي – محبة تليق بشأنه على المعنى الذي أراده .

ومن علاماتها : أن يوفقهم – سبحانه – لطاعته ، وأن ييسر لهم الخير في كل شئونم .." (١)

"وقوله – تعالى – : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله ﴾ مبتدأ وخبر ، أو ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ خبر لمتبدأ محذوف ، و ﴿ رَّسُولُ الله ﴾ بدل أو عطف بيان من الاسم الشريف . أى : هذا الرسول الذى أرسله الله – تعالى – بالهدى ودين الحق ، هو محمد رسول الله – A – . ﴿ والذين مَعَهُ ﴾ وهم أصحابه – وعلى رأسهم من شهد معه صلح الحديبية ، وبايعه تحت الشجرة – من صفاتهم أنهم ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار ﴾ أى : غلاظ عليهم ، وأنهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

أى : أنهم مع إخوانهم المؤمنين يتوادون ويتعاطفون ويتعاونون على البر والتقوى . .

وقوله – تعالى – ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله ﴾ فيه أسمى التكريم للرسول – A – حيث شهد له – سبحانه – بهذه الصفة ، وكفى بشهادته – D – شهادة ، وحيث قدم الحديث عنه بأنه أرسله بالهدى ودين الحق ، ثم أخر اسمه الشريف على سبيل التنويه بفضله ، والتشويق إلى اسمه .

وفى وصف أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، مدح عظيم لهم ، وجمع بين الوصفين على سبيل الاحتراس ،

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/١٣٠٠

فهم ليسوا أشداء مطلقا ، ولا رحماء مطلقا ، وإنما شدتهم على أعدائهم ، ورحمتهم لإخوانكم فى العقيدة ، وشبيه بهذه الآية قوله – تعالى – ﴿ ياأيها الذين آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائم . . . ﴾ قال صاحب الكشاف : " وعن الحسن أنه قال : " بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم ، أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه . .

وأسمى من هذا كله فى بيان تراحمهم قوله – تعالى – : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . ﴾ ثم وصفهم بوصف آخر فقال : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً ﴾ .

أى : تراهم وتشاهدهم – أيها العاقل – راكعين ساجدين محافظين على الصلاة ولا يريدون من وراء ذلك إلا التقرب إلى الله – تعالى – والظفر برضاه وثوابه . .

ثم وصفهم بوصف ثالث فقال : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السجود . . ﴾ أى : علامتهم وهو نور يجعله الله – تعالى – فى وجوههم يوم القيامة ، وحسن سمت يعلو وجوههم وجباههم فى الدنيا ، من أثر كثرة سجودهم وطاعتهم لله رب العالمين .

فالمقصود بهذه الجملة بيان أن الوضاءة والإشراق والصفاء . . يعلو وجوههم من كثرة الصلاة والعبادة لله ، وليس المقصود أن هناك علامة معينة – كالنكتة التى تكون فى الوجه – كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان .

واختار – سبحانه – لفظ السجود ، لأنه يمثل أعلى درجات العبودية والإخلاص لله – تعالى – .." (١)

" ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه و سلم فأخبرهم تعالى أنه س ﴿ يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ كالولد لوالده والعبد لسيده ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ غلاظ عليهم كالسبع على فريسته ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ كالمنافقين الذين كانوا يرقبون الكافرين ويخافون لومهم في نصرة الدين ﴿ ذلك فضل الله ﴾ أي : محبتهم لله عز و جل ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكفار بفضل من الله عليهم ." (٢)

"هذه الآية وعيد لمن يرتد فيما يستقبل ، لأن الله تعالى قد علم أنه سيرتد بعد وفاة نبيه قوم.

وقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ : قال الحسن والضحاك وغيرهما : هم أبو بكر الصديق وأصحابه ، ردوا من ارتد بعد النبي وقال : لا نؤدي الزكاة إلى [أهل] الإيمان.

وقيل : هم أهل اليمن . وقيل هم آل أبي موسى الأشعري ، " روي أن النبي A أومأ إلى أبي موسى الأشعري عند نزول هذه

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٩٢٤

(٢) الوجيز للواحدي، ص/٣٢٤

الآية ، وقال : هم قوم هذا ، وهم أهل اليمن " وعن مجاهد أنه قال : " هم قوم سبإ " . وقال السدي : هم الأنصار .."
(١)

" صفحة رقم ٤٧

قوله تعالى :) فترى الذين في قلوبهم مرض (فيه تأويلان :

أحدهما : أن المرض الشك وهو قول مقاتل .

والثاني : النفاق ، وهو قول الكلبي .

وفيهم قولان :

أحدهما : المعني به عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول ، وهذا قول عطية بن سعد .

والثاني : أنهم قوم من المنافقين .

) . . . . يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة (والدائرة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له ، سميت بذلك لأنها تدور إليه بعد زوالها عنه ، ومنه قول الشاعر : يرد عنا القدر المقدورا

ودائرات الدهر أن تدورا

) فعسى الله أن يأتي بالفتح (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد فتح مكة ، قاله السدي .

والثاني : فتح بلاد المشركين على المسلمين .

والثالث : أن القضاء الفصل ، ومنه قوله تعالى :) افتح بيننا وبين قومنا بالحق (" [الأعراف : ٨٩] ، قاله قتادة .

) أو أمر من عنده (فيه أربعة أقاويل :

أحدها : هو دون الفتح الأعظم .

الثاني : أنه موت من تقدم ذكره من المنافقين .

الثالث والرابع : أنه الجزية ، قاله السدي . (المائدة : (٥٤ - ٥٦) يا أيها الذين . . . . .

" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك." (٢)

" صفحة رقم ٤٨

فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " (قوله تعالى :) يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (فيهم ثلاثة أقاويل :

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، ١٧٨٤/٣

(٢) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ٤٧/٢

أحدها : أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة ، قاله : علي ، والحسن ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن ، وقد روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حين نزلت هذه الآية إليه أومأ إلى أبي موسى الأشعري بشيء كان فى يده وقال : (هم قوم هذا) قاله : مجاهد وشريح .

) أذلة على المؤمنين (يعني أهل رقة عليهم .

) أعزة على الكافرين (يعني أهل غلظة عليهم ، يحكى ذلك عن علي ، وابن عباس .

وهي في قراءة عبد الله بن مسعود :) أذلة على المؤمنين غلظ على الكافرين (.

قوله تعالى :) إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا . . . (الآية ، وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أصحابه حين شكوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أظهره اليهود من عداوتهم لهم ، قاله الكلبي .." (١)

"٦١- وإنك - أيها الرسول - قد بلغت وهو معلوم لله ، وما تكون فى أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل ، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شئ فى وزن الذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من هذا ولا أكبر منه . إن ذلك كله يسجل فى كتاب عند الله بين واضح .

٦٢- تنبهوا - أيها الناس - واعلموا أن الموالين لله بالإيمان والطاعة **يحبهم ويحبونه** ، لا خوف عليهم من الخزى فى الدنيا ، ولا من العذاب فى الآخرة ، وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا؛ لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر .

٦٣- وهم الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصى ، وخافوا الله فى كل أعمالهم .

٦٤- لهؤلاء الأولياء البشرى بالخير فى الدنيا ، وما وعدهم الله به من نصر وعزة ، وفى الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به ، وهذا الذى بشروا به فى الدنيا ، وظفروا به فى الآخرة هو الفوز العظيم .

٦٥- ولا تحزن - أيها الرسول - لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل إن النتيجة لك وسيعتز الإسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفترون عليك ، العليم بما يضمرونه ، وسيجازيهم على ذلك .." (٢)

"" صفحة رقم ١٣٩ " "

سواه ، والمشركون إذا اتخذوا صنما ، ثم رأوا أحسن منه ، طرحوا الأول ، واختاروا الثاني قاله ابن عباس - رضي الله عنهما .

---

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ٢/٤٨

(٢) المنتخب، ١/٣٤٣

وقال قتادة : إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ، ويقبل على الله تعالى [كما أخبر الله تعالى عنهم ، فقال : (فإذا ركبوا فى لفلك دعوا الله مخلصين ([العنبكوت : ٦٥] والمؤمن لا يعرض عن الله] في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ؛ وقال سعيد بن جبير : إن الله – عز وجل – يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام : أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم ، فلا يدخلون ؛ لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام ، ثم يقول للمؤمنين ، وهم بين أيدي الكفار : إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها ، فينادي مناد من تحت العرش) والذين آمنوا أشد حبا لله) .

وقيل : وإنما قال : (والذين آمنوا أشد حبا لله (؛ لأن الله تبارك تعالى أحبهم أولا ، ثم أحبوه ، ومن شهد له المعبود بالمحبة ، كانت محبته أتم ؛ قال الله تعالى : " **يحبهم ويحبونه** " .

فإن قيل : كيف يمكن أن تكون محبة المؤمن لله أشد مع أنا نرى اليهود يأتون بطاعات شاقة ، لا يأتي بمثلها أحد من المؤمنين ، ولا يأتون بها إلا الله تعالى ، ثم يقتلون أنفسهم حبا لله ؟ والجواب من وجوه :

أحدها : ما تقدم من قول ابن عباس ، وقتادة ، وسعيد بن جبير .

وثانيها : أن من أحب غيره رضي بقضائه ، فلا يتصرف في ملكه ، فأولئك الجهال [قتلوا أنفسهم بغير إذنه ، إنما المؤمنون الذي يقتلون أنفسهم بإذنه ، وذلك في الجهاد] .

وثالثها : أن الإنسان ، إذا ابتلي بالعذاب الشديد لا يمكنه الاشتغال بمعرفة الرب ، فالذي فعلوه باطل .

ورابعها : أن المؤمنين يوحدون ربهم ، فمحبتهم مجتمعة لواحد ، والكفار يعبدون مع الصنم أصناما ، فتنقص مبحة الواحد منهم ، أما الأإله الواحد فتنضم محبة الجمع إليه .

قوله تعالى : (ولو يرى لذين ظلموا ا (جواب " لو " محذوف ، واختلف في تقديره ، ولا يظهر ذلك إلا بعد ذكر القراءات الواردة في ألفاظ هذه الآية الكريمة . قرأ عامر ونافع : " ولو ترى " بتاء الخطاب ، " أن القوة " و " أن الله " بفتحهما . وقرأ ابن عامر : " إذ يرون " بضم الياء ، والباقون بفتحها .." (١)

"" " صفحة رقم ٤٠٥ " "

طرف من أطراف العالم ؛ لأداء فرض الصلاة ، فكان الدوام حاصلا من هذه الجهة ، وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام – أيضا – .

وأما كونه هدى للعالمين ، فقيل : لأنه قبلة يهتدون به إلى جهة صلاتهم .

وقيل : هدى ، أي : دلالة على وجود الصانع المختار ، وصدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في النبوة ، بما فيه من الآيات والعجائب التي ذكرناها .

وقيل : هدى للعالمين إلى الجنة ؛ لأن من أقام الصلاة إليه استوجب الجنة .

قوله : (فيه آيات بينات (يجوز أن تكون هذه الجملة في محل نصب على الحال ، إما من ضمير " وضع " وفيه ما تقدم من الإشكال .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣/١٣٩

وأما من الضمير في " ببكة " وهذا على رأي من يجيز تعدد الحال الذي حال واحد .

وإما من الضمير في " للعالمين " ، وإما من " هدى " ، وجاز ذلك لتخصصه بالوصف ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في " مباركا " .

ويجود أن تكون الجملة في محل نصب ؛ نعتا ل " هدى " بعد نعته بالجار قبله . ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة ، لا محل لها من الإعراب ، وإنما جيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه ، ويجوز أن يكون الحال أو الوصف على ما مر تفصيله هو الجار والمجرور فقط ، و " آيات " مرفوع بها على سبيل الفاعلية لأن الجار متى اعتمد على أشياء تقدمت أول الكتاب رفع الفاعل ، وهذا أرجح من جعلها جملة من مبتدأ وخبر ؛ لأن الحال والنعت والخبر أصلها : أن تكون مفردة ، فما قرب منها كان أولى ، والجار قريب من المفرد ، ولذلك تقدكم المفرد ، ثم الظرف ، ثم الجملة فيما ذكرنا ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ([غافر : ٢٨] ، فقدم الوصف بالمفرد " مؤمن " ، وثنى بما قرب منه وهو) من آل فرعون ([البقرة : ٤٩] ، وثلث بالجملة وهي) يكتم إيمانه (وقد جاء في الظاهر عكس هذا ، وسيأتي الكلام عليه – إن شاء الله – عند قوله : (بقوم يحبهم ويحبونه أذلة ([المائدة : ٤٥] .

قوله : (مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا (فيه أوجه :

أحدها : أن " مقام " : بدل من " آيات " وعلى هذا يقال : إن النحويين نصوا على أنه متى ذكر جمع لا يبدل منه إلا ما يوفي بالجمع ، فتقول : مررت برجال زيد وعمرو وبكر ؛ لأن أقل الجمع – على الصحيح – ثلاثة ، فإن لم يوف ، قالوا : وجب القطع عن البدلية ، إما إلى النصب بإضمار فعل ، وإما إلى الرفع ، على مبتدأ محذوف الخبر ، كما تقول – في المثال المتقدم – زيدا وعمرا ، أي : أعني زيدا وعمرا ، أو زيد وعمرو ، أي : منهم زيد وعمرو .

ولذلك أعربوا قول النابغة الذبياني : [الطويل]." (١)

"" " صفحة رقم ٣٨٧ " "

الثالث : أنها في محل نصب ؛ لأنها من جملة قول المؤمنين ، ويحتمل معنيين كالمعنيين في الاستئناف ، أعني : كونه إخبارا أو دعاء .

الرابع : أنها في محل رفع على أنها خبر المبتدأ ، وهو " هؤلاء " ، وعلى هذا فيحتمل قوله " الذين أقسموا " وجهين : أحدهما : أنه صفة لاسم الإشارة ، والخبر : " حبطت أعمالهم " . والثاني : أن " الذين " خبر أول ، و " حبطت " خبر ثان عند من يجيز ذلك ، وجعل الزمخشري " حبطت أعمالهم " مفهمة للتعجب .

قال : وفيه معنى التعجب كأنه قيل : " ما أحبط أعمالهم ما أخسرهم " ، وأجاز مع كونه تعجبا أن يكون من قول المؤمنين ، فيكون في محل نصب ، وان يكون من قول الباري – تعالى – لكنه أول التعجب في حق الله – تعالى – بأنه تعجيب ، قال : " أو من قول الله – عز وجل – شهادة لهم بحبوط الأعمال ، وتعجيبا من سوء حالهم " والمعنى : ذهب ما أظهروه من الإيمان ، وبطل كل خير عملوه ؛ لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥/٤٠٥

، [أما في الدنيا فلذهاب ما عملوا ولم يحصل لهم شيء من ثمرته ، وأما في الآخرة] فلاستحقاقهم اللعن والعذاب الدائم ، وقرأ أبو واقد والجراح " حبطت " بفتح " الباء " ، وهما لغتان ، وقد تقدم ذلك .

وقوله تعالى : " فأصبحوا " وجه التسبب في هذه الفاء ظاهر .

(يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم (

قوله : " من يرتد " " من " شرطية فقط لظهور أثرها .

وقوله تعالى : " فسوف " جوابها وهي مبتدأة ، وفي خبرها الخلاف المشهور وبظاهره يتمسك من لا يشترط عود الضمير على اسم الشرط من جملة الجواب ، ومن التزم ذلك قدر ضميرا محذوفا تقديره : " فسوف يأتي الله بقوم غيرهم " ، ف " هم " في " غيرهم " يعود على " من " على معناها .

وقرأ ابن عامر ، ونافع : " يرتدد " بدالين .." (١)

"" " صفحة رقم ٣٩٠ " "

بأنه سيأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** . وعلى هذا التقدير : تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب ، وقد وقع المخبر على وفقه ، فيكون معجزا .

واختلفوا في القوم من هم ؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج : أبو بكر وأصحابه - رضي الله عنهم - الذين قاتلوا أهل الردة ، قالت عائشة - رضي الله عنها - مات رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وارتد من العرب قوم [واشتهر] النفاق ، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وذلك بأن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة . والبحرين من عبد القيس ، ومنع بعضهم الزكاة ، وهم أبو بكر بقتالهم ، فكره ذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

وقال عمر - رضي الله عنه - : كيف نقاتل الناس ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه ، إلا بحقه ، وحسابه على الله " فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لقاتلتهم على منعها " .

قال أنس - رضي الله عنه - : كرهت الصحابة - رضي الله عنهم - قتال مانعي الزكاة ، وقالوا أهل القبلة ، فتقلد أبو بكر سيفه ، وخرج وحده ، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره .

قال ابن مسعود : كرهنا ذلك في الابتداء ، ثم حمدناه عليه في الانتهاء ، قال أبو بكر ابن عياش : سمعت أبا حصين يقول : ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر - رضي الله عنه - ، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٨٧/٧

وقال السدي : نزلت الآية في الأنصار ؛ لأنهم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين .

وقال مجاهد : نزلت في أهل " اليمن " .." (١)

"" صفحة رقم ٣٩٢ " "

فقدم قوله : " يغشي " - وهو جملة - على " أسود " وما بعده ، وهن مفردات ، وعند هذا القائل أنه يبدأ بالمفرد ، ثم بالظرف أو عديله ، ثم بالجملة ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ([غافر : ٢٨]) وه اذا كتاب أنزلناه مبارك ([الأنعام : ١٥٥] .

قال أبو حيان : وفيها دليل على بطلان من يعتقد وجوب تقديم الوصف بالاسم على الوصف بالفعل إلا في ضرورة ، ثم ذكر الآية الآخرى .

قال شهاب الدين : وليس في هاتين الآيتين الكريمتين ما يرد قول هذا القائل ، أما هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى : " **يحبهم ويحبونه** " جملة اعتراض ، لأن فيها تأكيدا وتشديدا للكلام .

وجملة الاعتراض تقع بين الصفة وموصوفها ، كقوله تعالى : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ([الواقعة : ٧٦] ف " عظيم " صفة ل " قسم " ، وقد فصل بينهما بقوله : " لو تعلمون " ، فكذلك فصل هنا بين " بقوم " ، وبين صفتهم وهي " أذلة - أعزة " بقوله : " **يحبهم ويحبونه** " ، فعلى هذا لا يكون لها محل من الإعراب .

وأما) وه اذا كتاب أنزلناه مبارك ([الأنعام : ١٥٥] فلا نسلم أن " مبارك " صفة ، ويجوز أن يكون [خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو مبارك] ولو استدل على ذلك بآيتين غير هاتين لكان أقوى ، وهما قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ([الأنبياء : ٢] ،) وما يأتيهم من ذكر من الرحم ان محدث ([الشعراء : ٥] فقدم الوصف بالجار على الوصف بالصريح ، وكذا يحتمل أن يقال : لا نسلم أن " من ربهم " و " من الرحمن " صفتان لجواز أن يكونا حالين مقدمين من الضمير المستتر في " محدث " أي : محدث إنزاله حال كونه من ربهم . و " أذلة " جمع ذليل بمعنى متعطف ؛ ولا يراد به الذليل الذي هو ضعيف خاضع مهان : ولا يجوز أن يكون جمع " ذلول " ؛ لأن ذلولا يجمع على " ذلل " لا على أذلة ، وإن كان كلام بعضهم يوهم ذلك .

قال الزمخشري : ومن زعم أنه من " الذل " الذي هو نقيض الصعوبة ، فقد غبي عن أن " ذلولا " لا يجمع على " أذلة "
.

و " أذلة " و " أعزة " جمعان ل " ذلل " و " عزيز " وهما مثالا مبالغة ، وعدى " أذلة " ب " على " وإن كان أصله أن يتعدى باللام لما ضمن من معنى الحنو والعطف ، والمعنى : عاطفين [على المؤمنين] على وجه التذلل والتواضع ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم مع." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٩٠/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٣٩٢/٧

"" " صفحة رقم ٥٢٢ " "

(٧ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنمآ أنزل الكتاب على طآئفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنآ أنزل علينا الكتاب لكنآ أهدى منهم فقد جآءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (

قوله تعالى : (وه اذا كتاب أنزلناه مبارك (الآية .

يجوز أن يكون "كتاب " و " انزلناه " و " مبارك " إخبارا عن اسم الإشارة ، عند من يجيز تعدد الخبر مطلقا ، أو بالتأويل عند من لم يجوز ذلك ، ويجوز أن يكوزن " أنزلناه " ، و " مبارك " : وصفين ل "كتاب " عند من يجيز تقديم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح ، وقد تقدم تحقيق ذلك في السورة قبلها ، في قوله – سبحانه – : (بقوم **يحبهم ويحبونه** ([المائدة : ٥٤] .

قال أبو البقاء : " ولو كان قرئ : " مباركا " بالنصب على الحال ، لجاز " ولا حاجة إلى مثل هذا ، وقدم الوصف بالإنزال ؛ لأن الكلام مع منكري أن الله ينزل على البشر كتابا ، ويرسل رسولا ، وأما وصف البركة ؛ فهو أمر متراخ عنهم ، وجيء بصفة الإنزال بجملة فعلية أسند الفعل فيها إلى ضمير المعظم نفسه مبالغة في ذلك ، بخلاف ما لو جيء بها اسما مفردا .

والمراد بالكتاب : القرآن ، ووصفه بالبركة ، أي : لا يتطرق إليه النسخ ، كما في الكتابين ، والمراد : كثير الخير والنفع .

) ف اتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) .

قيل : " اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة " .

وقيل : اتقوا لترحموا ، أي : ليكون الغرض بالتقوى ، رحمه الله – تعالى – .

قوله : " ان تقولوا " فيه وجهان :

أحدهما : أنه مفعول من أجله .

قول أبو حيان : " والعامل فيه " أنزلناه " مقدرا ، مدلولا عليه بنفس " أنزلناه " الملفوظ به ، تقديره : أنزلناه أن تقولوا " .

قال : " ولا جائز أن يعمل فيه " أنزلناه " الملفوظ به ؛ لئلا يلزم الفصل بين العامل ومعموله بأجنبي ، وذلك أن مبارك " : إما صفة ، وإما خبر ، وهو أجنبي بكل من التقديرين " وهذا الذي منعه هو ظاهر قول الكسائي ، والفراء .." [١]

"" صفحة رقم ٣٤ "

قتادة : إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء و يقبل على الله عز وجل لقوله :) فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (.

قوله تعالى :) وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه (.

والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه .

الحسن : إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم للأصنام :) هؤلاء شفعاؤنا عند الله (.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٢٢/٨

وقوله :) وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (.

والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة ولذلك قال عز من قائل :) والذين آمنوا أشد حبا لله (.

سعيد بن جبير : إن الله يأمر يوم القيامة من أحرف نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فيأتون لعلمهم إن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكافرين : إن كنتم أحبائي لا تحبون النار فينادي مناد من تحت العرش) والذين آمنوا أشد حبا لله (.

وقيل : لأن حب المشركين لأوثانهم مشترك لأنهم يحبون الأنداد الكثيرة وحب المؤمنين لربهم غير مشترك لأنهم يحبون ربا واحدا ، وقيل : لأن حبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي .

وقيل إن حبهم للأصنام بالتقليد وحب المؤمنين لله تعالى بالدليل والتمييز .

وقيل : لأن الكافرين يرون معبودهم ومصنوعهم والمؤمنون يرون الله تعالى صانعهم ، وقيل : لأن المشركين أحبوا الأصنام وعاينوها والمؤمنون يحبون الله ولم يعاينوه بل آمنوا بالغيب في الغيب للغيب .

وقيل : إنما قال) والذين آمنوا أشد حبا لله (لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كان محبته أتم وأصح .

قال الله تعالى :) **يحبهم ويحبونه** (.

وقرأ أبو رجاء العطاردي : يحبونهم بفتح الياء وهي لغة يقال : حببت الرجل فهو محبوب." (١)

"" صفحة رقم ٧٥ "

قال ابن عباس : قال كعب بن لبيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قبيص بعضهم لبعض : إذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا : يا محمد قد عرفت أنا أعيان اليهود وأشرافهم وإنا إن إتبعناك إتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فنقضي إما عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله فيهم هذه الآية) فإن تولوا (أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن) فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم بعض ذنوبهم (أي فاعلم إن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم أي شؤم عصيانهم .

) وإن كثيرا من الناس (يعني اليهود) لفاسقون (

المائدة : (٥٠) أفحكم الجاهلية يبغون . . . . .

) أفحكم الجاهلية يبغون (قرأ ابن عامر بالتاء ، وفي الباقون بالياء .

) ومن أحسن من الله حكما (الآية .

( ) يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء بعضهم أوليآء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على مآ أسروا فأنفسهم نادمين ويقول الذين ءامنوا أهاؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم

---

(١) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع، ٣٤/٢

حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذالك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلواة ويؤتون الزكواة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٢

المائدة : (٥١) يا أيها الذين . . . . .

) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء (إختلفوا في نزول هذه الآية ، فإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين .

فقال العوفي والزهري : لما انهزم أهل بدر ، قال المسلمون لأوليائهم من اليهود أهربوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر . فقال مالك بن الصيف : أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال ، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقتلونا .

فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم ، قوية أنفسهم ، شديدة شوكتهم كثيرا سلاحهم وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود ، ولا مولا لي إلا الله ورسوله ، قال عبد الله بن أبي : لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (يا أبا الحباب ما نفست." (١)

"" صفحة رقم ٧٨ "

بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد إليه في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب صعب شديد وكان وحشي : يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وقتلت شر الناس في الإسلام .

والفرقة الثالثة : بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد فادعى النبوة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأول من قتل بعد وفاته (عليه السلام) من أهل الردة ، فعسكر واستكشف أمره فبعث إليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خالد بن الوليد فهزموهم بخالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة ومر على امرأته هاربا نحو الشام فلجأ إلى بني جفنة فأجاروه ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، فهذه الثلاث الذين ارتدت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأما السبعة الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) ، لما مات رسول الله (عليه السلام) شمتت اليهود والنصارى وأظهر النفاق من كان يخفيه وماج الناس وكثر القيل والقال . وارتدت العرب على أعقابها ، فارتدت فزار ورأسوا عليهم عيينة بن عين بن بدر ، وارتدت غطفان ، وأمروا عليهم قرة بن سلمة القسري ، وارتدت بنو سليم ورأسوا عليهم النجاخ ابن عبد ياليل ، وارتدت بنو يربوع ورأسوا عليهم مالك بن نويرة . وارتدت طائفة أخرى من بني تميم ورأسوا إمرأة منهم يقال لها : سجاح بنت المنذر وادعت النبوة ثم إنها زوجت

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ٧٥/٤

نفسها من مسيلمة الكذاب .

وارتدت كندة ورأسوا على أنفسهم الأشعث بن قيس . وارتدت بنو بكر بن وائل بأرض البحرين ورأسوا عليهم الحطم بن زيد فلقى الله أمر هؤلاء المرتدين ونصر دينه على يدي أبي بكر (رضي الله عنه) وأما الذي كان على عهد عمر (رضي الله عنه) رأسهم الغاني وأصحابه ، وأخبار أهل الردة مشهورة في التواريخ مسطورة يطول بذكرها الكتاب .

) فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة : هم أبو بكر وأصحابه ، مجاهد : هم أهل اليمن ، وقال غياض بن غنم الأشعري : لما نزلت هذه الآية أومى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي موسى الأشعري فقال : هم قوم هذا .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : (أتاكم أهل اليمن ، هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يماني والحكمة يمانية) .

الكلبي : هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة ألآف من كندة وبجيلة وثلاث آلاف من سائر الناس فجاهدوا في سبيل الله بالقادسية." (١)

"" صفحة رقم ١٠٨ "

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله وقلت : يا نبي الله من عند الله أم من عندك ؟ قال : (بل من عند الله) ثم تلا عليهم :) لقد تاب الله على النبي والمهاجرين (إلى قوله) وكونوا مع الصادقين (وقلت : يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث الأصدقاء حتى أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال : (أمسك عليك بعض مالك فهو اخير لك) ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي من خيبر قال : فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين صدقته أنا وصاحباي أن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا وأني لأرجو أن لا يكون الله عز وجل أبلا أحدا في الصدق (منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا) وأني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي ، هذا ما انتهى الينا من حديث الثلاثة الذين خلفوا .

) حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت (المفسرون : أي ضاقت عليهم الأرض برمتها) وضاقت عليهم أنفسهم ((ضاقت صدورهم بالهم والوحشة)) وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه (سمعت الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري وإبراهيم بن محمد بن زيد النيسابوري وعبد الله ختن والي بلد العراق يقول : سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح قال : أن تضيق علينا بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبه) ثم تاب عليهم (إعادة تأكيد ليتوبوا فهذا بالتوبة منه .

سمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي ، سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رميح الزيدي ، سمعت الحسن بن علي الدامغاني يقول : قال أبو يزيد : غلطت في أربعة أشياء : في الإبتداء مع الله سبحانه ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني قال الله تعالى :) يحبهم ويحبونه (فظننت أني أرضى عنه فاذا هو رضي عني قال الله تعالى :) رضى الله عنهم ورضوا عنه (وظننت أني أذكره فإذا هو ذكرني قال الله تعالى :) ولذكر الله أكبر (وشئت أن أتوب فإذا هو تاب علي قال الله تعالى :

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ٧٨/٤

) ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (

التوبة : (١١٩) يا أيها الذين . . . . .

) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (قال نافع : يعني مع محمد وأصحابه . سعيد بن جبير : مع أبي بكر وعمر ، ابن جريج وابن حبان : مع المهاجرين دليله قوله تعالى :) للفقراء المهاجرين (إلى قوله) أولئك هم الصادقون (.

أخبرني عبد الله بن محمد بن عبد الله . محمد بن عثمان بن الحسن . محمد بن الحسين." (١)

"﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه. وأن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أن الله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

كما أن من لازم (١) محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".

[ص ٢٣٦]

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.

ومن صفاتهم أنهم ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ١٠٨/٥

دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. ﴿ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم.

ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم منَّ الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير –أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا.

---

(١) في ب: لوازم." (١)

"﴿ ٣٦-٣٨ ﴾ ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ * هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾ بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفا، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم، ولهذا قال: ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها، أنكم ﴿ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٣٥

على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

﴿ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ﴾ أي: فكيف لو سألكم، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك.

[ص ٧٩١] ثم قال: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.

فإن الله هو ﴿ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾

تم تفسير سورة القتال، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"﴿ ١ - ٢٢ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته.

﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

وقيل: إن المقسم عليه قوله ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ ﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و ﴿ الأخدود ﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول (١) في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودًا [في الأرض]، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٩٠

استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة (٢) يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله.

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خلقًا وعبيدًا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه (٣) ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ علمًا وسمعًا وبصرًا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم مماليك لله (٤) ، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم (٥) ؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى (٦) عن سواء السبيل.

ثم وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه [ص ٩١٩] وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بقلوبهم ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ بجوارحهم ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ الذي حصل به الفوز (٧) برضا الله ودار كرامته.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام [لقوية] شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك (٨) ، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ الْوَدُودُ ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ الودود ﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر.

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه"

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون ﴿ المجيد ﴾ نعتا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله (٩) ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُود ﴾ وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ أي: قد أحاط بهم علمًا وقدرة، كقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره.

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم.

﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسير السورة.

---

(١) في ب: على الدخول.

(٢) في ب: حالة.

(٣) في ب: يتصرف فيهم بما يشاء.

(٤) في ب: أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم مماليك لله.

(٥) في ب: مجازيهم عليها.

(٦) في ب: والجاهل في عمى وضلال.

(٧) في ب: حصل لهم الفوز.

(٨) في ب: فلا يشاركه في ذلك مشارك.

(٩) في ب: فإنه يكون نعتًا لله.." (١)

"٦ . ومهما كان الزمخشري يميل إلى القول بالتأويل ويتذرع به في صرف بعض آي القرءان عن المعاني التي قد تعارض معتقده ، فإنه يرفض التأويل الذي فشا بين بعض الناس على طريقة الصوفية ، وقد أبان عن موقفه هذا عندما سخر من أصحاب هذا المسلك في فهم كتاب الله تعالى ومذهبهم الغريب في حمل كلام الله على معان بعيدة لا تدل عليها نصوص القرءان من قريب أو بعيد ، وذلك في موضع واحد من كشافه في تفسيره لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .. " سورة المائدة : ٥٦

قال الزمخشري : (محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته ، وألا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ، ويثني عليهم ويرضى عنهم ، وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسواهم طريقة ، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء ، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق ، والتغني على كراسيهم خربها الله ، وفي مراقصهم عطلها الله ، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء ، وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور ، فتعالى الله عنه علوا كبيرا ..)(١)

---

(١) . الكشاف : ١/٦٤٦ . ٦٤٧." (٢)

"منها أنه كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه ، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة ، وتعسفات جامدة ، وصرف الآية بلا نكتة من غير ضرورة عن الظاهر تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى ، وليته يكتفي بقدر الضرورة ، بل يبالغ في الإطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير ، فتراه مشحونا بالاعتزالات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام ، والخفية التي لا يتسارع إليها الأوهام ، بل لا يهتدي إلى حبائله إلا وارد بعد وارد من الاذكياء الحذاق ، ولا يتنبه لمكايده إلا واحد من فضلاء الآفاق ، ، وهذه آفة عظيمة ، ومصيبة جسيمة .

ومنها أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده ، ويغفل عن هذا الصنع لفرط عناده ، ونعم ما قال الرازي في تفسير قوله تعالى " **يحبهم ويحبونه** .." (خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن في أولياء الله تعالى ، وكتب منها ههنا ما لا يليق بالعاقل أن يكتب مثله في كتب الفحش ، فهب أنه اجترأ على الطعن في أولياء الله تعالى ، فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد ..)(١)

ومنها أنه مع تبحره في جميع العلوم على الإطلاق موصوف بلطائف المحاورة ونفائس المحاضرة أورد فيها أبياتا كثيرة ، وأمثالا غزيرة بنيت على الهزل والفكاهة أساسهما ، وأوقدت على المزاح البارد نبراسهما ، وهذا أمر من الشرع والعقل بعيد ، سيما

---

(١) تفسير السعدي، ص/٩١٨

(٢) الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص/١٣

عند أهل العدل والتوحيد .
ومنها أنه يذكر أهل السنة والجماعة ـ وهم الفرقة الناجية ـ بعبارات فاحشة فتارة يعبر عنهم بالمجبرة ، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد ، وهذه وظيفة السفهاء الشطار ، لا طريقة العلماء الأبرار .)(٢)
أما الذين انتقدوه على وجه التفصيل ، ووضعوا في ذلك مصنفات ، فنذكر منهم :

---

(١) . الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١٢/١٧

(٢) . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ١٤٨٢/٢." (١)

"فائدة أخرى : كل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولام اتفق القراء على توحيدها ، وما فيها ألف ولام كما هنا ، اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا الحرف الأول في سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها ، والريح تذكر وتؤنث ﴿والسحاب﴾ أي : الغيم ﴿المسخر﴾ أي : المذلل بأمر الله يسير حيث شاء الله ﴿بين السماء والأرض﴾ بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله. وقيل : تسخير السحاب تقليبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب ؛ لأن بعضه يجر بعضا ﴿لآيات﴾ أي : دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ أي : ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون ؛ لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة. وقول البيضاوي : وعن النبي صلى الله عليه وسلم "ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها". أي : لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. قال الولي العراقي : لم أقف عليه. وقال السيوطي : لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ ، ثم قال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أنزل علي الليلة ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾" ثم قال : "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها". قيل : للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن ؟

قال : يقرأهن وهو يعقلهن انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضا في هذه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضاوي : وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه انتهى.

ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه ؛ لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام ؛ لأنه محمول على التوغل فيه ، فيصير فلسفيا.

﴿ومن الناس﴾ وهم المشركون ﴿من يتخذ من دون الله﴾ أي : غيره ﴿أندادا﴾ أي : أصناما يعبدونها ﴿يحبونهم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كحب الله﴾ أي : كحبهم له كما قال الزجاج : يحبون الأصنام كما يحبون الله ؛ لأنهم أشركوها مع الله ، فسووا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله ﴿والذين آمنوا أشد حبا ﴾ أي : أثبت وأدوم على حبه ؛ لأنهم لا

١٢٦

يختارون على الله ما سواه ، والمشركون محبتهم لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب ، ولذلك كانوا إذا اتخذوا صنما

---

(١) الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص/١٤

أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني ، وربما يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عند المجاعة ، ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء ، ويقبلون على الله كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (العنكبوت ، ٦٥) والمؤمن لا يعرض عن الله تعالى في السراء والضراء ، والشدة والرخاء.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٢٥

وقيل : إنما قال الله تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا ﴾ لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه ، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة ، ٥٤) فمحبة العبد لله طاعته والإعتناء بتحصيل مراضيه ، ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي : باتخاذ الأنداد ﴿إذ يرون﴾ أي : يبصرون ﴿العذاب﴾ يوم القيامة وإذ بمعنى إذا أو أجري المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لأن إذ موضوعة للماضي ؛ والمعنى هنا على الاستقبال لتحققه كقوله تعالى : ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ (الأعراف ، ٤٤) ﴿أن﴾ أي : بأن ﴿القوة﴾ أي : القدرة والغلبة ﴿﴾ وقوله تعالى : ﴿جميعا﴾ حال ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ وجواب لو محذوف ، والتقدير لو يعلمون أن القدرة لله جميعا ؛ إذ عاينوا العذاب لندموا أشد الندم ، والفاعل ضمير السامع أو الذين ظلموا ، ويرى بمعنى يعلم ، وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين.

وقرأ نافع وحده بالتاء على الخطاب أي : ولو ترى يا محمد ذلك لرأيت أمرا عظيما ، وأمال السوسي الألف المنقلبة بعد الراء في الوصل بخلاف عنه ، وغلظ ورش اللام بعد الظاء ، وقرأ ابن عامر يرون بضم الياء ، والباقون بفتحها.

﴿إذ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تبرأ الذين اتبعوا﴾ وهم الرؤساء ﴿من الذين اتبعوا﴾ وهم الأتباع أي : ينكر الرؤساء إضلال الأتباع يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأتباع ﴿و﴾ قد ﴿رأوا العذاب﴾ أي : رائين له فالواو للحال ، وقد مضمرة كما قدرتها وقيل : عطف على تبرأ ، وقوله تعالى : ﴿وتقطعت﴾ عطف على تبرأ ، وقوله تعالى : ﴿بهم﴾ بمعنى عنهم ﴿الأسباب﴾ أي : الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة.." (١)

"الفرقة الثالثة : بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة أحد من ارتد وادعى النبوة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة فبعث أبو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إليه فهزمهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشأم ، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، الأولى : فزارة قوم عيينة بن حصن ، والثانية : غطفان قوم قرة بن سلمة ، والثالثة : بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل ، والرابعة : بنو يربوع قوم مالك بن نويرة ، والخامسة : بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها لمسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري :

*أمت سجاح ووالاها مسليمة ** كذابة في بني الدنيا وكذاب*

والسادسة : كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٩٧/١

يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشأم ، والجمهور أنه مات على ردته وذكرت طائفة أنه عاد إلى الإسلام. وقرأ نافع وابن عامر يرتدد بدالين الأولى مكسورة مخففة والثانية ساكنة والباقون بدال مفتوحة مشددة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٣٩

واختلف في القوم في قوله تعالى : ﴿فسوف يأت الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال قتادة بن غنم الأزدي : لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قوم هذا" وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه وكانوا من اليمن ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الإيمان يمان والحكمة يمانية" وقال الكلبي : هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء أي : لم يعلم ممن هم قاله الجوهري : فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية. وقيل : هم الأنصار وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان رضي الله تعالى عنه فقال : "هذا وذووه" ، ثم قال : "لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس" والراجع إلى من محذوف تقديره : فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك ومحبة الله تعالى لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم ومحبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه

٤٤١

﴿أذلة على المؤمنين﴾ أي : عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل ، وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه لأنه ذلولا لا يجمع على أذلة.

فإن قيل : هلا قال أذلة للمؤمنين ؟

أجيب : بأنه تضمن معنى الحنو والعطف كأنه قال : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وأنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم أو للمقابلة في قوله تعالى : ﴿أعزة على الكافرين﴾ أي : شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه ، وقوله تعالى : ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ حال من الضمير في أعزة أو صفة أخرى لقوم ، وقوله تعالى : ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط ، وإن يكون للعطف على يجاهدون بمعنى : إنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الأوصاف المذكورة وقوله تعالى : ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ أي : يمنحه ويوفق له فيبذل الإنسان جهده في طاعته لينظر إليه هذا النظر برحمته ﴿وا واسع﴾ أي : كثير الفضل ﴿عليم﴾ أي : بمن هو أهله ، ونزل لما قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله إن قومنا هجرونا.



جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٣٩

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ وإنما قال : وليكم ولم يقل : أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ، ولرسوله وللمؤمنين على التبع إذ التقدير : إنما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون. ولو قيل : إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى : ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ أي : متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل : يصلون صلاة التطوع.." (١)

"اللفظ الثالث المحبة قال **يحبهم ويحبونه** المائدة ٥٤ وقال ويحب المتطهرين البقرة ٢٢٢ اللفظ الرابع الكراهة قال تعالى كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها الإسراء ٣٨ وقال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم التوبة ٤٦ قالت الأشعرية الكراهة عبارة عن يريد أن لا يفعل وقالت المعتزلة بل هي صفة أخرى سوى الإرادة والله أعلم

الفصل الخامس

في السمع والبصر

قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الشورى ١١ وقال تعالى لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير الإسراء ١ وقال تعالى إنني معكما أسمع وأرى طه ٤٦ وقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر مريم ٤٢ وقال تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الأنعام ١٠٣

الفصل السادس

في الصفات الإضافية مع السلبية

اعلم أن الأول هو الذي يكون سابقا على غيره ولا يسبقه غيره فكونه سابقا على غيره إضافة وقولنا إنه لا يسبقه غيره فهو سلب فلفظ الأول يفيد حالة متركبة من إضافة وسلب والآخر هو الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره والحال فيه كما تقدم أما لفظ الظاهر فهو إضافة محضة لأن معناه كونه ظاهرا بحسب الدلائل وأما لفظ الباطن فهو سلب محض لأن معناه كونه خفيا بحسب الماهية ومن الأسماء الدالة على مجموع إضافة وسلب القيوم لأن هذا اللفظ يدل على المبالغة في هذا المعنى وهذه المبالغة تحصل عند اجتماع أمرين أحدهما أن لا يكون محتاجا إلى شيء سواه البتة وذلك لا يحصل إلا إذا كان واجب الوجود في ذاته وفي جملة صفاته والثاني أن يكون كل ما سواه محتاجا إليه في ذواتها وفي جملة صفاتها وذلك بأن يكون مبدأ لكل ما سواه فالأول سلب والثاني إضافة ومجموعهما هو القيوم

الفصل السابع

في الأسماء الدالة على الذات والصفات الحقيقية

والإضافية والسلبية

فمنها قولنا الإله وهذا الاسم يفيد الكل لأنه يدل على كونه موجودا وعلى كيفيات ذلك الوجود أعني كونه أزليا أبديا واجب الوجود لذاته وعلى الصفات السلبية الدالة على التنزيه وعلى الصفات الإضافية الدالة على الإيجاد والتكوين واختلفوا

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٣٠٥/١

في أن هذا اللفظ هل يطلق على غير الله تعالى أما كفار قريش فكانوا يطلقونه في حق الأصنام وهل يجوز ذلك في دين الإسلام المشهور أنه لا يجوز وقال." (١)

"عليك مثل الذي صليت فاعتصمي

عينا فإن لجنب المرء مضطجعا

وقال آخر وقابلها الريح في دنها

وصلى على دنها وارتسم

وقال بعضهم الأصل فيها اللزوم قال الشاعر لم أكن من جناتها علم الله

وإني بحرها اليوم صالي

أي ملازم وقال آخرون بل هي مأخوذة من المصلي وهو الفرس الذي يتبع غيره والأقرب أنها مأخوذة من الدعاء إذ لا صلاة إلا ويقع فيها الدعاء أو ما يجري مجراه وقد تكون صلاة ولا يحصل فيها متابعة الغير وإذا حصل في وجه التشبيه ما عم كل الصور كان أولى أن يجعل وجه التشبيه شيئا يختص ببعض الصور وقال أصحابنا من المجازات المشهورة في اللغة إطلاق اسم الجزء على الكل ولما كانت الصلاة الشرعية مشتملة على الدعاء لا جرم أطلق اسم الدعاء عليها على سبيل المجاز فإن كان مراد المعتزلة من كونها اسما شرعيا هذا فذلك حق وإن كان المراد أن الشرع ارتجل هذه اللفظة ابتداء لهذا المسمى فهو باطل وإلا لما كانت هذه اللفظة عربية وذلك ينافي قوله تعالى إنا أنزلناه قرانا عربيا (يوسف ٢٠) أما الزكاة فهي في اللغة عبارة عن النماء يقال زكا الزرع إذا نما وعن التطهير قال الله تعالى أقتلت نفسا زكية (الكهف ٧٤) أي طاهرة وقال قد أفلح من تزكى (الأعلى ١٤) أي تطهر وقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا (النور ٢١) وقال ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه (فاطر ١٨) أي تطهر بطاعة الله ولعل إخراج نصف دينار من عشرين دينارا سمي بالزكاة تشبيها بهذين الوجهين لأن في إخراج ذلك القدر تنمية للبقية من حيث البركة فإن الله يرفع البلاء عن ذلك المال بسبب تزكية تلك العطية فصار ذلك الإعطاء نماء في المعنى وإن كان نقصانا في الصورة ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) (عليكم بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الديار وأما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الرأس وتكون سترا في النار) ويجوز أن تسمى الزكاة بالوجه الثاني من حيث إنها تطهر مخرج الزكاة عن كل الذنوب ولهذا قال تعالى لنبيه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (التوبة ١٠٣)

المسألة الثالثة قوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة خطاب مع اليهود وذلك يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع أما قوله تعالى وأركعوا مع الراكعين ففيه وجوه أحدها أن اليهود لا ركوع في صلاتهم فخص الله الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين وثانيها أن المراد صلوا مع المصلين وعلى هذا يزول التكرار لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة وثالثها أن يكون المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل كما قال للمؤمنين فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١/١٢١

المؤمنين أعزة على الكافرين المائدة ٥٤ وكقوله تأديبا لرسوله عليه السلام ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ الشعراء ٢١٥ وكمدحه له بقوله فبما رحمة منك لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك آل عمران ١٥٩ وهكذا في قوله تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون المائدة ٥٥." (١)

"الباقيين إما كالحب اللازم لهم أو كحب المؤمنين لله والقول الأول أقرب لأن قوله يحبونهم كحب الله راجع إلى الناس الذين تقدم ذكرهم وظاهر قوله كحب الله يقتضي حبا لله ثابتا فيهم فكأنه تعالى بين في الآية السالفة أن الإله واحد ونبه على دلائله ثم حكى قول من يشرك معه وذلك يقتضي كونهم مقرين بالله تعالى

فإن قيل العاقل يستحيل أن يكون حبه للأوثان كحبه لله وذلك لأنه بضرورة والعقل يعلم أن هذه الأوثان أحجار لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وكانوا مقرين بأن لهذا العالم صانعا مدبرا حكيما ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله (الزمر ٣٨) ومع هذا الاعتقاد كيف يعقل أن يكون حبهم لتلك الأوثان كحبهم لله تعالى وأيضا فإن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (الزمر ٣) وإذا كان كذلك كان المقصود الأصلي طلب مرضات الله تعالى فكيف يعقل الإستواء في الحب مع هذا القول قلنا قوله يحبونهم كحب الله أي في الطاعة لها والتعظيم لها فالإستواء على هذا القول في المحبة لا ينافي ما ذكرتموه

أما قوله تعالى والذين ءامنوا أشد حبا لله ففيه مسائل

المسألة الأولى في البحث عن ماهية محبة العبد لله تعالى اعلم أنه لا نزاع بين الأمة في إطلاق هذه اللفظة وهي أن العبد قد يحب الله تعالى والقرآن ناطق به كما في هذه الآية وكما في قوله **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤) وكذا الأخبار روي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام وقد جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وجاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال (يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب) فقال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك وروي أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر وقد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم إلى ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم إلى هذا المقام قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن وجوههم المرايا من النور فقال كيف بلغتم إلى هذه الدرجة قالوا بحب الله فقال عليه الصلاة والسلام (أنتم المقربون إلى الله يوم القيامة) وعند السدي قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين منهم فإنهم ينادون يا أولياء الله وفي بعض الكتب (عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٤٢/٣

واعلم أن الأمة وإن اتفقوا في إطلاق هذه اللفظة لكنهم اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين إن المحبة نوع من أنواع الإرادة والإرادة لا تعلق لها إلا بالجائزات فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته فإذا قلنا نحب الله فمعناه نحب طاعة الله وخدمته أو نحب ثوابه وإحسانه وأما العارفون فقد قالوا العبد قد يحب الله تعالى لذاته وأما حب خدمته أو حب ثوابه فدرجة نازلة واحتجوا." (١)

"فالآن كيف صاروا موالين لأعدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم

المسألة الثالثة قوله حبطت أعمالهم يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى والمعنى ذهب ما أظهروه من الإيمان وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة فإنه لما بطلت أعمالهم بقيت عليهم المشقة في الإتيان بتلك الأعمال ولم يحصل لهم شيء من ثمراتها ومنافعها بل استحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة

يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لا ئم ذالك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم

فيه مسائل

المسألة الأولى قرأ ابن عامر ونافع يرتدد بدالين والباقون بدال واحدة مشددة والأول لإظهار التضعيف والثاني للإدغام قال الزجاج إظهار الدالين هو الأصل لأن الثاني من المضاعف إذا سكن ظهر التضعيف نحو قوله إن يمسسكم قرح (آل عمران ١٤٠) ويجوز في اللغة إن يمسكم

المسألة الثانية روى صاحب (الكشاف) أنه كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا ادعى النبوة في اليمن واستولى على بلادها وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى معاذبن جبل وسادات اليمن فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول

وبنو حنيفة قوم مسيلمة ادعى النبوة وكتب إلى رسول الله من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجابه الرسول من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين وقتل." (٢)

"على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وفي إسلامي

وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث إليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٨٥/٤

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٧/١٢

وسبع في عهد أبي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر التي ادعت النبوة وزوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف ذات يوم جارا رداءه فوطىء رجل طرف ردائه فغضب فلطمه فتظلم إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه فقال أن أشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر فأنظره عمر فهرب إلى الروم وارتد

المسألة الثالثة معنى الآية يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه وقال الحسن رحمه الله علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع المخبر على وفقه فيكون معجزا

المسألة الرابعة اختلفوا في أن أولئك القوم من هم فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريح هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة وقالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وارتدت العرب واشتهر النفاق ونزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهضابها وقال السدي نزلت الآية في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين وقال مجاهد نزلت في أهل اليمن وروي مرفوعا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما نزلت هذه الآية أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا وقال آخرون هم الفرس لأنه روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال (لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) وقال قوم إنها نزلت في علي عليه السلام ويدل عليه وجهان الأول أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال (لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وهذا هو الصفة المذكورة في الآية

والوجه الثاني أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلواة ويؤتون الزكواة وهم راكعون (المائدة ٥٥) وهذه الآية في حق علي فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقه فهذه جملة الأقوال في هذه الآية

ولنا في هذه الآية مقامات

المقام الأول أن هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض وتقرير مذهبهم." (١)

"المرتدين ولكن محاربة أبي بكر مع المرتدين كانت أعلى حالا وأكثر موقعا في الإسلام من محاربة علي مع من خالفه في الإمامة وذلك لأنه علم بالتواتر أنه (صلى الله عليه وسلم) لما توفي اضطربت الأعراب وتمردوا وأن أبا بكر هو الذي قهر مسيلمة وطليحة وهو الذي حارب الطوائف السبعة المرتدين وهو الذي حارب مانعي الزكاة ولما فعل ذلك استقر

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٢/١٨

الإسلام وعظمت شوكته وانبسطت دولته أما لما انتهى الأمر إلى علي عليه السلام فكان الإسلام قد انبسط في الشرق والغرب وصار ملوك الدنيا مقهورين وصار الإسلام مستوليا على جميع الأديان والملل فثبت أن محاربة أبي بكر رضي الله عنه أعظم تأثيرا في نصرة الإسلام وتقويته من محاربة علي عليه السلام ومعلوم أن المقصود من هذه الآية تعظيم قوم يسعون في تقوية الدين ونصرة الإسلام ولما كان أبو بكر هو المتولي لذلك وجب أن يكون هو المراد بالآية

المقام الثالث في هذه الآية وهو أنا ندعي دلالة هذه الآية على صحة إمامة أبي بكر وذلك لأنه لما ثبت بما ذكرنا أن هذه الآية مختصة به فنقول إنه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الآية بصفات أولها أنه **يحبهم ويحبونه**

فلما ثبت أن المراد بهذه الآية هو إبو بكر ثبت أن قوله **يحبهم ويحبونه** وصف لأبي بكر ومن وصفه الله تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالما وذلك يدل على أنه كان محقا في إمامته وثانيها قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهو صفة أبي بكر أيضا الدليل الذي ذكرناه ويؤكده ما روي في الخبر المستفيض أنه عليه الصلاة والسلام قال (ارحم أمتي بأمتي أبو بكر) فكان موصوفا بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة مع الكفار ألا ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول عليه الصلاة والسلام وكيف كان يلازمه ويخدمه وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد وأصر على أنه لا بد من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده حتى جاء أكابر الصحابة وتضرعوا إليه ومنعوه من الذهاب ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزمة وجعل الله تعالى ذلك مبدأ لدولة الإسلام فكان قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لا يليق إلا به وثالثها قوله يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل وذلك لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار كانت في أول البعث وهناك الإسلام كان في غاية الضعف والكفر كان في غاية القوة وكان يجاهد الكفار بمقدار قدرته ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما علي عليه السلام فإنه إنما شرع في الجهاد يوم بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي من وجهين الأول أنه كان متقدما عليه في الزمان فكان إفضل لقوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل (الحديد ١٠) والثاني أن جهاد أبي بكر كان في وقت ضعف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجهاد علي كان في وقت القوة ورابعها قوله ذالك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا لائق بأبي بكر لأنه متأكد بقوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة (النور ٢٢) وقد بينا أن هذه الآية في أبي بكر ومما يدل على أن جميع هذه الصفات لأبي بكر أنا بينا بالدليل أن هذه الآية لا بد وأن تكون في أبي بكر ومتى كان الأمر كذلك كانت هذه الصفات لا بد وأن تكون." (١)

"لأبي بكر وإذا ثبت هذا وجب القطع بصحة إمامته إذ لو كانت إمامته باطلة لما كانت هذه الصفات لائقة به

فإن قيل لم لا يجوز أن يقال إنه كان موصوفا بهذه الصفات حال حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم بعد وفاته لما شرع في الإمامة زالت هذه الصفات وبطلت

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٢٠/١٢

قلنا هذا باطل قطعا لأنه تعالى قال فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصفة حال إتيان الله بهم في المستقبل وذلك يدل على شهادة الله له بكونه موصوفا بهذه الصفات حال محاربته مع أهل الردة وذلك هو حال إمامته فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على صحة إمامته أما قول الروافض لعنهم الله إن هذه الآية في حق علي رضي الله عنه بدليل أنه (صلى الله عليه وسلم) قال يوم خيبر (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وكان ذلك هو علي عليه السلام فنقول هذا الخبر من باب الآحاد وعندهم لا يجوز التمسك به في العمل فكيف يجوز التمسك به في العلم وأيضا إن إثبات هذه الصفة لعلي لا يوجب انتفاءها عن أبي بكر وبتقدير أن يدل على ذلك لكنه لا يدل على انتفاء ذلك المجموع عن أبي بكر ومن جملة تلك الصفات كونه كرارا غير فرار فلما انتفى ذلك عن أبي بكر لم يحصل مجموع تلك الصفات له فكفى هذا في العمل بدليل الخطاب فأما انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلالة في اللفظ عليه فهو تعالى إنما أثبت هذه الصفة المذكورة في هذه الآية حال اشتغاله بمحاربة المرتدين بعد ذلك فهب أن تلك الصفة ما كانت حاصلة في ذلك الوقت فلم يمنع ذلك من حصولها في الزمان المستقبل ولأن ما ذكرناه تمسك بظاهر القرآن وما ذكروه تمسك بالخبر المذكور المنقول بالآحاد ولأنه معارض بالأحاديث الدالة على كون أبي بكر محبا لله ولرسوله وكون الله محبا له وراضيا عنه قال تعالى في حق أبي بكر ولسوف يرضى (الليل ٢١) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة) وقال (ما صب الله شيئا في صدري إلا وصبه في صدر أبي بكر) وكل ذلك يدل على أنه كان يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

وأما الوجه الثاني وهو قولهم الآية التي بعد هذه الآية دالة على إمامة علي فوجب أن تكون هذه الآية نازلة في علي فجوابنا أنا لا نسلم دلالة الآية التي بعد هذه الآية على إمامة على وسنذكر الكلام فيه إن شاء الله تعالى فهذا ما في هذا الموضع من البحث والله أعلم

أما قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** فتحقيق الكلام في المحبة ذكرناه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى والذين ءامنوا أشد حبا لله (البقرة ١٦٥) فلا فائدة في الإعادة وفيه دقيقة وهي أنه تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له وهذا حق لأنه لولا أن الله أحبهم وإلا لما وفقهم حتى صاروا محبين له

ثم قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهو كقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم (الفتح ٢٩) قال صاحب (الكشاف) أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل وليس المراد بكونهم أذلة هو أنهم مهانون بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب فإن من كان ذليلا عند إنسان فإنه ألبتة لا يظهر شيئا من التكبر والترفع بل لا يظهر إلا الرفق واللين فكذا ههنا فقوله أعزة على الكافرين أي يظهرون الغلظة والترفع على الكافرين وقيل يعازونهم أي يغالبونهم من قولهم عزه يعزه إذا غلبه كأنهم." (١)

"لا على هذا الوجه قول ثالث وهو باطل لأنا نجيب عنه فنقول ومن الذين أخبركم أنه ما كان أحد في الأمة قال هذا القول فإن من المحتمل بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علي فإن السائل يورد على ذلك

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢١/١٢

لاستدلال هذا السؤال فكان ذكر هذا الاحتمال وهذا السؤال مقرونا بذكر هذا الاستدلال
الحجة السابعة أن قوله إنما وليكم الله ورسوله لا شك أنه خطاب مع الأمة وهم كانوا قاطعين بأن المتصرف فيهم هو الله ورسوله وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبا لقول المؤمنين وتعريفا لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصرا له ومعينا له فأي حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى وإذا كان كذلك كان المراد بقوله إنما وليكم الله ورسوله هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة ولا شك أن لفظ الولي مذكور مرة واحدة فلما أريد به ههنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معاف

الحجة الثامنة أنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (المائدة ٥٤) فإذا حملنا قوله إنما وليكم الله ورسوله على معنى المحبة والنصرة كان قوله إنما وليكم الله ورسوله يفيد فائدة قوله **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقوله يجاهدون فى سبيل الله (المائدة ٥٤) يفيد فائدة قوله يقيمون الصلواة ويؤتون الزكواة وهم راكعون (المائدة ٥٥) فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى فثبت بهذه الوجوه أن الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف

أما الوجه الذي عولوا عليه وهو أن الولاية المذكورة في الآية غير عامة والولاية بمعنى النصرة عامة فجوابه من وجهين
الأول لا نسلم أن الولاية المذكورة في الآية غير عامة ولا نسلم أن كلمة إنما للحصر والدليل عليه قوله إنما مثل الحيواة الدنيا كماء أنزلناه من السماء (يونس ٢٤) ولا شك أن الحياة الدنيا لها أمثال أخرى سوى هذا المثل وقال إنما الحيواة الدنيا لعب ولهو (محمد ٣٦) ولا شك أن اللعب واللهو قد يحصل في غيرها الثاني لا نسلم أن الولاية بمعنى النصرة عامة في كل المؤمنين وبيانه أنه تعالى قسم المؤمنين قسمين أحدهما الذين جعلهم موليا عليهم وهم المخاطبون بقوله إنما وليكم الله والثاني الأولياء وهم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون فإذا فسرنا الولاية ههنا بمعنى النصرة كان المعنى أنه تعالى جعل أحد القسمين أنصارا للقسم الثاني ونصرة القسم الثاني غير حاصلة لجميع المؤمنين ولو كان كذلك لزم في القسم الذي هم المنصورون أن يكونوا ناصرين لأنفسهم وذلك محال فثبت أن نصرة أحد قسمي الأمة غير ثابتة لكل الأمة بل مخصوصة بالقسم الثاني من الأمة فلم يلزم من كون الولاية المذكورة في هذه الآية خاصة أن لا تكون بمعنى النصرة وهذا جواب حسن دقيق لا بد من التأمل فيه

وأما استدلالهم بأن الآية نزلت في حق علي فهو ممنوع فقد بينا أن أكثر المفسرين زعموا أنه في." (١)

"أما قوله تعالى وذروا الذين يلحدون فى أسمئه ففيه مسائل

المسألة الأولى قرأ حمزة يلحدون ووافقه عاصم والكسائي في النحل قال الفراء يلحدون و يلحدون لغتان يقال لحدت لحدا وألحدت قال أهل اللغة معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال قد ألحد في الدين ولحد وقال أبو عمرو من أهل اللغة الإلحاد العدل عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٦/١٢

اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي رحمه الله والأجود قراءة العامة لقوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد (الحج ٢٥) والإلحاد أكثر في كلامهم لقولهم ملحد ولا تكاد تسمع العرب يقولون لاحد

المسألة الثانية قال المحققون الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه الأول إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله مثل أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة ومن ذلك أنهم سموا أصناما لهم باللات والعزى والمناة واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز واشتقاق مناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن والثاني أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه أبا للمسيح وقول جمهور النصارى أب وابن وروح القدس ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب قال أصحابنا وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله فإنه ثبت بالدليل أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام ثم لا يجوز أن يقال يا خالق الديدان والقرود والقردان بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذه الأذكار وأن يقال يا خالق الأرض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات إلى غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة والثالث أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال الله فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء

فإن قال قائل هل يلزم من ورود الأول في إطلاق لفظه على الله تعالى أن يطلق عليه سائر الألفاظ المشتقة منه على الإطلاق قلنا الحق عندي أن ذلك غير لازم لا في حق الله تعالى ولا في حق الملائكة والأنبياء وتقريره أن لفظ (علم) ورد في حق الله تعالى في آيات منها قوله وعلم ءادم الاسماء كلها (البقرة ٣١) وعلمك ما لم تكن تعلم (النساء ١١٣) علمناه من لدنا علما (الكهف ٦٥) الرحمن علم القرءان (الرحمن ١ ٢) ثم لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى يا معلم وأيضا ورد قوله **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤) ثم لا يجوز عندي أن يقال يا محب وأما في حق الأنبياء فقد ورد في حق آدم عليه السلام وعصى ءادم ربه فغوى (طه ١٢١) ثم لا يجوز أن يقال إن آدم كان عاصيا غاويا وورد في حق موسى عليه السلام إحداهما يأبت استجره (القصص ٢٦) ثم لا يجوز أن يقال إنه عليه السلام كان أجيرا والضابط أن هذه الألفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها على الوارد فأما التوسع بإطلاق الألفاظ المشتقة منها فهي عندي ممنوعة غير جائزة

ثم قال تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فهو تهديد ووعيد لمن ألحد في أسماء الله قالت المعتزلة الآية قد دلت على إثبات العمل للعبد وعلى أن الجزاء مفرع على عمله وفعله." (١)

"خاسرين يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤) ثم اختلف المفسرون فقال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقال أبو روق هم أهل اليمن وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية لأن الآية ليس فيها إشعار بها بل حمل ذلك الكلام المطلق على صورة معينة شاهدوها قال الأصم معناه أن يخرجه من بين أظهركم وهي المدينة قال القاضي هذا ضعيف لأن اللفظ لا دلالة فيه على أنه عليه السلام ينقل من المدينة إلى غيرها فلا يمتنع أن يظهر الله في المدينة أقواما يعينونه على الغزو ولا يمتنع أن يعينه بأقوام من الملائكة أيضا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٥/٥٩

حال كونه هناك والثالث قوله ولا تضروه شيئا والكناية في قول الحسن راجعة إلى الله تعالى أي لا تضروا الله لأنه غني عن العالمين وفي قول الباقين يعود إلى الرسول أي لا تضروا الرسول لأن الله عصمه من الناس ولأنه تعالى لا يخذله إن تثاقلتم عنه ثم قال والله على كل شيء قدير وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث إنه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز فإذا توعد بالعقاب فعل

المسألة الثانية قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال المحققون إن هذه الآية خطاب لمن استنفرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم ينفروا وعلى هذا التقدير فلا نسخ قال الجبائي هذه الآية تدل على وعيد أهل الصلاة حيث بين أن المؤمنين إن لم ينفروا يعذبهم عذابا إليما وهو عذاب النار فإن ترك الجهاد لا يكون إلا من المؤمنين فبطل بذل قول المرجئة إن أهل الصلاة لا وعيد لهم وإذا ثبت الوعيد لهم في ترك الجهاد فكذا في غيره لأنه لا قائل بالفرق واعلم أن مسألة الوعيد ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة

المسألة الثالثة قال القاضي هذه الآية دالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أو لا معه لأنه تعالى قال يأأيها الذين ءامنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا ولم ينص على أن ذلك القائل هو الرسول

فإن قالوا يجب أن يكون المراد هو الرسول لقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم (التوبة ٣٩) ولقوله ولا تضروه شيئا (التوبة ٣٩) إذ لا يمكن أن يكون المراد بذلك إلا الرسول

قلنا خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها على ما قررنا في أصول الفقه

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم." (١)

"أصحابه فقال أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلهاا فلما فتحوا فإذا هو خل فقالوا والله ما جئتنا إلا بخل فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد الرابع الواقعة المشهورة وهي أن خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وماضره الخامس روي أن ابن عمر كان في بعض أسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء السادس روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم ومشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحد والحصر فمن أرادها طالعها وأما الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات فمن وجوه

الحجة الأولى أن العبد ولي الله قال الله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (يونس ٦٢) والرب ولي العبد قال تعالى الله ولي الذين ءامنوا (البقرة ٢٥٧) وقال وهو يتولى الصالحين (الأعراف ١٦٦) وقال إنما وليكم الله ورسوله (المائدة ٥٥) وقال أنت مولانا (البقرة ٢٨٦) وقال ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا (محمد ١١) فثبت أن الرب ولي العبد وأن العبد ولي الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٥٠/١٦

وقال والذين ءامنوا أشد حبا لله (البقرة ١٦٥) وقال إن الله يحب التوبين ويحب المتطهرين (البقرة ٢٢٢) وإذا ثبت هذا فنقول العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريده الله ويأمره به فلأن يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى ولهذا قال تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم (البقرة ٤٥)
الحجة الثانية لو امتنع إظهار الكرامة لكان ذلك إما لأجل أن الله ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لأجل أن المؤمن ليس أهلا لأن يعطيه الله هذه العطية والأول قدح في قدرة الله وهو كفر والثاني باطل فإن معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعاته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من إعطاء رغيف واحد مني مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلأن يعطيه رغيفا في مفازة فأي بعد فيه
الحجة الثالثة قال النبي (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن رب العزة (ما تقرب عبد إلي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا بي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يمشي) وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر أعضائهم إذ لو بقي هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره إذا ثبت هذا فنقول لا شك أن هذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع وإعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من الماء فلما أوصل الله برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأي بعد في أن يعطيه رغيفا واحدا أو شربة ماء في مفازة
الحجة الرابعة قال عليه السلام حاكيا عن رب العزة (من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) فجعل إيذاء الولي قائما مقام إيذائه وهذا قريب من قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (الفتح ١٠) وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا (الأحزاب ٣٦) وقال إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة ." (١)

"معناه الكتاب كأنه يقول ما القرآن إلا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا أيضا أن يقال هو مصدر أي ما القرآن إلا إرسال وإلهام بمعنى المفعول أي مرسل وإن قلنا المراد من قوله إن هو قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الإلهام ملهم من الله أو مرسل وفيه مباحث
البحث الأول الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ما كان ينطق إلا عن وحي ولا حجة لمن توهم هذا في الآية لأن قوله تعالى إن هو إلا وحى يوحى إن كان ضمير القرآن فظاهر وإن كان ضميرا عائدا إلى قوله فالمراد من قوله هو القول الذي كانوا يقولون فيه إنه قول شاعر ورد الله عليهم فقال ولا بقول شاعر وذلك القول هو القرآن وإن قلنا بما قالوا به فينبغي أن يفسر الوحي بالإلهام
البحث الثاني هذا يدل على أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فإنه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم يحرم وأذن لمن قال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم نقول على ما ثبت لا تدل الآية عليه
البحث الثالث بحث يحتمل أن يكون من وحي يوحى ويحتمل أن يكون من أوحى ييوحى تقول عدم يعدم وأعدم يعدم

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٧٦/٢١

وكذلك علم يعلم وأعلم يعلم فنقول يوحى من أوحى لا من وحى وإن كان وحي وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الإيحاء الذي هو مصدر أوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وحي الذي مصدره وحى بل قال عند ذكر المصدر الوحي وقال عند ذكر الفعل أوحى وكذلك القول في أحب وحب فإن حب وأحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الإحباب وذكر الحب إلى أو أشد حبا وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال **يحبهم ويحبونه** (المائدة ٥٤) وقال أيحب أحدكم (الحجرات ١٢) وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (آل عمران ٩٢) إلى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضي الثلاثي فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضي والماضي هو الأصل والدليل عليه وجهان لفظي ومعنوي

أما اللفظي فإنهم يقولون مصدر فعل يفعل إذا كان متعديا فعلا بسكون العين وإذا كان لازما فعول في الأكثر ولا يقولون الفعل الماضي من فعول فعلى وهذا دليل ما ذكرنا

وأما المعنوي فلأن ما يوجد من الأمور لا يوجد إلا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الإنسان الذي يوجد ويتحقق يكون زيدا أن عمرا أو غيرهما ويكون في ضمنه أنه هندي أو تركي وفي ضمن ذلك أنه حيوان وناطق ولا يوجد أولا إنسان ثم يصير تركيا ثم يصير زيدا أو عمرا

إذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضيا أو مستقبلا وفي ضمنه أنه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب إذا وجد فأما أن يكون قد مضى أو بعد لم يمض والأول ماض والثاني حاضر أو مستقبل ولا يوجد الضرب من حيث إنه ضرب خاليا عن المضي والحضور والاستقبال غير أن العاقل يدرك من فعل وهو يفعل الآن وسيفعل غدا أمرا مشتركا فيسميه فعلا كذلك يدرك في ضرب وهو يضرب الآن وسيضرب غدا أمرا مشتركا فيسميه ضربا فضرب يوجد أولا ويستخرج منه الضرب والألفاظ." (١)

"النوع الرابع : الحكمة ، وهذه اللفظة قد يراد بها العلم ، وقد يراد بها أيضاً ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي.

النوع الخامس : اللطيف ، وقد يراد به العلم بالدقائق ، وقد يراد به إيصال المنافع إلى العباد بطريق خفية عجيبة.

الفصل الثالث

الأسماء الحاصلة بصفة الكلام :

في الأسماء الحاصلة بسبب صفة الكلام ، وما يجري مجراه : .

اللفظ الأول : الكلام ، وفيه وجوه : الأول : لفظ الكلام ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة : ٦) الثاني : صيغة الماضي من هذا اللفظ ، قال تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء : ١٦٤) وقال : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَه رَبُّه ﴾ (الأعراف : ١٤٣) الثالث : صيغة المستقبل ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا﴾ (الشورى : ٥١).

اللفظ الثاني : القول ، وفيه وجوه : الأول : صيغة الماضي ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة ﴾ ونظائره كثيرة في

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٨/٢٤٤

القرآن ، الثاني : صيغة المستقبل ، قال تعالى : ﴿إِنَّه يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ (البقرة : ٦٨) الثالث : القيل والقول ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ (النساء : ١٢٢) وقال تعالى : ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ (ق : ٢٩).

اللفظ الثالث : الأمر ، قال تعالى : ﴿لِلَّهِ الامْرُ مِن قَبْلُ وَمِنا بَعْدُ ﴾ (الروم : ٤) وقال : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالامْرُ ﴾ (الأعراف : ٥٤) وقال حكاية عن موسى عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (البقرة : ٦٧).

اللفظ الرابع : الوعد ، قال تعالى : ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالانجِيلِ وَالْقُرْءَانِ ﴾ (التوبة : ١١١) وقال تعالى : ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّه يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه ﴾ (يونس : ٤).

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

اللفظ الخامس : الوحي ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا﴾ (الشورى : ٥١) وقال : ﴿فَأَوْحَى ا إِلَى عَبْدِه مَآ أَوْحَى ﴾ (النجم : ١٠).

اللفظ السادس : كونه تعالى شاكراً لعباده ، قال تعالى : ﴿فَ أولئك كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (لإسرء : ١٩) ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النسا ء : ١٤٧).

الفصل الرابع

الإرادة وما بمعناها :

في الإرادة وما يقرب منها : .

فاللفظ الأول : الإرادة ، قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة : ١٨٥).

اللفظ الثاني : الرضا ، قال تعالى : ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر : ٧) وقال : ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ وقال : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح : ١٨) وقال في صفة السابقين / الأولين ﴿رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (ا لمائدة : ١١٩) وقال حكاية عن موسى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (طه : ٨٤).

اللفظ ا لثالث : المحبة ، قال : (يحبهم ويحبونه) وقال : (ويحب المتطهرين).

اللفظ الرابع : الكراهة ، قال تعالى : ﴿كُلُّ ذَالِكَ كَانَ سَيِّئُه عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء : ٣٨) وقال : ﴿وَلَاكِن كَرِهَ اللَّهُ انابِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ (التوبة : ٤٦) قالت الأشعرية : الكراهة عبارة عن أن يريد أن لا يفعل وقالت المعتزلة : بل هي صفة أخرى سوى الإرادة ، والله أعلم.

الفصل الخامس

السمع والبصر ومشتقاتها :

في السمع والبصر : قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَىْءٌا وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى : ١١) وقال تعالى : ﴿لِنُرِيَه مِنْ ءَايَاتِنَآا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء : ١) وقال تعالى : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (طه : ٤٦) وقال : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾ (مريم : ٤٢) وقال تعالى : ﴿لا تُدْرِكُهُ الابْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الابْصَارَ ﴾ (الأنعام : ١٠٣).

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

فهذا جملة الكلام في الصفات الحقيقية مع الإضافية.

الفصل السادس

في الصفات الإضافية مع السلبية

اعلم أن "الأول" هو الذي يكون سابقاً على غيره ، ولا يسبقه غيره ، فكونه سابقاً على غيره إضافة ، وقولنا أنه لا يسبقه غيره فهو سلب ، فلفظ "الأول" يفيد حالة متركبة من إضافة وسلب ، "والآخر" هو الذي يبقى بعد غيره ، ولا يبقى بعده غيره ، والحال فيه كما قدم ، أما لفظ "الظاهر" فهو إضافة محضة ، لأن معناه كونه ظاهراً بحسب الدلائل ، وأما لفظ "الباطن" فهو سلب محض ، لأن معناه كونه خفياً بحسب الماهية.." (١)

"أي ملازم ، وقال آخرون : بل هي مأخوذة من المصلي وهو الفرس الذي يتبع غيره. والأقرب أنها مأخوذة من الدعاء إذ لا صلاة إلا ويقع فيها الدعاء أو ما يجري مجراه ، وقد تكون صلاة ولا يحصل فيها متابعة الغير وإذا حصل في وجه التشبيه ما عم كل الصور كان أولى أن يجعل وجه التشبيه شيئاً يختص ببعض الصور. وقال أصحابنا من المجازات المشهورة في اللغة إطلاق اسم الجزء على الكل ولما كانت الصلاة الشرعية مشتملة على الدعاء لا جرم أطلق اسم الدعاء عليها على سبيل المجاز ، فإن كان مراد المعتزلة من كونها اسماً شرعياً هذا. فذلك حق وإن كان المراد أن الشرع ارتجل هذه اللفظة ابتداء لهذا المسمى فهو باطل وإلا لما كانت هذه اللفظة عربية ، وذلك ينافي قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف : ٢٠) أما الزكاة فهي في اللغة عبارة عن النماء ، يقال : زكا الزرع إذا نما ، وعن التطهير قال الله تعالى : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ (الكهف : ٧٤) أي طاهرة. وقال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ (الأعلى : ١٤) أي تطهر وقال : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (النور : ٢١) وقال : ﴿وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِه ﴾ (فاطر : ١٨) أي تطهر بطاعة الله ، ولعل إخراج نصف دينار من عشرين ديناراً سمي بالزكاة تشبيهاً بهذين الوجهين ، لأن في إخراج ذلك القدر تنمية للبقية من حيث البركة فإن الله يرفع البلاء عن ذلك المال بسبب تزكية / تلك العطية فصار ذلك الإعطاء نماء في المعنى وإن كان نقصاناً في الصورة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلّم : "عليكم بالصدقة فإن فيها ست خصال ، ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة ، فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الديار ، وأما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلاً فوق الرأس وتكون ستراً في النار". ويجوز أن تسمى الزكاة بالوجه الثاني من حيث إنها تطهر مخرج الزكاة عن كل الذنوب ، ولهذا قال تعالى لنبيه : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة : ١٠٣).

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

المسألة الثالثة : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى ﴾ خطاب مع اليهود وذلك يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع. أما قوله تعالى : ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة : ٤٣) ففيه وجوه أحدها : أن اليهود لا ركوع في صلاتهم فخص الله الركوع بالذكر تحريضاً لهم على الإتيان بصلاة المسلمين ، وثانيها : أن المراد صلوا مع المصلين ، وعلى هذا التكرار لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة ، وثالثها : أن يكون المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٨٦

لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهياً عن الاستكبار المذموم وأمراً بالتذلل كما قال للمؤمنين : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه** ا أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة : ٥٤) وكقوله تأديباً لرسوله عليه السلام : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء : ٢١٥) وكمدحه له بقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ انفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وهكذا في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة : ٥٥) فكأنه تعالى لما أمرهم بالصلاة والزكاة أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد. وحكى الأصم عن بعضهم أنه إنما أمر الله تعالى بني إسرائيل بالزكاة لأنهم كانوا لا يؤتون الزكاة وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ (المائدة : ٦٢ ، ٦٣) وبقوله : ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء : ١٦١) فأظهر الله تعالى في هذا الموضع ما كان مكتوباً ليحذروا أن يفضحهم في سائر أسرارهم ومعاصيهم فيصير هذا كالإخبار عن الغيب الذي هو أحد دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

". (١)

"المسألة الأولى : في البحث عن ماهية محبة العبد لله تعالى ، اعلم أنه لا نزاع بين الأمة في إطلاق هذه اللفظة ، وهي أن العبد قد يحب الله تعالى ، والقرآن ناطق به ، كما في هذه الآية ، وكما في قوله : ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه** ﴾ (المائدة : ٥٤) وكذا الأخبار ، روي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام وقد جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلاً يميت خليله ؟

فأوحى الله تعالى إليه : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟

فقال : يا ملك الموت الآن فاقبض ، وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : "يا رسول الله متى الساعة ؟

فقال ما أعددت لها ؟

فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال عليه الصلاة والسلام : المرء مع من أحب".

فقال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك ، وروي أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر ، وقد نحلت أبدانهم ، وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم إلى ما أرى ؟

فقالوا : الخوف من النار ، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ، ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين ، فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم إلى هذا المقام ؟

قالوا ؛ الشوق إلى الجنة ، فقال : حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً ، كأن وجوههم المرايا من النور ، فقال : كيف بلغتم إلى هذه الدرجة ، قالوا : بحب الله فقال عليه الصلاة والسلام : "أنتم المقربون إلى الله يوم القيامة" ، وعند السدي قال : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها ، فيقال : يا أمة موسى ، ويا أمة عيسى ، ويا أمة محمد ، غير المحبين منهم ، فإنهم ينادون : يا أولياء الله ، وفي بعض الكتب : "عبدي أنا وحقك لك محب

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٤١١

فبحقي عليك كن لي محباً".
جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٧٤
" (١).

"المسألة الثالثة : معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه. وقال الحسن رحمه الله : علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيّهم ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** ، وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخباراً عن الغيب ، وقد وقع المخبر على وفقه فيكون معجزاً.

المسألة الرابعة : اختلفوا في أن أولئك القوم من هم ؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج : هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة. وقالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلّم وارتدت العرب ، واشتهر النفاق/ ونزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهضابها. وقال السدي : نزلت الآية في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين. وقال مجاهد : نزلت في أهل اليمن. وروي مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما نزلت هذه الآية أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال : هم قوم هذا. وقال آخرون : هم الفرس لأنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده على عاتق سلمان وقال : هذا وذووه ، ثم قال : "لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس". وقال قوم : إنها نزلت في علي عليه السلام ، ويدل عليه وجهان : الأول : أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال : "لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" ، وهذا هو الصفة المذكورة في الآية.

والوجه الثاني : أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة : ٥٥) وهذه الآية في حق علي ، فكان الأولى جعل ما قبلها أيضاً في حقه ، فهذه جملة الأقوال في هذه الآية.

ولنا في هذه الآية مقامات :

المقام الأول : أن هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض ، وتقرير مذهبهم أن الذين أقرنا بخلافة أبي بكر وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين ، لأنهم أنكروا النص الجلي على إمامة علي عليه السلام فنقول : "لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم ويقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم ، فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم ويبطل مذهبهم ، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإن الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبداً منذ كانوا علمنا فساد مقالتهم ومذهبهم ، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

المقام الثاني : أنا ندعي أن هذه الآية يجب أن يقال : إنها نزلت في حق أبي بكر رضي الله عنه والدليل عليه وجهان :

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٧١٣

الأول : أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين ، وأبو بكر هو الذي تولى محاربة المرتدين على ما شرحنا ، ولا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه السلام لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين ، ولأنه تعالى قال ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ﴾ وهذا للاستقبال لا للحال ، فوجب أن يكون هؤلاء القوم غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب.

فإن قيل : هذا لازم عليكم لأن أبا بكر رضي الله عنه كان موجوداً في ذلك الوقت.

قلنا : الجواب من وجهين : الأول : أن القوم الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردة ما كانوا موجودين في الحال ، والثاني : أن معنى الآية أن الله تعالى قال : فسوف يأتي الله بقوم قادرين متمكنين من هذا الحراب ، وأبو بكر وإن كان موجوداً في ذلك الوقت إلا أنه ما كان مستقلاً في ذلك الوقت بالحراب والأمر والنهي ، فزال السؤال ، فثبت أنه لا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يمكن أيضاً أن يكون المراد هو علي عليه السلام ، لأن علياً لم يتفق له قتال مع أهل الردة ، فكيف تحمل هذه الآية عليه.

فإن قالوا : بل كان قتاله مع أهل الردة لأن كل من نازعه في الإمامة كان مرتداً.

" (١).

"قلنا : هذا باطل من وجهين : الأول : أن اسم المرتد إنما يتناول من كان تاركاً للشرائع الإسلامية ، والقوم الذين نازعوا علياً ما كانوا كذلك في الظاهر ، وما كان أحد يقول : إنه إنما يحاربهم لأجل أنهم خرجوا عن الإسلام ، وعلي عليه السلام لم يسمهم ألبتة بالمرتدين ، فهذا الذي يقوله هؤلاء الروافض لعنهم الله بهت على جميع المسلمين وعلى علي أيضاً. الثاني : أنه لو كان كل من نازعه في الإمامة كان مرتداً لزم في أبي بكر وفي قومه أن يكونوا مرتدين/ ولو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويردونهم إلى الدين الصحيح ، ولما لم يوجد ذلك ألبتة علمنا أن منازعة علي في الإمامة لا تكون ردة ، وإذا لم تكن ردة لم يمكن حمل الآية على علي ، لأنها نازلة فيمن يحارب المرتدين ، ولا يمكن أيضاً أن يقال : إنها نازلة في أهل اليمن أو في أهل فارس ، لأنه لم يتفق لهم محاربة مع المرتدين ، وبتقدير أن يقال : اتفقت لهم هذه المحاربة ولكنهم كانوا رعية وأتباعاً وأذنابا ، وكان الرئيس المطاع الأمر في تلك الواقعة هو أبو بكر ، ومعلوم أن حمل الآية على من كان أصلاً في هذه العبادة ورئيساً مطاعاً فيها أولى من حملها على الرعية والأتباع والأذناب ، فظهر بما ذكرنا من الدليل الظاهر أن هذه الآية مختصة بأبي بكر.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

والوجه الثاني في بيان أن هذه الآية مختصة بأبي بكر : هو أنا نقول : هب أن علياً كان قد حارب المرتدين ، ولكن محاربة أبي بكر مع المرتدين كانت أعلى حالاً وأكثر موقعاً في الإسلام من محاربة علي مع من خالفه في الإمامة ، وذلك لأنه علم بالتواتر أنه صلى الله عليه وسلّم لما توفي اضطربت الأعراب وتمردوا ، وأن أبا بكر هو الذي قهر مسيلمة وطليحة ، وهو الذي حارب الطوائف السبعة المرتدين ، وهو الذي حارب مانعي الزكاة ، ولما فعل ذلك استقر الإسلام وعظمت شوكته وانبسطت دولته. أما لما انتهى الأمر إلى علي عليه السلام فكان الإسلام قد انبسط في الشرق والغرب ، وصار ملوك الدنيا

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/١٦٧١

مقهورين ، وصار الإسلام مستولياً على جميع الأديان والملل ، فثبت أن محاربة أبي بكر رضي الله عنه أعظم تأثيراً في نصرة الإسلام وتقويته من محاربة علي عليه السلام ، ومعلوم أن المقصود من هذه الآية تعظيم قوم يسعون في تقوية الدين ونصرة الإسلام ، ولما كان أبو بكر هو المتولي لذلك وجب أن يكون هو المراد بالآية.

المقام الثالث في هذه الآية : وهو أنا ندعي دلالة هذه الآية على صحة إمامة أبي بكر ، وذلك لأنه لما ثبت بما ذكرنا أن هذه الآية مختصة به فنقول : إنه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الآية بصفات : أولها : أنه **يحبهم ويحبونه**.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

". (١)

"فلما ثبت أن المراد بهذه الآية هو إبو بكر ثبت أن قوله ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ وصف لأبي بكر ، ومن وصفه الله تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالماً ، وذلك يدل على أنه كان محقاً في إمامته ، وثانيها : قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهو صفة أبي بكر أيضاً الدليل الذي ذكرناه ، ويؤكده ما روي في الخبر المستفيض أنه عليه الصلاة والسلام قال : "ارحم أمتي بأمتي أبو بكر" فكان موصوفاً بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة مع الكفار ، ألا ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول صلى الله عليه وسلّم في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكيف كان يلازمه ويخدمه ، وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم ، وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد ، وأصر على أنه لا بدّ من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده ، حتى جاء أكابر الصحابة وتضرعوا إليه ومنعوه من الذهاب ، ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزمة وجعل الله تعالى ذلك مبدأ لدولة الإسلام ، فكان قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لا يليق إلا به ، وثالثها : قوله ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لا ائِمٍ ﴾ فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي ، إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل ، وذلك لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار كانت في أول البعث ، وهناك الإسلام كان في غاية الضعف ، والكفر كان في غاية القوة ، وكان يجاهد الكفار بمقدار قدرته/ ويذب عن رسول الله بغاية وسعه ، وأما علي عليه السلام فإنه إنما شرع في الجهاد يوم بدر وأُحد ، وفي ذلك الوقت كان الإسلام قوياً وكانت العساكر مجتمعة ، فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي من وجهين : الأول : أنه كان متقدماً عليه في الزمان ، فكان إفضل لقوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَـاتَلَ ﴾ (الحديد : ١٠) والثاني : أن جهاد أبي بكر كان في وقت ضعف الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وجهاد علي كان في وقت القوة ، ورابعها : قوله ﴿ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ وهذا لائق بأبي بكر لأنه متأكد بقوله تعالى : ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ (النور : ٢٢) وقد بينا أن هذه الآية في أبي بكر ، ومما يدل على أن جميع هذه الصفات لأبي بكر أنا بينا بالدليل أن هذه الآية لا بدّ وأن تكون في أبي بكر ، ومتى كان الأمر كذلك كانت هذه الصفات لا بدّ وأن تكون لأبي بكر ، وإذا ثبت هذا وجب القطع بصحة إمامته ، إذ لو كانت إمامته باطلة لما كانت هذه الصفات لائقة به.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/١٦٧٢

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال : إنه كان موصوفاً بهذه الصفات حال حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم ، ثم بعد وفاته لما شرع في الإمامة زالت هذه الصفات وبطلت.

قلنا : هذا باطل قطعاً لأنه تعالى قال : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصفة حال إتيان الله بهم في المستقبل ، وذلك يدل على شهادة الله له بكونه موصوفاً بهذه الصفات حال محاربته مع أهل الردة ، وذلك هو حال إمامته ، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على صحة إمامته ، أما قول الروافض لعنهم الله : إن هذه الآية في حق علي رضي الله عنه بدليل أنه صلى الله عليه وسلّم قال يوم خيبر : "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" وكان ذلك هو علي عليه السلام ، فنقول : هذا الخبر من باب الآحاد ، وعندهم لا يجوز التمسك به في العمل ، فكيف يجوز التمسك به في العلم ، وأيضاً إن إثبات هذه الصفة لعلي لا يوجب انتفاءها عن أبي بكر ، وبتقدير أن يدل على ذلك لكنه لا يدل على انتفاء ذلك المجموع عن أبي بكر ، ومن جملة تلك الصفات كونه كراراً غير فرار ، فلما انتفى ذلك عن أبي بكر لم يحصل مجموع تلك الصفات له ، فكفى هذا في العمل بدليل الخطاب ، فأما انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلالة في اللفظ عليه ، فهو تعالى إنما أثبت هذه الصفة المذكورة في هذه الآية حال اشتغاله بمحاربة المرتدين بعد ذلك فهب أن تلك الصفة ما كانت حاصلة في ذلك الوقت ، فلم يمنع ذلك من حصولها في الزمان المستقبل ، ولأن ما ذكرناه تمسك بظاهر القرآن ، وما ذكروه تمسك بالخبر المذكور المنقول بالآحاد ، ولأنه معارض بالأحاديث الدالة على كون أبي بكر محباً لله ولرسوله. وكون الله محباً له وراضياً عنه. قال تعالى في حق أبي بكر ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (الليل : ٢١) وقال عليه الصلاة والسلام : "إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة" وقال : "ما صب الله شيئاً في صدري إلا وصبه في صدر أبي بكر" وكل ذلك يدل على أنه كان يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

". (١)

"وأما الوجه الثاني : وهو قولهم : الآية التي بعد هذه الآية دالة على إمامة علي فوجب أن تكون هذه الآية نازلة في علي ، فجوابنا : أنا لا نسلم دلالة الآية التي بعد هذه الآية على إمامة على وسنذكر الكلام فيه إن شاء الله تعالى ، فهذا ما في هذا الموضع من البحث والله أعلم.

أما قوله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ فتحقيق الكلام في المحبة ذكرناه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥) فلا فائدة في الإعادة. وفيه دقيقة وهي أنه تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له ، وهذا حق لأنه لولا أن الله أحبهم وإلا لما وفقهم حتى صاروا محبين له.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

ثم قال تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهو كقوله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : ٢٩) قال صاحب "الكشاف" أذلة جمع ذليل ، وأما ذلول فجمعه ذلل ، وليس المراد بكونهم أذلة هو أنهم مهانون ، بل المراد

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/١٦٧٣

المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب ، فإن من كان ذليلاً عند إنسان فإنه ألبتة لا يظهر شيئاً من التكبر والترفع ، بل لا يظهر إلا الرفق واللين فكذا ههنا ، فقوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي يظهرون الغلطة والترفع على الكافرين. وقيل : يعازونهم أي يغالبونهم من قولهم : عزه يعزه إذا غلبه ، كأنهم مشدون عليهم بالقهر والغلبة.

فإن قيل : هلا قيل : أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين.

قلنا : فيه وجهان : أحدهما : أن يضمن الذل معنى الرحمة والشفقة ، كأنه قيل : راحمين عليهم مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع ، والثاني : أنه تعالى ذكر كلمة ﴿عَلَى ﴾ حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم ، فيفيد أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم ، بل ذاك التذلل إنما كان لأجل أنهم أرادوا أن يضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع. وقرىء (أذلة وأعزة) بالنصب على الحال.

ثم قال تعالى : ﴿يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لنصرة دين الله ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لا اـِمٍ ﴾ وفيه وجهان : الأول : أن تكون هذه الواو للحال ، فإن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم ، فبيّن الله تعالى في هذه الآية أن من كان قوياً في الدين فإنه لا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لائم. الثاني : أن تكون هذه الواو للعطف ، والمعنى أن من شأنهم أن يجاهدوا في سبيل الله لا لغرض آخر ، ومن شأنهم أنهم صلاب في نصرة الدين لا يبالون بلومة اللائمين ، واللومة المرة الواحدة من اللوم ، والتنكير فيها وفي اللائم مبالغة ، كأنه قيل : لا يخافون قط من لوم أحد من اللائمين.

ثم قال تعالى : ﴿ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ فقوله ﴿ذَالِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف القوم بالمبة والذلة والعة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة ، فبيّن تعالى أن كل ذلك بفضله إحسانه ، وذلك صريح في أن طاعات العباد مخلوقة لله تعالى ، والمعتزلة يحملون اللفظ على فعل الالطاف ، وهو بعيد لأن فعل الألطاف عام في حق الكل ، فلا بدّ في التخصيص من فائدة زائدة.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

ثم قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فالواسع إشارة إلى كمال القدرة ، والعليم إشارة إلى كمال العلم ، ولما أخبر الله تعالى أنه سيجيء بأقوام هذا شأنهم وصفتهم أكد ذلك بأنه كامل القدرة فلا يعجز عن هذا الموعود ، كامل العلم فيمتنع دخول الخلف في أخباره ومواعيده.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٧٧

٣٨٢

وجه النظم أنه تعالى لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته وقال : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي المؤمنون الموصوفون بالصفات المذكورة ، وفي الآية مسائل :

". (١)

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/١٦٧٤

"الحجة الثانية : أنا لو حملنا الولاية على التصرف والإمامة لما كان المؤمنون المذكورين في الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية ، لأن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ما كان نافذ التصرف حال حياة الرسول ، والآية تقتضي كون هؤلاء المؤمنون موصوفين بالولاية في الحال ، أما لو حملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة في الحال ، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف ، والذي يؤكد ما قلناه أنه تعالى منع المؤمنين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، ثم أمرهم بموالاة هؤلاء المؤمنين ، فلا بدّ وأن تكون موالاة هؤلاء المؤمنين حاصلة في الحال حتى يكون النفي والإثبات متواردين على شيء واحد ، ولما كانت الولاية بمعنى التصرف غير حاصلة في الحال امتنع حمل الآية عليها.

الحجة الثالثة : أنه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين في هذه الآية بصيغة الجمع في سبعة مواضع وهي قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظم لكنه مجاز لا حقيقة ، والأصل حمل الكلام على الحقيقة.

الحجة الرابعة : أنا قد بينا بالبرهان البين أن الآية المتقدمة وهي قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِه ﴾ (المائدة : ٥٤) إلى آخر الآية من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبي بكر ، فلو دلّت هذه الآية على صحة إمامة علي بعد الرسول لزم التناقض بين الآيتين ، وذلك باطل ، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن علياً هو الإمام بعد الرسول.

الحجة الخامسة : أن علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض ، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل ، وليس للقوم أن يقولوا : إنه تركه للتقية لإنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير ، وخبر المباهلة ، وجميع فضائله ومناقبه ، ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية في إثبات امامته ، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله.

الحجة السادسة : هب أنها دالة على إمامة علي ، لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة في الحال : لأن علياً ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن علياً سيصير إماماً بعد ذلك ، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان ، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت ، فإن قالوا : الأمة في هذه الآية على قولين : منهم من قال : إنها لا تدل على إمامة علي ، ومنهم من قال : ءنها تدل على إمامته ، وكل من قال بذلك قال : إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل ، فالقول بدلالة الآية على ءمامة علي لا على هذا الوجه ، قول ثالث ، وهو باطل لأنا نجيب عنه فنقول : ومن الذين أخبركم أنه ما كان أحد في الأمة قال هذا القول ، فإن من المحتمل ، بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علي ، فإن السائل يورد على ذلك لاستدلال هذا السؤال ، فكان ذكر هذا الاحتمال وهذا السؤال مقروناً بذكر هذا الاستدلال.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣٨٢

الحجة السابعة : أن قوله : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه ﴾ لا شك أنه خطاب مع الأمة ، وهم كانوا قاطعين بأن المتصرف فيهم هو الله ورسوله ، وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييباً لقول المؤمنين وتعريفاً لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب

والأنصار من الكفار ، وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصراً له ومعيناً له فأي حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى وإذا كان كذلك كان المراد بقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه ﴾ هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة ، ولا شك أن لفظ الولي مذكور مرة واحدة ، فلما أريد به ههنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معاف.

الحجة الثامنة : أنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ا أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة : ٥٤) فإذا حملنا قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه ﴾ على معنى المحبة والنصرة كان قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه ﴾ يفيد فائدة قوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ا أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقوله ﴿يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المائدة : ٥٤) يفيد فائدة قوله ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة : ٥٥) فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى ، فثبت بهذه الوجوه أن الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف.

". (١)

"جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤١٧

قلنا : الحق عندي أن ذلك غير لازم لا في حق الله تعالى ، ولا في حق الملائكة والأنبياء وتقريره : أن لفظ "علم" ورد في حق الله تعالى في آيات منها قوله : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الاسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة : ٣١) ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ (النساء : ١١٣) ﴿عَلَّمْنَاهُ وَلَـاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الكهف : ٦٥) ﴿الرَّحْمَانُ * عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ (الرحمن : ١ ، ٢) ثم لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى يا معلم ، وأيضاً ورد قوله : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ (المائدة : ٥٤) ثم لا يجوز عندي أن يقال يا محب. وأما في حق الأنبياء ، فقد ورد في حق آدم عليه السلام : ﴿وَعَصَى ا ءَادَمُ رَبَّه فَغَوَى ﴾ (طه : ١٢١) ثم لا يجوز أن يقال إن آدم كان عاصياً غاوياً ، وورد في حق موسى عليه السلام ﴿إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْه ﴾ (القصص : ٢٦) ثم لا يجوز أن يقال إنه عليه السلام كان أجيراً/ والضابط أن هذه الألفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها على الوارد ، فأما التوسع بإطلاق الألفاظ المشتقة منها فهي عندي ممنوعة غير جائزة.

ثم قال تعالى : ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فهو تهديد ووعيد لمن ألحد في أسماء الله. قالت المعتزلة : الآية قد دلت على إثبات العمل للعبد ، وعلى أن الجزاء مفرع على عمله وفعله.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤١٧

٤١٨

اعلم أنه تعالى لما قال : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالانسِ ﴾ فأخبر أن كثيراً من الثقلين مخلوقون للنار أتبعه بقوله : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِه يَعْدِلُونَ﴾ ليبين أيضاً أن كثيراً منهم مخلوقان للجنة. واعلم أنه تعالى ذكر في قصة موسى قوله : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى ا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِه يَعْدِلُونَ﴾ فلما أعاد الله تعالى هذا الكلام ههنا حمله أكثر المفسرين

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/١٦٧٧

على أن المراد منه قوم محمد صلى الله عليه وسلّم ، روى قتادة وابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنها هذه الأمة وروى أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : "هذه فيهم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها" وعن الربيع بن أنس أنه قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلّم هذه الآية فقال : "إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم" وقال ابن عباس يريد أمة محمد عليه الصلاة والسلام المهاجرين والأنصار. قال الجبائي : هذه الآية تدل على أنه لا يخلو زمان البتة عمن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون المراد زمان وجود محمد صلى الله عليه وسلّم ، / وهو الزمان الذي نزلت فيه هذه الآية. أو المراد أنه قد حصل زمان من الأزمنة حصل فيه قوم بالصفة المذكورة ، أو المراد ما ذكرنا أنه لا يخلو زمان من الأزمنة عن قوم موصوفين بهذه الصفة والأول باطل. لأنه قد كان ظاهراً لكل الناس أن محمداً وأصحابه على الحق ، فحمل الآية على هذا المعنى يخرجه عن الفائدة ، والثاني باطل أيضاً ، لأن كل أحد يعلم بالضرورة أنه قد حصل زمان ما في الأزمنة الماضية حصل فيه جميع من المحقين ، فلم يبق إلا القسم الثالث. وهو أدل على أنه ما خلا زمان عن قوم من المحقين وأن إجماعهم حجة ، وعلى هذا التقدير فهذا يدل على أن إجماع سائر الأمم حجة.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤١٨

٤١٩

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاَايَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُم إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الأمة الهادية العادلة ، أعاد ذكر المكذبين بآيات الله تعالى ، وما عليهم من الوعيد ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاَايَاتِنَا﴾ وهذا يتناول جميع المكذبين ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : المراد أهل مكة ، وهو بعيد ، لأن صفة العموم يتناول الكل ، إلا ما دل الدليل على خروجه منه.

وأما قوله : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ فالاستدراج الاستفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال ، درجة بعد درجة ، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه ، وأدرج الكتاب طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم ، مات بعضهم عقيب بعضهم ، ويحتمل أن يكون هذا اللفظ مأخوذ من الدرج وهو لف الشيء وطيه جزأ فجزأ.

." (١)

"المسألة الأولى : اعلم أنه تعالى لما رغبهم في الآية الأولى في الجهاد بناء على الترغيب في / ثواب الآخرة ، رغبهم في هذه الآية في الجهاد بناء على أنواع أخر من الأمور المقوية للدواعي ، وهي ثلاثة أنواع : الأول : قوله تعالى : ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

ع واعلم أن يحتمل أن يكون المراد منه عذاب الدنيا ، وأن يكون المراد منه عذاب الآخرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلّم القوم فتثاقلوا ، فأمسك الله عنهم المطر. وقال الحسن : الله أعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم. وقيل المراد منه عذاب الآخرة إذ الأليم لا يليق إلا به. وقيل إنه تهديد بكل الأقسام ، وهي عذاب الدنيا

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٢٠٩٦

وعذاب الآخرة ، وقطع منافع الدنيا ومنافع الآخرة. الثاني : قوله : ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ والمراد تنبيههم على أنه تعالى متكفل بنصره على أعدائه ، فإن سارعوا معه إلى الخروج حصلت النصرة بهم ، وإن تخلفوا وقعت النصرة بغيرهم ، وحصل العتبى لهم لئلا يتوهموا أن غلبة أعداء الدين وعز الإسلام لا يحصل إلا بهم ، وليس في النص دلالة على أن ذلك المعنى منهم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه** ﴾ (المائدة : ٥٤) ثم اختلف المفسرون. فقال ابن عباس : هم التابعون وقال سعيد بن جبير : هم أبناء فارس. وقال أبو روق : هم أهل اليمن ، وهذه الوجوه ليست تفسيراً للآية ، لأن الآية ليس فيها إشعار بها ، بل حمل ذلك الكلام المطلق على صورة معينة شاهدوها. قال الأصم : معناه أن يخرجه من بين أظهركم ، وهي المدينة. قال القاضي : هذا ضعيف لأن اللفظ لا دلالة فيه على أنه عليه السلام ينقل من المدينة إلى غيرها ، فلا يمتنع أن يظهر الله في المدينة أقواماً يعينونه على الغزو ، ولا يمتنع أن يعينه بأقوام من الملائكة أيضاً حال كونه هناك ، والثالث : قوله : ﴿وَلا تَضُرُّوهُ شَيْاًا ﴾ والكناية في قول الحسن : راجعة إلى الله تعالى ، أي لا تضروا الله لأنه غني عن العالمين ، وفي قول الباقين يعود إلى الرسول ، أي لا تضروا الرسول لأن الله عصمه من الناس ، ولأنه تعالى لا يخذله إن تثاقلتم عنه.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤٩

ثم قال : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث إنه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز ، فإذا توعد بالعقاب فعل.

المسألة الثانية : قال الحسن وعكرمة : هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ﴾ قال المحققون : إن هذه الآية خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فلم ينفروا ، وعلى هذا التقدير فلا نسخ. قال الجبائي : هذه الآية تدل على وعيد أهل الصلاة حيث بين أن المؤمنين إن لم ينفروا يعذبهم عذاباً إليماً وهو عذاب النار ، فإن ترك الجهاد لا يكون إلا من المؤمنين ، فبطل بذل قول المرجئة إن أهل الصلاة لا وعيد لهم ، وإذا ثبت الوعيد لهم في ترك الجهاد / فكذا في غيره ، لأنه لا قائل بالفرق ، واعلم أن مسألة الوعيد ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة.

المسألة الثالثة : قال القاضي : هذه الآية دالة على وجوب الجهاد ، سواء كان مع الرسول أو لا معه ، لأنه تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا ﴾ ولم ينص على أن ذلك القائل هو الرسول.

فإن قالوا : يجب أن يكون المراد هو الرسول لقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (التوبة : ٣٩) ولقوله : ﴿وَلا تَضُرُّوهُ شَيْاًا ﴾ (التوبة : ٣٩) إذ لا يمكن أن يكون المراد بذلك إلا الرسول.

قلنا : خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها على ما قررنا في أصول الفقه.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤٩

٥٥

اعلم أن هذا ذكر طريق آخر في ترغيبهم في الجهاد ، وذلك لأنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم إن لم ينفروا باستنفاره ، ولم يشتغلوا بنصرته فإن الله ينصره بدليل أن الله نصره وقواه ، حال ما لم يكن معه إلا رجل واحد ، فههنا أولى ، وفي الآية

مسائل :

المسألة الأولى : لقائل أن يقول : كيف يكون قوله : ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ جواباً للشرط ؟

وجوابه أن التقدير إلا تنصروه ، فسينصره من نصره حين ما لم يكن معه إلا رجل واحد ، ولا أقل من الواحد. والمعنى أنه ينصره الآن كما نصره في ذلك الوقت.

." (١)

"﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . (البقرة : ١٣٧) الثالث : أن جهجاها الغفاري انتزع العصا من يد عثمان وكسرها على ركبته فوقعت الأكلة في ركبته. وأما علي كرم الله وجهه فيروي أن واحداً من محبيه سرق وكان عبداً أسود فأتى به إلى علي فقال له : أسرقت ؟

قال نعم. فقطع يده فانصرف من عند علي عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي وابن الكرا ، فقال ابن الكرا : من قطع يدك فقال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه ؟

فقال : ولم لا أمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به علياً فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتاً من السماء ارفع / الرداء عن اليد فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى وجميل صنعه. أما سائر الصحابة فأحوالهم في هذا الباب كثيرة فنذكر منها شيئاً قليلاً. الأول : روى محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في خيسة فيها أسد فخرج الأسد إلي يريدني فقلت : يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعني ورجع. الثاني : روى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلاً آخر من الأنصار تحدثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما انفرق بينهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى في ضوئها حتى بلغ منزله. الثالث : قالوا لخالد بن الوليد إن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلة فطاف بالعسكر فلقي رجلاً على فرس ومعه زق خمر ، فقال ما هذا ؟

قال : خل ، فقال خالد : اللهم اجعله خلاً. فذهب الرجل إلى أصحابه فقال : أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا فإذا هو خل فقالوا : والله ما جئتنا إلا بخل ؟

فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد. الرابع : الواقعة المشهورة وهي أن خالد بن الوليد أكل كفاً من السم على اسم الله وماضره. الخامس : روي أن ابن عمر كان في بعض أسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء. السادس : روي أن النبي صلى الله عليه وسلّم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم ومشوا على الماء. وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحد والحصر فمن أرادها طالعها. وأما

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٢٢١٨

الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات فمن وجوه :

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٤٤١

الحجة الأولى : أن العبد ولي الله قال الله تعالى : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس : ٦٢) والرب ولي العبد قال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (البقرة : ٢٥٧) وقال : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف : ١٦٦) وقال : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه ﴾ (المائدة : ٥٥) وقال : ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾ (البقرة : ٢٨٦) وقال : ﴿ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (محمد : ١١) فثبت أن الرب ولي العبد وأن العبد ولي الرب وأيضاً الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ (المائدة : ٥٤) وقال : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّه ﴾ (البقرة : ١٦٥) وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة : ٢٢٢) وإذا ثبت هذا فنقول : العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريده الله ويأمره به فلأن يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة : ٤٥).

الحجة الثانية : لو امتنع إظهار الكرامة لكان ذلك إما لأجل أن الله ليس أهلاً لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لأجل أن المؤمن ليس أهلاً لأن يعطيه الله هذه العطية ، والأول : قدح في / قدرة الله وهو كفر ، والثاني : باطل فإن معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعاته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من إعطاء رغيف واحد مني مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلأن يعطيه رغيفاً في مفازة فأي بعد فيه ؟

". (١)

"البحث الثالث : بحث يحتمل أن يكون من وحي يوحى ويحتمل أن يكون من أوحى ييوحى ، تقول عدم يعدم ، وأعدم يعدم وكذلك علم يعلم وأعلم يعلم فنقول يوحى من أوحى لا من وحى ، وإن كان وحي وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر /الإيحاء الذي هو مصدر أوحى ، وعند ذكر الفعل لم يذكر وحي ، الذي مصدره وحى ، بل قال عند ذكر المصدر الوحي ، وقال عند ذكر الفعل ﴿أَوْحَى ﴾ وكذلك القول في أحب وحب فإن حب وأحب بمعنى واحد ، والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الإحباب ، وذكر الحب إلى ﴿ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا﴾ وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ (المائدة : ٥٤) ، وقال : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ (الحجرات : ١٢) وقال : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران : ٩٢) إلى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضي الثلاثي فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضي ، والماضي هو الأصل ، والدليل عليه وجهان ، لفظي ومعنوي :

جزء : ٢٨ رقم الصفحة : ٢٣١

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٢٨٨٨

أما اللفظي فإنهم يقولون مصدر فعل يفعل إذا كان متعدياً فعلاً بسكون العين ، وإذا كان لازماً فعول في الأكثر ، ولا يقولون الفعل الماضي من فعول فعلى ، وهذا دليل ما ذكرنا.
وأما المعنوي فلأن ما يوجد من الأمور لا يوجد إلا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الإنسان الذي يوجد ويتحقق يكون زيداً أن عمراً أو غيرهما ، ويكون في ضمنه أنه هندي أو تركي وفي ضمن ذلك أنه حيوان وناطق ، ولا يوجد أولاً إنسان ثم يصير تركياً ثم يصير زيداً أو عمراً.
إذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضياً أو مستقبلاً وفي ضمنه أنه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب إذا وجد فأما أن يكون قد مضى أو بعد لم يمض ، والأول ماض والثاني حاضر أو مستقبل ، ولا يوجد الضرب من حيث إنه ضرب خالياً عن المضي والحضور والاستقبال ، غير أن العاقل يدرك من فعل وهو يفعل الآن وسيفعل غداً أمراً مشتركاً فيسميه فعلاً ، كذلك يدرك في ضرب وهو يضرب الآن وسيضرب غداً أمراً مشتركاً فيسميه ضرباً فضرب يوجد أولاً ويستخرج منه الضرب ، والألفاظ وضعت لأمور تتحقق فيها فيعبر بها عنها والأمور المشتركة لا تتحقق إلا في ضمن أشياء أُخر ، فالوضع أولاً لما يوجد منه لا يدرك منه قبل الضرب ، وهذا ما يمكن أن يقال لمن يقول الماضي أصل والمصدر مأخوذ منه وأما الذي يقول المصدر أصل والماضي مأخوذ منه فله دلائل منها أن الاسم أصل ، والفعل متفرع ، والمصدر اسم ، ولأن المصدر معرب والماضي مبني/ والإعراب قبل البناء ولأن قال وقال ، وراع وراع ، إذا أردنا الفرق بينهما نرد أبنيتهما إلى المصدر فنقول قال الألف منقلبة من واو بدليل القول ، وقال ألف منقلبة من ياء بدليل القيل وكذلك الروع والريع. وأما المعقول فلأن الألفاظ وضعت للأمور التي في الأذهان ، والعام قبل الخاص في الذهن ، فإن الموجود إذا أدرك يقول المدرك هذا الموجود جوهر أو عرض فإذا أدرك أنه جوهر يقول إنه جسم أو غير جسم عند من يجعل الجسم جوهراً وهو الأصح الأظهر ، ثم إذا أدرك كونه جسماً يقول هو تام وكذلك الأمر إلى أن ينتهي إلى أخص الأشياء إن أمكن الانتهاء إليه بالتقسيم ، فالوضع الأول الفعل وهو المصدر من غير زيادة ، ثم إذا انضم إليه زمان تقول : ضرب أو سيضرب فالمصدر قبل الماضي ، وهذا هو الأصح ، إذا علمت هذا فنقول على مذهب من يقول المصدر في الثلاثي من الماضي فالحب وأحب كلاهما في درجة /واحدة لأن كليهما من حب يحب والمصدر من الثلاثي قبل مصدر المنشعبة بمرتبة ، وعلى مذهب من يقول الماضي في الثلاثي مأخوذ من المصدر فالمصدر الثلاثي قبل المصدر في المنشعبة بمرتبتين فاستعمل مصدر الثلاثي لأنه قبل مصدر المنشعبة ، وأما الفعل في أحب وأوحى فلأن الألف فيهما تفيد فائدة لا يفيدها الثلاثي المجرد لأن أحب أدخل في التعدية وأبعد عن توهم اللزوم فاستعمله.
جزء : ٢٨ رقم الصفحة : ٢٣١
المسألة الرابعة : ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْىٌ﴾ أبلغ من قول القائل هو وحي ، وفيه فائدة غير المبالغة وهي أنهم كانوا يقولون هو قول كاهن ، هو قول شاعر فأراد نفي قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد فقال : بل هو وحي ، وفيه زيادة فائدة أخرى وهو قوله ﴿يُوحَى ﴾ ذلك كقوله تعالى : ﴿وَلا طَا اارِ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (الأنعام : ٣٨) وفيه تحقيق الحقيقة فإن الفرس الشديد العدو ربما يقال هو طائر فإذا قال يطير بجناحيه يزيل جواز المجاز ، كذلك يقول بعض من لا يحترز في الكلام ويبالغ في المبالغة كلام فلان وحي ، كما يقول شعره سحر ، وكما يقول قوله معجزة ، فإذا قال يوحى يزول

ذلك المجاز أو يبعد.

جزء : ٢٨ رقم الصفحة : ٢٣١

.

". (١)

" صفحة رقم ١٣٧

دعوا الله مخلصين له الدين.

والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل : إن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد.

وقيل : إنما هو قال) والذين آمنوا أشد حبا لله (لأن الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله : **يحبهم ويحبونه**) ولو يرى الذين ظلموا (قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا.

يعني أشركوا في شدة العذاب ، لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم) إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا (معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعا ، والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه أن القوة له جميعا ، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود) وأن الله شديد العذاب (

)

البقرة : (١٦٦ - ١٦٧) إذ تبرأ الذين...

" إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار " (قوله عز وجل : (إذ تبرأ (أي تنزه وتباعد) الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب (أي القادة من مشركي الإنس من الأتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم.

وقيل : هم الشياطين يتبرؤون من الإنس ، والقول هو الأول) وتقطعت بهم الأسباب (يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة.

وقيل : الأعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا.

وقيل : العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها.

وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٤٢٢٣

تشبيها بالحبل الذي يصعد به) وقال الذين اتبعوا (يعني الأتباع) لو أن لنا كرة (أي رجعة إلى الدنيا) فنتبرأ منهم (أي من المتبوعين) كما تبرؤوا منا (اليوم) كذلك يريهم الله (أي كما أراهم العذاب يريهم الله) أعمالهم حسرات عليهم (لأنهم أيقنوا بالهلاك.

والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه ، والمعنى أن الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها ، وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها ؟.

وقيل : يريهم ما تركوا." (١)

" صفحة رقم ٦٣

أمر البصرة إلا به.

فقال : مات النصراني والسلام يعني : هب أنه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين.

قوله تعالى : (فترى الذين فى قلوبهم مرض (يعني فترى يا محمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق) يسارعون فيهم (يعني يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لأنهم كانوا أهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لأجل ذلك.

نزلت فى عبد الله بن أبي ، المنافق وفي أصحابه من المنافقين) يقولون (يعني المنافقين) نخشى أن تصيبنا دائرة (الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التي تدول والمعنى.

يقول المنافقون : إنما نخالط اليهود لأنا نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه ، ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة.

قال ابن عباس : معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور علينا الأمر كما كان قبل محمد) فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده (قال المفسرون : عسى من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الواعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) على أعدائه وإظهار دينه على الأديان كلها وإظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده.

وقيل : أراد بالفتح فتح مكة.

وقيل : فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم) أوأمر من عنده (يعني أنه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى فى قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بأيديهم ورحلوا إلى الشام.

وقوله تعالى : (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم أن أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الأخبار إلى اليهود.

)

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ١/١٣٧

المائدة : (٥٣ - ٥٤) ويقول الذين آمنوا...

" ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " ( ) ويقول الذين آمنوا (يعني ويقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين) أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم (وذلك أن المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى ويقولون إن المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لأعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة) حبطت أعمالهم (أي بطل كل خير عملوه لأجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود) فأصبحوا خاسرين (يعني أنهم خسروا فى الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة بإحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم.

قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه (يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الإسلام فيبدله ويغيره بدخوله فى الكفر بعد الإيمان فيختار : إما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الإسلام قال الحسن : علم الله تعالى أن قوما سيرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم (صلى الله عليه وسلم) فأخبر أنه سيأتي." (١)

" صفحة رقم ٦٤

بقوم **يحبهم ويحبونه**.

وذكر صاحب الكشاف أن إحدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم : بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي في بيته فقتله فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الغد وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول.

وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.

(أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك) فكتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب.

أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وستأتي قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم

---

(١) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع، ٦٣/٢

قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب.

وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت فى خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فإنهم ثبتوا على الإسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله) فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم على منعها.

وقال أنس بن مالك : كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة ، وقالوا : هم أهل القبلة ، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج." (١)

" صفحة رقم ٦٥

على أثره ، فقال ابن مسعود : كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

وقال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا حصين يقول : ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة : توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير إلى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة ، فكان وحشي يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد بذلك وحشي أنه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال إسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم : المراد بقوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري ، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية) فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (هم قوم هذا) يعني أبا موسى الاشعري أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن

(ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية) وقال السدي : نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأعانوه على إظهار الدين ، وقيل : هم أحياء من أهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٢/٦٤

أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر ، وعلى هذا التقدير ، تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة.

وأما معنى المحبة ، فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا.

ومحبة الله تعالى العبد ، إنعامه عليه وتوفيقه وهدايته إلى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يثيبه أحسن الثواب على طاعته." (١)

" صفحة رقم ٦٦

وأن يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن يتحبب بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن **يحبهم ويحبونه** بمنه وكرمه.

وقوله تعالى : (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله : **يحبهم ويحبونه** ، يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين وهم من رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء أقوياء غلظاء على أعدائهم الكافرين.

قال علي بن أبي طالب : أذلة على المؤمنين يعني أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم.

وقال ابن عباس : تراهم كالولد لوالده والعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته.

وقال ابن الأنباري : أثنى الله على المؤمنين بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم ويعنفون الكافرين إذا لقوهم.

وقيل : إن الذل بمعنى الشفقة والرحمة كأنه قال راحمين للؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وإنما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم بل ذلك التذلل لأجل أنهم ضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله : (أعزة على الكافرين (يعني أنهم أشداء أقوياء في أنفسهم وعلى أعدائهم) يجاهدون في سبيل الله (يعني أنهم ينصرون دين الله) ولا يخافون لومة لائم (يعني لا يخافون عدل عادل فى نصرهم الدين وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فإنه لا يخاف في نصره لدين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين إيمانهم لله تعالى (ق).

عن عبادة بن الصامت قال : بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره على أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل بهم عليهم ومن إحسانه إليهم) والله واسع عليم (يعني أنه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه.

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٦٥/٢

)

المائدة : (٥٥ – ٥٦) إنما وليكم الله...

" إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " (قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا (قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال : أوالي الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) وقال جابر بن عبد الله : نزلت فى عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) فقال يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا ، فنزلت هذه الآية ، فقرأ : عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال عبد الله بن سلام : رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء.

وقيل : الآية عامة." (١)

" ٥٤ – ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد ﴾ بالفك والإدغام يرجع ﴿ منكم عن دينه ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم ﴿ فسوف يأتي الله ﴾ بدلهم ﴿ بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال صلى الله عليه و سلم : [هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الاشعري] رواه الحاكم في صحيحه ﴿ أذلة ﴾ عاطفين ﴿ على المؤمنين أعزة ﴾ أشداء ﴿ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو أهله ونزل لما قال ابن سلام يا رسول اله إن قومنا هجرونا ." (٢)

"" صفحة رقم ٣٣٧ "

كذلك في الإمام والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث فرق بنو ملدج وكان رئيسهم ذا الخمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غدها وأخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم غيينه بن حصن وغطفان قوم فرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة

---

(١) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع، ٢/٦٦

(٢) تفسير الجلالين، ص/١٤٨

وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام) فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (قيل هم أهل اليمن لما روي أنه (صلى الله عليه وسلم) أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لأنه (صلى الله عليه وسلم) سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من." (١)

"محذوف ، على رأي جمهور المعربين ، التقدير : على الأول يحبونهموه ، أي الحب مشبها حب الله ، وعلى الثاني تقديره : حبا مثل حب الله ، والمصدر مضاف للمفعول المنصوب ، والفاعل محذوف ، التقدير : كحبهم الله ، أو كحب المؤمنين الله ، والمعنى أنهم سووا بين الحبين ، حب الأنداد وحب الله. وقال ابن عطية : حب : مصدر مضاف إلى المفعول في اللفظ ، وهو على التقدير مضاف إلى الفاعل المضمر ، تقديره : كحبكم الله ، أو كحبهم ، حسبما قدر كل وجه منهما فرقة. انتهى كلامه. فقوله : مضاف إلى الفاعل المضمر ، لا يعني أن المصدر أضمر فيه الفاعل ، وإنما سماه مضمرا لما قدره كحبكم أو كحبهم ، فأبرزه مضمرا حين أظهر تقديره ، أو يعني بالمضمر المحذوف ، وهو موجود في اصطلاح النحويين ، أعني أن يسمى الحذف إضمارا. وإنما قلت ذلك ، لأن من النحويين من زعم أن الفاعل مع المصدر لا يحذف ، وإنما يكون مضمرا في المصدر. ورد ذلك بأن المصدر هو اسم جنس ، كالزيت والقمح ، وأسماء الأجناس لا يضمر فيه. وقال الزمخشري : كحب الله : كتعظيم الله والخضوع له ، أي كما يحب الله ، على أنه مصدر من المبني للمفعول ، وإنما استغنى عن ذكر من يحبه ، لأنه غير ملبس. وقيل : كحبهم الله ، أي يسوون بينه وبينه في محبتهم ، لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه ، ﴿فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ . انتهى كلامه. واختار كون المصدر مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله ، وهي مسألة خلاف. أيجوز أن يعتقد في المصدر أنه مبني للمفعول ؟ فيجوز : عجبت من ضرب زيد ، على أنه مفعول لم يسم فاعله ، ثم يضاف إليه ، أم لا يجوز ذلك ؟ فيه ثلاثة مذاهب ، يفصل في الثالث بين أن يكون المصدر من فعل لم يبن إلا للمفعول نحو : عجبت من جنون بالعلم زيد ، لأنه من جننت التي لم تبن إلا للمفعول الذي لم يسم فاعله ، أو من فعل يجوز أن يبنى للفاعل ، ويجوز أن يبنى للمفعول فيجوز في الأول ، ويمتنع في الثاني ، وأصحها المنع مطلقا. وتقرير هذا كله في النحو. وقد رد الزجاج قول من قدر فاعل المصدر المؤمنين ، أو ضميرهم ، وهو مروي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي العالية ، وابن زيد ، ومقاتل ، والفراء ، والمبرد ، وقال : ليس بشيء ، والدليل على نقضه قوله تعالى بعد : ﴿والذين ءامنوا أشد حبا لله﴾ ، ورجح أن يكون فاعل المصدر ضمير المتخذين ، أي يحبون الأصنام كما يحبون الله ، لأنهم أشركوها مع الله تعالى ، فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة على كمال قدرته ولطيف فطرته وذلة الأصنام وقلتها. وقرأ أبو رجاء العطاردي : يحبونهم ، بفتح الياء ، وهي لغة ، وفي المثل السائر : من حب طب ، وجاء مضارعه على يحب ، بكسر العين شذوذا ، لأنه مضاعف متعد ، وقياسه أن يكون مضموم العين نحو : مده يمده ، وجر يجره.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٥٣

---

(١) تفسير البيضاوى ـ موافق للمطبوع، ٢/٣٣٧

﴿والذين ءامنوا أشد حبا لله﴾ : قال الراغب : الحب أصله من المحبة ، حببته : أصبت حبة قلبه ، وأصبته بحبة القلب ، وهي في اللفظ فعل ، وفي الحقيقة انفعال. وإذا استعمل في الله ، فالمعنى : أصاب حبة قلب عبده ، فجعلها مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعداء الله. انتهى. وقال عبد الجبار : حب العبد لله : تعظيمه والتمسك بطاعته ، وحب الله العبد : إرادة الثناء عليه وإثابته. وأصل الحب في اللغة : اللزوم ، لأن المحب يلزم حبيبه ما أمكن. اهـ. والمفضل عليه محذوف ، وهم المتخذون الأنداد ، ومتعلق الحب الثاني فيه خلاف. فقيل : معنى أشد حبا لله : أي منهم لله ، لأن حبهم لله بواسطة ، قاله الحسن ؛ أو منهم لأوثانهم ، قاله غيره. ومقتضى التمييز بالأشدية ، إفراد المؤمنين له بالمحبة ، أو لمعرفتهم بموجب الحب ، أو لمحبتهم إياه بالغيب ، أو لشهادته تعالى لهم بالمحبة ، إذ قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونها﴾ ، أو لإقبال المؤمن على ربه في السراء والضراء والشدة والرخاء ، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه ، أو لعلمه بأن الله خالق الصنم وهو الضار النافع ، أو لكون حبه بالعقل والدليل ، أو لامتثاله أمره حتى في القيامة حين يأمرالله تعالى من عبده لا يشرك به شيئا أن يقتحم النار ، فيبادرون إليه ،

٤٧٠

فتبرد عليهم النار ، فينادي مناد تحت العرش : ﴿والذين ءامنوا أشد حبا لله﴾ ، ويأمر من عبد الأصنام أن يدخل معهم النار فيجزعون ، قاله ان جبير. تسعة أقوال ثبتت نقائضها ومقابلاتها لمتخذ الأنداد. وهذه كلها خصائص ميز الله بها المؤمنين في حبه على الكافرين ، فذكر كل واحد من المفسرين خصيصيه. والمجموع هو المقتضى لتمييز الحب ، فلا تباين بين الأقوال على هذا ، لأن كل قول منها ليس على جهة الحصر فيه ، إنما هو مثال من أمثلة مقتضى التمييز. (١) ".

"قيل : ويحتمل أن يكون في وقت الذين في قلوبهم مرض يقولون : ﴿نخشى أن تصيبنا دآئرة﴾ وعندما ظهر سؤالهم في أمر بني قينقاع وسؤال عبد الله بن أبي فيهم ، ونزل الرسول إياهم له ، وإظهار عبد الله أن خشية الدوائر هي خوفه على المدينة ومن بها من المؤمنين ، وقد علم كل مؤمن أنه كاذب في ذلك ، فكان فعله ذلك موطنا أن يقول المؤمنون ذلك. وأما قراءة ويقول بالنصب ، فوجهت على أن هذا القول لم يكن إلا عند الفتح ، وأنه محمول على المعنى ، فهو معطوف على أن يأتي ، إذ معنى : فعسى الله أن يأتي ، معنى فعسى أن يأتي الله ، وهذا الذي يسميه النحويون العطف على التوهم ، يكون الكلام في قالب فيقدره في قالب آخر ، إذ لا يصح أن يعطف ضمير اسم الله ولا شيء منه. وأجاز ذلك أبو البقاء على تقدير ضمير محذوف أي : ويقول الذين آمنوا به ، أي بالله. فهذا الضمير يصح به الربط ، أو هو معطوف على أن يأتي على أن يكون أن يأتي بدلا من اسم الله لا خبرا ، فتكون عسى إذ ذاك تامة لا ناقصة ، كأنك قلت : عسى

٥٠٩

أن يأتي ، ويقول : أو معطوف على فيصبحوا ، على أن يكون قوله : فيصبحوا منصوبا بإضمار أن جوابا لعسى ، إذ فيها معنى التمني. وقد ذكرنا أن في هذا الوجه نظر ، وهوهل تجري عسى في الترجي مجرى ليت في التمني ؟ أم لا تجري ؟ وذكر

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٤١٠/١

هذا الوجه ابن عطية عن أبي يعلى ، وتبعه ابن الحاجب ، ولم يذكر ابن الحاجب غيره. وعسى من الله واجبة فلا ترجى فيها ، وكلا الوجهين قبله تخريج أبي علي. وخرجه النحاس على أن يكون معطوفا على قوله : ﴿بالفتح﴾ بأن يفتح ، ويقول : ولا يصح هذا لأنه قد فصل بينهما بقوله : أو أمر من عنده ، وحقه أن يكون لغة لأن المصدر ينحل لأن والفعل ، فالمعطوف عليه من تمامه ، فلا يفصل بينهما. وهذا إن سلم أن الفتح مصدر ، فيحل لأن والفعل. والظاهر أنه لا يراد به ذلك ، بل هو كقولك : يعجبني من زيد ذكاؤه وفهمه ، لا يراد به انحلاله ، لأن والفعل وعلى تقدير ذلك فلا يصح أيضا ، لأن المعنى ليس على : فعسى الله أن يأتي ، بأن يقول الذين آمنوا كذا. ولأنه يلزم من ذلك الفصل بين المتعاطفين بقوله : ﴿فيصبحوا ﴾ وهو أجنبي من المتعاطفين ، لأن ظاهر فيصبحوا أن يكون معطوفا على أن يأتي ، ونظيره قولك : هند الفاسقة أراد زيد إذايتها بضرب أو حبس وإصباحها ذليلة ، وقول أصحابه : أهذه الفاسقة التي زعمت أنها عفيفة ؟ فيكون وقول معطوفا على بضرب. وقال ابن عطية : عندي في منع جواز عسى الله أن يقول المؤمنون نظر ، إذ الذين نصرهم يقولون : ننصره بإظهار دينه ، فينبغي أن يجوز ذلك انتهى. وهذا الذي قاله راجع إلى أن يصير سببا لأنه صار في الجملة ضمير عائد على الله ، وهو تقديره بنصره وإظهار دينه ، وإذا كان كذلك فلا خلاف في الجواز. وإنما منعوا حيث لا يكون رابط وانتصاب جهد على أنه مصدر مؤكد ، والمعنى : أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الإيمان أنهم معكم ؟ ثم ظهر الآن من موالاتهم اليهود ما أكذبهم في أيمانهم. ويجوز أن ينتصب على الحال ، كما جوزوا في فعلته جهدك وقوله : إنهم لمعكم ، حكاية لمعنى القسم لا للفظهم ، إذ لو كان لفظهم لكان إنا لمعكم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ ظاهره أنه من جملة ما يقوله المؤمنون اعتمادا في الأخبار على ما حصل في اعتقادهم أي : بطلت أعمالهم إن كانوا يتكلفونها في رأي العين. قال الزمخشري : وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم ويحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى ، ويحتمل أن لا يكون خبرا بل دعاء إما من الله تعالى ، وإما من المؤمنين. وحبط العمل هنا هو على معنى التشبيه ، وإلا فلا عمل له في الحقيقة فيحبط وجوز الحوفي أن يكون حبطت أعمالهم خبرا ثانيا عن هؤلاء ، والخبر الأول هو قوله الذين أقسموا ، وأن يكون الذين ، صفة لهؤلاء ، ويكون حبطت هو الخبر. وقد تقدم ذكر قراءة أبي واقد والجراح حبطت بفتح الباء وأنها لغة.

﴿يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينها فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونها﴾ وابن كعب والضحاك الحسن وقتادة وابن جريج وغيرهم : نزلت خطابا

٥١٠

للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة. ومن يرتد جملة شرطية مستقلة ، وهي إخبار عن الغيب.

" (١).

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣/٤٠٨

"وتعرض المفسرون هنا لمن ارتد في قصة طويلة نختصرها ، فنقول : ارتد في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم مذ حج ورئيسهم عبهلة بن كعب ذو الخمار ، وهو الأسود العنسي قتله فيروز على فراشه ، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسمى قاتله ليلة قتل. ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد ، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة رئيسهم مسيلمة قتله وحشي ، وبنو أسد رئيسهم طليحة بن خويلد هزمه خالد بن الوليد ، وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه. هذه ثلاث فرق ارتدت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتنبأ رؤساؤهم. وارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سبع فرق. فزارة قوم عيينة بن حصن ، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري ، وسليم قوم الفجاه بن عبد يا ليل ، ويربوع قوم مالك بن نويرة ، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وقد تنبأت وتزوجها مسيلمة وقال : الشاعر :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بهاوأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وقال أبو العلاء المعري :

أمت سجاح ووالاها مسيلمةكذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث ، وبكر بن وائل بالبحرين قوم الحظم بن يزيد. وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه. وفرقة في عهد عمر : غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلد الروم بعد إسلامه.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

وفي القوم الذين يأتي الله بهم : أبو بكر وأصحابه ، أو أبو بكر وعمر وأصحابهما ، أو قوم أبي موسى ، أو أهل اليمن ألفان من البحر وخمسة آلاف من كندة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا أيام القادسية أيام عمر. أو الأنصار ، أو هم المهاجرون ، أو أحياء من اليمن من كندة وبجيلة وأشجع لم يكونوا وقت النزول قاتل بهم أبو بكر في الردة ، أو القربى ، أو علي بن أبي طالب قاتل الخوارج أقوال تسعة.

وفي المستدرك لأبي عبد الله الحاكم بإسناد : أنه لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم : هذا. وهذا أصح الأقوال ، وكان لهم بلاء في الإسلام زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة فتوح عمر على أيديهم.

وقرأ نافع وابن عامر : من يرتدد بدالين مفكوكا ، وهي لغة الحجاز. والباقون بواحدة مشددة وهي لغة تميم. والعائد على اسم الشرط من جملة الجزاء محذوف لفهم المعنى تقديره : فسوف يأتي الله بقوم غيرهم ، أو مكانهم. ويحبونه معطوف على قوله : يحبهم ، فهو في موضع جر. وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون حالا من الضمير المنصوب تقديره : وهم يحبونه انتهى. وهذا ضعيف لا يسوغ مثله في القرآن. ووصف تعالى هؤلاء القوم بأنه **يحبهم ويحبونه** ، محبة الله لهم هي توفيقهم للإيمان كما قال تعالى : ﴿ولاكن الله حبب إليكم الايمان﴾ وإثابته على ذلك وعلى سائر الطاعات ، وتعظيمه إياهم ، وثناؤه عليهم ، ومحبتهم له طاعته ، واجتناب نواهيه ، وامتثال مأموراته. وقدم محبته على محبتهم إذ هي أشرف وأسبق. وقال الزمخشري : وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله ، وأمقتهم للشرع ، وأسوأهم طريقة ، وإن كانت طريقته عند أمثاله من السفهاء والجهلة شيئا وهم : الفرقة المنفعلة والمتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على

كراسيهم خربها الله ، وفي مراقصهم عطلها الله ، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي تشبه صعقة موسى عند دك الطور ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ومن كلماته كما أنه بذاته يحبهم ، كذلك يحبون ذاته ، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات. ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، فإذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة انتهى كلام

٥١١

". (١)

"الزمخشري رحمه الله تعالى. وقال بعض المعاصرين : قد عظم أمر هؤلاء المنفعلة عند العامة وكثر القول فيهم بالحلول والوحدة ، وسر الحروف ، وتفسير القرآن على طريق القرامطة الكفار الباطنية ، وادعاء أعظم الخوارق لأفسق الفساق ، وبغضهم في العلم وأهله ، حتى أن طائفة من المحدثين قصدوا قراءة الحديث على شيخ في خانقاتهم يروي الحديث فبنفس ما قرأوا شيئا من حديث الرسول. خرج شيخ الشيوخ الذين هم يقتدون به ، وقطع قراءة الحديث ، وأخرج الشيخ المسمع والمحدثين وقال : روحوا إلى المدارس شوشتم علينا. ولا يمكنون أحدا من قراءة القرآن جهرا ، ولا من الدرس للعلم. وقد صح أن بعضهم ممن يتكلم بالدهر على طريقتهم ، سمع ناسا في جامع يقرؤون القرآن فصعد كرسيه الذي يهدر عليه فقال : يا أصحابنا شوشوا علينا ، وقام نافضا ثوبه ، فقام أصحابه وهو يدلهم لقراء القرآن ، فضربوهم أشد الضرب ، وسل عليهم السيف من اتباع ذلك الهادر وهو لا ينهاهم عن ذلك. وقد علم أصحابه كلاما افتعلوه على بعض الصالحين حفظهم إياه يسردونه حفظا كالسورة من القرآن ، وهو مع ذلك لا يعلمهم فرائض الوضوء ، ولا سننه ، فضلا عن غيرها من تكاليف الإسلام. والعجب أن كلا من هؤلاء الرؤوس يحدث كلاما جديدا يعلمه أصحابه حتى يصير لهم شعارا ، ويترك ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدعية المأثورة المأمور بها. وفي كتاب الله تعالى على غثاثة كلامهم ، وعاميته ، وعدم فصاحته ، وقلة محصوله ، وهم مستمسكون به كأنه جاءهم به وحي من الله. ولن ترى أطوع من العوام لهؤلاء يبنون لهم الخوانق والربط ، ويرصدون لهم الأوقاف ، وهم أبغض الناس في العلم والعلماء ، وأحبهم لهذه الطوائف. والجاهلون لأهل العلم أعداء.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هو جمع ذليل لا جمع ذلول الذي هو نقيض الضعف ، لأن ذلولا لا يجمع على أذلة بل ذلل ، وعدي أذلة بعلى وإن كان الأصل باللام ، لأنه ضمنه معنى الحنو والعطف كأنه قال : عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع. قيل : أو لأنه على حذف مضاف التقدير : على فضلهم على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع. قيل : أو لأنه على حذف مضاف التقدير : على فضلهم على المؤمنين ، والمعنى أنهم يذلون ويخضعون لمن فضلوا عليه مع شرفهم وعلو مكانهم ، وهو نظير قوله : ﴿أشدآء على الكفار رحمآء بينهم﴾ وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة ، لأن أذلة جمع ذليل وأعزة جمع عزيز ، وهما صفتا مبالغة ، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله : ﴿يحبهم

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٤٠٩/٣

ويحبونها﴾ لأن الاسم يدل على الثبوت ، فلما كانت صفة مبالغة ، وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة ، جاء الوصف بالاسم. ولما كانت قبل تتجدد ، لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتب عليها ، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد. ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن أوكد ، ولموصوفه الذي قدم على الوصف المتعلق بالكافر ، ولشرف المؤمن أيضا. ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن ، قدم قوله **يحبهم ويحبونه** على قوله : أذلة على المؤمنين.

وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم إلا في ضرورة الشعر نحو قوله :

وفرع يغشى المتن أسود فاحم

إذ جاء ما ادعى أنه يكون في الضرورة في هذه الآية ، فقدم **يحبهم ويحبونه** . وهو فعل . على قوله : أذلة وهو اسم. وكذلك قوله تعالى : ﴿وهاذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ وقرىء شاذا أذلة ، وهو اسم وكذا أعزة نصبا على الحال من النكرة إذا قربت من المعرفة بوصفها. وقرأ عبد الله : غلظاء على الكافرين مكان

٥١٢

أعزة.

﴿يجاهدون فى سبيل الله﴾ أي في نصرة دينه. وظاهر هذه الجملة أنها صفة ، ويجوز أن تكون استئناف أخبار. وجوز أبو البقاء أن تكون في موضع نصب حالا من الضمير في أعزة.

". (١)

"" صفحة رقم ٦٤٤ "

من المبني للمفعول ، وإنما استغنى عن ذكر من يحبه ، لأنه غير ملبس . وقيل : كحبهم الله ، أي يسوون بينه وبينه في محبتهم ، لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه ، (فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين). انتهى كلامه . واختار كون المصدر مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله ، وهي مسألة خلاف . أيجوز أن يعتقد في المصدر أنه مبني للمفعول ؟ فيجوز : عجبت من ضرب زيد ، على أنه مفعول لم يسم فاعله ، ثم يضاف إليه ، أم لا يجوز ذلك ؟ فيه ثلاثة مذاهب ، يفصل في الثالث بين أن يكون المصدر من فعل لم يبن إلا للمفعول نحو : عجبت من جنون بالعلم زيد ، لأنه من جننت التي لم تبن إلا للمفعول الذي لم يسم فاعله ، أو من فعل يجوز أن يبنى للفاعل ، ويجوز أن يبنى للمفعول فيجوز في الأول ، ويمتنع في الثاني ، وأصحها المنع مطلقا . وتقرير هذا كله في النحو . وقد رد الزجاج قول من قدر فاعل المصدر المؤمنين ، أو ضميرهم ، وهو مروي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي العالية ، وابن زيد ، ومقاتل ، والفراء ، والمبرد ، وقال : ليس بشيء ، والدليل على نقضه قوله تعالى بعد :) والذين ءامنوا أشد حبا لله (، ورجح أن يكون فاعل المصدر ضمير المتخذين ، أي يحبون الأصنام كما يحبون الله ، لأنهم أشركوها مع الله تعالى ، فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة على كمال قدرته ولطيف فطرته

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣/٤١٠

وذلة الأصنام وقلتها . وقرأ أبو رجاء العطاردي : يحبونهم ، بفتح الياء ، وهي لغة ، وفي المثل السائر : من حب طب ، وجاء مضارعه على يحب ، بكسر العين شذوذا ، لأنه مضاعف متعد ، وقياسه أن يكون مضموم العين نحو : مده يمده ، وجر يجره .

(والذين ءامنوا أشد حبا لله (: قال الراغب : الحب أصله من المحبة ، حببته : أصبت حبة قلبه ، وأصبته بحبة القلب ، وهي في اللفظ فعل ، وفي الحقيقة انفعال . وإذا استعمل في الله ، فالمعنى : أصاب حبة قلب عبده ، فجعلها مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعداء الله . انتهى . وقال عبد الجبار : حب العبد لله : تعظيمه والتمسك بطاعته ، وحب الله العبد : إرادة الثناء عليه وإثابته . وأصل الحب في اللغة : اللزوم ، لأن المحب يلزم حبيبه ما أمكن . اه . والمفضل عليه محذوف ، وهم المتخذون الأنداد ، ومتعلق الحب الثاني فيه خلاف . فقيل : معنى أشد حبا لله : أي منهم لله ، لأن حبهم لله بواسطة ، قاله الحسن ؛ أو منهم لأوثانهم ، قاله غيره . ومقتضى التمييز بالأشدية ، إفراد المؤمنين له بالمحبة ، أو لمعرفتهم بموجب الحب ، أو لمحبتهم إياه بالغيب ، أو لشهادته تعالى لهم بالمحبة ، إذ قال تعالى :) **يحبهم ويحبونه** (، أو لإقبال المؤمن على ربه في السراء والضراء والشدة والرخاء ، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه ، أو لعلمه بأن الله خالق الصنم وهو الضار النافع ، أو لكون حبه بالعقل والدليل ، أو لامتثاله أمره حتى في القيامة حين يأمرالله تعالى من عبده لا يشرك به شيئا أن يقتحم النار ، فيبادرون إليه ، فتبرد عليهم النار ، فينادي مناد تحت العرش :) والذين ءامنوا أشد حبا لله (، ويأمر من عبد الأصنام أن يدخل معهم النار فيجزعون ، قاله ان جبير . تسعة أقوال ثبتت نقائضها ومقابلاتها لمتخذ الأنداد . وهذه كلها خصائص ميز الله بها المؤمنين في حبه على الكافرين ، فذكر كل واحد من المفسرين خصيصيه . والمجموع هو المقتضى لتمييز الحب ، فلا تباين بين الأقوال على هذا ، لأن كل قول منها ليس على جهة الحصر فيه ، إنما هو مثال من أمثلة مقتضى التمييز .

وقال في المنتخب جمهور المتكلمين : على أن المحبة نوع من أنواع الإرادة ، لا تعلق لها إلا بالجائزات ، فيستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته . فإذا قلنا : يحب الله ، فمعناه : يحبطاعة الله وخدمته وثوابه وإحسانه . وحكى عن قوم سماهم هو بالعارفين أنهم قالوا : نحب الله لذاته ، كما نحت اللذة لذاتها ، لأنه تعالى موصوف بالكمال ، والكمال محبوب لذاته . انتهى كلامه . وعدل في أفعل التفضيل عن أحب إلى أشد حبا ، لما تقرر في علم العربية أن أفعل التفضيل وفعل التعجب من واد واحد . وأنت لو قلت : ما أحب زيدا ، لم يكن ذلك تعجبا من فعل الفاعل ، إنما يكون تعجبا من فعل المفعول ، ولا يجوز أن يتعجب من الفعل الواقع بالمفعول ، فينتصب المفعول به كانتصاب الفاعل . لا تقول : ما أضرب زيدا ، على أن زيدا حل به الضرب . وإذا تقرر هذا ، فلا يجوز." (١)

"" صفحة رقم ٥١٧ "

يوقنون . وقيل : اللام بمعنى عند أي عند قوم يوقنون ، وهذا ضعيف . وقيل : تتعلق بقوله : حكما ، أي أن أحكم الله للمؤمن على الكافر . ومتعلق يوقنون محذوف تقديره : يوقنون بالقرآن قاله ابن عباس . وقيل : يوقنون بالله تعالى قاله

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٦٤٤/١

مقاتل . وقال الزجاج : يوقنون يثبتون عهد الله تعالى في حكمه ، وخصوا بالذكر لسرعة إذعانهم لحكم الله وأنهم هم الذين يعرفون أن لا أعدل منه ولا أحسن حكما .

٢ ( ) يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء بعضهم أوليآء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على مآ أسروا فىأنفسهم نادمين ويقول الذين ءامنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يأأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذالك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلواة ويؤتون الزكواة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أوليآء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلواة اتخذوها هزوا ولعبا ذالك بأنهم قوم لا يعقلون قل يأهل الكتاب هل تنقمون منآ إلا أن ءامنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذالك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولائك شر مكانا وأضل عن سوآء السبيل وإذا جآءوكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والا حبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشآء وليزيدن كثيرا منهم مآ أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضآء إلى يوم القيامة كلمآ أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الا رض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب ءامنوا واتقوا." (١)

"" صفحة رقم ٥٢٢ "

ابن الحاجب ، ولم يذكر ابن الحاجب غيره . وعسى من الله واجبة فلا ترجى فيها ، وكلا الوجهين قبله تخريج أبي علي . وخرجه النحاس على أن يكون معطوفا على قوله :) بالفتح (بأن يفتح ، ويقول : ولا يصح هذا لأنه قد فصل بينهما بقوله : أو أمر من عنده ، وحقه أن يكون لغة لأن المصدر ينحل لأن والفعل ، فالمعطوف عليه من تمامه ، فلا يفصل بينهما . وهذا إن سلم أن الفتح مصدر ، فيحل لأن والفعل . والظاهر أنه لا يراد به ذلك ، بل هو كقولك : يعجبني من زيد ذكاؤه وفهمه ، لا يراد به انحلاله ، لأن والفعل وعلى تقدير ذلك فلا يصح أيضا ، لأن المعنى ليس على : فعسى الله أن يأتي ، بأن يقول الذين آمنوا كذا . ولأنه يلزم من ذلك الفصل بين المتعاطفين بقوله :) فيصبحوا (وهو أجنبي من المتعاطفين ، لأن ظاهر فيصبحوا أن يكون معطوفا على أن يأتي ، ونظيره قولك : هند الفاسقة أراد زيد إذايتها بضرب أو حبس وإصباحها ذليلة ، وقول أصحابه : أهذه الفاسقة التي زعمت أنها عفيفة ؟ فيكون وقول معطوفا على بضرب . وقال ابن عطية : عندي في منع جواز عسى الله أن يقول المؤمنون نظر ، إذ الذين نصرهم يقولون : ننصره بإظهار دينه ، فينبغي

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٥١٧/٣

أن يجوز ذلك انتهى . وهذا الذي قاله راجع إلى أن يصير سببا لأنه صار في الجملة ضمير عائد على الله ، وهو تقديره بنصره وإظهار دينه ، وإذا كان كذلك فلا خلاف في الجواز . وإنما منعوا حيث لا يكون رابط وانتصاب جهد على أنه مصدر مؤكد ، والمعنى : أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الإيمان أنهم معكم ؟ ثم ظهر الآن من موالاتهم اليهود ما أكذبهم في أيمانهم . ويجوز أن ينتصب على الحال ، كما جوزوا في فعلته جهدك وقوله : إنهم لمعكم ، حكاية لمعنى القسم لا للفظهم ، إذ لو كان لفظهم لكان إنا لمعكم .

(حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (ظاهره أنه من جملة ما يقوله المؤمنون اعتمادا في الأخبار على ما حصل في اعتقادهم أي : بطلت أعمالهم إن كانوا يتكلفونها في رأي العين . قال الزمخشري : وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم ويحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى ، ويحتمل أن لا يكون خبرا بل دعاء إما من الله تعالى ، وإما من المؤمنين . وحبط العمل هنا هو على معنى التشبيه ، وإلا فلا عمل له في الحقيقة فيحبط وجوز الحوفي أن يكون حبطت أعمالهم خبرا ثانيا عن هؤلاء ، والخبر الأول هو قوله الذين أقسموا ، وأن يكون الذين ، صفة لهؤلاء ، ويكون حبطت هو الخبر . وقد تقدم ذكر قراءة أبي واقد والجراح حبطت بفتح الباء وأنها لغة .

المائدة : (٥٤) يا أيها الذين . . . . .

(يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (وابن كعب والضحاك الحسن وقتادة وابن جريج وغيرهم : نزلت خطابا للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة . ومن يرتد جملة شرطية مستقلة ، وهي إخبار عن الغيب .

وتعرض المفسرون هنا لمن ارتد في قصة طويلة نختصرها ، فنقول : ارتد في زمان الرسول (صلى الله عليه وسلم)) مذ حج ورئيسهم عبهلة بن كعب ذو الخمار ، وهو الأسود العنسي قتله فيروز على فراشه ، وأخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)) بقتله ، وسمى قاتله ليلة قتل . ومات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) من الغد ، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة رئيسهم مسيلمة قتله وحشي ، وبنو أسد رئيسهم طليحة بن خويلد هزمه خالد بن الوليد ، وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه . هذه ثلاث فرق ارتدت في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)) ، وتنبأ رؤساؤهم . وارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سبع فرق . فزارة قوم عيينة بن حصن ، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري ، وسليم قوم الفجاه بن عبد يا ليل ، ويربوع قوم مالك بن نويرة ، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وقد تنبأت وتزوجها مسيلمة وقال : الشاعر : أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها

وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وقال أبو العلاء المعري :." (١)

"" صفحة رقم ٥٢٣ "

أمت سجاح ووالاها مسيلمة

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٥٢٢/٣

كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث ، وبكر بن وائل بالبحرين قوم الحظم بن يزيد . وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه .

وفرقة في عهد عمر : غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلد الروم بعد إسلامه .

وفي القوم الذين يأتي الله بهم : أبو بكر وأصحابه ، أو أبو بكر وعمر وأصحابهما ، أو قوم أبي موسى ، أو أهل اليمن ألفان من البحر وخمسة آلاف من كندة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا أيام القادسية أيام عمر . أو الأنصار ، أو هم المهاجرون ، أو أحياء من اليمن من كندة وبجيلة وأشجع لم يكونوا وقت النزول قاتل بهم أبو بكر في الردة ، أو القربى ، أو علي بن أبي طالب قاتل الخوارج أقوال تسعة .

وفي المستدرك لأبي عبد الله الحاكم بإسناد : أنه لما نزلت أشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم : هذا . وهذا أصح الأقوال ، وكان لهم بلاء في الإسلام زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) وعامة فتوح عمر على أيديهم .

وقرأ نافع وابن عامر : من يرتدد بدالين مفكوكا ، وهي لغة الحجاز . والباقون بواحدة مشددة وهي لغة تميم . والعائد على اسم الشرط من جملة الجزاء محذوف لفهم المعنى تقديره : فسوف يأتي الله بقوم غيرهم ، أو مكانهم . ويحبونه معطوف على قوله : يحبهم ، فهو في موضع جر . وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون حالا من الضمير المنصوب تقديره : وهم يحبونه انتهى . وهذا ضعيف لا يسوغ مثله في القرآن . ووصف تعالى هؤلاء القوم بأنه **يحبهم ويحبونه** ، محبة الله لهم هي توفيقهم للإيمان كما قال تعالى :) ولاكن الله حبب إليكم الايمان (وإثابته على ذلك وعلى سائر الطاعات ، وتعظيمه إياهم ، وثناؤه عليهم ، ومحبتهم له طاعته ، واجتناب نواهيه ، وامتثال مأموراته . وقدم محبته على محبتهم إذ هي أشرف وأسبق . وقال الزمخشري : وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله ، وأمقتهم للشرع ، وأسوأهم طريقة ، وإن كانت طريقته عند أمثاله من السفهاء والجهلة شيئا وهم : الفرقة المنفعلة والمتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله ، وفي مراقصهم عطلها الله ، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي تشبه صعقة موسى عند دك الطور ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ومن كلماته كما أنه بذاته يحبهم ، كذلك يحبون ذاته ، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات . ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، فإذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة انتهى كلام الزمخشري رحمه الله تعالى . وقال بعض المعاصرين : قد عظم أمر هؤلاء المنفعلة عند العامة وكثر القول فيهم بالحلول والوحدة ، وسر الحروف ، وتفسير القرآن على طريق القرامطة الكفار الباطنية ، وادعاء أعظم الخوارق لأفسق الفساق ، وبغضهم في العلم وأهله ، حتى أن طائفة من المحدثين قصدوا قراءة الحديث على شيخ في خانقاتهم يروي الحديث فبنفس ما قرأوا شيئا من حديث الرسول . خرج شيخ الشيوخ الذين هم يقتدون به ، وقطع قراءة الحديث ، وأخرج الشيخ المسمع والمحدثين وقال : روحوا إلى المدارس شوشتم علينا . ولا يمكنون أحدا من قراءة القرآن جهرا ، ولا من الدرس للعلم . وقد صح أن بعضهم ممن يتكلم بالدهر على طريقتهم ، سمع ناسا في جامع يقرؤون القرآن فصعد كرسيه الذي يهدر عليه فقال : يا أصحابنا شوشوا علينا ، وقام نافضا ثوبه ، فقام أصحابه وهو يدلهم لقراء القرآن ، فضربوهم

أشد الضرب ، وسل عليهم السيف من اتباع ذلك الهادر وهو لا ينهاهم عن ذلك . وقد علم أصحابه كلاما افتعلوه على بعض." (١)

"" صفحة رقم ٥٢٤ "

الصالحين حفظهم إياه يسردونه حفظا كالسورة من القرآن ، وهو مع ذلك لا يعلمهم فرائض الوضوء ، ولا سننه ، فضلا عن غيرها من تكاليف الإسلام . والعجب أن كلا من هؤلاء الرؤوس يحدث كلاما جديدا يعلمه أصحابه حتى يصير لهم شعارا ، ويترك ما صح عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)) من الأدعية المأثورة المأمور بها . وفي كتاب الله تعالى على غثاثة كلامهم ، وعاميته ، وعدم فصاحته ، وقلة محصوله ، وهم مستمسكون به كأنه جاءهم به وحي من الله . ولن ترى أطوع من العوام لهؤلاء يبنون لهم الخوانق والربط ، ويرصدون لهم الأوقاف ، وهم أبغض الناس في العلم والعلماء ، وأحبهم لهذه الطوائف . والجاهلون لأهل العلم أعداء .

(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (هو جمع ذليل لا جمع ذلول الذي هو نقيض الضعف ، لأن ذلولا لا يجمع على أذلة بل ذلل ، وعدي أذلة بعلى وإن كان الأصل باللام ، لأنه ضمنه معنى الحنو والعطف كأنه قال : عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع . قيل : أو لأنه على حذف مضاف التقدير : على فضلهم على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع . قيل : أو لأنه على حذف مضاف التقدير : على فضلهم على المؤمنين ، والمعنى أنهم يذلون ويخضعون لمن فضلوا عليه مع شرفهم وعلو مكانهم ، وهو نظير قوله :) أشداء على الكفار رحماء بينهم (وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة ، لأن أذلة جمع ذليل وأعزة جمع عزيز ، وهما صفتا مبالغة ، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله :) **يحبهم ويحبونه** (لأن الاسم يدل على الثبوت ، فلما كانت صفة مبالغة ، وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة ، جاء الوصف بالاسم . ولما كانت قبل تتجدد ، لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتب عليها ، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد . ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن أوكد ، ولموصوفه الذي قدم على الوصف المتعلق بالكافر ، ولشرف المؤمن أيضا . ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن ، قدم قوله **يحبهم ويحبونه** على قوله : أذلة على المؤمنين .

وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم إلا في ضرورة الشعر نحو قوله :

وفرع يغشى المتن أسود فاحم

إذ جاء ما ادعى أنه يكون في الضرورة في هذه الآية ، فقدم **يحبهم ويحبونه** وهو فعل على قوله : أذلة وهو اسم . وكذلك قوله تعالى :) وهاذا كتاب أنزلناه مبارك (وقرىء شاذا أذلة ، وهو اسم وكذا أعزة نصبا على الحال من النكرة إذا قربت من المعرفة بوصفها . وقرأ عبد الله : غلظاء على الكافرين مكان أعزة .

(يجاهدون فى سبيل الله (أي في نصرة دينه . وظاهر هذه الجملة أنها صفة ، ويجوز أن تكون استئناف أخبار . وجوز أبو

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٥٢٣/٣

البقاء أن تكون في موضع نصب حالا من الضمير في أعزة .
(ولا يخافون لومة لائم (أي هم صلاب في دينه ، لا يبالون بمن لام فيه . فمتى شرعوا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أمضوه لا يمنعهم اعتراض معترض ، ولا قول قائل هذان الوصفان أعني : الجهاد والصلابة في الدين هما نتيجة الأوصاف السابقة ، لأن من أحب الله لا يخشى إلا إياه ، ومن كان عزيزا على الكافر جاهدا في إخماده واستئصاله . وناسب تقديم الجهاد على انتفاء الخوف من اللائمين لمحاورته أعزة على." (١)

"إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "قد كنت أنهاك عن حب يهود". فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زرارة، فمات.

وكذا رواه أبو داود، من حديث محمد بن إسحاق. (١)

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه (٢) وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد: ٣٨] وقال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ [النساء:١٣٣]، وقال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز ﴾ [إبراهيم:١٩ ، ٢٠] أي: بممتنع ولا صعب. وقال تعالى هاهنا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل.

قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر.

﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه [رضي الله عنهم] (٣) رواه ابن أبي حاتم.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله (٤) ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ هم أهل القادسية. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: هم قوم من سبأ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال: ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون.

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا معاوية -يعني ابن حفص- عن أبي زياد الحلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٥٢٤/٣

جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال: "هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من

---

(١) المسند (٥/٢٠١) وسنن أبي داود برقم (٣٠٩٤).

(٢) في ر: "منهم".

(٣) زيادة من أ.

(٤) في أ: "وقال ابن عباس".." (١)

"تجيب". (١) وهذا حديث غريب جدا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبد الصمد -يعني ابن عبد الوارث- حدثنا شعبة، عن سماك، سمعت عياضا يحدث عن الأشعري قال: لما نزلت: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم قوم هذا". ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه. (٢)

وقوله تعالى: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا (٣) لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩]. وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "الضحوك القتال" فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه.

وقوله [تعالى] (٤) ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم (٥) لائم ولا عذل عاذل.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا سلام أبو المنذر، عن محمد بن واسع، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: أمرني (٦) خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع، أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش. (٧)

وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان عن أبي (٨) المثنى؛ أن أبا ذر قال: بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقني سبعا، وأشهد الله على تسعا، أني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟" قلت: نعم، قال: وبسطت يدي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط: على ألا تسأل الناس شيئا؟ قلت: نعم قال: "ولا سوطك وإن

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١٣٥/٣

(١) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣١٢) "مجمع البحرين" من طريق معاوية بن حفص، عن أبي زياد إسماعيل بن زكريا، عن محمد بن قيس الأسدي، عن محمد بن المنكدر به، وقال: "لم يروه عن محمد بن قيس الأسدي إلا أبو زياد، ولا عنه إلا معاوية. تفرد به أبو حميد، فزاد هنا محمد بن قيس الأسدي".

وذكره ابن أبي حاتم في العلل (٩٥/٢) ولم يذكر محمد بن قيس في سنده كما هو هنا في تفسيره، وقال: سمعت أبي يقول: "هذا حديث باطل".

تنبيه: وقع هنا أبي زياد الحلفاني وفي العلل: الخلقاني، وهو الصواب "الخلقاني" كما في "الاستغناء في المشهورين من حملة العلم بالكنى" لابن عبد البر (١١٩٩/٢).

(٢) تفسير الطبري (٤١٤/١٠) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣/١٢) وابن سعد في الطبقات (١٠٧/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٣٧١/١٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٥٩/١) من طريق شعبة به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦/٧): "رجاله رجال الصحيح".

(٣) في ر: "لمتواضعا".

(٤) زيادة من أ.

(٥) في أ: "لومة".

(٦) في د: "أخبرني".

(٧) المسند (١٥٩/٥).

(٨) في د: "ابن".." (١)

"ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد (١) وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته، عليه السلام. (٢)

ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع. ثم عاجلته المنية، صلوات الله وسلامه عليه، بعد الحجة بأحد وثمانين يوما، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر، رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل، فثبته الله تعالى به فوطد القواعد، وثبت الدعائم. ورد شارد الدين وهو راغم. ورد أهل (٣) الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله. ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان (٤) وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنفس كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد. وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الإله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب،

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١٣٦/٣

فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقا وغربا. وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا. ففرقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيدا وقد عاش حميدا، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار. على خلافة أمير المؤمنين [أبي عمرو] (٥) عثمان بن عفان شهيد الدار. فكسى الإسلام [بجلاله] (٦) رياسة حلة سابغة. وأمدت (٧) في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، فكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [أي: وليجد الكفار منكم (٨) غلظة] (٩) عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر، كما قال تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا الضحوك القتال"، يعني: أنه ضحوك في وجه وليه،

---

(١) في ت، ك، أ: "الناس".

(٢) في أ: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) في ت: "آل".

(٤) في أ: "الأصنام".

(٥) زيادة من ت، ك، أ.

(٦) زيادة من ت، أ.

(٧) في أ: "وامتدت".

(٨) في ت، أ: "فيكن".

(٩) زيادة من ت، ك، أ.." (١)

"وقال: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ﴾ [النساء: ١٣٣].

﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١) ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٣٨/٤

يقول: ﴿ وبرزوا [لله] (١) ﴾ أي: برزت الخلائق كلها، برها وفاجرها لله وحده الواحد القهار، أي: اجتمعوا له في براز (٢) من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا.

﴿ فقال الضعفاء ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة.

الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، فقالوا لهم: ﴿ إنا كنا لكم تبعا ﴾ أي: مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿ فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾ أي: فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا؟ فقالت القادة لهم: ﴿ لو هدانا الله لهديناكم ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين.

﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله، عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا (٣) ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿ وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من (٤) النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]،

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في ت: "برار".

(٣) في أ: "فقالوا".

(٤) في ت: "في"..." (١)

"﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩) ﴾

يخبر تعالى عن محمد صلوات الله عليه (١) ، أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿ محمد رسول الله ﴾ ، وهذا مبتدأ

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٤٨٨/٤

وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة : ٥٤] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [التوبة : ١٢٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى

---

(١) في ت: "صلى الله عليه وسلم" وفي م: "صلوات الله وسلامه عليه".." (١)

"قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه» إلى دين آخر ، فإنه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه «فسوف يأتي الله بقوم» بدلهم ثابتين على الإيمان **«يحبهم ويحبونه»** وهذه الآية من الأخبار بالغيب إذ كان في علم الله الأزلي إن أناسا بعد فقد الرسول صلى الله عليه وسلم يرجعون عن الإسلام ومنهم من يرتد عن دينه في زمنه ، فأعلمه الله بذلك قبل وقوعه ، ومن هؤلاء الأسود العنسي ذو المجاز رئيس بني مدلج إذ تنبأ باليمنو استولى على بلاده فيها وأخرج عمال رسول الله منها ، فكتب النبي إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فيه ، فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقتله قبل ورود خبره ، وقبض رسول الله في الغد وقد أتى خبر قتله آخر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة بالوقت الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه معجزة أيضا ، لأنه من الإخبار بالغيب ، وكذلك مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله أما بعد.

فإن الأرض مناصفة بيني وبينك ، فكتب له حضرة الرسول إنها لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وتنبأ طلحة بن خويلد رئيس بني أسد فبعث اليه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله وانهزم إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك.

ومن الذين ارتدوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزارة الذين رأسهم عيينة بن حصن ، وغطفان الذين

(٣٤٠/٦)

بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ٣٤١." (٢)

"بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ٣٤٠

لم ينصحوا لله ورسوله ، قال أبو موسى الأشعري لعمر بن الخطاب إن لي كاتبا نصرانيا ، فقال مالك وله قاتلك أما سمعت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) الآية ٥١ المارة ، ألا اتخذته حنيفا ، قال له دينه ولي كتابته ، فقال لا أكرمهم إذا أهانهم الله

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٦٠/٧

(٢) بيان المعاني، ١٧/١

، ولا أعزهم إذا أذلهم الله ، ولا أدينهم إذا أبعدهم الله ، قال له أبو موسى لا يتم أمر البصرة إلا ، فقال له عمر رضي الله عنه مات النصراني والسلام أي هب أنه مات النصراني فما تصنع بعد موته فاصنعه الآن ، واستغنى عنه بغيره ، وهذه الآية عامة في جميع المؤمنين السابقين واللاحقين ، لأن خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم.

مطلب في الذين ارتدوا عن الإسلام في زمن الرسول وبعد واخبار الرسول بذلك عن طريق الاعجاز ومن دخل في الإسلام :

قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه» إلى دين آخر ، فإنه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه «فسوف يأتي الله بقوم» بدلهم ثابتين على الإيمان **«يحبهم ويحبونه»** وهذه الآية من الأخبار بالغيب إذ كان في علم الله الأزلي إن أناسا بعد فقد الرسول صلى الله عليه وسلم يرجعون عن الإسلام ومنهم من يرتد عن دينه في زمنه ، فأعلمه الله بذلك قبل وقوعه ، ومن هؤلاء الأسود العنسي ذو المجاز رئيس بني مدلج إذ تنبأ باليمنو استولى على بلاده فيها وأخرج عمال رسول الله منها ، فكتب النبي إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فيه ، فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقتله قبل ورود خبره ، وقبض رسول الله في الغد وقد أتى خبر قتله آخر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة بالوقت الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه معجزة أيضا ، لأنه من الإخبار بالغيب ، وكذلك مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله أما بعد.

فإن الأرض مناصفة بيني وبينك ، فكتب له حضرة الرسول إنها لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وتنبأ طلحة بن خويلد رئيس بني أسد فبعث اليه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله وانهزم إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك.

ومن الذين ارتدوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزارة الذين رأسهم عيينة بن حصن ، وغطفان الذين." (١)

"وقد اكتفى الشيخ رحمة الله تعالى عليه وعلينا، في مذكرة الدراسة بقوله ذلك أي المذكور من بعث هذا النبي الكريم في الأميين، فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن عظم فضله تفضله على هذه الأمة بهذا النبي الكريم ا هـ.

وهذا القول منه رحمة الله تعالى علينا وعليه، يتضمن القولين الأول والثاني من الأقوال الثلاثة، تفضل الله على الأميين ببعثة هذا النبي الكريم فيها، وتفضل الله على النبي ببعثته فيهم مما لا يشعر بأنه لا خلاف بين هذه الأقوال الثلاثة، وأنها من الاختلاف التنوعي أو هي من المتلازمات فلا مانع من إدارة الجميع، لأن فضل الله تعالى قد شمل الجميع.

وقد نص الأول بقوله: ﴿لقد من لله على لمؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءايته ويزكيهم ويعلمهم لكتب ولحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين﴾ وهذا عين ما في سورة الجمعة سواء، لأن الامتنان هو التفضل.

ونص على الثاني بقوله تعالى: ﴿وأنزل لله عليك لكتب ولحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل لله عليك عظيما﴾.

---

(١) بيان المعاني، ٣٤٠/٦

ونص على الثالث بقوله تعالى: ﴿يأيها لذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى لله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على لمؤمنين أعزة على لكفرين يجهدون فى سبيل لله ولا يخفون لومة لائم ذلك فضل لله يؤتيه من يشآء ولله وسع عليم﴾.." (١)

"وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن أسحاق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عبد الله بن أبي نعوده فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – قد كنت أنهاك عن حب يهود فقال عبد الله فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات .

وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق.

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خيرا لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " وقال تعالى " إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز " أي بممتنع ولا صعب وقال تعالى ههنا " يا أيها الذين آمنوا من

٢٥٩@@@." (٢)

"يرتد منكم عن دينه " أي يرجع عن الحق إلى الباطل قال محمد بن كعب نزلت في الولاة من قريش وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**" قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم وقال أبو بكر بن أبي شيبة سمعت أبا بكر بن عياش يقول : في قوله " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " هم أهل القادسية وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " قال ناس من

٢٦٠@@@." (٣)

"أهل اليمن ثم من كندة من السكون .

وحدثنا أبي حدثنا محمد بن المصفى حدثنا معاوية يعني ابن حفص عن أبي زياد الحلفاني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**" قال هؤلاء قوم من

---

(١) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ١٦٥/١

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٥٨/٥

(٣) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٥٩/٥

أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب وهذا حديث غريب جدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري قال لما نزلت" فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هم قوم هذا" ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه وقوله تعالى" أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " وفي صفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه

٢٦١@@@." (١)

"يلوهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " وقوله تعالى " وليجدوا فيكم غلظة " أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كقوله تعالى " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " فقوله تعالى " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " وقال تعالى " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أنا الضحوك القتال " يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه وقوله " واعلموا أن الله مع المتقين " أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ، ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد ؛ فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم .

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (١٢٤)

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون

يقول تعالى " وإذا ما أنزلت سورة " فمن المنافقين " من يقول أيكم زادته هذه

٣٢٢@@@." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٦٠/٥

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٣٢٢/٧

"صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين" وقوله في هذه الآية " ذلك هو الضلال البعيد " أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه " ذلك هو الضلال البعيد " .

ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩)

ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد

يقول تعالى مخبرا عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السماوات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس أفليس الذي قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفات والآيات الباهرات وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبرار وصحار وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها " أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير " وقال تعالى" أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " .

وما ذلك على الله بعزيز (٢٠)

وما ذلك على الله بعزيز

وقوله " إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز " أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأتي بآخرين على غير صفتكم كما قال " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز " وقال " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " وقال " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " وقال " إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا " .

١٩١@@@." (١)

" المائدة آية ٥٥ ٥٦

ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوزه من أن قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف ولا يخفى وقرىء أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقو مترتبة على ما قبلها

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٩٠/٨

مبنية مع ما بعدها لكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم كانوا إذا خردوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفي ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعد منزلتها في الفضل فضل الله أي لطفه وإحسانه لا إنهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء إيتاءه إياه ويوقفه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والألطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية ايما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز و جل عن موالاة الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أوليائكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى غيرعم وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز و جل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح أو رفع عليه وهم راكعون حال مع فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه وروي أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح غليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصر غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقه التطوع تسمى زكاة ومن يتول ." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾

قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا "

٦٥٦٦- أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، ثنا ابن وهب، حدثني عبد الله بن عباس يعني ابن عباس القباني، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب، عن عمر بن عبد العزيز، أرسل إليه يوما وعمر يومئذ أمير المدينة، فقال: يا أبا حمزة آية قرأتها البارحة، قال محمد: وما هي أيها الأمير ؟ قال: قول الله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال ابن كعب:"أيها الأمير إنما عنى الله بأيها بالذين آمنوا الولاة من قريش".

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٢/٣

قوله تعالى: " من يرتد منكم عن دينه "

٦٥٦٧- وبه، عن محمد بن كعب، قوله: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه " ، قال:"من يرتد عن الحق".." (١)

"٦٥٦٨- حدثنا أبي، ثنا هوذة بن خليفة، ثنا عوف، عن الحسن، " من يرتد منكم عن دينة " ، قال:"هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر".

قوله تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** "

٦٥٦٩- حدثنا أبي، ثنا محمد بن المصفى، ثنا معاوية بن حفص، عن أبي زياد الخلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال:"هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب".

٦٥٧٠- حدثنا عمر بن شبة، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت عياضا يحدث، عن الأشعري، قال: لما نزلت " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"هم قوم هذا".

٦٥٧١- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبد الله بن الأجلح، عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، إنه وعيد من الله أنه من ارتد منهم سنستبدل بهم خيرا منهم".

والوجه الثاني:." (٢)

"٦٥٧٢- حدثنا أبو سعيد الأشج، وعمرو الأودي، قالا: ثنا وكيع، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن، " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال:"هو والله أبو بكر وأصحابه".

٦٥٧٣- حدثنا أبو فضيل محمد بن جابر، ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال:"هو أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاء بهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام".

الوجه الثالث

٦٥٧٤- ذكر، عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: سمعت أبا بكر بن عياش، يقول في قوله: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال:"أهل القادسية".

والوجه الرابع

٦٥٧٥- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " ، قال:"قوم من سبأ".

قوله تعالى: " أذلة "

٦٥٧٦- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: " أذلة على

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/٥

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/٥

المؤمنين " ، يعني:"بالأذلة الرحمة".

قوله تعالى: " على المؤمنين " ." (١)

"هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة موالاة اليهود والنصارى١ وسائر الكافرين.

٢- موالاة الكافر على المؤمن تعتبر ردة عن الإسلام.

٣- موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان، فلذا تؤدى إلى الكفر.

٤- عاقبة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرة.

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم(٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون(٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون(٥٦)﴾

شرح الكلمات:

﴿من يرتد٢﴾ : أي: يرجع إلى الكفر بعد إيمانه.

﴿أذلة على المؤمنين﴾ : أرقاء عليهم رحماء بهم.

﴿أعزة على الكافرين٣﴾ : أشداء غلاظ عليهم.

﴿لومة لائم﴾ : عذل عاذل.

﴿حزب الله﴾ : أنصار الله تعالى.

---

١ لا يعد موالاة استعمال اليهودي أو النصراني في عمل تجاري أو عمراني أو مهني، إذا دعت الحاجة إليه، ولا يصح استبطانهم ولا الاستعانة بهم في الجهاد.

٢ قرئ: ﴿يرتد﴾ بالفتح وهي قراءة أهل المدينة والشام.

٣ قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد،والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار؛ كالسبع على فريسته.." (٢)

"﴿ يأيها ﴾ ﴿ آمَنُواْ ﴾ ﴿ الكافرين ﴾ ﴿ يُجَاهِدُونَ ﴾ ﴿ لائم ﴾ ﴿ وَاسِعٌ ﴾

(٥٤) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إنَّ الذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ إلى الكُفْرِ ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ ، وَإِقَامَةِ شَرِيعَتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَأَشَدُّ مَنَعَةً ، وَأَقْوَمُ سَبِيلاً ، **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ، يَتَّصِفُونَ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٥/١٣

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ١/٦٤٣

بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ : العِزَّةُ عَلَى الكَافِرِينَ ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاضُعُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلاَ يَرُدُّهُمْ رَادٌّ عَنْ إذاعَةِ أَمْرِ اللهِ ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ كَبِيراً ، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ ، عَلِيمٌ بِمَنْ يِسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ ، مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرِمُهُ إِيَّاهُ .

(وَقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ النَّاسَ سَيَرْتَدُّونَ عَنِ الإِسْلاَمِ ، وَأَنَّ عُصْبَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، سَيَقُومُونَ بِمُحَارَبَةِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَأَنَّهُمْ سَيَثْبُتُونَ فِي حَرْبِهِمْ حَتَّى يُتِمَّ اللهُ نَصْرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

الارْتِدَادُ عَنِ الدِّينِ – العَوْدَةُ إِلَى الكُفْرِ بَعَدَ الإِيمَانِ .

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ – يَتَوَاضَعُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةً بِهِمْ

أَعْزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ – أَشْدَّاءَ عَلَيْهِمْ .

لَوْمَةَ لأئِمٍ – اعْتِرَاضَ مُعْتَرِضٍ فِي نَصْرِهِمُ الدِّينَ .." (١)

"١. البستان في الدنيا (اصحاب الجنة) (جنتين) ٢. دار السلام (الجنة للمتقين) (وجنة) ٣. الجنة بكسر الجيم وتشديد النون مع الفتح (من الجنة والناس) (كأنها جان)، (والجان خلقناه) ٤. الجنون (به جنة) (مجنون) ٥. الجنين الولد في بطن امه (انتم أجنة) ٦. الاستتار (جن عليه) ٧. القطف (جنى الجنتين) ، (رطباً جنياً).

﴿ج هـ د﴾

١. الجهاد بالقول (جاهدهم به جهاداً)، (جاهد الكفار) ٢. الجهاد بالسلاح (المجاهدين) (ويجاهدون) ٣. الجهاد بالعمل (من جاهد فانما يجاهد لنفسه)، (جاهدوا)، (وجاهدوا).

﴿ج ي ب﴾

١. الصدر (على جيوبهن) ٢. الابط (في جيبك).

(٢)

﴿ح ب ب﴾

١. الايثار (أحببت حب) (يحبون) (يستحبون)، (استحبوا) ٢. المودة (**يحبهم ويحبونه**)، (يحببكم) ٣. القلة (على حبه).

﴿ح ب ر﴾

١. الاكرام (يحبرون) ٢. العالم (احبارهم) ، (الاحبار).

﴿ح ب ل﴾

١. العهد (بحبل من الله وحبل من الناس) ٢. القرآن (بحبل الله) ٣. الاسلام (ألا بحبل من الله) ٤. الرسن (حبل من مسد).

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد، ص/٧٢٤

(٢) فصل الحاء

﴿ح ت ى﴾

١. الى (حتى مطلع) ٢. فلما (حتى إذا) ٣. في وهو وقت يكون الشيء (حتى يعطوا)، (حتى تفيء) (حتى لا تكون) (حتى يقول).

﴿ح ج ب﴾

١. الجبل (توارت بالحجاب) ٢. الساتر (من وراء حجاب) (حجاباً) ٣. الآفة المانعة (لمحجوبون) ٤. السور (وبينهما حجاب).

﴿ح ج ج﴾

١. الخصومة (أتحاجوننا) (حاججتم) ٢. الحجة المحكمة (الحجة البالغة)، (عليكم حجة).

﴿ح ج ر﴾

١. الكبريت (الناس والحجارة) ٢. الحجر (بعصاك الحجر) ٣. الآجر (بحجارة من) ٤. العقل (لذي حجر) ٥. الحرام (حجراً محجوراً) ٦. قرية صالح $ (اصحاب الحجر) ٧. البيت (حجوركم).

﴿ح د ث﴾

١ . الخبر (اتحدثونهم) ٢ . القول (ومن أصدق من الله حديثاً) ٣ . القرآن (بحديث مثله) ٤ . القصّة (أحسن الحديث) ٥ . العبرة (وجعلناهم أحاديث).

﴿ح د د﴾

١. الحاد (اليوم حديد) ٢. الحديد (انزلنا الحديد) ٣. المخالفة (يحادّون) ٤. حدود الله واحكامه (تلك حدود الله).

﴾." (١)

"فالآية تحتمل قول المؤمنين لبعضهم ، أو لليهود.

المرتدون ومعاداتهم المسلمين [سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥(٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

الإعراب :

من يرتد : من : شرطية ، ويرتد : مجزوم بها.

يحبهم ويحبونه في موضع جر صفة لقوم ، وكذلك قوله تعالى أذلة .. وأعزة وكذلك يجاهدون وصف لهم. ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال منهم.

---

(١) القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، ص/١٢

وهم راكعون : جملة اسمية في موضع نصب على الحال من ضمير يؤتون. ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على الصلاة والواو ليست للحال ، فلا يكون لها موضع من الإعراب.

البلاغة :

أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين بينهما طباق.

لومة لائم التنكير في الكلمتين للمبالغة.

المفردات اللغوية :

من يرتد يرجع عن الإسلام ، والردة : الرجوع عن الإسلام إلى الكفر أو إلى غير دين ،

ج ٦ ، ص : ٢٣٠." (١)

"أو ترك ركن من أركان الإسلام كالزكاة جهارا وعنادا. **يحبهم ويحبونه** يثيبهم ، ويخلصون له العمل ويطيعونه في كل أمر ونهي. أذلة جمع ذليل أي عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع ، من الذل وهو الحنو والعطف. أعزة أشداء متعالين عليهم. لا يخافون لومة لائم أي أنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين كإنكار منكر ، أو أمر بمعروف أو مجاهدة في سبيل الله ، لا يأبهون لقول قائل ولا اعتراض معترض ولا لوم لائم يلومهم وينتقدهم ، خلافا للمنافقين الذين يخافون لوم الكفار. ذلك المذكور من الأوصاف فضل الله. والله واسع كثير الفضل. عليم بمن هو أهله.

إنما وليكم الله أي إنما ناصركم ومعينكم على طريق الأصالة والحقيقة هو الله. وأما ولاية من عداه فهي على سبيل التبع والظاهر. وهم راكعون خاشعون وخاضعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا أي يعينهم وينصرهم. فإن حزب الله هم الغالبون الحزب : الجماعة المجتمعة على أمر واتجاه خاص ، وحزب الله : أتباعه ، والغالبون : المنتصرون لنصر الله إياهم.

سبب النزول :

نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم ثلاث :

١- بنو مدلج ورئيسهم الأسود العنسي الذي تنبأ باليمن ، وكان كاهنا ، وقتل على يد فيروز الديلمي.

٢- وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب الذي تنبأ في اليمامة ، وأرسل كتابا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يذكر فيه أنه شريك له ، وأن الأرض قسمان

فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين.

قاتله أبو بكر رضي الله عنه ، وقتله وحشي الذي قتل حمزة ، وكان يقول : ." (٢)

"قتلت في جاهليتي خير الناس ، وفي إسلامي شر الناس.

٣- وبنو أسد بزعامة طليحة بن خويلد ، ارتد أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وقاتله أبو بكر في خلافته ، ففر إلى الشام

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٣٢/٦

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٣٣/٦

وأسلم وحسن إسلامه.

ج ٦ ، ص : ٢٣١

و ارتدت سبع قبائل في عهد أبي بكر وهم :

١- غطفان بزعامة قرة بن سلمة.

٢- فزارة قوم عيينة بن حصن.

٣- بنو سليم قوم الفجاءة عبد يا ليل.

٤- بنو يربوع قوم مالك بن نويرة.

٥- بعض قبيلة بني تميم ، بزعامة سجاح بنت المنذر ، الكاهنة زوجة مسيلمة.

٦- كندة قوم الأشعث بن قيس.

٧- بنو بكر بن وائل الحطم بن زيد.

وارتد في عهد عمر جبلة بن الأيهم الغساني ، الذي تنصر ولحق بالشام لأنه كان يطوف حول الكعبة ، فوطئ إزاره رجل من فزارة ، فلطمه جبلة ، فهشم أنفه ، فشكاه الفزاري إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فحكم إما بالعفو أو القصاص ، فقال جبلة : أتقتص مني وأنا ملك ، وهو سوقة ، فقال عمر : الإسلام سوى بينكما ، ثم استمهل إلى غد ، فهرب.

فصار مجموع من ارتد إحدى عشرة فئة أو فرقة « ١ » .

وأما الذين أتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** : فهم أبو بكر وأصحابه ، وقيل : هم قوم من أهل اليمن ، وقيل : هم رهط أبي موسى الأشعري ، ورجح الطبري أن الآية نزلت في قوم أبي موسى من أهل اليمن ، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال : هم قوم أبي موسى « ٢ » .

---

(١) الكشاف : ص ٤٦٦ ، تفسير الرازي : ١٢/ ١٨ وما بعدها ، سيرة ابن هشام : ٢/ ٥٧٦ ، ٦٢١ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٥/ ٤٨- ٥٢ ، تاريخ الخلفاء : ص ٧٦ ، سيرة عمر بن الخطاب للطنطاويين : ص ٣٦٠

(٢) تفسير الطبري : ٦/ ١٨٣

ج ٦ ، ص : ٢٣٢

سبب نزول : إنما وليكم الله : ." (١)

"الحديث : « أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة بجؤاثا » .

ج ٦ ، ص : ٢٣٦

نزكي فقاتل الصديق جميعهم ، وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش ، فقاتلهم وسباهم ، على ما هو مشهور من أخبارهم.

٢- أصح ما قيل في نزول قوله تعالى : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** : أنها نزلت في الأشعريين ففي الخبر أنها لما

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٦/٢٣٤

نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر ، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن « ١ » . و روى الحاكم في المستدرك بإسناده : أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري ، لما نزلت هذه الآية فقال : « هم قوم هذا » .

٣- المؤمنون أذلة على بعضهم ، رحماء فيما بينهم ، يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم ، أعزة على الكافرين أشداء عليهم. قال ابن عباس : هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد ، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته.

٤- دل قوله : يجاهدون في سبيل الله وقوله : ولا يخافون لومة لائم بخلاف المنافقين : على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلوا المرتدين بعده ، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي لله تعالى. وقيل : الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة.

٥- الله ولي الذين آمنوا ، وقال تعالى هنا : إنما وليكم الله ورسوله قال ابن عباس : نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، و قال في رواية أخرى وكما ذكر في سبب النزول عن مجاهد والسدي : نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) تفسير القرطبي : ٦/ ٢٢٠." (١)

"نادمين﴾.

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور ، وابن أبي حاتم عن عمرو ، انه سمع ابن الزبير يقرأ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم من موادتهم اليهود ومن غمهم الإسلام وأهله نادمين.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي حاتم عن عمرو ، انه سمع ابن الزبير يقرأ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح الفساق على ما أسروا في انفسهم نادمين قال عمر : ولا أدري كانت قراءته أم فسر.

- قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي ، وابن عساكر عن قتادة قال : أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض

الله نبيه ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة وأهل الجواثي من عبد القيس وقال الذين ارتدوا : نصلي الصلاة ولانزكي والله يغصب أموالنا فكلم أبو بكر في ذلك." (٢)

"ليتجاوز عنهم وقيل لهم أنهم قد فقهوا أداء الزكاة فقال : والله لا أفرق بين شيء جمعه الله والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله تعالى عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة قال قتادة : فكنا

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٦/٢٣٩

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥/٣٥٣

نحدث ان هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال : هو أبو بكر وأصحابه لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وخيثمة الاترابلسي في فضائل الصحابة والبيهقي في الدلائل عن الحسن ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال : هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وأصحابه.

وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال : لما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا." (١)

"من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال عمر : أنا وقومي هم يارسول الله قال : بل هذا وقومه يعني أبا موسى الأشعري.

وأخرج ابن سعد ، وابن أبي شيبة في مسنده ، وعبد بن حميد والحكيم الترمذي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني ، وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال : لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري.

وأخرج أبو الشيخ ، وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن.

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه بسند حسن ، عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن." (٢)

"قوله

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال : هؤلاء قوم من أهل اليمن من كندة من السكون ثم من التحبيب.

وأخرج البخاري في تاريخه ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال : هم قوم من أهل اليمن ثم كندة من السكون.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ قال : هم أهل القادسية.

وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال : أتيت ابن عمر فرحب بي ثم تلا ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم﴾ ثم ضرب على منكبي وقال : احلف بالله انهم لمنكم أهل اليمن ثلاثا.

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ قال : هم قوم سبأ.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٥٤/٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٥٥/٥

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال : هذا." (١)

"وأخرج هناد عن الضحاك ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال : محبة في صدور المؤمنين.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وهناد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال : يحبهم ويحبونه.

وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : أني قد أحببت فلانا فأحبه ، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل : إني قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء في أهل الأرض.

وأخرج ابن مردويه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد ليلتمس." (٢)

" وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم قال : هم المنافقون في مصانعة اليهود وملاحاتهم واسترضاعهم أولادهم اياهم يقولون نخشى ان تكون الدائرة لليهود بالفتح حينئذ فعسى الله أن يأتي بالفتح على الناس عامة أو أمر من عنده خاصة للمنافقين فيصبحوا المنافقون على ماأسروا في انفسهم من شأن يهود نادمين

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي فترى الذين في قلوبهم مرض قال : شك يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة والدائرة ظهور المشركين عليهم فعسى الله ان يأتي بالفتح فتح مكة أو أمر من عنده قال : والامر هو الجزية

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة في قوله فترى الذين في قلوبهم مرض قال : أناس من المنافقين كانوا يوادون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين

قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح أي بالقضاء أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن عمرو

انه سمع ابن الزبير يقرأ " فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم من موادتهم اليهود ومن غمهم الإسلام وأهله نادمين "

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن عمرو

انه سمع ابن الزبير يقرأ " فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح الفساق على ما أسروا في انفسهم نادمين " قال عمر : ولا أدري كانت قراءته أم فسر

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٥٦/٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٣٣/١٠

– قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر عن قتادة قال : أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض ." (١)

" الله نبيه ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة وأهل الجواثي من عبد القيس وقال الذين ارتدوا : نصلي الصلاة ولانزكي والله يغصب أموالنا فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم وقيل لهم أنهم قد فقهوا أداء الزكاة فقال : والله لا أفرق بين شيء جمعه الله والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله تعالى عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة قال قتادة : فكنا نحدث ان هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

إلى آخر الآية

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال : هو أبو بكر وأصحابه لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وخيثمة الاترابلسي في فضائل الصحابة والبيهقي في الدلائل عن الحسن فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال : هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أبو بكر وأصحابه

وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال : " لما أنزل الله يأيها الذين آمنو من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال عمر : أنا وقومي هم يارسول الله ؟ قال : بل هذا وقومه يعني أبا موسى الأشعري "

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال : لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري "

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال النبي صلى الله عليه و سلم " هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن "

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قوله ." (٢)

" فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال : " هؤلاء قوم من أهل اليمن من كندة من السكون ثم من التحبيب "

---

(١) الدر المنثور، ١٠١/٣

(٢) الدر المنثور، ١٠٢/٣

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال : هم قوم من أهل اليمن ثم كندة من السكون

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس فسوف يأتي الله بقوم قال : هم أهل القادسية

وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال : أتيت ابن عمر فرحب بي ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ثم ضرب على منكبي وقال : احلف بالله انهم لمنكم أهل اليمن ثلاثا

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد فسوف يأتي الله بقوم قال : هم قوم سبأ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال : هذا وعيد من عند الله انه من ارتد منكم سيتبدل بهم خيرا

وفي قوله أذلة له قال : رحماء

وأخرج ابن جرير عن قوله أذلة على المؤمنين قال : أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين قال : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله أذلة على المؤمنين قال : رحماء بينهم أعزة على الكافرين قال : أشداء عليهم

وفي قوله يجاهدون في سبيل الله قال : يسارعون في الحرب

وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم ارتد طوائف من العرب فبعث الله أبا بكر في أنصار من أنصار الله فقاتلهم حتى ردهم إلى الإسلام فهذا تفسير هذه الآية

قوله تعالى : ولايخافون لومة لائم أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والبيهقي في الشعب عن أبي ذر قال " أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم بسبع : بحب المساكين وان أدنو منهم وان لا أنظر إلى من هو فوقي وان أصل رحمي وإن جفاني وان أكثر من قول لاحول ولاقوة إلا ." (١)

" وأخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله : سيجعل لهم الرحمن ودا قال : محبة في الناس في الدنيا

وأخرج هناد عن الضحاك سيجعل لهم الرحمن ودا قال : محبة في صدور المؤمنين

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال : **يحبهم ويحبونه**

وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : أني قد أحببت فلانا فأحبه

---

(١) الدر المنثور، ١٠٣/٣

فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل : إني قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء في أهل الأرض

وأخرج ابن مردويه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال كذلك فيقول الله لجبريل : إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني فرضائي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقوله حملة العرش ويقوله الذين يلونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي الآية التي أنزل الله في كتابه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا " وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله : يا جبريل إن فلانا يسخطني ألا وإن غضبي عليه فيقول جبريل : غضب الله على فلان ويقوله حملة العرش ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبد إلى الأرض "

وأخرج عبد بن حميد عن كعب قال : أجد في التوراة : أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض حتى تكون بدؤها من الله تعالى – ينزلها على أهل الأرض ثم قرأت القرآن فوجدت فيه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

وأخرج الحيكم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس بسند ضعيف : أن ." (١)

"٧٢٢ حدثنا سعيد قال : نا أبو معاوية ، عن السري بن يحيي ، عن الحسن في قوله عز وجل : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال : " ولاية الله – والله – أبا بكر وأصحابه " *

٧٢٣ حدثنا سعيد قال : نا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله عز وجل : لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم قال : " الربانيون : هم الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحبار " *

٧٢٤ حدثنا سعيد قال : نا الحارث بن عبيد الإيادي ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس " ، فنزلت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال : " أيها الناس ، انصرفوا ، فقد عصمني الله من الناس " *

٧٢٥ حدثنا سعيد قال : نا أبو معاوية قال : نا هشام بن عروة ، عن أبيه قال : سألت عائشة عن لحن القرآن إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ، و (إن هذان لساحران) ، فقالت : " يا ابن أختي هذا عمل الكتاب ، أخطأوا في الكتاب " *

٧٢٦ حدثنا سعيد قال : نا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن أبي مالك في قوله عز وجل : لعن الذين كفروا من بني

---

(١) الدر المنثور، ٥/٥٤٥

إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قال : " من لعن على لسان داود صاروا خنازير ، ومن لعن على لسان عيسى ابن مريم صاروا قردة " ، فقيل : أكانت القراءة قبل ذلك ؟ قال : " نعم " *." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٢ ، ص : ٨٣

ففي هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه – سبحانه – نفى حبه عن الكافرين ، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه ، ولأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولى وهو أفحش أنواع الإعراض ، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيدا عن محبة الله.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية ، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس في النفوس إخلاص العبادة لله ، والخشية من عقابه ، والأمل في ثوابه ، والإكثار من العمل الصالح الذي يؤدى إلى رضا الله ومحبته.

وبعد هذا الحديث الحكيم المتنوع – من أول السورة إلى هنا – عن وحدانية الله ، وقدرته النافذة وعلمه المحيط ، وعن أحقيته للعبادة والخضوع ، وعن الكتب السماوية وما اشتملت عليه من هدايات وعن محكم القرآن ومتشابهه ، وعن رعاية الله – تعالى – لعباده المؤمنين ، وعن تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم ، وعن الشهوات التي يميل الإنسان بطبعه إليها وعما هو أفضل منها ، وعن دين الإسلام وأنه هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، وعن بعض الرذائل التي عرفت عن أكثر أهل الكتاب ، وعن حث الناس على مراقبة الله – تعالى – وإخلاص العبادة له حتى يكونوا ممن **يحبهم ويحبونه** فيسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم .. بعد كل ذلك تحدث القرآن – في أكثر من ثلاثين آية – عمن اصطفاهم الله من عباده ، وعن جانب من قصة مريم ، وقصة زكريا وابنه يحيى – عليهما السلام – وعن قصة ولادة عيسى – عليه السلام – وما صاحبها من خرق للعادات ، وما منحه – سبحانه – من معجزات وعن محاجة الكافرين من أهل الكتاب في شأنه وكيف رد القرآن عليهم .. استمع إلى القرآن الكريم وهو يحكى ذلك بأسلوبه البليغ المؤثر فيقول :

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٣٣ الى ٣٧]

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (٣٤) إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧)." (٢)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٣ ، ص : ٢٢٠

و الإخلاص فهم يلتمسون منه – سبحانه – أن يخرجهم من بطش الظالمين وحكمهم ، وأن يجعلهم تابعين للقوم الذين

---

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور، ص/١١٥

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٨٣/٢

يحبهم ويحبونه ، وهم المؤمنون ، وأن يهيئ لهم النصر على أعدائهم وأعدائه.

ولقد استجاب الله – تعالى – لهم دعاءهم ، حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة ، ورزق المؤمنين فتحا قريبا ، وإلى ذلك أشار صاحب الكشاف بقوله : « والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين ... وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه ، فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة ، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ، ونصرهم أقوى النصر.

فإن قلت : لم يذكر الولدان : قلت : تسجيلا بإفراط ظلمهم ، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ، إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ، ومبغضة لهم ، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا ، كما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء « ١ ».

ثم ساق – سبحانه – لونا آخر من تحريضهم على الجهاد وهو تحديد الهدف الذي يقاتل من أجله كل فريق فقال : الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا أى أنتم – أيها المؤمنون – إذا قاتلتم فإنما تقاتلون وغايتكم إعلاء كلمة الله ، ونصرة الحق الذي جاء به رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم.

أما أعداؤكم الكافرون فإنهم يقاتلون من أجل طاعة الشيطان الذي يأمرهم بكل بغى وطغيان ، وإذا كان هذا حالكم وحالهم فعليكم – أيها المؤمنون – أن تقاتلوا أولياء الشيطان بكل قوة وصدق عزيمة إن كيد الشيطان كان ضعيفا أى. إن كيد الشيطان وتدبيره كان ضعيفا ، لأن الشيطان ينصر أولياءه ، والله – تعالى – ينصر أولياءه ، ولا شك أن نصرة الله – تعالى – لأوليائه أقوى وأشد من نصرة الشيطان لأوليائه.

فقوله – تعالى – الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد ببيان الغاية والهدف الذي يعمل من أجله كل فريق ، وببيان أن المؤمنين ستكون عاقبتهم النصر والظفر لأن الله وليهم وناصرهم.

والفاء في قوله فقاتلوا للتفريع ، أى إذا كانت تلك غايتكم أيها المؤمنون وتلك هي غاية

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٣٤." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٤ ، ص : ١٩٦

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣/٢٢٠

قوله – تعالى – من يرتد من الارتداد. ومعناه : الرجوع إلى الخلف ومنه قوله – تعالى – ردوها علي أى : ارجعوها على. وقوله : إن الذين ارتدوا على أدبارهم.

والمراد بالارتداد هنا : الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر والضلال ، والخروج من الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الأباطيل والأكاذيب.

قالوا : وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن من الذين دخلوا في الإسلام من سيرتد عنه إلى غيره من الكفر والضلال ، وقد كان الأمر كما أشارت الآية الكريمة فقد ارتد عن الإسلام بعض القبائل كقبيلة بنى حنيفة – قوم مسيلمة الكذاب – وقبيلة بنى أسد ، وقبيلة بنى مدلج وغيرهم.

وقد تصدى سيدنا أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين الصادقين للمرتدين فكسروا شوكة الردة ، وأعادوا لكلمة الإسلام هيبتها وقوتها.

قال الآلوسى ما ملخصه : هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها – وقد وقع المخبر به على وفقها فيكون معجزا – فقد روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة.

ثلاث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهم : « بنو مدلج ، ورئيسهم الأسود العنسي و« بنو حنيفة » قوم مسيلمة الكذاب و« بنو أسد » قوم طليحة بن خويلد الأسدى. وسبع في عهد أبى بكر وهم :

فزارة. وغطفان ، وبنو سليم ، وبنو يربوع ، وبعض بنى تميم ، وكنده ، وبنو بكر ابن وائل.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٤ ، ص : ١٩٧

و ارتدت فرقة واحدة في عهد عمر وهي قبيلة « غسان قوم جبلة بن الأيهم » « ١ ».

والمعنى : يا أيها الذين آمنوا لا يتخذ أحد منكم أحدا من أعداء الله وليا ونصيرا لأن ولايتهم تفضى إلى مضرتكم وخسرانكم. بل وإلى ردتكم عن الحق الذي آمنتم به ، ومن يرتدد منكم عن دينه الحق إلى غيره من الأديان الباطلة فلن يضر الله شيئا ، لأنه – سبحانه – سوف يأتى بقوم آخرين مخلصين له ، ومطيعين لأوامره ، ومستجيبين لتعاليمه. بدل أولئك الذين ارتدوا على أدبارهم ، وكفروا بعد إيمانهم. قال – تعالى – : وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم « ٢ ».

ولفظ فسوف جيء به هنا لتأكيد وقوع الأمر في المستقبل ، إذا ما ارتد بعض الناس على أدبارهم.

وقد وصف الله – تعالى – أولئك القوم الذين يأتى بهم بدل الذين كفروا بعد إيمانهم ، وصفهم بعدد من الصفات الحميدة ، والسجايا الكريمة.

وصفهم – أولا – بقوله : **يحبهم ويحبونه** :

و محبة الله – تعالى – للمؤمنين هي أسمى نعمة يتعشقونها ويتطلعون إليها ، ويرجون حصولها ودوامها. وهي – كما يقول الآلوسى – محبة تليق بشأنه على المعنى الذي أراده.

ومن علاماتها : أن يوفقهم – سبحانه – لطاعته ، وأن ييسر لهم الخير في كل شئونهم.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٩٦/٤

ومحبة المؤمنين لله – تعالى – معناها : التوجه إليه وحده بالعبادة ، واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، والاستجابة لتعاليمه برغبة وشوق.

وقوله : يحبهم جملة في محل جر صفة لقوم. وقوله « ويحبونه » معطوف على يحبهم.

وقدم – سبحانه – محبته لهم على محبتهم له ، لشرفها وسبقها ، إذ لو لا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.

وصفهم – ثانيا – بقوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

وقوله : أذلة جمع ذليل ، من تذلل إذا تواضع وحنا على غيره ، وليس المراد بكونهم أذلة أنهم مهانون ، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين.

وقوله : أعزة جمع عزيز وهو المتصف بالعزة بمعنى القوة والامتناع عن أن يغلب أو يقهر

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٦٠.

(٢) سورة محمد. الآية الأخيرة.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٣ ، ص : ٢٨٧

و في وصف أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، مدح عظيم لهم ، وجمع بين الوصفين على سبيل الاحتراس ، فهم ليسوا أشداء مطلقا ، ولا رحماء مطلقا ، وإنما شدتهم على أعدائهم ، ورحمتهم لإخوانهم في العقيدة ، وشبيه بهذه الآية قوله – تعالى – يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ... « ١ ».

قال صاحب الكشاف : « وعن الحسن أنه قال : « بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم ، أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه .. » « ٢ ».

وأسمى من هذا كله في بيان تراحمهم قوله – تعالى – : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...

ثم وصفهم بوصف آخر فقال : تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا.

أى : تراهم وتشاهدهم – أيها العاقل – راكعين ساجدين محافظين على الصلاة ولا يريدون من وراء ذلك إلا التقرب إلى الله – تعالى – والظفر برضاه وثوابه ..

ثم وصفهم بوصف ثالث فقال : سيماهم في وجوههم من أثر السجود .. أى : علامتهم وهو نور يجعله الله – تعالى – في وجوههم يوم القيامة ، وحسن سمت يعلو وجوههم وجباههم في الدنيا ، من أثر كثرة سجودهم وطاعتهم لله رب العالمين.

فالمقصود بهذه الجملة بيان أن الوضاءة والإشراق والصفاء .. يعلو وجوههم من كثرة الصلاة والعبادة لله ، وليس المقصود أن هناك علامة معينة – كالنكتة التي تكون في الوجه – كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٩٧/٤

واختار – سبحانه – لفظ السجود ، لأنه يمثل أعلى درجات العبودية والإخلاص لله – تعالى – .

قال الآلوسى : « أخرج ابن مردويه بسند حسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في قوله – تعالى – : سيماهم في وجوههم من أثر السجود النور يوم القيامة ».

ثم قال الآلوسى : ولا يبعد أن يكون النور علامة على وجوههم في الدنيا والآخرة – للآثار

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٤٦.." (١)

"ج ١ ، ص : ٥٢٦

واستقرارها في الوجود ، أو أمر من عنده يفضح حال المنافقين ، ويهتك سترهم ، ويرد كيدهم في نحورهم وقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده فيصبح أولئك المنافقون نادمين على ما أسروا وكتموا!! ويقول الذين آمنوا تعجبا وتعريضا وشماتة بهم مخاطبين اليهود ، ومشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ، وقد بدت الأمور على غير ما كانوا يرجون :

أهؤلاء (المنافقون) الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أيها اليهود ؟ حبطت أعمالهم التي كانوا ينافقون بها من صلاة وصوم ... إلخ. فأصبحوا خاسرين دنيا وأخرى.

وهذا مرض خطير ينتشر في الأمم الضعيفة المستعبدة ، ترى الكثير من أبنائها الذين في قلوبهم ضعف وفي نفوسهم مرض يلجئون إلى الأعداء من الأجانب يتخذون عندهم يدا لأنهم ليسوا مؤمنين بالنصر وأن الدولة لهم.

يا قوم : اسمعوا وعوا واعتبروا. فإنما يتذكر أولوا الألباب!!

المرتدون والمحاربون لهم [سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)." (٢)

"﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) ﴾

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضروا الله شيئا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم **يحبهم ويحبونه**، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون أعداء

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٨٧/١٣

(٢) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٥٢٦/١

الله، ولا يخافون في ذات الله أحدا. ذلك الإنعام من فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.." (١)

"الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وبنو مدلج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة وقتل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ثم كثر المرتدون وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة وبنو بكر بن وائل وبعض بني تميم ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب وهم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة فسوف يأت الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها وقال هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن لأن الأشعريين من أهل اليمن وقيل المراد أبي بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجد في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ويقوي ذلك أيضا ... ١٨١." (٢)

"بن الصيف: أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أمررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا، فقال عبادة بن الصامت: يا رسول الله، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم كثيرا سلاحهم شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: لكني لا أبرأ من ولاية يهود، إني رجل لا بد لي منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا الحباب، أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت، فهو لك دونه" فقال: إذا أقبل، قال: فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء- إلى قوله تعالى - والله يعصمك من الناس﴾.

وقال: محمد بن إسحاق: فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه. قال: فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسلني" ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال: "ويحك أرسلني" قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدني في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم لك" قال محمد بن إسحاق: فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي، وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى

---

(١) التفسير الميسر، ٢/٢٢٨

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٣١٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي، فجعلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار، وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم – إلى قوله – ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يحي بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "قد كنت أنهاك عن حب يهود" فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زراة فمات، وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق.

﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلا، كما قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾. وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت." (١)

"بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾. أي بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ أي يرجع عن الحق إلى الباطل. قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هم أهل القادسية. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون.

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا معاوية يعني ابن حفص، عن أبي زياد الحلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾. قال "هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب"، وهذا حديث غريب جدا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث، حدثنا شعبة عن سماك، سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٨٧/٢

وسلم: "هم قوم هذا". ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه. وقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه.

وقوله عز وجل ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن أبي المثنى أن أبا ذر رضي الله عنه قال: بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقني سبعا وأشهد الله علي أني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبوذر فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: " هل لك إلى بيعة ولك الجنة " قلت نعم وبسطت يدي ، فقال " هل لك إلى بيعة ولك الجنة" قلت نعم وبسطت يدي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط علي " أن لاتسأل الناس شيئا " قلت نعم قال: " ولا سوطك وإن سقط منك " يعني تنزل إليه فتأخذه ، وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى الفردوسي عن الحسن عن أبي سعيد الخدري قال: "أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق إذا رآه أوشهده ، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يقول بحق أو أن يذكر بعظيم " تفرد به أحمد.

وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس ، فيقول إياي أحق أن تخاف"." (١)

"على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار.

فكسى الإسلام رياسته حلة سابغة. وامتدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة. فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها. وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وقوله تعالى: ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي وليجد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر، كقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ وقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٨٨/٢

الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا الضحوك القتال" يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه، وقوله: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه، وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم. ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله. والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم.

﴿وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾

يقول تعالى: ﴿وإذا مآ أنزلت سورة﴾ فمن المنافقين ﴿من يقول أيكم زادته هذه إيمانا﴾ أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء. بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول شرح البخاري رحمه الله ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ أي زادتهم شكا إلى شكهم وريبا إلى ريبهم كما قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم كما أن سيء المزاج لو غذي به لا يزيده إلا خبالا ونقصا.." (١)

"﴿ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها، وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والحركات المختلفات، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وبراري وصحارى، وقفار وبحار، وأشجار ونبات، وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾ وقال تعالى: ﴿خلق الأنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٤٨٩/٢

على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ وقوله ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ وقال: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقال: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا﴾.

﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سوآء علينآ أجزعنآ أم صبرنا ما لنا من محيص﴾

يقول تعالى: ﴿وبرزوا﴾ أي برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار، أي اجتمعوا له في براز من الأرض وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا ﴿فقال الضعفاء ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿للذين استكبروا﴾ عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم: ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾ أي مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ أي فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا، فقالت القادة لهم: ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين، ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا: إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ الآية." (١)

"عنه "أشبهت خلقي وخلقي" وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه: "أنت أخونا ومولانا" قال علي رضي الله عنه: ألا تتزوج ابنة حمزة رضي الله عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "إنها ابنة أخي من الرضاعة" تفرد به من هذا الوجه.

وقوله تعالى: ﴿فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا، وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين، ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه، وعلى سائر أهل الأرض: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أي على أهل جميع الأديان من سائر الأرض من عرب وعجم ومليين ومشركين ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أي أنه رسوله وهو ناصره، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿محمد رسول الله والذين معه أشدآء على الكفار رحمآء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٦٤٢/٢

وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾

يخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال: ﴿محمد رسول الله﴾ وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال: ﴿والذين معه أشدآء على الكفار رحمآء بينهم﴾ كما قال عز وجل: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". وقال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه، كلا الحديثين في الصحيح.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ وقوله جل جلاله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون. وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم، وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه." (١)

"وعن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

الرابع: الصدق، قال الله تعالى: ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ .

عن ابن عباس قال: من جاء بلا إله إلا الله، وقال: ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٤/٢٤٦

على النار» متفق عليه.

وتقدم قوله – صلى الله عليه وسلم –: «يشهد أن لا إله إلا الله مستقيما بها قلبه» الحديث رواه مسلم.

وقال – صلى الله عليه وسلم – للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام: «أفلح إن صدق».

الخامس: المحبة، قال تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ ، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» الحديث متفق عليه، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه».." (١)

"١٠٦٤– من هدي القرآن للتي هي أقوم: أن من تولوا عن طاعة الله وإتباع شرائعه يستبدل الله قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم، بل يطيعون الله ورسوله ويحبون الله ورسوله، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ ، وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ الآية، وقال: ﴿ إنا لقادرون * على أن نبدل خيرا منهم ﴾ .

١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨– من هدي القرآن للتي هي أقوم: ذكر منقبة من مناقب النبي – صلى الله عليه وسلم – وكرامة من كرامته، وهي أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ثانيا: إتمام نعمة الله عليه.

ثالثا: الهداية إلى الصراط المستقيم.

رابعا: المنعة والعزة ونفاذ الكلمة ورهبة الجانب وحمى الذمار.

قال الله جل وعلا: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ .

١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢– من هدي القرآن للتي هي أقوم: الحث على حمد الله وشكره حيث لطف بعباده المؤمنين، وأنزل في قلوبهم السكينة، وهي الطمأنينة والثبات عند نزول المحن المقلقة والأمور العويصة الصعبة التي تشوش القلوب وتشتت الأفكار.

ثانيا: ما وهبهم من زيادة الإيمان.

ثالثا: التنبيه إلى أن الله عز وجل الذي له جنود السموات والأرض قادر على تحقيق ما وعدهم به.

رابعا: إرشاد العباد إلى أن الله جل وعلا عليم بمصالح عباده.." (٢)

"أو يتصدقون في حال ركوعهم في الصلاة ، حرصا على الخير ومسارعة إليه ، قيل : نزلت في علي .كرم الله وجهه . ؛ سأله سائل وهو راكع في الصلاة ، فطرح له خاتمه ، وقيل : عامة ، وذكر الركوع بعد الصلاة ؛ لأنه من أشرف أعمالها. ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ ، أي يتخذهم أولياء ، ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ أي : فإنهم الغالبون ، ووضع

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٣٥٤/١

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٢٥١/٣

الظاهر موضع المضمر ليكون كالبرهان عليه ، فكأنه قال : ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون ، وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم ، وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء. فإنه حزب الشيطان ، وأصل الحزب : القوم يجتمعون لأمر حزبهم. قاله البيضاوي.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٨٨

الإشارة : محبة الحق تعالى لعبده سابقة على محبته له ، كما أن توبته عليه سابقة لتوبته ، قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ، ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة : ١١٨] ، قال أبو يزيد رضي الله عنه : غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء : توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فما انتهيت ، رأيت ذكره سبق ذكري ، ومعرفته تقدمت معرفتي ، ومحبته أقدم من محبتي ، وطلبه لي من قبل طلبي له. هـ.

وفي الحكم : " أنت الذاكر من قبل الذاكرين ، وأنت البادىء بالإحسان من قبل توجه العابدين ، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين ، وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين ".

". (١)

"الإشارة : الشفاعة إنما تكون لأهل الجاه عند الله ، والجاه يعظم بحسب التوجه ، والتوجه يعظم على قدر المحبة ، والمحبة على حسب العناية السابقة ، ﴿يحبهم ويحبونه﴾ فبقدر أنوار التوجه تعظم أنوار المواجهة ، وبقدر أنوار المواجهة تتسع المعرفة ، وبحسب المعرفة يكون الجاه ، وبقدر الجاه تتسع الشفاعة ، حتى إن الواحد من الأولياء يشفع في وجود بأسره من أهل زمانه ، إما عند موته ، أو عند الحساب. والله تعالى أعلم.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٦٦

قلت : " وحده " : منصوب عند سيبويه ، على المصدر ، وعند الفراء : على الحال ، والظاهر : أنه أطلق المصدر على اسمه.

٢٦٧

يقول الحق جل جلاله : ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ أي : إذا أفرد الله بالذكر ، ولم تذكر معه آلهتهم ، فمدار المعنى على قوله : ﴿وحده﴾ ، ﴿اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي : انقبضت ونفرت ، كقوله : ﴿... وإذا ذكرت ربك فى القرءان وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [الإسراء : ٤٦] ، ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني : آلهتهم ، ذكر الله معهم ، أو لم يذكر ، ﴿إذا هم يستبشرون﴾ ؛ لفرط افتتانهم بها ، ونسيانهم ذكر الله ، أو : وإذا قيل لهم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نفروا ؛ لأن فيه نفيا لآلهتهم.

". (٢)

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٢/٢٦٦

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٦/٤٠٥

"الإشارة : إن المتقين ما سوى الله في جنات المعارف ، وعيون العلوم والأسرار. قال القشيري : في عاجلهم في جنة الوصول ، وفي آجلهم في جنة الفضل ، فغدا نجاة ودرجات ، واليوم قربات ومناجاة. هـ. ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ من فنون المواهب والأسرار ، وغدا من فنون التقريب والإبرار ، راضين بالقسمة ، قليلا أو كثيرة. إنهم كانوا قبل ذلك : قبل الإعطاء ، محسنين ، يعبدون الله على الإخلاص ، يأخذون من الله ، ويدفعون به ، وله ، ولا يردون ما أعطاهم ، ولو كان أمثال الجبال ، ولا يسألون ما لم يعطهم ، اكتفاء بعلم ربهم.

قال القشيري : كانوا قبل وجودهم محسنين ، وإحسانهم : كانوا يحبون الله بالله ، **يحبهم ويحبونه** وهم في العدم ، ولما حصلوا في الوجود ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، كأن نومهم عبادة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " نوم العالم عبادة " فمن يكون في العبادة لا يكون نائما ، وهجوع القلب : غفلته ، وقلوبهم في الحضرة ، ناموا أو استيقظوا ، فغفلتهم بالنسبة إلى حضورهم قليلة. وقال سهل رضي الله عنه : أي : كانوا لا يغفلون عن الذكر في حال ، يعني هجروا النوم ؛ لوجود الأنس في الذكر ، والمراد بالنوم : نوم القلب بالغفلة.

﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ ، قال القشيري : أخبر عن تهجدهم ، وقلة دعاويهم ، وتنزلهم بالأسحار ، منزلة العاصين ، تصغيرا لقدرهم ، واحتقارا لفعلهم. ثم قال : والسهر

٢٠٤

لهم في لياليهم دائم ، إما لفرط لهف ، أو شدة أسف ، وإما لاشتياق ، أو للفراق ، كما قالوا :

كم ليلة فيك لا صباح لها

أفنيتها قابضا على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد

وضعت خدي على بنان يدي

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٠٢

وإما لكمال أنس ، وطيب روح ، كما قالوا :

سقى الله عيشا قصيرا مضى

زمان الهوى في الصبا والمجون

لياليه تحكي انسداد لحاظ

لعيني عند ارتداد الجفون

هـ.

". (١)

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٢٩٦/٧

"الإشارة : فذكر أيها الخليفة للرسول ، فما أنت بحمد الله بكاهن ولا مجنون ، وإن رموك بشيء من ذلك. قال القشيري : قد علموا أنه صلى الله عليه وسلم بريء من الكهانة والجنون ، ولكنهم قالوه على جهة الاشتفاء ، كالسفيه إذا بسط لسانه فيمن يشنأه ، بما يعلم أنه بريء مما يقوله. هـ. وكل ما قيل في جانب النبوة يقال مثله في جانب الولاية ، سنة ماضية.قال القشيري : طبع الإنسان متنفرة من حقيقة الدين ، مجبولة على حب الدنيا والحظوظ ، لا يمكن الخروج منها إلا بجهد جهيد ، على قانون الشريعة ، ومتابعة الرسول عليه السلام وخلفائه ، وهم العلماء الربانيون ، الراسخون في العلم بالله ، من المشايخ المسلكين في كل زمان ، والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب ، ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة ، والانقطاع عن الخلق ، والتبتل إلى الله ، وطلب الأمن. كتب الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وهو الصدق في الطلب ، وحسن الإرادة المنتجة من بذر ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. هـ. مختصرا.
وقوله تعالى : ﴿قل تربصوا...﴾ الآية ، قال القشيري : ولا ينبغي لأحد أن يتمنى نفاق سوقه بموت أحد ، لتنتهي النوبة إليه ، قل ما تكون هذه صفته إلا سبقته منيته ، ولا يدرك ما تمناه. هـ. وقال في مختصره : الآية تشير إلى التصبر في الأمور ، ودعوة الخلق إلى الله ، والتوكل على الله فيما يجري على يد عباده ، والتسليم لأحكامه في المقبولين والمردودين. هـ. وقوله : ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾... إلى قوله : ﴿عما يشركون﴾ هذه صفة أهل الانتقاد على أهل الخصوصية في كل زمان ، وهي تدل على غاية حمقهم وسفههم ، نجانا الله من جميع ذلك.

٢٢٨

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٢٦

(١) ".

"ووجه آخر مما قد يغمض وهو أن قوله تعالى: "وأن تتولو(يستبدل قوما
غيره ثم لا يكونوا أمثالكهه) (القتال: ٣٨) إشارة إلى من يدخل في ملة ألاسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب، وقد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنو(من يرتدي منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين شر ٦٢).... الآيات " والمائدة: ٥٤) وأشار إلى بذلك قوله عليه الصلاة والسلام): (٦٢٠) "ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد السبابة بالاتهام " اس ٦٢)، أشار عليه السلام إلى تولي العرب واستيلاء غيرهم الو(قع في الآيتين وإنما أشار عليه السلام بقوله: "اليوم إلى التقديم جوا تأخر وقوع) (٦٢٦) هذا الأمر إلى أيام أعط جعفر المنصور، فغلبت الفرس والأكيد وأهل جهات الصين وصين الآن وهو ما يلي يأجوج ومأجوج، وكان فتحا وعزا وظهوراً لكلمة ألاسلام وغلبة (٦٢٧) هوك في الخطط والتدبير الامارة (٦٢٨)، وسادوا غهصم، ولهذا جعل ! مجيئهم فتحا فقال: تفتح اليوم)، ولو أراد غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة (ضكط الله عنا) (٦٢٩) في حديث الفتن (٦٣٠) حين قال له: (!ان بينك وبينها بابا مغلقا فقال عمر أيفتح (٦٣١) ذلك الباب أم يكسر فقال

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٧/٣٣٤

(٦٢٣) لا أذلة على المؤمنين به ماقطة من: أ.

(٦٢٤) أ: ذلك عليه السلام.

(٦٢٥) بكلام الحديث عن زيني شت جدا ضلا الله عنها أنها قالت: استيقظ النبي !ي! من النوم مح!ايجهه سمو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج يماحوج مثل هذه يحلق بأصبعه البهام والتي تلا. قالت: فقلت يا رسول الله أنك أمينا الصالحونص قال نعم إذاكل الخبث، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما: ١١١ ١٣ و١٤ ٧ ٢٢٠٧.

كما أحرزه أيضا أحمد في مسنده والترمذي في جامعه، و(بن من في سننه، ومالك في موطئه !!هصم.

(٦٢٦) !: !!و(نخير!!امرغ به وفي هذا التركيز اضطراب مخل بالمعنى.." (١)

"وقوله: ﴿يقول الذين آمنوا﴾ قرأه الجمهور ﴿يقول﴾ بدون واو في أوله على أنه استئناف بياني جواب لسؤال من يسأل:ماذا يقول الذين آمنوا حينئذ.أي إذا جاء الفتح أو أمر من قوة المسلمين ووهن اليهود يقول الذين آمنوا.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿ويقول﴾ بالواو وبرفع ﴿يقول﴾ عطفا على ﴿فعسى الله﴾ ، وقرأه أبو عمرو، ويعقوب بالواو أيضا وبنصب ﴿يقول﴾ عطفا على ﴿أن يأتي﴾. والاستفهام في ﴿أهؤلاء﴾ مستعمل في التعجب من نفاقهم.

و ﴿هؤلاء﴾ إشارة إلى طائفة مقدرة الحصول يوم حصول الفتح، وهي طائفة الذين في قلوبهم مرض.والظاهر أن ﴿الذين﴾ هو الخبر عن ﴿هؤلاء﴾ لأن الاستفهام للتعجب، ومحل العجب هو قسمهم أنهم معهم، وقد دل هذا التعجب على أن المؤمنين يظهر لهم من حال المنافقين يوم إتيان الفتح ما يفتضح به أمرهم فيعجبون من حلفهم على الإخلاص للمؤمنين.

وجهد الأيمان بفتح الجيم أقواها وأغلظها، وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومنتهى الطاقة، وفعله كمنع.ثم أطلق على أشد الفعل ونهاية قوته لما بين الشدة والمشقة من الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى أوكد الأيمان وأغلظها، أي أقسموا أقوى قسم، وذلك بالتوكيد والتكرير ونحو ذلك مما يغلظ به اليمين عرفا.ولم أر إطلاق الجهد على هذا المعنى فيما قبل القرآن.وانتصب ﴿جهد﴾ على المفعولية المطلقة لأنه بإضافته إلى " الأيمان " صار من نوع اليمين فكان مفعولا مطلقا مبينا للنوع.وفي الكشاف في سورة النور جعله مصدرا بدلا من فعله وجعل التقدير:أقسموا بالله يجهدون أيمانهم جهدا، فلما حذف الفعل وجعل المفعول المطلق عوضا عنه قدم المفعول المطلق على المفعول به وأضيف إليه.

وجملة ﴿حبطت أعمالهم﴾ استئناف، سواء كانت من كلام الذين آمنوا فتكون من المحكي بالقول، أم كانت من كلام الله تعالى فلا تكونه.وحبطت معناه تلفت وفسدت، وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ في سورة البقرة[٢١٧].

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن، ص/٤٠٤

[٥٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه." (١)

"تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ وتطمين الرسول والمؤمنين الحق بأن الله يعوضهم بالمرتدين خيرا منهم.فذلك هو المقصود من جواب الشرط فاستغني عنه بذكر ما يتضمنه حتى كان للشرط جوابان.

وفي نزول هذه الآية في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إيماء إلى ما سيكون من ارتداد كثير من العرب عن الإسلام مثل أصحاب الأسود العنسي باليمن، وأصحاب طلحة بن خويلد في بني أسد، وأصحاب مسيلمة ابن حبيب الحنفي باليمامة.ثم إلى ما كان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتداد قبائل كثيرة مثل فزارة وغطفان وبني تميم وكندة ونحوهم.قيل:لم يبق إلا أهل ثلاثة مساجد:مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد"جؤاثى"في البحرين"أي من أهل المدن الإسلامية يومئذ".وقد صدق الله وعده ونصر الإسلام فأخلفه أجيالا متأصلة فيه قائمة بنصرته.

وقوله: ﴿يأتي الله بقوم﴾ ، الإتيان هنا الإيجاد، أي يوجد أقواما لاتباع هذا الدين بقلوب تحبه وتجلب له وللمؤمنين الخير وتذود عنهم أعداءهم، وهؤلاء القوم قد يكونون من نفس الذين ارتدوا إذا رجعوا إلى الإسلام خالصة قلوبهم مما كان يخامرها من الإعراض مثل معظم قبائل العرب وسادتهم الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة زمن أبي بكر، فإن مجموعهم غير مجموع الذين ارتدوا، فصح أن يكونوا ممن شمله لفظ ﴿بقوم﴾ ، وتحقق فيهم الوصف وهو محبة الله إياهم ومحبتهم ربهم ودينه، فإن المحبتين تتبعان تغير أحوال القلوب لا تغير الأشخاص فإن عمرو بن معد يكرب الذي كان من أكبر عصاة الردة أصبح من أكبر أنصار الإسلام في يوم القادسية، وهكذا.

ودخل في قوله ﴿بقوم﴾ الأقوام الذين دخلوا في الإسلام بعد ذلك مثل عرب الشام من الغساسنة، وعرب العراق ونبطهم، وأهل فارس، والقبط، والبربر، وفرنجة إسبانية، وصقلية، وسردانية، وتخوم فرانسا، ومثل الترك والمغول، والتتار، والهند، والصين، والإغريق، والروم، من الأمم التي كان لها شأن عظيم في خدمة الإسلام وتوسيع مملكته بالفتوح وتأييده بالعلوم ونشر حضارته بين الأمم العظيمة، فكل أمة أو فريق أو قوم تحقق فيهم وصف ﴿**يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ فهم من القوم المنوه بهم؛ أما المؤمنون الذين كانوا من قبل وثبتوا فأولئك أعظم شأنا وأقوى إيمانا فأتاهم المؤيدون زرافات ووحدانا.

ومحبة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو." (٢)

"ذلك في سورة آل عمران وفي سورة براءة.

والشدة على الكفار اقتبسوها من شدة النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين قال تعالى ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: من الآية١٢٨].

وأما كونهم رحماء بينهم فذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم. وقد وردت أخبار أخوتهم وتراحمهم في مواضع كثيرة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٣/٥

(٢) التحرير والتنوير، ١٣٥/٥

من القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ في سورة العقود. [٥٤]

وفي تعليق ﴿رحماء﴾ مع ظرف "بين" المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف هو إليه تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا قال النبي صلى الله عليه وسلم "تجد المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى له جميع الجسد بالسهر والحمى".

والخطاب في ﴿تراهم﴾ لغير معين بل لكل من تتأتى رؤيته إياهم، أي يراهم الرائي.

وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعا سجدا. وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه.

والسيما: العلامة، وتقدم عند قوله تعالى ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ في البقرة [٢٧٣] وهذه سيما خاصة هي من أثر السجود.

واختلف في المراد من السيما التي وصفت بأنها ﴿من أثر السجود﴾ على ثلاثة أنحاء الأول: أنها أثر محسوس للسجود، الثاني أنها من الأثر النفسي للسجود، الثالث أنها أثر يظهر في وجوههم يوم القيامة. فبالأول فسر مالك بن أنس وعكرمة وأبو العالية قال مالك: السيما هي ما يتعلق بجباههم من الأرض عند السجود مثل ما تعلق بجبهة النبي صلى الله عليه وسلم من أثر الطين والماء لما وكف المسجد صبيحة إحدى وعشرين من رمضان. وقال السعيد وعكرمة: الأثر كالغدة يكون في جبهة الرجل.

وليس المراد أنهم يتكلفون حدوث ذلك في وجوههم ولكنه يحصل من غير قصد." (١)

"ج ١ ، ص : ٢٧٦

وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفا على «يصبحوا» لا على «يأتي» لأن ذلك القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط. والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أي غاية أيمانهم إنهم لمعكم بالمعونة فإن المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله :

وإن قوتلتم لننصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين للمنافقين متعجبين من حالهم متبجحين بما من الله عليهم من إخلاص الإيمان عند مشاهدتهم لإظهارهم الميل إلى موالاة اليهود والنصارى أنهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم أنهم معنا في ديننا في السر ومن أنصارنا فالآن كيف صاروا موالين لأعدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم ، وهذا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٣/٢٦

أنسب لقراءة الرفع مع إثبات الواو على الاستئناف ، أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصب ولقراءة الرفع مع حذف الواو ، ولقراءة الرفع مع الواو بجعل عطف جملة على جملة والله أعلم. حبطت أعمالهم أي بطل ما أظهروه من الإيمان وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى فأصبحوا خاسرين (٥٣) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**.

قرأ ابن عامر ونافع «يرتدد» بدالين من غير إدغام وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها. روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشر فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الأولى : بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار – ويلقب بالأسود – كان له حمار يقول له : قف ، فيقف! وسر ، فيسير! وكانت نساء أصحابه يتعطرن بروث حماره وكان كاهنا ادعى النبوة. فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن وأمرهم بالنهوض إلى حراب الأسود ، فقتله فيروز الديلمي على فراشه. والثانية : بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد وحشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه. والثالثة : بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث أبو بكر خالدا فهزمهم وأفلت طليحة فهرب نحو الشام ، ثم أسلم أيام عمر وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر.

الأولى : فزارة قوم عيينة بن حصن.

والثانية : غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري.

والثالثة : بنو سليم قوم الفجأة بن عبد ياليل.." (١)

"ج ١ ، ص : ٢٧٧

والرابعة : بنو يربوع قوم مالك بن نويرة.

والخامسة : بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وهي ادعت النبوة وزوجت نفسها لمسيلمة الكذاب.

والسادسة : كندة قوم الأشعث بن قيس :

والسابعة : بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفرقة واحدة في عهد عمر وهي : غسان قوم جبلة بن الأيهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف ، فوطئ رجل طرف ردائه فغضب فلطمه ، فاشتكى الرجل إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه. فقال : أنا أشتريها بألف ، فأبى الرجل ، فلم يزل يزيد في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف ، فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر فأنظره ، فهرب جبلة إلى الروم وارتد ، والمراد بقوم **يحبهم ويحبونه** كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج : هم أبو بكر وأصحابه لأنهم الذين قاتلوا أهل الردة. ومعنى يحبهم أي يلهمهم الطاعة ويثيبهم عليها. ومعنى ويحبونه أي يطيعون لأوامره تعالى ونواهيه أذلة على المؤمنين أي عاطفين عليهم أعزة على الكافرين أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ١/٢٧٦

«١». وكان أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ، ولا يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم ، وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر إلى المرتدين وإلى مانعي الزكاة حتى انهزموا وجعل الله ذلك مبدأ لدولة الإسلام يجاهدون في سبيل الله أي لنصرة دين الله ولا يخافون لومة لائم فالواو للحال أي بخلاف المنافقين فإنهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم ، فمن كان قويا في الدين فلا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه ولومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلي ، إلا أن حظ أبي بكر في الجهاد أتم ، لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث. وفي ذلك الوقت كان الإسلام في غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية وسعه.

وأما علي فإنه كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي لوجهين : لتقدمه على جهاد علي في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الإسلام ذلك أي وصف القوم بالمحبة والشفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع أي كامل القدرة فلا يعجز عن هذا

---

(١) رواه أحمد في (م ٣/ ص ٢٨١) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول الله.." (١)

"ج ٢ ، ص : ١٦٥

سورة النمل

مكية ، وهي أربع وتسعون آية ، ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة ، أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا

طس أي هذا مسمى بطس تلك أي تلك السورة آيات القرآن وكتاب مبين (١) ، أي مظهر للحكم والأحكام وأحوال الآخرة.

وقرأ ابن أبي عبلة برفع «كتاب مبين». هدى وبشرى للمؤمنين (٢) ، هما حالان من آيات ، أي هادية إلى الله ومبشرة بالوصول إلى الله بهدايته للمصدقين بتلك الآيات أو بدلان منها ، أو خبران آخران لتلك

كما قال تعالى : «ألا من طلبني وجدني من طلبني بدلالات القرآن وجدني بالعيان»

. الذين يقيمون الصلاة أي يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعها في حقها.

ويؤتون الزكاة أي يعطونها بشرائطها وهم بالآخرة هم يوقنون (٣) أي هؤلاء هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم ، لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب.

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا يخلق في قلبه بما فيها من المضار والآفات ، فهم يعمهون (٤) أي ينهمكون فيها أولئك أي الموصوفون بعدم الإيمان بما في الآخرة وبالعمد في الأعمال الذين لهم سوء العذاب وهو عمي القلوب وصممه وبكمه ، وهم في الآخرة هم الأخسرون (٥) أي أشد الناس

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ٢٧٧/١

خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ، ولأنهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يربحوا المولى وذلك لأن قوما من المختصين بتوفيق من الله **يحبهم ويحبونه** قد خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات إليهما في طلب المولى ، فربحوا المولى. فلهذا لما وجد أبو يزيد في البادية قحف رأس مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفي. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦) ، أي وإنك يا أشرف الخلق لتؤتى القرآن من عند ذات مصيب في أفعاله لا يفعل شيئا إلا على وفق علمه. عليم بكل شيء سواء كان ذلك العلم مؤديا إلى العمل أو لا. وقال بعضهم : أي إنك جاوزت حد كمال كل رسول فإنهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل ، والرسالات." (١)

" قوله : من عادى لي ولياً . قال في الصحاح : والولي ضد العدو انتهى . والولاية ضد العداوة . وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة ، وأصل العداوة البغض والبعد . قال ابن حجر في فتح الباري : المراد بولي الله العالم بالله تعالى [المواظب] على طاعته المخلص في عبادته ' انتهى . وهذا التفسير للولي ، هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه . ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية . كقوله سبحانه : ! (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) ! وكقوله عز وجل : ! (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) ! . وكقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فإن حزب الله هم

". (٢)

"[٥٤] قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قرأ أهل المدينة والشام (يرتدد) بدالين على إظهار التضعيف ﴿ عن دينه ﴾ فيرجع إلى الكفر ، قال الحسن : علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه ، واختلفوا في أولئك القوم من هم ؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة : هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة ، وقال قوم : المراد بقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ هم الأشعريون ، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال : « لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هم قوم هذا " ، وأشار إلى أبي موسى الأشعري » (١) ، وكانوا من اليمن . قوله عز وجل : ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ يعني : أرقاء رحماء ، لقوله عز وجل : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ ، ولم يرد به الهوان ، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين . وقيل : هو الذل من

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ١٦٥/٢

(٢) ولاية الله والطريق إليها، ص/٢٢٣

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٣١٣ وصححه على شرط مسلم ، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ٧ / ١٦ ، والطبري في التفسير ١٠ / ٤١٤ .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ [٦] .

﴿ فلعلك باخع ﴾ أي : مهلك : ﴿ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ يعني القرآن : ﴿ أسفا ﴾ أي : لتأسف على توليهم وإعراضهم عنه . أو متأسف عليهم . والأسف فرط الحزن والغضب . وفي " العناية " : لعل للترجي . وهو الطمع في الوقوع أو الإشفاق منه . وهي هنا استعارة . أي : وصلت إلى حالة يتوقع منك الناس ذلك . لما يشاهد من تأسفك على عدم إيمانهم . وفي النظم الكريم استعارة تمثيلية بتشبيه حاله معهم ، وقد تولوا ، وهو آسف من عدم هدايتهم ، بحال من فارقته أحبته . فهم بقتل نفسه . أو كاد يهلك وجدا عليهم وتحسرا على آثارهم . وسر ذلك - كما قال القاشاني - أن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه . ولما كان صلى الله عليه وسلم حبيب الله ، ومن لوازم محبوبيته محبته لله لقوله : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وكلما كانت محبته للحق أقوى ، كانت شفقته ورحمته على خلقه أكثر . لكون الشفقة عليهم ظل محبته لله ، وأشد تعطفه عليهم . فإنهم كأولاده وأقاربه . بل كأعضائه وجوارحه في الشهود الحقيقي . فلذلك بالغ في التأسف عليهم ، حتى كاد يهلك نفسه . وقوله تعالى :." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ [٥٤]

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ لما نهى تعالى - فيما سلف - عن مولاة اليهود والنصارى ، وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين بقوله : ﴿ فإنه منهم ﴾ وقوله : ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ - شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق .

ونوه بقدرته العظيمة . فأعلم أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته ، فإن الله ، سيستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة ، وأقوم سبيلا . كما قال تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ [النساء : ١٣٣] . و قال تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ [فاطر : ١٦ - ١٧] . أي : بممتنع ولا صعب .

وفي هذه الآية مسائل :

الأولى : قال المحققون : هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها . وقد وقع المخبر به على وفقها .

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٣٥٧/٢

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

فيكون معجزا . فقد روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة : ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (بنو مدلج) ورئيسهم ذو الحمار – بحاء مهملة وضبطه بعضهم بالمعجمة –وهو الأسود العنسي –بالنون نسبة إلى عنس قبيلة باليمن –وكان كاهنا ثم تنبأ باليمن ، واستولى على بلاده ، وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن . فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي . بيته فقتله . وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل . فسر المسلمون . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في آخر شهر ربيع الأول .

و (بنو حنيفة) قوم مسيلمة : تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك . فأجاب قرئ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين ، وقتل على يدي وحشي ، قاتل حمزة ، وكان يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية ، وشر الناس في الإسلام . أراد : في جاهليتي وإسلامي .

و (بنو أسد) قوم طليحة بن خويلد : تنبأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثر جمعه ، ومات صلى الله عليه وسلم وهو على ذلك . فبعث إليه أبو بكر خالدا رضي الله عنهما فقصده . فانهزم طليحة بعد القتال إلى الشام . ثم أسلم وحسن إسلامه .

وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

(فزارة) قوم عيينة بن حصن ؛

و (قوم غطفان) قوم قرة بن سلمة الشيري ؛

و (بنو سليم) قوم الفجاءة بن عبد ياليل – بيائين ولامين كهابيل –صنم سمي هذا به .

و (بنو يربوع) قوم مالك بن نويرة .

و (بعض تميم) قوم سجاح بنت المنذر . كانت كاهنة ثم تنبأت وزوجت نفسها مسيلمة الكذاب ثم أسلمت وحسن إسلامها .

و (كندة) قوم الأشعث بن قيس .

و (بنو بكر بن وائل) بالبحرين ، قوم الحطم –كزفر –بن زيد . وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه .

وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه : (غسان) قوم جبلة بن الأيهم ، نصرته اللطمه وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه والجمهور : على أنه مات على ردته وقيل : إنه أسلم .

وروى الواقدي : أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أحبار الشام – لما لحق بهم – كتابا فيه : أن جبلة ورد إلي في سراة قومه ، فأسلم فأكرمته . ثم سار إلى مكة فطاف فوطئ إزاره رجل من بني فزارة ، فلطمه جبلة فهشم أنفه وكسر ثناياه . (وقيل : قلع عينه ، ويدل له ما سيأتي) فاستعدى الفزاري على جبلة إلي . فحكمت إما بالعفو أو بالقصاص . فقال : أتقتص مني وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقلت : شملك وإياه الإسلام . فما تفضله إلا بالعافية .

فسأل جبلة التأخير إلى الغد . فلما كان من الليل ركب مع بني عمه ولحق بالشام مرتدا .

وروي أنه ندم على ما فعل وأنشد :

تنصرت بعد الحق عارا للطمة ولم يك فيها ، لو صبرت لها ، ضرر

فأدركني فيها لجاج حمية فبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني صبرت على القول الذي قاله عمر

هذا ما في " الكشاف " و " العناية " .

وقال الخطابي أهل الردة كانوا صنفين : صنفا ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعدلوا إلى الكفر . وهذه الفرقة طائفتان : إحداهما – أصحاب مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وغيرهم الذي صدقوه على دعواه في النبوة ، أصحاب الأسود العنسي ومن استجابه من أهل اليمن . وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . مدعية النبوة لغيره . فقاتلهم أبو بكر حتى قتل مسيلمة باليمامة ، والعنسي بصنعاء . وانفضت جموعهم وهلك أكثرهم .

و الطائفة الأخرى – ارتدوا عن الدين . فأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرهما من أمور الدين ، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية ، فلم يكن يسجد لله في الأرض إلا في ثلاثة مساجد : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد عبد القيس .

قال ؛ والصنف الآخر : هم الذين فرقوا بين الصلاة وبين الزكاة ، فأنكروا وجوبها ووجوب أدائها إلى الإمام ، وهؤلاء ، على الحقيقة ، أهل البغي وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمن خصوصا ، لدخولهم في غمار أهل الردة ، وأضيف الاسم في الجملة إلى أهل الردة ، إذ كانت أعظم الأمرين وأهمهما .

انظر تتمة هذا المبحث في " نيل الأوطار " في كتاب الزكاة .

قال الشوكاني : فأما مانعوا الزكاة منهم ، المقيمون على أصل الدين ، فإنهم أهل بغي . ولم يسموا على الانفراد كفارا ، وإن كانت الردة قد أضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين ، وذلك أن الردة اسم لغوي . فكل من انصرف عن أمر كان مقبلا عليه ، فقد ارتد عنه . وقد وجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحق . وانقطع عنهم اسم الثناء والمدح ، وعلق بهم الاسم القبيح ، لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقا .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ .

مذهب السلف في المحبة المسندة له تعالى . أنها ثابتة له تعالى بلا كيف ولا تأويل ، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها . كما تقدم في الفاتحة في : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

فتأويل مثل الزمخشري لها –بإثابته تعالى لهم أحسن الثواب ، وتعظيمهم والثناء عليهم والرضا عنهم – تفسير باللازم ، منزع كلامي لا سلفي . وقد أنكر الزمخشري أيضا كون محبة العباد لله حقيقية ، وفسرها بالطاعة وابتغاء المرضاة . فرده صاحب " الانتصاف " بأنه خلاف الظاهر . وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب ، والمجاز الذي لا يعدل إليه عن الحقيقة ، إلا بعد تعذرها ، فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد ، لينظر : أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا ؟ إذ المحبة

، لغة ، ميل المتصف بها إلى أمر ملذ . واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحسن : كلذة الذوق في المطعوم ، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ، ولذة الشم في الروائح العطرة ، ولذة السمع في النغمات الحسنة ، وإلى لذة تدرك بالعقل : كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها . فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة مالا يدركه إلا العقل دون الحس ، ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها ، وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث . فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات ، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق . فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ، ومعرفة جلاله وكماله ، تكون أعظم . والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن ، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات . فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة ، بل واقعة من كل مؤمن ، فهي من لوازم الإيمان وشروطه ، والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم ، وإذا كان كذلك ، وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة ، وكانت الطاعة والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها . ألا ترى إلى الأعرابي الذي سأل عن الساعة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كبير عمل . ولكن حب الله ورسوله . فقال عليه الصلاة والسلام : أنت مع من أحببت . فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات ، لأن الأعرابي نفاها وأثبت الحب ، وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك . ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة ، فالمحبة في اللغة . إذا تأكدت سميت عشقا ، فمن تأكدت محبته لله تعالى ، وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات في ذكره وطاعته –فلا تمنع أن تسمى محبته عشقا ، إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة . انتهى .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ .

قال ابن كثير : هذه صفات المؤمنين الكمل ، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه ، متعززا على خصمه وعدوه ، كما قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قال الزمخشري : فإن قلت : هلا قيل : أذلة للمؤمنين ؟ قلت فيه وجهان :

أحدهما – أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع .

و الثاني – أنهم – مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين – خافضون لهم أجنحتهم . . وقرئ (أذلة وأعزة) بالنصب على الحال .

وفي " الحواشي " : أن قوله تعالى : ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ تكميل . لأنه لما وصفهم بالتذلل ، ربما توهم أن لهم في نفسهم حقارة . فقال : ومع ذلك هم أعزة على الكافرين ، كقوله :

جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم بهم خفوف

واستدل بالآية على فضل التواضع للمؤمنين والشدة على الكفار .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ ولا يخافون لومة لآئم ﴾ .

قال الزمخشري : يحتمل أن تكون (الواو) للحال على معنى : أنهم يجاهدون ، وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين ، فإنهم كانوا موالين لليهود . فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود ، فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم ؛ وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط . وأن تكون للعطف على أن من

صفتهم المجاهدة في سبيل الله . وأنهم صلاب في دينهم . إذا شرعوا في أمر من أمور الدين – إنكار منكر أو أمر بمعروف – مضوا فيه كالمسامير المحماة ، لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم . يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم . و (اللومة) المرة من اللوم . وفيها وفي التنكير مبالغتان . كأنه قيل : لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام . انتهى .

وفيه وجوب التمسك بالحق وإن لامه لائم . وإنه مع تمسكه به صيره محلة أعلى ممن تمسك به من غير لوم . لأنه تعالى مدح من هذا حاله . وفيه أيضا ، أن خوف الملامة ليس عذرا في ترك أمر شرعي .

روى الإمام أحمد عن أبي ذر قال : أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع : أمرني بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا ، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرا ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنهن كنز تحت العرش .

وروى الإمام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١).

وروى أيضا عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٢).

وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره . وأن لا ننازع الأمر أهله . وأن نقول بالحق حيثما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

الخامسة : قوله تعالى : ﴿ ذلك فضل الله ﴾ .

الإشارة إلى ما ذكر من حب الله إياهم ، وحبهم لله وذلتهم للمؤمنين ، وعزتهم على الكافرين ، وجهادهم في سبيل الله ، وعدم مبالاتهم للوم اللوام . فالمذكور كله فضل الله الذي فضل به أولياءه .

قال المهايمي : أما المحبتان فظاهر . وكذا العزة على الكفار والجهاد . وأما الذلة على المؤمنين فلأنه تواضع موجب للرفع . وأما عدم خوف الملامة فلما فيه من تحقيق المودة مع الله .

وقوله تعالى : ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ أي : ممن يريد به مزيد إكرام من سعة جوده ﴿ والله واسع ﴾ أي : كثير الفواضل ، جل جلاله .

ولما نهى عن موالاة اليهود والنصارى ، أشار إلى من يتعين للموالاة ، فقال سبحانه :." (٣)

---

(١) ألا ، لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده . فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم

(٢) لا يحقرن أحدكم نفسه ، أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه . فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس ، فيقول : إياي أحق أن تخاف

(٣) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [٤]

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ قال القاشاني : لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله ، إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون الله لنفسه . فأصل الشرك ومحبة الأنداد ، محبة النفس . فإذا سمح بالنفس ، كان غير محب لنفسه ، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئا من الدنيا ، وإذا كان بذله للنفس في اللهو وفي سبيله لا للنفس ، كما قال – ترك الدنيا للدنيا – كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء ، فكان من الذين قال فيهم : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وإذا كانوا كذلك يلزم محبة الله إياهم ، لقوله :

﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، انتهى .

تنبيهات :

الأول : في ذكر هذه الآية عقيب مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار ، فلم يفوا . انتهى .

وأيده الناصر من الوجهة البيانية بأن الأول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة ، كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ [الحجرات : ١ – ٢] ، فالنهي العام ورد أولا ، والمقصود اندراج هذا الخاص فيه ، كما تقول للمقترف جرما معينا : لا تفعل ما يلصق العار بك ، ولا تشاتم زيدا . وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشيء الواحد مرتين ، مندرجا في العموم ، ومفردا بالخصوص . وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود في حيز التكرار ، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل . انتهى .

الثاني : في " الإكليل " : قال إلكيا الهراسي : يحتج بقوله تعالى ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون *كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢– ٣] في وجوب الوفاء بالنذر ، ونذر اللجاج . قال غيره : والوعود . انتهى .

قال ابن كثير : هو إنكار على من يعد وعدا ، أو يقول قولا ، لا يفي به . ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا ، سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا . واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [١]. ولهذا أكد الله تعالى هذه الإنكار عليهم بقوله تعالى ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي ، فذهبت لأخرج لألعب ، فقالت أمي : يا عبد الله ! تعال أعطك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢]؟ قالت : تمرا

---

(١) آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان

(٢) وما أردت أن تعطيه

. فقال : (١).

وذهب الإمام مالك رحمه الله إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود ، وجب الوفاء به . كما قال لغيره : تزوج ولك علي كل يوم كذا . فتزوج . وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك ، لأنه تعلق به حق آدمي .

وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا ، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم ، فلما فرض ، نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ [النساء : ٧٧] . وقال تعالى : ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ [محمد : ٢٠] الآية ، وهكذا هذه الآية معناها كما قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين ، قبل أن يفرض الجهاد ، يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ، ولم يقروا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ وقيل : كان المسلمون يقولون : لو نعلم أي : الأعمال أحب إلى الله لأتيناه ، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا ، فلما كان يوم أحد ، تولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى شج وكسرت رباعيته ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ روي ذلك عن مقاتل بن حيان .

وقيل : نزل هذا توبيخا لقوم من المنافقين كانوا يعدون المؤمنين النصر وهم كاذبون . يقولون : لو خرجتم خرجنا معكم ، وكنا في نصركم ، وفي وفي . . . . روي ذلك عن ابن زيد .

وكل المروي هنا ما تشمله الآية .

وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله : أي : الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يقم منا أحد ، فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة – يعني سورة الصف – كلها . ولفظ ابن أبي حاتم عن عبد الله بن سلام أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن ذلك . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا ، حتى جمعهم ، ونزلت فيهم هذه السورة – الصف – قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها .

وفي رواية ابن أبي حاتم هذه فائدة جليلة : وهي أن قول الصحابي نزلت هذه السورة ، بمعنى قرئت في الحادثة ، كما بينته الرواية قبله . والروايات يفسر بعضها بعضا . وقد نبهنا على ذلك مرارا .

الثالث : في " الإكليل " في قوله :

﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفا كصفوف الصلاة ، وأنه يستحب سد الفرج والخلل

---

(١) أما إنك لو لم تفعلي ، كتبت عليك كذبة

في الصفوف ، وإتمام صف الأول فالأول ، وتسوية الصفوف قدما بقدم ، لا يتقدم بعض على بعض فيها .

قال ابن أبي الفرس : واستدل بها على أن قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان ؛ لأن التراص إنما يمكن منهم . قال : وهو ممنوع . انتهى .

وفي التشبيه وجهان آخران :

أحدهما : أن يكون المراد الثبات ورسوخ الأقدام في الموقف ، تنبيها على أن المتزلزل القدم ، والمضطرب في الموقف : دع من يعزم على الفرار ممن يمقته الله تعالى ، ولا تناله محبته .

ثانيهما : أن يكون المعنى به اجتماع الكلمة ، والاتفاق على تسوية الشأن مع العدو ، حتى يكونوا في الاتحاد وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص . وقد أشار لهذين الوجهين الرازي . وهما أقرب من الأول ، لتقويتهما لمعنى طليعة السورة ، من الثبات على الوعد والوفاء به ، والعتب على من يخلف فيه ، كما تقدم .." (١)

"وهكذا كثير من تفسير السلف؛ يذكرون من النوع مثالا لينبهوا به على غيره، أو لحاجة المستمع إلى معرفته، أو لكونه هو الذي يعرفه، كما يذكرون مثل ذلك في مواضع كثيرة، كقوله : ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد ﴾ [الفتح : ١٦] ، وقوله : ﴿ وآخرين منهم ﴾ [الجمعة : ٣] ، وقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقوله : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ [فاطر : ٣٢] .

/ وكذلك تفسير : ﴿ والشفع والوتر ﴾ [الفجر : ٣] ، و ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ [البروج : ٣] ، وغير ذلك . وقوله : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] ، وأمثال ذلك كثير من تفسيرهم هو من باب المثال .

ومن ذلك قولهم : إن هذه الآية نزلت في فلان وفلان، فبهذا يمثل بمن نزلت فيه . نزلت فيه أولا وكان سبب نزولها . لا يريدون به أنها آية مختصة به، كآية اللعان، وآية القذف، وآية المحاربة، ونحو ذلك . لا يقول مسلم إنها مختصة بمن كان نزولها بسببه .

واللفظ العام وإن قال طائفة : إنه يقصر على سببه فمرادهم على النوع الذي هو سببه . لم يريدوا بذلك أنه يقتصر على شخص واحد من ذلك النوع .

فلا يقول مسلم : إن آية الظهار لم يدخل فيها إلا أوس بن الصامت، وآية اللعان لم يدخل فيها إلا عاصم بن عدى، أو هلال بن أمية : وأن ذم الكفار لم يدخل فيه إلا كفار قريش؛ ونحو ذلك، مما لا يقوله مسلم ولا عاقل . ". (٢)

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٢٣٦

عن آفة لأنه قال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، بين أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله.

ويقال قال أولا : «يحببكم الله» ثم قال : «ويغفر لكم ذنوبكم» والواو تقتضى الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٠١/٤

أولا **يحبهم ويحبونه** (و بعده) يغفر لهم ويستغفرونه ، فالمحبة توجب الغفران لأن العفو يوجب المحبة.

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان «١» وهو صفاؤها.

والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب فى السر.

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب.

والحب حرفان حاء وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فالمحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه.

قوله جل ذكره :

[سورة آل عمران (٣) : آية ٣٢]

قل أطيعوا الله و الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)

أمرهم بالطاعة ثم قال : «فإن تولوا» أي قصروا فى الطاعة بأن خالفوا ، ثم قال : «فإن الله لا يحب الكافرين» لم يقل العاصين بل قال الكافرين ، ودليل الخطاب أنه يحب المؤمنين وإن كانوا عصاة «٢» قوله جل ذكره :

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٣٣ الى ٣٤]

إن الله اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم (٣٤)

اتفق آدم وذريته فى الطينة ، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قبله ، لا بالنسب ولا بالسبب.

---

(١) وردت (الإنسان) وهى خطأ من الناسخ (أنظر الرسالة ص ١٥٨).

(٢) فالمؤمن العاصي منزلة بين المنزلتين : الإيمان والكفر - فى نظر القشيري المتكلم. [.....]." (١)

" ونافع وابن عامر يقول بغير واو مع رفع اللام وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة قال المفسرون لما أجلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بني النضير اشتد ذلك على المنافقين وجعلوا يتأسفون على فراقهم وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جادا في معاداة اليهود أهذا جزاؤهم منك طال والله ما أشبعوا بطنك فلما قتلت قريظة لم يطق أحد من المنافقين ستر ما في نفسه فجعلوا يقولون أربعمئة حصدوا في ليلة فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين قالوا أهؤلاء يعنون المنافقين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم قال ابن عباس أغلظوا في الأيمان وقال مقاتل جهد أيمانهم القسم بالله وقال الزجاج اجتهدوا في المبالغة في اليمين إنهم لمعكم على عدوكم حبطت أعمالهم بنفاقهم يآأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

قوله تعالى من يرتد منكم عن دينه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي يرتد بادغام الدال الأولى في الأخرى وقرأ نافع وابن عامر يرتدد بدالين قال الزجاج يرتدد هو الأصل لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ظهر التضعيف

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢٣٦/١

فأما يرتد فأدغمت الدال الأولى في الثانية وحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين قال الحسن علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم عليه السلام فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال ." (١)

"قوله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه ﴾ قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : يرتد ، بإدغام الدال الأولى في الأخرى ، وقرأ نافع ، وابن عامر : يرتدد ، بدالين . قال الزجاج : «يرتدد» هو الأصل ، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ، ظهر التضعيف . فأما «يرتد» فأدغمت الدال الأولى في الثانية ، وحركت الثانية بالفتح ، لالتقاء الساكنين . قال الحسن : علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم عليه السلام ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال .

أحدها : أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ، قاله علي بن أبي طالب ، والحسن عليهما السلام ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جريج . قال أنس ابن مالك : كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة ، وقالوا : أهل القبلة ، فتقلد ابو بكر سيفه ، وخرج وحده ، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره .

والثاني : أبو بكر ، وعمر ، روي عن الحسن ، أيضا .

والثالث : أنهم قوم أبي موسى الأشعري ، روى عياض الأشعري أنه " لما نزلت هذه الآية قال رسول الله A : «هم قوم هذا» يعني : أبا موسى " . والرابع : أنهم أهل اليمن ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

والخامس : أنهم الأنصار ، قاله السدي .

والسادس : المهاجرون والأنصار ، ذكره أبو سليمان الدمشقي . قال ابن جرير : وقد أنجز الله ما وعد فأتى بقوم في زمن عمر كانوا أحسن موقعا في الإسلام ممن ارتد .

قوله تعالى : ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أهل رقة على أهل دينهم ، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم . وقال الزجاج : معنى «أذلة» : جانبهم لين على المؤمنين ، لا أنهم أذلاء . ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار ، ويظاهرونهم ، ويخافون لومهم ، فأعلم الله D أن الصحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم ، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، فقال ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يعني : محبتهم لله ، ولين جانبهم للمسلمين ، وشدتهم على الكافرين .." (٢)

"والتخريج الأول أظهر وأقرب إلى الخاطر ، وهو المتبادر ، ولقد قال بعد ذلك : (والذين آمنوا أشد حبا لله @و ، أى أن المؤمنين لوصفهم بالإيمان ولإذعانهم بالحق ولأنهم يعبدون من يملك النفع والضر ، وأنه خالق الكون ؟ ولأن حبهم مقصمور على الذات العلية ، فإنهم بذلك أشد حبا لله ، ومظهر جب الله تعالى الإخلاص له ، وتسليم الوجه والطاعة له ، والخضوع له ، ولما يأتى من عنده ، فحب الله طاعته ، وأن تمتلئ النفس بذكره ، وأن يكون حبه كله لله تعالى لا يحب شيئا في الوجود إلا لله ، كما قال تعالى : (**يحبهم ويحبونه** ٣٠٠٠@لأ@ أ المائدة ولقد قال (صلى الله عليه وسلم) :

---

(١) زاد المسير، ٢/٣٨٠

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٢٢٦

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشمئ لا يحبه إلا لله " (١) فالله فى قلبه وفى عمله ، وقوله واختلاطه بالناس ، وهو معه دائما.

وإن الله تعالى قد أعد العقاب الشديد لأولئك الذين اتخذوا الأنداد ، وقدسوا الحجارة ، وعبدوا الطاغوت ، وقد قال تعالى فى وصف عقابهم الهائل : (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب @ والذين ظلموا هم الذين اتخذوا الأنداد ، وأظهرهم ، ولم يعبر عنهم بالضمير أو الإشارة ، لبيان أنهم ظالمون ظلموا أنفسهم وظلموا الحقيقة ، وضلوا وأضلوا ، وإن ما ينالهم من جزاء هو بسبب ظلمهم ، وقوله تعالى : (أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب @ مفعول يرى ، ويصح أن تكون يرى الأولى علمية ، ويكون المؤدى أن ذلك يوم القيامة وظلمهم كان فى الدنيا ، ويكون سياق الكلام هكذا : لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ، لو يرى الذين ظلموا ذلك ، وهم يرون العذاب الواقع فعلا ، والمعنى يرون العذأب رأى العين بالعين البصرية يوم القيامة ويعلمون أن القوة لله جميعا ، وأن الله شديد العقاب.

فهم يرون العذاب فعلا رأى العين ، وقد علموا فى ذلك الوقت أن الله سبحانه وتعالى له القوة جميعا ، فلا قوة لأحد أن يزحزحهم من النار التى هم فيها ، ويعلمون أن الله شديد العقاب.

(١) عن ابى امامة ، عن رسولي الله (صلى الله عليه وسلم) ! انه قال : " من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد اصتكمل الإيمانا. أسق أبي داود : كتاب السنة (٤٠٦١) ، .." (١)

"ا إلأ االتفسيرا سمو رةا آليا ا@كمرا لطأ: اا " اا أ اا:ا ا@ وبهذا يتبين أن المحاربين كانوا فريقين : أحدهما رعب واضطرب ، والثانى

ثبت وجاهد ، ولقد ذكر الثه حال الفريقين ، ومقام كل واحد من الحق ودعوته فقال تعا@ت كلماته فى الفريق الأول : (ومن يقلب عليئ عقبيه فلن يضز الله شيئا.

اى ومن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) لمجيها فلن يضر دين الله تعالى فى شيء ، ولأن دين الله تعالى بعد أن بلغ النبى رسالة ربه ، واكمل البيان لهذا الدين ، قد ظهر وصار حقيقة ثابتة فى الوجود ، فلا عبرة بمن يخرج ، كما قال تعالى : (من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعرة على الكافرين... ثلم@ت @ أ المائدة ، .

وفى هذا تنبيه إلى ثلاثة أمور :

أولهما : أن من يجاهد عليه أن يجاهد لحقيقة من الحقائق الثابتة الخالدة التى

لا تفنى ولا تنتهى ، ولا يقاتل لأجل الأشخاص الذين ينتهون ويفنون ، فالمعانى خىالدة ، وا لأشخاص ميتون.

الثانية : أن من يفسد قلبه فيرتد بعد إيمان ويكفر بعد يقين ، لا يضر دين

الله بل يضر نفسه ؟ لأن الضال المضل يضر نفسه قبل أن يضر غيره.

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٤٩٤

ثالثها : إخبار الله تعالى بأن هذا الدين خالد ثابت با@تى إلى يوم القيامة ؟ لأنه سبحانه قد قرر أنه لا يضره من يخرج عنه أو يمرق عن أحكامه ، أو يتركها @ستهينا ، فإن للإسلام ربا يحميه ، ورجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

ثم بين سبحانه من بعد ذلك جزاء الصابرين الذين لم يرعبوا ولم يضطربوا ،

فقال سبحانه : (وسيجزي الله الشاكرين .

أق وسيجزى الله سبحانه وتعالى الذين صبروا فى هذه الشديده وشكروا الله

تعالى فى السراء والضراء ، فلم يزعجهم البلاء كما لم تبطرهم النعماء ، فصفة الشكر كصفة الصبر كلتاهما تظهر فى السراء والضراء معا ، فالصبر يكون فى النعمة بالقيام بحقها ، وفى الكريهة باحتمالها ، من غير تململ وتضجر.." (١)

"@اا " اتفسيرسورة النساء آخر يعبده " ويؤمن بهفإنه أ الفاعل " المختارا المريد ، ويكونالقصدبيان قدرة " الله تعالى " الشاملة ، وإثبات أن كفر الكافر ليس بعيدا عن تقديره ، وإيمان المؤمن كذلك ، فهو الذى خلق الإنسان صالحا لأن يسلك طريق الشر وطريق الخير ، وأن ذلك بإرادته ، ولو أراد غيره لكان ما أراد لأنه هو الذى يقول للشيءكن فيكون ، وهو الذى خلق الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ويكون ذلك كقوله تعالى : @و إن يشا يذهبكم ويات بخلق جديد - @ص @ أفاطر ، .

وعلى التوجيه الثانى - وهو أن يكون الخطاب للمشركين الكافرين بالرسالة

المحمدية والمسلمين الذين يكونون على طرف الإسلام - يكون المعنى إن استمررتم على الشرك أو كان منكم الكفر بعد الإيمان ، فإن الله تعالى بمقتضى سننه فى الفطرة الإنسانية يفنيكم بإذهاب قوتكم وسيطرة الفساد عليكم ، ويجيء من بعدكم من ينصر الحق ، ويكون النص كقوله تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم @ز@ أمحمد ، وكقوله : @و يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** @في @ أ المائدة : ٥٤ ، وقد ذيل الله سبحانه النص الكريم ببيان قدرته الكاملة على ذلك التغيير ، فقال تعالى :

(وكان الله علىٰ ذلك قديرا@ أى أن الله سبحانه وتعالى قدير على ذلك

التغيير والتبديل الذى تستغربونه وتستبعدونه ، وقد قدم الجار والمجرور وهو قوله (علىٰ ذلك @ لموضع الافتمام وهو التغيير والتبديل ، الذى يستبعدونه لفرط إحساس المشركين بقوتهم ، وغرورهم بدولتهم ، واستضعافهم لشأن المؤمنين الصا دقين.

(من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة@ الثواب ما يعود

على الإنسان من أى عمل يعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ث@م أطلق الثواب فى القرآن على الجزاء ، وذلك فى مقابل العقاب الذى هو جزاء الشر ، والمراد هنا على هذا الأساس نعيم الدنيا ، والنتائج الطيبة لأعمال الدنيا. ومعنى النص السامى من يكون من شأنه وطوية نفسه أن يطلب نعيم الدنيا وما فيها من خير ، فإن الله." (٢)

---

(١) زهرة التفاسير، ص/١٤٣٣

(٢) زهرة التفاسير، ص/١٨٩٢

"أساسه ، ومن امتناعهم عن أن يكون ولاؤهم للمؤمنين وموالاة غيرهم دونهم – ماله الفشل والحبوط ، وأن الله هو العزيز الذى ينصر من ينصره ، ويعز من يعتز به ، ومن يعتز بغيره يذل ويهون ، وبذلك أصبحوا خاسرين ، ولقد قال الزمخشرى : إن الجملة فى معنى التعجب ، أى ما أعجب حبوط أعمالهم وما أعجب أن أصبحوا خاسرين ، وهذا الكلام على أساس أن الجملة محكية عن المؤمنين ، ونميل أنها حكم الله تعالى وهو العلى الحكيم ، اللهم أعزنا بعزة الإسلام ، وامنع عن قلوبنا الولاء لأهل الكفر والطغيان.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)

فى الآيات السابقة نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن أن يتخذوا من اليهود والنصارى نصراء يستنصرون بهم ، ويعطونهم حق الولاية عليهم ، فيجعلون الولاء لهم ، وهم أعداء الإيمان وأعداء المؤمنين ، وإن أظهروا الولاء لدولة الإيمان فهم فى قلوبهم لا يألونهم خبالا ، وإن ذلك موضوعه علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول التى تعاديها ، ولا يدخل فى هذا الذميون الذين يعيشون فى ظل الإسلام والمسلمين إلا إذا مالئوا الأعداء ، فإنهم يكونون قد نقضوا العهد الذى عاهدوا المسلمين عليه.

وفى هذه الآيات ، يومى سبحانه وتعالت كلماته ، إلى أن الذين يوالون

دولة معادية للإسلام وأهله يسيرون فى طريق الردة ، لأنهم تركوا ولاية الله." (١)

"ووسطها – إهمال الاحكام القرآنية ، واستبدال غيرها بها ، وزعم صلاحية غيرها ، وعدم صلاحية الأحكام القرآنية ، ومن ذلك قول الذين يقولون : إن أحكام القرآن خاصة بزمان نزوله دون غيره ، وإن للناس أن يبدلوا فيها ما شاء لهم التبديل.

وأدناها – تقليد غير المسلمين فيما عندهم من شر ، وجعل القرآن وادابه ،

والسنة وما اشتملت عليه أمرا مهجورا.

وإن المرتبة الاولى تبيح قتل معتنقيها ، والاخريان يحبس أصحابهما ، ويمنعوا من الجهر بنحلهم ، وذلك لولى الامر ، هان ذا النورين الإمام عثمان – رضى الله عنه – قال : " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران " (١) وإن لله وعد. وإن وعده لصدق أنه إذا ارتد عن الإسلام من يرتد ، فيكون من بعدهم من

@ز الإسلام بهم ، ويرفعون شأنه ، ولذا قال تعالت كلماته : (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .

هؤلاء هم الذين وعد الله بأنهم سيزيدون عدد المؤمنين ، إذا خرج من صفوفهم المنافقون ، والذين يوالون أعداء الله ، وإن (سوف) هنا لتأكيد وقوع الأمر فى المستقبل ، والتعبير – ب @يا@تي الله بقوم @ فيه إشارة إلى أمرين : أحدهما – أن الله سبحانه الذى خلقكم ، وهو ولى المؤمنين هو الذى يأتى بهؤلاء الأقوام الذين **يحبهم ويحبونه..** ، وثانيهما – أنهم

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٢٢٤٧

يكونون قوما متحدة مشاعرهم وأحاسيسهم ، قد كانت قوميتهم نصرة الله ورسوله بنصرة الدين الحكم ، ولذا عبر عن هؤلاء بأنهم قوم ، أى عنصر قوى متازر وحدته مكونة من الإيمان ، ولا يكونون تابعين لغير دين الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى أولئك الذين يأتى بهم فى المكان الذى أخلاه المرتدون

بأربع صفات هى من نعم الله تعالى عليهم ، أولها – أن الله تعالى يحبهم وهم

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ج ٢ ، ص/٩.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم أيها الناس .)

قال تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ [النساء:١٣٣] وفي معناها قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة:٥٤] وقوله تعالى: ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ [الأنعام:٨٩] وقوله تعالى: ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ﴾ [التحريم:٥].

فالذي لا يتقي الله لن يضر الله شيئا وإنما يضر بالدرجة الأولى والأخيرة نفسه، والله في غنى عن عبادته: ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ [الزمر:٧].

فقوله تعالى: ﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ [النساء:١٣٣] هي كقوله تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد:٣٨].

ثم قال: ﴿ وكان الله على ذلك قديرا ﴾ [النساء:١٣٣].." (٢)

"تسلية الله لرسوله مقابل تكذيب الكفار

وفي قوله تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: إن كفر هؤلاء بالذي نزل عليك يا محمد، فاعلم أن هناك من يشهد لك بصحة ما نزل عليك وهو الله سبحانه وتعالى، وفي هذا فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي الآية تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وجهها: أن هناك من هو خير من الكفار يشهد لك إذا كفر هؤلاء بالكتاب.

وهذه الآية في التسلية كقوله تعالى: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ [الأنعام:٨٩]، وكقوله تعالى في باب التسلية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد:٣٨] مع الفارق.

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٢٢٥٠

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ١٣/٢٠

(والملائكة يشهدون) شهادة الملائكة مقابل تكذيب أهل الكفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فشهادة الله وحدها تكفي: ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ [النساء:١٦٦].

والآية كقوله تعالى: ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ﴾ [التحريم:٤]، وكانت موالاة الله تكفي؛ لكن ضم إليها: ﴿ وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم:٤].

أي: فمع أن شهادة الله عز وجل لوحدها تكفي، لكن إن تظاهرتم عليه فهناك من الملائكة من يتظاهر ضدكم، وفوق ذلك كله رب العالمين سبحانه وتعالى.

قال عز وجل: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) أي: بصدق ما أنزل إليك.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (أعد الله لهم عذابا شديدا .)

قال الله تعالى: ﴿ أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ [المجادلة:١٥]، أي: ساء هذا الفعل وساء هذا الصنيع.

فالآية إذا ذمت كل من يتولى اليهود، ويلحق بهم كل من يتولى الكفار أو النصارى ويناصرهم، ويؤازرهم، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ [المائدة:٥١] أي: يا من آمنتم بي وصدقتم رسلي، وأقررتم بكتبي.

﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ [المائدة:٥١-٥٢]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ [النساء:١٤٤]، أي: أتريدون أن تجعلوا لله سببا يسلط عليكم بسببه العذاب؟ وقال الله سبحانه: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة:٤] الآيات، وقال سبحانه: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ﴾ [آل عمران:١١٨]، أي: لا يقصرون في إغوائكم وإضلالكم: ﴿ ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي: رغبوا في نزول العنت والمشقة بكم، ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران:١١٨-١١٩]، وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٤/٢٣

الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [المائدة:٥٤-٥٥]، هؤلاء هم أولياؤكم، ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [المائدة:٥٦]، والآيات في هذا الباب لا تكاد تحصر، فالله سبحانه وتعالى يقول في شأن المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أو اليهود أولياء: ﴿ أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ [المجادلة:١٥]، أي: ساء صنيعهم من اتخاذهم اليهود أولياء من دون المؤمنين، ساء صنيعهم من موالاتهم اليهود والنصارى.." (١)

"[يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه] خطاب على وجه التحذير والوعيد ، والمعنى : يا معشر المؤمنين من يرجع منكم عن دينه الحق ، ويبدله بدين آخر ، ويرجع عن الايمان الى الكفر ((في الآية إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، وقد ارتد عن الاسلام فرق كثيرة ، منهم من ارتد فى عهد رسول الله (ص) ومنهم في عهد أبي بكر ، وقد ارتد بنو حنيفة قوم " مسيلمة الكذاب " وكتب مسيلمة إلى رسول الله (ص) من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فان الارض نصفها لي ونصفها لك فأجابه عليه السلام : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد : فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين))

[فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه] أى فسوف يأتي الله مكانهم بأناس مؤمنين يحبهم الله ويحبون الله

[أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين] أى رحماء متواضعين للمؤمنين ، أشداء متعززين على الكافرين ، قال ابن كثير : وهذه صفات المؤمنين الكمل ، ان يكون أحدهم متواضعا لاخيه متعززا على عدوه كقوله تعالى : [أشداء على الكفار رحماء بينهم] ومن علامة حب الله تعالى للمؤمن ان يكون لين الجانب ، متواضعا لإخوانه المؤمنين ، متسربلا بالعزة حيال الكافرين والمناققين

[يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم] أى يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، ولا يبالون بمن لامهم ، فهم صلاب قي دين الله لا يخافون في ذات الله أحدا

[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء] أى من اتصف بهذه الاوصاف الحميدة فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له

[والله واسع عليم] أى واسع الافضال والاحسان ، عليم بمن يستحق ذلك . . ثم لما نهاهم تعالى عن موالاة الكفرة ذكر هنا من هم حقيقون بالموالاة فقال

[إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا] أى ليس اليهود والنصارى بأوليائكم ، إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون

[الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] أى المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف الجليلة : من اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وهم خاشعون متواضعون لله عز وجل ، قال في التسهيل : ذكر تعالى (الولى) بلفظ المفرد [وليكم] إفرادا لله تعالى بهما ، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول ، والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال " إنما أولياؤكم " لم يكن في الكلام أصل وتبع

[ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون] أى من يتول الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه من حزب الله ،

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٧/٥٦

وهم الغالبون القاهرون لاعدائهم
[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا] أى لا تتخذوا أعداء الدين الذين يسخرون من دينكم ويهزءون
[من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء] أى من هؤلاء المستهزئين " اليهود والنصارى " وسائر الكفرة ، أولياء لكم تودونهم وتحبونهم وهم أعداء لكم ، فمن إتخذ دينكم سخرية ، لا يصح لكم ان تصادقوه أو توالوه ، بل يجب ان تبغضوه وتعادوه
[واتقوا الله ان كنتم مؤمنين] أى اتقوا الله في موالاة الكفار والفجار ، ان كنتم مؤمنين حقا . . ثم بين تعالى جانبا من استهزائهم فقال
." (١)

"" صفحة رقم ٧١ "

ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير أو لا يغلبه شيء ، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من إيصال الرحمة ، والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه ، وربما يفرق بينهما بأن المكلف يأمن العقوبة في صفة الحليم دون صفة الصبور .
وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها : القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع إلى القدرة ومنها ما يرجع إلى العلم) ولا يحيطون بشيء من علمه) [البقرة : ٢٥٥] (عالم الغيب والشهادة) [التغابن : ١٨] (وهو بكل شيء عليم) [البقرة : ٢٩] (علام الغيوب) [المائدة : ١٠٩] (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام : ١٢٤] (علم الله أنكم كنتم تختانون) [البقرة : ١٨٧] (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) [النحل : ١٩] (وعلم آدم الأسماء) [البقرة : ٣١] ولم يرد علامة وإن كان يفيد المبالغة لأن ذلك بتأويل أمة أو جماعة .
والخبير يقرب من العليم وكذا الشهيد إذا فسر بكونه مشاهدا لها ، وإذ أخذ من الشهادة كان من وصف الكلام .
والحكمة تشارك العلم من حيث إنه إدراك حقائق الأشياء كما هي وتباينه بأنها أيضا صدور الأشياء عنه كما ينبغي واللطيف قد يراد به إيصال المنافع إلى الغير بطرق خفية عجيبة ، والتحقيق أنه الذي ينفذ تصرفه في جميع الأشياء .
ومنها ما يرجع إلى الكلام) وكلم الله موسى تكليما) [النساء : ١٦٤] (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) [الشورى : ٥١] (وإذ قال ربك) [البقرة : ٣٠] (ما يبدل القول لدي) [ق : ٣٠] (ومن أصدق من الله قيلا) [النساء : ١٢٢] (إنما أمره) [يس : ٨١] (إن الله يأمركم) [النساء : ٥٨] (وعد الله حقا) [النساء : ١٢٢] (فأوحى إلى عبده ما أوحى) [النجم : ٩] (وكان الله شاكرا عليما) [النساء : ١٤٧] (كان سعيكم مشكورا) [الدهر : ٢٢] وذلك أنه أثنى على عبده بمثل قوله) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) [

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ٢٢٨/١

الذاريات : ١٨ ، ١٩] وهذا صورة الشكر .

ومنها ما يرجع إلى الإرادات) يريد الله بكم اليسر) [البقرة : ١٨٥] رضي الله عنهم أي صار مريدا لأفعالهم) **يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] (والله يحب المطهرين) [التوبة : ١٠٨] يريد إيصال الخير إليهم) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) [الإسراء : ٣٨] .

الأشعرية : الكراهية عبارة عن إرادة عدم الفعل .

المعتزلة : له صفة أخرى غير الإرادة .

ومنها ما يرجع إلى السمع والبصر) إنني معكما أسمع وأرى) [طه : ٤٦] (إنه هو السميع البصير) [الإسراء : ١] (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [الأنعام : ١٠٣] وأما الصفات الإضافية مع السلبية فكالأول لأنه مركب من معنيين : أحدهما أنه سابق على غيره ، والثاني لا يسبق عليه غيرهن وكالآخر فإنه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعد غيرهن ، وكالقيوم فإنه." (١)

"" صفحة رقم ٢٦٨ "

الشجرة (أي أبحت لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لأنك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فأعطني هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها لي وأنا خلقتها ، فإن طمعت فيها أيضا فاعلم أن الإنسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم حرصه (هل من مزيد) ولا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه أي سابقة رحمته وعنايته (سبقت رحمتي غضبي) .

ثم إنه أبيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها) فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين (وقيل لهما اقتنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على أنفسكما ، ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على رأسكما ، ولا تقربا شجرة المحبة وقد غرست لأجله في الحقيقة) **يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] .

ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال .

وأيضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة أنواع المرادات النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فإن الإنسان حريص على ما منع وأيضا إنه تعالى وسع اسباب الانبساط أولا ثم ضيق عليه الأمر آخرا .

وأدنيتني حتى إذا ما فتنتني

بقول يحل العصم سهل الأباطح .

تجافيت عني حين لالي حيلة

وغادرت ما غادرت بين الجوانح .

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه ، وأنبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٧١/١

أيضا كما مر ثم عاتبه بقوله) فتكونا من الظالمين (وهذا كما أسكر موسى بأقداح الكلام وأذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق إلى جماله وطمع في وصاله وقال) ربي أرني) [الأعراف : ١٤٣] عاتبه بسطوة) لن تراني) [الأعراف : ١٤٣] وذلك أن البلاء والولاء توأمان والمحبة والمحنة رضيعا لبان ، والمطلوب كلما كان أرفع كان أعز وأمنع والجمال لا بد له من الدلال ، وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المختال .

) فلما ذاقا (شجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لأهل الغرام ودار السلام ؟ وأين الفارغ السالي من المحب الغالي ؟

فبتنا على رغم الحسود وبيننا

حديث كطيب المسك شيب به الخمر .

فلما أضاء الصبح فرق بيننا

وأي نعيم لا يكدره الدهر ؟ .." (١)

"" صفحة رقم ٣٤٣ "

فخامة لشأن صاحبه حيث جعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه .

وأكثر الأمة على أن القرآن إنما نزل على محمد لا على قلبه ، لكن خص القلب بالذكر لأن السبب في تمكنه (صلى الله عليه وسلم) من الأداء ثباته في قلبه ، فمعنى على قلبك حفظه إياك وفهمه .

وقيل : أي جعل قلبك متصفا بأخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة (كان خلقه (صلى الله عليه وسلم) القرآن) وكان حق الكلام أن يقال على قلبي إلا أنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل : قل ما تكلمت به من قولي) من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك (ومعنى) مصدقا لما بين يديه (موافقا لما قبله نم كتب الأنبياء فيما يرجع إلى المبادئ والغايات دون الأوساط التي يتطرق إليها الاختلاف بتبدل الأزمان والأوقات .

ومعنى قوله) وهدى وبشرى (أن القرآن يشتمل على أمرين .

أحدهما بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأفعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى ، وثانيهما بيان أن الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى ، والأول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر أيضا .

ولا ريب أن البشرى تختص بالمؤمنين ، وأما الهدى فلأنهم هم المنتفعون به كما مر في) هدى للمتقين (.

ولما بين في الآية المتقدمة أن من كان عدوا لجبريل لأجل أنه نزل القرآن على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم) وجب أن يكون عدوا لله تعالى ، بين في الآية التالية أن من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فإن الله يعاديهم وينتقم منهم .

والعداوة بالحقيقة لا تصح إلا فينا لأن العدو للغير هو الذي يريد إنزال المضار به ، وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي .

فمعنى قوله) من كان عدوا لله (أي لأولياء الله كقوله) إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) [المائدة : ٣٣] (إن الذين يؤذون الله ورسوله) [الأحزاب : ٥٧] .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢٦٨/١

أو يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه ، لأن العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لأمره .
قال أهل التحقيق : عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره إليهم في الأزل بالقهر (هؤلاء في النار ولا أبالي) كما أن محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله إياهم) **يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] وذلك أن صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة ، والأولى علة الثانية .
وأفرد الملكان بالذكر دلالة على فضلها كأنهما من جنس آخر ، فإن التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات ، ولأن الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن أن ينص على اسميهما .
وتقديم جبريل في الذكر يدل على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا أن جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الأرواح ، وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الأبدان .
والواو في جبريل وميكائيل بمعنى (أو) لأن عداوة أحد هؤلاء توجب عداوة الله كما أن عداوة كلهم توجب ذلك ، ويحتمل أن يكون الواو على الأصل ويعرف ما ذكرنا." (١)
"" صفحة رقم ٤٦١ "
التفسير : أنه سبحانه وتعالى لما قرر للتوحيد الدلائل الباهرة عقبها تقبيح ما يضاده (فبضدها تتبين الأشياء) والند المثل المناد كما سلف .
والمراد بالأنداد ههنا هي الأصنام التي اعتقد المشركون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، ونذروا لها النذور وقربوا لأجلها القرابين ، وقيل : يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما أحل .
عن السدى : واستدل على تفسيره بأن قوله) يحبونهم (فيه ضمير العقلاء ولأنه من المستبعد أن تكون محبتهم لها كمحبتهم لله تعالى مع علمهم بأنها لا تضر ولا تنفع ولقوله) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا (وذلك لا يليق إلا بمن اتخذ العقلاء أندادا وأمثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى .
ويمكن تزييف الحجج بأن ضمير العقلاء جاز عوده إلى الأصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق .
قال تعالى) وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) [فاطر : ١٤] .
وأيضا علمهم بأنها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا بذلك ما أشركوا وأيضا التبري لا يمتنع من الأصنام بدليل قوله تعالى) ويوم القيامة يكفرون بشرككم) [فاطر : ١٤] وقال أهل العرفان : كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) [الجاثية : ٢٣] (يحبونهم (يحبون عبادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم ، أو يعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من إضافة المصدر إلى المفعول أي كما يحب الله على أنه مصدر من المبني المفعول .
وإنما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لأنه غير ملتبس .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٣٤٣/١

وقيل : كالحب اللازم عليهم لله وقيل : كحبهم الله أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على أنهم كانوا مقرين بالله) فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) [العنكبوت : ٦٥] (والذين آمنوا أشد حبا لله (لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره في السراء ولا في الضراء ، ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره ، أو يأكلونه كما أكلت باهلة آلهتها من حيس وهو الأقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر :

أكلت حنيفة ربها

زمن التجعم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم

سوء العواقب والتباعة

واعلم أن إطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن والحديث كما في هذه الآية وكقوله) **يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] ويروى أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت .

وقد جاء لقبض روحه - هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ فأوحى الله إليه : هل رأيت." (١)

"" صفحة رقم ٢٠ "

الإجبار ، فإن الدين هو الاستسلام لأوامر الشرع ظاهرا أو التسليم لأحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن .

ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله) فمن يكفر بالطاغوت (يتبرأ منه ؛ فطاغوت العوام الأصنام ، وطاغوت الخواص هو النفس ، وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله .

وإيمان العوام إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، وإيمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى .

وشهود القلب مع المولى .

وإيمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله ، وإنابة القلب إلى الفناء في الله ، وإخلاء السر للبقاء بالله ، وهذا هو السكر الموجب للشكر ، ولهذا قال موسى بعد إفاقته عن سكر سطوات شراب التجلي) تبت إليك) [الأحقاف : ١٥] أي عن هذه الإفاقة ، فكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالإيمان العياني وشريكا مع القوم بالإيمان البياني كما البياني كما قيل :

لي سكرتان وللندمان واحدة

شيء خصصت به من بينهم وحدي

ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله) كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص : ٨٨] ولا تكون أيضا من بطشك وإلا كانت منفصمة ، بل تكون من بطشه) إن بطش ربك لشديد) [

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٦١/١

البروج : ١٢] ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامة في الإيمان ؛ فهي للعوام توفيق الطاعة ، وللخواص مزيد العناية بالمحبة) يحبهم ويحبونه) [القصص : ٨٨] ولا تكون أيضا من بطشك ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) : (جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين) وأعمالهما فانية من عالم الحدوث ، وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام ، فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين .

ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية ، والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية إلى نور الروحانية والربانية ، وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء إلى نور الشهود والبقاء .

) والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت (: ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان ، والأولياء بلفظ الجمع ، ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أي هم أولياء الطاغوت كقوله) أندادا يحبونهم كحب الله) [البقرة : ١٦٥] ؛ فإن الطاغوت لو فسر بالأصنام فهي بمعزل عن الولاية وإن فسر بالشيطان أو النفس ؛ فهم الأعداء لا الأولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة إلى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية." (١)

"" صفحة رقم ٧١ "

الزيادات كما قال : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) و) ذروا ما بقي من الربا (تركوا ما سوى الله في طلبه) إن كنتم مؤمنين (إيمانا حقيقيا) فإن لم تفعلوا (لم تتركوا كل زيادة تمنعكم) فأذنوا بحرب من الله ورسوله (ببعد منها وبغض

.

) وإن تبتم (تركتم غيره) فلم رؤس أموالكم (وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه) لا تظلمون (بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات) ولا تظلمون (بوضع محبتكم في غير موضعها) وإن كان ذو عسرة (لم يصل إليه ما أعد لأجله عاجلا) فنظرة إلى ميسرة (وهو وقت وصوله إليه آجلا) وأن تصدقوا (بتذلوا فينا ما تتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم) فهو خير لكم (لأنا نجازيكم على قدر مواهبنا) إن كنتم تعلمون (قدرها) ومن يتوكل على الله فهو حسبه ((من شغلة ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) ثم إنه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة أي القرآن فقال : (واتقوا يوما (الآية .

وذلك أن فائدة جميع الكتب راجعة إلى معنيين : النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة : الكفر والشرك والجهل والمعاصي والأخلاق المذمومة وحجب الأوصاف وحجاب النفس .

والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية : المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والأخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن أنانيته والبقاء بهويته ، فقوله) واتقوا (شامل لما يتعلق بالسعي الإنساني من هذه المعاني ، لأن حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك إليه ، فتقى العام الخروج بسبب الإقامة بشرائط) جاهدوا فينا) [العنكبوت : ٦٩] عن الكفر

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢/٢٠

بالمعرفة ، وعن الشرك بالتوحيد ، وعن الجهل بالعلم ، وعن المعاصي بالطاعات ، وعن الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة ، ثم من ههنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات) لنهدينهم سبلنا) [العنكبوت : ٦٩] من حجب أوصافهم إلى درجة تجلى صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى) عندها جنة المأوى) [النجم : ١٥] فينتفعون بمواهب) إذ يغشى السدرة ما يغشى) [النجم : ١٦] ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات) ما زاغ البصر وما طغى) [النجم : ١٧] من سدرة المنتهى الأوصاف إلى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبدية أنوار القدس ، وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه إلى الله .

لأن مبدأ وجودك النفخة ، وآخر حالك الجذبة ، وبها." (١)

"" صفحة رقم ١٤٦ "

يتغير بتغير الإحسان وهو لمتابعي الأعمال الذين يطمعون في الأجر على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب :

وما أنا بالباغي على الحب رشوة

ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

والثانية محبة الخواص المتبعين للأخلاق الذين يحبونه إعظاما وإجلالا له ، ولأنه أهل لذلك كما قالت رابعة :

أحبك حبين حب الهوى

وحب لأنك أهل لذاكا

ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة إلى إيثار الحق على غيره ، وهذا الحب يبقى على الأبد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال :

سأعبد الله لا أرجو مثوبته

لكن تعبد إعظام وإجلال

والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للأحوال وهي الناشئة من الجذبة الإلهية في مكان من (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف) وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية ،

غذينا بالمحبة يوم قالت

له الدنيا أتينا طائعينا

وحقيقة هذه المحبة أن يفنى المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما أن النار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو .

وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقي ولا تذر .

وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة وغيرها فإنها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين ، حتى الوجود فإنه وإن عم الخالق والمخلوق إلا أن وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٧١/٢

ذاته واجب به ، فليس في الكون إلا الله وأفعاله .

قرأ القارى بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير رحمه الله قوله : (**يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] فقال : بحق يحبهم لأنه لا يحب إلا نفسه فليس في الوجود إلا هو ، وما سواه فهو من صنعه .

والصانع إذا مدح صنعه فقد مدح نفسه .

والغرض أن محبة الله للخلق عائدة إليه حقيقة إلا أنه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها ، مع أنها صدرت عن محل واحد هو محل (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف) فما تعلقت إلا بأهل المعرفة وذلك قوله : (فخلقت الخلق لأعرف) لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الأعمال فقيل لهم) فاتبعوني (بالأعمال الصالحة) يحببكم الله (يخصلكم بالرحمة) ويغفر لكم (ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف." (١)

"" صفحة رقم ٤٠١ "

نزاهة قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما أحب نزاهة فراشه فقال : (ومن لم يستطع (أي من لم يقدر أن يسخر عجوز الدنيا الصالحة بأسرها ويجعلها منكوحة له ويحصناه بتصرف شرائع الإسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما ، فليتصرف في القدر الذي ملكت يمين قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه لأنها مأمورة بخدمته وهي مؤمنة له بالخدمة كما قال (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن الله تعالى : (يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك)) محصنات (بالصدق والإخلاق) غير مسافحات (بالتبذير والإسراف) ولا متخذات أخدان (من النفس والهوى) فإذا أحصن (بالإخلاص في العطاء والمنع والأخذ والدفع) فإن أتين بفاحشة (هي غلبات شهواتها على القلب فليبذل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا في الله جناية وغرامة فهو حدها كما أن حد عجوز الدنيا إذا أحصنها ذوو الطول من الرجال فأتت بفاحشة إهلاكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلاة وأتت بفاحشة حب الخيل فطف مسبحا بالسوق والأعناق) ذلك (التصرف في قدر من الدنيا) لمن خشي (ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الأوامر والنواهي) وأن تصبروا (عن التصرف في الدنيا بالكلية) خير لكم (كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (يا طالب الدنيا لتبر فتركها خير وأبر)) يريد الله أن يخفف عنكم (فلكم المعونة ولغيركم المؤنة .

قال إبراهيم : (إني ذاهب لى ربي) [الصافات : ٩٩] وأخبر عن حال موسى بقوله : (ولما جاء موسى لميقاتنا) [الأعراف : ١٤٣] وعن حال نبينا بقوله : (سبحان الذي أسرى بعبده) [الإسراء : ١] وعن حال هذه الأمة بقوله : (سنريهم آياتنا) [فصلت : ٥٣] والمعونة هي الجذبة التي توازي عمل الثقلين ، فلا جرم كان لغير نبينا الوصول إلى السموات فقط ، وكان لنبينا الوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى ، ولأمته التقرب : (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) والفرق بين النبي والولي ، أن النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير إلا في متابعة النبي وتسليكه) وخلق الإنسان ضعيفا (ولهذا أعين بالخدمة حتى يتصل بقوة ذلك إلى مقام لا يصل إلأيه الثقلان بسعيهم إلى الأبد ، وضعفه

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١٤٦/٢

بالنسبة إلى جلال الله وكماله وإلا فهو أقوى في حمل الأمانة من سائر المخلوقات ، وايضا من ضعفه أنه لا يصبر عن الله لحظة فإنه يحبهم ويحبونه

الصبر يحمد في المواطن كلها

إلا عليك فإنه لا يحمد

وكان أبو الحسن الخرقاني يقول : لو لم ألق نفسا لم أبق .

وغير الإنسان يصبر عن الله." (١)

"" صفحة رقم ٥٩٩ "

من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون "

(القراآت)

تبغون (بتاء الخطاب : ابن عامر والخراز عن هبيرة .

الباقون بالياء .

) ويقول (بالواو وبالرفع : عاصم وحمزة وعلي وخلف ، وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب .

عياش : مخير .

الباقون) يقول (بدون واو العطف .

) من يرتد (بالإظهار : أبو جعفر ونافع وابن عامر .

الباقون بالإدغام .

) والكفار (بالجر : أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلي .

الباقون بالنصب عطفا على محل) الذين اتخذوا (وقرأ أبو عمرو وعلي غير ليث وأبي حمدون وحمدوية وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالإمالة .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢/٤٠١

الوقوف : (بالحق (ط) ومنهاجا (ط) الخيرات (ط) تختلفون (هـ لا لعطف) وأن احكم (على ما قبله .
ومن وقف فلأنه رأس آية) أنزل الله إليك (ط) ذنوبهم (ط) الفاسقون (هـ) يبغون (ط) يوقنون (هـ) أولياء (هـ ليلزم النهي عن اتخاذ الأولياء مطلقا) أولياء بعض (ط) منهم (ط) الظالمين (هـ) دائرة (ط لتمام المقول .
) نادمين (هـ لا لمن قرأ) ويقول (بالنصب عطفا على) أن يأتي ( ) جهد أيمانهم (لا لأن قوله : (إنهم (جواب القسم
) لمعكم (ط) خاسرين (هـ) ويحبونه (لا لأن ما بعده صفة قوم) الكافرين (هـ لشبه الآية .
) لائم (ط) من يشاء (ط) عليم (هـ) راكعون (هـ) الغالبون (هـ) أولياء (ج للعطف ولطول الكلام .
) مؤمنين ( ) ولعبا (ط) لا يعقلون (هـ .." (١)

"" صفحة رقم ٦٠٣ "

من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص ، أو يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم : (وإن قوتلتم لننصرنكم) [الحشر : ١١] وقوله : (جهد أيمانهم (أي بإغلاظ الأيمان نصب على الحال أي يجتهدون جه أيمانهم أو على المصدر من غير لفظه .
) حبطت أعمالهم (من قول الله تعالى أو من جملة قول المؤمنين أ] بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء .
وفيه معنى التعجب أي ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى) من يرتد منكم عن دينه (أي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم أن الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه
.

وقال الحسن : علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فأخبرهم أنه سبحانه سيأتي) بقوم **يحبهم ويحبونه** (فتكون الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا. روي في الكشاف أن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة ، ثلاث في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي ، بيته فقتله وأخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول. وبنو حنيفة قوم مسليمة تنبأ وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك .
فأجاب (صلى الله عليه وسلم) : من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى مسيلمة الكذاب .
أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .
فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥٩٩/٢

أراد في جاهليتي وإسلامي .
وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسلو الله (صلى الله عليه وسلم) خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه .
وسبع في عهد أبي بكر : فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري ، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل ، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة ، وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي وزجت نفسها مسيلمة الكذاب ، وكندة قوم الأشعث بن قيس ، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم أبو بكر وكفى الله أمرهم على يديه .
وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد أن كان أسلم على يد عمر فرأى رجلا جارا رداءه فلطمه فتظلم الرجل إلى عمر فقضى بالقصاص عليه .
فقال : أنا أشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء إلى أن بلغ عشرة لآلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظره فانظره عمر فهرب إلى." (١)
"" صفحة رقم ٦٠٨ "
والجهل .
قال بعض الحكماء : أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام (التأويل)) وأنزلنا إليك الكتاب بالحق (أي بالحقيقة لأنه أنزل على قلبه وأنزل سائر الكتب في ألألواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن .
وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب وأسرارها بخلاف ما أنزل في الألواح فإن الألواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها) لكل جعلنا منكم (معاشر الأنبياء) شرعة (يشرع فيها بالبيان) ومنهاجا (يسلك فيه بالعيان) ولكن ليبلوكم (أيها الأمم) فيما آتاكم (من البيات والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان ، فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ، ويستفيد العاملون بالبرهان ، ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ، ويسلك المشتاقون بنفي المنى ، ويجذب العارفون بترك الورى ، ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى) فاستبقوا الخيرات (من هذه المقامات) إلى الله مرجعكم جميعا (اختيارا بقدم الصدق أو اضطرارا بحلول الأجل) فإن تولوا (عن قبول الحق) فاعلم (بمطالعة القضاء) أنما يريد الله (في حكم القدر) أن يصيبهم (مصيبة الإعراض) ببعض ذنوبهم (وهو الاعتراض ، فإن الحق سبحانه يلزم بشرط التكاليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف .
فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجدوا العبرة بالإيجاد لا بالإيجاب) لفاسقون (لخارجون عن جذبات العناية) أفحكم الجاهلية يبغون (أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت براهين اليقين وانهتكت أستار الريب واستنار القلب بأنوار الغيب) يسارعون فيهم (لأن شبيه الشيء منجذب إليه) أن يأتي بالفتح (

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٦٠٣/٢

فتح عيون القلوب) أو أمر من عنده (وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين) ويقول الذين آمنوا (بأنوا الغيوب في أتسار القلوب) فأصبحوا خاسرين (بإبطال الاستعداد الفطري .

) بقوم يحبهم ويحبونه (هم أرباب السلوك أفناهم عنهم بسطوات يحبهم ثم أباقهم به عند هبوب نفحات يحبونه ، فإن محبة الله للعبد إفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ، ومحبة العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة الناسوتية .

والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية ، فلعله فهم غير ما فهمنا .

ثم قال إنه تعالى يحب العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة المخصوصة بالغاية ، والعبد يحب الله بذات تلك الصفة أبدا) أذلة على المؤمنين (لارتفاع الأنانية) أعزه على الكافرين (ببقاء اللاهوتية وإثبات الوحدانية) يجاهدون في سبيل الله (في طلب الحق في البداية ببذل الوجود) ولا يخافون لومة لائم (عند غلبات الوجد في." (١)

"" صفحة رقم ٢١٩ "

كقوله : (يحبهم ويحبونه) [المائدة : ٥٤] فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لأجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لأجل هذه الشجرة ، وإن منعه منها كان تحريضا له على تناولها فإن الإنسان حريص على ما منع .

ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده) إلا أن تكونا ملكين (أي من أهل السلو كملكين في زوايا الجنة) أو تكونا من الخالدين (في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما إبليس في كأس القسم شراب ذكر الحبيب) وقاسمهما (فلما غرقا في لجة المحنة وذاقا شجرة المحبة) بدت لهما سوآتهما (أي سوآت نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الأحبة في البداية) وطفقا (لاشتعال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما ، فلما التهبت احترقت بلظى نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين بالفرقة .

فبينما نحن في لهو وفي طرب

بدا سحاب فراق صوبه هطل

وإن من كنت مشغوفا بطلعته

مضى وأقفر منه الرسم والطلل

فالصبر مرتحل والوجد متصل

والدمع منهمل والقلب مشتعل

) وناداهما ربهما (نداء العزة والكبرياء) ألم أنهكما عن تلكما الشجرة (فإنها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب) إن الشيطان لكما عدو مبين (ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين :

واخجلتا من وقوفي باب دارهم

لو قيل لي مغبضا من أنت يا رجل

فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية ولوث العجب والأنانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لديه وعلما أن لا منجا ولا

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٦٠٨/٢

ملجأ منه إلا إليه فقالا) ربنا ظلمنا أنفسنا (بأن أوقعناها في شبكة المحبة لا المحبة تبقينا بالوصال ولا المحنة تفنينا بالزوال) وإن لم تغفر لنا (بنوال الوصال) وترحمنا (بتجلي الجمال) لنكونن من الخاسرين (الذي خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى .

فأمرا بالصبر على الهجر وقيل : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو (النفس عدو القلب والروح ، والقلب عدو لما سوى الله) ولكم (للنفس والقلب والرفع في أرض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول إلى الحقيقة إلى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب ، ارجعي من الهبوط وارفعي بعد السقوط .

إن الأمور إذا انسدت مسالكها

فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة

إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا." (١)

"" صفحة رقم ٤٦ "

أوعدهم بقوله) لا يجرمنكم شقاقي (لا يكسبنكم خلافي) إن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح (من الغرق) أو قوم هود (من الريح العقيم) أو قوم صالح (من الصيحة) وما قوم لوط منكم ببعيد (لم يقل (ببعيدة) حملا على لفظ القوم لأنه مؤنث ، ولا (ببعيدين) حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف أي وما إهلاكهم ببعيد لأنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدهم. أو المراد وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد. وجوزوا أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما.) إن ربي رحيم ودود (يجوز أن يكون بمعنى (فاعل) أو (مفعول) كقوله : (يحبهم ويحبونه) [المائدة : ٥٤] وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة ، وتنبيه على أن سبق الكفر والمعصية لا ينبغي أن يمنعهم عن الإيمان والطاعة. ولما بالغ خطيب الأنبياء في التقرير والبيان) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول (إما لقلة الرغبة أو قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه : ما أدري ما تقول. كأنهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه. وقيل : لأنه كان ألثغ) وإنا لنراك فينا ضعيفا (عن الحسن : مهينا أي لا عزة لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها. وفسر بعضهم الضعيف بالأعمى لأن العمي سبب الضعف ، أو لأنه لغة حمير. وزيف هذا القول أما عند من لا يجوزه – كبعض المعتزلة – فلأن الأعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وأنه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا ، فلأن يمنع من النبوة كان أولى. ثم ذكروا أنهم إنما لم يريدوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لأجل رهطه – والرهط من الصلاة إلى العشرة وقيل إلى السبعة – والرجم شر القتل وهو الرمي بالحجارة ، أو المراد الطرد والإبعاد ومنه الشيطان الرجيم. ثم أكدوا المذكور بقولهم) وما أنت علينا بعزيز (وإنما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لأنهم من أهل ديننا ، فالكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم) أرهطي أعز عليكم من الله (ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب ، وإنما لم يقل أعز عليكم مني

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢١٩/٣

إيذانا بأن التهاون بنبي الله كالتهاون بالله كقوله : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [النساء : ٨٠] (واتخذتموه (أي أمر الله أو جئت به) وراءكم ظهريا (منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب أي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت إليه. ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد في حقهم قال : (إن ربي بما تعملون محيط (. ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله : (اعملوا على مكانتكم (وقد مر تفسير مثله في (الأنعام) قال في." (١)

"" صفحة رقم ٧٤ "

دلوه (جذبه من جذبات الرحمن) قال يا بشرى (فيه إشارة إلى أن للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما أن للقلب بشارة في خلاصة من جب الطبيعة كما قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) [المائدة : ٥٤] (والله عليم (بحكمة البشارتين و) بما يعملون (من شرائه) بثمن بخس (هو الحظوظ الفانية في أيام معدودة) وكانوا فيه من الزاهدين (لأنهم ما عرفوا قدره وإنما ميلهم إلى استجلاب المنافع الردية العاجلة والله أعلم. (يوسف : (٢١ - ٣٥) وقال الذي اشتراه . . . .

" وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين "

(القراآت)

هيت لك (بضم التاء وفتح الهاء : ابن كثير) هيت (بكسر الهاء وفتح التاء : أبو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن بالهمز ، الحلواني عن هشام مثل هذا لكن بضم التاء ، النجاري عن هشام. والباقون) هيت لك (بفتحتين." (٢)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤/٤٦

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤/٧٤

"" صفحة رقم ٤١٨ "

ثم قال : إنما يلسط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء. وروي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينه وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم فمشوا على الماء. وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الأولياء ومن أرادها فليطالعها. وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله) يحبهم ويحبونه) [المائدة : ٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجه إلى حيث يفعل كل ما أمره الله. فأي بعد في أن يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد. وأيضا لو امتنع إظهار الكرامة فذلك إما لأجل أن الله تعالى ليس أهلا له فذلك قدح في قدرته ، وإما لأن المؤمن ليس أهلا له وهو بعيد لأن معرفة الله والتوفيق على طاعته أشرف العطايا وأجزلها ، وإذا لم يبخل الفياض بالأشراف فلأن لا يبخل بالأدون أولى ومن هنا قالت الحكماء : إن النفس إذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم السفلي كما تنصرف في جسده. قلت : وذلك أن النفس نور ولا يزال يتزايد نوريته وإشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الأنوار الإلهية عليه حتى ينبسط ويقوى على إنارة غيره والتصرف فيه ، والوصول إلى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية. حجة المنكرين للكرامات أن ظهور الخوارق دليل على النبوة ، فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة. وأجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بأن المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة لا يقطع بها ، بدعوى الولاية. وأيضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها. والولي إذا ادعى الكرامة. جميع هذا عند من وأيضا أنه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة. جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية ، وأما من لا يجوز ذلك من حيث إن النبي مأمور بالإظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن إظهاره يوجب طلب الإشهار والفخر المنهي عنهما ، فإنه يفرق بينهما بأن المعجز مسبوق بدعوى النبوة ، والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوى قالوا : قال (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن الله سبحانه : (لن يتقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم) لكن المتقرب إلى الله بأداء الفرائض لا يحصل له شيء من الكرامات ، فالمتقرب إليه بأداء النوافل أولى بأن لا يحصل له ذلك. وأجيب بأن الكلام في المتقرب إليه بأداء الفرائض والنوافل جميعا. قالوا : قال تعالى : (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه." (١)

"" صفحة رقم ٣٤٥ "

مواشينا من الأوصاف والأخلاق من أفضله مواشيهم في حوض القوى وأبونار وهو شعيب الروح لا يقدر على سقيه من الأوصاف الإنسانية إلا بالأجر والوسائط ، وإنا لا نطيق أن نسقي لضعف حالنا ، فسقي موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لأنه متوسط بين العالمين ولهذا سمي قلبا) ثم تولى إلى الظل (إلى العناية فطلب الفيض الإلهي بلا وساطة وهكذا ينبغي أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف أبدا.) فجاءته إحداهما (فيه أن القلب يحتاج في الوصول إلى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفي أو السر.) لا تخف نجوث (فيه أن القلب

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤/٤١٨

إذا وصل إلى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها) إن خير من استأجرت (من النفس والجسد) القوي الأمين (لأن القلب استقاد القوة من الجسد والأمانة من الروح) ثماني حجج (فيه أن الروح في تبليغ القلب غلى مقام الخفي يحتاج إلتسييره في مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به في خلافة الحق وهي : الحياة والإرادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء. وتمام ذلك غلى العشرة راجع إلى خصوصيته وهما المحبة والأنس مع الله) أيما الأجلين قضيت (في التخلق بأخلاقك اليمانية وفي المحبة والأنس مع الله) فلا عدوان علي (اي ليس لك أن تمنعني العبور عن المحبة والأنس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (ولهذا كل إنسان من المؤمن والكافر فإنه مجبول على تلك الأوصاف وليس من زمرة) **يحبهم ويحبونه**) [المائدة : ٥٤] إلا مؤمن موحد. فلما اتصف مسى القلب بالأوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها إلى حضرة القدس) آنس (من طور الحضرة نار الإلوهية. وفي قوله) لأهله امكثوا (إشارة إلى أن السالك لا بد له من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين. نو يبدو وإذا بدا استمكن شمس طلعت ومن رآها آمن. وفي قوله) لعلكم تصطلون (غشارة إلى أن الأوصاف الإنسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن إلا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الإلهية من شاطئ الواد الأيمن وهو السر في بقعة البدن من شجرة وجود الإنسان) من الرهب (أي رهبة من فوات وصال الحضرة) وأخي هرون (هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق) قالوا ماهذا إلا سحر مفترى (لأن النفس خلقت من اسفل عالم الملكوت ومنكسة ، والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها إلى الحضرة فلهذا) ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم : ١١] وما صدقت النفس ما رأت) في آبائنا الأولين (اي في طبائع الكواكب فإنها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة إلعالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد.) فأوقد لي يا هامان (الشيطان) على الطين (البشرية." (١)

" ٥٦ - ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ ثم وعد سبحانه من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر ووضع حزب الله موضع ضمير الموالين لله ولرسوله وللمؤمنين والحزب : الصنف من الناس من قولهم حزبه كذا : أي نابه فكأن المتحزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة التي تنوب وحزب الرجل : أصحابه والحزب : الورد وفي الحديث : [فمن فاته حزبه من الليل] وتحزبوا : اجتمعوا والأحزاب : الطوائف وقد وقع ولله الحمد ما وعد الله به أولياءه وأولياء رسله وأولياء عباده المؤمنين من الغلب لعدوهم فإنهم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية حتى صاروا لعنهم الله أذل الطوائف الكفرية وأقلهم شوكة وما زالوا تحت كلكل المؤمنين يطحنونهم كيف شاءوا ويمتهنونهم كما يريدون من بعد البعثة الشريفة المحمدية إلى هذه الغاية

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : [لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه و سلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من خلفهم وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي كان لهم من عبد الله بن أبي بن سلول

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٣٤٥

فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال : أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾] وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أسلم عبد الله بن أبي بن سلول ثم قال : إن بيني وبين قريظة والنضير حلفا وإني أخاف الدوائر فارتد كافرا وقال عبادة بن الصامت : أتبرأ إلى الله من حلف قريظة والنضير وأتولى الله ورسوله فنزلت وأخرج ابن مردويه أيضا من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده نحو ذلك وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عطية بن سعد قال : جاء عبادة فذكر نحو ما تقدم وأخرج ابن جرير عن الزهري قال : لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من يهود : آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف : غركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أصررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فقال عبادة وذكر نحو ما تقدم عنه وعن عبد الله بن أبي وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ قال : إنها في الذبائح من دخل في دين قوم فهو منهم وأخرج عبد بن حميد عن حذيفة قال : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر وتلا ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عطية ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ كعبد الله بن أبي ﴿ يسارعون فيهم ﴾ في ولايتهم وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننه وابن عساكر عن قتادة قال : أنزل الله هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم ﴾ وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه و سلم ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة وأهل مكة وأهل الجواثي من عبد القيس وقال الذين ارتدوا : نصلي الصلاة ولا نزكي والله لا تغصب أموالنا فكلم أبا بكر في ذلك ليتجاوز عنهم وقيل له إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة فقال : والله لا أفرق بين شيء جمعه الله ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة قال قتادة : فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ إلى آخر الآية وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن الحسن نحوه وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال : [لما أنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ الآية قال عمر : أنا وقومي يا رسول الله ؟ قال : لا بل هذا وقومه يعني أبا موسى الأشعري] وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال : [لما نزلت ﴿ فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري] وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري [قال : تليت عند النبي صلى الله عليه و سلم ﴿ فسوف يأتي الله بقوم ﴾ الآية فقال النبي صلى الله عليه و سلم : قومك يا أبا موسى أهل اليمن] وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال : [سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم ﴾ الآية فقال : هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب] وأخرج البخاري

في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال : هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال : هم أهل القادسية وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال : أتيت ابن عمر فرحب بي ثم تلا ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم ﴾ الآية ثم ضرب على منكبي وقال : أحلف بالله إنكم لمنكم أهل اليمن ثلاثا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عطية بن سعد قال في قوله : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ إنها نزلت في عبادة بن الصامت وأخرج

الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس قال : [تصدق علي بخاتم وهو راكع فقال النبي للسائل : من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراكع فأنزل الله فيه ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾] وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت في علي بن أبي طالب وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه وأخرج ابن مردويه عن عمار نحوه أيضا وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عنه نحوه ." (١)

"

والخطاب هنا للمؤمنين، وكل نداء مثل هذا قد يجيء بعده حكم من الأحكام أو بشارة من البشارات أو وعيد للمخالف. والذي يأتي فيه شبه إشكال وليس بإشكال، هو أن يأتي هذا القول ويكون ما بعده أمر بالإيمان كقوله الحق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ ﴾ فسبحانه يناديهم كمؤمنين ويطلب منهم الإيمان، ومثال ذلك قول القائل: " يا قائم قم " برغم أن المفروض أن يكون القول: " يا قائم اجلس " أو " يا قائم تعال " ، أو " يا قائم انصرف إلى فلان " ، فكيف إذن يقول الحق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ ﴾. هنا نقول: ما الإيمان؟ الإيمان هو استقرار العقيدة في القلب فلا تطفو للذهن لتناقش من جديد. ونسمي ذلك عقيدة، أي أمراً معقوداً في القلب.

إذن فالحق سبحانه وتعالى حينما يخاطب مؤمناً يطالبه ان يؤمن، فمعنى ذلك أن الحق يقول: أنت آمنت قبل أن أناديك وبسر الإيمان ناديتك فحافظ على هذا الإيمان دائما. وجدد دائماً إيمانك لأنني ناديتك بوصف الإيمان الذي عرفته فيك.

إن الحق يوضح: يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم ولتكن كل لحظة من لحظات حياتكم المقبلة في إيمان عالٍ مرتقٍ قبل أن أتكلم معكم بوصف الإيمان أنتم آمنتم أولاً فناديتكم فحافظوا على ذلك واثبتوا على إيمانكم.

ومعنى قوله: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ أي من يتراجع منكم عن الإسلام فسيأتي الله بعوض عنه، وسيأتي بقوم لن يكونوا مثل هؤلاء المرتدين. إذن فمن يرتد فعليه أن يفهم أنه لن ينقص جند الله واحداً؛ لأن الذي أذن لشرعه أن ينزل على رسول ونبي خاتم لن يجعل هذا الرسول وهذا المنهج تحت رحمة أغيار الناس. فإن خرج أناس عن المنهج فالله يستبدل بهم غيرهم. وفي هذه الآية أسلوب يخالف آية البقرة في الوجه الإعرابي، وسبحانه يقول في آية البقرة:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ

---

(١) فتح القدير، ٢/٧٦

مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧]

هنا وجدنا الحق يقول: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ أما في الآية التي نحن بصددها في سورة المائدة فهو سبحانه يقول: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ ونجد الأسلوبين مختلفين. والحكمة العليا في أن الحق سبحانه وتعالى يأتي في كتابه بآيات متحدة في المعنى إلا أن وجه الإعراب فيها يختلف ليدلنا أن القرآن نزل إلى الناس كافة.

وقبل أن ينزل القرآن كانت هناك لغتان: لغة تميم، ولغة الحجاز.

وكان الخلاف بين اللغتين محصوراً في الكلمة التي بها تضعيف، أي فيها حرفان من شكل واحد أي متماثلان. وكلمة " يرتد " بها " دالان " وأصلها " يرتدد ". و " يرتد " بها مِثْلان والنطق بهما صعب. ولذلك حاول الناس في مثل هذه الحالة أن يدغموا مِثْلاً في مثل. ولذلك كان من اللازم أن نُسكن الحرف الأول من المثلين. والمفروض أن " الدال " الثانية ساكنة؛ لأن " مَن " شرطية جازمة. والدال الأولى أصلها بالكسر. ولا بد من الإدغام. والإدغام يقتضي إسمان الحرف الأول. إذن فمن أجل الإدغام نفعل ذلك.

ونحن نعلم أن الساكنين لا يلتقيان، وكان تسكين الحرف الأول لأنه ضروري للإدغام، أما الحرف الساكن الآخر فهو الطارئ. فنتصرف فيه، ولذلك نحركه بالفتح حتى نتخلص من التقاء الساكنين. ولذلك نقول: " من يرتد " بالفتح.

وجاء لي ذات مرة سؤال يقول: كيف يأتي القرآن بـ " يرتد " بالنصب أي بالفتح؟ وقلت: إنها ليست " فتحة نصب " والسائل يفهم أن " مَن " إما اسم موصول، وإمَّا هي " مَن " الشرطية، فلو كانت اسماً موصولاً؛ لكان القول " من يرتدُ " – بالضم – وإن كانت " مَن " الشرطية لجاءت بالتسكين ولأن ما قبلها جاء ساكناً للإدغام تخلصنا من السكون بالفتحة وهي " فتحة " التخلص من ساكنين، لأنه – كما قلنا – لا يلتقي ساكنان.

والذي يُظهر لنا ذلك هو آية البقرة التي قال فيها الحق: " ومن يرتدد " بدليل أنه عندما عطف قال: " فيمت " بالجزم عطفا على يرتدد. أما السبب في أن جواب الشرط واضحٌ في آية المائدة أنه لم يأت فعل جوابي أو عطف، وجواب الشرط هو قول الحق: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ويدل على ذلك دخول الفاء على كلمة سوف لكن لو كان الحق قد قال: من يرتد منكم عن دينه يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه كان يمكن الفهم بسرعة أن " مَن " شرطية، لأن كلمة " يأت " جاءت مجزومة بحذف آخرها، ومن هنا يتضح أن الفتحة في " يرتد " هي فتحة التخلص من التقاء الساكنين.

وما السبب في أن الحق يأتي بآية على هذا النسق، وآية أخرى على ذاك النسق؟ نحن نعلم أن القرآن قد نزل بلغة قريش. وكانت قريش تمتلك السيادة. ولم تكن هناك قبيلة بقادرة على مواجهة قريش. ونعرف جميعاً أن رحلة قريش إلى اليمن لم يكن ليجرؤ إنسان أن يتعرض لها، وكذلك في رحلة قريش إلى الشام؛ لأن قريشا تستوطن حيث يوجد بيت الله الحرام الذي يحج إليه كل عربي.

ويوم أن يتعرض أحد لقوافل قريش فعليه أن ينتظر العقاب له أو لقبيلته، إذن فالبيت الحرام هو الذي أوجد لهم تلك المهابة لذلك ينبههم الحق إلى ذلك عندما قال في سورة الفيل:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[الفيل: ١-٥]

وقد تم وعيد الله لأصحاب الفيل، لأنهم أرادوا هدم بيت الله الحرام. ثم يتبع الحق سورة الفيل بقوله في سورة قريش؛﴿ لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴾[قريش: ١-٢]

ليوضح سبحانه أنه من ضمن أسباب صيانة بيت الله الحرام أن حفظ سبحانه لقريش الأمان في رحلة الشتاء والصيف، ولو انهدم البيت الذي يحقق لقريش السيادة لهجم الناس على القرشيين من كل جانب؛ لأنه القائل في شأن من قصدهم لهدم بيت الله الحرام.﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[الفيل: ٥]﴿ لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ ﴾[قريش: ١]

وما دامت تلك المسألة قد صنعها الله لقريش، فلا بد لهم من عبادة رب هذا البيت:﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[قريش: ٣-٤]

إذن فقريش أخذت السيادة بين العرب بمكانة البيت، وأخذت السيادة أيضاً في اللغة، وكانت كل أسواق العرب تعقد هناك، وأشهرها سوق عكاظ، وكان ينصب في قريش خلاصة اللغات الجميلة من القبائل المختلفة. وهكذا أخذت اللغة المصفّاة المنتقاة، فكل شاعر كان يقدم أفضل ما عنده من شعر. وكل خطيب كان يأتي بأحسن ما عنده من خطب. وبذلك كانت قريش تسمع أجود الكلمات. ولهذا كانت اللغة التي عندهم هي اللغة العالية. ولذلك عندما جيء لزمن كتابة القرآن كانت الوصية:

إن اختلف عليكم شيء فاكتبوه بلغة قريش؛ لأن لغة قريش أخذت من اللغات محاسنها. وبنو تميم والحجاز كانوا مختلفين في بعض الأشياء. ولذلك كنا نسمع - عندما نتعلم الإعراب - قول المعلم وهو يسألنا: هل " ما " حجازية أو تميمية؟ وهذا يدلنا على أن هناك خلافاً بين النطق في القبيلتين.

وفي الآية التي نحن بصددها ندغم ونقول: ﴿ مَن يَرْتَدَّ ﴾ وفي آية البقرة ننطقها دون إدغان فنقول: " ومن يرتدد ".

وكأن الحق جاء بآية على لغة الحجاز واية على لغة تميم، وذلك برهان جديد على أن القرآن لم يأت ليحقق سيادة القريش، إنما هو للناس كافة؛ لذلك نجد من كل لهجة كلمة، ليتضح أن القرآن لعموم الناس جميعهم.

وعندما نقرأ قول الحق:﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[المائدة: ٥٤]

نعلم أنه سبحانه يعلمنا أنه قادر على أن يأتي بأهل إيمان غير الذين ارتدوا عنه، تماماً كما أخبرنا من قبل:﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة: ٢١٧]

والقول هنا: خبر عن مصير المرتد إلى جهنم بعد أن تقوم الساعة.

ولكن القول: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ يدل على أن إجراءً سيحدث قبل أن تقوم القيامة. ومن ذا الذي يستطيع أن يتصور أن إلهاً ينزل قرآنا يتحدى به ثم يأتي في القرآن بقضية مازالت في الغيب ويجازف بها، إن لم تكن ستقع؟. والحق يقول: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ و " سوف " تخبرنا بموقف قادم سيأتي من بعد ذلك. ونقول هنا: من الذي يستطيع أن يتحكم في اختيارات الناس للإيمان؟. لا أحد يستطيع أن يتحكم في اختيارات الناس للإيمان إلا الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يتحكم ويحكم ويخبرنا بأنه سوف يأتي أناس يؤمنون بدلاً من المرتدين.

أما إن ارتد أناس، وانتظروا أن يروا البديل لهم، ولم يأت فماذا يكون الأمر؟ لا بد أن تنصرف الناس عن الدين. ولم يكن الحق ليجازف ويجري على لسان محمد بأن قوماً سيرتدون وهو لا يعلم أيأتي قوم مرتدون؟ والعلم جاء في هذه الآية كما جاء في كل القرآن من الله جل وعلا. وقد قالها الحق قضية كونية: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾. وهل هناك قوم يحبهم الله وهم لا يحبونه؟ ونقول: إن هذا لا يحدث مع الله، وإن كان يحدث في الحياة البشرية مثلما قال الشاعر العربي:أنت الحبيب ولكني أعوذ به من أن أكون محبّاً غير محبوبوشقاء المحبين إنما يأتي من أن العاشق يحب أحداً، وهذا الحبيب لا يبادله الحب؛ لذلك يظل العاشق باكياً طوال عمره. ولنا أن نلحظ أن حب الله هو السابق في هذا القول الكريم: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾؛ لأن هذه هي صفة الانكشاف للعلم، لقد علم الحق أنهم سيتجهون إليه فأحبهم، وعندما جاءوا فعلوا ما جعلهم محبوبين لله، ثم ما هو الحب؟. إنه ودادة القلب. وقلنا الكثير من قبل في أمر ودادة القلب. ونعرف أن هناك لوناً من الحب يتحكم فيه العقل. ولوناً آخر من الحب لا يتحكم فيه العقل ولكن تتحكم فيه العاطفة.

ومثال هذا عندما نذهب إلى طبيب ويصف لنا دواء مراً غير مستساغ الطعم، ونجد الإنسان الموصوف له الدواء يذهب إلى الصيدلية للسؤال عن الدواء، فإن لم يجده فهو يلف ويدور ويسأل في كل صيدليات البلد فإن لم يجده فهو يوصي المسافر إلى الخارج لعله يأتي له بالدواء. وإذا جاء له صديق بهذا الدواء فهو يمتلئ بالامتنان بالسرور. أيقبل المريض على الدواء غير المستساغ بعاطفته ام بعقله؟ إنه يقبل على الدواء غير المستساغ الطعم ويحبه بعقله. والحب العقلي – إذن – هو إيثار النافع.

ومثال ذلك نجد الوالد لابن غبي يحب ابناً ذكياً لإنسان غيره.

الوالد – هنا – يحب ابنه الغبي بعاطفته. ولكنه يحب ابن جاره لأنه يمتلك رصيداً من الذكاء. إذن هناك حب عقلي وحب عاطفي. وهذا ما يحدث في المجال البشري لكن بالنسبة لله فلا.

وعندما يقول الحق: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ أي أنهم يحبون الله بعقولهم، وقد يتسامى الحب إلى أن يصير بعاطفتهم، وقد يُجرب ذلك حين يجري الله على أناس أشياء هي شر في ظاهرها، ولكنهم يظلون على عشق لله. ومعنى ذلك أن حبهم لله انتقل من عقولهم إلى عاطفتهم. وسيدنا عمر جرى معه حل هذا الإشكال. كيف؟

لقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ".

وهناك من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أحب إليه من ماله وولده لكن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: أنت أحب إليّ من مالي وولدي أما نفسي فلا وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القول: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ".

وهنا علم عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد الحب العقلي؛ لأن عمر رضي الله عنه علم أيضا أن الحب العاطفي لا يكلف به، ولذلك قال عمر: الآن أحبك عن نفسي، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر. أي كأنه في هذه اللحظة قد اكتمل إيمان عمر. إذن فحب الله لا تقل فيه أيها المؤمن هل هو حب عقلي أو حب عاطفي؟؛ لأن المراد بحب الإله هو دوام فيوضاته على من يحب، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالحق يلقاه في أحضان نعمه ويتجلى عليه برؤيته:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦]

والحسنى هي الجنة. أما الزيادة فقد قال المفسرون: إنها رؤية المحسن.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ وعندما يقول الحق: " فسوف " فلنعلم أن ما يأتي بعدها هو من إعلامات النبوة التي جاءت على لسان محمد في قرآن الله؛ لأن ذلك الأمر قد حدث كما جاء في قرآن الله، فقد ارتد قوم وانقسموا في الردة إلى قسمين؛ قسم ارتد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقسم ارتد على عهد أبي بكر، ومنهم من ارتد على عهد عمر. وحين تنظر إلى ما بعد " سوف " لا بد أن تعرف أن هناك امتداداً زمنياً.

وأول الارتداد كان في اليمن وكان ذلك بعد حجة الوداع وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان في اليمن كاهن مشعوذ اسمه عَبْهَلة بن كعب، ويقال له: ذو الخمار، أو ذو الحمار في رواية أخرى، وهو الذي يعرف في كتب التاريخ الإسلامي باسم الأسود العنسي.

هو أحد الكذابين اللذين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " بَيْنَما أنا نائم إذ اوتيتُ خزائن الأرض، فوُضع في يديّ سواران من ذهب فكبر عليّ وأهمّني، فأُوحِي إليَّ ان انفخهما فنفختهما فطارا فأوّلتهما الكذابَيْن اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة ".

وكان لهذا الكاهن حمارٌ روّضه صاحبه رياضة من لون خاص تماماً كتدريب القرود، فكان يقول له: قف. فيقف. ويقول له: سر. فيسير. واعتبر هذا الكاهن أن مثل هذا الأمر للحمار هو معجزة. أو كان الرجل اسمه " ذو الخمار " أي أنه كان يرتدي خماراً على وجهه. ومن العجيب أن اي مرتد لم يطالبه من يتعبه بعلامة صدقه في النبوة.

إن أول شيء في التأكد من صحة قول أي إنسان: " أنا نبي " أن يسأله الناس عن علامة الصدق في النبوة وأن يتعرفوا على معجزته، لكنا لا نجد ذلك في مرتد أبداً. وكيف لا يسأل الناسُ الذين يتبعون المرتد عن نفسه وعن دعواه أنه نبي وعن معجزته التي تدل على صدق رسالته، وهو ما يحدث مع أي رسول، كيف يؤمن أناس بفرد بدون معجزة؟.

هنا نذهب إلى الجانب النفسي من الأمر ونقول: إن التدين أمر فطري والإنسان الذي ليس له دين يغضب ويحزن عندما نقول له: يا قليل الدين. ولذلك نجد أن المبطل من هؤلاء يقول: أنا على دين. إنه لا يتصور أنه مبطل بلا دين. ولذلك قال الحق:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون: ٦]

فكأن الأصل في الفطرة الأصلية أن الدين ليس مجرد اسم أو صفة، ولكنه التزام بتكاليف. والذي يجعل الناس في خشية من الدين هو مشقة التكاليف؛ لذلك فعندما يأتي إنسان ويقول: أنا نبي ومعجزتي أنني خففت عليكم الصلاة والزكاة والصيام وأبحت لكم النظر إلى نساء بعضكم.

لا بد أن يسيل لعاب أصحاب الهوى الذين لا بصيرة لهم ويقولون: إن مثل ذلك لدين جميل، ويستسلمون ويخدعون أنفسهم بأنهم متدينون ورغم تحللهم من بعض التزامات التدين، إن المرء ليتعجب من مدعي النبوة في الزمن القديم وحتى عصرنا هذا لأننا لم نجد أحداً من المثقفين قد وقف أمام مدع وقال له:

ما معجزتك؟ ولكن الكل سأل: ما منهجك؟ وعندما سأل أهل اليمن ذا الخمار: ما منهجك؟

كانت إجابته: إنه أسقط عنهم بعض التكليفات بداية من تقليل الصلاة والزكاة إلى إباحة الاختلاط بنساء غيرهم. واستراح بعضهم لذلك المنهج وذهلوا وغفلوا عن طلب المعجزة. وكل الذين ادعوا النبوة كانوا من هذا الصنف. ولذلك نجد أن كل مدع للنبوة يحاول التخفيف من المنهج، فهناك من خفف الزكاة.

وجاءت امرأة اسمها سجاح خففت الصلاة. وجاء ثالث ليخفف الربا فيبيحه. لكن أحداً منهم لم يأت بمعجزة. واتبعه بعضهم لمجرد تسهيل المنهج. ومدعي النبوة إنما يرضي النفوس التي لا تطيق ولا تقوى على مشقة المنهج بأن تكون متدينة ملتزمة به.

ومثال ذلك ما حدث في الإسكندرية عندما ظهر مدع للنبوة. وأباح منكراً مثيراً، وتبعه بعض من المتعلمين الذين أرادوا دينا على هواهم، وكذلك كان الأمر في البداية. وعندما جاء ذو الخمار، أو ذو الحمار، وهو كما قلنا: مشعوذ، وكان كما يصفه المؤرخون يسبي قلوب من يسمع منطقه وكان يريهم الأعاجيب، واستطاع بذلك أن يستولي على مُلْك اليمن، وأعلن ارتداده. وغلب على صنعاء وعلى ما بين الطائف إلى البحرين. وجعل يستطير شره استطارة الحريق.

وكان سيدنا معاذ بن جبل هو الوالي على اليمن من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبر سيدنا معاذ بن جبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن كاهناً اسمه ذو الخمار أو ذو الحمار، قد ارتد.

ويذهب سيدنا معاذ إلى حضرموت. وهناك يأتيه كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم يأمره فيه أن يبعث الرجال لمصاولة ذي الخمار. ويحتال المسلمون للنهوض بما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك يدخل على ذي الخمار رجل ديلمي اسمه فيروز فيقتله على فراشه.

وعلى الرغم من بعد المسافة بين اليمن والمدينة إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ليلتها: " قتل الليلة الأسود العنسي ".

وبعد ذلك يأتي الخبر في آخر الشهر أن مدعي النبوة قد قتل. وتلك من إعجازات النبوة. إذن فقد تعرض المؤمنون على زمن رسول الله صلى اله عليه وسلم للهزة في العقيدة بحكاية ذي الخمار أو ذي الحمار. وكانت قصة ذي الخمار كالمصل الواقي الذي يربي المناعة، وأخبرهم الله بها أولاً: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾.

وذلك ليعطي الحق سبحانه وتعالى المؤمنين مناعة إيمانية وكأنه يقول للمؤمنين: لا تظنوا أنكم لن تتعرضوا إلى هزات عقدية دينية بل ستتعرضون. وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: قد يجوز أن يفهم الناس أني وأنا حي أقوم على منهج الله في الأرض فإذا أنا مت ربما ارتدوا عن الدين.

ورسول الله عندما يبلغ ذلك للمؤمنين عن الله – سبحانه – إنما كان بقصد تربية المناعة. فلو فوجئ المسلمون بالردة ولم يكن الله قد خبرهم بها لما كان عندهم احتياط مناعي. والاحتياط المناعي هو أول عملية في الوقاية. ونعلم أن العلم المعاصر استطاع فصل الميكروب أو الفيروس المسبب لمرض وبائي، ويقوم العلماء بإضعاف هذا الميكروب أو الفيروس، ثم يوضع قليل من هذا الميكروب أو الفيروس بعد إضعافه في الجسم البشري، فتتحرك في الجسم أجهزة الوقاية والحماية لتقاتل هذا الميكروب أو الفيروس وتنتصر عليه، وبذلك تمتلك قوى الوقاية والحماية داخل الجسم القدرةَ على مقاومة هذا المرض، وهكذا أراد الحق بهذا القول الكريم: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾.

إذن فحين يوجد الارتداد، لا يفاجأ المسلمون بهذا الارتداد، ويثقون تماماً أنه بمجرد مجيئ الارتداد فإن وعد الله الآخر يجيء: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ فلا فزع عند المؤمنين ساعة يحدث الارتداد ولا زلزلة في النفوس. وساعة يأتي الارتداد يقول المؤمن:

إن الذي صدق في أنه يحدث الارتداد، سيصدق في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾. وإذا رأيت " السين " تسبق قولاً فإن هذا يعني أن الزمن الذي يفصل بين الحدث والحدث قريب وقليل مثل قوله الحق:﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ ﴾[البقرة: ١٤٢]

أما عندما تقرأ " سوف " فأعلم أن الزمن الذي يفصل بين الحدث والحدث متسع وبعيد. ولذلك نحن نرى أن الردة قد امتدت في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – وفي عهد عمر – رضي الله عنه –.

وما هي ذي مواصفات القوم الذين يأتي بهم الله في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾؟ إنها مواصفات ست: يحبهم الله، ويحبون الله، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم.

وكيف يكون الإنسان المؤمن ذليلاً وعزيزاً في آن واحد؟ لأن الحق لا يريد أن يطبعنا على لون واحد من الانفعال، ولكنه يريد لنا أن ننفعل تبعاً للموقف. فعندما يحتاج الموقف إلى أن يكون المؤمن عطوفاً فالمؤمن يواجه الموقف بالعاطفة. وعندما يحتاج الموقف إلى الشدة فالمؤمن يواجه الموقف بالشدة. وإن احتاج الموقف إلى الكرم، فالمؤمن يقابل الموقف بالكرم. فالمسلم – إذن – ينفعل انفعالاً مناسباً لكل موقف، وليس مطبوعا على انفعال واحد. ولو انطبع المؤمن على موقف ذلة دائمة فقد يأتي لمواجهة موقف يتطلب العزة فلا يجدها ولو طُبع المؤمن على عزة دائمة فقد يأتي لمواجهة موقف يتطلب الذلة فلا يجدها؛ لذلك جعل الحق قلب المؤمن ليناً قادراً على المواجهة كل موقف بما يناسبه.

والمؤمن عزيز أمام عدوه لا يُغلب، ويجابهه بقوة. والمؤمن يخفض جناح الذل من الرحمة لوالديه امتثالاً لأمر الحق سبحانه:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[الإسراء: ٢٤]

وهل إذا خفض المؤمن جناح الذل لوالديه. أيخدش ذلك عزته؟ لا. بل ذلك أمر يرفع من عزة الإنسان. والحق يريد المؤمن أن يكون غير مطبوع على لون واحد من الانفعال، ولكن لكل موقف انفعاله. وحين ينفعل المؤمن للمواقف المختلفة فهو يميز ما يحتاج إليه كل موقف ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ويقال في اللغة: " ذليل لفلان " فلماذا – إذاً – يقول الحق هنا: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، و " على " تفيد العلو.

والذلة تفيد المكانة المنخفضة، فكيف يأتي هذا التعبير؟ لقد جاء هذا القول على هذا الشكل لحكمة هي: أن المؤمن ما دام يحب الله ويحبه الله. وساعة يكون في ذلة لأخيه المؤمن فهذا يرفع من قدره. وهي ليست ذلة بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه لين جانب وعطف ورحمة. إذن فقوله الحق: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أن المؤمنين يعطفون على غيرهم من المؤمنين حتى يبدو هذا العطف وكأنه ذلة. وبعض العلماء يقول: إن المادة " ذال " و " لام " تدل على معنيين متقابلين، مثال ذلك قوله الحق:﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾[يس: ٧٢]

أي جعلناها خاضعة لتصرفهم. وهذا التذليل ليس بقهر من الإنسان للأنعام ولكنه بتسخير من الله. وهي ميسرة لخدمة الإنسان. ومثال آخر. قوله الحق:﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾[النحل: ٦٩]

أي متطامنة مهيأة. إذن فهذه ذلة اللين. وهناك " ذُل " – بضم الذال – وهو ضد العز. وهناك " ذِل " – بكسر الذال – وهو اللين. إذن فالذل بكسر الذال هو ضد الصعوبة؛ أي اللين. والذُّل – بضم الذال – هو ضد العز –، فإذا اردنا ذلّة اللين؛ فذل المؤمن للمؤمن من الذِّل، وإن أردنا الذلة التي هي ضد العز، فهي من الذُّل. وعندما يكون المؤمن على ذِلة للمؤمن. فهي ذِلة اللين والعطف. وعندما يريد الحق الشيء ليتدانى للمؤمن ولا يتعبه، فهو يقول:﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾[الحاقة: ٢٣]

وفي آية أخرى يقول سبحانه:﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[الإنسان: ١٤]

أي دُلِّيت عناقيدها. فالفاكهة تنزل إلى المكان الذي يوجد فيه المؤمن. وإن وقف المؤمن لطال بيده أن يقطف الثمار. وإن اضطجع لاستطاع أن ينال أيضاً من الثمار لأنها تتدانى له. وإن نام المؤمن لتدانى قطاف الثمار إلى مكانه وبذلك يستطيع أن يأكل منها في أي وقت وعلى أي وضع.

وهنا يأتي الحق بالقول الحكيم: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي أن ذلة المؤمن لأخيه المؤمن ترفع منزلته. وبها يكون المؤمن أهلاً لأن ترفع منزلته؛ لأنه مصطفى بأن الله يحبه وأنه يحب الله، ولا توجد رفعة أكثر من هذه رفعة. ولذلك نجد القول المأثور: (من تواضع لله رفعه).

أي من تواضع وفي باله الله فإن الله يرفعه.

﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وهذا هو الوصف الثالث للمؤمنين في تلك الآية بعد قوله الحق: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

إن المؤمن عزيز على الكافرين بأنه لا يُغلب، وما دام هو يعرف ذلك فهو ينضم إلى الجهاد في سبيل الله. ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وكلمة " الجهاد في سبيل الله " تخصص لوناً من الجهاد، فالإنسان قد يجاهد حمية أو دفاعاً عن جنسيته أو

أي انتماء آخر، وكل هذه الانتماءات في عرف الذين لا قيمة لها إلا إذا نبعت من الانتماء إلى منهج الله، لتكون كلمة الله هي العليا.

وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل القتال:

" فيما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فَمَنْ في سبيل الله؟ قال: " مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ".

وما دام المؤمن محبوباً من الله ويحب الله وذليلاً على المؤمنين وعزيزا على الكافرين، مادام الأمر كذلك فعندما يتولى مؤمن أمر قيادة غيره من المؤمنين فلا أحد منهم يأنف أن يكون تحت قيادته. وبذلك يخرج المؤمن عن دائرة الاستعلاء والاستكبار؛ لأنه يجاهد في سبيل الله. ولو جاءه إنسان ليلومه على ذلك فهو لا يسمح له، وكأنه سبحانه يوضح: تنبهوا جيداً إلى أن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله والذين هم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين ويجاهدون في سبيل الله فلا نظن أنهم بمنأى عن سخرية الساخرين، وهزؤ المستهزئين، ولوم اللائمين ليردوهم عن هذه العملية.

ولذلك يقول الحق: ﴿ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ وقد وضح ذلك على مر تاريخ الإسلام وجاء الحق بقوم **يحبهم ويحبونه** وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين وجاهدوا في سبيل الله وما خافوا لومة لائم.

وساعة نستقرئ هذه الآية نجد أن " سوف " ابتدأ مدلولها الأول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. " وحين سئل رسول الله عن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله وفيهم هذه الصفات؛ أشار بيده مرة إلى أبي موسى الأشعري، وقال صلى الله عليه وسلم: " هم قوم من هذا ".

وعندما نزل قوله تعالى:﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾[الجمعة: ٣]

" سأل أبو هريرة – رضي الله عنه – رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هم يا رسول الله؟. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال: " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء ".

وقد حدثت الردة الأولى في اليمن، وكانت في قوم أبي موسى الأشعري، وكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل – كما أوضحنا – وبعد ذلك تطوع فيروز الديلمي ودخل على من كان يدّعي النبوة ذي الخمار أو ذي الحمار، وقتله. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتها بالأمر. ولكن خبر القتل جاء بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. وكانت تلك من علامات النبوة.

وحدث – أيضاً – في زمانه صلى الله عليه وسلم أن ادّعى مسيلمة الكذاب أنه نبي. وكتب مسيلمة إلى رسول الله كتاباً، يقول: مِن مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.

ولم يقدر على نزع صفة النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجاء في كتاب مسيلمة: " أما بعد. فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك "كأنه قد فهم أن المسألة بالنسبة لرسول الله تحتاج إلى قسمة، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات فيها هبات النبوة:

" من محمد رسول لله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين "

ولم يسمع مسيلمة كلام رسول الله، وجهزت الحملة لترسل إليه لتأديبه. وجاء عهد أبي بكر – رضي الله عنه –، وكانت المعركة على أشدها. وجاء " وحشي " الذي قتل حمزة – رضي الله عنه – في موقعة أحد. وأراد أن يكفر عن سيئاته فذهب وقتل مسيلمة. ولذلك كان يقول كلمته المشهورة: أنا قتلت في الجاهلية خير الناس – يقصد حمزة – وقتلت في الإسلام شر الناس – يقصد مسيلمة – وانتهى أمر مسيلمة.

وجاء إنسان ثالث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه " طليحة بن خويلد " من بني أسد وادّعى النبوة، وكلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن ذهب إليه وكان " خالد بن الوليد " وساعة علم الرجل أن خالداً هو الذي جاء لقتاله لاذ بالفرار، ولكنه من بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه.

ونلاحظ أننا ننطق " الردة " بكسر الرا، وصفاً لتلك الأمور التي حدثت وقوبلت هذه المقابلة. ولا نسميها " رد " فتح الراء، لأن الرد – بفتح الراء – يكون عودة إلى حق، أما الردة – بكسرة الراء – فتكون إلى باطل، مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[النساء: ٥٩]

أما الذي يرتد فهو يرتد إلى باطل.

ومن العجيب أن كلمة " الردة " التي جعلها الإسلام علامة على الانتقال من الإيمان إلى الكفر يستخدمها أعداء الإسلام الذين لا يؤمنون بأديان ما، فعندما يترك الشيوعية أحد أتباعها يقولون: لقد حدثت رِدة. وكان من الواجب لو أنهم أصحاب مبادئ أصيلة أن يختاروا لفظاً آخر لكن لا يوجد في اللغة لفظ يعبر عن الرجوع إلى الباطل إلا كلمة " ردة " وكذلك كلمة " منبر " لا توجد – أيضاً – إلا في الإسلام، وهو موقف الواعظ من المصلين يوم الجمعة. وعندما يأتون إلى تصنيف جماعة متطرفة إلى اليسار فهم يقولون: " منبر اليسار " ونقول: لماذا تأخذون هذه الكلمة من عندنا؟.

ومثال آخر عندما يكتب كاتب: هذه الراقصة تتعبد في محراب الفن. ونقول: لماذا تستخدم كلمة " محراب "؟. عليك أن تبحث عن كلمة أخرى. وكل ذلك يدل على أن كلمات الإيمان هي الكلمات المعبرة ولذلك يذهبون إليها.

ويؤخذ في ظاهر الأمر على الإسلام أن من يرتد يُقتل.

ونقول: أيظن أحد أن هذه ضد الإسلام؟ لا إنها لصالح الإسلام؛ لأن الإنسان إذا علم أنه عندما يقبل على الإسلام فهو يقبل على الدين الكامل؛ لأن من يخرج عليه يهدر دمه ويقتل. وعلى من يفكر في الدخول إلى الإسلام أن يحتاط لحياته. إذن فالإسلام لا يسهل لأحد الدخول فيه، ولكنه يصعب عملية الدخول: وينبه كل فرد إلى ضرورة الانتباه قبل الدخول في الإسلام؛ لأنه دخول إلى دين كامل وليس لهواً أو لعباً.

إن على من يرغب في الدخول في الإسلام أن يفكر جيداً وأن ينتهي إلى الحق؛ لأن حياته ستكون ثمن الرجوع عن الإسلام وهذا دليل على جدية هذا الدين وعدم السماح بالعبث في عمليات الدخول فيه. وحين يصعب الإسلام عملية الدخول فيه إنما يعطي فرصة الاختيار ليعلم من يختار الدين الإسلامي أن يعي أن الرجوع عن الإسلام ثمنه الحياة. وساعة يطلب دين أن يفكر الإنسان جيداً قبل أن يدخل فيه فهل في ذلك خداع أو نصيحة؟ إنها النصيحة وهي عملية لصالح الإسلام، وهي أمر علني ليعلم كل داخل في الإسلام أن هذا هو الشرط.

ولو أن الإسلام يريد تسهيل المسألة لقال: تعال إلى الإسلام واخرج متى تريد. لكن الدين الحق لا يخدع أحداً. وسبحانه يقول:﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[الأنفال: ٤٢]

وتكلمنا من قبل عن الردات التي حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كلمة " سوف " التي جاءت في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ تدل على الامتدادية. وقد حدثت ردة في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – وظهر سبعة ادّعوا النبوة، مثال ذلك: " بنو فزارة " قوم عيينة بن حصن ارتدوا وأرسل إليهم أبو بكر – رضي الله عنه – من حاربهم. وكذلك قوم غطفان ارتدوا.

وكذلك قوم قرّة بن هبيدة بن سلمة، وكذلك بنو سُلَيْم. قوم الفجاءة بن عبد ياليل، فأرسل لهم أبو بكر من يؤدبهم. وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض من بني تميم الذين ادعت فيهم النبوّة سجاح بنت المنذر والتي تزوجت مسيلمة. وكذلك "كِندة " قوم الأشعث بن قيس، وكذلك قوم الحَطَم بن ضبيعة وهم بنو بكر بن وائل في البحرين. وقضى عليهم سيدنا أبو بكر مما جعل كثيراً من القوم يقولون: إن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله وفيهم كل تلك الأوصاف هم أبو بكر ومن معه.

ولكن أيمنع ذلك أن كل جماعة سيكون فيها مثل أبي بكر – رضي الله عنه –؟ لا. ومثال ذلك علي بن أبي طالب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:

" عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد فقال: أنا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لأعطين الراية – أو ليأخذنّ – غداً رجلٌ يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله. يفتح الله عليه. فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله عليه ".

وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لم تحدث إلا ردة واحدة، جاءت من الغساسنة بقيادة جبلة بن الأيهم وهم من الشام وكانوا موالين للروم، وكان جبلة هو رئيسهم وأسلم وجاء ليطوف بالبيت الحرام بهيلمان كزعيم للغساسنة. وكان لهم العظمة في الجياد والملابس. وكان يرتدي رداءً طويلاً فوطئ أحد الناس رداءه؛ فسقط، فلطمه جبلة، وأبلغ الرجل عمر بن الخطاب. وقال عمر بن الخطاب: إنه القصاص. وقال سيد الغساسنة: إني أشتري هذه اللطمة بألف دينار ولم يقبل الرجل فعرض سيد الغساسنة ألفين من الدنانير فرفض الرجل، فزادها إلى عشرة آلاف ولم يقبل الرجل.

وقال جبلة لعمر: أنظرني حتى أفكر في المسألة. فلما أنظره عمر، هرب الرجل إلى الشام و وتنصر. هكذا يتضح لنا آفاق كلمة " سوف " وأي زمن تأخذ، إن لها امتدادات حتى زماننا.

إن الردة في زماننا جاءت من فارس ممثلة في البهائية والبابية، وهدف المرتد يكون جاه الدنيا، إن كان يريد الحكم، ووسيلة المرتد تيسير التكليف لمن يتبعه في الارتداد. ومن يدعي لنفسه النبوة والقدرة على الإتيان بتشريع جديد إنما يطلب لنفسه جاه الدنيا، والذي يتبع ذلك المدعي للنبوة إنما يقصد لنفسه تيسير التكليف.

ولماذا تيسير التكليف؟؛ لأن الإنسان مؤمن بفطرته ودليل ذلك أننا إذا واجهنا إنساناً غير مؤمن، وقلنا له: أنت قليل الدين. يغضب ويثور؛ لأنه لا يتصور أن ينزع أحد منه أنه متدين بشكل ما. ونرى إنساناً قد يسرف على نفسه كثيراً لكنه ساعة يسمع إنساناً آخر يسب الدين يثور ويغضب ويتحول إلى مدافع عن دين الله، وتلك هي الفطرة الإيمانية التي فطر الله كل الناس عليها. والذي يجعل الدين لأمراً شاقاً على النفس البشرية ليس فطرة الدين، ولكنه تكليف التدين؛ لأنه أمر يدخل في الاختيار.

وقد جعل الحق التكليفات الإيمانية كلها في مناط الاختيار البشري، ولم يشا أن تكون أمراً قهرياً. ولو شاء سبحانه أن يجعل كل الناس مؤمنين لما قدر أحد على الكفر:﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَآءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[الشعراء: ٣-٤]

فليس في قدرة أحد أن يتأبى على الله، ولكنه شاء أن يجعل تكاليف الإيمان مسألة اختيارية. والإنسان حر في أن يفعل تكاليف الإيمان أو لا يفعلها، وفي كلتا الحالتين سيلقى الجزاء. مثال ذلك: " اللسان " خلقه الله صالحاً أن يقول: " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وهذا اللسان نفسه صالح لأن يقول: – والعياذ بالله – " أنا لا أؤمن بالله ".

ولا يعصى اللسان صاحبه، فقد خلقه الله مجهزاً للتعبير عن مكنونات قلب الإنسان وخاضعا لإرادة الإنسان. ومثال آخر من مصنوعاتنا نحن: جهاز التليفزيون الذي صممه البشر ليكون آلة منقادة ومسخرة لما يرسله الإنسان فيه من برامج، فإن أرسل الإنسان في جهاز التليفزيون أفلاماً وبرامج دينية وعلمية تستكشف آيات الله في الكون وتثبت قيم الإنسان على الإيمان فهذا اختيار إيماني. وإن أرسل الإنسان أفلاماً خليعة تحض على المجون والفسق فهذا اختيار يلحق الإنسان بدائرة المفسدين في الأرض.

إذن فالحق خلق الإنسان صالحاً لتطبيق تكاليف الإيمان وصالحاً للخروج عن التكليف. وحين يأمر الله عباده أن يطبقوا أو ينفذوا التكليف الإيماني فهو يعلم أن قدرة الإنسان تسع التكليف؛ لأنه العليم بعباده، ولو لم يكن باستطاعتهم تنفيذ التكليف لما كلفهم به. وكلنا نعرف الفرق بين " العباد " و " العبيد "؛ فكل الكائنات عبيد لله، والإنسان من عبيد الله إن كان متكبراً على التكليف، وإن خرج على التكليف فهو مسير في أمور لا يقدر على الخروج منها، فلا يستطيع أحد بإرادته أن يتوقف عن التنفس، وهو –كما نعلم – أحد العمليات التي تجري على الرغم من الإنسان.

ولا أحد يستطيع أن يتنفس عندما ينتهي أجله. كذلك لا أحد يستطيع أن يقاوم المرض إن أصابه. إذن فكِبْر الإنسان وخروجه عن طاعة الله في أشياء لا تعني أنه خارج في مطلق أموره عن الله؛ لأن الحق فعال لما يريد، فلا أحد يتحكم

في بدايته حين يولد، ولا أحد يتحكم في نهايته حين يموت، وهناك أمور بين قوسَيْ الميلاد والموت ما من أحد بقادر على التحكم فيها، وإرادة الاختيار إنما توجد في بعض الأمور فقط. أما كل ما عدا ذلك فهو قهري، وكلنا عبيد لله في ذلك. لكن الحق تعالى أعطى لنا الاختيار في بقية أمور الحياة.

والذكي حقاً هو من يسأل ربه: لقد خلقتني يارب مختاراً.

وماذا تحب أنت أن أفعل؟ هنا يجد الإنسان نفسه أمام أوامر الله ونواهيه وأمام المنهج بمطلوباته، هذا المنهج الذي يوضح للمؤمن ما الذي يمكن أن يفعله وما الذي يمكن أن يتجنبه. ويقول المؤمن: إنني أخرج من اختياري إلى مرادك يارب. والعبد الذي يتنازل عن اختياره إلى مراد خالقه هو واحد من العباد الذين وصفهم الحق بأنهم عباد الرحمن.

ونرى في حياتنا العادية نموذجا لما يحدث بين رب الأسرة وأفرادها، فرب الأسرة يقول لأبنائه: أنتم تريدون التنزه، فأي مكان تحبون الذهاب إليه؟

يجيب أحد أفراد الأسرة: لنذهب إلى المكان الفلاني. ويجيب آخر: أنت حر في أن تصحبنا إلى أي مكان تريد، المهم فقط أن تكون معنا. ومن المؤكد أن الذي يقول مثل هذا القول لرب الأسرة ينال منزلة رفيعة في قلبه. فإذا كان هذا يحدث بين إنسان وإنسان مثله فما بالنا بالاستحسان الذي يناله العبد حين يقول ذلك لخالقه الأكرم؟ لا بد أن ينال منزلة راقية؛ لأنه قد خرج من دائرة العبيد إلى دائرة العباد الذين قال عنهم الحق:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىا الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً * وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾[الفرقان: ٦٣-٦٦]

هؤلاء هم عباد الرحمن الذين **يحبهم ويحبونه**. أما الذي يتمرد على منهج الله فعليه أن يعرف أنه غير قادر على أن يتمرد على قدر الله. وأراد الحق أن يعطينا مناعة إيمانية حين قال: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ وتتجلى تلك المناعة في أن المؤمن لا بد أن يلتفت إلى هؤلاء الذين يرتدون عن دين الله بادعاء أنهم أنبياء من بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن هذه الآية توضح لنا ما جد وما يجد من أمر هؤلاء المرتدين، والواحد منهم يعلن: أنا نبي مرسل. ويَجِدُ هذا النبي المزيف من يستمع له ويصدقه ويتبعه، ولا يجد من يسأله: إن كنتَ نبياً فما معجزتك؟ لكنه يجد من يصدقون هذا الزيف لهوى في نفوسهم.

هذا الهوى يتلخص في أن مثل هذا النبي المزيف يأتي بمنهج ميسر يخدع به أتباعه الذين يخدعون أنفسهم بأن الواحد منهم متدين، لكنّه يتبع منهاجاً ضالاً. وكثير من الذين ادعوا أنهم أنبياء وأنّه هو المهدي المنتظر لم يسألهم أحد: ما المعجزة الدالة على صدق نبوتكم؟ لأن النبي المزيف من هؤلاء يلهي الناس بالتخفيف من التكليف.

إننا نجد بعضاً من المثقفين أو الذين يدعون أنهم يعملون عقولهم في كل شيء يتبعون هؤلاء الدجالين. وقد رأينا منذ أعوام قليلة العجب العجاب، عندَما ادعى أحدهم النبوة. وآمن به واتبعه عدد من الرجال والنساء.

وكانت المرأة المتزوجة تدخل على هذا النبي المزيف لتقبله ويقبلها من شفتيها وأمام زوجها. أين نخوة الرجل – إذن – في مثل هذا الموقف؟ إنه التدليس الضال الذي يدعي لنفسه الهداية، إنّها هداية إلى الجحيم.

وهل تنبع تلك التيارات من الإسلام؟ لا، بل تأتي من قوم يبغضون الإسلام، ويصطادون الرجل الذي تظهر عليه المواهب والمخايل، ويقنعونه بأنه يمكن أن يلعب دور النبي المزيف.

مثال ذلك الهندي ميزرا غلام أحمد الذي جاء بالقاديانية. ونعلم أن الإنجليز قد استعمروا الهند لسنوات طويلة، وكانوا يعتبرونها درة التاج البريطاني. ونعلم أن خصوم الإسلام وعلى رأسهم الاستعمار يحاولون أن ينالوا من الإسلام؛ لأنهم رأوا أن التمسك بالدين أتاح للمسلمين فتح الأمبراطوريات لا بالسيف ولكن بحماية حق الاعتقاد.

إذا كانت الدعوة قد نشأت في الجزيرة العربية؛ فقد امتدت إلى آفاق الأرض. وانهزمت الفرس والروم أمام الذين يحملون راية " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". ومن بعد ذلك نجد أن الذين هزموا التتار هم المسلمون، وكذلك اشتعلت الحروب الصليبية في حملات متتابعة، ولكن المقاتلين تحت راية الإسلام أنزلوا بهم الهزيمة الضارية.

إن الذي أرهق الاستعمار من الإسلام طاقة الإيمان والقتال في سبيله ولذلك جاء ميزرا غلام أحمد وحاول أن يضعف القدرة على الجهاد عند المسلمين، فقال: لقد جئت لكم لألغي الجهاد من العقيدة الإسلامية. وجرؤ ميزرا غلام أحمد، وأعلن إلغاء القتال. والحق يقول في كتابه الكريم:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦]

وسبحانه بقدرته يمهل ولا يهمل. وجاء وباء الكوليرا في الهند سنة ١٩٠٨ ليقضي على غلام أحمد وينهي تأكيداً لقوله الحق:﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[المائدة: ٥٤]

وظهر أيضاً في فارس وهي موطن سلمان الفارسي مَن ادعى لنفسه النبوة، وكان من الذكاء بحيث حاول التسلل إلى الإسلام؛ لينقلب عليه من بعد ذلك، قال الرجل: أنا الباب ومن بعدي سيأتي المهدي.

وعندما سأله الناس: وماذا تحمل من منهج؟ أجاب: جئت لأخفف عنكم بعض التكاليف؛ لأن الإسلام صار بتكاليفه لا يناسب العصر. واتبعه أناس، وثار عليه أناس. ومن اتبعوه، ذهبوا إليه بغية تخفيف المنهج، ومن ثاروا عليه كانوا من القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، وجاءوا له بالعلماء يناقشونه ويحاجونه فاعترف بأنه مخطئ وأعلن التوبة في المسجد الكبير. وعند ذلك تركه الناس.

لكن هذا الرجل وجد من يلتقطه ليعيده إلى ضلاله وتضليله، التقطه قنصل روسيا في فارس، وهيأ له ملجأ، واوعز إليه أن يعلن أن توبته إنما كانت هرباً من القتل. واستطاع هذا الباب، واسمه علي محمد الشيرازي أن ينال دعاية واسعة وخاصة بعد أن انضمت إلى دعوته فتاة اسمها " قرة العين " وكانوا يلقبونها بالطاهرة. ووقفت لتخطب خطبة في الناس.

ومن يقرأ تلك الخطبة يعرف إلى أي انحلال كان يدعو ذلك الباب.

وأعلنت هذه المرأة أن الإسلام قد انقضت مدته كدين، وأن الباب قد اختفى لفترة؛ لأنه في انتظار شرع جديد، وأن العالم يمر بفترة انتقال، وصار ينزل المنهج الجديد على الباب. وقالت تلك " الطاهرة ": إنّ التشريع المختص بالمرأة،

والذي جاء إلى الباب هو:" المرأة زهرة خُلِقَت لتُشَمّ ولِتُضَمّ " " فلا يمنع ولا يُحَدّ شامّها ولا ضامّها "وما دامت المرأة زهرة إذن فهي تجنَى وتقطَف " وإلى الأحباب تُهْدى وتتحف.. إلى أن تقول في نهاية خطابها: لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم(!!)

ومن يرغب في أن يعرف مسلسل الفضائح الخلقية التي جاءت في خطاب " قرة العين " تلك فليقرأ كتاب " نقطة الكاف " للباب الكاشاني طبعة لندن صفحة ١٥٤. هذا ما جاء به الباب من بعد أن أعلن إلغاء الإسلام:

لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم فإنه الآن لا منع ولا حد، خذوا حظكم من الحياة، فإنه ليس بعد الممات شيء. وهذه خلاصة الانحلال الذي جاء به هذا المدعو بالباب، لقد أعلن أنه لا حساب ولا يوم آخر، وأن المرأة عرضها مشاع تضم وتشم. والغريب أن بعضاً من المتزوجين قد اتبعوه. وقالوا عن أنفسهم: إنهم متدينون، لقد أخذوا ظاهر الأمر واعتبروا الفسوق الذي جاء به هذا الباب وأسموه دينا بعد أن سهل لهم بتعاليمه الفساد، فأخذوا الانحلال عن التكاليف، وادعو أن ذلك دين(!!)

هكذا أراد خصوم الإسلام للإسلام. وقنصل روسيا القيصرية هو الذي شجع هذا الرجل وحماه في عام واحد وستين ومائتين بعد الألف من الهجرة. وبرغم ذلك حكم أهل فارس بإعدامه بعد موجة السخط العارم، ولم يستطع أن ينقذه أحد، وتم إعدامه فعلاً. والذين قرأوا أقواله لحظة الإعدام عرفوا كيف أنه تذلل وخضع وبكى. ولو كان مبعوثاً بحق من عند الله لما تذلل وخضع وطلب النجاة. ولامتلأ بالسرور والحبور؛ لأنه ذاهب إلى الله.

لقد عرف هذا الرجل الدجال إلى أي عقاب سيذهب؛ لذلك بكى واسترحم. ولما قتل الباب، أعلن واحد من رجاله وهو ميرزا حسين أن الكتاب الذي جاء به الباب كتاب كاذب، وكان اسمه " البيان ". وقال ميرزا حسين علي: إنه جاء بكتاب اسمه " الأقدس ". كأن المسألة كلها خداع للناس وتبرير الخداع.

ولو رجعنا إلى كتاب يسمونه " بهجة الصدور " لمؤلفه حيدر بن علي البهائي لوجدنا كل الانحرافات الممكنة، فالبهاء يقول: استر ذهبك وذهابك ومذهبك، أي لا تجعل أحداً يعرف ثروتك، ولا إلى أي مكان تذهب ولا تقل للناس: إنك بهائي حتى لا يقتلوك. واعتبر البهائيون أن القرآن قد انتهت مدته وأن كتاب " الأقدس " هو كتاب فوق القرآن.

ويقرر كتاب " الأقدس " أن القدس لا بد أن تكون وطناً لليهود وأن موسى سيد الرسل جميعاً. ومما يدلنا على أن ذلك الرجل كان صنيعة الاستعمار والصهيونية، أنهم اقاموا له حفل تكريم في بريطانيا ومنحوه وسام الفروسية الإنجليزي؛ لأنه رجل خدم الاستعمار.

ونجد أن شيخنا رشيد رضا الذي نقل لنا تاريخ الإمام محمد عبده يروي قصة لقاء بينه وبين ذلك المدعو " بهاء " في بيروت، وحكى الشيخ رشيد عن الإمام محمد عبده أن هذا البهاء كان يأتي للصلوات الخمس ويصلي الجمعة. وعندما سأله عن تلك المسألة المسماة بالبهائية. أجاب بأنها محاولة للتقريب بين الشيعة وأهل السنة.

وعندما أمرت الدولة العثمانية بمحاكمة ذلك البهاء توسط قنصل روسيا فاكتفوا بنفيه إلى بغداد. وعاش فترة فيها ثم مات وقام الأمر من بعده لابنه عباس المسمى عبد البهاء.

لقد كانت البداية برجل سمى نفسه الباب صاحب كتاب البيان وقال فيه: " ملعون مطرود من يدعي أنه جاء بشريعة بعد شريعتي إلا بعد مرور ألف سنة ".

وما أن تمر سبع سنوات حتى جاء رجل ثان يسمي نفسه البهاء، وأعلن أنه جاء بشريعة جديدة، ويعقد الوصية لابنه المسمى " عبد البهاء ". ثم يكون الأمر من بعده إلى ابنه المسمى " شوقي أفندي " وكان يقيم بعكّا. هكذا انفضحت أكاذيبهم. ورئيس البهائية الحالي هو يهودي اسمه بترسون.

إذن فالردة عن الإسلام لم تكن نابعة من نفوس المسلمين ولكن مدفوع إليها من خصوم الإسلام الذين يأخذون أي رجل ملحد فيه بعض من الذكاء وينفخون فيه بدعاياتهم حتى يشوهوا دعوة الإسلام. وأقاموا مراكز لمثل هذه الانحرافات في بلجيكا وأمريكا وانجلترا. وحاولوا النفاذ إلى البلاد الإسلامية لينشروا فيها دعوتهم ومبادئهم. وكانوا يأخذون المرأة كنقطة هجوم على الإسلام. ويتهمون الإسلام بأنه يضع المرأة في الحريم، ويحبسها في خيمة وإلى آخر تلك الدعايات التي تشوه تكريم الإسلام للمرأة.

ومن العجيب أني سمعت بأذني من واحدة هي بنت لتلك الحضارة الغربية. تقول: كنت أتمنى أن أكون مسلمة وأمًّا لشاب مسلم.

فعلينا نحن المسلمين ألا ننخدع بتلك الدعايات وتلك المواهب التي تتسلل من باب تخفيف المنهج والمراد بها قتل قيم الإسلام التي تحمي الإنسان وتحترم مشاعره؛ لذلك يجب أن ننتبه إلى دعوات المتسللين إلى مجتمعاتنا بغية هدم ديننا. وعلى الحكومات أن تضرب على أيدي العابثين بدين الله لا أن تترك مسائل الدين لهبّات الأفراد. وكل منا مطالب بأن يرد عن دين الله كل دخيلٍ عليه وكل محاولة لوضع أمور ليست من الدين في شيء. وجزى الله قضاء مصر خيراً حينما تصدوا لمثل هذه الدعوات ووقفوا دفاعاً عن الإسلام لتبيين وإيضاح كل أمر دخيل عليه، فدستور الدولة ينص على أن مصر بلد مسلم، وإن كانت بعض التقنيات في دور التشريع.

وجزى الله قضاء مصر عنا خيراً، فقد وضحوا تلك المسائل وبينوها. وعرفنا بسلوكهم أن خميرة الإيمان هي التي تحكم سلوك المسلم الحق، وإن تخلت عنه بعض القوانين التي عليه أن يحكم بها.

وكلما حدث حادث من تلك الحوادث لنا أن نتذكر القول الصدق من الله:﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾[المائدة: ٥٤].

وكل هذه الحركات المناوئة للإسلام تنتهي ويبقى الإسلام قوياً بأبنائه الذين يحبهم الله ويحبونه. هؤلاء الذين وصفهم الحق:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾[المائدة: ٥٤].

ويذيل الحق سبحانه هذا القول الكريم:﴿ ذالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٥٤].

نعم إنه فضل من الله؛ لأنهم ما داموا يحبهم الله ويحبون الله وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين فقد جعلهم سبحانه حملة لواء منهجه لتكون كلمة الله هي العليا. وذلك تفضل من الله. ولنعلم أن الخير لا يعود منا على الله؛ لأنه سبحانه هو واهب كل خير، ولم يأت لنا الخير من بعد خلقنا، ولكن نحن الذين طرأنا على الخير، نحن طرأنا على الأرض،

وعلى السماء بما فيهما من كل كنوز الخير، ففي الأرض العناصر والمعادن والقوت، وفي السماء الشمس والقمر والنجوم، وكل ذلك فضل الخالق على المخلوق.

إن فضل الله يؤتيه سبحانه وتعالى من يشاء وتتسع قدرته لكل مطلوب؛ لذلك لا يمن المؤمن على الله بإيمانه، فليس عند الله أزمة في الذين يؤمنون به، وهو قادر على أن يأتي بقوم يحملون دعوته، فإذا ما ارتفعت رأس الباطل فهذا دليل على أن قطافها قد حان؛ لأن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض.

فكأن الله حين يندب المؤمنين لمهمة إيمانية فلا يقال: إن المؤمنين إنما يفعلون ذلك لمصلحة ربهم. لا، ولكن ذلك فضل من الله على المؤمنين حين يختارهم لمهمة حمل البلاغ عن الله، ويعود الخير إلى المؤمنين ثمرة مضاعفة. إذن فحين يكون اختيار الله للمؤمن لمهمة إيمانية فهذا فضل من الله على المؤمن. ونعرف أن الفضل هو الأمر الزائد عن العدل فالحق سبحانه وتعالى قد قال:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس: ٥٨].

وكل تكليف من الحق للخلق هو فضل من الله؛ لأنك إن نظرت إلى كل تكليف من الحق للخلق لوجدت أن التكليف إنما يعود لصالح الخلق وما دامت الفائدة من التكليف تعود إلى الخلق فليس من المطلوب إذن أن يثاب الخلق المؤمنون المكلفون، لكن الله يأبى أن يكلف خلقه بتكاليف ويذهبون إلى هذه التكاليف بطاعة ومحبة دون أن يجازيهم على ذلك بحسن الثواب.

ولهذا نجد الحق يقول:﴿ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾[الحجرات: ١٧].

المنّة إذن لله حين تفضل على الخلق الذين أطاعوه بحسن حياتهم في إطار تكاليفه الإيمانية، وفوق ذلك هناك الثواب، وهذا هو عين التفضل من الحق على الخلق المؤمنين:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس: ٥٨].

وساعة نسمع " بفضل الله " فلنعلم أن فضل الله لا حدود له. وقد نجد من يقول: ولكن الحق سبحانه وتعالى قال:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىا * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىا ﴾[النجم: ٣٩-٤٠].

ونقول: لنفترض أن إنساناً مات، ونجد الأمر من الخالق سبحانه وتعالى بأن نصلي عليه؛ لندعو له بالرحمة. ودعاؤنا للميت بالرحمة يأتي له بخير أكثر مما فعل هو في حياته، ولولا أن صلاتنا على الميت تثيب الميت وتثيبنا في آن واحد لولا ذلك ما أمرنا الحق بأداء هذه الصلاة.

وقد يقول قائل: هذا الخير الذي يأتي إلى الميت من دعاء المصلين عليه ليس من سعي الميت.

ونقول: إن " اللام " في قوله الحق:﴿ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىا ﴾[النجم: ٣٩].

هذه اللام تفيد الاستحقاق والملكية. وهو قول كريم يحدد العدل ولا يحدد الفضل. ونضرب مثلاً من حياتنا نحن البشر – ولله المثل الأعلى – تجد السيد يقول للخادم عنده: إن لك أجراً عندي يساوي مائة جنيه. ثم يجيء السيد في آخر الشهر ويقول للخادم: خذ مائة وخمسين جنيهاً. العدل إذن هو أن يأخذ الخادم أجره وهو مائة جنيه، ولكن الخمسين جنيهاً الزائدة هي الفضل الزائد عن الأجر.

إننا حين يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بأن نصلي على الميت فهذا تفضل من الله على الميت وعلينا أيضاً. هذا لون من تفضل الله على خلقه. وسبحانه يجازي كل إنسان بما عمل ويمنحه فوق ذلك، ومن قصّر في شيء من العمل. ويصلي عليه الناس ويدعون له بالرحمة فتفيض رحمة الله على العبد وعلى غيره من العباد. وهذا هو مناط قول الحق:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس: ٥٨]

وعندما نحقق في هذا الموقف وحده نجد أن الجزاء يكون أفضل من العمل. وما الذي يجعل المؤمن يصلي على ميت مؤمن؟ إنه إيمان هذا الذي مات وإيمان من مات ملك له، وعلى ذلك فملكية المؤمن لإيمانه تمتد بعد أن يموت لتشمل صلوات ودعاء من صلوا عليه.

وذلك يدخل في فضل الله:﴿ ذالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٥٤].

وما دامت المسألة فضلاً من الله يشمل كل مؤمن فلا بد أن الحق عنده من السعة ما يعطي الكل. وسبحانه واسع عليم. والحديث القدسي يقول: " يا عبادي، لو أن أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ".

إذن فخزائن الله ملأى لا تنفد، وسعة الحق مطلقة.

ولهذا نحن أيضاً نجد أن الحب في الله يزداد دائماً، فساعة نشاهد اثنين يتحابان في الله، فحبهما يزداد كل يوم؛ لأنه الحب في الله. أما إن كان الحب لأمر محدود فذلك الحب ينتهي ويترك كل منهما الاخر بانتهاء السبب لذلك الحب.

ولنأخذ قضية واضحة أمامنا: من كان يحب في الله فالحب لغير المحدود لا حدود له. ومن كان يحب في غير الله، فالحب هنا لمحدود ويرتبط طردا وعكسا بمدى الإثراء من هذا المحدود. ومن يحب لغرض من أغراض الدنيا يقيس ما يعطيه لمن يحب، فإن زاد ما يعطيه على ما يأخذه يحس بالخسارة. وعندما نتبادل الحب في الله فلا شيء ينقص عند الله أبداً؛ لأنه سبحانه يعطي الاثنين معاً اللذين يتحابان فيه. وسبحانه العليم أزلاً، وصاحب القدرة الذي يعطي كل إنسان المناط الذي يستحقه.

ويقول الحق من بعد ذلك: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ... ﴾

". (١)

"

ونلحظ أن الحق أوضح في الآية السابقة: إن الله هو المولى، وهنا تكون أنت أيها العبد المؤمن من الذين يتولاهم الله، تماماً مثل قوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾.

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٧١٦

وحين يكون الله في معونتك فهو يعطيك من قدرته غير المحدودة فكيف تتولى أنت الله؟ ويكون القول الحاسم في هذا الأمر هو قول الحق:﴿ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[محمد: ٧].

والحق في الآية التي نحن بصددها جاء بالمقابل لما جاء في الآية السابقة عليها فهو القائل من قبل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ﴾.

وفي هذه الآية يأتي بالمقابل. فيقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

هذه المقابلة توضح لنا كيف ينصر الله العبد، وكيف ينتصر العبدلله. ولم يقل سبحانه في وصف من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا: إنهم الغالبون فقط، ولكنه أورد هذه الغلبة في معنى عام فقال: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

وكلمة " حزب " معناها: جماعة التف بعضهم مع بعض على منهج يرون فيه الخير. ولا يمكن أن يجتمع قوم بقوة كل فرد فيهم بفكر كل فرد منهم إلا إذا كان هذا الأمر هو خير اجتمعوا عليه، إذن فحزب الله في أي وضع وفي أي تكوين ولأيَّةِ غايةٍ هو الحزب الغالب. وعلى المستوى الفردي نجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزّبه أمر قام إلى الصلاة ".

فما معنى حَزّبه هنا؟ معناه أمر أتعبه وأرهقه وفكر فيه كثيراً. وبذلك يعلمنا رسول الله ألا نقصر رؤيتنا على رأينا وحده، ولكن لنلجأ إلى الله. فنهزم الأمر الذي يحزبنا ولا نقدر عليه بأن نقيم مع الله حزباً بالصلاة.

إننا عندما نأخذ من سنة رسول الله المثل والقدوة نعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يحزبُه أمر يتعلق بدنياه وإنما أمر يتعلق بمنهج الله وبالدين؛ لذلك يذهب رسول الله إلى من يعطيه ويعطي أهل الإيمان كل الطاقة. إنّه يذهب إلى الصلاة. ويعلن أن أسبابه قد انتهت ولم يعد يقوى على تحمل هذا الأمر الذي حَزَبَهُ، ولأن الله لا يغلبه شيء؛ لذلك فسبحانه يرفع الهمَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويغلب كل أمر صعب. وإن حَزَبَنا هذا الأمر في نفوسنا فسنجد العجب.

إذن فحين تعز الأسباب على المؤمن في أمر ما ويكون قد أعطى كل جهده وما زال هذا الأمر يحزب المؤمن ويشتد عليه ويرهقه فعلى المؤمن أن يقوم إلى الصلاة، وييسر الحق هذا الأمر للمؤمن بالخير. والمؤمن عندما يحزبه أمر ما إنما يذهب بالصلاة إلى المسبب وهو الله، لكن على المسلم ألا يذهب إلى الله إلا بعد أن يستنفد كل الأسباب، فالأسباب إنما هي يد الله الممدودة، ولا يمكن للمؤمن أن يرفض يد الله ويطلب ذات الله، فإن انتهى الأخذ بالأسباب فليذهب إلى المسبب:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَءِلَاهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل: ٦٢].

وسبحانه الذي يجيب المضطر وهو الذي يكشف السوء وهو الذي جعل البشر خلفاء في الأرض، وسبحانه لا شريك له في ملكه، وهو القائل:﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل: ٦٥].

وإذا قال قائل: ولكني أدعو الله ولا يستجيب لي. ونقول: أنت لم تدع دعوة المضطر؛ لأنك لم تستنفد الأسباب. وعليك أن تستنفد الأسباب كلها. فإن استنفدت الأسباب فالحق يجيبك ما دمت مضطراً.

إذن فحزب الله عندما يَغلِب إنما يعطينا قضية مكونة من " إن المؤَكِّدة واسمها وخبرها " وهذه قضية قرآنية وهي تختلف عن القضية الكونية التي تصف واقع الحياة: ويقول الحق: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

وسبحانه يعلم ما يكون في كونه، ولن تختلف قضية القرآن عن قضية واقع الكون. وساعة تجد قوماً تجمعوا وفي صورتهم الرسمية الشكلية أنهم رجال الله، ولا يَغْلِبُون فعلينا أن نعرف أنهم خدعوا أنفسهم وخدعوا الناس بأنهم حزب الله وواقع الحال أنهم ليسوا كذلك؛ لأنه سبحانه قال:﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[الصافات: ١٧٣].

وهذه قضية قرآنية. ونأخذ الأمر دائماً بسؤال: هل غلبت أم لم تغلب؟ فإن كنت قد غلبت فإن جنديتك لله صدقة. وإن لم تكن فأنت تخدع نفسك بأنها جنديّة لله وهي ليست كذلك. " ولنا المثل الواضح من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان بين صحابته في موقعة أُحُد وأمر الرُّماة أن يقفوا موقفاً خاصاً، فلما وجد الرّمَاة استهلال نصر المؤمنين على الكافرين، وأن الذين يحاربون أسفلهم يأخذون الغنائم، ذهبوا هم أيضاً إلى الغنائم وخالفوا أمر الرسول حينما قال لهم: إذا رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمْنا القوم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ".

فلما خالفوا أمر رسول الله أَكانوا جُنوداً لله بحق؟ لا، بل اختلت جُنديتهم لله. ولم يمنع وجود رسول الله فيهم سُنَّة الله الإيمانية في كونه ألا تقع، ولو ظلوا مُنتصرين على الرغم من أنهم خالفوا الرسول لهان أمر رسول الله في نظرهم؛ لذلك أراد الحق أن يُوقع بهم ألم الهزيمة المؤقتة من أجل أن يتأدبوا، وحتى يَعضُّوا على أمر سيدهم وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّواجذ. وقد أورد الحق ذلك الأمر ورسول الله فيهم من أجل مصلحة الإسلام، فلو نصرهم على الرغم من مخالفتهم لرسول الله لجرأهم ذلك على أن يخالفوا.

ويقول الحق بعد ذلك: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً... ﴾ ".(١)

"

﴿ وَاخْفِضْ ﴾: الخفْض ضد الرّفْع.

﴿ جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾: الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويُرفْرِف به، إنْ أراد أن يطير، ويخفضه إنْ أراد أن يحنوَ على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم.

وهذه صورة مُحسَّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتعالياً على غيره.

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٧١٨

وكثيراً ما يُعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر. والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقّهم الغذاء يرى عجباً، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام وتكسيره، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أنْ يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة ثم يناولانهم غذاءهم جاهزاً يسهل بَلْعه، وإنْ تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراصون فرحة وسعادة.

إذن: قوله تعالى: ﴿ جَنَاحَ الذُّلِّ.. ﴾ [الإسراء: ٢٤]

كناية عن الخضوع والتواضع، والذُّل قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة، يقول تعالى:﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.. ﴾[المائدة: ٥٤]

فلو كان الذلّة هنا بمعنى القهر لقال: أذلة للمؤمنين، ولكن المعنى: عطوفين على المؤمنين. وفي المقابل﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.. ﴾[المائدة: ٥٤]

أي: أقوياء عليهم قاهرين لهم.

وفي آية أخرى يقول تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ.. ﴾[الفتح: ٢٩]

لأن الخالق سبحانه لم يخلق الإنسان رحيماً على الإطلاق ولا شديداً على الإطلاق، بل خلق في المؤمن مرونة تمكّنه أن يتكيف تبعاً للمواقف التي يمر بها، فإنْ كان على الكافر كان عزيزاً، وإنْ كان على المؤمن كان ذليلاً متواضعاً.

ونرى وضوحَ هذه القضية في سيرة الصِّدّيق أبي بكر والفاروق عمر رضي الله عنهما، وقد عُرِف عن الصِّديق اللين ورقَّة القلب والرحمة، وعُرِف عن عمر الشدة في الحق والشجاعة والقوة، فكان عمر كثيراً ما يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تصادم بأحد المعاندين: " إئذن لي يا رسول الله أضرب عنقه ".

وعندما حدثت حروب الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان لكل منهما موقف مغاير لطبيعته، فكان مِنْ رأي عمر ألاّ يحاربهم في هذه الفترة الحرجة من عمر الدعوة، في حين رأى الصديق محاربتهم والأخْذ على أيديهم بشدة حتى يعودوا إلى ساحة الإسلام، ويُذعنوا لأمر الله تعالى فقال: " والله، لو منعوني عقالاً كانوا يُؤدُّونه لرسول الله لجالدتهم عليه بالسيف، والله لو لم يَبْق إلا الزرع ".

وقد جاء هذا الموقف من الصِّدّيق والفاروق لحكمة عالية، فلو قال عمر مقالة أبي بكر لكان شيئاً طبيعياً يُنْسب إلى شدة عمر وجرأته، لكنه أتى من صاحب القلب الرحيم الصِّدّيق - رضي الله عنه - ليعرف الجميع أن الأمر ليسد للشدة لذاتها، ولكن للحفاظ على الدين والدفاع عنه.

وكأن الموقف هو الذي صنع أبا بكر، وتطلب منه هذه الشدة التي تغلبت على طابع اللين السائد في أخلاقه.

فيقول تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ.. ﴾ [الإسراء: ٢٤]

إذن: الذلَّة هنا ذِلَّة تواضع ورحمة بالوالدين، ولكن رحمتك أنت لا تكفي، فعليك أن تطلب لهما الرحمة الكبرى من الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً.. ﴾ [الإسراء: ٢٤]

لأن رحمتك بهما لا تَفي بما قدّموه لك، ولا ترد لهما الجميل، وليس البادئ كالمكافئ، فهم أحسنوا إليك بداية وأنت أحسنتَ إليهما ردّاً؛ لذلك ادْعُ الله أنْ يرحمهما، وأنْ يتكفل سبحانه عنك برد الجميل، وأن يرحمهما رحمة تكافئ إحسانهما إليك.

وقوله تعالى: ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً.. ﴾ [الإسراء: ٢٤]

كما: قد تفيد التشبيه، فيكون المعنى: ارحمهما رحمة مثل رحمتهما بي حين ربياني صغيراً. أو تفيد التعليل: أي ارحمهما لأنهما ربياني صغيراً، كما قال تعالى:﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ.. ﴾[البقرة: ١٩٨]

و ﴿ رَبَّيَانِي ﴾ هذه الكلمة أدخلت كل مُربٍّ للإنسان في هذا الحكم، وإنْ لم يكُنْ من الوالدين، لأن الولد قد يُربّيه غير والديه لأيّ ظرف من الظروف، والحكم يدور مع العلة وجوداً وعَدماً، فإنْ ربّاك غير والديك فلهما ما للوالدين من البرِّ والإحسان وحُسْن المعاملة والدعاء.

وهذه بشرى لمن رَبَّى غير ولده، ولاسيما إنْ كان المربَّى يتيماً، أو في حكم اليتيم.

وفي: ﴿ رَبَّيَانِي صَغِيراً.. ﴾ [الإسراء: ٢٤] اعتراف من الابن بما للوالدين من فضل عليه وجميل يستحق الرد.

وبعد ذلك يأتي الحق سبحانه في تذييل هذا الحكم بقضية تشترك فيها معاملة الابن لأبويه مع معاملته لربه عز وجل، فيقول تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾.

(١) ".

"سورة المائدة سورة المائدة وتسمى كذلك سورة العقود. والتسمية الأخيرة أدل على موضوع السورة الواسع! أما الأولى فهى تشير إلى اقتراح الحواريين على عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها ويستبشرون بها. وهو اقتراح مثير للدهشة، ولكن الله سبحانه قبله تأييدا لنبيه وتصديقا لرسالته..! وقصة المائدة لا تستغرق من السورة سوى أربع آيات أما قضايا العقود فتشمل أغلب السورة... وقد لوحظت فى السورة المباركة كثرة النداءات، فهناك أولا ستة عشر نداء للذين آمنوا . ١- يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود... ٢- يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ٣- يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ٤- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ٥- يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ٦- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ٧- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. ٨- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه...**. ٩- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء. ١٠- يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم. ١١- يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس. ص ـــ٠٧٢

١٢- يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد.

ص – يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم..

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٢٠٣٧

١٤- يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم.

١٥- يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم.

١٦- يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية...

وهناك نداءان للنبي خاصة بوصف الرسالة

١- يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر.

٢- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...

وهناك خمسة نداءات لأهل الكتاب بعضها مباشر مثل." (١)

" صفحة رقم ٤٨٢

بين جماعة خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم ، بين أنه أدق من ذلك وأنه على الحقيقة منعهم خوفهم من غائلته وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقالك) في أنفسهم) أي من تجويز محو هذا الدين وإظهار غيره عليه) نادمين) أي ثابت لهم غاية الندم في الصباح وغيره) ويقول الذين آمنوا (من رفعه عطفه على معنى) نادمين (فإن أصله : يندمون ، ولكنه عبر بالاسم إعلاما بدوام ندمهم بشارة بدوام الظهور لهذا الدين على كل دين ، أو على) يقولون نخشى (، ومن أسقط الواو جعله حالا ، ومن نصبه جاز أن يعطفه على (يصبحوا) أي يكون ذلك سببا لتحقق المؤمنين أمر المنافقين بالمسارعة في أهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم والندم عند خذلانهم ومحقهم ، فيقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم به من التوفيق في الإخلاص مشيرين إلى المنافقين تنبيها وإنكارا : (أهؤلاء) أي الحقيرون) الذين أقسموا بالله) أي وهو الملك الأعظم) جهد أيمانهم) أي مبالغين في ذلك اجتراء على عظمته) إنهم لمعكم (أيها المؤمنون ويجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود في حق المنافقين حيث قاسموهم على النصرة ؛ ثم ابتدأ جوابا من بقية كلام المؤمنين أو من كلام الله لمن كأنه قال : فماذا يكون حالهم ؟ فقال : (حبطت) أي فسدت فسقطت) أعمالهم فأصبحوا) أي فتسبب عن ذلك أنهم صاروا) خاسرين) أي دائمي الخسارة بتعبهم في الدنيا بالأعمال وخيبة الآمال ، وجنايتهم في الآخرة الوبال ، وعبر بالإصباح لأنه لا أقبح من مصابحة السوء لما في ذلك من البغة بخلاف ما ينتظر ويؤمل .

المائدة : (٥٤ - ٥٨) يا أيها الذين. .. . .

) يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أوليآء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (( )

ولما نهى عن موالاتهم وأخبر أن فاعلها منهم .

---

(١) نحو تفسير موضوعي، ٦٦/١

نفى المجاز مصرحا بالمقصود فقال مظهرا لنتيجة ما سبق : (ياأيها الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان من يوالهم منكم – هكذا كان الأصل ، ولكنه صرح بأن ذلك ترك الدين فقال : (من يرتد (ولو على وجه خفي – بما أشار إليه الإدغام في قراءة من سوى المدنيين وابن عامر) منكم عن دينه (." (١)

" صفحة رقم ١٨٥

سلوكها ، فما دافعوكم عن دخول عليهم إلا بالراح ، وسألوكم في وضع الحرب للدعة والإصلاح ، فقد ظهرت أعلام الفتح أتم ظهور ، وعلم أرباب القلوب أنه لا بد أن تكون في امتطائكم الذرى وسموكم إلى رتب المعالي وأي أمور ، وروى الإمام أحمد عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه قال : شهدنا الحديبية مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ن فلما انصرفنا منها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال : فخرجنا نوجف ، فوجدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) واقفا على راحلته عند كراع الغميم ، فلما اجتمع عليه الناس قرأ) إنا فتحنا لك فتحا مبينا (فقال عمر رضي الله عنه : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : (نعم ، والذي نفسي بيده) . وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات – وقد يغمض بعها – منها أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى) فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب (الآية ، وأشعروا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله رإن تنصروا الله ينصركم (استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حالة العاقبة فعرفوا ذلك في هذه السورة فقال تعالى) إنا فتحنا لك فتحا مبينا (– الآيات ، فعرف تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بعظيم صنعه له ، وأتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين (– الآيات ، والتحمت إلى التعريف بحال مننكث من مبايعته (صلى الله عليه وسلم) ، وحكم المخلفين من الأعراب ، والحض على الجهاد ، وبيان حال ذوي الأعذار ، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيعته) لقد رضي الله عن المؤمنين (وأثابهم الفتح وأخذ المغانم وبشارتهم بفتح مكة) لتدخلن المسجد الحرام (إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم وذكرهم في التوراة والإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ، ووجه آخر وهو أنه لما قال الله تعالى في آخر سورة القتال) فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم (كان هذا إجمالا في عظيم ما منحهم وجليل ما أعطاهم ، فتضمنت سورة محمد تفسير هذا الإجمال وبسطه ، وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم تعتمده في هذا التعليق ، وهو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول ، ووجه آخر مما يغمض وهو أن قوله تعالى) وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (إشارة إلى من يدخل في ملة الإسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب ، وقد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى
٧٧ ( ) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ( ) ٧
[المائدة : ٥٤] وأشار إلى ذلك عليه الصلاة." (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٨٢/٢

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٨٥/٧

" صفحة رقم ٢١٥

صورته ، وكررت في الاسم بعده التأكيد ، وهو ثلاث – كما أشار إليه اسمه : أحمد إلى أنه مع كونه خاتما فهو فاتح بما أشار إليه قوله (صلى الله عليه وسلم) "كنت أولهم خلقا وآخرهم بعثا " واختصت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصريح المبشر به عليه الصلاة والسلام بالبعدية في قولهع) برسول يأتي من بعدي اسمع أحمد) [الصف : ٦] وأشارت الميم أوله أيضا إلى بعثه عن د الأربعين ، وما بقي من حروفه وهي حمد يفيد له كمال الحمد بالفعل في السنة الثانية والخمسين من عمره وهي الثانية عشرة من نبوته ببيعة الأنصار رضي الله عنهم ، وقد أشارت هذه السورة إلى كلمة الإخلاص تلويحا مما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحا وبطنت سطوة الإلهية وظهرت الرحمة المحمدية – كما أشارت القتال إلى الرسالة تلويحا وصرحت بسطوة الإلهية بكلمة الإخلاص والناشئة عن القتال تصريحا ، وقد تقدم في القتال نبذة من أسرار الكلمتين ، ولما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى : (والذين معه) أي بمعية الصحبة من أصحابه وحسن التيعية من التابعين لهم بإحسان. ولما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشمله فقال تعالى : (أشداء على الكفار (فهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالأسد على فريسته ، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم) رحماء بينهم (كالوالد مع الولد ، لأن الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين ، ولا مؤمن في زمانهم إلا من كان من أهل دينهم ، فهو **يحبهم ويحبونه** بشهادة آية المائدة .

ولما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجبا ، بين الحامل عليه بقوله : (تراهم) أي أيها الناظر لهم) ركعا سجدا) أي دائمي الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة آمرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص وضير .

ولما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : (يبتغون) أي يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم) فضلا) أي زيادة من الخير) من الله) أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال والجمال الذي أعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله والرقة على أوليائه بما أعطاهم من رحمته التي هيأهم بها للإحسان إلى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لا يرون سيدا غيره ، ولا محسن سواه ، ولما ذكر عبادتهم وطلبهم الزيادة منها ومن غيرها من فضل الله الذي لا يوصل إلى عبادته إلا بمعونته ، أتبعه المطلوب الأولى فقال : (ورضواناً) أي رضاء منه عظيما .." (١)

"وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات – وقد يغمض بعها – منها أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ الآية ، وأشعروا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله رإن تنصروا الله ينصركم﴾ استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حالة العاقبة فعرفوا ذلك في هذه السورة فقال تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ – الآيات ، فعرف تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعظيم صنعه له ، وأتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ – الآيات ، والتحمت إلى التعريف بحال منتكث من مبايعته صلى الله عليه وسلم ، وحكم المخلفين من الأعراب ، والحض على الجهاد ، وبيان حال ذوي الأعذار

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/٢١٥

، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيعته ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ وأثابهم الفتح وأخذ المغانم وبشارتهم بفتح مكة ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم وذكرهم في التوراة والإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ، ووجه آخر وهو أنه لما قال الله تعالى في آخر سورة القتال ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ كان هذا إجمالا في عظيم ما منحهم وجليل ما أعطاهم ، فتضمنت سورة محمد تفسير هذا الإجمال وبسطه ، وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم تعتمده في هذا التعليق ، وهو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول ، ووجه آخر مما يغمض وهو أن قوله تعالى ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ إشارة إلى من يدخل في ملة الإسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب ، وقد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٣

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة : ٥٤] وأشار إلى ذلك عليه الصلاة والسلام :

١٨٥

(١) ".

"صورته ، وكررت في الاسم بعده غاية التأكيد ، وهو ثلاث - كما أشار إليه اسمه : أحمد - إلى أنه مع كونه خاتما فهو فاتح بما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم "كنت أولهم خلقا وآخرهم بعثا " واختصت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصريح المبشر به عليه الصلاة والسلام بالبعدية في قوله ﴿ برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف : ٦] وأشارت الميم أوله أيضا إلى بعثه عند الأربعين ، وما بقي من حروفه وهي حمد يفيد له كمال الحمد بالفعل في السنة الثانية والخمسين من عمره وهي الثانية عشرة من نبوته ببيعة الأنصار رضي الله عنهم ، وقد أشارت هذه السورة إلى كلمة الإخلاص تلويحا مما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحا وبطنت سطوة الإلهية وظهرت الرحمة المحمدية - كما أشارت القتال إلى الرسالة تلويحا وصرحت بسطوة الإلهية بكلمة الإخلاص والناشئة عن القتال تصريحا ، وقد تقدم في القتال نبذة من أسرار الكلمتين .

ولما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى : ﴿ والذين معه ﴾ أي بمعية الصحبة من أصحابه وحسن التبعية من التابعين لهم بإحسان : ولما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشمله فقال تعالى : ﴿ أشداء على الكفار ﴾ فهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالأسد على فريسته ، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿ رحماء بينهم ﴾ كالوالد مع الولد ، لأن الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين ، ولا مؤمن في زمانهم إلا من كان من أهل دينهم ، فهو **يحبهم ويحبونه** بشهادة آية المائدة .

ولما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجبا ، بين الحامل عليه بقوله : ﴿ تراهم ﴾ أي أيها الناظر لهم ﴿ ركعا سجدا ﴾ أي دائمي الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة آمرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص وضير .

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٧/٢٨٠

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢١٣

". (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢١٥

تعالى : فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا [التوبة / ١٠٨] ، وليس كذلك ، فإنّ المحبّة أبلغ من الإرادة كما تقدّم آنفا ، فكلّ محبّة إرادة ، وليس كلّ إرادة محبّة ، وقوله عزّ وجلّ : إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ [التوبة / ٢٣] ، أي : إن آثروه عليه ، وحقيقة الاستحباب : أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبّه ، واقتضى تعديته ب (على) معنى الإيثار ، وعلى هذا قوله تعالى : وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى [فصلت / ١٧] ، وقوله تعالى :

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** [المائدة / ٥٤] ، فمحبّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه ، ومحبّة العبد له طلب الزّلفى لديه.

وقوله تعالى : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي

[ص / ٣٢] ، فمعناه : أحببت الخيل حبّي للخير ، وقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

[البقرة / ٢٢٢] ، أي : يثيبهم وينعم عليهم ، وقال : لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ [البقرة / ٢٧٦] ، وقوله تعالى :

وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ [الحديد / ٢٣] ، تنبيها أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك ، وإذا لم يتب لم يحبّه الله المحبّة التي وعد بها التوابين والمتطهرين.

وحَبَّبَ الله إليّ كذا ، قال الله تعالى : وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ [الحجرات / ٧] ، وأحبّ البعير : إذا حرن ولزم مكانه ، كأنه أحبّ المكان الذي وقف فيه ، وحبابك أن تفعل كذا «١» ، أي :

غاية محبّتك ذلك.

حبر

الحِبْرُ : الأثر المستحسن ، ومنه ما روي :

«يخرج من النّار رجل قد ذهب حبره وسبره» «٢» أي : جماله وبهاؤه ، ومنه سمّي الحبر ، وشاعر مُحَبِّر ، وشعر مُحَبَّر ، وثوب حَبِير : محسّن ، ومنه : أرض مِحْبَار «٣» ، والحبير من السحاب ، وحَبِرَ «٤» فلان :

بقي بجلده أثر من قرح ، والحَبْر : العالم وجمعه : أَحْبَار ، لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ، ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها ، قال تعالى : اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ [التوبة / ٣١] ، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله :

(العلماء باقون ما بقي الدّهر ، أعيانهم مفقودة ، وآثارهم في القلوب موجودة) «٥». وقوله

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، ٣٢٩/٧

(١) انظر : مجمل اللغة ١ / ٢٢٠.

(٢) الحديث أخرجه أبو عبيد في غريبه ١ / ٨٥ ، والفائق ١ / ٢٢٩ ، والنهاية ١ / ٣٢٧.

(٣) أي : سريعة النبات.

(٤) انظر : المجمل ١ / ٢٦١ ، والأفعال ١ / ٣٩٥.

(٥) راجع : جامع بيان العلم وفضله ١ / ٥٧ ، ونهج البلاغة ص ٦٩٢.." (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٨٦٠

]

الأنفال / ١٢] فذلك وحي إليهم بوساطة اللّوح والقلم فيما قيل ، وقوله : وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصلت / ١٢] فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط فالموحى إليهم محذوف ذكره ، كأنه قال : أوحى إلى الملائكة ، لأنّ أهل السّماء هم الملائكة ، ويكون كقوله : إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ [الأنفال / ١٢] وإن كان الموحى إليه هي السموات فذلك تسخير عند من يجعل السماء غير حيّ ، ونطق عند من جعله حيّا ، وقوله : بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها [الزلزلة / ٥] ، فقريب من الأوّل وقوله : وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه / ١١٤] فحثّ على التّثبّت في السّماع ، وعلى ترك الاستعجال في تلقّيه وتلقّنه.

ودد

الودّ : محبّة الشيء ، وتمنّي كونه ، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ ، وقوله تعالى : وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

[الروم / ٢١] ، وقوله : سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا

[مريم / ٩٦] ، فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله : لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ الآية [الأنفال / ٦٣]. وفي المودّة التي تقتضي المحبّة المجرّدة في قوله : قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى [الشورى / ٢٣] ، وقوله :

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ

[البروج / ١٤] ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ [هود / ٩٠] ، فالودود يتضمّن ما دخل في قوله : فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة / ٥٤] وتقدّم معنى محبّة الله لعباده ومحبّة العباد له «١» ، قال بعضهم : مودّة الله لعباده هي مراعاته لهم. روي : (أنّ الله تعالى قال لموسى : أنا لا أغفل عن الصّغير لصغره ولا عن الكبير لكبره ، وأنا الودود الشّكور) «٢».

فيصح أن يكون معنى : سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا

[مريم / ٩٦] معنى قوله : فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة / ٥٤].

ومن المودّة الّتي تقتضي معنى التّمنّي : وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ

---

(١) مفردات القرآن - للراغب - نسخة محققة، ص/٢١٥

[آل عمران / ٦٩] وقال : رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ

[الحجر / ٢] ، وقال : وَدُّوا ما عَنِتُّمْ

[آل عمران / ١١٨] ، وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ [البقرة / ١٠٩] ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ

[الأنفال / ٧] ، وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا [النساء / ٨٩] ، يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ

[المعارج / ١١] ،

---

(١) راجع مادة (حبّ). [.....]

(٢) لم أجده.." (١)

"ج ١ ، ص : ٣١٣

وقوله : وأن احكم بينهم ... (٤٩)

دليل على أن قوله (وليحكم) جزم. لأنه كلام معطوف بعضه على بعض.

وقوله : ويقول الذين آمنوا ... (٥٣)

مستأنفة فى رفع. ولو نصبت «١» على الرد على قوله (فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده) «٢» كان صوابا.

وهى فى مصاحف أهل المدينة (يقول «٣» الذين آمنوا) بغير واو.

وقوله : **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين ... (٥٤)

خفض ، تجعلها لعتا (لقوم) ولو نصبت على القطع «٤» من أسمائهم فى (**يحبهم ويحبونه**) كان وجها. وفى قراءة عبد الله (أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين) أذلة : أي رحماء بهم.

وقوله : والكفار أولياء ... (٥٧)

وهى «٥» فى قراءة أبى (ومن الكفار) ، ومن نصبها ردها على (الذين اتخذوا).

وقوله : وأن أكثركم فاسقون ... (٥٩)

(أن) فى موضع نصب على قوله (هل تنقمون منا) إلا إيماننا وفسقكم. (أن) فى موضع مصدر ، ولو استأنفت (وإن أكثركم فاسقون) فكسرت «٦» لكان صوابا.

---

(١) والنصب قراءة أبى عمرو ويعقوب.

(٢) فى الآية السابقة ٥٢.

(٣) وقد قرأ بذلك ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر كما فى الإتحاف.

(٤) يريد بذلك النصب على الحال. وقد صرح بذلك القرطبي ، ويريد بأسمائهم الضمير فى الفعلين.

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٨٦٠

(٥) يريد أن «الكفار» مجرور بالعطف على «الذين أوتوا الكتاب» المجرور بمن. ويذكر أن هذه القراءة يؤيدها قراءة أبى إذ صرح بالجار. والجر على العطف قراءة أبى عمرو والكسائى ويعقوب. والنصب قراءة الباقين.

(٦) ثبت فى ج وسقط فى ش.." (١)

"- ومحبة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ [الصف/١٣].

- ومحبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم.

وربما فسرت المحبة بالإرادة في نحو قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ [التوبة/١٠٨]، ليس كذلك؛ فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم آنفا، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة، وقوله عز وجل: ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ [التوبة/٢٣]، أي: إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب: أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه، واقتضى تعديته ب (على) معنى الإيثار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت/١٧]، وقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة/٥٤]، فمحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليهن ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

وقوله تعالى: ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ [ص/٣٢]، فمعناه: أحببت الخيل حبي للخير، وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة/٢٢٢]، أي: يثيبهم وينعم عليهم، وقال: ﴿لا يحب كل كفار أثيم﴾ [البقرة/٢٧٦]، وقوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختل فخور﴾ [الحديد/٢٣]، تنبيها أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك، وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين والمتطهرين.

وحبب الله إلي كذا، قال الله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ [الحجرات/٧]، وأحب البعير: إذا حرن ولزم مكانه، كأنه أحب المكان الذي وقف فيه، وحبابك أن تفعل كذا (انظر: مجمل اللغة ٢٢٠/١)، أي: غاية محبتك ذلك.

حبر

". (٢)

"- الود: محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، وقوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم/٢١]، وقوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم/٩٦]، فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفه المذكورة في قوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت﴾ الآية [الأنفال/٦٣]. وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى/٢٣]، وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج/١٤]، ﴿إن ربي رحيم ودود﴾ [هود/٩٠]، فالودود يتضمن ما دخل في قوله:

---

(١) معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، ٣١٣/١

(٢) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ٢٠٦/١

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة/٥٤] وتقدم معنى محبة الله لعباده ومحبة العباد له (راجع مادة (حب))، قال بعضهم: مودة الله لعباده هي مراعاته لهم. روي: (أن الله تعالى قال لموسى: أنا لا أغفل عن الصغير لصغره ولا عن الكبير لكبره، وأنا الودود الشكور) (لم أجده). فيصح أن يكون معنى: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم/٩٦] معنى قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة/٥٤]. ومن المودة التي تقتضي معنى التمني: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾ [آل عمران/٦٩] وقال: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر/٢]، وقال: ﴿ودوا ما عنتم﴾ [آل عمران/١١٨]، ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ [البقرة/١٠٩]، ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ [الأنفال/٧]، ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا﴾ [النساء/٨٩]، ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه﴾ [المعارج/١١]، وقوله: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة/٢٢] فنهي عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم، كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ إلى قوله: ﴿بالمودة﴾ [الممتحنة/١] (الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة﴾) أي: بأسباب المحبة من النصيحة ونحوها." (١)

" نادمين ١٠٧ ثم قال جل وعز ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أي أهؤلاء الذين اجتهدوا في الأيمان أنهم لا يوالون المشركين ثم قال تعالى حبطت أعمالهم وهذا مثل قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ١٠٨ وقوله جل وعز يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** في معنى هذا قولان قال الحسن هو والله أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه ." (٢)

" حدثنا أبو جعفر قال نا الحسن بن عمر بن أبي الاحوص الكوفي قال نا أحمد بن يونس السري يعني ابن يحيي قال قرأ الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** حتى قرأ الآية فقال الحسن فولاها الله والله أبا بكر وأصحابه وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الاشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أوما النبي صلى الله عليه و سلم الى أبي موسى الاشعري رحمه الله فقال هم قوم هذا ١٠٩ ثم قال جل وعز أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين قال أبو جعفر سمعت أبا اسحاق وسئل عن معنى هذا فقال ليس يريد أذلة من الهوان وانما يريد أن جانبهم لين للمؤمنين وخشن على الكافرين ١١٠ ثم قال جل وعز ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي ذلك اللين للمؤمنين والتشديد على الكافرين تفضل ." (٣)

"(١٧٣)...ورد في هذا تأويلان عن السلف :

...الأول : يبدئ الخلق ويعيده ، وهو قول الضحاك من طريق عبيد ، وقول ابن زيد .

...والثاني : يبدئ العذاب في الدنيا ويعيده يوم القيامة ، وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، ورجحه ابن جرير ، فقال : "وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، وهو

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ٢/٤٩٩

(٢) معاني القرآن، ٢/٣٢٣

(٣) معاني القرآن، ٢/٣٢٤

أنه يبدئ العذاب لأهل الكفر به ويعيد ، كما قال جل ثناؤه ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ في الدنيا ، فأبدأ لهم ذلك في الدنيا ، وهو يعيده لهم في الآخرة .

...وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب ؛ لأن الله اتبع ذلك قوله : ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ ، فكان للبيان عن معنى شدة بطشه الذي قد ذكره قبله ، أشبه به بالبيان علما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحاً وصحة ، قوله : ﴿وهو الغفور الودود﴾ ، فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدة عقابه" .

(١٧٤)... فسر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة بأنه الحبيب ، وسره ابن زيد بأنه الرحيم ، والرحمة من لازم المحبة .

...قال ابن القيم : "... الودد : المتودد إلى عباده بنعمه ، الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه . وهو الودود أيضاً ؛ أي : المحبوب ، قال البخاري في صحيحه : "الودود : الحبيب" .

...والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين ، على كونه واداً لأوليائه ، ومودوداً لهم ، فأحدهما بالوضع ، والآخر باللزوم . فهو الحبيب المحب لأوليائه **يحبهم ويحبونه** ، وقال شعيب : ﴿إني ربي رحيم ودود﴾ [هود : ٩] ، وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور ؛ فإن الرجل قد يغر لمن أساء إليه ولا يحبه ، وكذلك قد يرحم من لا يحب ، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ، ويرحمه ويحبه مع ذلك؛ فإنه يحب التوابين ، وإذا تاب إليه عبده أحبه ، ولو كان منه ما كان" . (التبيان في أقسام القرآن : ٥٩-٦٠) .

(١٧٥)...فسر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة : المجيد بالكريم .." (١)

"﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ ومن لم يكن اهلا لمحبة الله ازلا طردته العزة الى محبة الانداد وهى كل ما يحب سوى الله فمن وكل الى المحبة النفسانية تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الاصنام فكما ان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون الاولاد ويعبدونها فمحبة الاولاد والازواج والاموال تمنع عن محبة الله ومن احب الله يرى ما سواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن كان فى الازل اهلا لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لانها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والاعداء احبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والاحباء احبوا الله بمحبة باقية ربانية بل احبوه بجميع اجزائهم الفانية والباقية اللهم اوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين." (٢)

"﴿ قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغي ان يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات

قال جنيد البغدادى قدس سره مذهبنا هذا مقيد باصول الكتاب والسنة

قال على كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر رسول الله A

---

(١) تفسير جزءعم للشيخ مساعد الطيار، ص/١٣٥

(٢) تفسير حقي، ٣٦٧/١

كرت بايدكه بينى روى ايمان ... رخ ازآيينه امرش مكردان

زشرعش سرمپيج ازهيج روبى ... كه همجون شانه ميكردى بموبى

قال الشيخ السعدى قدس سره

خلاف بيمبر كسى ره كزيد ... كه هر كز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفت جز بربى مصطفا

ثم فى قوله تعالى ﴿ وخلق الانسان ضعيفا ﴾ اشارة الى ان الانسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها فانه **يحبهم ويحبونه** وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطراهم فى المحبة والانسان مخصوص بالمحبة

واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الانسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير لضعفه من حال الى حال ومن صفة الى اخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة اخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر ان يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر ان تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الانسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق باخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء فى الحديث الربانى « انا ملك حى لا اموت ابدا عبدا اطعنى اجعلك ملكا حيا لا يموت ابدا » فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية

كى شوى انسان كامل ... اى دل ناقص عقل." (١)

"والحرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل فى الحرم او فى الاحرام وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كأنه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها ﴿ ان الله يحكم ما يريد ﴾ من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات

والاشارة فى الآية ﴿ اوفوا بالعقود ﴾ التى جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد **يحبهم ويحبونه** ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عنه بذل وجوده ﴿ احلت لكم بهيمة الانعام ﴾ اى ذبح بهيمة النفس التى هى كالانعام فى طلب المرام ﴿ الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ﴾ يعنى الا النفس المطمئنة اذا تليت عليها ارجعى الى ربك فانها تنفرت من الدنيا وما فيها فانها كالصيد فى الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال باحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب ومحبوب ﴿ ان الله يحكم ﴾ بذبح النفس اذا كانت موصوفة

(١) تفسير حقي، ٤٤٧/٢

بصفة البهيمة ترفع فى مراتع الحيوان السفلية بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع الى حضرة الربوبية عند اطمئنانها مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ﴿ ما يريد ﴾ كما يريد كذا فى التأويلات النجمية." (١)

"﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وقال تعالى خطابا لهم اذ لم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم ﴿ فاذكرونى اذكركم ﴾ على ان ذكره اياهم كان قبل وجودهم وذكرهم اياه حين ذكرهم المحبة وقال ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ كذا فى التأويلات النجمية." (٢)

"﴿ قل ﴾ اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها ﴿ ان صلاتى ﴾ يعنى الصلوات الخمس المفروضة ﴿ ونسكى ﴾ اى عبادتى كلها . واصل النسك كل ما تقربت به الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك . ويقال اراد بالصلاة صلاة العبد وبالنسك الاضحية وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله انه قرب كبشا املح اقرن فقال (لا اله الا الله والله اكبر ان صلاتى ونسكى) الى قوله تعالى ﴿ وانا اول المسلمين ﴾ ثم ذبح فقال « شعره وصوفه فداء لشعرى من النار وجلده فداء لجلدى من النار ودمه فداء لدمى من النار ولحمه فداء للحمى من النار وعظمه فداء لعظمى من النار وعروقه فداء لعروقى من النار » فقالوا يا رسول الله هنيئا مريئا هذا لك خاصة قال « بل لامتى عامة الى ان تقوم الساعة اخبرنى به جبريل عليه السلام عن ربى D » ﴿ ومحياى ومماتى ﴾ اى وما انا عليه فى حياتى واكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة فالتقدير ذا محياى وذا مماتى فجعل ما يأتى به فى حياته وعند موته ذا حياته وذا موته كقولك ذا انائك تريد الطعام فاضافته بادنى ملابسة ﴿ لله رب العالمين لا شريك له ﴾ اى خالصة له تعالى لا اشرك فيها غيره ﴿ وبذلك ﴾ الاخلاص ﴿ امرت ﴾ لا بشئ غيره ﴿ وانا اول المسلمين ﴾ لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته . وفيه بيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به يقتدى به عليه السلام من اسلم منهم

والاشارة ﴿ ان صلاتى ونسكى ﴾ اى سيرى على منهاج الصلاة هو معراجى الى الله تعالى وذبيحة نفسى ﴿ ومحياى ﴾ حياة قلبى وروحى ﴿ ومماتى ﴾ اى موت نفسى ﴿ لله رب العالمين ﴾ لطلق الحق والوصول اليه ﴿ لا شريك له ﴾ فى الطلب من مطلوب سواه ﴿ وبذلك امرت ﴾ اى ليس هذا الطلب والقصد الى الله من نظرى وعقلى وطبعى انما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته اذ اوحى الى وقال ﴿ وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وقال ﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾ ﴿ وانا اول المسلمين ﴾ يعنى اول من استسلم عند الايجاد لامركن وعند قبول فيض المحبة لقوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ والاستسلام للمحبة فى قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام « اول ما خلق الله نورى » كذا فى التأويلات النجمية

وفى الآية حث على التوحيد والاخلاص وعلامتهما التبرى من كل شئ سواه تعالى ظاهرا وباطنا ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية

وعن مالك بن دينار قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام واذا شاب يمشى فى الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد

---

(١) تفسير حقي، ١٧٥/٣

(٢) تفسير حقي، ٢١٥/٣

على السلام فقلت ايها الشاب من اين قال من عنده قلت والى اين قال اليه قلت واين الزاد قال عليه قلت ان الطريق لا يقطع الا بالماء والزاد وهل معك شئ قال نعم تزودت عند خروجى بخمسة احرف قلت وما هذه الخمسة الاحرف قال قوله تعالى." (١)

"﴿ واستغفروا ربكم ﴾ بالايمان ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ مما انتم عليه من المعاصى وعبادة الاوثان لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان او استغفروا بالايمان ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا بالاعمال الصالحة وتوبوا بالفناء التام

قال فى التأويلات النجمية واستغفروا من صفات الكفر ومعاملاته كلها وبدلوها بصفات الاسلام ومعاملاته فانها تزكية النفوس عن الصفات الذميمة ثم ارجعوا اليه على قدمى الشريعة والطريقة سائرين منكم اليه ليحليكم تحلية الحقيقة وهى الفناء عنكم والبقاء به ﴿ ان ربى رحيم ﴾ عظيم الرحمة للمؤمنين والتائبين ﴿ ودود ﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان كما يفعل البليغ المودة بمن يوده

قال فى المفاتيح الودود مبالغة الواد ومعناه الذى يحب الخير لجميع الخلائق ويحسن اليهم فى الاحوال كلها . وقيل المحب لاوليائه وحاصله يرجع الى ارادة مخصوصة وحظ العبد منه ان يريد للخلق ما يريد لنفسه ويحسن اليهم حسب قدرته ووسعته ويحب الصالحين من عباده واعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم اريد ان اكون جسرا على النار يعبر عليه الخلق ولا يتأذون بها كما فى المقصد الاسنى للغزالى

قال الكاشفى فى تفسيره [قطب الابرار مولانا يعقوب جرخى قدس سره در شرح اسماء الله تعالى معنى الودودرا برين وجه آورده است كه دوست دارنده نيكى بهمه خلق ودوست دردهاى بحق يعنى اونيك را دوست ميدارد ونيكان اورا دوست ميدارند وفى الحقيقة دوستى ايشان فرع دوستى اوست زيراكه جون بنظر تحقيق درنكر نداصل حسن واحسان كه سبب محبت مى باشد غيراورا ثابت نيست بسرخود خودرا دوست ميداردوازين باب نكتة جنددرآيت ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ برمنظر عيان جلوه نمود وللوالد الاعز زيدت حقائقه

اى حسن توداده يوسفانرا خوبى ... وز عشق توكرده عاشقان يعقوبى

كرنيك نظر كندكسى غير تونيست ... در مرتبة محبى ومحبوبى

واعلم ان الله تعالى لو لم يكن له ود لما هدى ولما فرح بتوبة عبده المؤمن كما قال A « لا لله افرح بتوبة عبد المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلمة معه راحلة عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتشتد عليه الحر والعطش قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فلا لله اشد فرحا بتوية العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » فمن اضاع راحلته فى برية الهوى بغلبة الغفلة فعليه الرجوع الى مكانه الاول اعنى الفطرة الاولى بالتسليم واموت الاختيارى حتى يجد ما اضاعه . وفى الحديث اشارة الى الطريق من البداية الى النهاية فبقوله عليه السلام ليموت لان الفناء غاية السير الى اله ثم ان قوله فاستيقظ فاذا راحلته عنده اشارة الى البقاء بعد الفناء والرجوع الى البشرية

---

(١) تفسير حقي، ٤/٩٢

ثم اعلم ان التوبة على مراتب اعلاها الرجوع عن جميع ما سوى الله تعالى الى الله سبحانه وهذا المقام يقتضى نسيان المعصية والتوبة عن التوبة فان وقت الصفاء يقتضى نسيان الجفاء وايضا اذا تجلى الحق للسالك ورأى كل شيء هالكا الا وجهه فنى الذوات كلها فما ظنك بالاعمال والله تعالى تواب يقبل التوبة الا ان يكون العبد كذوبا -يحكى- ان مالك ابن دينار مر بشابين يلهوان فوعظهما فقال احدهما انا اسد من الاسود فقال مالك سيأتيك اسد تكون عنده ثعلبا فمرض الشاب وعاده مالك فبكى الشاب وقال قد جاء الاسد الذى صرت عنده ثعلبا فقال مالك تب الى الله تعالى فانه تواب فنودى من زاوية البيت جربناه مرارا فوجدناه كذوبا : وفى المثنوى." (١)

"﴿ وجاءت سيارة ﴾ جماعة يسيرون من جهة مدين الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه

قال الكاشفى ﴿ روزجهارم مزده نجات بوى رسيد]

قال السمرقندى فى بحر العلوم كان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه انتهى فهذا يخالف قوله تعالى ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ فانه يقتضى كون الجب فى الامن والجادة والسير هو السير المعتاد ﴿ فارسلوا ﴾ اى الى الجب ﴿ واردهم ﴾ اى الذى يرد الماء اى يحضره ليستقى لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعى

قال فى القاموس مالك بن دعر بالدال المهملة ﴿ فادلى دلوه ﴾ الادلاء بالفارسية [فروهشتن دلو] اى ارسلها الى الجب ليملأها فاوحى الى يوسف بالتعلق بالحبل

اى يوسف آخر بهرتست اين دلو در جاه آمده ... [در معالم آورده كه ديوارهاى جاه برفراق يوسف بكريستند] وذلك لان للجمادات حياة حقانية لا يعرفها الا العلماء بالله فلها انس الذكر والتوحيد والتسبيح ومجاورة اهل الحق وقد صح ان الجوع الذى كان يعتمد عليه رسول الله صلةى الله عليه وسلم حين الموعظة للناس ان انين بنى آدم لما فارقه رسول الله وذلك بعد ان عمل له المنبر : قال فى المثنوى

استن حنانه از هجر رسول ... ناله مى زد همجو ارباب عقول

كفت بيغمبر جه خواهى اى ستون ... كفت جانم ازفراقت كشت خون

فلما خرج يوسف اذا هو بغلام احسن ما يكون وقد اعطى شطر الحسن فلما رآه مالك ﴿ قال ﴾ مبشرا نفسه واصحابه ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾ [اى مزده وشادمانى] كأنه نادى البشرى وقال تعالى وهدا اوانك حيث فاز بنعمة نادرة وأى نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه كما قال الكاشفى [اورا آوزداد وزكفت اين بسريست كه دلورا كران ساخته بس بمدد كارئ او يوسف را ازجاه برآورده]

جون آن ماه جهان أرا برآمد ... زجانش بانك يا بسرى برآمد

بشارت كز جنين تاريك جاهى ... برآمد بس جهان افروز ماهى

وذلك لان ماء الحياة لا يوجد الا فى الظلمات كما ان العلم الالهى انما يوجد فى ظلمات ها القلب والقالب

(١) تفسير حقي، ٤٩١/٥

وفى التأويلات النجمية يشير الى ان القلب كماله بشارة من تعلق الجذبة وخلاصه من الجب فكذلك للجذبة بشارة فى تعلقها بالقلب وخلاصه من الجب وهى من اسرار ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ﴿ واسروه ﴾ اى اخفاء الوارد واصحابه عن بقية الرفقة لئلا يطلبوا بالشركة فيه ﴿ بضاعة ﴾ حال كونه بضاعة اى متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بصعت منه اى قطعت للتجارة ﴿ والله عليم بما لا يعلمون ﴾ لم يخف عليهم اسرارهم." (١)

"﴿ ان ربك هو يفصل ﴾ يقضى ﴿ بينهم ﴾ بين الانبياء واممهم المكذبين واممهم المكذبين او بين المؤمنين والمشركين ﴿ يوم القيمة ﴾ فيميز بين المحق والمبطل [وهريك را مناسب او جزا دهد] وكلمة هو للتخصيص والتأكيد وان ذلك الفصل يوم القيامة ليس الا اليه وحده لا يقدر عليه احد سواه ولا يفوض الى من عداه ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من امور الدين هنا اى فى الدنيا

قال بعض الكبار ان الله تبارك وتعالى يحكم بين عباده لوجوده . او لها لعزتهم لانهم عنده اعز من ان يجعل حكمهم الى احد من المخلوقين بل هو بفضله وكرمه يكون حاكما عليهم . وثانيها غيره عليهم لئلا يطلع على احوالهم احد غيره . وثالثها رحمة وكرما فانه ستار لا يفشى عيوبهم ويستر عن الاغيار ذنوبهم . ورابعها لانه كريم ومن سنة الكرام انهم اذا مروا باللغو مرواكراما . وخامسها فضلا وعدلا لانه الخالق الحكم الذى خلقهم وما يعملون على مقتضى حمكته ووفق مشيئته فان رأى منهم حسنا فذلك من نتائج احسانه وفضله وان رأى منهم قبحا فذلك من موجبات حكمته وعدله وانه ﴿ لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ﴾ الآية . وسادسها عناية وشفقة فانه تعالى خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فلا يجوز من كرمه ان يخسروا عليه . وسابعها رحمة ومحبة فانه تعالى بالمحبة خلقهم لقوله ﴿ فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لا عرف ﴾ وللمحبة خلقهم لقوله ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فينظر فى شأنهم بنظر المحبة والرضى

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... وثامنها لطفا وتكريما فانه نادى عليهم بقوله ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ فلا يهين من كرمه . وتاسقها عفوا وجودا فانه تعالى عفو يحب العفو فان رأى جريمة فى جريدة العبد يحب عفوها وانه جواد يحب ان يجود عليه بالمغفرة والرضوان . وعاشرها انه تعالى جعلهم خزائن اسراره فهو اعلم بحالهم واعرف بقدرهم فانه خمر طينتهمبيده اربعين صباحا وجعلهم مرآة يظهر بها جميع صفاته عليهم لا على غيرهم ولو كان الملائكة المقربين ألا ترى انه تعالى لما قال ﴿ انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ﴾ فما عرفوهم حق معرفتهم حتى قال تعالى فيهم عزة وكرامة ﴿ انى اعلم ما لا تعلمون ﴾ اى من فضائلهم وشمائلهم فانهم خزائن اسرارى ومرآة جمالى وجلالى فانتم تنظرون اليهم بنظرة الغيرة وانا انظر اليهم بنظر المحبة والرحمة فلا ترون منهم الا كل قبيح ولا أرى منهم الا كل جميل فلا ارضى ان اجعلكم حاكما بينهم بل بفضلى وكرمى انا افضل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فاحسن الى محسنهم واتجاوز عن مسيئهم فلا يكبر على اختلافهم لعلمى انهم لايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

---

(١) تفسير حقي، ٦/٦٤

فعلى العاقل ان يرفع الاختلاف من البين ولا يقع فى البين فان الله تعالى قد هدى بهداية القرآن الى طريق القربات ولكن ضل عن الاتفاق الاعضاء والقوى فى قطع العقبات اللهم ارحم انك انت الجواد الاكرم." (١)

"﴿ يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ﴾ بما هو اهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها . والذكر احضار الشئ فى القلب او فى القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة او ادامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة اذ ليس لهم نسيان اصلا وهم عند مذكورهم مطلقا ﴿ ذكرا كثيرا ﴾ فى جميع الاوقات ليلا ونهارا صيفا وشتاء وفى عموم الامكنة برا وبحرا سهلا وجبلا وفى كل الاحوال حضرا وسفرا صحة وسقما سرا وعلانية قياما وقعودا وعلى الجنوب وفى الطاعة بالاخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفى المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفى النعمة بالشكر وفى الشدة بالصبر فانه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول الا ان يكون المرء مغلوبا على عقله

واحوال الذاكرين متفاوتة يتفاوت اذكارهم

فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعة آثاره بعقله وبدون حضور مذكورة ومكاشفة اطواره بقلبه وبدون انس مذكوره ومشاهدة انواره بروحه وبدون فنائه فى مذكوره ومعاينه اسراره بسره

وهذا مردود مطلقا

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والانس والفناء المذكور وهو ذكر الابرار مقبول بالنسبة الى الاول

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله ولكن ليس له الحضور والانس والفناء فقط بدون الانس والفناء المذكور وهو ذكر اهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة الى ذكر الابرار وما تحته

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعا وهو ذكر ارباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الاكملين وهو مقبول مطلقا وللارشاد الى هذه الترقيات قال عليه السلام « ان هذه القلوب من ظلماتها واكدارها »

ثم قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال « تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره » فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان الى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها واكدارها

ثم ان ذكر الله وان كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها الا ان افضل الاذكار لا اله الا الله فالاشتغال به منفردا مع الجماعة محافظا على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره [سلمى كويد مراد ازذكر كثير ذكر دلست جه دوام ذكر بزبان ممكن نيست]

وقال بعضهم الامر بالذكر الكثير اشراة الى محبة الله تعالى يعنى احبوا الله لان النبى عليه السلام قال من احب شيأ اكثر من ذكره [نشان دوستى آنست كه نكذارك كه زبان ازذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند]

درهيج مكان نيم زفكرت خالى ... در هيج زمان نيم زذكرت غافل

فاوجب الله محبته بالاشارة فى الذكر الكثير وانما اوجبها بالاشارة دون العبارة الصريحة لان اهل المحبة هم الاحرار عن رق

---

(١) تفسير حقي، ٤٧٩/١٠

الكونين والحر تكفيه الاشارة وانما لم يصرح بوجوب المحبة لانها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال ﴿ فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ فعلى هذا بقوله ﴿ فاذكرونى اذكركم ﴾ يشير الى احبونى احببكم

بدريای محبت آشنا باش ... صدف سان معدن در صفا باش." (١)

"﴿ ثم ﴾ للترتيب والتأخير اى بعدما اوحينا اليك او بعد كتب الاولين كما دل ما قبله على كل منهما

وسئل الثورى على ماذا عطف بقوله ثم قال على ارادة الازل والامر المقضى اى بعد ما اردنا فى الازل ﴿ اورثنا الكتاب ﴾ اى ملكنا بعظمتنا ملكا تاما واعطينا هذا القرآن عطاء والا رجوع فيه

قال الراغب الوراثة انتقال قينة اليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد وسمى بذلك المنتقل عن الميت ويقال لكل من حصل له شئ من غير تعب قد ورث كذا انتهى

وسيأتى بيانه ﴿ الذين اصفينا من عبادنا ﴾ الموصول مع صلته مفعول ثان لا ورثنا . والاصطفاء فى الاصل تناول صفو الشئ بالفارسية [بركزيدن وعباد اينجا بموضع كرامت است اكرجه كه نسبت عبوديت آدمرا حقيقت است] كما فى كشف الاسرار والمعنى بالفارسية [آنا نراكه بركزيديم از بندكان ما « وهم الامة باسرهم » زيرا آن روز كه اين آيت آمد مصطفى عليه السلام سخت شاد شد وازشادة كه بوى رسيد سه بار بكفت] امتى ورب الكعبة والله تعالى اصطفاهم على سائر الامم كما اصطفى رسولهم على جميع الرسل وكتابهم على كل الكتب وهذا الايراث للمجموع لا يقتضى الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل يشمل من يحفظ منه جزأ ولو انه الفاتحة فان الصحابة رضى الله عنهم لم يكن واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع بانهم مصطفون كما فى المناسبات

قال الكاشفى [عطارا ميراث خواند جه ميراث مالى باشد كه بى تعب طلب بدست آيد هميجنين عطية قرآن بى جست وجوى مؤمنان بمحض عنايت ملك منان بديشان رسيد وبيكانكان را در ميراث دخل نيست دشمنان نيز وبهرهاى اهل قرآن متفاوتست هركس بقدر استحاق واندازة استعداد خود از حقائق قرآن بهره مند شوند]

زين بزم يكى جرعة طلب كرد يكى جام ... وفى التأويلات النجمية انما ذكر بلفظ الميراث يقتضى صحة النسب او صحة السبب على وجه مخصوص فمن لا سبب له ولا نسب له فلا ميراث له فالسبب ههنا طاعة العبد والنسب فضل الرب فاهل الطاعة هم اهل الجنة كما قال تعالى ﴿ اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ﴾ فهو ورثوا الجنة بسبب الطاعة واصل وراثتهم بالسببية المبايعة التى جرت بينهم وبين الله بقوله ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ﴾ فهؤلاء اطاعوا الله بانفسهم واموالهم فادخلهم الله الجنة جزاء بما كانوا يعملون واهل الفضل هم اهل الله وفضله معهم بان اورثهم المحبة والمعرفة والقربة كما قال ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ الآية

ولما كانت الوراثة بالسبب والنسب وكان السبب جنسا واحدا كالزوجة وهما صاحبا الفرض وكان النسب من جنسين الاصول كالآباء والامهات والفروع كل ما يتولد من الاصول كالاولاد والاخوة والاخوات واولادهم والاعمام واولادهم وهم صاحب فرض وعصبية فصار مجموع الورثة ثلاثة اصناف صنف صاحب الفرض بالسبب وصنف صاحب الفرض بالنسب وصنف

---

(١) تفسير حقي، ٧٠/١١

صاحب الباقى وهم العصبة كذلك الورثة ههنا ثلاثة اصناف كما قال تعالى ﴿ فمنهم ﴾ اى من الذين اصطفينا من عبادنا ﴿ ظالم لنفسه ﴾ فى العمل بالكتاب وهو المرجأ لامر الله الى الموقوف امره لامر الله اما يعذبه واما يتوب عليه وذلك لانه ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى." (١)

"﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ ودرعبوديت نيز آدميانرا فضل داد برفرشتكانكه عبوديت فرشتكان بضافت كفت ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ وعبوديت آدميان باضافت كفت ﴿ يا عبادى ﴾ آنكه برمقضتاى محبت فضل خود برايشان تمام كرد وعيبها ومعصيتهاى ايشان بانوار محبت بيوشيد وبرده ايشان ندريدنه بينى كه زلت برايشان قضا كرد وبآن همه زلات نام عبوديت ازايشان نيفكند وباذ كرزلت ومعصيت تشريف اضافت ازايشان باز نستد كفت ﴿ قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم ﴾ وآنكه برده ايشان نكاه داشت كه عين كناهان اظهار نكرد بلكه مجمل ياد كرد سربسته وعين آن بوشيده كفت ﴿ اسرفوا ﴾ اسراف كردند كزاف كردند ازبهر آنكه درارادت وى مغفرت ايشان بود نه بربده دريد نه اسم عبوديت بيفكد « سبحانه ما ارافه بعباده » موسى عليه السلام كفت « الهى تريد المعصية من العباد وتبغضها » كفت « يا موسى ذاك تأسيس لعفوى » يعنى معصيت بندكان بارادت تست آنكه آنرا دشمن ميدارى وبنده را بمعصيت دشمن ميكيرى حق جل جلاله كفت آن بنياد عفو وكرم خويش است كه مى نهم خزينه رحمت ما براست اكر عاصيان نباشند ضايع ماند

قال الكاشفى بيمارستان جرم وعصيانرا شربت راحت جز درين دار الشفا حاصل نشود وسركردانان بيابان نفس وهوارا زاد طريق نجات جز بمدد آن آيت ميسر نكردد]

ندارم هيج كونه توشه راه ... بجز لا تقنطوا من رحمة الله

توفرمودى كه نوميدى مياريد ... زمن لطف وعنايت جشم داريد

بدين معنى بسى اميد واريم ... ببخشا زانكه بس اميد داريم

اميد دردمندانرا دوا كن ... دل اميد وارنرا روا كن

وقال المولى الجامى قدس سره

بلى نبود درين ره ن اميدى ... سياهسرا بودرو در سفيدى

زصد دردى كراميدت نيابد ... بنوميدى جكر خوردن نشايد

درديكر ببايد زدكه ناكاه ... ازان درسوى مقصود آورى راه

قال عليه السلام « ما احب ان تكون لى الدنيا وما فيها بها » اى ما احب ان املك الدنيا وما فيها بدل هذه الآية فالباء فى بها للبدلية والمقابلة : وبالفارسية [دوست نمى دارم كه دنيا ومافيها مراباشد بعضو اين آيت جه ازدنيا وهرجه دردنيا باشد بهتراست] وذلك لان الله تعالى من على من اسرف من عباده ووعد لهم مغفرة ذنوبهم جميعا ونهاهم ان يقنطوا من رحمته الواسعة

واعلم ان الآية لا تدل على غفران جميع الذنوب لجميع الناس بل على غفران جميع ذنوب من شاء الله غفران ذنوبه فلا

---

(١) تفسير حقي، ١١/٢٨٣

تنافى الامر بالتوبة وسبق تعذيب العصاة والامر بالاخلاص فى العمل والوعيد بالعذاب فالله تعالى لا يغفر الشرك الا بالتوبة والرجوع عنه ويغفر ما دون ذلك من الصغائر والكبائر بالتوبة وبدونها لمن يشاء لا لكل احد من اهل الذنوب روى ان ابن مسعود رضى الله عنه قرأ هذه الآية ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء فحمل المطلق على المقيد وذلك لانه لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء." (١)

"﴿ فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ يعنى لا ينظر المنتهى من ارباب الطلب بنظر الحقارة الى المبتدئ والمتوسط عسى ان يكونوا خيرا منهم فان الامور بخواتيمها ولهذا قال اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى وقال عليه السلام « رب اشعث اغبر ذى طمرين لايوبه به لو أقسم على الله لأبره » قال معروف الكرخى يوما لتلميذه السرى السقطى قدس الله سرهما اذا كانت لك الى الله حاجة فأقسم عليه بى ومن هنا اخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروف الكرخى والله اعلم يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير الى عوام المسلمين لانه تعالى عبر عن الخواص بالرجال فى قوله ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ﴾ وقوله ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ يعنى لا ينبغى لمسلم ما أن ينظر الى مسلم ما بنظر الحقارة عسى ان يكن خيرا منهن الى هذا المعنى يشير . ثم نقول ان للملائكة شركة مع ابليس فى قولهم لآدم ﴿ اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ كان فى نظرهم اليه بالحقارة اعجاب انفسهم مودعا ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الاعجاب وتابوا الى الله ورجعوا مما قالوا فعالجهم الله تعالى باسجادهم لآدم لان فى السجود غاية الهوان والذلة للساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان فى تحقير آدم هو انه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم امرهم بالسجود لان علاج العال باضدادها فزال عنهم علة العجب وقد أصر ابليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن فكذلك حال من ينظر الى اخيه المسلم بنظر الحقارة (قال الحافظ)

مكن بجشم حقارت نكاه برمن مست ... كه نيست معصيت وزهدبى مشيت او

قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت الآية فى ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله عليه السلام وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه السلام يسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى عليه السلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لا يجد مجلسا فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله بينه وبينه رجل فقال له نفسخ فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اماله كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية (وروى) ان قوله تعالى ﴿ ولا نساء من نساء ﴾ نزل فى نساء النبى عليه السلام عيرن ام سلمة بالقصر او أن عائشة رضى الله عنها قالت ان ام سلمة جميلة لولا انها قصيرة وقيل ان الآية نزلت فى عكرمة بن

---

(١) تفسير حقي، ١٢/٣١٠

ابى جهل حين قدم المدينة مسلما بعد فتح مكة فكان المسلمون اذا رأوه قالوا هذا ابن فرعون هذه الامة فشكا ذلك للنبى عليه السلام فقال عليه السلام." (١)

"﴿ فذكر ﴾ قال ابن الشيخ لما بين الله ان فى الوجود قوما يخافون الله ويشفقون فى أهلهم والنبى عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء (وقال الكاشفى) آورده اندكه جماعتى مقتسمان برعقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام نزد قبائل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمدكه فذكر اى فاثبت على ماأنت عليه من تذكير المشركين بما أنزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل ﴿ فما انت بنعمت ربك ﴾ نعمت رسمت بالتاء ووقف علهيا بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب اى بسبب انعامه بصدق النبوة وزيادة العقل (وقال الكاشفى) بانعام برورذكار خود يعنى بحمد الله ونعمته او ما أنت بكاهن حال كونك معنا عليك به فهو حال لازمة من المنوى فى كاهن لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفى ويجوز أن يجعل الباء للقسم ﴿ بكاهن ﴾ كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول وخبر عما سيكون فى غد من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلية على نحو ذلك ولكن هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطىء ويصيب قال عليه السلام « من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد » ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفى القاموس كهن له كجعل ونصر وكرم كهانه بالفتح وتكهن تكهنا وتكهينا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك فى قوله عليه السلام « من سأل عرافا لم تقبل صلاته اربعين ليلة » العراف من يخبر بما اخفى من المسروق والكاهن واما من سألهم لاستهزآئهم او لتكذيبهم فلا يلحقه ماذكر فى الحديث تقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين ليلة فان قلت هذا مخالف لقوله عليه السلام « من صدق كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد » قلت اللائح لى فى التوفيق أن يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب ولما اذا اعتقد انه ملهم من الله او ان الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذه فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفى هدية المهديين من قال اعلم المسروقات يكفر وقال انا اخبر عن اخبار الجن يكفر ايضا لان الجن كالانس لايعلم غيبا ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو من به جنون وهو زوال العقل او فساده

وفى المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفى التعريفات الجنون هو اختلاف العقل بحيث يمنع جريان الافعال والاقوال على نهج الغل الا نادرا وهو عند ابى يوسف ان كان حاصلا فى اكثر السنة فمطبق ما دونه فغير مطبو

وفى التأويلات النجمية يشير الى ان طبيعة الانسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحانى الذى جبل على فطرة الاسلام فى الانسان مودع بالقوة كالجوهر فى المعدن فلا يستخرج الى الفعل الا يجهد جهيد وسعى ثم على قانون الشريعة ومتاعبة النبى عليه السلام وارشاده وبعده بارشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون

---

(١) تفسير حقي، ٧٢/١٤

الراسخون فى العلم من المشايخ المسلكين وفى زمان كل واحد منهم والخلق مع دوى اسلامهم ينكرون على سيرهم فى الاغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله وطلب الحق الا من كتب الله فى قلبهم الايمان وأيدهم بروح منه وهو الصدق فى الطلب وحسن الارادة المنتجة من بذر **يحبهم ويحبونه** وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والا فمن خصوصية طبيعة الانسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه انتهى .." (١)

"خدمت اوكن مكروشاهان تراخدمت كنند ... جاكرا وباش تاسلطان ترا كردد غلام

وفى الحدي ... وملك دلها جدا وملك جانها جدا زير انسانيت ملك در دنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت راند **يحبهم ويحبونه** وجان ملك درعالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فردا كه علم كبرياى او بقيامت برايدكه لمن الملك اليوم من ازكوشه دل خويش بدستورى اودرى بر كشايم ودردى ازدردهاى او بيرون دهم تاكرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك اكر معترضى براه آيد كويم اوكه جون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ما جون او ملك جبارى داريم جرانكوييم لمن الملك اكر اوراجون ما بندكانست مارا جون او خمدا ونداست .

ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره الهى ملكى اعظم من ملكك اى فان ملك العبد القديم وملك الرب هو الحادث فعرف جدا فان هذا المقام من مزالق الاقدام ﴿ وهو ﴾ تعالى وحده ﴿ على كل شئ ﴾ من الاشياء وعلى كل مقدور من الانعام والانتقال وغيرهما ﴿ قدير ﴾ مبالغ فى القدرة عليه ومنتهى الى اقصاصها بتصرف فيها حسبنا تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها قال بعضهم وهو على كل شئ قدير اى ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان الموجود الواجب لا يحتاج فى وجوده الى شئ ويمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممكن لا يراد وجوده اذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم باليجاد وبالموجود بالابقاء على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذ تعلل القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفى التأويلات النجمية) تعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله الذى بيده المطلقة الملأى السحاء سلطنة الوجود المطلق افائق على الوجودات المقيدة وهو أى هويته المطلق ظارة فى كل شئ قادر على كل شئ .." (٢)

"محذوف ﴿كذالك﴾ أي : مثل ذلك الإيراء الفطيع وهو نزول العذاب عليهم وتبري بعضهم من بعضهم من بعض ﴿يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي : ندمات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذي انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به وأصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية إن كانت بصرية تكون حسرات حالا من أعمالهم والمعنى أن أعمالهم تنقلب

---

(١) تفسير حقي، ٢٦٣/١٤

(٢) تفسير حقي، ٤٣٦/١٥

حسرات عليهم فلا يرون أعمالهم إلا حال كونها حسرات وإن كانت قلبية فهي ثالث مفاعيل يرى وعليهم يتعلق إما بخسران والمضاف محذوف أي : على تفريطهم أو بمحذوف منصوب على أنه صفة لحسرات أي : حسرات مستولية عليهم فإن ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها ويتحسرون على ما فعلوه من المعاصي لم عملوها.

قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنهم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ لأنهم خلقوا لأجلها.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧٠

. روي . أنه يساق أهل النار إلى النار لم يبق منهم عضو إلا لزمه عذاب إما حية تنهشه أو ملك يضربه فإذا ضربه الملك هوى في النار مقدار أربعين يوما لا يبلغ قرارها ثم يرفعه اللهب ويضربه الملك فيهوي فإذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فإذا عطش أحدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فإذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل في فيه فتسقط أضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع أمعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون في النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخرجون.

قال سعيد بن جبير إن الله تعالى يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على ربوبية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكفار إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها وينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبالأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم.

قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة : ٥٤) ومن لم يكن أهلا لمحبة الله أزلا طردته العزة إلى محبة الأنداد وهي كل ما يحب سوى الله فمن وكل إلى المحبة النفسانية تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الأصنام فكما أن الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون الأولاد ويعبدونها فمحبة الأولاد والأزواج والأموال تمنع عن محبة الله ومن أحب الله يرى ما سواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ومن كان في الأزل أهلا لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لأنها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والأعداء أحبوا الأنداد بمحبة فانية نفسانية والأحباء أحبوا الله بمحبة باقية ربانية بل أحبوه بجميع أجزائهم الفانية والباقية اللهم أوصلنا إلى حقيقة المحبة واليقين والتمكين.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧٠

يا أيها الناس﴾ نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ﴿كلوا مما فى الأرض﴾ أي : من بعض ما فيها من أصناف المأكولات لأن كل ما فيها لا يؤكل ﴿حلالا﴾ حال من الموصول أي : حال كونه

٢٧١

"(١).

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١/٢١٩

"رخ از آيينه امرش مكردان

زشرعش سر مي رويى

كه همون شانه ميكردى بمويى

قال الشيخ السعدي قدس سره :

خلاف يمبر كسى ره كزيد

كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالت سعدى كه راه صفا

توان رفت جزبربي مصطفا

ثم في قوله تعالى : ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ إشارة إلى أن الإنسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الإنسانية فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنه **يحبهم ويحبونه** وهو ممدوح بهذا الضعف فإن من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم في المحبة والإنسان مخصوص بالمحبة.

واعلم أن هذا الضعف سبب لكمال الإنسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لأنه يتغير لضعفه من حال إلى حال ومن صفة إلى أخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة أخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر أن يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر أن تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الإنسانية وإنما خص الإنسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق بأخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء في الحديث الرباني "أنا ملك حي لا أموت أبدا عبدي أطعني أجعلك ملكا حيا لا يموت أبدا" فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية :

كي شوي انسان كام

أي دل ناقص عقل

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٩٢

يا اأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا﴾ أي : لا تأخذوا وعبر عن الأخذ بالأكل لأن المقصود الأعظم من الأموال الأكل فكما أن الأكل محرم فكذلك سائر وجود التصرفات ﴿أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي : بوجه

١٩٤

غير شرعي كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها.

﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أي إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض أو إلا أن تكون الأموال أموال تجارة وتلحق بها أسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والإرث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وإنما خص التجارة بالذكر لكونها أغلب أسباب المكاسب وقوعا وأوفقها لذوي المروءات والمراد

بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة الافتراق عن مجلس العقد.

﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى الهلكة.

ويؤيده ما روي أن عمرا بن العاص رضي الله عنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب المعاصي المؤدية إلى هلاكها في الدنيا والآخرة أو باقتراف ما يذللها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة ﴿إن الله كان بكم رحيما﴾ أي أمر بما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه إن كان بكم يا أمة محمدة رحيما حيث أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٩٤

أي القتل أو إياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل ﴿عدوانا وظلما﴾ إفراطا في التجاوز عن الحد وإتيانا بما لا يستحقه وقيل : أريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية أي متعديا وظالما ﴿فسوف نصليه﴾ أي ندخله ﴿نارا﴾ أي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب ﴿وكان ذالك﴾ أي إصلاء النار ﴿على الله يسيرا﴾ لتحقق الداعي وعدم الصارف.

قال الإمام : واعلم أن الممكنات بالنسبة إلى قدرة الله على السوية وحينئذ يمتنع أن يقال أن بعض الأفعال أيسر عليه من بعض بل هذا الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا أو يكون معناه المبالغة في التهديد وهو أن أحدا لا يقدر على الهرب منه ولا على الامتناع عليه.

فعلى العاقل أن يتجنب عن الوقوع في المهالك ويبالغ في حفظ الحقوق وقد جمع الله في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لأنه شقيقها من حيث أنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل :

توانكرانرا وقفست وبذل ومهاني

زكاة وفطرة وأعتاق وهدى وقرباني

توكي بدولت ايشان رسى كه نتواني

جزاين دور كعت وآن هم بصدير يشاني

فإن وفقت للمال فاشكر له وإلا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية ألمه واضطرا به من الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة" وقال صلى الله عليه وسلم "كان فيمن قبلكم جرح برجل ارابه فجزع منه فأخرج سكينا فجزيها يده فما رأقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بارزني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة" كذا في "تفسير البغوي" وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر أو لغير ذلك من الأسباب. ". (١)

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٥٥/٢

"والإشارة في الآية ﴿أوفوا بالعقود﴾ التي جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد **يحبهم ويحبونه** ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده ﴿أحلت لكم بهيمة الانعام﴾ أي : ذبح بهيمة النفس التي هي كالأنعام في طلب المرام ﴿إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم﴾ يعني : إلا النفس المطمئنة إذا تليت عليها ارجعي إلى ربك فإنها تنفرت من الدنيا وما فيها فإنها كالصيد في الحرم وأنتم حرم بالوجه إلى كعبة الوصال بإحرام الشوق إلى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب ومحبوب ﴿إن الله يحكم﴾ بذبح النفس إذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترفع في مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع إلى حضرة الربوبية عند اطمئنانها ٣٣٧

مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ﴿ما يريد﴾ ما يريد كذا في "التأويلات النجمية".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٣٦

يا اأيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعآئر الله﴾ نزلت في الخطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكري أتى المدينة من اليمامة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إلى ما تدعو الناس؟ فقال : "إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة" فقال حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم لعلى اسلم وآتي بهم وقد كان النبي عليه السلام قال لأصحابه : "يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان" ثم خرج شريح من عنده فقال عليه السلام : "لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم" فمر بسرح المدينة فاستاقه فانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فقال المسلمون للنبي عليه السلام : هذا الخطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي عليه السلام : "إنه قد قلد الهدي" فقالوا : يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فأبى النبي عليه السلام فأنزل الله هذه الآية وكان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك.

والشعائر : جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعائر أي علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والمعنى لا تتهاونوا بحرمتها ولا تقطعوا أعمال من يحج بيت الله ويعظم مواقف الحج ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي ولا تستحلوا القتل والغارة في الشهر الحرام وهو شهر الحج والأشهر الأربعة الحرم وهي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، والافراد لإرادة الجنس ﴿ولا الهدى﴾ بأن يتعرض له بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وهو ما أهدي إلى الكعبة من إبل أو بقر أو شاة تقربا إلى الله تعالى جمع هدية ﴿ولا القلائد﴾ أي : ذوات القلائد من الهدي بتقدير المضاف وعطفها على الهدى للاختصاص فإنها أشرف الهدي أي ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا وهي جمع قلادة وهي ما يشد على عنق البعير وغيره من نعل أو لحاء شجرة أو غيرهما ليعلم به أنه هدى فلا يتعرض له ﴿ولا ءآمين البيت الحرام﴾ أي : ولا تحلوا قوما قاصدين زيارة الكعبة بأي تصدوهم عن ذلك بأن وجه كان

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٣٦

﴿يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾ حال من المستكن في آمين أي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرزق بالتجارة والرضوان أي على زعمهم لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان أي رضي الله تعالى ما لم يسلم.

قال في "الإرشاد" : إنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وإن كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم من المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره انتهى.

وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ (التوبة : ٥) وبقوله : ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هاذا﴾ (التوبة : ٢٨) فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدي والقلائد.

قال الشعبي : لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ تصريح بما أشير إليه ٣٣٨." (١)

"والإشارة في الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق من اليهود والنصارى على التوحيد كما أخذ من هذه الأمة يوم الميثاق ولكنه لما وكل الفريقين إلى أنفسهم نسوا ما ذكروا به فما بقي لهم حظ من ذلك الميثاق بإبطال الاستعداد الفطري لكمال الإنسانية فصاروا كالأنعام بل هم أضل أي بل كالسباع يتحارشون ويتناوشون بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فإن أرباب الغفلة لا إلفة بينهم وأن أصحاب الوفاق لا وحشة بينهم وأما هذه الأمة لما أيدت بتأييد الإله إذ كتب في قلوبهم الإيمان بقلب خطاب ألست بربكم يوم الميثاق وأيدهم بروح منه ما نسوا حظا مما ذكروا به وقيل لنبيهم عليه الصلاة والسلام : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ (الذاريات : ٥٥) وقال تعالى خطابا لهم إذ لم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (البقرة : ١٥٢) على أن ذكره إياهم كان قبل وجودهم وذكرهم إياه حين ذكرهم المحبة وقال : ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة : ٥٤) كذا في "التأويلات النجمية" يا أهل الكتاب﴾ يعني : اليهود والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والإنجيل ﴿قد جآءكم رسولنا﴾ الإضافة للتشريف والإيذان بوجوب اتباعه ﴿يبين لكم﴾ حال من رسولنا أي حال كونه مبينا لكم على التدرج حسبما تقتضيه المصلحة ﴿كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٦١

أي : كثيرا كائنا من الذي كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب أي التوراة والإنجيل الذي أنتم أهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الإنجيل.

﴿ويعفوا عن كثير﴾ مما تخفونه أي لا يظهره ولا يخبره إذا لم يضطر إليه أمر ديني صيانة لكم عن زيادة الافتضاح.

﴿قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ المراد بالنور والكتاب هو القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة ما خفي على الناس من الحق أو الإعجاز الواضح والعطف المنبيء عن تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل : المراد بالأول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن ﴿يهدى به الله﴾ وحد الضمير لأن المراد بهما

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٢٦٨/٢

واحد بالذات أو لأنهما في حكم الواحد فإن المقصود منهما دعوة الخلق إلى الحق أحدهما رسول إلهي والآخر معجزته وبيان ما يدعو إليه من الحق ﴿من اتبع رضوانه﴾ أي : رضاه بالإيمان به ﴿سبل السلام﴾ أي : طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على أن يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة أو سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس على أن يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فإن يهدي إنما يتعدى إلى الثاني بإلى أو باللام كما في قوله تعالى : ﴿إن هاذا القرءان يهدى للتى هى أقوم﴾ (الإسراء : ٩) ﴿ويخرجهم﴾ الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في اتبع باعتبار اللفظ ﴿من الظلمات﴾ أي : ظلمات فنون الكفر والضلال ﴿إلى النور﴾ إلى الإيمان وسمي الإيمان نورا لأن الإنسان إذا آمن أبصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره ﴿بإذنه﴾

٣٦٩

أي : بتيسيره وإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ أي طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى : ﴿ولما جآء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ (هود : ٥٨).

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٦١

واعلم أن الله تعالى بعث النبي صلى الله عليه وسلم نورا يبين حقيقة حظ الإنسان من الله تعالى وأنه تعالى سمى نفسه نورا بقوله تعالى : ﴿الله نور السماوات والارض﴾ (النور : ٣٥) لأنهما كانتا مخفيتين في ظلمة العدم فالله تعالى أظهرهما بالإيجاد وسمى الرسول نورا لأن أول شيء أظهره بالحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال : "أول ما خلق الله نوري" ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نورا وكل ما كان أقرب إلى الاختراع كان أولى باسم النور كما أن عالم الأرواح أقرب إلى الاختراع من عالم الأجسام فلذلك سمي عالم الأنوار والعلويات نورانيا بالنسبة إلى السفليات فأقرب الموجودات إلى الاختراع لما كان نور النبي عليه السلام كان أولى باسم النور ولهذا كان يقول : (أنا من الله والمؤمنون مني) وقال تعالى : ﴿قد جآءكم من الله نور﴾ .

". (١)

"والإشارة ﴿إن صلاتى ونسكى﴾ أي سيري على منهاج الصلاة هو معراجي إلى الله تعالى وذبيحة نفسي ﴿ومحياى﴾ حياة قلبي وروحي.

﴿ومماتى﴾ ، أي : موت نفسي ﴿رب العالمين﴾ لطلب الحق والوصول إليه ﴿لا شريك له﴾ في الطلب من مطلوب سواه ﴿وبذالك أمرت﴾ أي ليس هذا الطلب والقصد إلى الله من نظري وعقلي وطبعي إنما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته إذ أوحى إلي وقال : ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل : ٨) وقال : ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ (الأنعام : ٩١) ﴿وأنا أول المسلمين﴾ يعني : أول من استسلم عند الإيجاد لأمر كن وعند قبول فيض المحبة لقوله : ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة : ٥٤) والاستسلام للمحبة في قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام : "أول ما خلق الله نوري" كذا في "التأويلات النجمية".

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٢/٢٩٦

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٢٨

وفي الآية : حث على التوحيد والإخلاص وعلامتهما التبري من كل شيء سواه تعالى ظاهرا وباطنا ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية.

وعن مالك بن دينار قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وإذا شاب يمشي في الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت : أيها الشاب من أين؟ قال : من عنده ، قلت : وإلى أين؟ قال : إليه ، قلت : وأين الزاد؟ قال : عليه قلت : إن الطريق لا يقطع إلا بالماء والزاد وهل معك شيء؟ قال : نعم قد تزودت عند خروجي بخمسة أحرف ، قلت : وما هذه الخمسة الأحرف قال قوله تعالى : ﴿كاهيعاص﴾ قلت : وما معنى كهيعص قال : أما قوله كاف فهو الكافي ، وأما الهاء فهو الهادي ، وأما الياء فهو المؤدي ، وأما العين فهو العالم ، وأما الصاد فهو الصادق ومن كان صاحبه كافيا وهاديا ومؤديا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلى حمل الزاد والماء ، قال مالك : فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصي على أن ألبسه إياه فأبى أن يقبله وقال : أيها الشيخ العري خير من قميص دار الفناء حلالها حساب وحرامها عقاب ، وكان إذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ، ويقول : يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا

١٢٩

قلت : لم لا تلبي فقال يا شيخ أخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ، ولا أنظر إليك ، ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول : اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك بضحاياهم وهداياهم وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ، ثم شهق شهقة فخر ميتا ، وإذا قائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وواريته ، وبت تلك الليلة متفكرا في أمره ونمت فرأيته في منامي فقلت ما فعل الله بك قال فعل بي كما فعل بشهداء بدر قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الجبار.

جان كه نه قربانيء جانان بود

جيفه تن بهتر ازآنان بود

هركه نشد كشته شمشير دوست

لاشه مردار به ازجان اوست

نسأل الله الكريم أن يجعلنا على الصراط المستقيم.

﴿قل﴾ يا محمد لمن يقول من الكفار ارجع إلى ديننا.

﴿أغير الله أبغى﴾ أطلب حال كونه ﴿ربا﴾ آخر فأشركه في عبادته.

﴿وهو رب كل شيء﴾ أي : والحال أن ما سواه مربوب له مثلي ، فكيف يتصور أن يكون شريكا له في العبودية؟ ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم ، وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول ، أي : لا تكون جناية نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم ،

وقوله تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ رد له بالمعنى الثاني ، أي : لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم ولنحمل خطاياكم.

والوزر في اللغة : هو الثقل.

﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي : إلى مالك أمركم رجوعكم يوم القيامة.

﴿فينبئكم﴾ يومئذ.

﴿بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي : يبين الرشد من الغي ويميز المحق من المبطل.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٢٨

وفي الآية أمور :

الأول : إن غاية المبتغى ونهاية المرام هو الله الملك العلام ، فمن وجده فقد وجد الكل ومن فقده فقد فقد الكل ، والعاقل العاشق لا يطلب غير الله ؛ لأنه الحبيب والمحب لا يتسلى بغير المحبوب.

قال الحافظ :

دردمرا طبيب نداند دواكه من

بى دوست خسته خاطر وبادرد خوشترم

والثاني : إن كل ما تكسب النفس من خير أو شر فهو عليها ، أما الشر فهي مأخوذة به ، وأما الخير فمطلوب منها صحة القصد ، والخلو من الرياء والعجب والافتخار به.

قال السعدي قدس سره :

ه قدر آورد بنده بدرديس

كه زير قبادارد اندام يس

" (١)
.

"﴿وياقوم﴾ (اي كروه من) ﴿ولا يجرمنكم﴾ يقال : جرم زيد ذنبا ، أي : كسبه وجرمته ذنبا ، أي : اكسبته إياه فهو يتعدى إلى واحد وإلى اثنين ، والأول في الآية الكاف والميم.

والمعنى لا يكسبنكم شقاقي فاعل لا يجر منكم ويقال : جرمني فلان على أن صنعت كذا ، أي : حملني فيقدر حرف الجر بعد أن.

والمعنى لا يحملنكم بغضكم إياي على أن يصيبكم.

قال الكاشفي : (شما بران نداد ودشمني وستيزه كارى بامن كه برسد شمارا) مثل فاعل أن يصيب مضاف إلى قوله ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط قال الجوهري : القوم بذكر ويؤنث منكم ببعيد يعني أنهم أهلكوا بسبب الكفر والمعاصي في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم فإن لم تعتبروا بمن قبلهم

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٣/٩٩

من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم ولا تكونوا مثلهم كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم.

والإشارة : إن في طبيعة الإنسان مركوزا من صفات الشيطنة الإباء والاستكبار ومن طبعه أنه حريص على ما منع كما أن آدم عليه السلام لما منع من أكل الشجرة حرص على أكلها فلهاتين الصفتين إذا أمر بشيء أبى واستكبر ، وإذا نهي عن شيء حرص على إتيانه لا سيما إذا صدر الأمر والنهي عن إنسان مثله ، فإن طاعة الله هينة القبول بالنسبة إلى طاعة المخلوق لأن في الطاعة ذلة وهوانا وكسرا للنفس ، وإن ما يحتمل المخلوق من خالقه أكثر مما يحتمله من مخلوق مثله ولهذا السر بعث الله الأنبياء وأمر الخلق بطاعتهم وقال : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾(النساء : ٥٩) فمن كان موفقا من الله تعالى بالعناية الأزلية يأتمر بما أمر به ، وينتهي عما نهى عنه ويطيع الرسل فيما جاؤوا به ، أخرجته الطاعة من ظلمات صفاته المخلوقة إلى نور صفاته الخالقية ومن سبقته الشقاوة في الأزل تداركه الخذلان ووكل إلى نفسه وطبعه فلا يطيع الله ورسوله ويتمرد عن قبول الدعوة ويستكبر على الرسول ويعاديه بمعاداته ما أمره الله به فيصيبه قهر الله وعذابه ﴿مثل مآ أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالحا وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ أي : وما معاملة قوم لوط من معاملتكم وذنوبهم من ذنوبكم ببعيد لأن الكفر كله من جنس واحد ، وصفات الكفر قريب بعضها من بعض كذا في التأويلات النجمية.

قال في المثنوى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٧٦

س وصيت كرد وتخم وعظ كاشت

ون زمين شان شوره بدسودى نداشت

كره ناصح را بود صد داعيه

ندرا أذنى ببايد واعيه

توبصد تلطيق وندش ميدهى

اوز ندت ميكند هلوتهى

يك كس نا مستمع زاستيز ورد

صد كس كوينده را عاجز كند

١٧٦

زانبينا ناصحتر وخوش لهجه تر

كى بودكه رفت دمشان درحجر

زانه كوه وسنك دركار آمدند

مى نشد بدبخت را بكشاده بند

آننان دلها كه بدشان ما ومن

نعتشان شد بل أشد قسوة

واستغفروا ربكم بالإيمان ثم توبوا إليه مما أنتم عليه من المعاصي وعبادة الأوثان لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان أو استغفروا

بالإيمان ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة ، أو استغفروا بالأعمال الصالحة وتوبوا بالفناء التام.

قال في التأويلات النجمية : واستغفروا من صفات الكفر ومعاملاته كلها وبدلوها بصفات الإسلام ومعاملاته فإنها تزكية النفوس عن الصفات الذميمة ، ثم ارجعوا إليه على قدمي الشريعة والطريقة سائرين منكم إليه ليحليكم بتحلية الحقيقة ، وهي الفناء عنكم والبقاء به.

إن ربي رحيم عظيم الرحمة للمؤمنين والتائبين.

ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان كما يفعل البليغ المودة بمن يوده.

قال في المفاتيح الودود : مبالغة الواد ومعناه الذي يحب الخير لجميع الخلائق ويحسن إليهم في الأحوال كلها ، وقيل المحب لأوليائه ، وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة وحظ العبد منه أن يريد للخلق ما يريد لنفسه ، ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعته ، ويحب الصالحين من عباده ، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم : أريد أن أكون جسرا على النار يعبر عليه الخلق ولا يتأذون بها كما في المقصد الأسنى للغزالي.

قال الكاشفي في تفسيره : (قطب الأبرار مولانا يعقوب رخى قدس سره در شرح أسماء الله تعالى معنى الودود درا برين وجه آورده است كه دوست دارنده نيكى بهمه خلق ودوست دردلهاى بحق يعني أونيك را دوست ميداردونيكان اورا دوست ميدارند وفي الحقيقة دوستى ايشان فرع دوستى اوست زيراكه ون بنظر تقحيق درنكر نداصل حسن واحسان كه سبب محبت مى باشد غير اورا ثابت نيست سر خود خودرا دوست ميداردوازين باب نكتة ندد رآيت **يحبهم ويحبونه**﴾(المائدة : ٥٤) بر منظر عيان جلوه نمود وللوالد الأعز زيدت حقائقه :

اين حسن توداده يوسفانرا خوبى

وز عشق توكرده عاشقان يعقوبى

كرنكي نظر كند كسى غير تونيست

در مرتبه محبي ومحبوبي

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٧٦

". (١)

"قال البيضاوي هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح انتهى ، وذلك لأنهم قالوا لا دليل على امتناع صدور الكبيرة من الأنبياء قبل الوحي ، وقوله : إن صح يدل على الشك في صحة استنبائهم ، وأصاب في ذلك لأن الأنبياء محفوظون قبل نبوتهم كما أنهم معصومون بعدها من الأمور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس هم يوسف كما سيأتي من قبيل ما صدر من إخوته من الحسد وضربه والقائه في الجب بالفعل والكذب عمدا من غير تأويل.

وأما قوله تعالى : ﴿ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب﴾ (يوسف : ٦)

٢٢٧

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١١١/٤

فلا يدل على نبوة غيره من الإخوان الموجودين إذ يكفي في إتمام النعمة على آل يعقوب إن لا تنقطع سلسلة النبوة من أعقابهم كما قال تعالى في كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه ، فإنه لا ينافي وجود الشرك من بعض الأحفاد كما لا يخفى.

وكذا تمثلهم في صورة الكواكب لا يدل على نبوتهم ، لأنه إذا كان يعقوب بمنزلة الشمس التي تعينه بالنبوة ودعوة الخلق وهدايتهم إلى الله تعالى كان أولاده بمنزلة الكواكب التي تتبع الشمس والقمر ولوكان كلهم أنبياء لاستدعى أن يكون محبة يعقوب لهم على السوية أي من أول الأمر بناء على وراثة كلهم لنبوته ، ولما ظهر ما ظهر من تفضيل يوسف عليهم فيوسف من بينهم كشيث من بين بني آدم عليه السلام ، هكذا لاح ببال الفقير أيده الله القدير.

وفي الآيات إشارات إلى تزوير الحواس والقوى وتلبسها وتمويهاتها وتخيلاتها الفلسفية وكذباتها وحيلها ومكرها وكيدها وتوهماتها وتسويلاتها المجبولة عليها ، وإن كانت للأنبياء وأن الروح المؤيد بنور الإيمان يقف على النفس وصفاتها وما جبلت الحواس والقوى عليه ، ولا يقبل منها تمويهاتها وتسويلاتها ويرى الأمور كلها من عند الله وأحكامه الأزلية ، فيصبر عليها صبرا جميلا وهو الصبر على ظهور ما أراد الله فيها بالإرادة القديمة ، والتسليم لها والرضى بها وبقوله : ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ يشير إلى الاستعانة بالله على الصبر الجميل فيما يجري من قضائه وقدره كذا في التأويلات النجمية نفعنا الله تعالى بها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٢٦

﴿وجآءت سيارة﴾ جماعة يسيرون من جهة مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من إلقائه فيه.

قال الكاشفي : (روزهارم مده نجات بوى رسيد).

قال السمرقندي في بحر العلوم : كان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه انتهى.

فهذا يخالف قوله تعالى : يلتقطه بعض السيارة فإنه يقتضي كون الجب في الأمن والجادة والسير هو السير المعتاد.

فارسلوا أي : إلى الجب واردهم أي : الذي يرد الماء ، أي : يحضره ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي.

قال في القاموس مالك بن دعر : بالدال المهملة فأدلى دلوه ادلاء بالفارسية (فرهشتن دلو) أي : أرسلها إلى الجب ليملأها فأوحى إلى يوسف بالتعلق بالحبل.

اي يوسف آخر بهرتست اين دلو در اه آمده

(در معالم آورده كه ديوارهاى اه برفراق يوسف بكريستند) ، وذلك لأن للجمادات حياة حقانية لا يعرفها إلا العلماء بالله ، فلها أنس الذكر والتوحيد والتسبيح ومجاورة أهل الحق وقد صح أن الجزع الذي كان يعتمد عليه رسول الله حين الموعظة للناس أن أنين بني آدم لما فارقه رسول الله وذلك بعد أن عمل له المنبر.

قال في المثنوى :

استن حنانه از هجر رسول

ناله مى زد همو أرباب عقول

كفت يغمبر هـ خواهى اي ستون

كفت جانم ازفراقت كشت خون

فلما خرج يوسف إذا هو بغلام أحسن ما يكون وقد كان أعطى شطر الحسن فلما رآه مالك قال مبشرا نفسه وأصحابه يا بشرى هذا غلام (اي مده وشادمانى) كأنه نادى البشرى وقال : تعالي وهذا أوانك حيث فاز بنعمة نادرة ، وأي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء ،

٢٢٨

وقيل : هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه ، كما قال الكاشفي : (اورا آوزداد وكفت اين سريست كه دلورا كران ساخته س بمدد كارىء أو يوسف را از اه آورده)

ون آن ماه جهان آرا بر آمد

ز جانش بانك يا بشرى بر آمد

بشارت كز نين تاريك جاهى

بر آمد س جهان افروز ماهى

وذلك لأن ماء الحياة لا يوجد إلا في الظلمات كما أن العلم الإلهي إنما يوجد في ظلمات هذا القلب والقالب.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٢٨

وفي التأويلات النجمية : يشير إلى أن القلب كما له بشارة من تعلق الجذبة وخلاصه من الجب ، فكذلك للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب وخلاصه من الجب وهي من أسرار.

يحبهم ويحبونه وأسروه﴾(المائدة : ٥٤) أي : أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة لئلا يطالبوا بالشركة فيه ﴿بضاعة﴾ حال كونه بضاعة أي متاعا للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت منه ، أي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه إسرارهم.

وشروه أي : باعوه وهو من الأضداد والضمير للوارد وأصحابه.

". (١)

"وخامسها : فضلا وعدلا لأنه الخالق الحكيم الذي خلقهم وما يعملون على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فإن رأى منهم حسنا فذلك من نتائج إحسانه وفضله وإن رأى منهم قبيحا فذلك من موجبات حكمته وعدله وأنه ﴿لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾ (النساء : ٤٠) الآية.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٠٦

وسادسها : عناية وشفقة فإنه تعالى خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فلا يجوز من كرمه أن يخسروا عليه.

وسابعها : رحمة ومحبة فإنه تعالى بالمحبة خلقهم لقوله : "فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف" وللمحبة خلقهم لقوله : ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة : ٥٤) فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضى :

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٤٧/٤

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

وثامنها : لطفا وتكريما فإنه نادى عليهم بقوله : ﴿ولقد كرمنا بنى ءادم﴾ (الإسراء : ٧٠) فلا يهين من كرمه.

وتاسعها : عفوا وجودا فإنه تعالى عفو يحب العفو فإن رأى جريمة في جريدة العبد يحب عفوها وأنه جواد يحب أن يجود عليه بالمغفرة والرضوان.

وعاشرها : أنه تعالى جعلهم خزائن أسراره فهو أعلم بحالهم وأعرف بقدرهم فإنه خمر طينتهم بيده أربعين صباحا وجعلهم مرآة يظهر بها جميع صفاته عليهم لا على غيرهم ولو كان الملائكة المقربين ألا ترى أنه تعالى لما قال : ﴿إني جاعل فى الارض خليفةا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء﴾ (البقرة : ٣٠) فما عرفوهم حق معرفتهم حتى قال تعالى فيهم عزة وكرامة ﴿إنيا أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة : ٣٠) أي : من فضائلهم وشمائلهم فإنهم خزائن أسراري ومرآة جمالي وجلالي فأنتم تنظرون إليهم بنظر الغيرة وأنا أنظر إليهم بنظر المحبة والرحمة فلا ترون منهم إلا كل قبيح ولا أرى منهم إلا كل جميل فلا أرضى أن أجعلكم حاكما بينهم بل بفضلي وكرمي أنا أفصل بينهم فيما كانوا فيها يختلفون فأحسن إلى محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم فلا يكبر علي اختلافهم لعلمي بحالهم أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.

فعلى العاقل أن يرفع الاختلاف من البين ولا يقع

١٢٧

في البين فإن الله تعالى قد هدى بهداية القرآن إلى طريق القربات ولكن ضل عن الاتفاق الأعضاء والقوى في قطع العقبات اللهم ارحم إنك أنت الجواد الأكرم.

﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذالك لايااتا أفلا يسمعون * أولم يروا أنا نسوق المآء إلى الارض الجرز فنخرج به﴾ .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٠٦

﴿أولم يهد لهم﴾ تخويف لكفار مكة أي : اغفلوا ولم يبين لهم مآل أمرهم والفاعل ما دل عليه قوله : ﴿كم أهلكنا﴾ أي : كثرة إهلاكنا لأن كم لا يقع فاعلا فلا يقال جاءني كم رجل ﴿من قبلهم من القرون﴾ مثل عاد وثمود وقوم لوط.

والقرن اسم لسكان الأرض عصرا والقرون سكانها على الأعاصير ﴿يمشون فى مساكنهم﴾ الجملة حال من ضميرهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديار الهالكين وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم وخراب منازلهم ﴿إن فى ذالك﴾ الإهلاك وما يتعلق به من الآثار ﴿لايات﴾ حججا ومواعظ لكل مستبصر ومعتبر ، وبالفارسية (عبرتهاست مر امم آتيه را) ﴿أفلا يسمعون﴾ آيات الله ومواعظه سماع تدبر واتعاظ فينتهوا عما هم عليه من الكفر والكذيب.

كسى راكه ندار درسر بود

مندار هركز كه حق بشنود

زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك

شقايق بباران نرويد زسنك

." (١)

"يا اأيها الذين ءامنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها.

والذكر إحضار الشيء في القلب أو في القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة أو إذامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة إذ ليس لهم نسيان أصلا وهم عند مذكورهم مطلقا ﴿ذكرا كثيرا﴾ في جميع الأوقات ليلا ونهارا صيفا وشتاء وفي عموم الأمكنة برا وبحرا سهلا وجبلا وفي كل الأحوال حضرا وسفرا صحة وسقما سرا وعلانية قياما وقعودا وعلى الجنوب وفي الطاعة بالإخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفي المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفي النعمة بالشكر وفي الشدة بالصبر فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوبا على عقله.

وأحوال الذاكرين متفاوتة بتفاوت أذكارهم.

فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعه آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره ومكاشفة أطواره بقلبه وبدون أنس مذكوره ومشاهدة أنواره بروحه وبدون فنائه في مذكوره ومعاينة أسراره بسره.

وهذا مردود مطلقا.

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والإنس والفناء المذكور وهو ذكر الأبرار مقبول بالنسبة إلى الأول.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون الإنس والفناء المذكور وهو ذكر أهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة إلى ذكر الأبرار وما تحته.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعا وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين وهو مقبول مطلقا وللإرشاد إلى هذه الترقيات قال عليه السلام : "إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد" قيل : يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال : "تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره" فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها وأكدارها.

ثم إن ذكر الله وإن كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها إلا أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله فالاشتغال به منفردا مع الجماعة محافظا على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره.

(سلمى كويد مراد از ذكر كثير ذكر دلست هـ دوام ذكر بزبان ممكن نيست).

وقال بعضهم : الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة الله تعالى يعني أحبوا الله لأن النبي عليه السلام قال : من أحب شيئا أكثر من ذكره (نشان دوستى آنست كه نكذاردكه زبان از ذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند) :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

درهي مكان نيم زفكرت خالى

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٩٦/٧

درهي زمان نيم زذكرت عافل

فأوجب الله محبته بالإشارة في الذكر الكثير وإنما أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة

١٩١

لأن أهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الإشارة وإنما لم يصرح بوجوب المحبة لأنها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال : ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة : ٥٤) فعلى هذا بقوله : ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (البقرة : ١٥٢) يشير إلى أحبوني أحببكم :

بدرياى محبت آشنا باش

صدف سان معدن در صفاباش

". (١)

"زيرا آن روز كه اين آيت آمد مصطفى عليه السلام سخت شاد شد وازشادى كه بوى رسيد سه بار بكفت) امتى ورب الكعبة والله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم كما اصطفي رسولهم على جميع الرسل وكتابهم على كل الكتب وهذا الإيراث للمجموع لا يقتضي الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل يشمل من يحفظ منه جزء ولو أنه الفاتحة فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع بأنهم مصطفون كما في "المناسبات".

قال الكاشفي : (عطارا ميراث خواند ه ميراث خواند ه ميراث مالى باشدكه بى تعب طلب بدست آيد همنين عطيه قرآن بى جست وجوى مؤمنان بمحض عنايت ملك منان بديشان رسيد وبيكانكان را درميراث دخل نيست دشمنان نيز وبهر هاى اهل قرآن متفاوتست هركس بقدر استحاق واندازه استعداد خود از حقائق قرآن بهره مند شوند) :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣١١

زين بزم يكى جرعه طلاب كرد يكى جام

وفي "التأويلات النجمية" : إنما ذكر بلفظ الميراث لأن الميراث يقتضي صحة النسب أو صحة السبب على وجه مخصوص فمن لا سبب له ولا نسب له فلا ميراث له فالسبب ههنا طاعة العبد والنسب فضل الرب فأهل الطاعة هم أهل الجنة كما قال تعالى : ﴿أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس﴾ (المؤمنون : ١٠ ـ ١١) فهم ورثوا الجنة بسبب الطاعة وأصل وراثتهم بالسببية المبايعة التي جرت بينهم وبين الله بقوله : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (التوبة : ١١١) فهؤلاء أطاعوا الله بأنفسهم وأموالهم فأدخلهم الله الجنة جزاء بما كانوا يعملون وأهل الفضل هم أهل الله وفضله معهم بأن أورثهم المحبة والمعرفة والقربة كما قال : ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة : ٥٤) الآية.

ولما كانت الوراثة بالسبب والنسب وكان السبب جنسا واحدا كالزوجية وهما صاحبا الفرض وكان النسب من جنسين الأصول كالآباء والأمهات والفروع كل ما يتولد من الأصول كالأولاد والأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام وأولادهم وهم صاحب فرض وعصبة فصار مجموع الورثة ثلاثة أصناف : صاحب الفرض بالسبب وصنف صاحب الفرض بالنسب

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٤٨/٧

وصنف صاحب الباقي وهم العصبة كذلك الورثة ههنا ثلاثة أصناف كما قال تعالى : ﴿فمنهم﴾ أي : من الذين اصطفينا من عبادنا ﴿ظالم لنفسه﴾ في العمل بالكتاب وهو المرجأ لأمر الله أي : الموقوف أمره لأمر الله إما يعذبه وإما يتوب عليه وذلك لأنه ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى : ﴿فخلف منا بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هاذا الادنى ويقولون سيغفر لنا﴾ (الأعراف : ١٦٩) الآية ولا من ضرورة الاصطفاء المنع عن الوصف بالظلم هذا آدم عليه السلام اصطفاه الله كما قال : ﴿إن الله اصطفى ءادم﴾ (آل عمران : ٣٣) وهو القائل : ﴿ربنا ظلمنآ أنفسنا﴾ (الأعراف : ٢٣) الآية.

سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره : أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال : نعم ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ يعني إن كان الحق قدر عليه في سابق علمه شيئا فلا بد من وقوعه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣١١

واعلم أن الظلم ثلاثة : ظلم بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ، وظلم بينه وبين الناس ، وظلم بينه وبين نفسه وهو المراد بما في الآية كما في "المفردات".

وتقديم الظلم بالذكر لا يدل على تقديمه في الدرجة لقوله تعالى : ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ كما في

٣٤٧

"الأسئلة المقحمة".

وقال بعضهم : قدم الظالم لكثرة الفاسقين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان.

وقال أبو الليث الحكمة في تقديم الظالم وتأخير السابق كي لا يعجب السابق بنفسه ولا ييأس الظالم من رحمة الله يعني : (ابتداء بظالم كرد تا شرم زده نكردند وبرحمت بى غايت او اميدوار باشند) :

نيايد از من آلوده طاعت خالص

ولى برحمت وفضلت اميدوارى هست

وقال القشيري في الإرث يبدأ بصاحب الفرض وإن قل نصيبه فكذا ههنا بدأ بالظالم ونصيبه أقل من نصيب الآخرين (وكفته اند تقديم ظالم ازروى فضلست وتأخيرش ازراه عدل وحق سبحانه فضل را از عدل دوستر دارد وتأخير سابق جهت آنست كه تابثواب كه دخول جنانست اقرب باشد يا بجهت آنكه اعتماد بر عمل خود نكند وبطاعت معجب نكردد كه عجب آتشيست كه ون برافروخته شود هزارخر من عبادت بدوسوخته شود) :

اى سر عجب آتشى عجبست

كرم ساز تنور بو لهبست

هركجا شعله ازو افروخت

هره از علم وزهد ديدبسوخت
." (١)

"ذلك الأثر إليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية ، وإن أسرف وفرط في جنب الله.

وأما اليأس ، فدليل الاحتجاب الكلي واسوداد الوجه ، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعا بشرط بقاء نور التوحيد في القلب ، فإذا لم يبق دخل في قوله : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ (:).

فالقنوط : من أعظم المصائب.

وقد أمهل تعالى عباده تفضلا منه إلى وقت الغرغرة ، فلو رجع العبد إلى الله قبل آخر نفس يتنفسه قبل.

﴿إن الله يغفر الذنوب﴾ حال كونها ﴿جميعا﴾ ؛كأنه قيل : ما سبب النهي عن القنوط من الرحمة فأجيب بأن سبب النهي هو ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ عفوا لمن يشاء ، ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء ، فهو وعد بغفران الذنوب ، وإن كثرت ، وكانت صغائر ، أو كبائر بعدد الرمال والأوراق والنجوم ونحوها.

والعموم بمعنى الخصوص ؛ لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في العاصي مقيدة بالمشيئة ؛ لأن المطلق محمول على المقيد وسيجيء بقية الكلام على الآية.

قال عليه السلام : "إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم".

وقال عليه السلام : "إن تغفر اللهم ، فاغفر جما ، وأي عبد لك لا ألما".

يعني : (جون آمر زى خداوندا همه بيامرز وآن كدام بنده است كه او كناه نكرده است).

والفرق بين العفو والمغفرة هو أن حقيقة العفو هو المحو كما إشير إليه بقوله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيات﴾ (هود : ١١٤).

والتبديل الذي أشير إليه بقوله : ﴿فأولئك يبدل الله سياا‌تهم حسنات﴾ (الفرقان : ٧٠) هو من مقام المغفرة قاله الشيخ الكبير رضي الله عنه في "شرح الأربعين" حديثا ثم قال في مقام التعليل.

﴿إنه﴾ تعالى ﴿هو﴾ وحده ﴿الغفور الرحيم﴾ .

الأول : إشارة إلى محو ما يوجب العقاب.

والثاني : إلى التفضل بالثواب وصيغة المبالغة راجعة إلى كثرة الذنوب ، وكثرة المغفور والمرحوم.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٦٨

قال الأستاذ القشيري قدس سره : التسمية بيا عبادي مدح.

والوصف بأنهم أسرفوا ذم ، فلما قال : يا عبادي طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين بالآية ، فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال : من أنا ، حتى يقول لي هذا ، فقال الله تعالى : ﴿الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ ، فانقلب الحال ، فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت زلتهم ، والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم ، ثم قوي رجاؤهم بقوله

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٢٧١/٧

على أنفسهم.

يعني : إن أسرفت لا تقنط من رحمة الله ، بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا ، فلا ترفع قلبك عناء ، والألف واللام في الذنوب للاستغراق ، والعموم جميعا تأكيد له ؛ فكأنه قال : أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي ، فإن كانت لكم جناية كثيرة عميمة ، فلي بشأنكم عناية قديمة.

وفي "كشف الأسرار" : (بدانكه از آفريدكان حق تعالى كمال كرامت دوكروه راست يكى فرشتكان وديكر آدميان "ولهذا جعل الأنبياء والرسل منهم دون غيرهم" وغايت شرف إنساني دردو جيزاست در عبوديت ودرمحبت عبوديت محض صفت فرشتكانست وعبوديت ومحبت هر دوصفت آدميان است فرشتكانرا عبوديت محض دادكه صفت خلق است وآدميانرا بعد از عبوديت خلعت محبت دادكه صفت حق است تا از بهر اين امت ميكويد ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة : ٥٤) ودر عبوديت نيز آدميانرا فضل داد برفر شتكانكه عبوديت فرشتكان بى اضافت كفت ﴿بل عباد مكرمون﴾ (الأنبياء : ٤٦) وعبوديت آدميان باضافت كفت يا عبادى﴾ آنكه بر مقتضاى محبت فضل خود برايشان تمام

١٢٥

كرد وعيبها ومعصيتهاى ايشان بأنوار محبت بپوشيد وبرده ايشان ندريد نه بينى كه زلت برايشان قضا كرد وبآن همه زلات نام عبوديت از ايشان نيفكند وباذ كرزلت ومعصيت تشريف اضافت از ايشان باز تستد كفت ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وآنكه برده ايشان نكاه داشت كه عين كناهان اظهار نكرد بلكه مجمل ياد كرد سربسته وعين آن بوشيده كفت ﴿أسرفوا﴾ إسراف كردند كزاف كردند از بهر آنكه دارارادت وى مغفرت ايشان بودنه برده دريد نه اسم عبوديت بيفكد "سبحانه ما أرافه بعباده" موسى عليه السلام كفت "إلهي تريد المعصية من العباد وتبغضها" كفت "يا موسى ذاك تأسيس لعفوي" يعني : معصيت بندكان بارادت تست آنكه آنرا دشمن ميدارى وبنده را بمعصيت دشمن ميكيرى حق جل جلاله كفت آن بنياد عفو وكرم خويش است كه مى نهم خزينه رحمت ما براست اكر عاصيان نباشند ضايع ماند).

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٦٨

قال الكاشفي : (بيمارستان جرم وعصيا نرا شربت راحت جز درين دار الشفا حاصل نشود وسر كردانان بيابان نفس وهوارا زاد طريق نجات جز بمدد آن آيت ميسر نكردد) :

ندارم هيج كونه توشه راه

بجز لا تقنطوا من رحمة الله

تو فر مودى كه نوميدى مياريد

زمن لطف وعنايت جشم داريد

يدين معنى بسى اميد واريم

". (١)

"واعلم أن المواخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه السلام فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر﴾ السخرية أن يحقر الإنسان أخاه ويستخفه ويسقطع عن درجته ويعده ممن لا يلتفت إليه أي لا يستهزىء ﴿قوم﴾ أي منكم وهو اسم جمع لرجل ﴿من قوم﴾ آخرين أيضا منكم والتنكير إما للتعميم أو للتبعيض والقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض فإن قلت : المنهى عنه هو أن يسخر جماعة من جماعة فيلزم أن لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت : اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لأن السخرية وإكانت بين اثنين إلا أن الغالب أن تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهي شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون والإنكار ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك يعني أنه من نسبة فعل البعض إلى الجميع لرضاهم به في الأغلب أو لوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجاء لأنهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الإناث بما هو مشتق من النسوة تفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير :

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١

وما أدري ولست أخال أدري

أقوم آل حصن أم نساء

﴿عسى﴾ شايد ﴿أن يكونوا﴾ باشند ﴿خيرا منهم﴾ تعليل للنهي أي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله من الساخرين ولا خبر لعسى لإغناء الاسم عنه ﴿ولا نسآء﴾ أي ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة ﴿من نسآء﴾ منهن وإنما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للإشعار بأن مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعا حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجلس الذكر لأن الإنسان إنما يسخر ممن يلابسه غالبا ﴿عسى أن يكن﴾ أي المسخور منهن ﴿خيرا منهن﴾ أي من الساخرات فإن مناط الخميرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبا بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترىء أحد على استحقار أحد فعله أجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله واستهانة من عظمه الله.

وفي التأويلات النجمية : يشير إلى أنه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر إلى أحد بنظر الازراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لأن في استحقار أخيك عجب نفسك مودع كما نظر إبليس بنظر الحقارة إلى آدم عليه السلام فأعجبه نفسه فقال : أناخ ير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعن إلى الأبد لهذا المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن أنه خير منه يكون إبليس وقته وأخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى : عسرى أن يكونوا خيرا منهم فبالقوم يشير إلى أهل المحبة وأرباب السلوك فإنهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** يعني لا ينظر المنتهى من أرباب الطلب بنظر الحقارة إلى المبتدىء والمتوسط عسى

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٩٤/٨

أن يكونوا خيرا منهم فإن الأمور بخواتيمها ولهذا قال أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام : رب أشعت أغبر ذي طمرين لا يوبه به لو أقسم على الله لا يره قال معروف الكرخي يوما لتلميذه السري السقطي قدس الله سرهما : إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي ومن هنا أخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروفالكرهي والله أعلم.
يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير إلى عوام المسلمين لأنه تعالى عبر عن الخواص بالرجال في قوله : رجال لا تلهيهم تجارة وقوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يعني لا ينبغي لمسلم ما أن ينظر إلى مسلم ما بنظر الحقارة عسى أن يكن خيرا منهن إلى هذا المعنى يشير.
ثم نقول إن للملائكة شركة مع إبليس في قولهم لآدم : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في نظرهم إليه بالحقارة إعجاب أنفسهم مودعا ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الأعجاب وتابوا إلى الله ورجعوا مما قالوا فعالجهم الله تعالى بإسجادهم لآدم لأن في السجود غاية الهوان والذلة للساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان في تحقير آدم هو أنه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم أمرهم بالسجود لأن علاج العلل بأضدادها فزال عنهم علة العجب وقد أصر إبليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن فكذلك حال من ينظر إلى أخيه المسلم بنظر الحقارة.
قال الحافظ :
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١
من بشم حقارت نكاه بر من مست
كه نيست معصيت وزهدبى مشيت او
" (١).

"وقال الكاشفي : بإنعام روردكار خود يعني بحمد الله ونعمته أو ما أنت بكاهن حال كونك منعما عليك به فهو حال لازمة من المنوي في كاهن لأنه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفي ويجوز أن يجعل الباء للقسم ﴿بكاهن﴾ كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون في غد من غير وحي وفي المفردات الكاهن الذي يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطىء ويصيب قال عليه السلام : من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما قال فقد كثر بما أنزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة إذا تعاطى ذلك وكهن إذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفي القاموس كهن له كجعل ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهنا وتكهنا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك في قوله عليه السلام : من سأل عرافا لم تقبل صلاته أربعين ليلة العراف من يخبر بما أخفى من المسروق أو الكاهن وأما من سألهم لاستهزائهم أو لتكذيبهم فل يلحقه ما ذكر في الحديث بقرينة

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٦٥/٩

حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة فإن قلت هذا

١٩٨

مخالف لقوله عليه السلام : من صدق كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد قلت : اللائح لي في التوفيق أن يقال مصدق الكاهن يكون كافرا إذا اعتقد أنه عالم بالغيب وأما إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفي هدية المهديين من قال أعلم المسروقات يكفر ولو قال أنا أخبر عن أخبار الجن يكفر أيضا لأن الجن كالإنس لا يعلم غيبا ﴿ولا مجنون﴾ وهو من به جنون وهو زوال العقل أو فساده وفي المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفي التعريفات الجنون هو اختلاف العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادرا وهو عند أبي يوسف إن كان حاصلا في أكثر السنة فمطبق وما دونه فغير مطبق.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٨٤

وفي التأويلات النجمية يشير إلى أن طبيعة الإنسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحاني الذي جبل على فطرة الإسلام في الإنسان مودع بالقوة كالجوهر في المعدن فلا يستخرج إلى الفعل إلا بجهد شهيد وسعي تام على قانون الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام وإرشاده وبعده بإرشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم من المشايخ المسلكين وفي زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل إلى الله وطلب الحق إلا من كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وهو الصدق في الطلب وحسن الإرادة المنتجة من بذر **يحبهم ويحبونه** وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإلا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وإن كانوا يصلون ويصومون ويزعمون أنهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم إلا من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه انتهى.

يقول الفقير في الآية تشريف للنبي عليه السلام جدا حيث أن الله تعالى ناب عنه في الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو أيضا تصريح بما علم التزاما فإن الأمر بالتذكير الذي هو متعلق بالوحي وإن كان مقتضاء كمال العقل والصدق في القول يقتضي أن لا يكون عليه السلام كاهنا ولا مجنونا فهذا النفي بالنسبة إلى ظاهر الحال فإنه لا يخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فإن قوله لا إله نفي للوجود التوهم الذي يتوهمونه وإلا فلا شيء غير الإثبات فافهم والله المعين :

سيدى كزو هم قدرش بر ترست

خاك ايش رخ را تاج سرست

كتاب روح البيان ج٩ متن

الهام رقم ٢١ من صفحة ١٩٩ حتى صفحة ٢٠٩

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٨٤

﴿أم يقولون﴾ بلكه مى كويند درحق تو ام المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ونقل البغوي عن الخليل أنه قال ما في سورة الطور من ذكر أم كله استفهام وليس بعطف يعني ليست بمنقطعة وقال في برهان

القرآن اعا دام خمس عشرة مرة وكلها إلزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي عين المعاني أم ههنا خمسة عشر وكله استفهام أربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله وقد قالوهما وأم هم قوم طاغون وأم يريدون كيدا وقد فعلوهما وسائرهما للإنكار وفي فتح الرحمن جميع ما في هذه السورة من ذكر أم استفهام غير عاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره : أجاهل

١٩٩

." (١)

"سورة الملك

مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧١

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٢

﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ البركة النماء والزيادة حسبة أو عقلية ونسبتها إلى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله يعني لن البركة تتضمن معنى الزيادة وهي تقتضي التعالى عن الغيرك ما قال ليس كمثله شيء أي في ذاته لوجوب وجوده وفي صفاته وأفعاله لكل لكلماله فيهما وأما قوله تخلقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنه فإن الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فأين أحياء عيسى عليه السلام ، الأموات من أحياء الله تعالى فإنه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد في ذاته فإن التزايد في ذاته لايكون إلا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك إن المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده وإما غيرهم فهم في حكم العارفين لأن الأدلة القطعية

٧٢

لما دلت على ذلك كان في قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما أن أثرها يظهر في الأكثر من اليد يقال فلان بيده الأمر والنهي والحل والعقد أي له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ (قال الحكيم السنائي) يد اوقدر تست ووجه بقاش.

آمدن حكمش ونزول عطاش

اصبعينش نفاذ حكم قدر

قد مينش جلال وقهر وخطر

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٦٤/٩

وفي عين المعني اليد صلة والقدرة والمذهب إنها صفة له تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال في كشف الأسرار ملك هجده هزار عالم بدست اوست.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٢

والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلى في كل الأمور لا بقبضة غيره فيأمر وينهى ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغني ويمرض ويشفى ويقرب ويبعد ويمر ويحرب ويفرق ويصل ويكشف ويحجب إلى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الإلهية والسلطنة الأزلية والأبدية وقال بعضهم : البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها إلى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات أي تكاثر خير الذي بيده الملك وتزايد نعمه وإحسانه كما قال تعالى وإن تعدو نعمة الله تحصوها قال الراغب البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة وإلى هذه الزيادة أشير بما روى لا ينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا تنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفي الكواشي معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من (ب ر ك) وبعسكه يشتمل على معنى أي ثبت الثبوت الخير في خرائن الذي وقال سهل قدس سره تعالى من تعظم عن الأشياء والأولاد والأضداد واتذاد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره : هو المبارك على من انقطع إليه أو كان له أي فإه وارث النبي عليه السلام ، وخليفة وقد قيل في حقه وبارك عليه وقال القاشاني قدس سره الملك عالم الأجسام كما أن الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه في عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية العظمة ونهاية الازدياد في العلو والبركة وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح الذي هو التنزيه كقوله : فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء كلا بما يناسب لأن العظمة والازدياد والبركة تناس الأجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفي الآية إشارة إلى أن لملك إذا كانبيده فهو المالك وغيره المملوك فلا بد للمملوك من خدمة المالك.

خدمت اوكن مكرشاهان تراخدمت كنند

اكرا وباش تاسلطان تراكردد غلام

وفي الحديث القدسي يا دنيا اخدمي من خدمني قال في كشف الأسرار ملك انسانيت جداست

٧٣

وملك دلها جدا وملك جانها جدا زيار انسانيت ملك در دنيا راند إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت راند **يحبهم ويحبونه** وجان ملك در عالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة آن عزيز راه كوبد فرداكه علم كبرايي اوبقيامت برايدكه لمن الملك اليوم من ازكوشه دل خويش بدستورى اودرى بركشايم ودردى ازدردهاى او بيرون دهم تاكرد قيامت بر آيد وكويم لمن الملك اكر معترضي براه آيد كويم او كه ون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ماون أو

ملك جبارى داريم رانكوييم لمن الملك اكر اورا ون ما بندكانست مار ون او خدا اونداست.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٢." (١)

"و جذب الله العبد إلى جنابه سبب للمحبة من العبد لله تعالى فمحبة العبد لله تعالى فرع لمحبة الله تعالى إياه وظل لها قال الله تعالى وألقيت عليك محبّة منّي وقال **يحبّهم ويحبّونه** قدم يحبهم على يحبونه هذا ما ذكرت هو المحبة الذاتية وما ذكر البيضاوي ان المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحمله على ما يقربه إليه فهو بيان للمحبة الصفاتية وهى بمراحل عن المحبة الذاتية الا ترى ان الام يحب ولدها بلا ملاحظة كمال فيه فذلك قريب من المحبة الذاتية وليست منها لان محبة الام تتفرع على علم انتساب الولد إليها واما محبة الله تعالى فهى اعزوا على من ذلك فقد ورد فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة وابن عباس وغيرهما مرفوعا بألفاظ مختلفة ان لله تبارك وتعالى مائة رحمة منها رحمة واحدة قسّمها بين الخلائق يتراحمون بها وادخر لاوليائه تسعة وتسعين - واما ما ذكر البغوي ان حب المؤمنين لله تعالى اتباعهم امره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فليس هذا تعريفا للمحبة بل بيان لمقتضاه وما يدل عليه فَاتَّبِعُونِي الفاء للسببية وذلك لان المحبة سبب لابتغاء مرضات الله تعالى - والمرضى من غير المرضى لا يدرك بالرأى بل بتعليم الله تعالى بتوسط الرسل فثبت ان المحبة سبب لاتباع الرسل والاتباع دليل على وجودها وعدمه دليل على عدمها فمن ادعى المحبة مع مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كذاب يكذبه كتاب الله تعالى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ جواب للامر تقديره ان تتبعونى يحببكم الله - فان قيل مقتضى هذه الآية ان محبة الله تعالى العبد يتفرع على اتباع الرسول المتفرع على محبة من العبد لله تعالى المسبوق بمحبة من الله للعبد فيلزم الدور - قلنا هذه محبة اخرى من الله تعالى سوى المحبة السابقة فمحبة العبد لله تعالى محفوف بمحبتين من الله سبحانه سابق ولاحق فالمحبة السابقة ما." (٢)

"(١) عن قتادة انه قال انزل الله هذه الآية وقد علم انه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام الا ثلثة مساجد أهل المدينة واهل مكة واهل جواثا من عبد القيس وقال الذين ارتدوا نصلى الصلاة ولا تزكى والله لا يغصب أموالنا فكلم أبو بكر فى ذلك يتجاوز عنهم وقيل اما انهم لو قد فقهوا أدوا الزكوة فقال والله لا افرق بين شيء جمعه الله لو منعونى عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله بعصائب مع أبى بكر فقاتلوا حتى قتلوا وأقروا بالماعون وهو الزكوة قال قتادة فكنا نتحدث ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي فى سننه وابن عساكر ١٢ منه (فائده) لم يوجد قتال مع المرتدين الا فى زمن أبى بكر وقد لامه الصحابة وكرهوا ذلك القتال فى الابتداء فلم يخف لومتهم ثم حمدوه فى الانتهاء ١٢ منه وعن أبى موسى الأشعري قال قلت عند النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي الله بقوم يحبونه ويحبهم قال هؤلاء من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب وعن القاسم ابن محمره قال أتيت عمر فرجت فى ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ثم ضرب على منكبى وقال احلف بالله انهم

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٠/٥٥

(٢) تفسير المظهرى، ص/٩٠٧

لمنكم أهل اليمن ثلثا أخرجه البخاري فى تاريخه قلت وقع قتال عسكر أبى بكر مع أهل الردة بامداد أهل اليمن ١٢ منه التفسير المظهري ج ٣ ، ص : ١٢٨." (١)

"و ابن عامر يرتددبفك الإدغام والباقون بالإدغام بفتح الدال مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ يعنى عن الإسلام إلى الكفر قال الحسن علم الله تبارك وتعالى ان قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فاخبر انه سياتى فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** العائد إلى عن محذوف تقديره فسوف يأتي الله أى يقيم الله تعالى لمدافعتهم قوما منكم **يحبهم ويحبونه** واختلفوا فى ذلك القوم من هم قال على رض ابن أبي طالب والحسن والضحاك وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعى الزكوة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب الا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكوة وهمّ أبو بكر بقتالهم فكره ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قاله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر رض والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكوة وقالوا

التفسير المظهري ج ٣ ، ص : ١٢٩." (٢)

"فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم شجاج بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وأسلمت آخرا وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم حتى كفى الله بالمسلمين أمرهم ونصر دينه على يدى أبي بكر رض قالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرب النفاق ونزل بابى ما لو نزل بالجبال الراسيات « ١ » لها ضمها « ٢ » وارتد فى خلافة عمر غسان قوم جبلة ابن الايهم لما اجرى عليه عمر حكم القصاص تنصر وصار إلى الشام وقال قوم المراد « ٣ » بقوم **يحبهم ويحبونه** هم الأشعريون روى عن عياض بن غنم قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه ابن جرير فى سننه والطبراني والحاكم وكانوا من اليمن عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هو أضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية متفق عليه وقال الكلبي هم احياء من اليمن الفان من النخع وو خمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من إفناء الناس فجاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية فى ايام عمر رض أَذِلَّةٍ جمع ذليل من ذل يذل ذلا وذلالة بالضم وذلة بالكسر ومذلة وذلالة بالفتح بمعنى هان كذا فى القاموس والذلة انكانت على الإنسان من نفسه فهى محمودة قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى كن كالمقهور لهما وانكانت من غيره عليه فعليه عذاب قال الله تعالى ترهقهم ذلة وضربت عليهم الذلة والمسكنة وضد الذلة العز بمعنى الغلبة والعزيز الذي يقهر ولا يقهر وهى إن كان للانسان من نفسه لنفسه فمذموم قال الله

---

(١) تفسير المظهرى، ص/١٩٨٠

(٢) تفسير المظهرى، ص/١٩٨١

تعالى بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وقد يستعار

---

(١) أى القائمات ١٢

(٢) أى كسرها ١٢

(١) ".)

"إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا متصل بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وما بينهما اما لتاكيد النهى كقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى فترى الذين فى قلوبهم الآية واما لتوطية تعيين من هو حقيق للولاية كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** الآية وهذه الآية لتعيين من هو حقيق بالولاية والنفي المستفاد بانما هو على قول البصريين لتاكيد النهى المستفاد مما سبق وانما قال وليكم ولم يقل أوليائكم للتنبيه على ان الولاية لله خاصة على الاصالة وما هو لرسوله وللمؤمنين فبالتبع الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ صفة للذين أمنوا لأنه جار مجرى الاسم ولو قدر له موصوف يكون صفة ثانية لموصوفه أو بدل منه ويجوز نصه على المدح وكذا رفعه بتقدير المبتدأ يعنى هم أو الاستيناف فى جواب من الذين أمنوا وَهُمْ راكِعُونَ الواو للعطف على يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة والمعنى هم مصلون صلوة ذات ركوع بخلاف صلوة اليهود والنصارى فانها لا ركوع فيها أو المعنى هم خاضعون متخشعون فى صلوتهم وزكوتهم قال الجوهري يستعمل الركوع تارة فى التواضع والتذلل وجاز ان يكون الواو للحال من فاعل يؤتون أى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلاة مسارعة إلى الإحسان أخرج الطبراني فى الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال وقف على على بن أبى طالب سائل وهو راكع فى تطوع ونزع خاتمه وأعطاه السائل فنزلت انما وليكم الله ورسوله الآية وله شواهد قال عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى انما وليكم الله قال نزلت فى على ابن أبى طالب وروى ابن مردويه عن وجه اخر عن ابن عباس مثله واخرج أيضا عن على مثله واخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبى حاتم عن سلمة بن كهيل مثله وروى الثعلبي عن أبي ذر والحاكم فى علوم الحديث عن على رض." (٢)

" موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا و من آياتنا حال منه كما هو قاعدة نعت النكرة إذا تقدم عليها وجوز أبو البقاءأن يكون عجبا ومن آياتنا خبرين وإن يكون عجبا حالا من الضمير في الجار والمجرور وليس بذاك والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادة ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما تقدم ومن هنا يعلم وجه الربط وفي الكشف أنه تعالى ذكر من الآيات الكلية وإن كان لتسليته وأنه لا ينبغي أن يبخع نفسه على آثارهم فالمسترشد يكفيه أدنى إشارة والزائغ لا تجدي فيه آيات النذارة والبشارة ما يشتمل على أمهات العجائب وعقبه سبحانه بقوله أم حسبت الخ يعني أن ذلك أعظم من هذا فمن لا يتعجب من ذلك لا ينبغي أن يتعجب من هذا وأريد من الخطاب غيره لأنه كان يعرف من قدرته تعالى ما لا يتعاظمه لا الأول ولا الثاني فأنكر اختلافهم في حالهم تعجبا وإضرابهم عن مثل

---

(١) تفسير المظهرى، ص/١٩٨٤

(٢) تفسير المظهرى، ص/١٩٨٨

تلك الآيات والاعتراض عليه بأن الإضراب عن الكلام الأول إنما يحسن إذا كان الثاني أغرب ليحصل الترقي وإيثار أن الهمزة للتقرير وهو قول آخر في الآية لذلك غير قادح لأن تعجبهم عن هذا دون الأول هو المنكر وهو الأغرب فافهم وبأن المنكر ينبغي أن يكون مقررا عند السامع معلوما عنده وهذا ابتداء إعلام منه تعالى على ما يعرف من سبب النزول من كذلك لأن الإنكار من تعجبهم ويكفي في ذلك معرفتها إجمالا وكانت حاصلة كيف وقد علمت أنه راجع إلى الغير أعني أصحاب الكتاب الذين أمروا قريشا بالسؤال وكانوا عالمين ثم أنه مشترك الإلزام لأن التقرير أيضا يقتضي العلم بل أولى انتهى وقال الطبري : المراد إنكار ذلك الحسبان عليه عليه الصلاة و السلام على معنى لا يعظم ذلك عندك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فإن سائر آيات الله تعالى أعظم من قصتهم وزعم أن هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحق وفي القلب منه شيء وقيل : المراد من الاستفهام إثبات أهم عجب كأنه قيل أعلم أنهم عجب كما تقول أعلمت أن فلان فعل كذا أي قد فعل فاعلمه

والمقصود بالخطاب رسول الله أيضا وليس بشيء وزعم الطيبي أن الوجه إن يجري الكلام على التسلي والاستفهام على التنبيه ويقال : إنه عليه الصلاة و السلام لما أخذه من الكآبة والأسف من إباء القوم عن الإيمان ما أخذه قيل له ما قيل وعلل بقوله تعالى إنا جعلنا الخ على معنى إنا جعلنا ذلك لنختبرهم وحين لم تتعلق إرادتنا بإيمانهم تشاغلوا به عن آياتنا وشغلوا عن الشكر وبدلوا الإيمان بالكفران فلم نبال بهم وإنا لجاعلون أبدانهم جزرا لأسيافكم كما إنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ألا ترى إلى أولئك الفتيان كيف اهتدوا وفروا إلى الله تعالى وتركوا زينة الدنيا وزخرفها فأووا إلى الكهف قائلين ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا وكما تعلقت الإرادة بإرشادهم فاهتدوا تتعلق بإرشاد قومهم من أمتك **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ا هـ ويكاد يكون أعجب من قصة أهل الكهف فتأمل والحسبان إما بمعنى الظن أو بمعنى العلم وقد استعمل بالمعنيين والكهف النقب المتسع في الجبل فإن لم يكن واسعا فهو غار وأخرج ابن أبي حاتم أنه غار الوادي وعن مجاهد أنه فرجة بين الجبلين وعن انس هو الجبل وهو غير مشهور في اللغة والرقيم إسم كلبهم على ما روي عن أنس والشعبي وجاء في رواية عن ابن جبير ويدل عليه قول أميه بن أبي الصلت : وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهمو والقوم في الكهف هجدا ." (١)

" أولادهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أن تكون الدائرة لليهود فعسى الله أن يأتي بالفتح يعني حينئذ

انبا عبد الرحمن قال ثنا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال ناس من أهل اليمن

انا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال ثنا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل منهم القردة والخنازير قال القردة والخنازير مسخت من يهود

---

(١) روح المعاني، ١٥/٢٠٩

انا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا قالوا لقد تحمدنا ." (١)

" صفحة رقم ٣٠٦

يعني في ولاية اليهود بالمدينة ،) يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة (، يعني دولة اليهود على

المسلمين ، وذلك أن نفرا من المنافقين ، أربعة وثمانين رجلا ، منهم : عبد الله بن أبي ، وأبو

نافع ، وأبو لبابة ، قالوا : نتخذ عند اليهود عهدا ونواليهم فيما بيننا وبينهم ، فإنا لا ندري

ما يكون في غد ، ونخشى ألا ينصر محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فينقطع الذي بيننا وبينهم ، ولا نصيب

منهم قرضا ولا ميرة ، فأنزل الله عز وجل : (فعسى الله أن يأتي بالفتح (، يعني بنصر

محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يئسوا منه ،) أو (يأتي) أمر من عنده (، قتل قريظة ، وجلاء النضير

إلى أذرعات ، فلما رأى المنافقون ما لقى أهل قريظة والنضير ، ندموا على قولهم ، قال :

(فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) [آية : ٥٢]

المائدة : (٥٣) ويقول الذين آمنوا . . . . .

فلما أخبر الله عز وجل نبيه (صلى الله عليه وسلم) عن المنافقين ، أنزل هذه الآية : (ويقول الذين آمنوا (

بعضهم لبعض : (أهؤلاء الذين أقسموا بالله (، يعني المنافقين ،) جهد أيمانهم (، إذ

حلفوا بالله عز وجل ، فهو جهد اليمين ،) إنهم لمعكم (على دينكم ، يعني المنافقين ،

)(حبطت أعمالهم (، يعني بطلت أعمالهم ؛ لأنها كانت في غير الله عز وجل ،

)(فأصبحوا خاسرين) [آية : ٥٣] في الدنيا .

تفسير سورة المائدة آية [٥٤ - ٥٧]

المائدة : (٥٤) يا أيها الذين . . . . .

قوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه (، وذلك حين هزموا يوم

أحد ، شك أناس من المسلمين ، فقالوا ما قالوا ،) فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** (،

فارتد بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنو تميم ، وبنو حنيفة ، وبنو أسد ، وغطفان ، وأناس من

كندة ، منهم الأشعث بن قيس ، فجاء الله عز وجل بخير من الذين ارتدوا ، بوهب بطن

من كندة ، وبأحمس بجيلة ، وحضرموت ، وطائفة من حمير وهمذان ، أبدلهم مكان

الكافرين .

ثم نعتهم ، فقال سبحانه : (أذلة على المؤمنين (بالرحمة واللين ،) أعزة على." (٢)

---

(١) تفسير مجاهد، ١٩٩/١

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، ٣٠٦/١

"١٣٩- قال: وحدثني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي أن عمر بن عبد العزيز أرسل يوماً إليه، وعمر أمير المدينة يومئذٍ، #٦٣# فقال: يا أبا حمزة، آيةٌ أسهرتني البارحة، قال: محمد: وما هي، أيها الأمير، قال: قول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ **يحبهم ويحبونه** أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم))، قال محمد: أيها الأمير، إنما عنى الله بـ ﴿أيها الذين آمنوا﴾ الولاة من قريش، ﴿من يرتد منكم﴾ عن الحق ﴿يأتي الله بقومٍ﴾، وهم أهل اليمن؛ قال عمر: يا ليتني وإياك منهم، قال: آمين.." (١)

#٨٦#"

١٩٢- قال: وحدثني ابن سمعان قال: بلغنا عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقومٍ **يحبهم ويحبونه** أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ﴾، هم ناسٌ من أهل اليمن سابقتهم الأنصار.." (٢)

""ويقول"، لأنها كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل المشرق، بالواو، وبرفع"يقول" على الابتداء.

* * *

فتأويل الكلام= إذ كانت القراءة عندنا على ما وصفنا (١) =: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول المؤمنون: أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذبا إنهم لمعنا؟

* * *

يقول لله تعالى ذكره، مخبرا عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم="حبطت أعمالهم"، يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلا لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرض واجب، ولا على صحة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرها، إذ لم تكن له (٢) ="فأصبحوا خاسرين"، يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون، عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر، قد وكسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم، وهلكوا. (٣)

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله:"يا أيها الذين آمنوا"، أي: صدقوا لله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم="من يرتد منكم عن دينه"، يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: "إذ كان القراءة" ، والجيد ما أثبت.

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ص/٦٢

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ص/٨٦

(٢) انظر تفسير"حبط" فيما سلف ٩: ٥٩٢ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير"خسر" فيما سلف ص: ٢٢٤ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك.." (١)

"هو عليه اليوم، فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، (١) فلن يضر الله شيئا، وسيأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم، المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقوم خير من الذين ارتدوا وابدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله. (٢)

وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وعده من وعد من المؤمنين ما وعده في هذه الآية، لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه، ولا يرتد. فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم، ارتد أقوام من أهل الوبر، وبعض أهل المدر، فأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٧٧ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب: أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوما، وعمر أمير المدينة يومئذ، فقال: يا أبا حمزة، آية أسهرتني البارحة! قال محمد: وما هي، أيها الأمير؟ قال: قول الله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه" حتى بلغ"ولا يخافون لومة لائم". فقال محمد: أيها الأمير، إنما عنى الله بالذين آمنوا، الولاة من قريش، من يرتد عن الحق. (٣)

---

(١) انظر تفسير"ارتد" فيما سلف ص: ١٧٠ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك.

(٢) سياق هذه العبارة: "فسوف يجي الله... المؤمنين... بقوم...".

(٣) الأثر: ١٢١٧٧-"عبد الله بن عياش بن عباس القتباني" ، ليس بالمتين ، وهو ثقة. مترجم في التهذيب.

و"أبو صخر" هو"حميد بن زياد الخراط" ، مضى مرارا ، منها برقم: ٤٢٨٠ ، ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ ، ٨٣٩١ ، ١١٨٦٧ ، ١١٨٩١.

ثم انظر الأثر التالي برقم: ١٢١٩٩.." (٢)

"ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين، وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم.

فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٧٨ - حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا حفص بن غياث، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن في قوله:"يا أيها الذين

---

(١) تفسير الطبري، ٤٠٩/١٠

(٢) تفسير الطبري، ٤١٠/١٠

آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه. (١)

١٢١٧٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن، مثله.

١٢١٨٠ - حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة بن سليمان، عن جويبر، عن سهل، عن الحسن في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: أبو بكر وأصحابه.

١٢١٨١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن علي، عن أبي موسى قال: قرأ الحسن:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: هي والله لأبي بكر وأصحابه. (٢)

١٢١٨٢ - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا أحمد بن بشير، عن هشام،

---

(١) الأثر: ١٢١٧٨-"الفضل بن دلهم الواسطي القصاب". مختلف في أمره. مضى برقم: ٤٩٢٨.

(٢) الأثر: ١٢١٨١-"حسين بن علي بن الوليد الجعفي" ، مضى قريبا: ١٢١٦٤.

و"أبو موسى" ، هو: "إسرائيل بن موسى البصري" ، نزيل الهند. روى عن الحسن البصري. ثقة لا بأس به. مترجم في التهذيب.." (١)

"عن الحسن في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: نزلت في أبي بكر وأصحابه. (١)

١٢١٨٣ - حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم"، قال: هو أبو بكر وأصحابه. لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام.

١٢١٨٤ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، إلى قوله:"والله واسع عليم"، أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ارتد عامة العرب عن الإسلام= إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس= قالوا: نصلي ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا! (٢) فكلم أبو بكر في ذلك فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها= أو: أدوها= (٣) فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه! (٤)

---

(١) الأثر: ١٢١٨٢-"نصر بن عبد الرحمن الأزدي" ، هكذا جاء هنا أيضا في المخطوطة والمطبوعة: "الأودي" ، وقد سلف أن تكلم عليه أخي السيد أحمد ، وصححه"الأزدي" كما أثبته هنا ، ولكني في شك من تصحيح ذلك كذلك ، لكثرة إثباته في التفسير في كل مكان"الأودي" انظر ما سلف: ٤٢٣ ، ٨٧٥ ، ٢٨٥٩ ، ٨٧٨٣.

---

(١) تفسير الطبري، ٤١١/١٠

و"أحمد بن بشير القرشي المخزومي" ، أبو بكر الكوفي. مضى برقم: ٧٨١٩.
و"هشام" هو: "هشام بن عروة بن الزبير بن العوام" ، مضى برقم: ٢٨٨٩ ، ٨٤٦١.
(٢) القائلون: "نصلي ولا نزكي" ، هم الذين ارتدور من عامة العرب.
(٣) في المطبوعة: "أعطوها أو زادوها" ، وهو تخليط فاحش ، وصوابه من المخطوطة وقوله: "أو: أدوها" ، كأنه قال: روى بدل"أعطوها" ، "أدوها". و"الهاء" فيهما راجعة إلى"الزكاة" التي منعوها.
(٤) "العقال" (بكسر العين): زكاة عام من الإبل والغنم. يقال: "أخذ منهم عقال هذا العام" ، أي زكاته وصدقته. وقد فسره آخرون بأنه الحبل الذي كان تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة. وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤدي مع كل فريضة عقالا تعقل به ، و"رواء" أي: حبلا. ويروي الخبر"لو منعوني عناقا". و"العناق": الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة.." (١)

"فبعث الله عصابة مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم، حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة، فقاتلهم حتى أقروا بالماعون =وهي الزكاة= صغرة أقمياء. (١) فأتته وفود العرب، فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية. فاختاروا الخطة المخزية، وكانت أهون عليهم أن يقروا: أن قتلاهم في النار، وأن قتلى المؤمنين في الجنة، (٢) وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال.

١٢١٨٥ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**"، قال ابن جريج: ارتدوا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم أبو بكر.

١٢١٨٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن هشام

---

(١) "صغرة" جمع"صاغر": وهو الراضي بالذل والضيم. و"أقمياء"جمع"قمئ": وهو الذليل الضارع المتضائل. والذي في كتب اللغة من جمع"قمئ""قماء" (بكسر القاف) و"قماء" (بضمها). وقد مر في الأثر رقم: ٤٢٢١"قمأة" في المخطوطة ، وانظر التعليق عليه هناك. و"أقمياء" جمع عزيز هنا ، فإن"فعيلا" الصفة ، يجمع قياسا على"أفعلاء" ، إذا كان مضاعفا ، مثل"شديد" و"أشداء" ، وكذلك إذا كان ناقصا واويا أو يائيا ، نحو"غني" و"أغنياء" ، و"شقي" و"أشقياء". أما الصحيح ، فقليل جمعه على"أفعلاء" ، مثل"صديق" و"أصدقاء". فإذا صحت رواية"أقمياء" في هذا الخبر ، فهو صحيح في العربية إن شاء الله ، لهذه العلة ولغيرها أيضا.
(٢) في المطبوعة: "أن يستعدوا أن قتلاهم في النار" ، وفي المخطوطة مثلها غير منقوطة ، ولم أجد لها تحريفا أقرب مما أثبت ، استظهرته من الخبر الذي رواه الشعبي ، عن ابن مسعود وهو: قوله: "فوالله ما رضى لهم إلا بالخطة المخزية ، أو الحرب

---

(١) تفسير الطبري، ٤١٢/١٠

المجلية. فأما الخطة المخزية فأن أقروا بأن من قتل منهم في النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا. وأما الحرب المجلية ، فأن يخرجوا من ديارهم" (فتوح البلدان للبلاذري: ١٠١).." (١)

"قال، أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن أبي أيوب، عن علي في قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه"، قال: علم الله المؤمنين، ووقع معنى السوء على الحشو الذي فيهم من المنافقين ومن في علمه أن يرتدوا، (١) قال:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله"، المرتدة في دورهم (٢) ="بقوم **يحبهم ويحبونه"**، بأبي بكر وأصحابه. (٣)

* * *

وقال آخرون: يعني بذلك قوما من أهل اليمن. وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري، عبد الله بن قيس. (٤)

ذكر من قال ذلك:

١٢١٨٨ - حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية،"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**،

---

(١) في المطبوعة: "وأوقع معنى السوء" ، وأثبت ما في المخطوطة ، وأنا في شك من العبارة كلها ، وإن كان لها وجه ومعنى.

(٢) في المطبوعة: "المرتدة عن دينهم" ، وفي المخطوطة: "في دينهم" ، والصواب ما أثبته من الأثر التالي رقم: ١٢٢٠١.

(٣) الأثر: ١٢١٨٦- في المطبوعة: "سيف بن عمرو" ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت من المخطوطة. وقد مضى مثل هذا الأثر برقم: ١٢١٢٨ وفيه"عبد الله بن هشام". وقد ذكرت هنالك أني لم أعرفه. وسقط من الترقيم؛ رقم: ١٢١٨٧ سهوا.

(٤) عن هذا الموضع ، انتهى جزء من تقسيم قديم ، وفي المخطوطة ما نصه:

"يتلوه: ذكر من قال ذلك.

وصلى الله على محمد".

ثم يتلوه ما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك".." (٢)

"قال: أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: هم قوم هذا!

١٢١٨٩ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: يعني قوم أبي

---

(١) تفسير الطبري، ٤١٣/١٠

(٢) تفسير الطبري، ٤١٤/١٠

موسى.

١٢١٩٠ - حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال، حدثنا ابن إدريس، عن شعبة = قال أبو السائب: قال أصحابنا: هو:"عن سماك بن حرب"، وأنا لا أحفظ"سماكا" = عن عياض الأشعري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قوم هذا يعني أبا موسى.

١٢١٩١ - حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن إدريس، عن شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: هم قوم هذا= في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**".

١٢١٩٢ - حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا شعبة، عن سماك بن حرب قال: سمعت عياضا الأشعري يقول: لما نزلت:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قومك يا أبا موسى!= أو قال: هم قوم هذا= يعني أبا موسى. (١)

---

(١) الآثار: ١٢١٨٨- ١٢١٩٢-"عياض الأشعري" ، هو"عياض بن عمرو الأشعري" ، تابعي ، مختلف في صحبته ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. رأى أبا عبيدة بن الجراح ، وعمر بن الخطاب ، وأبا موسى الأشعري ، وغيرهم. قال ابن سعد ٦: ١٠٤: "كان قليل الحديث". روى عنه الشعبي ، وسماك بن حرب. مترجم في التهذيب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب: ٤٩٨ ، والكبير للبخاري ٤/ ١/ ١٩.

وهذا الخبر رواه ابن سعد في الطبقات ٤/ ١/ ٧٩ ، من طريق عبد الله بن إدريس ، وعفان بن مسلم ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض. والحاكم في المستدرك ٢: ٣١٣ ، من طريق وهب بن جرير ، وسعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض ، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي. وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ١٦ ، وقال: "رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح". وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٢ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة في مسنده ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل. وذكره ابن كثير في تفسيره ٣: ١٧٩ ، ١٨٠ ، عن ابن أبي حاتم ، عن عمر بن شبة ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن شعبة.." (١)

"١٢١٩٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو سفيان الحميري، عن حصين، عن عياض= أو: ابن عياض="فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**"، قال: هم أهل اليمن. (١)

١٢١٩٤ - حدثنا محمد بن عوف قال، حدثنا أبو المغيرة قال، حدثنا صفوان قال، حدثنا عبد الرحمن بن جبير، عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه" إلى آخر الآية، قال عمر: أنا وقومي هم، يا رسول الله؟ قال:"لا بل هذا وقومه! يعني أبا موسى الأشعري. (٢)

* * *

---

(١) تفسير الطبري، ٤١٥/١٠

(١) الأثر: ١٢١٩٣-"وأبو سفيان الحميري" ، هو"سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري" الحذاء ، الواسطي. صدوق ، وقال الدارقطني: "متوسط الحال ليس بالقوي". مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/ ١/ ٤٧٧ ، وابن أبي حاتم ٢/ ١/ ٧٤.

و"حصين" هو"حصين بن عبد الرحمن السلمي" ، ثقة ، من كبار الأئمة. مضى برقم: ٥٧٩ ، ٢٩٨٦.

و"عياض" هو الأشعري كما سلف في الآثار السابقة. وأما "ابن عياض" ، فلم أجد من ذكر ذلك ، وكأنه شك من أبي سفيان الحميري ، أو سفيان بن وكيع.

وانظر تخريج الآثار السالفة.

(٢) الأثر: ١٢١٩٤-"محمد بن عوف بن سفيان الطائي" ، شيخ الطبري ، ثقة حافظ ، مضى برقم: ٥٤٤٥.

و"أبو المغيرة" هو: "عبد القدوس بن الحجاج الخولاني" ، "أبو المغيرة الحمصي" ثقة ، صدوق. مضى برقم: ١٠٣٧١.

و"صفوان" ، هو: "صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي" ، سمع عبد الرحمن بن جبير ، مضى برقم: ٧٠٠٩. وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/ ٢/ ٣٠٩ ، وابن أبي حاتم ٢/ ١/ ٤٢٢ ، وفي ترجمته في التهذيب خطأ بين ، ذكر أنه مات سنة (١٠٠) والصواب سنة (١٥٥) ، كما في التاريخ الكبير وغيره.

و"عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي" ، تابعي ثقة. مضى برقم: ١٨٦ ، ١٨٧.

و"شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي" تابعي ثقة ، مضى برقم: ٥٤٤٥. و"صفون بن عمرو" يروي عن شريح مباشرة ، ولكنه روى هنا عنه بواسطة"عبد الرحمن بن جبير".

وهذا الأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير.." (١)

"وقال آخرون منهم: بل هم أهل اليمن جميعا.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٩٥ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله:"**يحبهم ويحبونه**"، قال: أناس من أهل اليمن.

١٢١٩٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٢١٩٧ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد قال: هم قوم سبأ.

١٢١٩٨ - حدثنا مطر بن محمد الضبي قال، حدثنا أبو داود قال، أخبرنا شعبة قال، أخبرني من سمع شهر بن حوشب قال: هم أهل اليمن. (١)

١٢١٩٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي: أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوما، وهو أمير المدينة، يسأله عن ذلك: فقال محمد:"يأتي الله بقوم"، وهم أهل

(١) تفسير الطبري، ١٠/٤١٦

اليمن! قال عمر: يا ليتني منهم! قال: آمين! (٢)

* * *

وقال آخرون: هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك:

١٢٢٠٠ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) الأثر: ١٢١٩٨-"مطر بن محمد الضبي" ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة ولا ذكرا. وفيمن اسمه"مطر": "مطر بن محمد بن نصر التميمي الهروي" ، مترجم في تاريخ بغداد ٣: ٢٧٥ . و"مطر بن محمد بن الضحاك السكري" ، يروي عن يزيد بن هرون. مترجم في لسان الميزان ٦: ٤٩ . ولا أظنه أحدهما ، وأخشى أن يكون دخل اسمه بعض التحريف.

(٢) الأثر: ١٢١٩٩- انظر الأثر السالف رقم: ١٢١٧٧ ، والتعليق عليه.." (١)

"حدثنا أسباط، عن السدي:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، يزعم أنهم الأنصار.

* * *

وتأويل الآية على قول من قال: عنى الله بقوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، أبا بكر وأصحابه في قتالهم أهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم=: يا أيها الذين آمنوا، من يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئا، وسيأتي الله من ارتد منكم عن دينه بقوم **يحبهم ويحبونه**، ينتقم بهم منهم على أيديهم. وبذلك جاء الخبر والرواية عن بعض من تأول ذلك كذلك:

١٢٢٠١ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن هشام قال، أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي في قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم"، قال يقول: فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم (١) ="بقوم **يحبهم ويحبونه"**، بأبي بكر وأصحابه. (٢)

* * *

وأما على قول من قال: عنى الله بذلك أهل اليمن، فإن تأويله: يا أيها الذين آمنوا، من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله المؤمنين الذين لم يرتدوا، بقوم **يحبهم ويحبونه**، أعوانا لهم وأنصارا. وبذلك جاءت الرواية عن بعض من كان يتأول ذلك كذلك.

١٢٢٠٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:"يا أيها الذين

---

(١) تفسير الطبري، ٤١٧/١٠

(١) قوله: في دورهم" ، هو الصواب ، وقد كان في المخطوطة والمطبوعة ، في الأثر السالف رقم: ١٢١٨٦"في دينهم" و"عن دينهم" ، والصواب هو الذي هنا. انظر التعليق السالف ص: ٤١٤ تعليق: ٢.

(٢) الأثر: ١٠٢٠١- هو بعض الأثر السالف رقم: ١٢١٨٦ ، وكان في هذا الموضع أيضا"سيف بن عمرو" ، وهو خطأ ، كما بينته هناك.." (١)

"@ ٣٩٢ @ فنصح لهم ، وأشار إلى أنه الذبح ، أو في أنصاريين خافا من وقعة أحد فأراد أحدهما التهود ، والآخر التنصر ليكون لهما أمانا ، حذراً من إدالة الكفار . ! ٢ " فإنه منهم " ٢ ! مثلهم في الكفر ، قاله ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما . # ٥٢ - ! ٢ " مرض " ٢ ! شك ، أو نفاق ، نزلت في ابن أبي ، وعبادة ، أو في قوم منافقين . ! ٢ " فيهم " ٢ ! في موالاتهم . ! ٢ " دائرة " ٢ ! هي الدولة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له سميت بذلك ، لأنها تدور إليه إلى بعد زوالها عنه . ! ٢ " بالفتح " ٢ ! فتح مكة ، أو فتح بلاد المشركين ، أو الحكم والقضاء . ! ٢ " أو امر " ٢ ! دون الفتح الأعظم ، أو موت من تقدم ذكره من المنافقين أو إظهار نفاقهم ، والأمر بقتلهم ، أو الجزية . ^ (يآ أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يآ أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ". (٢)

"﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ [الإسراء : ٧] ليس لأحد أن يعترض عليه في أفعاله وأحكامه ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ﴿ لا يخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ٩] ومن أسماء السلوب القدوس والسلام لأنه منزه وسالم من نقائص الإمكان . ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير أو لا يغلبه شيء ، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من إيصال الرحمة ، والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه ، وربما يفرق بينهما بأن المكلف يأمن العقوبة في صفة الحليم دون صفة الصبور . وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها : القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع إلى القدرة ومنها ما يرجع إلى العلم ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [التغابن : ١٨] ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] ﴿ علام الغيوب ﴾ [المائدة : ١٠٩] ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون ﴾ [البقرة : ١٨٧] ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] ﴿ وعلم آدم الأسماء ﴾ [البقرة : ٣١] ولم يرد علامة وإن كان يفيد المبالغة لأن ذلك بتأويل أمة أو جماعة . والخبير يقرب

---

(١) تفسير الطبري، ١٠/٤١٨

(٢) تفسير العز بن عبد السلام موافق للمطبوع، ص/٢٦٣

من العليم وكذا الشهيد إذا فسر بكونه مشاهدا لها ، وإذ أخذ من الشهادة كان من وصف الكلام . والحكمة تشارك العلم من حيث إنه إدراك حقائق الأشياء كما هي وتباينه بأنها أيضا صدور الأشياء عنه كما ينبغي . واللطيف قد يراد به إيصال المنافع إلى الغير بطرق خفية عجيبة ، والتحقيق أنه الذي ينفذ تصرفه في جميع الأشياء . ومنها ما يرجع إلى الكلام ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ [النساء : ١٦٤] ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾ [الشورى : ٥١] ﴿ وإذ قال ربك ﴾ [البقرة : ٣٠] ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ [ق : ٣٠] ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [النساء : ١٢٢] ﴿ إنما أمره ﴾ [يس : ٨١] ﴿ إن الله يأمركم ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿ وعد الله حقا ﴾ [النساء : ١٢٢] ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ [النجم : ٩] ﴿ وكان الله شاكرا عليما ﴾ [النساء : ١٤٧] ﴿كان سعيكم مشكورا ﴾ [الدهر : ٢٢] وذلك أنه أثنى على عبده بمثل قوله ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨ ، ١٩] وهذا صورة الشكر . ومنها ما يرجع إلى الإرادات ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] Bهم أي صار مريدا لأفعالهم ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ [التوبة : ١٠٨] يريد إيصال الخير إليهم ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ [الإسراء : ٣٨] . الأشعرية : الكراهية عبارة عن إرادة عدم الفعل . المعتزلة : له صفة أخرى غير الإرادة . ومنها ما يرجع إلى السمع والبصر ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٦] ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ [الإسراء : ١] ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وأما الصفات الإضافية مع السلبية فكالأول لأنه مركب من معنيين : أحدهما أنه سابق على غيره ، والثاني لا يسبق عليه غيرهن وكالآخر فإنه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعد غيرهن ، وكالقيوم فإنه الذي يفتقر إليه غيره ولا يفتقر إلى غيره ، والظاهر إضافة محضة وكذا الباطن ، أي أنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب الماهية .." (١)

"﴿ ولا هم يحزنون ﴾ [يونس : ٦٢] على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا . ثم إن الأئمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالآخرة ، لأن مجاري الأمور في الدنيا لا تخلو من مواجب الخوف والحزن . وقال A « خص البلاء بالأنبياء ثم بالأولياء ثم الأمثل فالأمثل » قلنا : المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها ، وإنما مراده مراد حبيبه ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] فبترك الإرادة يصح نسبة العبودية ، وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان ، وتنكشف الهموم والأحزان ، ويتساوى الفقر والوجدان ، وتثبت حقيقة الإيمان ﴿ والذين كفروا ﴾ لجحدهم مولاهم ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ لإثباتهم حكما لهم بحسب مشتهاهم وهواهم ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ وملازموها دائما سرمدا سواء كانوا من الإنس أو من الجن ، أعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله .

التأويل : إنكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية الروحانية ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للأمر وامتثالا للحكم ، اسجدوا له تعظيما لشأن خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به ، فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ اسجدوا لآدم لأجل آدم فإن عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٢/١

درجاتكم ، ولكن فائدتها تعود إلى الإنسان لقوله ﴿ يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ ولأن الإنسان يقتدي بهم في الطاعة ويتأدب بآدابهم في امتثال الأوامر والانزجار عن الإباء والاستكبار ، كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق إبليس ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ لأنهم خلقوا من نور ، والنور من شأنه الانقياد والإفاضة ، وأنه خلق من نار والنار من شأنها الاستعلاء طبعا ﴿ وكان من الكافرين ﴾ لأنه ستر الحق على آدم كما سمي إبليس لأنه أبلس الحق . ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ أي أبحت لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لأنك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فأعطني هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها لي وأنا خلقتها ، فإن طمعت فيها أيضا فاعلم أن الإنسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم حرصه « هل من مزيد » ولا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه أي سابقة رحمته وعنايته « سبقت رحمتي غضبي » ثم إنه أبيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها ﴿ فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴾ وقيل لهما اقتنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على أنفسكما ، ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على رأسكما ، ولا تقربا شجرة المحبة وقد غرست لأجله في الحقيقة ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] . ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال . وأيضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة أنواع المرادات النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فإن الإنسان حريص على ما منع وأيضا إنه تعالى وسع أسباب الانبساط أولا ثم ضيق عليه الأمر آخرا .." (١)

"﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] وهذا النوع من الإضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه . وأكثر الأمة على أن القرآن إنما نزل على محمد لا على قلبه ، لكن خص القلب بالذكر لأن السبب في تمكنه A من الأداء ثباته في قلبه ، فمعنى على قلبك حفظه إياك وفهمه . وقيل : أي جعل قلبك متصفا بأخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة « كان خلقه A القرآن » وكان حق الكلام أن يقال على قلبي إلا أنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل : قل ما تكلمت به من قولي ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك ﴾ ومعنى ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ موافقا لما قبله من كتب الأنبياء فيما يرجع إلى المبادئ والغايات دون الأوساط التي يتطرق إليها الاختلاف بتبدل الأزمان والأوقات . ومعنى قوله ﴿ وهدى وبشرى ﴾ أن القرآن يشتمل على أمرين . أحدهما بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأفعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى ، وثانيهما بيان أن الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى ، والأول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر أيضا . ولا ريب أن البشرى تختص بالمؤمنين ، وأما الهدى فلأنهم هم المنتفعون به كما مر في ﴿ هدى للمتقين ﴾ . ولما بين في الآية المتقدمة أن من كان عدوا لجبريل لأجل أنه نزل القرآن على قلب محمد A وجب أن يكون عدوا لله تعالى ، بين في الآية التالية أن من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فإن الله يعاديهم وينتقم منهم . والعداوة بالحقيقة لا تصح إلا فينا لأن العدو للغير هو الذي يريد إنزال المضار به ، وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي . فمعنى قوله ﴿ من كان عدوا لله ﴾ أي لأولياء الله كقوله ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ [المائدة : ٣٣] ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ [الأحزاب : ٥٧] . أو يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه ، لأن العدو لا يكاد

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢٠٢/١

يوافق عدوه وينقاد لأمره . قال أهل التحقيق : عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره إليهم في الأزل بالقهر « هؤلاء في النار ولا أبالي » كما أن محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله إياهم ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] وذلك أن صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة ، والأولى علة الثانية . وأفرد الملكان بالذكر دلالة على فضلها كأنهما من جنس آخر ، فإن التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات ، ولأن الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن أن ينص على اسميهما . وتقديم جبريل في الذكر يدل على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا أن جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الأرواح ، وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الأبدان .." (١)

"ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره ، أو يأكلونه كما أكلت باهلة آلهتها من حيس وهو الأقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر :

أكلت حنيفة ربها ... زمن التجعم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والتباعة

واعلم أن إطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن والحديث كما في هذه الآية وكقوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] ويروى أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت . وقد جاء لقبض روحه - هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله إليه : هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله . فقال : يا ملك الموت الآن فاقبض . وجاء أعرابي إلى النبي A فقال : يا رسول الله متى الساعة؟ فقال : « ماذا أعددت لها » فقال : ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله . فقال A : « المرء مع من أحبه » . ثم إن الأئمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين : إن المحبة نوع من أنواع الإرادة لا تعلق لها إلا بالجائزات ، ويستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته ، فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته أو يحب ثوابه وإحسانه . وأما العارفون فيقولون : إنا نحب الله لذاته لا لغرض ، ولو كان كل شيء محبوبا لأجل شيء آخر دار أو تسلسل وإذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه ، والرجل الشجاع لقوته وغلبته ، والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب ، فالله تعالى أحق بالمحبة لأن كل كمال بالنسبة إلى كماله نقص ، والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه . وكلما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه أكثر كان حبه له أتم ، وبحسب الترقي في درجات العرفان تزداد المحبة إلى أن يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله عن الالتفات لغيره ويفني عن حظوظ نفسه ، فيه يسمع وبه يبصر وبه يمشي ويتكلم بلسان الحال « ليس في جبتي سوى الله » فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ويحب الله ويحب أولياءه ومقربيه ويناوئ أعداءه ومخالفيه ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة : ٥٤] .

لعين تغذى ألف عين ويتقى ... ويكرم ألف للحبيب المكرم

﴿ ولو يرى ﴾ قرئ بالياء والتاء « وأن » « وإن » بالفتح والكسر فههنا أربعة تقديرات : الأول : لو يعلم الذين ظلموا

---

(١) تفسير النيسابوري، ١/٢٧٧

أنفسهم باتخاذ الأنداد إذا عاينوا العذاب يوم القيامة أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم وأن عذاب الله للظالمين شديد ، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم .." (١)

"﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ولا تكون أيضا من بطشك وإلا كانت منفصمة ، بل تكون من بطشه ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ [البروج : ١٢] ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الإيمان؛ فهي للعوام توفيق الطاعة ، وللخواص مزيد العناية بالمحبة ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ولخواص الخواص الجذبة الإلهية التي تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال A : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » وأعمالهما فانية من عالم الحدوث ، وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام ، فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين .

ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية ، والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية إلى نور الروحانية والربانية ، وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء إلى نور الشهود والبقاء . ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ : ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان ، والأولياء بلفظ الجمع ، ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أي هم أولياء الطاغوت كقوله ﴿ أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ فإن الطاغوت لو فسر بالأصنام فهي بمعزل عن الولاية وإن فسر بالشيطان أو النفس؛ فهم الأعداء لا الأولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة إلى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ، ظلمات بعضها فوق بعض ، دركات بعضها تحت بعض ﴿ أولئك ﴾ أي أرواح الكفار مع النفس والشيطان والأصنام أصحاب النار ، لأن الأرواح ، وإن لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم . والله المستعان .." (٢)

"« وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم » وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها إياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق أمعاؤها فتهلك أو تقارب الهلاك . والمثل الآخر للمقتصد وذلك قوله « إلا آكلة الخضر » وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره ولكنها من كلإ الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها ، فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدي حقه وإن كان له حرص في الطلب والجمع . ولكن لما كان بأمر الشرع وطريق الحل ما أضربه ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ يعني كيف يكون ما أزال نور الأمر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب المنهي؟ فمرتكب الربا في ظلمات ثلاث : ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية . ﴿ وأمره إلى الله ﴾ يرزقه من حيث لا يحتسب ﴿ والله لا يحب كل كفار ﴾ بنعمة الشرع وأنواره ﴿ أثيم ﴾ عامل بالطبع مقيم في ظلمة إصراره . ثم أخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا إيمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ، ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى بإقامة الصلاة وعالجوا ظلمة الركون إلى الدنيا بأنوار إيتاء الزكاة ، فجذبتهم العناية من حضيض العبدية إلى ذروة العندية ﴿

---

(١) تفسير النيسابوري، ١/٣٩٣

(٢) تفسير النيسابوري، ٢/١٢٢

ولهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ﴾ من الرجوع إلى ظلمات الطبيعة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ لفوات أنوار الشريعة . ثم أخبر عن أهل الإيمان المجازي فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ باللسان ﴿ اتقوا الله ﴾ أي بالله كما جاء . « كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله A » . أي جعلناه قدامنا . ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » و ﴿ ذروا ما بقي من الربا ﴾ تركوا ما سوى الله في طلبه ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ إيمانا حقيقيا . ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ لم تتركوا كل زيادة تمنعكم ﴿ فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ببعد منهما وبغض . ﴿ وإن تبتم ﴾ تركتم غيره ﴿ فلكم رؤوس أموالكم ﴾ وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة **يحبهم ويحبونه** ﴿ لا تظلمون ﴾ بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ﴿ ولا تظلمون ﴾ بوضع محبتكم في غير موضعها . ﴿ وإن كان ذو عسرة ﴾ لم يصل إليه ما أعد لأجله عاجلا ﴿ فنظرة إلى ميسرة ﴾ وهو وقت وصوله إليه آجلا ﴿ وأن تصدقوا ﴾ تبذلوا فينا ما تتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم ﴿ فهو خير لكم ﴾ لأنا نجازيكم على قدر مواهبنا ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ قدرها ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾." (١)

"وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقي ولا تذر . وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة وغيرها فإنها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين ، حتى الوجود فإنه وإن عم الخالق والمخلوق إلا أن وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به ، فليس في الكون إلا الله وأفعاله . قرأ القارى بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير C قوله : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] فقال : بحق يحبهم لأنه لا يحب إلا نفسه فليس في الوجود إلا هو ، وما سواه فهو من صنعه . والصانع إذا مدح صنعه فقد مدح نفسه . والغرض أن محبة الله للخلق عائدة إليه حقيقة إلا أنه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها ، مع أنها صدرت عن محل واحد هو محل « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف » فما تعلقت إلا بأهل المعرفة وذلك قوله : « فخلقت الخلق لأعرف » لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الأعمال فقيل لهم ﴿ فاتبعوني ﴾ بالأعمال الصالحة ﴿ يحببكم الله ﴾ يخصكم بالرحمة ﴿ ويغفر لكم ﴾ ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة . وتعلقت بالخاص من أهل المعرفة بالفضل ومشربهم الأخلاق فقيل لهم : ﴿ فاتبعوني ﴾ بمكارم الأخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الجمال ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ يستر ظلمة صفاتكم بأنوار صفاته . وتعلقت بالأخص من أهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الأحوال فقيل لهم ﴿ فاتبعوني ﴾ ببذل الوجود ﴿ يحببكم الله ﴾ يخصكم بجذبكم إلى نفسه ﴿ ويغفر لكم ﴾ ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال : « فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا » فهم بين روضة المحو وغدير الإثبات أحياء غير أموات ، ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما أن الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا . ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ فإن متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبته لكم . ﴿ إن الله اصطفى آدم ﴾ وذلك أن الله تعالى خلق العالمين سبعة أنواع : الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والأرواح ، وجمع في آدم جميع الأنواع وخصه بتشريف ثامن هو تشريف ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ [ص : ٧٢] فهو المظهر لجميع آياته

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٧١/٢

وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله A « وإن الله خلق آدم على صورته » ثم ذكر خواص أولاد آدم نوحا وآل إبراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي ﴿ بعضها من بعض ﴾ بالوراثة الدينية « العلماء ورثة الأنبياء » فالعالم كشجرة وثمرتها أهل المعرفة ﴿ والله سميع ﴾ لدعائهم ﴿ عليم ﴾ بأحوالهم وخصالهم .." (١)

"« يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك » ﴿ محصنات ﴾ بالصدق والإخلاق ﴿ غير مسافحات ﴾ بالتبذير والإسراف ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ من النفس والهوى ﴿ فإذا أحصن ﴾ بالإخلاص في العطاء والمنع والأخذ والدفع ﴿ فإن أتين بفاحشة ﴾ هي غلبات شهواتها على القلب فليبذل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا في الله جناية وغرامة فهو حدها كما أن حد عجوز الدنيا إذا أحصنها ذوو الطول من الرجال فأتت بفاحشة إهلاكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلاة وأتت بفاحشة حب الخيل فطف مسبحا بالسوق والأعناق ﴿ ذلك ﴾ التصرف في قدر من الدنيا ﴿ لمن خشي ﴾ ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الأوامر والنواهي ﴿ وأن تصبروا ﴾ عن التصرف في الدنيا بالكلية ﴿ خير لكم ﴾ كما قال A : « يا طالب الدنيا لتبر فتركها خير وأبر » ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ فلكم المعونة ولغيركم المؤنة . قال إبراهيم : ﴿ إني ذاهب لى ربي ﴾ [الصافات : ٩٩] وأخبر عن حال موسى بقوله : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وعن حال نبينا بقوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [الإسراء : ١] وعن حال هذه الأمة بقوله : ﴿ سنريهم آياتنا ﴾ [فصلت : ٥٣] والمعونة هي الجذبة التي توازي عمل الثقلين ، فلا جرم كان لغير نبينا الوصول إلى السموات فقط ، وكان لنبينا الوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى ، ولأمته التقرب : « لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » والفرق بين النبي والولي ، أن النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير إلا في متابعة النبي وتسليكه . ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ ولهذا أعين بالخدمة حتى يتصل بقوة ذلك إلى مقام لا يصل إلأيه الثقلان بسعيهم إلى الأبد ، وضعفه بالنسبة إلى جلال الله وكماله وإلا فهو أقوى في حمل الأمانة من سائر المخلوقات ، وايضا من ضعفه أنه لا يصبر عن الله لحظة فإنه يحبهم ويحبونه .

الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمد

وكان أبو الحسن الخرقاني يقول : لو لم ألق نفسا لم أبق . وغير الإنسان يصبر عن الله لعدم المحبة . ومن ضعفه أنه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي كما أنه A كان يغان على قلبه وكان يقول حينئذ : كلميني يا حميراء . وكان الشبلي يقول : لا معك قرار ولا منك فرار ، المستغاث بك منك إليك . ضعف الإنسان سبب كماله وسعادته ، فساعة يتصف بصفات البهيمة ، وساعة يتسم بسمات الملك ، وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء في الحديث الرباني : « أنا ملك حي لا أموت أبدا فأطعني عبدي لعلك تكون ملكا حيا لا تموت أبدا » ﴿ إلا أن تكون تجارة ﴾ أي تجارة تنجيكم من عذاب أليم . ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ بصرف أموالكم في شهواتها فإن ذلك سمها القاتل ﴿ إن الله كان بكم رحيما ﴾ إذ

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢/٢٤٥

بين لكم هذه الآفات ودلكم على هذه التجارات . ﴿ ومن يفعل ﴾ صرف المال إلى الهوى تعديا عن أمر الله وظلما على نفسه .." (١)

"قال : مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الآن . ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني أمثال عبدالله بن أبي ﴿ يسارعون فيهم ﴾ في موالاة اليهود والنصارة يهود بني قينقاع ونصارة نجران لأنهم كانوا أهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهامهم ويقرضونهم ﴿ يقولون ﴾ يعتذرون عن الموالاة بقولهم : ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ قال الواحدي : هي الدولة ومثلها صروف الزمان ونوائبه . وقال الزجاج : نخشى أن لا يتم الأمر لمحمد فيدور الأمر كما كان قبل ذلك . ثم سلى رسوله والمؤمنين بقوله : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴾ فعسى من الله الكريم إطماع واجب . والفتح إما فتح مكة أو مطلق دولة الإسلام وغلبة ذويه . وقوله : ﴿ أو أمر من عنده ﴾ المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل ألبتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من الكفار . وقيل : هو أن يؤمر النبي A بإظهار المنافقين وقتلهم . ﴿ فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ﴾ من النفاق والشك في أن أمر الرسول A يتم ﴿ نادمين ويقول الذين آمنوا ﴾ قال الواحدي : حذف الواو ههنا كإثباتها فلهذا جاء في مصاحف أهل الحجاز والشام بغير واو ، وفي مصاحف أهل العراق بالواو ، وذلك أن في الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها ، فإن قوله : ﴿ أهؤلاء ﴾ إشارة إلى الذين يسارعون ، فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الأخرى حسن الوجهان . ووجه العطف مع النصب ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت . ووجه الفصل هو أن يكون جواب سائل يسأل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وإنما يقولون هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص ، أو يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم : ﴿ وإن قوتلتم لننصرنكم ﴾ [الحشر : ١١] وقوله : ﴿ جهد أيمانهم ﴾ أي بإغلاظ الأيمان نصب على الحال أي يجتهدون جهد أيمانهم أو على المصدر من غير لفظه . ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ من قول الله تعالى أو من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء . وفيه معنى التعجب أي ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى ﴿ من يرتد منكم عن دينه ﴾ أي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم أن الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه . وقال الحسن : علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فأخبرهم أنه سبحانه سيأتي ﴿ بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ فتكون الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا . روي في الكشاف أن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة ، ثلاث في عهد رسول الله A بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله A فكتب رسول الله A إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي ، بيته فقتله وأخبر رسول الله A بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله A من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول .." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤٨٤/٢

(٢) تفسير النيسابوري، ١٧٥/٣

"وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب وأسرارها بخلاف ما أنزل في الألواح فإن الألواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها ﴿ لكل جعلنا منكم ﴾ معاشر الأنبياء ﴿ شرعة ﴾ يشرع فيها بالبيان ﴿ ومنهاجا ﴾ يسلك فيه بالعيان ﴿ ولكن ليبلوكم ﴾ أيها الأمم ﴿ فيما آتاكم ﴾ من البيات والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان ، فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ، ويستفيد العاملون بالبرهان ، ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ، ويسلك المشتاقون بنفي المنى ، ويجذب العارفون بترك الورى ، ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ من هذه المقامات ﴿ إلى الله مرجعكم جميعا ﴾ اختيارا بقدم الصدق أو اضطرارا بحلول الأجل ﴿ فإن تولوا ﴾ عن قبول الحق ﴿ فاعلم ﴾ بمطالعة القضاء ﴿ أنما يريد الله ﴾ في حكم القدر ﴿ أن يصيبهم ﴾ مصيبة الإعراض ﴿ ببعض ذنوبهم ﴾ وهو الاعتراض ، فإن الحق سبحانه يلزم بشرط التكاليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف . فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجدوا العبرة بالإيجاد لا بالإيجاب ﴿ لفاسقون ﴾ لخارجون عن جذبات العناية ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت براهين اليقين وانهتكت أستار الريب واستنار القلب بأنوار الغيب ﴿ يسارعون فيهم ﴾ لأن شبيه الشيء منجذب إليه ﴿ أن يأتي بالفتح ﴾ فتح عيون القلوب ﴿ أو أمر من عنده ﴾ وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ بأنوار الغيوب في أستار القلوب ﴿ فأصبحوا خاسرين ﴾ بإبطال الاستعداد الفطري . ﴿ بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴾ هم أرباب السلوك أفناهم عنهم بسطوات يحبهم ثم أبقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه ، فإن محبة الله للعبد إفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ، ومحبة العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة الناسوتية . والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية Bه قد عكس القضية ، فلعله فهم غير ما فهمنا . ثم قال إنه تعالى يحب العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة المخصوصة بالغاية ، والعبد يحب الله بذات تلك الصفة أبدا ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ لارتفاع الأنانية ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ ببقاء اللاهوتية وإثبات الوحدانية ﴿ يجاهدون في سبيل الله ﴾ في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ عند غلبات الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبات الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية ﴿ والله واسع ﴾ كرمه قادر على أن يتفضل على كل أحد لكنه ﴿ عليم ﴾ بحال كل أحد فلا يتفضل إلا على من يستأهله . ﴿ يقيمون الصلاة ﴾ يديمونها مراقبين حقوقها في الباطن بمراعاة السر ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ ما زكى من وجودهم وهو الفناء في الله ﴿ وهم راكعون ﴾ راجعون إلى الله بانحطاط . فمن قيام البشرية إلى قيام القيومية هم الغالبون على أهوائهم وأنفسهم والدنيا والشيطان ﴿ الذين اتخذوا دينكم ﴾ يعني أهل الغفلة والسلو المستهزئين بأهل المحبة والقرب ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة ومقلديهم لأنهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة ﴾ دعوتموهم إلى محل القرب والنجوى ولا يعقلون بالوهم والخيال لذاذة شهود ذلك الجمال .." (١)

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣/١٨١

"وهذا القياس معارض بأن النار من خاصيتها الإحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والإنماء والاستمساك الذي بقوته يصير الإنسان مستمسكا للفيض الإلهي ونفخ الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لأنه صار كعبة حقيقية . فلما ابتلي إبليس بالصغار وطرد من الجوار أخذ في النوح وأيس من الروح ورضي بالبعاد واطمأن بالحياة فقال : ﴿ أنظرني ﴾ فأجيب إلى ما سأل ليكون وبالا عليه ويزي في شقوته ، ولكن لم يجبه بأن لا يذيقه ألم الموت لقوله في موضع آخر ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [ص : ٨١] ﴿ قال فبما أغويتني ﴾ لم تكن حوالته الإغواء إلى الله منه نظر التوحيد وإنما كان للمعارضة والمعاندة لقوله : ﴿ لأغوينهم ﴾ [الحجر : ٣٩] ﴿ لأقعدن ﴾ ﴿ ثم لآتينهم ﴾ من الجهات التي فيها حظوظ النفس ﴿ من بين أيديهم ﴾ من قبل الحسد على الأكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ﴿ ومن خلفهم ﴾ من قبل الطعن في الأكابر الأقدمين والسلف الصالحين . ﴿ وعن أيمانهم ﴾ من قبل إفساد ذات البين وإلقاء العداوة والبغضاء بين الإخوان ﴿ وعن شمائلهم ﴾ من جهة ترك النصيحة مع أهاليهم وأقاربهم وترك الأمر بالمعروف مع عامة المسلمين . أو المراد ﴿ من بين أيديهم ﴾ من قبل الرياء والعجب ﴿ ومن خلفهم ﴾ من قبل الصلف والفخر ﴿ وعن أيمانهم ﴾ من قبل الادعاء وإظهار المواعيد والمواجيد ﴿ وعن شمائلهم ﴾ من قبل الافتراء على أنفسهم ما ليس فيها من الكشوف والأحوال . أو ﴿ من بين أيديهم ﴾ من قبل الاعتراض على الشيخ ﴿ ومن خلفهم ﴾ من قبل التفريق والإخراج عن صحبة الشيخ ﴿ وعن أيمانهم ﴾ من قبل ترك حشمة المشايخ ﴿ وعن شمائلهم ﴾ من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول . أو ﴿ من بين أيديهم ﴾ أثور عليهم أهاليهم وأولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ﴿ ومن خلفهم ﴾ أثور عليهم آباءهم وأمهاتهم ﴿ وعن أيمانهم ﴾ أثور عليهم أحباءهم ﴿ وعن شمائلهم ﴾ أثور عليهم أعداءهم وحسادهم . ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ يعني شجرة المحبة فإن المحبة مطية المحنة ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ على أنفسكما لأن للمحبة نارا ونورا فمن لم يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نارها احترقت أنانيته فيبقى بلا هوية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة ويتنور به كقوله : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لأجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لأجل هذه الشجرة ، وإن منعه منها كان تحريضا له على تناولها فإن الإنسان حريص على ما منع . ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده ﴿ إلا أن تكونا ملكين ﴾ أي من أهل السلو كملكين في زوايا الجنة ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما إبليس في كأس القسم شراب ذكر الحبيب ﴿ وقاسمهما ﴾ فلما غرقا في لجة المحنة وذاقا شجرة المحبة ﴿ بدت لهما سوآتهما ﴾ أي سوآت نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الأحبة في البداية ﴿ وطفقا ﴾ لاشتعال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارها ، فلما التهبت احترقت بلظى نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين بالفرقة .." (١)

"فالمعنى لا أجعل فعلي مخالفا لقولي فلا أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ﴾ إلا أن أصلحكم بالموعظة . والنصحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ﴿ ما استطعت ﴾ ما للمدة ظرفا للإصلاح أي مدة استطاعتي لإصلاحكم ، أو بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ، أو المضاف محذوف أي إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت ، أو مفعولا للإصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله : ضعيف النكاية أعداءه . أي إلا أن أصلح

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤٠٦/٣

ما استطعت إصلاحه من فاسدكم . ثم بين أن كل ما يأتي ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتأييده فقال : ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ والتوفيق أن توافق إرادة العبد إرادة الله ﴿ عليه توكلت ﴾ أخصه بتفويض الأمور إليه لأنه مبدأ المبادىء ﴿ وإليه أنيب ﴾ لأنه المعاد الحقيقي وفي ضمنه تهديد وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم منه . ثم أوعدهم بقوله ﴿ لا يجرمنكم شقاقي ﴾ لا يكسبنكم خلافي ﴿ إن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ من الغرق ﴿ أو قوم هود ﴾ من الريح العقيم ﴿ أو قوم صالح ﴾ من الصيحة ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ لم يقل « ببعيدة » حملا على لفظ القوم لأنه مؤنث ، ولا « ببعيدين » حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف أي وما إهلاكهم ببعيد لأنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدهم . أو المراد وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد . وجوزوا أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما . ﴿ إن ربي رحيم ودود ﴾ يجوز أن يكون بمعنى « فاعل » أو « مفعول » كقوله : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة ، وتنبيه على أن سبق الكفر والمعصية لا ينبغي أن يمنعهم عن الإيمان والطاعة . ولما بالغ خطيب الأنبياء في التقرير والبيان ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ﴾ إما لقلة الرغبة أو قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه : ما أدري ما تقول . كأنهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه . وقيل : لأنه كان ألثغ ﴿ وإنا لنراك فينا ضعيفا ﴾ عن الحسن : مهينا أي لا عزة لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها . وفسر بعضهم الضعيف بالأعمى لأن العمى سبب الضعف ، أو لأنه لغة حمير . وزيف هذا القول أما عند من جوز العمى على الأنبياء فلأن لفظة ﴿ فينا ﴾ يأباه لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم ، وأما عند من لا يجوزه – كبعض المعتزلة – فلأن الأعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وأنه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا ، فلأن يمنع من النبوة كان أولى .." (١)

"﴿ آيات للسائلين ﴾ عن طريق الوصول إلى الله ﴿ ليوسف ﴾ القلب ﴿ وأخوه ﴾ بنيامين الحس المشترك فإن له اختصاصا بالقلب ﴿ أحب إلى أبينا منا ﴾ لأن القلب عرض الروح ومحل استوائه عليه ، والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش . ﴿ اقتلوا يوسف ﴾ القلب بسكين الهوى وبسم الميل إلى الدنيا ﴿ أو اطرحوه ﴾ في أرض البشرية ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ يقبل الروح بوجهه إلى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها ﴿ وتكونوا ﴾ بعد موت القلب ﴿ قوما صالحين ﴾ للنعم الحواني والنفساني . ﴿ قال قائل منهم ﴾ هو يهوذا القوة المفكرة ﴿ لا تقتلوا يوسف ﴾ القلب ﴿ وألقوه في غيابت الجب ﴾ القالب وسفل البشرية ﴿ يلتقطه بعض ﴾ سيارة الجواذب النفسانية . ﴿ يرتع ﴾ في المراتع البهيمية ﴿ ويلعب ﴾ في ملاعب الدنيا ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ من فتنة الدنيا وآفاتها ﴿ لئن أكله الذئب ﴾ الشيطان ﴿ إنا إذا لخاسرون ﴾ لأن خسران جميع أجزاء الإنسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ فيه إشارة إلى أن من خصوصية تعلق الروح بالقالب أن يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب . فإن كانت الغلبة للروح سعد ، وإن كانت للنفس شقي ﴿ وجاؤوا أباهم عشاء ﴾ أي في النصف الآخر من مدة العمر ﴿ نستبق ﴾ نتشاغل باللهو في أيام الشباب ﴿ وتركنا يوسف ﴾ أي قالب مهملا معطلا عن الاستكمال ﴿ فأكله ﴾ ذئب الشيطان . ﴿ وجاؤا

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣٢٤/٤

على قميصه ﴾ أي قالب القلب ﴿ بدم كذب ﴾ هو آثار الملكات الردية ، زعموا أنها قد سرت إلى القلب وأزالت نور الإيمان عنه بالكلية . ﴿ قال ﴾ يعقوب الروح ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ﴾ على ما قضى الله وقدر ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ من رين القلب وموته ﴿ وجاءت سيارة ﴾ هي هبوب نفحات ألطاف الحق ﴿ فأرسلوا واردهم ﴾ واردا من واردات الحق ﴿ فأدلى دلوه ﴾ جذبه من جذبات الرحمن ﴿ قال يا بشرى ﴾ فيه إشارة إلى أن للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما أن للقلب بشارة في خلاصة من جب الطبيعة كما قال تعالى : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] ﴿ والله عليم ﴾ بحكمة البشارتين و ﴿ بما يعملون ﴾ من شرائه ﴿ بثمن بخس ﴾ هو الحظوط الفانية في أيام معدودة ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ لأنهم ما عرفوا قدره وإنما ميلهم إلى استجلاب المنافع الردية العاجلة والله أعلم .." (١)

"وأما علي صلوات الله عليه فيروى أن واحدا من أصحابه سرق وكان عبدا أسود فأتي به إلى علي عليه السلام فقال : أسرقت؟ قال : نعم . فقطع يده فانصرف من عند علي Bه فلقيه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء : من قطع يدك؟ قال : أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول . فقال : قطع يدك وتمدحه . قال : ولم لا أمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار . فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا Bه فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات ، فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فإذا اليد كما كانت بإذن الله تعالى . وأما سائر الصحابة فعن محمد بن المنذر أنه قال : ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها أسد ، فخرج إلي أسد فقلت : يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله A قال : فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعني ورجع . وروى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار خرجا من عند رسول الله A حين ذهب من الليل قطع ، وكانت ليلة مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها ، فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله . وقيل لخالد بن الوليد إن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق من خر فقال : ما هذا؟ فقال : خل . فقال خالد : اللهم اجعله خلا . فذهب الرجل إلى أصحابه وقال : أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها . فلما فتحوا فإذا هي خل . فقالوا : والله ما جئتنا إلا بخل . فقال : هذه والله دعوة خالد . ومن الوقائع المشهورة أن خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وما ضره . وعن ابن عمر أنه كان في بعض أسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال : إنما يلسط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء . وروي أن النبي A بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينه وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم فمشوا على الماء . وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الأولياء ومن أرادها فليطالعها .

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣٥٠/٤

وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه إلى حيث يفعل كل ما أمره الله .." (١)

"﴿ ووجد من دونهم امرأتين ﴾ السر والخفي ابنتا شعيب الروح يمنعان من استقاء ماء الفيض الإلهي . قال الشيخ الإمام الرباني نجم الدين المعروف بداية : وذلك لأن لمعان أنوار الفيض يرد على الروح في البداية بالتدريج فينشا منه الخفي ، وهو لطيفه ربانية مودعة في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل إلا بعد غلبة الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح في قبول تجليات صفات الربوبية والفيوض الإلهية ، فيكون في هذه المدة بمعزل عن الاستقاء . وكذا السر وهو لطيفة روحانية متسوطة بين القلب والروح قابلة لفيض الروح ، مؤدية غلى القلب وهو أيضا بمعزل عن استقاء ماء فيض الروح عند اشتغال القلب بمعالجات النفس وإصلاح القالب إلى حين توجه موسى القلب إلى مدين عالم الروحانية وذلك قولهما ﴿ لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهي الصفات الإنسانية عن ماء الفيض الإلهي ، فإذا صدروا استقينا مواشينا من الأوصاف والأخلاق من أفضله مواشيهم في حوض القوى ﴿ وأبونا ﴾ وهو شعيب الروح لا يقدر على سقيه من الأوصاف الإنسانية إلا بالأجر والوسائط ، وإنا لا نطيق أن نسقي لضعف حالنا ، فسقي موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لأنه متوسط بين العالمين ولهذا سمي قلبا ﴿ ثم تولى إلى الظل ﴾ إلى العناية فطلب الفيض الإلهي بلا وساطة وهكذا ينبغي أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف أبدا .

﴿ فجاءته إحداهما ﴾ فيه أن القلب يحتاج في الوصول إلى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفي أو السر . ﴿ لا تخف نجوت ﴾ فيه أن القلب إذا وصل إلى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها ﴿ إن خير من استأجرت ﴾ من النفس والجسد ﴿ القوي الأمين ﴾ لأن القلب استفاد القوة من الجسد والأمانة من الروح ﴿ ثماني حجج ﴾ فيه أن الروح في تبليغ القلب إلى مقام الخفي يحتاج إلى تسييره في مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به في خلافة الحق وهي : الحياة والإرادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء . وتمام ذلك إلى العشرة راجع إلى خصوصيته وهما المحبة والأنس مع الله ﴿ أيما الأجلين قضيت ﴾ في التخلق بأخلاقك اليمانية وفي المحبة والأنس مع الله ﴿ فلا عدوان علي ﴾ أي ليس لك أن تمنعني العبور عن المحبة لأنك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانية . وأما المحبة والأنس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة . ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ولهذا كل إنسان من المؤمن والكافر فإنه مجبول على تلك الأوصاف وليس من زمرة ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] إلا مؤمن موحد . فلما اتصف مسى القلب بالأوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها إلى حضرة القدس ﴿ آنس ﴾ من طور الحضرة نار نور الإلوهية . وفي قوله ﴿ لأهله امكثوا ﴾ إشارة إلى أن السالك لا بد له من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين .." (٢)

" المائدة ٥٣ - ٥٥

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٦٩/٥

(٢) تفسير النيسابوري، ١٤٩/٦

ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر فى تقدير الحال أى مجتهدين فى توكيد أيمانهم حبطت أعمالهم ضاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من قول الله عزوجل شهادة لهم بحبوط الأعمال لهم وتعجيبا من سوء حالهم فأصبحوا خاسرين فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدنى وشامى فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** يرضى أعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى صلى الله عليه و سلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقدسها لأن ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع أعزة على الكافرين أشجداء عليهم والعزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون فى سبيل الله يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كحبهم واعزة وأذلة ولا يخافون لومة لائم الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجهادون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم و أن تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم إذا شرعوا فيه أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم واللومة المرمة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم واحد من اللوام ذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع كثير الفواضل عليم بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تحب موالاتهم بقوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا و إنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى و إن كان المذكور جماعة تنبيها على أن ." (١)

"ضمير من يعقل على غير الاصل.

وقال ابن كيسان والزجاج أيضا: معنى " يحبونهم كحب الله " أي يسؤون بين الاصنام وبين الله تعالى في المحبة.

قال أبو إسحاق: وهذا القول الصحيح، والدليل على صحته: " والذين آمنوا أشد حبا لله ".

وقرأ أبو رجاء " يحبونهم " بفتح الياء.

وكذلك ما كان منه في القرآن، وهي لغة، يقال: حببت الرجل فهو محبوب.

قال الفراء: أنشدني أبو تراب: أحب لحبها السودان حتى * حببت لحبها سود الكلاب و " من " في قوله " من يتخذ " في موضع رفع بالابتداء، و " يتخذ " على اللفظ، ويجوز في غير القرآن " يتخذون " على المعنى، و " يحبونهم " على المعنى، و

---

(١) تفسير النسفي، ١/٢٨٨

" يحبهم " على اللفظ، وهو في موضع نصب على الحال من الضمير الذي في " يتخذ " أي محبين، وإن شئت كان نعتا للانداد، أي محبوبة.

والكاف من "كحب " نعت لمصدر محذوف، أي يحبونهم حبا كحب الله.

" والذين آمنوا أشد حبا لله " أي أشد من حب أهل الاوثان لاوثانهم والتابعين لمتبوعهم.

وقيل: إنما قال " والذين آمنوا أشد حبا لله " لان الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه.

ومن شهد له

محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى: " يحبهم ويحبونه ".

وسيأتي بيان حب المؤمنين لله تعالى وحبه لهم في سورة " آل عمران (١) " إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب " قراءة أهل المدينة وأهل الشام بالتاء، وأهل مكة وأهل الكوفة وأبو عمرو بالياء، وهو اختيار أبي عبيد.

وفي الاية إشكال وحذف، فقال أبو عبيد: المعنى لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعا.

و " يرى " على هذا من رؤية البصر.

قال النحاس في كتاب " معاني القرآن " له: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير.

وقال في كتاب " إعراب القرآن " له: وروي عن محمد بن يزيد أنه قال: هذا التفسير الذي جاء به أبو عبيد بعيد، وليست عبارته فيه بالجيدة، لانه يقدر: ولو يرى الذين ظلموا العذاب، فكأنه يجعله مشكوكا فيه وقد أوجبه الله تعالى، ولكن التقدير وهو قول الاخفش:

---

(١) راجع ج ٤ ص ٥٩.

(*) " (١)

"لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر.

قال أبو الفتح: والاصل فيه حبب كظرف، فأسكنت الباء وأدغمت في الثانية.

قال ابن الدهان سعيد: في حب لغتان: حب وأحب، وأصل " حب " في هذا البناء حبب كظرف، يدل على ذلك قولهم: حببت، وأكثر ما ورد فعيل من فعل.

قال أبو الفتح: والدلالة على أحب قوله تعالى: " يحبهم ويحبونه " [المائدة: ٥٤] بضم الياء.

و " اتبعوني يحببكم الله " [آل عمران: ٣١] و " حب " يرد على فعل لقولهم حبيب.

وعلى فعل كقولهم محبوب: ولم يرد اسم الفاعل من حب المتعدي، فلا يقال: أنا حاب.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢/٢٠٤

ولم يرد اسم المفعول من أفعل إلا قليلا، كقوله: * مني بمنزلة المحب المكرم * (١) وحكى أبو زيد: حببته أحبه.
وأنشد: فو الله لولا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عويف وهاشم وأنشد: لعمرك إنني وطلاب مصر * لكالمزداد مما حب بعدا وحكى الاصمعي فتح حرف المضارعة مع الباء وحدها.
والحب الخابية، فارسي معرب، والجمع حباب وحببة، حكاه الجوهري.
والاية نزلت في وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب لله عزوجل، قاله محمد بن جعفر بن الزبير.
وقال الحسن وابن جريج: نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحب ربنا.
وروي أن المسلمين قالوا: يا رسول الله، والله إنا لنحب ربنا فأنزل الله عزوجل: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ".
قال ابن عرفة: المحبة عند العرب إرادة (٢) الشئ على قصد له.
وقال الازهري: محبة العبد لله ورسول طاعته لهما واتباعه أمرهما، قال الله تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ".
ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى: " إن الله لا يحب الكافرين " [آل عمران: ٣٢] أي لا يغفر لهم.
وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب

---

(١) هذا عجز بيت لعنترة في معلقته وصدر: * ولقد نزلت فلا تظنى غيره *.
(٢) في ب ود: إرادتها.
(*)". (١)

"أي قالوا إنهم، ويجوز " أنهم " [نصب] (١) ب " - أقسموا " أي قال المؤمنون لليهود على جهة التوبيخ: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهدا أيمانهم أنهم يعينونكم على محمد.
ويحتمل أن يكون من المؤمنين بعضهم لبعض، أي هؤلاء الذين كانوا يحلفون أنهم مؤمنون فقد هتك (٢) الله اليوم سترهم.
(حبطت أعمالهم) بطلت بنفاقهم.
(فأصبحوا خاسرين) أي خاسرين الثواب.
وقيل: خسروا في موالاة اليهود فلم تحصل لهم ثمرة بعد قتل اليهود وإجلائهم.
قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) فيه أربع مسائل:
الاولى - قوله تعالى: " من يرتد منكم عن دينه " شرط وجوابه " فسوف ".
وقراءة أهل المدينة والشام " من يرتدد " بدالين.
الباقون " من يرتد ".
وهذا من إعجاز القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم: إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيبا، فكان

---

(١) تفسير القرطبي، ٦٠/٤

على ما أخبر بعد مدة، وأهل الردة كانوا بعد موته صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحق: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب إلا ثلاثة مساجد، مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جؤاثى (٣)، وكانوا في ردتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها، قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي،

فقاتل الصديق جميعهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم (٤) وسباهم، على ما هو مشهور من أخبارهم.

---

(١) من ع وك.

(٢) في ج وك وع: انهتك سترهم.

(٣) جواثا مهموز: اسم حصن بالبحرين.

وفي الحديث " أول جمعة جمعت بعد المدينة بجواثا.

(النهاية).

(٤) في ج وك وز وع: فقتلهم.

(*)." (١)

"الثانية - قوله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) في موضع النعت.

قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه.

وقال السدي: نزلت في الانصار.

وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك (١) الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية، وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة، ومن أشجع.

وقيل: إنها نزلت في الاشعريين، ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الاشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الاسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن، هذا أصح ما قيل في نزولها.

والله أعلم.

وروى الحاكم أبو عبد الله في " المستدرك " بإسناده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الاشعري لما نزلت هذه الآية فقال: (هم قوم هذا) قال القشيري: فأتباع أبي الحسن من قومه، لان كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الاتباع.

الثالثة - قوله تعالى: (أذلة على المؤمنين) " أذلة " نعت لقوم، وكذلك (أعزة) أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شئ.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢١٩/٦

ويغلظون على الكافرين ويعادونهم.

قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته، قال الله تعالى: " أشداء على الكفار رحماء بينهم " (٢) [الفتح: ٢٩].

ويجوز " أذلة " بالنصب على الحال، أي **يحبهم ويحبونه** في هذا الحال، وقد تقدمت معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له (٣).

الرابعة - قوله تعالى: (يجاهدون في سبيل الله) في موضع الصفة أيضا.

(ولا يخافون لومة لائم) بخلاف المنافقين يخافون الدوائر، فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لانهم جاهدوا في الله عزوجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي

---

(١) في ك وع: وقت نزول الآية، وهم أحياء.

الخ.

(٢) راجع ج ١٦ ص ٢٩٢.

(٣) راجع ج ٤ ص ٥٩ وما بعدها.

(*)". (١)

"قوله تعالى: (ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) فبدأ بالتوبة منه.

قال أبو زيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني، قال الله تعالى: " **يحبهم ويحبونه** " [المائدة: ٥٤].

وظننت أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي

عني، قال الله تعالى: " رضي الله عنهم ورضوا عنه " [المائدة: ١١٩].

وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني، قال الله تعالى: " ولذكر الله أكبر ".

وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي، قال الله تعالى: " ثم تاب عليهم ليتوبوا ".

وقيل: المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة، كما قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا آمنوا " (١) [النساء: ١٣٦] وقيل: أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغير هم، قال عزوجل: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم " (٢) [النساء: ١٦٠].

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩) فيه مسألتان: الاولى - قوله تعالى: " وكونوا مع الصادقين " هذا الامر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٢٠/٦

قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف.

واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال، فقيل: هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب.

وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين، أي أتقوا مخالفة أمر الله.

" وكونوا مع الصادقين " أي مع الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين.

أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم.

وقيل: هم الانبياء، أي كونوا معهم بالاعمال الصالحة في الجنة.

وقيل: هم المراد بقوله: " ليس البر أن تولوا وجوهكم (٣) - الآية إلى قوله - أولئك الذين صدقوا " [البقرة: ١٧٧].

وقيل: هم الموفون بما عاهدوا، وذلك لقوله تعالى: " رجال صدقوا ما عاهدوا الله (٤) عليه " وقيل: هم المهاجرون، لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين

---

(١) راجع ج ٥ ص ٤٠٥.

(٢) راجع ج ٦ ص ١٢.

(٣) راجع ج ٢ ص ٢٣٧.

(٤) راجع ج ١٤ ص.

(*)." (١)

"﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ .

هؤلاء قوم لم يجعلهم الحق سبحانه أهل المحبة ، فشغلهم بمحبة الأغيار حتى رضوا لأنفسهم أن يحبوا كل ما هوته أنفسهم ، فرضوا بمعمول لهم أن يعبدوه ، ومنحوت - من دونه - أن يحبوه .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾ .

ليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام ، ولكن المراد منه مدح المؤمنين على محبتهم ، ولا تحتاج إلى كثير محبة حتى تزيد على محبة الكفار للأصنام ، ولكن من أحب حبيبا استكثر ذكره ، بل استحسن كل شيء منه .

ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين لله على محبة الكفار لأصنامهم أن (هذه) محبة الجنس للجنس ، وقد يميل الجنس إلى الجنس ، وتلك محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق .

ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه ، وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود ، وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه .

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٨٨/٨

ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذبهم . والكافر تبرأ من الصنم والصنم من الكافر كما قال تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآية .

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم ، قال تعالى : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [المائدة : ٥٤] ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم .

ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر ، ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع ، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم ، واتسعت ذات يدهم اتخذوا أصناما أحسن من التي كانوا يعبدونها قبل ذلك في حال فقرهم؛ فكانوا يتخذون من الفضة – عند غناهم – أصناما ويهجرون ما كان من الحديد . . . وعلى هذا القياس! وأما المؤمنون فأشد حبا لله لأنهم عبدوا إلها واحدا في السراء والضراء .

قوله جل ذكره : ﴿ إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ .

إذا بدت لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم ، وأما المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم ، ويسكن (أولئك) في القبور سنين ثم يبتليهم في القيامة بطول الآجال وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار .

(أما المؤمنون) فيأتي عليهم طول الأيام والأعمال فلا يزدادون إلا محبة (على محبة) ولذلك قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ .." (١)

"﴿ تحبون الله ﴾ فرق ، و ﴿ يحببكم الله ﴾ جمع .

﴿ تحبون الله ﴾ مشوب بالعلة ، و ﴿ يحببكم الله ﴾ بلا علة ، بل هو حقيقة الوصلة . ومحبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه ، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية ، وتقتضي منه تلك الحالة إيثاره – سبحانه – على كل شيء وعلى كل أحد .

وشرط المحبة ألا يكون فيها حظ بحال ، فمن لم يفن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية .

ومحبة الحق للعبد إرادته إحسانه إليه ولطفه به ، وهي إرادة فضل مخصوص ، وتكون بمعنى ثنائه سبحانه عليه ومدحه له ، وتكون بمعنى فضله المخصوص معه ، فعلى هذا تكون من صفات فعله .

ويقال شرط المحبة امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك في محبوبك ، قال قائلهم :

وما الحب حتى تنزف العين بالبكا ... وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وهذا فرق بين الحبيب والخليل؛ قال الخليل : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

وقال الحبيب : ﴿ فاتبعونى يحببكم الله ﴾ .

فإن كان متبع الخليل « منه » إفضالا فإن متابع الحبيب محبوب الحق سبحانه ، وكفى بذلك قربة وحالا .

ويقال قطع أطماع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتداهم وإمامهم سيد الأولين والآخرين محمد A .

ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معلولة وليست باجتلاب طاعة ، أو التجرد عن آفة لأنه قال : ﴿ يحببكم الله

---

(١) تفسير القشيري، ١/١٥٨

ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ بين أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله .

ويقال قال أولا : ﴿ يحببكم الله ﴾ ثم قال : ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ والواو تقتضي الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران؛ أولا يحبهم ويحبونه (وبعده) يغفر لهم ويستغفرونه ، فالمحبة توجب الغفران لأن العفو يوجب المحبة .

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان وهو صفاؤها .

والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر .

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب .

والحب حرفان حاء وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فالمحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه .." (١)

"قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .

جعل صفة من لا يرتد عن الدين أن الله يحبه ويحب الله ، وفي ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يجب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه . وفي إشارة دقيقة فإن من كان مؤمنا يجب أن يكون لله محبا ، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه . وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد .

ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه : إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه ، والمدح والثناء عليه .

أو يقال إنها بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله .

وكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبته إرادته لإكرامه ، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص ، والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة ، واللفظان يعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله تعالى واحدة وبها يريد سائر مراداته ، وتختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق .

وأما محبة العبد لله – سبحانه – فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه ، وتحمله تلك الحالة على إيثار موافقة أمره ، وترك حظوظ نفسه ، وإيثار حقوقه – سبحانه – بكل وجه .

وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه؛ فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود المحبوب ، ويقال المحبة ذهاب المحب بالكلية في ذكر المحبوب ، ويقال المحبة خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه ، والمحبة بلاء كل كريم ، والمحبة نتيجة الهمة فمن كانت همته أعلى فمحبته أصفى بل أوفى بل أعلى .

ويقال المحبة سكر لا صحو فيه ودهش في لقاء المحبوب يوجب التعطل عن التمييز ، ويقال المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه ، وسقام لا يعرف دواؤه . ويقال المحبة غريم يلازمك لا يبرح ، ورقيب من المحبوب يستوفي له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ، ويقال المحبة قضية توجب المحبة؛ فمحبة الحق أوجبت محبة العبد .

قوله جل ذكره : ﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك

---

(١) تفسير القشيري، ٣٠٣/١

فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .
لولا أنه يحبهم لما أحبهم ، ولولا أنه أخبر عن المحبة فأنى تكون للطينة ذكر المحبة؟ ثم بين الله تعالى صفة المحبين فقال : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ . يبذلون المهج في المحبوب من غير كراهة ، ويبذلون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور .
ثم قال تعالى في صفتهم : ﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ أي يجاهدون بنفوسهم من حيث استدامة الطاعة ، ويجاهدون بقلوبهم بقطع المنى والمطالبات ، ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ، ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات .
ثم قال : ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ أي لا يلاحظون نصح حميم ، ولا يركنون إلى استقلال حكم ، ولا يجنحون إلى حظ ونصيب ، ولا يزيغون عن سنن الوفاء بحال .
ثم بين – سبحانه – أن جيمع ذلك إليه لا منهم فقال : و ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ متفضل عليم بمن يخص بذلك من عبيده .." (١)

"المراد من قوله : ﴿ بنى ءادم ﴾ هنا المؤمنون لأنه قال في صفة الكفار : ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ [الحج : ١٨] والتكريم التكثير من الإكرام ، فإذا حرم الكافر الإكرام . . . فمتى يكون له التكريم؟
ويقال إنما قال : ﴿ كرمنا بنى ءادم ﴾ ولم يقل المؤمنين أو العابدين أو أصحاب الاجتهاد توضيحا بأن التكريم لا يكون مقابل فعل ، أو معللا بعلة ، أو مسببا باستحقاق يوجب ذلك التكريم .
ومن التكريم أ ، هم متى شاءوا وقفوا معه على بساط المناجاة .
ومن التكريم أنه على أي وصف كان من الطهارة وغيرها إذا أراد أن يخاطبه خاطبه ، وإذا أراد أن يسأل شيئا سأله .
ومن التكريم أنه إذا تاب ثم نقض توبته ثم تاب يقبل توبته ، فلو تكرر منه جرمه ثم توبته يضاعف له قبوله التوبة وعفوه .
ومن التكريم أنه إذا شرع في التوبة أخذ بيده ، وإذا قال : لا أعود – يقبل قوله وإن علم أنه ينقض توبته .
ومن التكريم أنه زين ظاهرهم بتوفيق المجاهدة ، وحسن باطنهم بتحقيق المشاهدة .
ومن التكريم أنه أعطاهم قبل سؤالهم ، وغفر لهم قبل استغفارهم ، كذا في الأثر : « أعطيكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني » .
ومن تكريم جملتهم أنه قال لهم : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] ولم يقل ذلك للملائكة ولا للجن .
وكما خص بني آدم بالتكريم خص أمة محمد – A – منهم بتكريم مخصوص ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] و ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة : ١١٩] وقوله ﴿ والذين ءامنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .
ومن التكريم قوله :

---

(١) تفسير القشيري، ١٣٥/٢

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ [النساء : ١١٠]
ومن التكريم ما ألقى عليهم من محبة الخالق حتى أحبوه .
ومن التكريم لقوم توفيق صدق القدم ، ولقوم تحقيق علو الهمم . قوله : ﴿ وحملناهم فى البر والبحر ﴾ : سخر البحر لهم حتى ركبوا في السفن ، وسخر البر لهم حتى قال : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ [فصلت : ٣٧] .
ويقال محمول الكرام لا يقع ، فإن وقع وجد من يأخذ بيده .
ويقال الإشارة في حملهم في البر ما أوصل إليهم جهرا ، والإشارة بحديث البحر . ما أفردهم به من لطائف الأحوال سرا .
ويقال لما حمل بنو آدم الأمانة حملناهم في البر ، فحمل هو جزاء حمل ، حمل هو فعل من لم يكن وحمل هو فضل من لم يزل .
قوله : ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ : الرزق الطيب ما كان على ذكر الرازق؛ فمن لم يكن غائبا بقلبه ولا غافلا عن ربه استطاب كل رزق ، وأنشدوا :
يا عاشقي إني سعدت شرابا ... لو كان حتى علقما أو صابا
قوله : ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ : أي الذين فضلناهم على خلق كثير ، وليس يريد أن قوما بقوا لم يفضلهم عليهم ، ولكن المعنى أنا فضلناهم على كل من خلقنا ، وذلك التفضيل في الخلقة . ثم فاضل بين بني آدم في شيء آخر هو الخلق الحسن ، فجمعهم في الخلقة – التي يفضلون بها سائر المخلوقات– ومايز بينهم في الخلق .
ويقال : ﴿ كرمنا بنى ءادم ﴾ : هذا اللفظ للعموم ، والمراد منه الخصوص ، وهم المؤمنون ، وبذلك يفضل قوم على الباقين ، ففضل أولياءه على كثير ممن لم يبلغوا استحقاق الولاية .
ويقال فضلهم بألا ينظروا إلى نفوسهم بعين الاستقرار ، وأن ينظروا إلى أعمالهم بعين الاستصغار .." (١)
"عرفهم أصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم .
ويقال نسبهم لئلا يخرجوا عن حدهم ، ولا يغلطوا في نفوسهم .
ويقال خلقهم من سلالة سلت من كل بقعه؛ فمنهم من طينته من جردة أو من سبخة أو من سهل ، أو من وعر . . . ولذلك اختلفت أخلاقهم .
ويقال بسط عذره عند الكافة؛ فإن المخلوق من سلالة من طين . . . ما الذي ينتظر منه؟!
ويقال خلقهم من سلالة من طين ، والقدر للتربية لا للتربة .
ويقال خلقهم من سلالة ولكن معدن المعرفة ومرتع المحبة ومتعلق العناية منه لهم؛ قال تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] .
ويقال خلقهم ، ثم من حال إلى حال نقلهم ، يغير بهم ما شاء تغييره .." (٢)

---

(١) تفسير القشيري، ٤/٢٩٠
(٢) تفسير القشيري، ٥/٢٤٢

"أحسن صورة كل أحد؛ فالعرش ياقوتة حمراء ، والملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وجبريل طاووس الملائكة ، والحور العين–كما في الخبر– « في جمالها وأشكالها ، والجنان » –كما في الأخبار ونص القرآن . فإذا انتهى إلى الإنسان قال : و ﴿ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من مآء مهين ﴾ [السجدة : ٧ ، ٨] . . . كل هذا ولكن :

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك من الورى وقع اختياري

خلق الإنسان من طين ولكن ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، وخلق الإنسان من طين ولكن : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البينة : ٨] ، وخلق الإنسان من طين ولكن ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة : ١١٩] !." (١)

." ﴿ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعآئر الله . . . . ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . . . ﴾ .

﴿ يا أيهآ الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهدآء بالقسط . . . . ﴾ .

﴿ يا أيهآ الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم . . . . ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أوليآء . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات مآ أحل الله لكم ولا تعتدوا . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيآء إن تبد لكم تسؤكم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . . . . ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية . . . . ﴾

هذه ستة عشرة نداء وجهت الى المؤمنين خاصة ، يعتبر كل نداء منها قانونا ينظم ناحية من نواحي الحياة عند المسلمين بأنفسهم ، وفيما يختص بعلاقتهم بأهل الكتاب .

وفيها كذلك نداءات من الله لرسوله ، وليس هناك نداء له E بهذا الوصف في غير هذه السورة : وهما قوله تعالى :

---

(١) تفسير القشيري، ٢١١/٦

﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الرسول بلغ مآ أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

وقد وجهت نداءين الى أهل الكتاب : وهما قوله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ ، وقوله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ .

وأمرت الرسول الكريم ثلاث مرات ان يوجه اليهم النداء في موضوعات ثلاثة في شأن ما يثيرون به الخلاف بينه وبينهم .

﴿ قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منآ إلا أن آمنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل ﴾ .

﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ومآ أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

﴿ قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل ﴾ .

هذه جملة النداءات التي وجهت الى الرسول A ، والى المسلمين ، والى اهل الكتاب ، أو أمر النبي بتوجيهها اليهم في هذه السورة ، وقد مرت كلها في اثناء الكلام عليها باختصار ، ومن اراد زيادة تفصيل فليرجع الى ما كتبه في التفسير استاذنا المرحوم الشيخ شلتوت .

نسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن توجهت قلوبهم اليه ، ولم يعتمدوا في قبولهم ونجاتهم الا عليه ، وان يجعل ثمرة ايماننا زكاة نفوسنا ، وثبات قلوبنا ، وصلاح اعمالنا ، وفكاك اسارنا .

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ . والحمد الله رب العالمين .." (١)

"" صفحة رقم ٦٧٩ "

وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل

٣٥٦ سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال (هذا وذووه)

أخرجت الاترمذي ٣٢٦١ والطبري ١٤٤٣ وابن حيان ٧٣٢١ من حديث أبي هريرة ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس

) يحبهم ويحبونه (

محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ٠ ." (٢)

"قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ﴾ فإنَّ فيه نَفْيَ المُسَاواة.

وقرأ أبو رجاء : " يَحُبُّونَهُمْ " بفتح الياء من " حَبَّ " ثلاثيّاً ، و " أَحَبَّ " أكثر ، وفي المَثَل : " مَنْ حَبَّ طَبَّ ".

---

(١) تفسير القطان، ١/٤٥٢

(٢) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ١/٦٧٩

فصل في المراد من قوله كحب الله في قوله : كَحُبِّ الله قولان : الأول : كَحُبِّهِم للّهِ.
والثاني : كَحُبِّ المؤمنين للّهِ ، وقد تقدَّم ردُّ هذا القَوْلِ.
فإن قيل : العاقل يستحيل أنْ يكون حبُّه للأوثان كحُبِّه لله ؛ وذلك لأنه بضَرُورة العَقْل يَعْلَمُ أنَّ هذه الأوثانَ ينارٌ لا تسمع ، ولا تعقلُ ، وكانوا مُقرّين بأنَّ لهذا العالَمِ صانعاً مدَبِّراً حَليماً ؛ كما قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان : ٢٥] فمع هذا الاعتقادِ ، كيف يُعْقَلُ أنْ يكُونَ حبّهُمْ لتلك الأوثان كحُبِّهِم لله تعالى ، وقال تعالى ؛ حكايةً عنهم أنَّهُم قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] فكيف يعقل الاستواءُ في الحُبِّ ؟ والجواب : كحُبِّ الله تعالى في الطَّاعة لها ، والتَّعْظِيم ، فالاستواءُ في هذه المحبَّة لا ينافي ما ذكرتُموه.
قوله تعالى : " أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ " : المُفضَّلُ عليه محذوفٌ وهم المُتَّخِذُون [الأندادَ ، أي : أشدُّ حُبّاً لله من المُتَّخِذِين] الأنْدادَ لأوثانهم ؛ وقال أبو البقاء : ما يتعلَّق به " أَشَدُّ " محذوفٌ ، تقديره : أشَدُّ حُبّاً للّهِ مِنْ حُبِّ هؤلاء للأنداد ، والمعنى : أنَّ المؤمنين يُحبُّون الله تعالى أكثر من محبَّة هؤلاء [أوثَانَهُمْ ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن المؤمنين يُحبُّون الله تعالى أكثر ممَّا يحبُّه هؤلاء] المتَّخذون الأنداد ؛ لأنهم لم يُشْرِكُوا معه غيره ، وأتى بـ " أشَدُّ " موصِّلاً بها إلى أفعل التَّفضيل من مَادَّة " الحُبِّ " ؛ لأنَّ " حُبَّ " مبنيٌّ للمفعول ، والمبنيُّ للمفعول لا يُتعجَّب منه ، ولا يبنى منه " أَفْعَل " للتَّفضيلِ ؛ فلذلك أتى بما يجوز فيه ذلك.
[فأمَّا قوله : " مَا أَحَبَّهُ إِلَيَّ " فساذٌّ على خلافٍ في ذلك ، و " حُبّاً " تمييزٌ منقولٌ من المبتدأ ، تقديره : حُبُّهُمْ لِلَّهِ أشدُّ].
فصل في معنى قوله أشد حباً لله معنى " أَشَدُّ حُبّاً للّهِ " ، أي : أثبتُ وأدْوَمُ على حُبِّهِ ؛ لأنَّهم لا يختارون على الله ما
١٣٨
سواه ، والمشركون إذا اتَّخذوا صَنَماً ، ثم رأوا أحسن منه ، طرحوا الأوَّل ، واختاروا الثَّاني قاله ابن عبَّاس – رضي الله عنهما.
وقال قتادة : إن الكافِرَ يُعْرِضُ عن معبودِهِ في وقت البَلاء ، ويُقبل على الله تعالى [كما أخبر الله تعالى عنهم ، فقال : ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [العنبكوت : ٦٥] والمؤمن لا يُعْرِضُ عن الله] في السَّرَّاءِ والضَّرَّاء ، والشِّدَّة والرَّخاء ؛ وقال سعيد بن جُبير : إنَّ الله – عزَّ وجلّ – يأمُر يَوْم القيامةِ من أحرق نفسه في الدُّنيا على رُؤية الأصنام : أنْ يَدْخُلُوا جهنَّمَ مع أصنامِهِم ، فلا يَدْخُلُون ؛ لعلمهم أن عذابَ جَهَنَّم على الدوام ، ثم يقول للمؤمنين ، وهم بين أَيدِي الكفَّار : إنْ كُنْتُم أحِبَّائي فادْخُلُوا جَهَنَّم فيقتحمون فيها ، فيُنادي مُنادٍ منْ تحت العرش ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للَّهِ﴾.
وقيل : وإنَّما قال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للَّهِ﴾ ؛ لأنَّ الله تبارك تعالى أحَبَّهم أوَّلاً ، ثم أحبُّوه ، ومَنْ شهد له المعبود بالمحبّة ، كانت محبته أتمَّ ؛ قال الله تعالى : " يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَه ".
فإن قيل : كيف يمكن أن تكون محبَّةُ المؤمن لله أشَدَّ مع أنَّا نَرَى اليهود يأتُون بطاعاتٍ شاقَّة ، لا يأتي بمثلها أحَدٌ من المُؤمنين ، ولا يأتُون بها إلا الله تعالى ، ثم يقتلون أنفُسهم حبّاً لله ؟ والجوابُ من وجوه : أحدها : ما تَقَدَّم من قول ابن عَبَّاس ، وقتادة ، وسعيد بن جبير.
وثانيها : أنَّ مَنْ أحب غيره رضي بقضائه ، فلا يتصرف في مُلْكه ، فأولئك الجُهَّال [قَتَلُوا أنْفُسَهُمْ بِغَيْرِ إذْنه ، إنَّما المُؤمنون

الذي يقتلُون أنْفُسَهم بإذْنِه ، وذلك في الجهاد].
وثالثها : أنَّ الإنسَانَ ، إذا ابتلي بالعَذَاب الشَّديد لا يمكنُهُ الاشتغال بمعرفة الرَّبِّ ، فالذي فعلوه باطلٌ.
ورابعها : أنَّ المؤمنين يوحِّدون ربَّهم ، فمحبتهم مجتمعةٌ لواحدٍ ، والكفَّارُ يعبدون مع الصنم أصناماً ، فتنقص مبحَّة الواحد منهم ، أما الأإله الواحد فتنضم محَّبة الجمع إليه.
قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا اْ﴾ جواب " لَوْ " محذوفٌ ، واختلف في تقديره ، ولا يظهر ذلك إلاَّ بعد ذكر القراءات الواردة في ألفاظ هذه الآية الكريمة.
قرأ عامر ونافعٌ : " وَلَو تَرَى " بتاء الخطاب ، " أنَّ القُوَّة " و " أَنَّ اللَّهَ " بفتحهما.
وقرأ ابن عامر : " إِذْ يُرَوْنَ " بضم الياء ، والباقون بفتحها.
١٣٩
." (١)

"طَرَفٍ من أطراف العالم ؛ لأداء فرض الصلاة ، فكان الدوام حاصلاً من هذه الجهة ، وأيضاً بقاء الكعبة على هذه الحالة أُلوفاً من السنين دوام - أيضاً - .
وأما كونه هدًى للعالمين ، فقيل : لأنه قبلة يهتدون به إلى جهة صلاتهم.
وقيل : هُدًى ، أي : دلالة على وجود الصانع المختار ، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة ، بما فيه من الآيات والعجائب التي ذكرناها.
وقيل : هُدًى للعالمين إلى الجنة ؛ لأن من أقام الصلاة إليه استوجب الجنة.
قوله : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة في محل نصب على الحال ، إما من ضمير " وُضِعَ " وفيه ما تقدم من الإشكال.
وأمَّا من الضمير في " بِبَكَّةَ " وهذا على رأي مَنْ يُجِيز تعدد الحال الذي حالٍ واحدٍ.
وإما من الضمير في " للعالِمِينَ " ، وإما من " هُدًى " ، وجاز ذلك لتخصُّصِه بالوَصْف ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في " مُبَارَكاً ".
ويجود أن تكون الجملة في محل نصب ؛ نعتاً لِ " هُدًى " بعد نعته بالجار قبله.
ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفةً ، لا محل لها من الإعراب ، وإنما جيء بها بياناً وتفسيراً لبركته وهُداه ، ويجوز أن يكون الحال أو الوصف على ما مر تفصيله هو الجار والمجرور فقط ، و " آياتٌ " مرفوع بها على سبيل الفاعلية لأن الجار متى اعتمد على أشياء تقدمت أول الكتاب رفع الفاعل ، وهذا أرجح مِنْ جَعْلِها جملةً من مبتدأ وخبر ؛ لأن الحالَ والنعتَ والخبرَ أصلها : أن تكون مفردة ، فما قَرُب منها كان أولى ، والجار قريب من المفرد ، ولذلك تقدَّكم المفردُ ، ثم الظرفُ ، ثم الجملة فيما ذكرنا ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر : ٢٨] ، فقدم

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٨٥

الوصف بالمفرد " مُؤمِنٌ " ، وثَنَّى بما قَرُبَ منه وهو ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة : ٤٩] ، وثلَّث بالجملة وهي ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ وقد جاء في الظاهر عكس هذا ، وسيأتي الكلام عليه – إن شاء الله – عند قوله : ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ﴾ [المائدة : ٥٤].

قوله : ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ فيه أوْجُه : أحدها : أن " مَقَام " : بدل من " آيَاتٌ " وعلى هذا يقال : إن النحويين نَصُّوا على أنه متى ذكر جَمع لا يُبْدَل منه إلا ما يُوَفِّي بالجمع ، فتقول : مررت برجال زيد وعمرو وبكر ؛ لأن أقل الجمع – على الصحيح – ثلاثة ، فإن لم يُوَفِّ ، قالوا : وجب القطع عن البدلية ، إما إلى النصب بإضمار فِعْل ، وإما إلى الرفع ، على مبتدأ محذوف الخبر ، كما تقول – في المثال المتقدم – زيداً وعمراً ، أي : أعني زيداً وعمراً ، أو زيد وعمرو ، أي : منهم زيد وعمرو.

ولذلك أعربوا قول النابغة الذبياني : [الطويل]

٤٠٥

١٥٣٩ – تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا

لِسِتَّةِ أعْوَامٍ وَذَا العَامُ سَابِعُ

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٩٦

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لأْياً أبِينُهُ

وَنُؤيٌ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أثْلَمُ خَاشِعُ

(١) ".

"بأنه سَيَأتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ.

وعلى هذا التقدير : تكون هذه الآيَةُ إخْباراً عن الغَيْبِ ، وقد وقع المخبر على وِفْقِهِ ، فيكون مُعْجِزاً.

واخْتَلَفُوا في القَوْمِ مَنْ هُم ؟ فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضَّحَّاك وابن جُرَيْج : أبو بكر وأصحابه – رضي الله عنهم – الَّذين قاتلوا أهْلَ الرِّدَّة ، قالت عائشة – رضي الله عنها – مات رسُول الله – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – ، وارتدَّ من العرب قوم [واشْتَهَر] النِّفَاق ، ونزل بِأبِي ما لوْ نزل بالجبال الرَّاسِيَات لهاضها ، وذلك بأن النَّبِيَّ – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – لما قبض ارتدَّ عامَّة العرب إلا أهْل مَكَّة والمدِينَة.

والبَحْرين من عَبْد القَيْس ، ومنع بعضهم الزَّكاة ، وهمَّ أبُو بَكْر بقتالهم ، فكره ذلك أصْحَاب رسُول الله – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – .

وقال عمر – رضي الله عنه – : كيف نُقَاتِلُ النَّاس ، وقد قال رسُول الله – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – : " أمرت أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوا : لا إله إلا الله محمَّد رسولُ الله ، فمن قَالَهَا فقدْ عَصَمَ مِنِّي ماله ونَفْسَهُ ، إلا بحقِّه ، وحِسَابُهُ على الله " فقال أبُو بكر – رضي الله تعالى عنه – : " واللَّهِ لأقَاتِلنَّ من فرق بين الصَّلاة والزَّكاة ، فإن الزَّكاة حقُّ المَال ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١١٧٣

والله لَوْ مَنَعُونِي عنَاقاً كانُوا يُؤدُّونَهَا إلى رسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم ، لقاتَلْتُهُم على مَنْعِها ".
قال أنس - رضي الله عنه - : كَرِهَت الصَّحابة - رضي الله عنهم - قتال مانِعِي الزَّكاة ، وقالوا أهْل القِبْلة ، فتقلَّد أبُو بكر سَيْفَهُ ، وخرج وحده ، فلم يَجِدُوا بُدًّا من الخروج على أثره.
قال ابن مسعود : كَرِهْنَا ذلك في الابتدَاء ، ثم حَمِدْناهُ عليه في الانتهاء ، قال أبو بكر ابن عيَّاش : سمعت أبا حُصَيْن يقول : ما وُلِدَ بَعْد النَّبِيّين مَوْلُود أفْضَل من أبِي بَكْر - رضي الله عنه - ، لقد قام مَقَامَ نَبِيٍّ من الأنْبِيَاء في قتال أهْلِ الرِّدَّة.
وقال السُّديُّ : نزلت الآية في الأنْصَار ؛ لأنَّهُم الذين نَصَرُوا الرَّسُول وأعانُوه على إظْهَار الدِّين.
وقال مُجاهِد : نزلتْ في أهل " اليَمَن ".
٣٩٠
وقال الكلبي : هُمْ أحْيَاء من اليمن ، ألْفان من النَّخْع ، وخمسة آلافٍ من كِنْدة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أفناء النَّاس ، فجَاهَدُوا في سَبِيل الله يوم القَادِسيَّة في أيَّام عُمر - رضي الله عنه - ، وروي مَرْفوعاً أن النَّبيَّ - صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم - " لما نزلَتْ هذه الآية ، أشار إلى أبِي مُوسَى الأشْعَرِيّ وقال : " هُمْ قَوْمُ هَذَا " ، وقال آخَرُون : هم الفُرْسُ ؛ لأنه رُوِي أنَّ النَّبِيَّ - صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم - لَمّا سُئِلَ عن هذه الآية ضَرَبَ يَدَهُ على عَاتِق سَلْمَان الفارسيّ وقال : هذا وَذَوُوه ، ثمَّ قال : لو كان الدِّين معلَّقاً بالثُّرَيَّا لنالَهُ رِجَالٌ من أبْنَاء فَارِس ".
وقال قوم : إنَّهَا نزلت في عَلِيٍّ - رضي الله عنه - ؛ لأنَّه - عليه الصلاة والسلام - " لما دفع الراية إلى عَلِيّ قال : لأدْفَعَنَّ الرَّاية إلى رَجُلٍ يحبُّ الله ورسُوله ".
قوله تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.
هاتان أيضاً صِفَتَان لـ " قَوْم " ، واستدلَّ بعضُهم على جواز تَقْدِيم الصِّفَة غير الصَّريحة على الصِّفَة الصَّريحة بهذه الآية ، فإن قوله تعالى : " يُحِبُّهم " صِفةٌ وهي غير صَرِيحةٌ ؛ لأنَّها جملة مؤوَّلة بمفْرَد ، وقوله : " أذلّة - أعزّة " صِفتَان صريحَتَان ؛ لأنَّهُمَا مفردتان ، وأما غيره من النَّحْوِيِّين فيقول : متى اجْتَمَعَت صِفَةٌ صَرِيحة ، وأخرى مؤوَّلة وَجَبَ تقدِيم الصَّريحة ، إلاَّ في ضرورة شِعْرٍ ، كقول امْرِئ القيس : [الطويل] ١٩٨٥ - وَفَرْعٍ يُغَشِّي الْمَتْنَ أسْوَدَ فَاحِم
أثيثٍ كقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٨٧
٣٩١
" (١).

"فقدَّم قوله : " يُغَشِّي " - وهو جملة - على " أسْوَد " وما بعده ، وهُنَّ مفردات ، وعِند هذا القَائِل أنه يُبْدَأ بالْمُفْرَد ، ثم بالظَّرْف أو عديله ، ثم بالجُمْلة ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر : ٢٨] ﴿وَهَاذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام : ١٥٥].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٨٠٣

قال أبو حيَّان : وفيها دليل على بطلان من يَعْتَقِد وجوب تَقْديم الوصْفِ بالاسْمِ على الوَصْف بالفِعْل إلا في ضَرُورَة ، ثُمَّ ذكر الآية الآخرى.

قال شهاب الدين : وليْسَ في هاتين الآيتين الكَرِيمتين ما يَرُدُّ قول هذا القَائِل ، أمَّا هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى : " يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَه " جملة اعتراض ، لأنَّ فيها تأكيداً وتَشدِيداً للكلام.

وجملة الاعْتِرَاض تقع بين الصِّفة ومَوْصُوفها ، كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة : ٧٦] فـ " عَظِيم " صفة لـ " قَسَم " ، وقد فصل بينهما بقوله : " لَوْ تَعْلَمُون " ، فكذلك فصل هنا بين " بِقَوْم " ، وبين صفتهم وهي " أذِلَّة – أعِزَّة " بقوله : " يُحِبُّهم ويُحِبُّونه " ، فعلى هذا لا يكون لها مَحَلٌّ من الإعراب.

وأمَّا ﴿وَهَاذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام : ١٥٥] فلا نسلّم أن " مباركٌ " صفة ، ويجوز أن يكون [خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو مُبارك] ولو استدلَّ على ذلك بآيتين غير هاتَيْن لكان أقْوى ، وهما قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء : ٥] فقدَّم الوصف بالجار على الوَصْفِ بالصَّرِيح ، وكذا يحتمل أن يُقَال : لا نسلِّم أن " مِنْ رَبِّهِم " و " مِنَ الرَّحْمن " صفتان لجواز أن يكونا حاليْنِ مُقدَّمين من الضَّمِير المسْتَتِرِ في " مُحْدَث " أي : مُحدث إنزالهُ حال كَوْنه من رَبِّهِم.

و " أذلَّة " جمع ذَلِيل بمعنى متعطّف ؛ ولا يُرَادُ به الذليل الذي هو ضعيف خَاضِعٌ مُهَان : ولا يجوز أن يكُون جمع " ذَلُول " ؛ لأن ذَلُولاً يجمع على " ذُلُل " لا على أذِلَّة ، وإن كان كلام بَعْضِهِم يوهِمُ ذلك.

قال الزَّمَخْشَرِي : ومن زَعَم أنَّه من " الذُّل " الذي هو نَقِيضُ الصُّعُوبة ، فقد غَبِيَ عن أن " ذَلُولاً " لا يُجْمَع على " أذِلَّة ".

و " أذلَّة " و " أعِزَّة " جمعان لـ " ذلل " و " عَزِيز " وهما مِثَالا مُبَالَغَة ، وعدَّى " أذلّة " بـ " على " وإن كان أصلُه أن يتعدّى باللاَّم لما ضُمِّن من معنى الحُنُوِّ والعطف ، والمعنى : عَاطِفين [على المؤمنين] على وجه التَّذَلُّل والتَّواضُع ، ويجُوزُ أن يكون المعنى أنَّهُم مع

٣٩٢

". (١)

"٢٣٩٠ – شَبُّوا على المَجْدِ وَشَابُوا واكْتَهَلْ

يريد اكْتَهَلُوا ، فحذف الواو ، وسكن الحَرْف قبلها ، وقد تقدَّم أبْيَاتٌ أخر كَهَذِهِ في غُضُون ها الكتاب ، ولكن جَمَاهِير النُّحَاة تَخُصُّ هذا بِضَرُورَة الشِّعر.

وقوله : " وتَفْصيلاً " وما عُطِفَ عليه ؛ مَنْصُوب على ما ذُكِرَ في " تَمَاماً " [والمعنى : بياناً لكلِّ شيءٍ يحتاجُ إليه من شرائع الدِّين.

و " هدًى ورحمةً " ذها في صِفَة السُّورة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/١٨٠٤

" لعلَّهُمْ بِلقَاءِ ربِّهِم يُومِنُون ".

قال ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – " لكي يُؤمنوا بالبعث ، ويُصَدِّقُوا بالثُّوَاب والعِقَاب "].

٥٢١

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٢٠

قوله تعالى : ﴿وَهَاذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية.

يجُوز أن يكون "كِتَابٌ " و " انزلْنَاه " و " مُبَارِكٌ " إخْبَاراً عن اسم الإشارة ، عند مَنْ يُجِيزَ تعدُّدَ الخبَرَ مُطْلَقاً ، أو بالتَّأويل عند مَنْ لَمْ يجوِّزْ ذلك ، ويجُوز أن يكُوزن " أنزلْنَاهُ " ، و " مُبَارِكٌ " : وصْفَيْن لـ "كِتَابٌ " عند من يُجِيزَ تَقْدِيمِ الوَصْفِ غير الصِّريح على الوَصْفِ الصَّريح ، وقد تقدم تَحْقِيقُ ذلك في السُّورة قَبْلَها ، في قوله – سبحانه – : ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤].

قال أبو البقاء : " ولو كان قُرِئ : " مُبَارَكاً " بالنَّصْب على الحالِ ، لجَاز " ولا حَاجَة إلى مِثْلِ هذا ، وقُدِّم الوَصْفُ بالإنْزَال ؛ لأن الكلام مع مُنْكِري أنَّ اللَّهِ يُنَزِّل على البَشَر كِتَاباً ، ويُرْسِلَ رَسُولاً ، وأما وَصْف البَرَكَة ؛ فهو أمْرٌ مُتَرَاخ عَنْهم ، وجيء بصِفَة الإنْزَال بجُمْلَة فِعْليَّة أسند الفعل فيها إلى ضَمير المُعَظِّم نفسه مُبَالغة في ذلك ، بخلافِ ما لو جيءَ بها اسْماً مُفْرداً.

والمراد بالكتاب : القُرْآن ، وَوَصْفه بالبَرَكَة ، أي : لا يَتطرَّقُ إليه النَّسْخُ ، كما في الكِتَابَيْن ، والمُرَاد : كثير الخَيْر والنَّفْع.

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قيل : " اتَّقُوا مُخَالفتهُ على رَجَاء الرَّحْمة ".

وقيل : اتَّقُوا لِتُرْحَمُوا ، أي : ليكون الغَرَضُ بالتَّقْوَى ، رَحْمَه الله – تعالى – .

قوله : " ان تَقُولُوا " فيه وجهان : أحدهما : أنه مَفْعُول من أجله.

قول أبو حيَّان : " والعَامِلُ فيه " أنْزَلْنَاهُ " مقدّراً ، مَدْلُولاً عليه بنَفْس " أنْزَلْنَاهُ " المَلْفُوظِ به ، تقديرُه : أنْزَلْنَاه أن تقولوا ".

قال : " ولا جائز أن يعمل فيه " أنْزَلْنَاهُ " الملفوظ به ؛ لئلا يلزم الفصل بين العَامِل ومَعْمُولِهِ بأجْنَبِيٍّ ، وذلك أنَّ مُبارَكٌ " : إمَّا صِفَةٌ ، وإما خبرٌ ، وهو أجنبيٌّ بكل من التقديرين " وهذا الذي منَعَه هو ظَاهِرُ قول الكسائيِّ ، والفرَّاء.

٥٢٢

".(١)

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٢٦٧

يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا." (١)

"قوله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) .

قال الضحاك في قوله : فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم هو : أبو بكر وأصحابه ، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام ، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام . وعن مجاهد في قول الله : **يحبهم ويحبونه** ، قال : أناس من أهل اليمن . وعن عياض الأشعري قال : لما نزلت هذه الآية : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ، قال : أومأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال : « هم قوم هذا » . رواه ابن جرير .

وقوله تعالى : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، قال علي رضي الله عنه : أهل رقة على أهل دينهم ، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم .." (٢)

"قيل له : هذا جائز إذا أريد بالصلاة المبدوء بذكرها الإجمال دون صلاة معهودة، فيكون حينئذ قوله [واركعوا مع الراكعين] إحالة لهم على الصلاة التي بينها بركوعها، وسائر فروضها، وأيضا لما كانت صلاة أهل الكتاب بغير ركوع، وكان في اللفظ احتمال رجوعه إلى تلك الصلاة بين أنه لم يرد الصلاة التي يتعبد بها أهل الكتاب، بل التي فيها الركوع. اهـ

وأجاب الفخر الرازي عن هذا السؤال بمثل ما سبق وزاد عليه وجها ثالثا وهو أن المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع، لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل كما قال للمؤمنين [فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين] (المائدة : ٥٤) (١) اهـ.

قوله تعالى [واستعينوا بالصبر والصلاة]

قال الإمام الآلوسي(٢) : – رحمه الله –

الصبر : حبس النفس على ما تكره، وقدمه على الصلاة لأنها لا تكمل إلا به، أو لمناسبته لحال المخاطبين، ويجوز أن يراد بالصبر نوع منه وهو الصوم بقرينة ذكره مع الصلاة. اهـ

وقال الثعالبي(٣) : الصبر على بابه، والصلاة الدعاء(٤) ، وتجيء الآية على هذا القول مشبهة لقوله تعالى : [إذا لقيتم فئة

---

(١) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٧٥/٥

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٧٩/٥

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا] (الأنفال : ٤٥) لأن الثبات هو الصبر، وذكر الله هو الدعاء.اهـ
وقال ابن عطية : (٥).

---

(١) – التفسير الكبير حـ٣ صـ٤٨٧ بتصرف يسير

(٢) – روح المعاني حـ١ صـ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٣) – تفسير الثعالبي حـ١ صـ٥٨

(٤) – وما الداعي إلى التأويل وحمل الصلاة على الدعاء وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

(٥) – المحرر الوجيز حـ١ صـ١٣٧." (١)

"قال سعيد بن جبير : إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام ، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار : "إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم" فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقيل إنما قال ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى : "**يحبهم ويحبونه**"(٥٤–المائدة). أ هـ ﴿تفسير البغوى حـ ١ صـ ١٧٨ . ١٧٩﴾

قال العلامة ابن عاشور :

والمقصود تنقيص المشركين حتى في إيمانهم بآلهتهم فكثيرا ما كانوا يعرضون عنها إذا لم يجدوا منها ما أملوه. فمورد التسوية بين المحبتين التي دل عليها التشبيه مخالف لمورد التفضيل الذي دل عليه اسم التفضيل هنا ، لأن التسوية ناظرة إلى فرط المحبة وقت خطورها ، والتفضيل ناظر إلى رسوخ المحبة وعدم تزلزلها ، وهذا مأخوذ من كلام "الكشاف" ومصرح به في كلام البيضاوي مع زيادة تحريره ، وهذا يغنيك عن احتمالات وتمحلات عرضت هنا لبعض المفسرين وبعض شراح "الكشاف".

روي أن امرأ القيس لما أراد قتال بني أسد حين قتلوا أباه حجرا ملكهم مر على ذي الخلصة الصنم الذي كان بتبالة بين مكة واليمن فاستقسم بالأزلام التي كانت عند الصنم فخرج له القدح الناهي ثلاث مرات فكسر تلك القداح ورمى بها وجه الصنم وشتمه وأنشد :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا... مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا... ثم قصد بني أسد فظفر بهم.

وروي أن رجلا من بني ملكان جاء إلى سعد الصنم بساحل جدة وكان معه إبل فنفرت إبله لما رأت الصنم فغضب الملكاني على الصنم ورماه بحجر وقال : ." (٢)

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٣٣٩/١

(٢) جامع لطائف التفسير، ٤٥/٣

"فقال ابن عرفة : (لعلهم لم ينظروا أو نظروا فلم يهتدوا) للعثور على الوجه الذي منه يدل الدليل. قال : وهما مسألتان في أصول الدين. مسألة تخالف العلم مع التمكن من مراد النظر الصحيح.

ومسألة (تخالف) العلم مع حصول النظر الصحيح فالآية إنما تدل على الأول لا على الثاني.أ هـ ﴿تفسير ابن عرفة صـ ٢٠٨﴾

بحث نفيس عن ماهية محبة العبد لله تعالى والشوق إليه

قال الإمام فخر الدين الرازى ـ عليه سحائب الرحمة والرضوان من الرحيم الرحمن ـ :

اعلم أنه لا نزاع بين الأمة في إطلاق هذه اللفظة ، وهي أن العبد قد يحب الله تعالى ، والقرآن ناطق به ، كما في هذه الآية ، وكما في قوله : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] وكذا الأخبار ، روي أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال لملك الموت ـ عليه السلام ـ وقد جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله ؟

فأوحى الله تعالى إليه : هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله ؟

فقال : يا ملك الموت الآن فاقبض ، وجاء أعرابي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال ما أعددت لها ؟ فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال عليه الصلاة والسلام : المرء مع من أحب " فقال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك ، وروي أن عيسى ـ عليه السلام ـ مر بثلاثة نفر ، وقد نحلت أبدانهم ، وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم إلى ما أرى ؟

فقالوا : الخوف من النار ، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ، ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين ، فإذا هم أشد نحولا وتغيرا ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم إلى هذا المقام ؟

". (١)

"من لطائف ونفائس الإمام القشيرى فى الآية الكريمة

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾.

هؤلاء قوم لم يجعلهم الحق سبحانه أهل المحبة ، فشغلهم بمحبة الأغيار حتى رضوا لأنفسهم أن يحبوا كل ما هوته أنفسهم ، فرضوا بمعمول لهم أن يعبدوه ، ومنحوت – من دونه – أن يحبوه.

قوله جل ذكره : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾.

ليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام ، ولكن المراد منه مدح المؤمنين على محبتهم ، ولا تحتاج إلى كثير محبة حتى تزيد على محبة الكفار للأصنام ، ولكن من أحب حبيبا استكثر ذكره ، بل استحسن كل شيء منه.

ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين لله على محبة الكفار لأصنامهم أن (هذه) محبة الجنس للجنس ، وقد يميل الجنس إلى الجنس ، وتلك محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق.

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٤٧/٣

ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه ، وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود ، وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه.

ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذبهم. والكافر تبرأ من الصنم والصنم من الكافر كما قال تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ الآية.

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم ، قال تعالى : ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة : ٥٤] ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم.

" (١).

"وقد ذكر الله تعالى ذلك فى مواضع كثيرة من التنزيل الحميدى منها ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ﴿والله يحب المحسنين﴾ ﴿والله يحب الصابرين﴾ ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ ﴿إني أحببت حب الخير﴾ ﴿ولاكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ وقال تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾ ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ وقال تعالى ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ أى آثروه عليه. وحقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان فى الشئ أن يحبه. واقتضى تعديته بعلى معنى الإيثار ، وفى الحديث الصحيح "إذا أحب الله عبدا دعا جبرئيل فقال : إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبرئيل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض" وفى البغض ذكر مثل ذلك. وفى الصحيح أيضا : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" ، وفى صحيح البخارى : "يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها. وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه. وفى." (٢)

"على أن قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذله على المؤمنين اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ المائدة – ٥٤ ، – على ما سيجئ في محله – يشير إلى دعوة حقة ، ونهضة دينية ستقع عن أمر إلهي ويؤيد أن هذه الواقعة الموعودة إنما تقع عن دعوة جهاد.

وبما مر من البيان يظهر الجواب عما ربما يورد على الإسلام في تشريعه الجهاد بأنه خروج عن طور النهضات الدينية المأثورة عن الأنبياء السالفين فان دينهم إنما كان يعتمد في سيره وتقدمه على الدعوة والهداية ، دون الإكراه على الإيمان بالقتال المستتبع للقتل والسبي والغارات ، ولذلك ربما سماه بعضهم كالمبلغين من النصارى بدين السيف والدم وآخرون بدين الإجبار والإكراه !.

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٥٤/٣

(٢) جامع لطائف التفسير، ٦١/٣

وذلك أن القرآن يبين أن الإسلام مبني على قضاء الفطرة الإنسانية التي لا ينبغي أن يرتاب أن كمال الإنسان في حياته هو ما قضت به وحكمت ودعت إليه ، وهي تقضى بأن التوحيد هو الأساس الذي يجب بناء القوانين الفردية والاجتماعية عليه ، وأن الدفاع عن هذا الأصل بنشره بين الناس وحفظه من الهلاك والفساد حق مشروع للإنسانية يجب استيفائه بأى وسيلة ممكنة ، وقد روعي في ذلك طريق الاعتدال ، فبدأ بالدعوة المجردة والصبر على الأذى في جنب الله ، ثم الدفاع عن بيضة الإسلام ونفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، ثم القتال الابتدائي الذي هو دفاع عن حق الإنسانية وكلمة التوحيد ولم يبدأ بشيء من القتال إلا بعد إتمام الحجة بالدعوة الحسنة كما جرت عليه السنة النبوية ، قال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل – ١٢٥ ، والآية مطلقة ، وقال تعالى : ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ الأنفال – ٤٢ .
". (١)

"ويقال قال أولا : ﴿ يحببكم الله ﴾ ثم قال : ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ والواو تقتضي الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران ؛ أولا **يحبهم ويحبونه** (وبعده) يغفر لهم ويستغفرونه ، فالمحبة توجب الغفران لأن العفو يوجب المحبة.

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان وهو صفاؤها.

والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب في السر.

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب.

والحب حرفان حاء وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فالمحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه.

أ هـ ﴿لطائف الإشارات حـ ١ صـ ٢٣٥ . ٢٣٦﴾." (٢)

"فصل

المحبة من أعلى مقامات العارفين، وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم، قال الله جلت قدرته: (**يحبهم ويحبونه**) المائدة:٥٤ ثم قال تعالى: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الحديد:٢١ وهذا الخبر متصل بالابتداء في المعنى لأن الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم، وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار، وقال الله عز وجل مصداق قول نبيه عليه السلام، ردا على من ادعى محبته واحتجاجا عليهم: (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) المائدة: ١٨ وقال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اصنع ماشئت فقد غفرت لك، وروينا عن إسماعيل بن أبان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ثم تلا: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنوب بقوله تعالى: (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران:٣١ فكل مؤمن بالله فهو محب لله، ولكن محبته على قدر إيمانه، وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٩٦/٤

(٢) جامع لطائف التفسير، ٣٧٧/١٢

من أوصافه، دليل ذلك استجابتهم له بالتوحيد والتزام أمره وتسليم حكمه، ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد، وفي دوام الالتزام للأوامر وفي تسليم الأحكام، فليس ذلك يكون إلا عن محبة، وإن تفاوت المحبون على حسب أقسامهم من المحبوب، وليس يقصر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف، ولا يكبر عن التوبة كبير ولو كان على كل العلوم قد أوقف، لأن الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال تعالى: (والذين آمنوا أشد حبا لله) البقرة:١٦٥ وفي قوله أشد دليل على تفاوتهم في المحبة لأن المعنى أشد فأشد ولم يقل." (١)

"ويجود أن تكون الجملة في محل نصب ؛ نعتا ل " هدى " بعد نعته بالجار قبله. ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة ، لا محل لها من الإعراب ، وإنما جيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه ، ويجوز أن يكون الحال أو الوصف على ما مر تفصيله هو الجار والمجرور فقط ، و" آيات " مرفوع بها على سبيل الفاعلية لأن الجار متى اعتمد على أشياء تقدمت أول الكتاب رفع الفاعل ، وهذا أرجح من جعلها جملة من مبتدأ وخبر ؛ لأن الحال والنعت والخبر أصلها : أن تكون مفردة ، فما قرب منها كان أولى ، والجار قريب من المفرد ، ولذلك تقدكم المفرد ، ثم الظرف ، ثم الجملة فيما ذكرنا ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر : ٢٨] ، فقدم الوصف بالمفرد " مؤمن " ، وثنى بما قرب منه وهو ﴿من آل فرعون﴾ [البقرة : ٤٩] ، وثلث بالجملة وهي ﴿يكتم إيمانه﴾ وقد جاء في الظاهر عكس هذا ، وسيأتي الكلام عليه – إن شاء الله – عند قوله : ﴿بقوم يحبهم ويحبونه أذلة﴾ [المائدة : ٤٥].

قوله : ﴿مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ فيه أوجه :

أحدها : أن " مقام " : بدل من " آيات " وعلى هذا يقال : إن النحويين نصوا على أنه متى ذكر جمع لا يبدل منه إلا ما يوفي بالجمع ، فتقول : مررت برجال زيد وعمرو وبكر ؛ لأن أقل الجمع – على الصحيح – ثلاثة ، فإن لم يوف ، قالوا : وجب القطع عن البدلية ، إما إلى النصب بإضمار فعل ، وإما إلى الرفع ، على مبتدأ محذوف الخبر ، كما تقول – في المثال المتقدم – زيدا وعمرا ، أي : أعني زيدا وعمرا ، أو زيد وعمرو ، أي : منهم زيد وعمرو.." (٢)

"ولا يستطيع أن يستنكف الأبحاث الاجتماعية والنفسية في التاريخ النظري عن الاعتراف بأن المنشأ القريب والعامل التام للتحول المعاصر المشهود في الدنيا هو ظهور السنة الإسلامية وطلوعها ولم يهمل جل الباحثين من أوربا استيفاء البحث عن تأثيرها في جامعة الإنسان إلا لعصبية دينية أو علل سياسية وكيف يسع لباحث خبير لو أنصف النظر أن يسمي النهضة المدنية الحديثة نهضة مسيحية ويعد المسيح (عليه السلام) قائدها وحامل لوائها والمسيح يصرح بأنه إنما يهتم بأمر الروح ولا يشتغل بأمر الجسم ولا يتعرض لشأن الدولة والسياسة ؟ وهو ذا الإسلام يدعو إلى الاجتماع والتألف ويتصرف في جميع شؤون المجتمع الإنساني وأفراده من غير استثناء فهل هذا الصفح والاغماض منهم إلا لإطفاء نور الإسلام (ويابى الله إلا أن يتم نوره) وإخماد ناره عن القلوب بغيا وعدوا حتى يعود جنسية لا أثر لها إلا أثر الأنسال المنشعبة.

وبالجملة قد أثبت الإسلام صلوحه لهداية الناس إلى سعادتهم وطيب حياتهم وما هذا شأنه لا يسمى فرضية غير قابلة

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٣٨١/١٢

(٢) جامع لطائف التفسير، ١٩٢/١٥

الانطباق على الحياة الإنسانية ولا مأيوسا من ولاية أمر الدنيا يوما (مع كون مقصده سعادة الإنسان الحقيقية) وقد تقدم في تفسير قوله كان الناس أمة واحدة : البقرة – ٢١٣ أن البحث العميق في أحوال الموجودات الكونية يؤدي إلى أن النوع الإنساني سيبلغ غايته وينال بغيته وهي كمال ظهور الإسلام بحقيقته في الدنيا وتوليه التام أمر المجتمع الإنساني وقد وعده الله تعالى طبق هذه النظرية في كتابه العزيز قال ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم : المائدة – ٥٤﴾." (١)

." ﴿ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعآئر الله . . . . ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . . . ﴾ .

﴿ يا أيهآ الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهدآء بالقسط . . . . ﴾ .

﴿ يا أيهآ الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم . . . . ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات مآ أحل الله لكم ولا تعتدوا . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيآء إن تبد لكم تسؤكم . . . . ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . . . . ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية . . . . ﴾

هذه ستة عشرة نداء وجهت الى المؤمنين خاصة ، يعتبر كل نداء منها قانونا ينظم ناحية من نواحي الحياة عند المسلمين بأنفسهم ، وفيما يختص بعلاقتهم بأهل الكتاب .

وفيها كذلك نداءات من الله لرسوله ، وليس هناك نداء له E بهذا الوصف في غير هذه السورة : وهما قوله تعالى :

﴿ ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿ ياأيها الرسول بلغ مآ أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٥٧/١٩

وقد وجهت نداءين الى أهل الكتاب : وهما قوله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ ، وقوله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ .

وأمرت الرسول الكريم ثلاث مرات ان يوجه اليهم النداء في موضوعات ثلاثة في شأن ما يثيرون به الخلاف بينه وبينهم .

﴿ قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منآ إلا أن آمنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل ﴾ .

﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ومآ أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

﴿ قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل ﴾ .

هذه جملة النداءات التي وجهت الى الرسول A ، والى المسلمين ، والى اهل الكتاب ، أو أمر النبي بتوجيهها اليهم في هذه السورة ، وقد مرت كلها في اثناء الكلام عليها باختصار ، ومن اراد زيادة تفصيل فليرجع الى ما كتبه في التفسير استاذنا المرحوم الشيخ شلتوت .

نسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن توجهت قلوبهم اليه ، ولم يعتمدوا في قبولهم ونجاتهم الا عليه ، وان يجعل ثمرة ايماننا زكاة نفوسنا ، وثبات قلوبنا ، وصلاح اعمالنا ، وفكاك اسارنا .

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ . والحمد الله رب العالمين .." (١)

"٣٣-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾المائدة٣٥

٣٤-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾المائدة٥١

٣٥-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾المائدة٥٤

٣٦-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾المائدة٥٧

٣٧-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾المائدة٨٧

٣٨-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾المائدة٩٠

٣٩-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾المائدة٩٤." (٢)

---

(١) تيسير التفسير للقطان، ١/٤٥٢

(٢) تفصيل النداء في القرآن الكريم، ص/١٤

"يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة : إنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته ، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة وأقوم سبيلاً كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يكونوا أَمْثَالَكُم ﴾ [محمد : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ [النساء : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذلك عَلَى الله بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ١٩-٢٠] أي بممتنع ولا صعب . وقال تعالى هاهنا : ﴿ ياأيها الذين آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ أي يرجع عن الحق إلى الباطل . قال محمد بن كعب : نزلت في الولاة من قريش ، وقال الحسن البصري : نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال الحسن : هو والله أبو بكر وأصحابه ، وقال ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : لما نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال رسول الله A : « هم قوم هذا » ، ورواه ابن جرير بنحوه . وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين ﴾ هذه صفات المؤمنين الكُمَّل ، أن يكون أحدكم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه كما قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وفي صفة رسول الله A أنه الضحوك القتال ، فهو ضحوك لأوليائه ، قتال لأعدائه . وقوله عزَّ وجل : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائم ﴾ أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله ، وإقامة الحدود ، وقتال أعدائه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يردهم عن ذلك رادّ ولا يصدهم عنه صاد . قال الإمام أحمد عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : « أمرني خليلي A بسبع : أمرني بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسال أحداً شيئاً ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فإنهن من كنز تحت العرش » وقال الإمام أحمد أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله A : « ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرّب من أجل ، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم » وقال أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله A : « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا؟ فيقول : مخافة الناس : فيقول : إياي أحق أن تخاف »." (١)

"المحبة لكلمة التوحيد ولما اقتضته ودلت عليه

الشرط السابع: المحبة أي: محبة هذه الكلمة، ومحبة ما اقتضته ودلت عليه، ومحبة أهلها والعاملين بها، والملتزمين بشروطها، وبغض ما يناقض ذلك.

أن تحب هذه الكلمة، وتحب معانيها، وحقوقها، وأهلها، وتبغض ما ينافيها من المعاني والألفاظ، قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥]، يعني: يتخذون الأنداد والأضداد والشركاء لله، فيحبونهم كحب الله، وليس معناه: أنهم يساوون في المحبة بين الله وبين هذه الأنداد، لكن المقصود هو كما قال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٦٧٠

المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، فأخبرنا الله عز وجل: أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا؛ لأن أصل الإله من الألوهة، وهي المحبة الشديدة لله تبارك وتعالى، والمؤمنون لم يشركوا في محبة الله أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه.

ونرى للأسف ممن ينتسبون زورا إلى الإسلام من هو شديد المحبة للأنداد الذين يتخذون من دون الله، حتى وإن كانوا من أولياء الله الصالحين، تجد أن الناس يحلفون كذبا بالله تبارك وتعالى، بل يحلف اليمين الغموس الذي تغمسه في جهنم كاذبا بالله تبارك وتعالى، فإذا طلب منه أن يحلف على ذاك الشيء بـ البدوي أو الدسوقي يتلعثم ويرتعش، ويقر بأنه كان كاذبا، ويرفض أن يحلف بغير اسم الله تبارك وتعالى كاذبا، ويتجرأ ويتجاسر على أن يحلف بالله عز وجل وهو كاذب في ذلك، انظر -والعياذ بالله- إلى مدى بعد هؤلاء الناس عن حقيقة التوحيد.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ [الفرقان:٤٣]، فعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه.

هذه علامة محبة الله عز وجل، وهذا شأن المحبوب دائما، أما المحبة بدون طاعة وانقياد فلا تسمى محبة، فهذه كذب ودعوى، فكذلك من ادعى محبة الله تبارك وتعالى فعلامة صدقه في هذه المحبة: أن يقدم ما يرضي الله على ما تهواه نفسه، ويدفعه إليه هواه، ويبغض ما يبغضه ربه وإن مال إليه هواه.

وقد حقق السلف معنى الولاء والبراء لله عز وجل أعظم التحقيق، ومحبة أهل لا إله إلا الله، وبغض من خالفهم، حتى إن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رأى رجلا نصرانيا، فأغمض عينيه، فقيل له: هل حرام أن تنظر إلى النصراني؟ قال: ليس حراما، ولكني لا أطيق أن أملأ عيني ممن يشرك بالله، وهذه لا نقول: إنها سنة، أو إنها من الدين، وأنك إذا رأيت نصرانيا أو يهوديا تغمض عينيك، لكن انظر إلى هذا الانفعال والبغض للكفر وأهله، حتى أن الإمام أحمد ما أطاق أن يملأ عينه ممن يسب الله، هذا الرجل يشتم الله، ويقول: إن محمدا كذب على الله، وأنه ادعى الرسالة، وأن الوحي ينزل عليه، وأنه ألف هذا القرآن ونسبه إلى الله والعياذ بالله! ومع ذلك تجد المسلم في هذا الزمان يرى أشياء يعجب لها الإنسان، وعلامة حب العبد لربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثره، وقبول هداه.

وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ [الفرقان:٤٣].

إذا هذا مقتضى قولك: لا إله إلا الله، أي: لا إله حق إلا الله، فـ (لا) نافية للجنس، ولا يصح أن نقدر خبر (لا) النافية للجنس (بموجود) هنا فنقول: لا إله موجود إلا الله؛ لأن هناك آلهة تعبد من دون الله كثيرة جدا، ونأتي بالأدلة من القرآن، قال الله تبارك تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية:٢٣]، فكلمة إله أعم من لفظ الجلالة الله، فهي تطلق على إله الحق والباطل، أما لفظ الجلالة (الله) فهو علم على الذات المقدسة لا يمكن أبدا أن يسمى أحدا بهذا الاسم، فالهوى إله يعبد من دون الله، والدليل هنا قوله تبارك وتعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية:٢٣] إلى آخر الآية، فالمال إله كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس

عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)، يدعو عليه عليه الصلاة والسلام بأنه إذا دخلت شوكة في جلده فلا تخرج، ويظل يتألم منها فهذا عبد المال.

قال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١]، هذه الآية تتزلزل لها القلوب، يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: ليحذر أحدكم يصير يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر؛ لهذه الآية: (ومن يتولهم منكم)، فمن يواد ويوالي اليهود والنصارى فإنه منهم ويصبح كافرا مثلهم، وقال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ [التوبة:٢٣]، وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة:١]، وغير ذلك من الآيات.

وقال عز وجل مشترطا اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢] وقوله: (قل إن كنتم تحبون الله)، كما ذكر بعض السلف: أن هذه الآية حينما ادعى قوم محبة الله عز وجل امتحنهم الله وابتلاهم بهذه الآية؛ ليميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾، من أحب الله أحب رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنك إذا أحببت الله معناه أنك تحب أن تعبد الله، وكيف تعبد الله؟ كيف تعلم كيفية الصلاة والصيام والزكاة؟ وكيف نكون منفذين لما يحبه الله؟ لا طريق لمعرفة ما يحبه الله وما يقرب إلى الله إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام علامة صدق هذه المحبة، ثم بين أنه يكافئهم بما هو أعظم: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني)، فإن اتبعتموني كيف يكافئكم الله؟ (يحببكم الله)، فليس الشأن في أن يحب العبد ربه، هذا هو رد الفعل الطبيعي، والقلوب جبلت على محبة من يحسن إليها، فكونك تحب الله لما أنعم به عليك من النعم العظيمة والجسيمة، فهذا ليس فيه شأن كبير، هذا أقل ما ينبغي، أنت مقصر على كل الأحوال، لكن الشأن في أن يحبك الله: ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢]، وصفهم بالكفر بسبب توليهم عن مقتضى اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان)، من أراد أن يذوق طعم الإيمان وحلاوة الإيمان فلينظر أين هو من هذه الثلاث؟ أولا: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)، انظر إلى شدة بغضه للكفر والمعاصي، وكل ما يمقته الله ويمقت فاعله.

وهذا الحديث في الصحيحين.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، بل ولا يتم إيمانه حتى يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحب نفسه،

ودليل ذلك قوله تبارك وتعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)؛ بحيث إذا تصورت أنه يوشك أنك تموت من العطش، وأمامك جرعة ماء يمكن أن تنقذ حياتك إذا شربتها، فتكون على يقين جازم بأنه إذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام موجودا معك الآن، ويريد أن يشرب هو هذا الماء، وأنت ستموت وتهلك وتخرج روحك إذا لم تشرب هذا القدر من المياه، فيجب عليك حتما أن تقب." (١)

"الركن الثالث: عمل القلب

هناك فرق بين قول القلب وبين عمل القلب؛ لأن قول القلب هو التصديق واليقين، أما عمل القلب فهو العبادات القلبية التي لا تؤدى إلا بالقلب، مثل: النية، الإخلاص، المحبة، الانقياد، الإقبال على الله عز وجل، التوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، يقول تبارك وتعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام:٥٢] عمل القلب في قوله: ((يريدون وجهه))، وقال عز وجل: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [الليل:١٩ - ٢٠]، هذا هو عمل القلب، وقال تبارك وتعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ [الإنسان:٩]، هذه أيضا أعمال القلب، النية والإخلاص لله، وقال تبارك وتعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢] فهنا ذكر من أعمال القلب وجل القلب والخوف من الله تبارك وتعالى وذلك من أركان الإيمان.

وقال تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [المؤمنون:٦٠] ومعلوم أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الذين يؤتون ما آتوا فقالت: (هل هم الذين يسرقون ويزنون ويفعلون المحرمات ويشربون الخمر، فقال عليه الصلاة والسلام: لا يا ابنة الصديق! بل هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون ألا يتقبل منهم)، فهذا هو تفسير النبي عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: ((والذين يؤتون ما آتوا))، يعني: من الأعمال الصالحة، ومع ذلك هم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم؛ لقوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧]. فالشاهد هنا في قوله: ((وقلوبهم وجلة))، فالوجل والخوف من أعمال القلب.

وقال عز وجل: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر:٢٣]، وقال أيضا: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨]، وقال عز وجل: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر:٣]، والإخلاص عمل قلبي، وقال أيضا: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة:٥]، وهذا عمل قلبي: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ [الزمر:١٤]، والنية عمل قلبي، وقال أيضا: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥]، ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] والحب عمل قلبي.

فهناك أعمال في القلب لابد أن تؤدى، وحتى تحقق التوحيد في الأعمال القلبية ينبغي ألا توجهها إلا إلى الله تبارك وتعالى، كما أن من أعمال البدن السجود، الركوع، الصيام، الجهاد، هذه كلها من أعمال البدن، حتى توحد الله بأعمال البدن لا توجه هذه العبادات إلا إلى الله تبارك وتعالى، فلا تسجد ولا تركع إلا لله تبارك وتعالى؛ كذلك أعمال القلب ينبغي ألا توجه إلا إلى الله عز وجل، فلا تخاف إلا الله، ولا تحب إلا الله عز وجل وفي الله، ولا تتوكل إلا على الله، فإن وجهت التوكل إلى

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠/٢

غير الله ففي هذه الحالة تكون اتخذته شريكا مع الله تبارك وتعالى، يقول الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١] وقال عز وجل: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ [الحجرات:٧]، وقال أيضا: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء:١٢٥]، وقال: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [لقمان:٢٢]، وقال: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤]، وقال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥]، هذا الدليل واضح جدا في اشتراط عمل القلب في الإيمان، ولا يتحقق الإيمان حتى تجتمع هذه الأشياء: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت))، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

قوله: (إنما الأعمال بالنيات)، يعني: الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ونحتج بالحديث على أن من يعمل عملا مخالفا للشرع ثم يقول: نيتي صحيحة؛ كمن يسرق ليتصدق، نقول له: لابد أن يكون العمل صالحا، إنما الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ولو عمل عملا صالحا يريد به غير وجه الله لا ينفعه أيضا، فلابد من الاثنين أن يكون العمل صالحا موافقا للشرع، وأن يكون خالصا يبتغى به وجه الله تبارك وتعالى، وتقدم الكلام على ما ينافي الإخلاص من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحبوا الله من كل قلوبكم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)، هذا أيضا عمل قلبي، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)، فهذا غاية الانقياد؛ إذ لم يكن له هوى غير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب فأدلتها كثيرة جدا يطول الكلام بإحصائها واستقصائها.

الشاهد: كما أن قول القلب هو بالتصديق واليقين بالحق؛ كذلك لابد أن ينضم إليه: قول اللسان بالنطق بالشهادتين.." (١)

"مقدمة المؤلف في الكلام عن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. أما بعد: فبقراءة شرح الوصايا المهمة من وصايا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهي رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠/٥

وأولياء الشيطان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: [بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أرسله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وفرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء الله.

فمن شهد له محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن.

ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أولياء الشيطان.

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء.

ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ [يونس:٦٢ - ٦٤] وقال تعالى: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف:١٩٦]].

فقد ذكر الله عز وجل صفة أوليائه أنهم المؤمنون المتقون، وبين عز وجل عاقبة أمرهم أنهم لا خوف عليهم مما هم يقبلون عليه ويقدمون عليه، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم أو حصل لهم.

وبين عز وجل أن لهم البشرى في الحياة الدنيا، فمن عاجل بشرى المؤمن ما يلقيه الله سبحانه وتعالى في قلوب وفي ألسنة الخلق من محبة أوليائه والثناء عليهم.

ومن البشرى في الدنيا كذلك الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو ترى له.

وأما في الآخرة فما تبشرهم به الملائكة عند احتضارهم وعند قيامهم من قبورهم، وعندما تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

وكذلك من البشرى في الآخرة ما يبشر به العمل الصالح صاحبه حين يأتيه في صورة رجل طيب، حسن الوجه طيب الريح يقول: (أبشر بما يسرك هذا يومك هذا الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح).

قال المؤلف رحمه الله: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة:٢٥٧].

إذا لله أولياء كما في الآية: ((الله ولي الذين آمنوا)) والله عز وجل وليهم وهم أولياؤه، فهو يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضلال إلى نور الإيمان والعلم والتوحيد.

((والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت)) ورأس الطواغيت الشيطان، والطاغوت: كل ما عبد من دون الله وهو راض، وهؤلاء بعضهم أولياء بعض، وهم يتعاونون على الكفر والفسوق والعصيان.

((يخرجونهم من النور إلى الظلمات)) أي: يتركون الإيمان والعلم والعدل والحق الذي أخبر الله به وأمر به عز وجل إلى

ظلمات الظلم والشرك والشك والنفاق وغير ذلك مما يحصل لمن يعبد غير الله.

((أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥١ - ٥٦]].

فالله عز وجل له أولياء من المؤمنين وهو وليهم، ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة:٥٥].

ولا شك أن ذكر هذه الولاية عقب إيجاب البراءة من الكفار، من اليهود والنصارى، وعدم اتخاذهم أولياء دليل واضح على أنه لا تحصل الولاية لله إلا ببغض أعداء الله.

أما النفاق فتدل الآية على أنه يسبب موالاة الكفار، قال تعالى: ((فترى الذين في قلوبهم مرض)) أي: مرض النفاق والشبهات والشهوات ((يسارعون فيهم)) أي: يسارعون في موالاة اليهود والنصارى والكفار بزعم أنهم يخشون وقوع الهزيمة على المسلمين، فيضمنون أنهم قد أعدوا لهذا اليوم عدته بأن والوا أعداء الله، فيتخذون عندهم يدا يحمون بها أنفسهم إذا غلبوا.

قال عز وجل: ((فعسى الله أن يأتي بالفتح)) و (عسى) من الله واجبة، فمن تولى الله عز وجل، وتولى دين رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته، وتولى عباد الله المؤمنين، فإن الله يفتح عليه، ويأتي الكفار أمر من عنده عز وجل فيجعل باطلهم ومكرهم وكيدهم هباء منثورا، وعند ذلك يندم المنافقون على ما أسروا في أنفسهم من موالاة الكفار.

وبين عز وجل أن المؤمنين يتعجبون من هؤلاء المنافقين، كيف يجمعون بين النقيضين؟ بين كونهم يقسمون أقوى الأيمان - وقد بذلوا الجهد في المبالغة في القسم- أنهم مع المؤمنين، وفي نفس الوقت هم يتخذون الكفار أولياء، فكيف يجتمع هذان النقيضان؟ لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا، وهو في نفس الوقت يتخذ الذين كفروا أولياء.

وقد بين عز وجل أن موالاة الكفار تستوجب - والعياذ بالله - حبوط العمل، وتجلب الخسران، وبين أنها تجر إلى الردة فقال: ((يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**)) وهذه صفات أولياء الله أنهم يحبون الله والله يحبهم، وكذلك من صفاتهم: ((أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)) وأضافوا إلى ذلك الجهاد في سبيل الله، وأنهمولن يخافون لومة اللائمين الذين يلومون من يجاهد في سبيل الله، ومن يعمل لإعلاء كلمة الله.

((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)) فمن تفضل الله عز وجل عليه بحبه، وبالذلة على المؤمنين، والعزة على

الكافرين، والجهاد في سبيله، فهذا قد آتاه الله عز وجل من فضله، والله واسع عليم.

ثم حصر عز وجل الموالاة أنها تكون لمن لديهم صفات معينة، وهي: أنهم المؤمنون، والمقيمون للصلاة، والمؤتون للزكاة، والذين يركعون ويخضعون لله عز وجل.

وبين الله انتصار هذا الحزب الذي يشترط لعضويته: أن يكون الإنسان مؤمنا مصليا مزكيا مطيعا لله عز وجل.

والغرض المقصود من هذه الآية في هذا الباب هو قوله: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)) فلله عز وجل أولياء.

قال المؤلف رحمه الله: [قال تعالى: ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ [الكهف:٤٤]].

أي: هو يتولى أمور عباده عموما، وأمور عباده المؤمنين بالحفظ والعناية خصوصا.

قال المؤلف رحمه الله: [قال تعالى: وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل:٩٨ - ١٠٠]].

إذا: هناك من يتولى الشيطان، والشيطان وليه.

قال المؤلف رحمه الله: [وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ [النساء:٧٦]].

فسماهم أولياء الشيطان وأمر بقتالهم؛ لأنهم يصدون عن سبيل الله ويشركون به، ويظهرون الفساد في الأرض.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقال تعال." (١)

"صفة المحبة

من الصفات الاختيارية: صفة المحبة، يقول الله عز وجل: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩].

ويقول تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧].

وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١].

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤].

وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤].

فالمحبة من الصفات الفعلية الثابتة لله سبحانه وتعالى التي يفعلها متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وقد تنوعت دلالات الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة، فتارة ينص فيها باسم المحبة، كقوله تعالى: ﴿يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿يحب المقسطين﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿يحب المتقين﴾ [آل عمران:٧٦]، ﴿ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢]، إلى آخر

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ٢/١

الآيات.

وتارة تأتي باسم الخلة، والفرق بين الخلة والمحبة هو: أن الخلة أعلى درجات المحبة، ويدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء:١٢٥].

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) رواه مسلم، ويريد بصاحبكم نفسه.

وأيضا: جاءت الدلالة على محبة الله عز وجل في اسمه الودود، وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين: الموضع الأول: قول الله عز وجل: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤].

الموضع الثاني: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ [هود:٩٠].

والودود: فعول يأتي بمعنى: فاعل أي: واد، ومعناه: محب، والمودة والمحبة بمعنى واحد، ويأتي بمعنى: مفعول، فودود بمعنى: مودود، أي: محبوب، فالله عز وجل يحب ويحب، فهو يحب الصالحين الطيبين، ويحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق والإخلاص والتوحيد، ونحو ذلك من المخلوقات الشريفة أو من الأوامر التي أمر بها، وكذلك هو سبحانه وتعالى محبوب من عباده الصالحين الطيبين الموحدين.

والدليل على أنه محبوب قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١].

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، فيه إثبات أن الله عز وجل يحب، وأن الله عز وجل محبوب عند عباده الطيبين.

ووجه الدلالة من هذه الآيات التي ساقها المصنف واضح، وقوله تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩] المقصود بالقسط هنا: العدل، وقد أعجبني تعليق ممتاز للشيخ محمد العثيمين في شرح هذه الآية في تفسيره لهذه الآية، فإنه عند حديثه عن القسط وأنه العدل، قال: إن الشرع جاء بالأمر بالعدل، ويخطئ من يقول: إن الإسلام دين المساواة، ويقصد بالمساواة أن كل شيء يساوي بعضه بعضا.

ومما يخطئ فيه بعض الدعاة إلى الله عز وجل عند ردهم على دعاة تحرير المرأة أنهم يقولون: الرجل مساو للمرأة، فبعض الدعاة يرد عليهم ويقر لهم بهذه القاعدة ويقول: نعم، هو مساو للمرأة لكن ينبغي للمرأة أن تحافظ على شرع الله، فالإقرار لهم بهذه المقدمة إقرار خاطئ، فإن المرأة ليست مساوية للرجل، فهي مختلفة عنه في أشياء كثيرة، مختلفة عنه في الصفات والخلقة وفيما أمر الله عز وجل وفي طبيعتها وفيما يتعلق بها من أوامر الشرع، ولا يعني هذا أن المرأة مهانة في دين الله، فهي معززة ومكرمة لكن ليست مساوية للرجل، ولا يعني تعزيز المرأة وتكريمها أن تكون مساوية للرجل، وكلمة المساواة شعار لطائفة من الطوائف الإجرامية الخبيثة وهي: الماسونية، فإن الماسونية اتخذوا هذه الكلمة شعارا للحرية والمساواة، فالمساواة يعتبرونها شعارا، ولا ينبغي أن يطلقها الإنسان، ويمكن لكم أن تراجعوا كلام الشيخ محمد بن عثيمين فهو كلام نفيس وممتاز جدا.

فصفة المحبة ثابتة لله عز وجل من ثلاثة أوجه: من وجه التصريح بالمحبة، ومن وجه إثبات الخلة، ومن وجه اسمه الودود.

أما أهل البدع فإنهم ينفونها ويؤولون معناها، فالجهمية تنفيها أصلا، والمعتزلة تنف." (١)

"أنواع الولاية الشرعية

والولاية شرعا يحسن أن نشير إليها إجمالا، فالولاية شرعا تطلق على ثلاثة أمور: الأمر الأول: ولاية الله لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة:٢٥٧]، يحبهم، وهو سبحانه حافظهم وناصرهم إلى آخر ذلك مما يتبع لوازم الولاية.

الأمر الثاني: الولاية من المؤمنين لربهم، فالمؤمنون هم أولياء الله، يؤمنون به ويحبونه ويطيعونه ويعبدونه حق عبادته ويتقونه، نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم.

الأمر الثالث: ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، وهي درجات، وهذه الولاية هي الولاية المقبولة الشرعية.

وهناك ولايات لم يرد ذكرها شرعا، وهي ولايات غير شرعية، بمعنى: أنها لا تقوم على أساس شرعي، كولاية بعض المسلمين للكافرين، فهذه محرمة، وولاية الكافرين بعضهم لبعض، وولاية الطواغيت والشياطين لبعض بني آدم، هذه كلها ولايات تدخل في مفهوم الولاية الاصطلاحي العام، لكنها ليست ولايات مشروعة، فالولايات المشروعة هي ولاية الله لعباده المؤمنين، وولاية المؤمنين لربهم فهم أولياء الله وأحباؤه، وكذلك ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، وهي تتفاوت على درجات وشعب كشعب الإيمان، فكما أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاوت؛ كذلك الولاية بين المؤمنين تزيد وتنقص وتتفاوت.

قال رحمه الله تعالى: [فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد:١١]، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة:٧١]، وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٥ - ٥٦].

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين **فيحبهم ويحبونه**، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة].

ذكر الشيخ أنواع الولاية المشروعة في قوله: فهذه النصوص كلها ثبت فيها أولا: موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وثانيا: أنهم أولياء الله، وثالثا: أن الله وليهم ومولاهم، فالولايات الثلاث الشرعية ذكرها الشيخ بإيجاز هنا.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٢/٧

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٣/٧٥

"إثبات صفة المحبة لله من الكتاب والسنة

المحبة ثابتة بالكتاب والسنة، ومن أدلة إثباتها في الكتاب: قول الله عز وجل: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، وقال سبحانه: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٤]، ومن أدلة إثباتها في السنة حديث: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض) رواه البخاري في صحيحه في مواضع، وفي كتاب بدء الخلق، وفي كتاب الأدب، وفي كتاب التوحيد، ورواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة.

فنثبت المحبة لله عز وجل -لأنها ثابتة في الكتاب والسنة- خلافا لأهل البدع -على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل المخلوقين في محبتهم، وأما أهل البدع من الأشاعرة فإنهم أولوها بالإرادة، قالوا: أحب، يعني: أراد، وهي من الصفات السبع التي يثبتونها وهي: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والقدرة، والإرادة، وما عدا هذه الصفات السبع فإنهم يسلكون فيها أحد مسلكين: إما أن يردوها إلى الصفات السبع، وإما أن يتأولوها بأثر الصفة في بعض المخلوقات، من النعم والعقوبات.

فمثلا: الرضا، يؤولونه بالثواب، والثواب أثر عن الرضا، والغضب، يؤولونه بالانتقام، والانتقام أثر عن الغضب.

والثواب مخلوق، والانتقام مخلوق، فهم أولوها ببعض المخلوقات، أو بردها إلى الصفات السبع، وهنا يقولون: المحبة، معناها: أراد أن يحب، فتأولوها بالإرادة.." (١)

"إثبات محبة الله ومودته لأوليائه

إثبات محبة الله ومودته لأوليائه: قال رحمه الله: [وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥]]، فقوله: ((إن الله يحب المحسنين)) فيها إثبات صفة المحبة لله عز وجل وأن الله عز وجل يحب ويحب، فيحب من العباد، ومحبته تكون لذاته وتكون لإحسانه، فهو سبحانه وتعالى لكمال ذاته وكمال أوصافه وكمال أسمائه وكمال جلاله وعظمته يحب، وكذلك لكمال إحسانه وإنعامه وتدبيره لخلقه فهو يحب أيضا، وهو كذلك سبحانه وتعالى يحب المحسنين، ويحب الصادقين، ويحب الصالحين، ويحب المؤمنين، ويحب أنبياءه سبحانه وتعالى، وهي من الصفات الفعلية التي يفعلها الله عز وجل متى شاء إذا شاء، في الوقت الذي يشاء سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: [وقال: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩]، وقال: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧]، ويقول: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١]].

فهنا جاءت المحبة من جهتين: ((قل إن كنتم تحبون الله)) فالله عز وجل يحب، ((فاتبعوني يحببكم الله))، وهو يحب سبحانه وتعالى.

---

(١) شرح الاقتصاد في الاعتقاد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٧/٥

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]].

وهذه واضحة في هذه المسألة، فيحبهم ويحبونه.

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤]].." (١)

"إثبات صفة المغفرة والمودة

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤]]، فالغفور اسم لله عز وجل يتضمن صفة المغفرة، والمغفرة تدل على الرحمة وتدل على المحبة أيضا، والودود يدل على صفة الود، والود من صفات الله سبحانه وتعالى، والود بمعنى المحبة.

ولهذا سمى السلف نفاة الصفات: غلاظ الأكباد؛ لأنهم ينفون صفة المحبة، فيقولون: إن الله عز وجل لا يحب ولا يحب، ويقولون: إن المحبة هي الإرادة، فيردون المحبة والصفات الاختيارية إلى الإرادة، فمثلا: المحبة والغضب والرضا يقولون: هي إرادة الإحسان أو إرادة الانتقام، لكن المحبة كصفة لا يثبتونها لله سبحانه وتعالى، ويقولون: إنه لا يحب ولا يحب، ويقولون: إن المحبة لا تتعلق به، فالمحبة هي تعلق القلب، ولا يصح أن تتعلق بالإله الخالق، فإن المحبة بمعنى الخضوع والتعبد.

وهذا فهم فاسد لأمرين: فهم فاسد للأسماء والصفات، وفهم فاسد للتأله والتعبد، فهم يفسرون الألوهية بمعنى الربوبية وينفون الصفات عن الله عز وجل، ولهذا كما يقول ابن القيم رحمه الله: إنهم أغلقوا منافذ التعلق بالله سبحانه وتعالى من جهة محبة العبد لربه، ومن جهة محبة الرب لعبده سبحانه وتعالى، مع أن هذه القضية صريحة في كتاب الله، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]، فأولوها بسبب الأصول العقلية التي سبق أن أشرنا إليها في دروس سابقة.." (٢)

"إثبات صفة النزول والمجيء لله تعالى

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله سبحانه: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩]، وقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله تعالى في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح:٦]، وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة:٤٦].

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا)، وقوله: (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة)، وقوله: (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، ثم يدخلان الجنة).

فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وعدلت رواته نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهر، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١]، فكل ما يتخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه].

إلى هنا ذكر الآيات والأحاديث التي سبق وأن علقنا عليها في (الواسطية)، وبقية الآيات والأحاديث تتعلق بصفة العلو

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ٩/٦

(٢) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١٠/٦

الكلام والرؤية، وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله في اللقاء القادم، نكتفي بهذا القدر، ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، إنه على كل شيء قدير.." (١)

"المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك قال الله عز وجل: ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة:١٦٥]، وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم [المائدة:٥٤] فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونه كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره وقبول هداه وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال الله تبارك وتعالى: أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا [الفرقان:٤٣] الآيات، وقال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله [الجاثية:٢٣] فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد هواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر الله عز وجل ونواهيه وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده [الممتحنة:٤] الآيات وقال الله تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان [المجادلة:٢٢] الآية، وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم [المائدة:٥١] الآيات، قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون [التوبة:٢٣ - ٢٤] الآيتين، وقال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء [الممتحنة:١] إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات وقال تعالى في اشتراط اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين [آل عمران:٣١] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن." (٢)

"وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن الكرسي والعرش حق قال تعالى: وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم [البقرة:٢٥٥] والعرش لا يقدر قدره إلا الله، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وسع السماوات والأرض، والله مستغن عن العرش والكرسي، ولم يستو على العرش لاحتياجه إليه؛ بل لحكمة يعلمها، وهو منزه

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ٦/٢٥

(٢) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٢٦٧

عن أن يحتاج إلى العرش أو ما دونه، فشأن الله تبارك وتعالى أعظم من ذلك؛ بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه وأن الله تعالى خلق آدم – عليه السلام – بيديه، وأن كلتا يديه يمين ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء كما وصف نفسه سبحانه فقال: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء [المائدة:٦٤] وقال: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي [ص:٧٥] وأهل السنة والجماعة: يثبتون لله سمعا، وبصرا، وعلما، وقدرة، وقوة، وعزا، وكلاما وحياة، وقدما وساقا، ويدا، ومعية وغيرها من صفاته – عز وجل – التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها؛ لأنه تعالى لم يخبرنا عن الكيفية، قال تعالى: إنني معكما أسمع وأرى [طه:٤٦] وقال: وهو العليم الحكيم [التحريم:٢] وكلم الله موسى تكليما [النساء:١٦٤] ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام [الرحمن:٢٧] رضي الله عنهم ورضوا عنه [البينة:٨] **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] فلما آسفونا انتقمنا منهم [الزخرف:٥٥] يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون [القلم:٤٢] الله لا إله إلا هو الحي القيوم [البقرة:٢٥٥] غضب الله عليهم [المجادلة:١٤] وغيرها من آيات الصفات وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة [القيامة:٢٣] وسوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته)) (١) وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟)) (٢)

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣). من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة –يعني البدر– فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته،. ..)

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ..." (١)

"– الحب والمحبة

صفات لله عز وجل فعلية اختيارية ثابتة بالكتاب والسنة الدليل من الكتاب:

قوله تعالى: وأحسنوا إن الله يحب المحسنين [البقرة: ١٩٥].

وقوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤].

الدليل من السنة:

حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: ((لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)) (١).

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي)) (٢).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٦/١

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحب والمحبة لله عز وجل، ويقولون: هي صفة حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ كما يقول المؤولة كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ٢/ ٣٥٤): إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة:١٦٥] وقوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] وقوله: أحب إليكم من الله ورسوله [التوبة:٢٤] وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام اهـ صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف - ص١٠٣

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٥).." (١)

"- النفس (بالتحريك)

صفة فعلية لله عز وجل؛ من التنفيس؛ كالفرج والتفريج، ثابتة بالسنة الصحيحة

الدليل:

حديث سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو مول ظهره إلى اليمن: ((إني أجد نفس الرحمن من هنا)) (١)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: ((ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن)) (٢)

حديث أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفا عليه: ((لا تسبوا الريح؛ فإنها من نفس الرحمن تبارك وتعالى)) (٣)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)) (٤)

قال الأزهري بعد أن ذكر حديث: ((أجد نفس ربكم من قبل اليمن))؛ قال: ((أجد تنفيس ربكم عنكم من جهة اليمن؛ لأن الله جل وعز نصرهم بهم، وأيدهم برجالهم، وكذلك قوله: ((الريح من نفس الرحمن))؛ أي: من تنفيس الله بها عن المكروبين، وتفريجه عن الملهوفين)) اهـ (٥)

وقال في (القاموس المحيط): وفي قوله: ((ولا تسبوا الريح؛ فإنها من نفس الرحمن))، و ((أجد نفس ربكم من قبل اليمن))؛ اسم وضع موضع المصدر الحقيقي، من نفس تنفيسا ونفسا؛ أي: فرج تفريجا))

قال أبو يعلى الفراء بعد ذكره حديث: ((الريح من نفس الرحمن)): اعلم أن شيخنا أبا عبد الله ذكر هذا الحديث في كتابه، وامتنع أن يكون على ظاهره، في أن الريح صفة ترجع إلى الذات، والأمر على ما قاله، ويكون معناه أن الريح مما يفرج الله عز وجل بها عن المكروب والمغموم؛ فيكون معنى النفس معنى التنفيس، وذلك معروف في قولهم: نفست عن فلان؛ أي:

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩١/٢

فرجت عنه، وكلمت زيدا في التنفيس عن غريمه، ويقال: نفس الله عن فلان كربة؛ أي: فرج عنه، وروي في الخبر: ((من نفس عن مكروب كربة؛ نفس الله عنه كربة يوم القيامة))، وروي في الخبر أن الله فرج عن نبيه بالريح يوم الأحزاب، فقال سبحانه: فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها [الأحزاب: ٩]

وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا، ولم يجب تأويل غيره من الأخبار؛ لأنه قد روي في الخبر ما يدل على ذلك، وذلك أنه قال: ((فإذا رأيتموها؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به))، وهذا يقتضي أن فيها شرا وأنها مرسلة، وهذه صفات المحدثات اهـ (٦)

وبنحو هذا الكلام قال ابن قتيبة (٧)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية شارحا لحديث: ((إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن)): فقوله: ((من اليمن))؛ يبين مقصود الحديث؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذين **يحبهم ويحبونه**، الذين قال فيهم: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤]، وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية؛ سئل عن هؤلاء؟ فذكر أنهم قوم أبي موسى الأشعري، وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: ((أتاكم أهل اليمن؛ أرق قلوبا، وألين أفئدة؛ الإيمان يمان، والحكمة يمانية)) (٨)، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار؛ فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات)) (٩) وبنحوه قال الشيخ العثيمين –رحمه الله– في (القواعد المثلى) (١٠) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف – ص٣٠٧

---

(١) رواه الطبراني (٧/ ٥٢)، والبزار في ((البحر الزخار)) (٩/ ١٥٠)، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (٢/ ٣٩١). وأشار عبد الحق الإشبيلي إلى تصحيحه في مقدمة كتابه ((الأحكام الصغرى)) (٥٠٢)، وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣٣٦٧): إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٤١) (١٠٩٩١)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (٢/ ١٤٩). قال العراقي في ((المغني)) (١/ ١٤٣): رجاله ثقات. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٥٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة. وأشار الألباني إلى تصحيحه في ((السلسلة الصحيحة)) بعد حديث رقم (٣٣٦٧) وقال: فهذا شاهد قوي له من حديث سلمة بن نفيل أوجب علي تخريجه هنا والتنبيه على أن الحديث صار به صحيحا. والحديث أصله في الصحيحين مختصرا.

(٣) رواه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٦/ ٢٣٢)، والحاكم (٢/ ٢٩٨)، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (٢/ ٣٩٣). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أسند من حديث حبيب بن أبي ثابت من غير هذه الرواية. وقال الذهبي في ((التلخيص)): على شرط البخاري.

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٥) ((تهذيب اللغة)) (١٣/ ٩).

(٦) ((إبطال التأويلات)) (ص٢٥٠).

(٧) ((تأويل مختلف الحديث)) (٢٤٩).

(٨) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ٣٩٨).

(١٠) ((القواعد المثلى)) (ص٥٧).." (١)

"- الودود

يوصف الله عز وجل بأنه الودود، الذي يود ويحب عباده الصالحين ويودونه، وهذا ثابت بالكتاب العزيز، و (الودود) من أسمائه تعالى

الدليل:

قوله تعالى: واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود [هود: ٩٠]

وقوله: وهو الغفور الودود [البروج: ١٤]

الود والمودة: الحب والمحبة، والودود: المحب انظر: (اللسان)

قال أبو القاسم الزجاجي: الودود: فيه قولان:

أحدهما: أنه فعول بمعنى فاعل؛ كقولك: غفور بمعنى غافر، وكما قالوا: رجل صبور بمعنى صابر، وشكور بمعنى شاكر، فيكون الودود في صفات الله تعالى عز وجل على هذا المذهب أنه يود عباده الصالحين ويحبهم، والود والمودة والمحبة في المعنى سواء؛ فالله عز وجل ودود لأوليائه والصالحين من عباده، وهو محب لهم

والقول الآخر: أنه فعول بمعنى مفعول؛ كما يقال: رجل هيوب؛ أي: مهيب، فتقديره: أنه عز وجل مودود؛ أي: يوده عباده ويحبونه وهما وجهان جيدان

وقد تأتي الصفة بالفعل لله عز وجل ولعبده، فيقال: العبد شكور لله؛ أي: يشكر نعمته، والله عز وجل شكور للعبد؛ أي: يشكر له عمله؛ أي: يجازيه على عمله، والعبد تواب إلى الله من ذنبه، والله تواب عليه؛ أي: يقبل توبته ويعفو عنه اهـ (١)

وقال ابن القيم: الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه وهو الودود أيضا أي المحبوب قال البخاري في (صحيحه) الودود: الحبيب والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادا لأوليائه ومودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه **يحبهم ويحبونه** (٢)

وانظر: (تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة (٣) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف - ص٣٢٣

---

(١) ((اشتقاق أسماء الله)) (ص١٥٢).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٢٨/٢

(٢) ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص٥٩).

(٣) (ص١٨).." (١)

"اثنان وعشرون: الآثار الإيمانية لاسم الله المعز المذل

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى المعز المذل فإنه يجد في العزة مظهرا من مظاهر الثقة بالله تعالى ورسوخ اليقين والقوة في الدين والخلق. فعن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعها على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) (٢)

وقال الإمام ابن القيم في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤]: لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة (على) تضمينا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن ذلول كما في الحديث: ((المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل)) (٣)، وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب، والنمام، والبخيل، والجبار.

وقوله: أعزة على الكافرين هو من عزة القوة والمنعة والغلبة، قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لوده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته، كما قال في الآية الأخرى: أشداء على الكفار رحماء بينهم [الفتح: ٢٩] وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كبرا علينا وجبنا عن عدوكم ... لبئست الخلتان الكبر والجبن (٤)

@ منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى لمشرف بن علي بن عبد الله الحمراني الغامدي – ص: ٤٣١

---

(١) رواه الحاكم (١/ ١٣٠)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/ ٣٥). من حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .. ولم يخرجاه، وله شاهد. وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١/ ١١٧): صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٤). من حديث قيس بن أبي حازم رضي الله عنه.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٢٣٩

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ((مدارج السالكين)) (٢/ ٣٤٠).." [(١)]

"المبحث الخامس: الفرق بين المشيئة والإرادة (الإرادة الكونية والإرادة الشرعية)

والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان:

إرادة قدرية خلقية، وإرادة دينية شرعية.

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة المحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

فالإرادة الشرعية كقوله تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة:١٨٥]، وقوله: ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون [المائدة: ٦] يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا [النساء: ٢٦ - ٢٨] وقوله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [الأحزاب:٣٣].

فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة على أنه لا يحب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر، ولا يأمر بها ولا يرضاها، وإن كان شاءها خلقا وإيجادا.

وأنه يحب ما يتعلق بالأمور الدينية ويرضاها ويثيب عليها أصحابها، ويدخلهم الجنة، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين.

وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت أو لم تحدث.

والإرادة الكونية القدرية هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات، التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا [الأنعام:١٢٥]. وقوله: ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم [هود:٣٤]. وقوله: ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد [البقرة:٢٥٣]. وقوله: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا [الكهف:٣٩]. وهذه الإرادة إرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الكائنات، فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله ومشيئته هذه، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين **يحبهم ويحبونه**، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون. وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث منها. والمخلوقات مع كل من الإرادتين أربعة أقسام:

الأول: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع، فأمره وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك ما كان.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٢/٢

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة، فعصى ذلك الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين، وهو يحبها ويرضاها وقعت أم لم تقع.
والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره الله وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي، فإنه لم يأمر بها، ولم يرضها، ولم يحبها، إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
والرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يقع ولم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي.
والسعيد من عباد الله من أراد الله منه تقديرا ما أراد الله به تشريعا، والعبد الشقي من أراد الله به تقديرا ما لم يرد به تشريعا، وأهل السنة والجماعة الذين فقهوا دين الله حق الفقه، ولم يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، علموا أن أحكام الله في خلقه تجري على وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيرا، ومن نظر إلى الشرع دون القدر، أو نظر إلى القدر دون الشرع كان أعور، مثل قريش الذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء [الأنعام:١٤٨]. قال الله تعالى: كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون [الأنعام:١٤٨]. الإيمان بالقضاء والقدر لعمر بن سليمان الأشقر – ص١٠٤." (١)

"والثالث عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه قال الله تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه [الأنعام: ٥٢] إنما نطعمكم لوجه الله [الإنسان: ٩] الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا [الأنفال: ٢] والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون [المؤمنون: ٦٠] الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد [الزمر: ٢٣] الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب [الرعد: ٢٨] وقال الله تعالى: ألا لله الدين الخالص [الزمر: ٣]، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين [البينة: ٥]، قل الله أعبد مخلصا له ديني [الزمر: ١٤]، وقال الله تعالى: والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥]، **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم [آل عمران: ٣١]، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون [الحجرات: ٧]، وقال الله تعالى: ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن [النساء: ١٢٥] ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور [لقمان: ٢٢]، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين [الحج: ٣٤] فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [النساء: ٦٥]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٧٤/٥

ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) (١).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) (٢).

و ... قال صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)) (٣) الحديث وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) (٤).

---

(١) رواه البخاري (١) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧). من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.." (١)

"والأحاديث في الصديق كثيرة جدا، قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكر كفاية في التنبيه على ما وراءه، وما أحسن ما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوا من أخ ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أوفاها وأعدلها ... بعد النبي وأولاها بما حملا

والتالي الثاني المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا لأمر الله متبعا ... بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

مواقفه العظيمة

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبي صلى الله عليه وسلم من حين بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير، فأمر لا تدرك غايته، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته، وقمع به كل عدو للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين. حتى قيل: لم يبق يصلى إلا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين، ومسجد العلاء الحضرمي بالبحرين، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعا وكرها وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة.

قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم [المائدة:٥٤] الآيات. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة (١).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٢/٥

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة. وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر رضي الله عنه: ((كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله عز وجل، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها)) (٢).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج في أثره (٣). قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة (٤).

---

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٠/ ٤١١، ٤١٢، ٤١٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠) ، ومسلم (٢٠).

(٣) أورده البغوي في ((تفسيره)) (٣/ ٦٩).

(٤) رواه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/ ٨٣) ، وأورده البغوي في ((تفسيره)) (٣/ ٧٠).." (١)

"وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم، ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه، قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال لهاضها (١) ...

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه (٢).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في (سننه) وابن عساكر عن قتادة: قال الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم [المائدة:٥٤] وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الجواثي من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا. فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة. فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل، ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة (٣). قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] إلى آخر الآية (٤).

ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله يا أيها الذين

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠٧/٧

آمنوا من يرتد منكم عن دينه [المائدة:٥٤]. الآية، قال عمر رضي الله عنه: أنا وقومي يا رسول الله؟ قال: ((لا بل هذا وقومه)) يعني أبا موسى الأشعري (٥).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٧/ ٤٣٤)، والطبراني في ((الأوسط)) (٥/ ١٤٨)، وفي ((الصغير)) (٢/ ٢١٤)، والبيهقي (٨/ ٢٠٠). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ٥٣): رواه الطبراني في ((الصغير)) و ((الأوسط)) من طرق ورجال أحدها ثقات.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٥/ ١٢).

(٣) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٢١/ ٤٣٠)، والبيهقي (٨/ ١٧٨). وقال الذهبي في ((المهذب)) (٦/ ٣٢٩٠): من مراسيل قتادة. والقصة رواها البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٠/ ٤١٢).

(٥) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٠/ ٤١٦). قال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧/ ١١٠٦): أخرجه ابن جرير وإسناده مرسل صحيح، رجاله كلهم ثقات؛ فهو شاهد قوي في الجملة.." (١)

"وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في (مسنده) وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في (الدلائل) عن عياض الأشعري قال: ((لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] قال رسول الله: هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه)) (١).

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في (جمعه لحديث شعبة) والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((تليت على النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قومك يا أبا موسى الأشعري، أهل اليمن)) (٢).

وأخرج ابن أبي حاتم في (الكنى) والطبراني في (الأوسط) وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] الآية فقال: هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب)) (٣).

وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية (٤).

---

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٠/ ٤١٥)، الطبراني (١٧/ ٣٧١) ، وابن أبي شيبة في ((مسنده)) (٦٦٥) ، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٥/ ١٢) ، والحاكم (٢/ ٣٤٢)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٥/ ٤٤٦)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٤/ ١٠٧). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) (٢/ ٣٨): [فيه] محمد بن إسماعيل الصايغ قال عبد الرحمن بن أبي حاتم صدوق، وقال

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/٢٠٩

البوصيري في ((إتحاف المهرة)) (٦/ ٦٦): هذا إسناد رواته ثقات. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/ ١٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البيهقي في ((دلائل النبوة)) (٥/ ٤٤٦) ، والطبري في ((تفسيره)) (١٠/ ٤١٥). والحديث صححه أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (١/ ٦٩٩). وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣٣٦٨): وقد جاء موصولا فقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى ... سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ... الحديث. وهذا إسناد صحيح متصل، ثم قال: وأخرجه البيهقي في ((دلائل النبوة)) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: ثنا أبو معمر حدثنا عبد الله بن إدريس به. وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم غير عبد الله بن أحمد وهو ثقة، وكذلك من دونه.

(٣) رواه الطبراني في ((الأوسط)) (٢/ ١٠٣) ، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٥/ ١٢). قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن قيس الأسدي إلا أبو زياد ولا عن أبي زياد إلا معاوية تفرد به أبو حميد. وقال ابن أبي حاتم في ((علل الحديث)) (١٧٧٩): سمعت أبي يقول هذا حديث باطل. وقال ابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ١٣٥ - ١٣٦): وهذا حديث غريب جدا. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/ ١٩) ، والشوكاني في ((فتح القدير)) (٢/ ٧٧): إسناده حسن. وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧/ ١١٠٤ - ١١٠٥): إسناده جيد؛ رجاله كلهم ثقات.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٦/ ٥٥٤).." (١)

"قلت: وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلا عن غيره، وكان بأس الناس الذي هم فيه، كما رواه ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسودا، فإنما الفارسي تيس (١). وقد قتل رضي الله عنه أسوارا فارس الفرس وأبلى بلاء حسنا، وكانت له اليد البيضاء يومئذ.

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في (تاريخه) عن القاسم بن ينخسرة قال: أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] الآية ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله أنه لمنكم أهل اليمن – ثلاثا (٢).

وكل هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولا، فإن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ، وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبي موسى وفيروز الديلمي وغيرهم من عمال النبي صلى الله عليه وسلم ونشب بين مؤمنيهم وكافريهم قتال عظيم حتى قتل الله الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسي إلا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فإنه لم يزل يتابع الكتائب مددا لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاء في أيام الردة والفتوح، فحينئذ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكل هذا في شأن السبب لنزول الآية، وإلا فهي عامة لكل مؤمن يحب الله ويحبه ويوالي فيه

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١٠/٧

ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم.

وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه وأول من تناولته الآية، رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين.

وفي (الصحيحين) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)) (٣).

وتفاصيل مواقفه العظام رضي الله عنه مشهورة مبسوطة في كتب السيرة وغيرها وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته رضي الله عنه في يوم الإثنين عشية، وقيل: بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا. وكان عمر الصديق رضي الله عنه يوم توفي ثلاثا وستين سنة السن الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة. معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ الحكمي - بتصرف – ٣/ ١٣١٣ - ١٣٣٩

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٦/ ٤١٠) ، والطبري في ((تاريخه)) (٣/ ٧٨) ، والطبراني (١٧/ ٤٥). قال ابن حجر في ((الإصابة)) (٣/ ١٩): إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري في ((التاريخ الكبير)) (٧/ ١٦١).

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠).." (١)

"ثانيا: النصوص المشيرة إلى خلافته

١ - الآيات القرآنية:

لقد وردت آيات في الكتاب العزيز فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحق الناس من هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي:

(١) قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين [الفاتحة: ٦ - ٧] ووجه الدلالة أن أبا بكر رضي الله عنه داخل فيمن أمر الله – جل وعلا – عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١١/٧

بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا [النساء: ٦٩] وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين (١) فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم ولما كان أبو بكر رضي الله عنه ممن طريقهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله من هذه الأمة بخلافة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن عمر الرازي: (قوله: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم [الفاتحة: ٦ – ٧] يدل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه لأنا ذكرنا أن تقدير الآية: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم؟ فقال: فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين [النساء: ٦٩] الآية ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ظالما لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه) (٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم – أعني الفاتحة – بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم [الفاتحة: ٦ – ٧] وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم وأن إمامته حق) (٣).

(٢) وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [المائدة: ٥٤].

---

(١) انظر: ((صحيح البخاري)) (٢/ ٢٩٣).

(٢) ((التفسير الكبير)) (١/ ٢٦٠).

(٣) ((أضواء البيان)) (١/ ٣٦).." (١)

"هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه (كان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتداد قوم فوعد سبحانه – ووعده صدق – أنه يأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٣/٧

فلما وجد ما كان في علمه في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله صلى الله عليه وسلم آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق رضي الله عنه) (١) روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال في قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] قال: (فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم بقوم **يحبهم ويحبونه** بأبي بكر وأصحابه) (٢) وروى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى الحسن البصري رحمه الله أنه قال في قوله: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] قال: (هم الذين قاتلوا مع أبي بكر أهل الردة من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم قال: وكذلك قال عكرمة وقتادة والضحاك، وروينا عن عبد الله بن الأهتم أنه قال لعمر بن عبد العزيز: (إن أبا بكر الصديق قام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا إلى سنته ومضى على سبيله فارتدت العرب، أو من ارتد منهم فعرضوا أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة فأبى أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلا في حياته فانتزع السيوف من أغمادها وأوقد النيران في شعلها وركب بأهل حق الله أكتاف أهل الباطل حتى قررهم بالذي نفروا منه وأدخلهم من الباب الذي خرجوا منه حتى قبضه الله) (٣).

فدلت الآية السابقة على خلافة الصديق حيث حصل في خلافته ما نطقت به الآية من ارتداد الكثير من العرب عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجاهدهم أبو بكر رضي الله عنه هو والصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى رجعوا إلى الإسلام كما أخبر الله تعالى في الآية وهذا من الكائنات التي أخبر بها الرب – جل وعلا – قبل وقوعها.

---

(١) ((الاعتقاد)) للبيهقي (ص: ٣٤٤).

(٢) ((تفسير الطبري)) (٦/ ٢٨٥).

(٣) ((الاعتقاد)) (ص: ١٧٤).." (١)

"المطلب التاسع: تواضع الآمر الناهي في أمره ونهيه

ومما يستحب للآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون متواضعا في أمره ونهيه من غير افتخار ولا تعاظم، بل من حقوق المسلمين التواضع لهم.

وسمي التواضع متواضعا لأنه وضع شيئا من قدره الذي يستحقه – وذلك ملح العبادة – وغاية شرف الزاهدين، وسيما الناسكين.

قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [المائدة: ٥٤].

(أي متواضعين لهم بذل لين وانقياد، لا بذل هوان فيعاشروا المؤمنين برحمة وعطف وشفقة وإخبات وتواضع).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٥٤/٧

وقوله: أعزة على الكافرين.
هو من عزة القوة والمنعة والغلبة.
وقال (عطاء) (للمؤمنين كالوالد لولده. وعلى الكافرين كالسبع على فريسته) (١) كما في الآية الأخرى: أشداء على الكفار رحماء بينهم.
فالنفس إذا انحرفت عن خلق العزة التي وهبها الله للمؤمنين انحرفت إما إلى كبر وإما إلى ذل والعزة المحمودة بينهما، والله أعلم.
وقال تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا [الفرقان: ٦٣] يعني سكينة ووقارا متواضعين، غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين لأن الهون –بالفتح– الرفق واللين، وبالضم –الهوان.
فالأول صفة أهل الإيمان، والثاني صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران (٢).
قال تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين [القصص: ٨٣]. الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن بن أبي بكر بن داود– ص: ٤٦٠
وفي (صحيح مسلم)، و (سنن أبي داود)، و (ابن ماجه) من حديث عياض بن حمار المجاشعي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفتخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)) (٣).
قال أهل اللغة: (البغي التعدي والاستطالة).
قال أبو العباس بن تيمية – في (اقتضاء الصراط المستقيم) – جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين نوعي الاستطالة. لأن المستطيل إن استطال بحق فهو المفتخر. وإن استطال بغير حق فهو الباغي فلا يحل لا هذا ولا هذا (٤). الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن بن أبي بكر بن داود– ص: ٤٦٢
قال أبو حامد: فإن قلت كيف التواضع للفاسق والمبتدع وقد أمرت ببغضهما، والجمع بينهما متناقض (٥)؟
فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق، إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس، والإذلال بالعلم والورع، فكم من عابد جاهل، وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس إلى جانبه أزعجه ذلك.
وتنزه منه لكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه غاضب لله، وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير، فإن الغضبان – أيضا – يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه، وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون.
والذي يخلصك من هنا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع، أو الفاسق، أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:
أحدها: التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك، ليصغر عند ذلك قدرك في عينك.
والثاني: أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم، واعتقاد الحق، والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله – تعالى – وله المنة لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب نفسك، وإذا لم تعجب لم تتكبر.

والثالث: ملاحظة إيهام عاقبتك وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه.
الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن بن أبي بكر بن داود– ص: ٤٦٧

---

(١) ((تفسير القرطبي)) تفسير المائدة آية ٥٤.

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨٧).

(٤) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية، فصل الفرق بين التشبيه بالكفار والشياطين والتشبه بالأعاجم، (ص: ١٤٨) ط دار الحديث.

(٥) ((الإحياء))، كتاب ذم الكبر والعجب، فضيلة التواضع (٣/ ٣٤٠).." (١)

"بيان رأي الجويني في آيات الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب].

يعني: ظواهر النصوص وآيات الكتاب كقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله تعالى: (**يحبهم ويحبونه**)، هل تؤول أو لا تؤول؟ وأبو المعالي الجويني من متأخري الأشاعرة، وهو الذي تكلم في مسألة الاستواء وقرر نفي استواء الرب على عرشه بين تلاميذه، حيث يقول: إن الرب كان قبل أن يخلق العرش وهو الآن على ما كان، وقصده بذلك إنكار الاستواء، فلما أكثر من هذا قام إليه أحد تلاميذه وقال: يا أستاذ! دعنا من هذا الكلام، لكن كيف ندفع هذه الضرورة على المسلم؟ ما قال أحد قط: يا الله! إلا اتجه إلى العلو وجهه وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني والهمداني هذا هو من تلاميذه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال في كتاب الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب].

وهؤلاء هم الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، أما أهل السنة فلم يؤولوها، بل أجروها على ظاهرها، وأمروها كما جاءت، كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

قال: [فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب].

وهذا غلط، فإن أئمة السلف يفوضون الكيفية ولا يفوضون المعاني.

أما مذهب المفوضة فقال بعض العلماء عنهم: المفوضة أشر من الجهمية، فالمفوضة يقولون: لا نعرف المعنى، بل هي حروف تجري على اللسان ولا يعرف معناها، وهذا غلط، فإن الله تعالى أمر بتدبر القرآن، فقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١٤/٨

[النساء:٨٢] وقال: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [القمر:١٧]، ولم يقل: لا تفسروها ولا تدبروها فإنها غير معلومة المعنى، بل قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ [ص:٢٩]، فقوله ذاك إنما قاله ظنا منه أن السلف يفوضون المعنى، مثل ما قال النووي رحمه الله في صحيح مسلم: مذهب الخلف التأويل، ومذهب السلف تفويض المعنى، وهذا غلط، إذ ليس من مذهب أهل السنة والجماعة تفويض المعنى، بل عندهم تفويض الكيفية، والمعنى معلوم كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم -أي: في اللغة العربية- والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب.

قال: والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها].

شيخ الإسلام ينقل هذه النصوص ليبين أن مذهب السلف وأهل السنة والجماعة هو إثبات الصفات وتفويض الكيفية، ونقل الشيخ كلام أبي المعالي ولم يرد عليه، فيحمل كلام أبي المعالي في تفويض المعنى على أن المقصود معنى الكيفية، لكن المعروف من أبي المعالي غير ذلك، ولهذا فهذا إشكال من نقل الشيخ رحمه الله هذا الكلام ضمن نقولات العلماء في إثبات مذهب السلف.

قال: [وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الله عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب، فليجر آية الاستواء والمجيء، وقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص:٧٥] ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر:١٤]، وما صح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا].." (١)

"مجيء القرآن بإثبات أسماء الله وصفاته على وجه التفصيل

قال رحمه الله: [وقوله ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ [الإخلاص:١ - ٢] السورة، وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم:٢]، ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤]، ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١]، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [إبراهيم:٤]، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس:١٠٧]، ﴿وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ [البروج:١٤ - ١٦]، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد:٣ - ٤].

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٨/١١

وقوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد:٢٨]، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤] الآية، وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة:٨]، وقوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء:٩٣]، وقوله: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ [غافر:١٠]، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١].

وقوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤]، وقوله: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ [مريم:٥٢]، وقوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص:٦٢]، وقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس:٨٢].

وقوله: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحشر:٢٢ - ٢٤].

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين].

إن منهج جميع المرسلين أنهم جاءوا بإثبات أسماء الله وصفاته، ووصفه بالكمال، وبيان وحدانيته في الربوبية والإلهية، ولذلك فإنه من هذا الجانب، أي: جانب التوحيد والعقيدة، فإن الرسل كلهم دينهم واحد، وكلهم جاءوا بإثبات الكمال لله عز وجل، ووصفه بصفات الكمال، وكلهم جاءوا بالدعوة إلى توحيد الله، وإنما اختلفت شرائعهم، فالشرائع جاءت لكل صنف من البشر، ولكل أمة من الأمم بحسب ما تحتاجه، وبحسب حالها وزمانها وظروفها، ولم تأت شريعة لجميع البشرية إلا هذه الشريعة الخالدة التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم، فهي آخر الشرائع وأتم الشرائع، وهي عامة لجميع البشرية إلى قيام الساعة.

وأما التوحيد فإنه المتمثل في أركان الإيمان، والدعوة إلى التوحيد، ونفي الشرك، وكل الرسل جاءوا بشعار أو بقاعدة: ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل:٣٦]، فلم يختلف جميع المرسلين في ذلك، بل صاروا في هذا الأمر على منهاج واحد، كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالإخ." (١)

"مواطن الاستشهاد في الآيات عند الكلام على الإثبات المفصل

أما الكلام على الإثبات المفصل، فسنمر على مواطن الاستشهاد في الآيات؛ لأني بعد التأمل رأيت أن بعض الآيات قد يخفى وجه الشاهد فيها، وبعض الآيات قد تضمنت أكثر من دليل على الإثبات المفصل، لذا فسنقف على أسماء الله

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٧/٢

وصفاته وأفعاله والإخبار عن الله عز وجل في هذه الآيات، مع ما ورد في بعض الآيات من باب الأسماء، وبعضه من باب الصفات، وبعضه يجمع بين الأسماء والصفات، وبعضه من باب أفعال الله عز وجل، وبعضه من باب الإخبار عن الله عز وجل، وهذا كله يدخل في باب الإثبات المفصل.

أولا: آية الكرسي معروفة بدلالتها على أسماء الله عز وجل، قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥] فهذه كلها أسماء.

وقوله: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ [الإخلاص:١ - ٢] فهذه مع اسم الجلالة: (الله) قد أثبت اسم (الأحد) لله عز وجل، وكذلك: (الصمد).

وبعده: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم:٢]، صرحت باسم (العليم)، وباسم (الحكيم)، وتضمن صفة (العلم)، وصفة (الحكمة).

وكذلك: ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤]، تضمنت صفة (العلم) و (القدرة)، مع ثبوت الاسمين.

وكذلك: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١]، تضمنت أيضا من الصفات: (السمع) و (البصر)، مع ثبوت الاسمين.

وكذلك: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [إبراهيم:٤]، تضمنت صفة (العزة) و (الحكمة)، مع ثبوت الاسمين.

وكذلك: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس:١٠٧] كذلك تضمنت مع ثبوت الاسمين صفة (المغفرة) وصفة (الرحمة).

وكذلك: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤]، تضمنت صفة (المغفرة) وصفة (المودة).

وكذلك: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج:١٥]، تضمنت الخبر عن الله عز وجل، وأنه ذو عرش، وكذلك اسم (المجيد) وصفة (المجد).

وكذلك: ﴿فعال لما يريد﴾ [هود:١٠٧]، تضمنت معنى الفعل لله عز وجل، وكذلك الإرادة.

وقوله: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣]، هذه أسماء لله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرح معانيها فقال: (الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء)، فهذه أسماء تضمنت صفات وأخبار الأولية والآخرية والظهور والباطن، (وهو بكل شيء عليم)، تضمنت أيضا اسم (العليم) وصفة (العلم) لله عز وجل.

وكذلك قوله: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد:٤].

فقوله: (هو الذي خلق السموات والأرض)، تضمنت صفة (الخلق).

وقوله: (ثم استوى على العرش)، تضمنت صفة (الاستواء).

وقوله: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها)، تضمنت عموم علم الله عز وجل.

وقوله: (وهو معكم) تضمنت صفة (المعية) المقيدة بثبوت العلو كما هو معلوم، وليست معية الحلول والاتحاد والمخالطة ووحدة الوجود، وإنما المعية هنا: المعية في العلم.

وقوله: (والله بما تعملون بصير)، تضمنت صفة (البصر) لله عز وجل.

ثم قوله عز وجل: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد:٢٨] فقوله: (ما أسخط الله) تضمنت صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

وقوله: (وكرهوا رضوانه) تضمنت صفة لله عز وجل.

وقوله: (فأحبط أعمالهم) تضمنت فعلا من أفعال الله.

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، تضمنت صفة (المحبة) لله عز وجل.

وكذلك قوله: ﴿رضي الله عنهم﴾ [المائدة:١١٩]، تضمنت صفة الرضا لله عز وجل.." (١)

"القول في بعض الصفات بأن الظاهر مراد أو ليس بمراد يلزم ذلك في سائرها؛ لأن جنسها واحد

قال شيخ الإسلام رحمه الله: [وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا].

المقصود بأن ظاهر النصوص مراد عند السلف، ويقصد بها الحقيقة، فإذا قلنا: النصوص جاءت لإثبات علم الله، نقول: علم حقيقي يليق بجلاله، وكذلك: السمع، فهو سمع حقيقي يليق بجلاله، ومثله: البصر، فهو بصر حقيقي يليق بجلاله.

إذا: قول السلف: يراد بالنصوص ظاهرها، أي: أن الله قد خاطبنا وأخبرنا بحق على الحقيقة، ليس فيه لبس ولا تغيير ولا مجازات ولا تأويلات، وأن الحقيقة غير الكيفية، والظاهر يطلق على أمرين: الأول: يطلق على الحقيقة، وهي لاشك أنها تثبت لله.

الثاني: يطلق على الكيفية الظاهرة المعلومة من شواهد الخلق، وهذا جزما أنه لا يثبت لله عز وجل؛ لأن الله ليس كمثله شيء.

قال رحمه الله: [وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير.

فكذلك إذا قالوا في قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩]، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]: إنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبا كحبه، ولا رضا كرضاه.

فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين].

قوله: (فإن كان المستمع)، أي: لكلام الله عز وجل، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، في صفات الله ونحوها من الأمور الغيبية.

يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين.

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٢/٣

قال بعد ذلك رحمه الله: [لزمه ألا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر].

وهو الحق.

قال رحمه الله تعالى: [ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي، وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدا.

وبيان هذا أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاض لنا كالوجه واليد، ومنها ما هو معان وأعراض، وهي قائمة بنا كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه].

هو رحمه الله يذكر العلة ولا يقصد بذلك الخبر، يقول رحمه الله: ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون -أي: السلف الصالح من الصحابة والتابعين، الذين لم يأت عندهم التأويل-: إن ظاهر هذا غير مراد، وفسروا لنا القرآن، وارجعوا إلى تفسير ابن جرير رحمه الله، ذلك الكنز الذي لم يعرف الناس قدره، لذا لم تكن هذه التفسيرات التأويلية عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل ما قالوا: إن ظاهر صفات الله غير مرادة، بدعوى أن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، كما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد، بدعوى أن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه، فهو يذكر الدعوى لا ليقرر مذهبهم على سبيل الإقرار.

قال رحمه الله: [فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر)، فشبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي]." (١)

"ما يثبته الأشاعرة من صفات الله تعالى

والمعروف المشهور عن الأشاعرة في الصفات أنهم يثبتون سبع صفات لله عز وجل، وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والقدرة، والكلام، وقد نظمها بعضهم فقال: له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة وعلم واقتدر ومنهم من يثبت عشرين صفة، ومنهم من يثبت أربعين، لكن المشهور عنهم إثبات هذه الصفات السبع فقط، وأما ما عداها من الصفات فإنهم ينفونها ولا يثبتونها.

وهم في نفيها يسلكون أحد مسلكين: المسلك الأول: أن يرجعوها إلى معنى الصفات السبع، المحبة في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] يقولون عنها: يريد أن يحبهم، فيرجعونها إلى معنى الإرادة، وهي من الصفات السبع التي يثبتونها.

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٢/١١

والمسلك الثاني: أنهم يفسرونها ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات التي هي أثر من آثار الصفات، ولا يفسرونها بالصفات، فيفسرون اليد -مثلا- بالنعمة، وأحيانا يفسرونها بالقدرة؛ لأن القدرة من الصفات التي يثبتونها، ويفسرون الغضب بالانتقام، والانتقام أثر من آثار الغضب وليس هو الغضب، ويفسرون الرضا بالثواب، والثواب أثر من آثار الرضا، ويفسرون الرحمة بالإنعام.

فقيل لهم: لماذا نفيتم هذه الصفات وأثبتم الصفات السبع، ولم يكن مسلككم في الصفات واحدا كما فعل أهل السنة، فإن الباب واحد، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فكيف تفرقون بين الصفات فتنفون بعضها وتثبتون بعضها؟! وهذه القاعدة من الأصول التي رد بها أهل السنة على الأشاعرة، وهي أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فباب الصفات باب واحد.

فيجب إثبات الصفات لله جميعا كما يجب إثبات الأسماء، ولا يجوز للإنسان أن يفرق بين الصفات فيثبت بعضها وينفي البعض الآخر.

فقالوا: إن إثبات غير الصفات السبع يلزم منه التشبيه والتمثيل؛ لأننا لا نشاهد في الخارج متصفا بغير الصفات السبع إلا ما هو جسم، والأجسام تتشابه، فلذلك نفينا هذه الصفات عن الله، فالله ليس له مثيل ولا يشبهه شيء من مخلوقاته، قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١].

فقصدنا من نفي بقية الصفات غير الصفات السبع تنزيه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات والأجسام، فلا نرى من يغضب ويرضى ويرحم إلا المخلوق، فإذا قلنا إن الله يغضب ويرضى ويرحم ويكره فقد شبهناه بالمخلوق، والله ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١].

فقال لهم أهل السنة: إذا كنتم نفيتم بقية الصفات خوفا من التشبيه والتمثيل؛ لأنكم لا تشاهدون متصفا بهذه الصفات إلا ما هو جسم، فيلزمكم -أيضا- أن تنفوا الصفات السبع؛ لأنكم لا تشاهدون متصفا بالصفات السبع إلا ما هو جسم، فالمخلوق يتصف بالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، فكيف تثبتون سبع صفات مع أن هذه الصفات السبع موجودة في المخلوقات؟! فقالوا: إن هذه الصفات السبع نثبتها على وجه لا يماثل فيه الخالق المخلوق ولا يشابهه، فلا يلزم من إثباتها التمثيل.

فقال لهم أهل السنة والجماعة: وكذلك بقية الصفات يجب عليكم أن تثبتوها لله على وجه لا يماثل فيها الخالق صفات المخلوقين، فاسلكوا فيها ما سلكتم في الصفات السبع، فإذا كنتم تثبتون الصفات السبع على وجه لا يماثل الرب فيها صفات المخلوقين، فكذلك اثبتوا بقية الصفات على وجه لا يماثل فيها الرب صفات المخلوقين.

فقالوا: إن هناك فرقا بين الصفات السبع وبين غيرها، وهذا الفرق هو الذي حملنا على أن نفرق بينها فنثبت الصفات السبع ولا نثبت بقية الصفات، وهو أن الصفات السبع دل عليها العقل مع الشرع، فأثبتناها، وأما بقية الصفات فإنه لم يدل عليها العقل وإنما دل عليها الشرع، ودلالة الشرع ظنية محتملة وليست صريحة.

وهذا الاستدلال مبني على قاعدتهم الفاسدة، وهي قاعدة لأهل البدع عموما، وهي: أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، وأدلة القرآن والسنة دلالتها لفظية لا تفيد اليقين، والذي يفيد اليقين هو دليل العقل، ويسمون الأدلة العقلية قواطع عقلية،

وبراهين يقينية، وأما دلالة النصوص فهي دلالة لفظية محتملة لا تفيد اليقين ولا القطع.
وهذا من البلاء والمصائب، أعني اعتقاد أن دلالة النصوص ظنية لا تفيد اليقين، وقد جعله ابن القيم رحمه الله طاغوتا، وحكم عليه بالكفر؛ لأنه منعهم من العمل بالنصوص والأخذ بها واعتقاد أنها تفيد اليقين، وهذا من أبطل الباطل، ويلزم بهذا لوازم فاسدة، منها أنه لا يوثق بالكلام ولا بالعقود، فإذا عقد الإنسان مع آخر عقد بيع فهذا لفظ يمكن ألا يتم به البيع، فله الفسخ، وإذا عقد عقدا للنكاح فإنه يقول: هذا عقد لفظي يمكن ألا يتم به النكاح، وهكذا.
ويلزم منه فساد المعاملة، وفساد الدنيا والآخرة، ويلزم منه أن كلام الله وكلام الرسول لا يوثق بهما ولا يعمل بهما، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى.
وهذا الطاغوت يجب كسره، وقد كسره ابن القيم رحمه الله تعالى.
فالمقصود أن هذه الشبهة أو هذا الطاغوت يتعلق به جميع أهل البدع، فالأشاعرة يقولون: إننا أثبتنا الصفات السبع لأنها دل عليها العقل مع الشرع، والعقل دليل قطعي، بخلاف بقية الصفات، فإنها لم يدل عليها العقل، وإنما دل عليها الشرع، ودلالة الشرع ظنية محتملة، فلذلك لم نثبتها.
فمثلا: الفعل الحادث المتجدد يدل على القدرة، فهذا يخلق، وهذا يولد، وهذا يموت، وهذا نبات ينبت، وهذا يزول، وهذا غني، وهذا فقير، وهذا عزيز، وهذا ذليل، وهذه دولة تزول، وهذه دولة تنشأ، وهكذا، فهذا الفعل الحادث يدل على القدرة وأن الله قادر، فلذلك أثبتنا القدرة.
قالوا: وتخصيص بعض المخلوقات بخواص دون الأخرى يدل على الإرادة، فمثلا: تخصيص هذا بالعلم، وهذا بالعقل، وهذا بالغنى، وهذا بالفقر، وهذا بالملك، وهذا بكونه مملوكا، وهذا بالإمارة، وهذا بالوزارة، وهذا بالصعلكة، وهذا بكونه بطيء الغضب، وهذا بكونه سريع الغضب، هذا التخصيص يدل على أن الله مريده.
وكون الأحكام في غاية السداد والملاءمة في الأحوال يدل على العلم، فهذا لا يصدر إلا عن علم، فأحكام الله الشرعية، وأحكام الله الجزائية، وأحكام الله القدرية في غاية السداد والملاءمة للأحوال، وهي تدل على العلم.
قالوا: فثبت لنا صفات القدرة والإرادة والعلم، وهذه الصفات الثلاث تستدعي الحياة، فلا تصدر إلا عن حي، فثبتت بذلك صفة الحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك، والله له الكمال، فيتصف -إذا- بالسمع والبصر والكلام.
قالوا: فثبتت لنا الصفات السبع بالعقل مع الشرع، والدليل العقل دليل قطعي، فالعمدة عليه، والشرع جاء موافقا له، فاعتمدنا إثبات الصفات السبع، وأما بقية الصفات السبع فإنها لم يدل عليها العقل، ودلالة النصوص عليها دلالة ظنية محتملة لا تفيد اليقين، ولذلك لا نجزم بأن هذه الصفات ثابتة لله.." (١)

"وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ المائدة

---

(١) دروس في العقيدة – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٥

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إنَّ الذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ إلى الكُفْرِ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِقَامَةِ شَرِيعَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَشَدُّ مَنَعَةً، وَأَقْوَمُ سَبِيلاً، **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**، يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ: العِزَّةُ عَلَى الكَافِرِينَ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاضُعُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلاَ يَرُدُّهُمْ رَادٌّ عَنْ إذاعَةِ أَمْرِ اللهِ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ. وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ كَبِيراً، وَاللهُ وَاسِعُ الفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يِسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ، مِمَّنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرِمُهُ إيَّاهُ.

يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ عَلَى مُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُسَاعِدُونَ المُحْتَاجِينَ مِنَ الضُعَفَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَهُمْ دَائِمُونَ الرُّكُوعِ للهِ.

وَكُلُّ مَنْ رَضِي بِمُوَالاَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، لأنَّهُ يَكُونُ فِـي حِزْبِ اللهِ، وَحِزْبِ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ، وَلاَ يُغْلَبُ مَنْ يَتَوَلاَّهُمُ اللهُ. (١)

وقال الطبري:" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة:١٠٤] أَيْ " صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ – صلى الله عليه وسلم – ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [المائدة:٥٤] يَقُولُ:" مَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ، فَيُبَدِّلُهُ وَيُغَيِّرُهُ بِدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ ، إِمَّا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ ، فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**، يَقُولُ: فَسَوْفَ يَجِيءُ اللَّهُ بَدَلًا مِنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُبَدِّلُوا وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يَرْتَدُّوا ، بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا وَبَدَّلُوا دِينَهُمْ ، يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيُحِبُّونَ اللَّهَ. وَكَانَ هَذَا الْوَعِيدُ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَرْتَدُّ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – ، وَكَذَلِكَ وَعْدُهُ

"ونعوذ بالله ممن يقذف أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، لقد افترى على أهل البيت وقذفهم بما قد صانهم الله عز وجل عنه.

وهل عرفت أكثر فضائل أبي بكر وعمر وعثمان؛ إلا مما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين؟ (١)

– وقال رحمه الله: أما بعد؛ فإن سائلا سأل عن مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكيف كانت منزلتهم عنده؟ وهل كان متبعا لهم في خلافته بعدهم؟ وهل حفظ عنه شيء من فضائلهم؟ وهل غير في خلافته شيئا من سيرتهم؟ فأحب السائل أن يعلم من ذلك ما يزيده محبة لجميعهم رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة –رضي الله عنهم، وعن جميع أزواجه أمهات المؤمنين، وعن جميع أهل البيت– فأجيب السائل إلى الجواب عنه مختصرا إن شاء الله، والله الموفق للصواب من القول والعمل.

اعلموا رحمنا الله وإياكم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم. فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع **يحبهم ويحبونه**، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبته لهم، مخلص في الطاعة لهم،

يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في

---

(١) الشريعة (٣/ ٣٥٢ - ٣٥٣).." (١)

"ونحوهم، وخلطها بكلام سلفه الفلاسفة، صار بسبب ما فيها من البدع المخالفة للكتاب والسنة، يستطيل بها على المسلمين، ويجعل القول الذي قاله هؤلاء هو قول المسلمين. وليس الأمر كذلك، وإنما هو قول مبتدعتهم، وهكذا عمل إخوانه القرامطة الباطنية: صاروا يلزمون كل طائفة من طوائف المسلمين بالقدر الذي وافقوهم عليه مما هو مخالف للنصوص، ويلزمونهم بطرد ذلك القول حتى يخرجوهم عن الإسلام بالكلية.

ولهذا كان لهؤلاء وأمثالهم نصيب من حال المرتدين، الذين قال الله تعالي فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (١). ولهذا آل الأمر بكثير من هؤلاء إلى عبادة الأوثان، والشرك بالرحمن، مثل دعوة الكواكب والسجود لها، أو التصنيف في ذلك، كما صنفه الرازي وغيره في ذلك. (٢)

- وقال: وهذا الذي ذكرته يجده من اعتبره في كتب ابن سينا كالإشارات وغيرها، ويتبين للفاضل أنه إنما بنى إلحاده في قدم العالم على نفي الصفات، فإنهم لما نفوا الصفات والأفعال القائمة بذاته، وسموا ذلك توحيدا، ووافقهم ابن سينا على تقرير هذا النفي الذي سموه توحيدا، بين امتناع القول بحدوث العالم مع هذا الأصل، وأظهر تناقضهم. ولكن قوله في قدم العالم

---

(١) المائدة الآية (٥٤).

(٢) درء التعارض (٨/ ٢٣٩).." (٢)

"وهكذا عمل إخوانه القرامطة الباطنية: صاروا يلزمون كل طائفة من طوائف المسلمين بالقدر الذي وافقوهم عليه مما هو مخالف للنصوص، ويلزمونهم بطرد ذلك القول حتى يخرجوهم عن الإسلام بالكلية.

ولهذا كان لهؤلاء وأمثالهم نصيب من حال المرتدين، الذين قال الله تعالي فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (١). ولهذا آل الأمر بكثير من هؤلاء إلى عبادة الأوثان، والشرك بالرحمن، مثل دعوة الكواكب والسجود لها، أو التصنيف في ذلك، كما صنفه الرازي وغيره في ذلك. (٢)

- وقال: وهذا الذي ذكرته يجده من اعتبره في كتب ابن سينا كالإشارات وغيرها، ويتبين للفاضل أنه إنما بنى إلحاده في قدم العالم على نفي الصفات، فإنهم لما نفوا الصفات والأفعال القائمة بذاته، وسموا ذلك توحيدا، ووافقهم ابن سينا على تقرير هذا النفي الذي سموه توحيدا، بين امتناع القول بحدوث العالم مع هذا الأصل، وأظهر تناقضهم. ولكن قوله في قدم العالم

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥/٢٤٠

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٦/١١٩

أفسد من قولهم، ويمكن إظهار تناقض قوله، أكثر من إظهار تناقض أقوالهم. فلهذا تجده في مسألة قدم العالم يردد القول فيها، ويحكي كلام الطائفتين وحجتهم كأنه أجنبي، ويحيل الترجيح بينهما إلى نظر الناظر، مع ظهور

---

(١) المائدة الآية (٥٤).

(٢) درء التعارض (٨/ ٢٣٩).." (١)

"باب من انتظر الجنازة حتى تدفن

الباب الثامن والخمسين: قال البخاري رحمه الله: [باب من انتظر حتى تدفن:] حدثنا عبد الله بن مسلمة إلى أن قال: أنه سأل أبا هريرة رضي الله عنه فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم أورد حديث ابن شهاب أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين، كل قيراط كجبل أحد).

وشبه القيراط بأحد لأنه أولا: يعرفه الجميع.

ثانيا: أنه **يحبهم ويحبونه**.

ثالثا: للتعبير عن الأجر العظيم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم دائما يخاطب المستمع بما يفقه، فليس كل قيراط كأحد، بل المقصود بيان عظم الأجر.

وفيه أيضا: أن الأعمال توزن، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) وهذا فيه إشارة إلى أن الأعمال توزن.

وكلمة قيراط لها أكثر من معنى.." (٢)

"الحب في الله عند الأنصار

قال الإمام النووي رحمه الله: [باب: الحب في الله والحث عليه، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه].

قال الله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩]، فالنبي صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين فيهم هذه الصفات العظيمة، وهي: الشدة على الكفار، فيجاهدون في سبيل الله عز وجل، ولا يخافون لومة لائم، ولا يفرون إذا لقوا العدو، وهم فيما بينهم رحماء، فيرحم المؤمن أخاه المؤمن؛ لأن المؤمن فيه ذل لأخيه المؤمن.

ولذلك فالله سبحانه وتعالى يخبرنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، فصفة المؤمن مع أخيه المؤمن أنه يخفض له جناح الذل من الرحمة، ويعرف قدر أخيه، ويواسيه في مصيبته، ويحبه لطاعته، وينصحه إذا وجد منه شيئا

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٨/ ٣١

(٢) شرح صحيح البخاري - أسامة سليمان، أسامة سليمان ٤/ ١٣

يخالف أمر الله تبارك وتعالى، ويستر عليه إذا وجد منه شيئا من المعاصي أو الذنوب؛ لأن: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

وقال سبحانه: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر:٩]، فهذا وصف الله عز وجل لأهل المدينة والأنصار.

الذين تبوءوا الدار أي: المدينة.

والإيمان أي: فكأنهم نزلوا في وسط الإيمان، وفي قلب الإيمان.

فقد امتلئوا إيمانا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وفاض منهم هذا الإيمان، حتى كأنهم نزلوا بداخله رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

وهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم.

فالمهاجرون هاجروا وليس معهم مال ولا شيء إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمدحهم الله بقوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ [الحشر:٨]، فصدقوا الله عز وجل، فنزلوا على المدينة فاستقبلهم الأنصار، وأحبوهم وآخوهم في الله سبحانه وتعالى، وأنفقوا عليهم، وأعطوهم من أموالهم ومن ديارهم، وآثروهم على أنفسهم، فهم يؤثرون على أنفسهم حتى ولو كان بهم جوع.

فهذه صفات المؤمن أنه يحب أخاه، ويؤثره، ويفضله على نفسه، كما ذكر الله عز وجل هؤلاء.

وليس كل الناس كالمهاجرين والأنصار، ولكن على الأقل على المؤمن إذا لم يحب أخاه فوق حبه لنفسه، أن يحبه مثل حبه لنفسه أو أقل، فيحبه مثل ما يحب ولده، ويحب أهله، ويحب أصدقاءه المقربين، فيحب المؤمن لكونه مؤمنا، ومطيعا لله عز وجل، فينفعه هذا يوم القيامة، وينفعه في قبره.." (١)

"علامات محبة الله للعبد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الإمام النووي رحمه الله: [باب: علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها، والسعي في تحصيلها.

قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة، أحمد حطيبة ٧/٢٠

استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري].

هذا باب من كتاب رياض الصالحين يذكر فيه الإمام النووي رحمه الله علامات حب الله العبد والحث على التخلق بها.

وقد ذكرنا في الباب السابق الحب في الله سبحانه تبارك وتعالى، وكيف أن المؤمن يحب إخوانه المؤمنين في الله عز وجل، لا يبتغي من هذه المحبة إلا وجه الله سبحانه تبارك وتعالى.

ويحرص المؤمن عليها لأنه علم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) فهو يريد أن يكون الأحب والأقرب إلى الله سبحانه، فيحب في الله سبحانه، وعلم أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، فهو يحب المؤمنين في الله، ويبغض الكفار في الله سبحانه تبارك وتعالى.

هنا ذكر علامات حب الله تعالى للعبد، فالعبد الذي يحب الله يحبه الله، فما هي العلامات التي تفيد أن هذا الإنسان يحب الله سبحانه تبارك وتعالى؟ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١]، فمن العلامات اتباع النبي صلوات الله وسلامه عليه.

المؤمن يحب كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، ويحرص على الاقتداء بالنبي صلوات الله وسلامه عليه في كل شيء، هذه المحبة هي التي نفعت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فحرصوا على الاقتداء بالنبي صلوات الله وسلامه عليه، حتى إن ابن عمر كان يركب البعير فإذا بلغ موطنا رأى فيه بعير النبي صلى الله عليه وسلم قد التفت فيه إلى مكان فإذا به يأخذ بلجامه حتى يلتفت في المكان نفسه حبا للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليس مأمورا بذلك، ولكن أحب أن يفعل فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل في المكان الفلاني نزل وقضى حاجته، فكان يحب أن يصنع كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا علم أنه نزل في مكان فصلى فيه أحب أن يصلي فيه كما فعل النبي صلوات الله وسلامه عليه.

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن الله يحب لهذا العبد الخير، فإذا أحب له الخير فقد أحبه الله تعالى سبحانه تبارك وتعالى.

وفي الحديث: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) فعلامات أن هذا الإنسان يحبه الله ويريد به الخير أن يتفقه في دين الله عز وجل، وأنه يتبع ولا يبتدع في دين الله سبحانه، قال الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران:٣١] فإذا تبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ماذا سيحصل؟ قال: ﴿يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١]، فالنتيجة محبة الله للعبد، إذا أحب الله العبد يستحيل أن يعذبه وهو يحبه سبحانه تبارك وتعالى.

كذلك قال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ما هي علاماتهم قال لنا في هذه الآية: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤] أربع صفات ذكرها الله عز وجل لهؤلاء الذين يحبهم الله ويحبون الله سبحانه تبارك وتعالى.

فذكر أنهم أذلة على المؤمنين، يعني: متواضعين رحماء مع إخوانهم المؤمنين، لا يستعرض قوته على أخيه المؤمن، ولا يضايق المؤمنين ويفرح بقوته، وأنه يقدر عليهم حتى وإن كان قويا فإنه يظهر كأنه ضعيف، متواضع مع المؤمنين، يحب لهم الخير،

ولا يظهر لهم قوته ولا يظهر لهم أنه أفضل منهم، قال الله: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤].

وهنا العزة على الكافرين تعني الشدة، فيظهر المسلم قوته على الكافرين في الجهاد في سبيل الله سبحانه تبارك وتعالى، وفي تأديب هؤلاء إذا كانوا ينالون من أحد من المؤمنين، أو من دين الله سبحانه تبارك وتعالى.

إذا: هؤلاء أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فجهادهم ليس لمصلحة دنيوية، وإنما يبتغون به وجه الله سبحانه، يبتغون بذلك إحدى الحسنيين إما النصر، وإما الشهادة.

وهم في ذلك لا يخافون لومة لائم، يأمرون بالمعروف ولا يخافون أحدا من الخلق؛ لأنهم يأمرون بأمر الله سبحانه، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في ذلك أن يلومهم أحد، تراهم قوامين على أنفسهم، وقوامين لدين الله سبحانه تبارك وتعالى، شهداء بالحق ولو على الأنفس، أو على الوالدين، أو على الأقربين، فهم مقيمون لشرع الله سبحانه على أنفسهم، وعلى غيرهم، ولا يخافون لومة لائم، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤] ذلك الذي هدى الله عز وجل عباده هؤلاء إليه من فضله العظيم سبحانه تبارك وتعالى.

ولذلك أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يقولون: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف:٤٣] الهدى من الله سبحانه تبارك وتعالى، ليس لأحد، فضل على أحد وإنما المنة والفضل لله سبحانه تبارك وتعالى على جميع الخلق.." (١)

"ذكر بعض النصوص الدالة على فضل التواضع

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الإمام النووي رحمه الله: [باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين: قال الله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء:٢١٥].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

وقال تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم:٣٢].

وروى مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) رواه مسلم)].

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٢٣

هذا باب آخر من كتاب (رياض الصالحين) يذكر فيه الإمام النووي رحمه الله التواضع وخفض الجناح للمؤمنين.

التواضع: هو وضع الشيء وإنزاله بخلاف رفع الشيء.

فالإنسان المؤمن يتواضع، ويتكلف خلق التواضع، حتى يكون له سجية، ويضع نفسه أمام المؤمنين ويذل نفسه لهم، ولا يفتخر عليهم ولا يستكبر ولا يبغي على أحد من الناس.

فالتواضع أن يرى الإنسان نفسه أنه ليس أعلى من غيره وليس أفضل من غيره، وأنه مخلوق من طين، ومخلوق من ماء مهين، فيرجع إلى أصل وضعه وإلى أصل خلقته، قال تعالى: ﴿من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره﴾ [عبس:١٨ - ٢١].

فهو مخلوق من الأرض وفيها يقبر وإليها يعود مرة ثانية، ومنها يخرج، فيستشعر في نفسه العبودية لله سبحانه وتعالى، فيتحلى بالتواضع؛ لأنه عبد لله سبحانه، فيتواضع ولا يفتخر على غيره.

فيتواضع ويخفض جناحه للمؤمنين، يعني: يميل ويلين ويذل نفسه لإخوانه المؤمنين.." (١)

"مدح الصالحين بأنهم أذلة على المؤمنين

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، وقال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨].

إن دين الله دين عزيز، وكتاب الله كتاب عزيز، وربنا سبحانه وتعالى هو القوي العزيز، وأنت أيها العبد تحتاج إلى الدين، والدين لا يحتاج إليك، وتحتاج إلى رحمة رب العالمين، والله ليس محتاجا إليك، وتحتاج إلى كتاب الله عز وجل ليكون نورا في قلبك، وكتاب الله في غنى عنك.

فالإنسان المؤمن يتقرب إلى ربه سبحانه يبتغي فضله ورحمته، ويدعو ربه أن يملأ قلبه بنور الإيمان، فهنا يقول لنا: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨] يعني: إذا توليتم فلن تضروا الله شيئا، لا يضر أحدكم إلا نفسه، فإذا توليت عن الطاعة استبدل الله غيرك، واستخلف غيرك ممن يستحق أن يدخل الجنة، وهذا الذي أعرض لا يستحقها، وقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨] أي: يكونوا أفضل منكم.

فلو أن إنسانا يرتد عن دينه فهل الدين سيخسر بارتداده؟ لن يخسر شيئا؛ لأن دين الله عز وجل دين عزيز عظيم، ولكن الذي يخسر هو المرتد، ويأتي الله عز وجل بغيره ممن يحب هذا الدين ويحب المؤمنين، قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] أي: الله يحبهم وهم يحبون الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة:٥٤] هذه صفة الإنسان المؤمن أن يخفض جناحه ويذل لإخوانه المؤمنين، فالمؤمنون يذلون أنفسهم لإخوانهم، ولا يستكبرون، بل يتواضعون بين إخوانهم، قد يكون أحدهم صاحب مال وصاحب غنى وصاحب منصب، ولكن في وسط المؤمنين هو واحد منهم، يتواضع لهم **فيحبهم ويحبونه**، يتألفهم ويتألفونه، فالمؤمن إلف مألوف،

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٤٦

ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

فهؤلاء المؤمنون الذين هم أذلة على المؤمنين كيف حالهم مع الكافرين؟ ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤]؛ لأنهم تمسكوا بدين الله عز وجل، فهو دين عزيز، وكتاب عزيز من رب عزيز سبحانه وتعالى، فأعطاهم العزة، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون:٨].

فالعزة لله عز وجل يعز من يشاء ويذل من يشاء، فلما أذل المؤمنون أنفسهم لربهم سبحانه، وتواضعوا بين المؤمنين إذا بالله يكسبهم العزة، فإذا به في موطن الجهاد والقتال مع أعداء الله يعزهم ويرفعهم سبحانه، ﴿أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤].

أي: هذا الفضل العظيم فضل الله سبحانه، ولا يحصل هذا الفضل بكسب يكتسبه الإنسان بمال أو منصب، وإنما بتقواه لله سبحانه، وبحبه لدين الله، وبتواضعه، فيرفعه الله سبحانه ويعزه.." (١)

"فضل طلب العلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)، فالطريق الذي تلتمس فيه علم الدين؛ كأن تذهب إلى بيت الله سبحانه من أجل أن تطلب العلم الشرعي، أو تتعلم آية من كتاب الله أو حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو حكما من الأحكام الفقهية، فأنت حين تخرج من بيتك إلى بيت الله عز وجل تسير في الطريق، وتزدحم مع الناس، ويمكن أن تجلس في الطرقات طويلا من شدة الزحام، فهذا الأمر الصعب الذي عرضت له نفسك يسهل الله لك طريقا إلى الجنة، فطريق الجنة مملوء بالصعوبات، ولكن الله يذللها ويفتحها لك بسبب ما صنعت.

فأنت حين تطلب العلم تفرح بك الملائكة، والعالم الذي يعلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، فطالب العلم تتواضع له الملائكة، وتضع له أجنحتها رضا بما صنع، طالب العلم الذي يسير إلى بيت الله يطلب علم القرآن والتجويد والتفسير ويتعلم أحكام الدين تفرح به الملائكة وتتواضع له، وتفرش له طريقه بأجنحتها؛ لأنه ذاهب إلى بيت الله ليتعلم العلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع)، أي: ترضى بما يصنع هذا الإنسان حيث إنه يطلب علم الدين والعلم الشرعي.

ثم قال: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده).

قوله: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله)، هذا القيد ليس قيدا حقيقيا، وإنما هو قيد أغلبي؛ لأنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى بدون ذكر المسجد.

فالإنسان إذا سلك طريقا يلتمس فيه علما بأن جاء إلى بيت الله، وهو أعظم مكان يتعلم فيه العلم الشرعي، أو ذهب إلى المدارس ليتعلم العلوم الشرعية فيها فهو في رباط، ومجالس العلم في المساجد وغيرها تحيط بها الملائكة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة)، وأعظم ما يكون الفضل في بيوت الله عز وجل.

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة، أحمد حطيبة ٤٦/٥

والسكينة: هي الطمأنينة، فإذا جلسوا في بيوت الله عز وجل يستمعون كلام الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم غشتهم رحمة رب العالمين، وتنزلت عليهم من السماء الطمأنينة ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨]، وكذلك تحيط الملائكة بهؤلاء الجلوس حتى تصعد إلى السماء وتخبر ربها سبحانه: (أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون).

قال: (وذكرهم الله فيمن عنده)، فإذا ذكرت الله عز وجل ذكرك الله سبحانه وتعالى في الملأ الأعلى فيمن عنده من الملائكة.

ثم ختمه صلى الله عليه وسلم بقوله: (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، أي: من كان عمله بطيئا في طاعة الله سريعا إلى معصية الله، لم ينفعه أن يقول: أبي كان كذا، وأبي كان كذا، إنما تنتفع إذا انتفعت بعلم أبيك وعملت مثله أو خيرا منه.

ولذلك النبي صلوات الله وسلامه عليه ذكر بعضا من أقربائه وقال عنهم – وكانوا كفارا –: (ألا إن بني فلان ليسوا لي بأولياء)، وإن كانوا في النسب أقارب ولكنهم مع الكفار، فهؤلاء ليسوا لي بأولياء، (إنما وليي الله وصالح المؤمنين) فهؤلاء هم أولياؤه صلوات الله وسلامه عليه، هؤلاء هم الذين **يحبهم ويحبونه** صلى الله عليه وسلم، وهم الذين انتفعوا بما جاء به، أما أولئك ك أبي جهل وغيره ممن ماتوا على الكفر ولم ينتفعوا بما جاء به فقد قال عنهم: (ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين).." (١)

"كلام النووي في شرح أحاديث باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

قال: (ومعناه: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند نزع الروح في حالة لا تقبل فيها توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو سائر إليه وما أعد له، ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله؛ لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم، فيجزل الله لهم العطاء والكرامة.

وهو تفسير لمحبة الله.

أي: يجزل لهم العطاء والكرامة).

إذا: فسر النووي المحبة بالعطاء والكرامة.

قال: (وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه؛ لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم).

أي: يبعدهم عن رحمته وكرامته.

فمعناه: أنه فسر كراهة الله عز وجل للكافرين بالحرمان من الثواب، والطرد من الرحمة والكرامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا تأويل فاسد؛ لأن الله تبارك وتعالى يحب ويكره، والمحبة ثابتة له، والكراهة ثابتة له، لكنها محبة تليق بجلاله وكماله، وكراهة تليق بجلاله وكماله، لكنهم أولوا ذلك لأن الواحد لما يكره يحصل له انفعالات نفسية وتغير في الدورة الدموية وشعور بالهم والحزن، فهم يتصورون أن الكراهة في حق الله تستلزم هذا، فلما كان هذا محال في حقه تبارك وتعالى يلزم تأويل الكراهة على غير الكراهة المعروفة لدينا، وهذا ليس بلازم، وإنما الذي يلزم من ذلك: إثبات الكراهة لله، والفضل لله، لكن على القدر اللائق بالله عز وجل.

وأنتم تعلمون أن صفة الحب والكراهية والبغض ثابتة لله عز وجل، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (أحب البلاد إلى الله

---

(١) شرح رياض الصالحين – حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٩٦

مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

وحصل تأويل لهذا الحديث من الإمام النووي، ونقل كلام العلماء تأويلا.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يحذر تحذيرا أكيدا فيما يتعلق بالحب والبغض والكراهة وغير ذلك فيقول: إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبت محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له؛ لقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

وقوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ [التوبة:٢٤].

وقوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٤].

وقوله: ﴿يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥].

وقوله: ﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقوله: ﴿يحب المقسطين﴾ [المائدة:٤٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).

قال ابن تيمية: (وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الخلفاء عليه السلام).

يعني: هذا أصل دين إبراهيم وأصل الحنفية السمحاء.

فنثبت لله تعالى المحبة والكراهة والبغض كما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل، ونفوض كيفية ذلك إلى الله عز وجل.." (١)

"المحبة

والشرط السابع والأخير من شروط لا إله إلا الله: المحبة، أي: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها والعاملين بها من الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، أي: حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وعقد الولاء على الحب والبغض في الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا، كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه وشهوته، وبغض ما يبغضه الله عز وجل وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله تعالى ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله صلى الله

---

(١) شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٣/٤٦

عليه وسلم، واقتفاء أثره، واتباع هديه، وكل هذه علامات وشروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة بدونها.
قال الله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ [الفرقان:٤٣].
وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية:٢٣]؟ فكل من عبد مع الله غيره، فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصي الله عز وجل به من الذنوب سببه تقديم العبد هواه على أوامر الله ونواهيه.
وقال الله تعالى في شأن الموالاة والمعادة: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة:٤].
وقال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة:٢٢].
فلا يمكن أن يجتمع أبدا محبتك لمن حاد الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة:٢٢].
وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١].
وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ [التوبة:٢٣].
وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة:١].
إلى آخر السورة، وهي سورة الممتحنة.
وقال الله تعالى في اشتراط اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران:٣١].
قال الحسن البصري: ما ابتلي المحبون بمثل هذه الآية، فكل من ادعى محبة الله عز وجل ابتلي بمتابعة النبي عليه الصلاة السلام واتباعه عليه الصلاة والسلام، فمن كان مدعيا محبة الله عز وجل فليكن متبعا لنبيه صلى الله عليه وسلم.
وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن ي." (١)
"صور وقوع العطية
ونقف عند قول الله في الحديث: (لئن سألني لأعطينه) فنقول: إن صور وقوع العطية ثلاث صور: الصورة الأولى: أن يتحقق المطلوب على الفور، فرجل مثلا دعا فقال: اللهم ارزقني مائة ألف، فخرج من المسجد فجاءه رجل فقال: فلان أوصى لك

---

(١) شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٩/٧٣

بمائة ألف، فهذا تحقق على الفور.
الحالة الثانية: أن يتحقق عين الشيء لكنه يتأخر لحكمة.
مثل إنسان قال: اللهم زوجني ابنة فلان، فجلس سنة أو سنتين أو ثلاثا أو أربعا ما تزوج، ثم كتب الله له أن تزوجها، فهذا تأخر لحكمة، لكنه وقع عين المطلوب.
الحالة الثالثة: ألا يقع عين المطلوب، ويقع شيء غيره اختاره الله جل وعلا لعبده، وخيرة الله لعبده خير من خيرته لنفسه.
وأما آخر الحديث فهو يدل على شفقة ولطف الله جل وعلا بعبده، جعلنا الله وإياكم من أوليائه الذين **يحبهم ويحبونه**، وإذا سألوه أعطاهم، وإذا استعاذوا به أعاذهم، إن ربي لسميع الدعاء.." (١)
"أدلة الكتاب والسنة على أن الولاء والبراء من صميم عقيدة التوحيد
الولاء والبراء من أعظم لوازم ومقتضيات كلمة لا إله إلا الله، قال الله عز وجل: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران:٢٨]، ويقول عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢].
ويقول عز وجل مبينا حقيقة أعداء الله من اليهود والنصارى ومن عداهم من المشركين: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ [النساء:٨٩]، معلوم أن الإنسان أحيانا يكون إنسانا فاسدا، أو مستغرقا في الشهوات والفساد وهو يعلم أن هذا فساد؛ لكن تجد الفاسد يحب أن يفسد غيره، فيكونون سواء في هذا الفساد، فتجده فاسدا في نفسه، ومفسدا لغيره حريصا على إفساده، فهذا من مرض القلب، فالله سبحانه وتعالى الذي يطلع على قلوب هؤلاء الكفار، يخبر عما في قلوبهم فيقول: ((ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله)).
ويقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة:٥١]، ويقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].
أما الأحاديث فمنها: ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه وقال له: أن تنصح لكل مسلم، وتبرأ من كل كافر)، كان جرير ممن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة خاصة على النصح لكل مسلم، وعلى أن يبرأ من كل كافر، حتى كان الرجل إذا أراد جرير أن يشتري منه شيئا، أو با ع له سلعة بسعر، وهو يرى أن السعر يستحق أكثر من ذلك، فيراجعه ويعطيه السعر الأغلى عملا بهذا الحديث، حتى لو كان هو المشتري، فيزيد البائع لو علم أن السلعة تستحق أكثر من الثمن الذي طلبه البائع.
وروى ابن أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

(١) شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري - المغامسي، صالح المغامسي ١٣/٥

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك).

إذا هذه الأمور من أعظم ما تحصل به مرتبة ولاية الله سبحانه وتعالى: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا).

قول ابن عباس رضي الله عنهما: (ووالى في الله) هذا بيان للازم المحبة في الله؛ لأنه بدأ بقوله: من أحب في الله وأبغض في الله، والتطبيق العملي للحب القلبي أن يوالي في الله وأن يعادي في الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه إشارة إلى أن مجرد الحب لا يكفي؛ بل لا بد مع ذلك الحب القلبي من الموالاة باطنا وظاهرا؛ لأن هذه هي لوازم المحبة، وهي النصرة والإكرام والاحترام وأن يكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا.

وقوله: (وعادى في الله) هذا أيضا لازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه، أي: إظهار العداوة بالفعل والجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنا وظاهرا، وهذا إشارة من ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنه لا يكفي مجرد البغض؛ بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه، كما قال الله عز وجل: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة:٤].

فالولاء في الله: هو محبة الله، ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بأولياء الله، وسمى الفريق الثاني: أولياء الشيطان، فقال عز وجل: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال عز وجل: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ [النساء:٧٦].

إن أعداء الله تعالى يريدون بكل ما أوتوا من قوة أن يقضوا على هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام، فنجد الملحدين واليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم من أعداء الله يريدون تغيير عقيدة المسلمين وتجريد شخصيتهم؛ حتى ينفذ مخططهم في جعلهم حميرا للشعب المختار؛ لأن اليهود يعتقدون أن كل الأمم عندهم عبارة عن حمير خلقوا ليستخدمهم اليهود كالحمير؛ لأنهم شعب الله المختار -زعموا- كما نصت على ذلك بروتوكولات حكماء صهيون.

لقد طارت الدعوات الملحدة والمشبوهة لتقضي على هذا الأصل الأصيل، فنادى قوم بالأخوة وبالإنسانية والمساواة، وأن الدين لله، والوطن ليس لله، ويعبرون عنه بقولهم: الدين لله والوطن للجميع، والله يقول: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ [آل عمران:١٨٩].

هذه الأدلة التي أسلفناها من الكتاب والسنة توضح أن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله، وكما قال شيخ الإسلام ابن

تيمية رحمه الله: إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي: ألا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويوالي المؤمنين بأي مكان حلوا، ويعادي الكافرين ولو كانوا أقرب قريب.." (١)

"أقسام المحبة

المحبة التي هي أصل الموالاة لها أقسام: فهناك محبة شركية، محبة توقع صاحبها في الشرك، وقد دل عليها قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ [البقرة:١٦٥ - ١٦٦].

فهذه هي محبة المشركين لأندادهم وآلهتهم وأصنامهم وأوليائهم، ولكن حال المؤمنين أنهم أشد حبا لله من محبة أصحاب الأوثان لأوثانهم، فهذه هي المحبة الشركية التي تناقض الإيمان من كل وجه.

القسم الثاني من أقسام المحبة: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

القسم الثالث: المحبة الطبيعية، كمحبة الإنسان لماله وولده وأهله، وهذه إذا لم تشغل عن طاعة الله عز وجل، ولم تعن على محارم الله فهي مباحة، مثل أن يحب الإنسان طعاما معينا زوجة أو ولدا أو أقارب أو نحو ذلك.

القسم الرابع من أقسام المحبة: حب أهل التوحيد وحب المؤمنين، وبغض أهل الشرك والبراءة من الكافرين، هذه هي أوثق عرى الإيمان وأعلى مراتبه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

وقال صلى الله عليه وسلم: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)، ومن أحب الله عز وجل المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعداءه، ولابد أن يحب ما يحبه الله سبحانه وتعالى من جهاد أعدائه، يقول الله عز وجل: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤]، وقال عز وجل: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة:١٤]، وقال عز وجل في صفة عباده الذين **يحبهم ويحبونه**: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ما صفاتهم؟ قال: ((أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)) أهل رقة ورأفة على من وافقهم في دينهم، وأهل غلظة وشدة على من خالفهم في عقيدتهم ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

وقال عز وجل في صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)).." (٢)

"معنى الولاء

كلمة الولاء تطلق على معان كثيرة كما ذكر أهل العلم من أهل اللغة، جاء في لسان العرب: الموالاة كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، فيكون له في أحدهما هوى فيجاريه أو يحابيه، ووالى فلان فلانا إذا أحبه،

---

(١) عقيدة الولاء والبراء - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/١

(٢) عقيدة الولاء والبراء - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٤/٢

والمولى اسم يطلق على معان كثيرة منها الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف الذي معه حلف مع صاحبه والمتعاقد معه على النصرة والصهر والعدل والمعتق والمنعم عليهم.

هذه معاني الموالاة، وهي تدور في مختلف صورها على معنى القرب، يقال: ولي فلان فلانا إذا قرب منه أو إذا تابعه، وأهم معانيها الحب والنصرة، والله سبحانه وتعالى قد بين في غير موضع أن الحب لابد أن يكون لله سبحانه وتعالى وفي الله عز وجل كما قال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجوب الحب في الله: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار).

فأول شيء في الموالاة الحب في الله سبحانه وتعالى والبغض في الله، فلابد للمؤمن أن يحب المؤمنين، وأن يحب الله عز وجل حب العبادة، وأن يحب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حبا في الله سبحانه وتعالى، فهذا الحب تابع وأثر من آثار حب المؤمن لربه عز وجل.." (١)

"العشرة المبشرون بالجنة

قال الشارح رحمه الله: [وعلي بن أبي طالب: هو الإمام أمير المؤمنين أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء، كان من أسبق السابقين الأولين، ومن أهل بدر وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، ومناقبه مشهورة رضي الله عنه، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين].

العشرة المشهود لهم بالجنة هم: أبو بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، هؤلاء هم العشرة الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير في الجنة، وطلحة في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة) شهد لهم في هذا الحديث وجمعهم هكذا، ولهذا سموا العشرة المشهود لهم بالجنة، أي: الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم في الجنة.

وهناك غيرهم من الصحابة ممن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم في الجنة، مثل: ثابت بن قيس بن شماس، فإنه لما نزل قول الله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [الحجرات:٢] وكان رضي الله عنه جهوري الصوت، وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: أنه كان إذا جاءت الوفود أمره أن يخطب عنه صلى الله عليه وسلم، فلما نزلت هذه الآية اعتزل وصار يبكي وقال: إذا: قد حبط عملي؛ لأني أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس في بيته، ففقده الرسول صلى الله عليه وسلم، فسأل عنه، فقيل: إنه يبكي منذ نزلت هذه الآية، وقال: إنه هو المقصود بها، فقال: (بل هو من أهل الجنة)، ثم أرسل إليه ودعاه.

---

(١) عقيدة الولاء والبراء - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٢٢

وكذلك الحسن والحسين، أخبر: أنهما من أهل الجنة، وكذلك عبد الله بن عمر، وكذلك عبد الله بن سلام، وغيرهم، وهكذا أهل بيعة الرضوان أخبر الله جل وعلا أنه رضي عنهم ورضوا عنه، وكانوا ألفا وخمسمائة، وأهل بدر كذلك، وغيرهم، بل يقول الإمام ابن حزم: الذي نعتقده ونجزم به أن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وهم خير الناس الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنص أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يقول: (بعثت في خير القرون) ويقول: (خير الناس قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون) فجعل القرون المفضلة ثلاثة، وخيرهم قرنه ثم رتب الذين بعدهم بثم؛ لأنهم دونهم في الفضل، ثم الذين بعدهم كذلك رتبهم بثم؛ لأنهم دونهم في الفضل، والله جل وعلا أخبر عن الصحابة عموما أنه **يحبهم ويحبونه**، وأنه أعد لهم جنات، كما قال الله جل وعلا: ﴿محمد رسول الله والذين معه.

.

﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخر الآية وذكر في آخرها: أنه جعلهم بهذه الصفة ليغيضوا الكفار؛ ولهذا قال الإمام مالك رضي الله عنه: كل من غاضه شأن الصحابة فليس بمؤمن، لقول الله تعالى: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح:٢٩] كما أنه قال في الآية الأخرى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر:١٠] أي: من كان في قلبه غل لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له حق في الفيء وفي المغانم.

وعلى كل حال المقصود: أن هؤلاء العشرة هم المقصودون بقوله: العشرة المشهود لهم بالجنة.." (١)

"قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه)

قال الشارح رحمه الله: [فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة، ومحبته لكم منتفية، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، ذكر لهم أربع علامات: إحداها: أنهم أذلة على المؤمنين، قيل: معناه: أرقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم، فلما ضمن أذلة هذا المعنى عداه بأداة (على)، قال عطاء رحمه الله: للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩]].

قوله: (أشداء على الكافرين) ما ذكرها الشارح لظهورها ووضوحها، وتكلم على كونهم (أذلة على المؤمنين) يعني: يرحمونهم ويوالونهم ويحبونهم، (وأعزة على الكافرين) يعني: أنهم أشداء عليهم، وغلظاء عليهم، يبغضونهم ويكرهونهم لأنهم كفروا بالله جل وعلا، ويعادونهم أشد المعاداة ولو كانوا من أقربائهم في النسب، كما قال الله جل وعلا: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة:٢٢].

قالوا: إن هذه الآية نزلت في بعض الصحابة مثل أبي عبيدة بن الجراح وغيره الذين قتلوا بعض أقربائهم يوم بدر، ومنهم من

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤١/٣

تبع أباه ليقتله لأنه كان مع الكافرين، فنزلت هذه الآية؛ ولهذا قال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة:٢٢] يعني: أن الذي دعاهم إلى مقاتلة أقربائهم أنهم آمنوا بالله جل وعلا، وعادوا الكفار في الله جل وعلا.

قال الشارح: [العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان؛ وذلك تحقيق دعوى المحبة].

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذه علامة صحة المحبة، فكل محب أخذه اللوم على محبوبه فليس بمحب على الحقيقة.

وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء:٥٧]، فذكر المقامات الثلاثة: الحب وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب].

يعني: عمل عملا زائدا وهو طلب المرضاة باتباع الأمر واجتناب النهي.." (١)

"إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها].

في نسخة: (والحياة واليقظة)، بدون: (والحب والبغض)، وهذه أحسن.

أما قوله: [من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر مستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [آل عمران:٧].

وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها، وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مخرج بالأسانيد الصحيحة في كتاب الانتصار، وشرطنا في أول هذا الكتاب الاختصار، والاقتصار على أدنى المقدار دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدها الصحيحة عن نقلة الآثار، ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار].

يقول المؤلف رحمه الله: وكذلك معتقد أصحاب الحديث: أنهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت فيها الأخبار الصحاح يجرونها مجرى واحدا، ويثبتون جميع الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته، وينفون عنها التمثيل والتكييف، ويثبتون الصفات إثباتا بلا تمثيل ولا تشبيه، وينفون عن الله مماثلة المخلوقين.

وهم يثبتون الصفات، لا يعطلون كما تفعل المعطلة، ولا يمثلونها بصورة المخلوقين كما تفعل المشبهة.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٨٤

قوله: (كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح) يعني: لا يشترط في ثبوت الصفة أن تأتي في القرآن وفي السنة، بل إذا أتت في القرآن أو في السنة وجب إثباتها.

قوله: (من السمع والبصر) قال تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] هذا فيه إثبات صفة السمع والبصر.

قوله: (والعين) صفة العين ثابتة في حديث الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن ربكم ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)، استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله، وأن لله تعالى عينين سليمتين بخلاف الدجال؛ فإن له عينا واحدة، والعين الأخرى طافية كأنها عنبة طافية.

قوله: (والوجه) وكذلك إثبات الوجه قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٧]، والعلم: ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ [النساء:١٣٤].

قوله: (والقوة) قال الله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات:٥٨].

قوله: (والقدرة) قال الله تعالى:: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [المائدة:١٢٠].

قوله: (والعزة) قال الله تعالى:: ﴿فلله العزة جميعا﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ولله العزة ولرسوله﴾ [المنافقون:٨].

قوله: (والعظمة) لحديث: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي).

قوله: (والإرادة) قال الله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة:١٨٥] والإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية ترادف المحبة.

قوله: (والمشيئة) قال الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان:٣٠].

قوله: (والقول) قال الله تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ [المائدة:١١٠].

قوله: (والكلام): ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤].

قوله: (والرضا): ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩].

قوله: (والسخط): ﴿سخط الله عليهم﴾ [المائدة:٨٠].

قوله في نسخة أخرى: (والحياة واليقظة)، الحياة نعم ثابتة، قال تعالى: ﴿هو الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥] أما اليقظة فهذا يحتاج إلى دليل.

قوله: (والحب) قال تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة:٥٤].

قوله: (والبغض): (إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبوه، ويحبه جبريل وتحبه الملائكة، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا نادى جبريل: إني أبغض فلانا فأبغضه، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض).

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ [غافر:١٠] والمقت أشد البغض.

إذا: الحياة ثابتة، أما اليقظة فيحتاج إلى دليل إثبات أنها من صفات الله، ولا أعلم دليلا في الكتاب أو السنة فيه إثبات

صفة اليقظة لله، إنما الحب والبغض والحياة.

قوله: (والفرح) الفرح صفة ثابتة لله: (لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يفقد راحلته في فلاة عليها طعامه ومتاعه)، إلى آخر الحديث.

قوله: (والضحك): (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)، قوله: (وغيرها).

أي أن أهل السنة والجماعة والسلف وأهل الحديث يثبتون الصفات التي وردت في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة، ومثل لهذه الصفات بالسمع والبصر والعينين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها.

قوله: (من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين) يعني: لا يقولون: إن سمع الخالق مثل سمع المخلوق، بل الله تعالى له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا يماثل أحدا من خلقه.

قوله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادةولا إضافة عليه).

يعني: يقفون عند النصوص من غير زيادة على قول الله وقول الرسول، ولا يضيفون إليها شيئا، بل يقولون كما قالوا: أثبت الله لنفسه السمع نثبت السمع، أثبت الله لنفسه البصر نثبت البصر، وهكذا من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.

قوله: (ولا تكييف له)، لا يقولون: إن كيفية سمع الله كذا، إن بصره كيفيته كذا، لا يكيف ولا يشبه بصفات المخلوقين.

قوله: (ولا تحريف) لا يحرفون الصفات ويقولون: معنى اليد النعمة أو القدرة، فهذا تحريف وتبديل وتغيير، وهم لا يحرفون الألفاظ ولا المعاني.

الجهمية حرفت وقالوا: معنى ((استوى)) استولى، ولهذا يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فإن اليهود قال الله لهم: ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] يعني: حط عنا يا الله ذنوبنا واغفرها لنا، وهم حرفوا وقالوا: حنطة، حرفوا في اللفظ والمعنى، وأمرهم الله أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أدبارهم.

والجهمية غيروا (استوى) وقالوا: استولى، ولهذا يقول العلماء: لام الجهمية مثل نون اليهود، لام الجهمية استولى زادوها في النص، ونون اليهود زادوها في النص.

أما أهل السنة والجماعة فلا يحرفون ولا يغيرون ولا يبدلون كما تفعل الجهمية وكما يفعل اليهود؛ ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير).

فهم لا يقولون: كيفية الصفة على كذا وكذا، ولا يقولون: تشبه صفة المخلوقين، ولا يحرفون اللفظ، ولا يحرفون المعنى، ولا يبدلون ولا يغيرون.

قوله: ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه في تأويل المنكر).

فأهل السنة لا يزيلون لفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتؤوله عليه بتأويل منكر، مثل تأويل الجهمية في (استوى) باستولى، هذا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب بتأويل منكر.

قوله: ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله، ويقرون بأنه تأويل لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم

أنهم يقولون في قوله عز وجل: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧]) فالراسخون في العلم يؤمنون بالنصوص ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يشبهون، يقولون: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧] آمنا بالمتشابه وبالمحكم، ويعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ولا يحرفون.

قوله: (وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة) يعني: الآيات والنصوص التي فيها إثبات الصفات سواء من الكتاب ومن السنة كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، لكن أنا أعطيك قاعدة هي: يجب على كل مسلم أن يثبت النصوص التي وردت في الكتاب وفي السنة إثباتا بغير تكييف ولا تمثيل، لكن تنزيه الله عن مشابهة المخلوق من غير تعطيل للصفات، ولا تمثلها بصفات المخلوقين كما يفعل المشركون، ولا تعطل بأن تنفي الصفات كما نفتها المعطلة.

فكل نص في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة جاء بإثبات صفة من صفات الله، أو اسم من أسماء الله، أو فعل من الأفعال أثبته لله، واجتنب أمرين باطلين: الباطل الأول: التمثيل بصفات المخلوقين، والباطل الثاني: تعطيل الصفة.

إذا: من مثل فقد شابه." (١)

"يعني في الدقيق والجليل، قليل العبادة وكثيرها قال: سرا وعلانية متقابلان ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ [الملك: ١٣] (دقة وجله) أي: قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التحريم: ٩] الآية، وقال سبحانه: ... ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾ [النساء: ٨٤]، وقال سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة: ١٩٣] وقال - صلى الله عليه وسلم -: ... «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا» يعني إلى أن يشهدوا، فيستمر القتال إلى وقوع الشهادتين «ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل». الحديث في الصحيح (وهكذا أمته قد كلفوا ** [به] أو ... [بذا]) نسختان، (وهكذا) يعني كما كلف - صلى الله عليه وسلم - بجهاد الكفار (أمته) أمة الإجابة المستجيبون له (قد كلفوا ** بذا) يعني: أمروا أمر إيجاب (بذا)، يعني بتوحيد الإلهية (وفي نص الكتاب وصفوا) بتوحيد الإلهية يعني بالأمر به والقتال عليه، (وفي نص الكتاب) وفي نص هو الكتاب يحتمل إضافة بيانية أو في نص الكتاب، يعني منه ظاهر ومنه نص، والنص الذي لا يحتمل معنى غير ظاهره ليس له إلا معنى واحد، يحتمل هذا ويحتمل ذاك ... (وفي نص الكتاب) أي القرآن (وصفوا) أي بذلك كما قال تعالى: ... ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤]. قال الشارح: ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٣

حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١] لكانت هذه الآية كافية في نعش القلوب وتهيج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها والله المستعان.

قال الناظم رحمه الله تعالى:." (١)

"وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل». (والمحبة) هذا آخر الشروط السبعة أو الأركان التي لا ينفع النطق بلا إله إلا الله إلا مع تحققها، المحبة لأي شيء؟ لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها. إذا محبة لذات الكلمة، ومحبة لما دلت عليه الكلمة من معنى شريف، ومحبة لمن التزم وعمل بهذه الكلمة، والعكس بالعكس، يعني البغض لمن ناوئ هذه الكلمة، ولذلك المحبة هنا يعبر عنها بالولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين والمنافقين، حينئذ يقابل المحبة الكلمة ولمدلولها ولأهلها الملتزمين بها يقابله بغض من ناقض ذلك. قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم﴾ [المائدة: ٥٤] فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له وهو كذلك وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا، كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كمحبة الله.

وعلامة حب العبد ربه، ما هي العلامة؟ ليس كل من ادعى المحبة للكلمة ولمقتضى الكلمة ولأهلها لا بد من علامة. علامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إله هواه. وهذا واضح بين، وموالاة من وال الله ورسوله ومعاداة من عداه وإتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلمات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال سبحانه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾ ... [الجاثية: ٢٣] فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصي الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر الله عز وجل ونواهيه. وقال سبحانه في شأن الموالاة والمعاداة فيه ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة: ٤]..." (٢)

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/١٦

(٢) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٤/١٧

"العبد الحقيقي لله تعالى من اتصف بالحب والرضا والولاء لله ولأوليائه

قال: [وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله تعالى، وهذا هو الذي استكمل الإيمان، كما في الحديث: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)، وقال: (أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله).

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)، فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه، فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأحب المخلوق لله لا لغرض آخر، فكان هذا من تمام حبه لله، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره، وقد قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤].

ولهذا قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١]، فإن الرسول يأمر بما يحب الله، وينهى عما يبغضه الله، ويفعل ما يحبه الله، ويخبر بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله، فيحبه الله].." (١)

"الخلة والمحبة واستلزامها لكمال العبودية لله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والخلة: هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين **يحبهم ويحبونه**].

هذا المقطع متعلق بوصف الله لإبراهيم بهذه المنزلة العظيمة وهي: الخلة، قال تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء:١٢٥].

وأيضا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا).

والخلة معناها: المحبة، وهي درجة عالية من درجات المحبة، وهذا دليل على أن الله عز وجل يحب ويحب، فهو يحب عباده الصالحين، والصابرين، والمتقين، والمتطهرين، والتوابين، والذاكرين، وهو سبحانه وتعالى أيضا يحب، فهو سبحانه وتعالى لكمال ذاته وصفاته وإنعامه على الخلق محبوب، وعلى قدر درجة محبة العبد تكون راحته وسعادته وعبوديته لله سبحانه وتعالى، فإن أساس العبودية: المحبة، كما سيأتي معنا بإذن الله تعالى.

فالله عز وجل يحب ويحب، وقد نفى عنه هذا الوصف المنحرفون في صفات الله تعالى وهم الجهمية، فإنهم نفوا أن يكون الله عز وجل يحب، كما نفوا أنه سبحانه وتعالى يحب، وقالوا: إن الله عز وجل لا يحب؛ لأن المحبة من الأعراض، والأعراض تستلزم الحدود، والحدود منتفية عن الله عز وجل، وهذه شبهة عقلية فاسدة جاءوا بها من أجل أن يلغوا دلالات النصوص

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٤/٦

الشرعية في هذا الباب.

وأيضا قالوا: إن الله لا يحب، فلا تتعلق به محبة العبد، واعتبروا أن محبة العبد لا تتعلق إلا بالمحدثات، وهذا لا شك أنه باطل، ولهذا كان علماء السلف يسمون هؤلاء الجهمية: غلاظ الأكباد، يعني: ليس عندهم رقة، وليس عندهم تعلق بالله عز وجل، وإلا فإن تعلق المحبة بالله سبحانه وتعالى أمر يشعر به الإنسان في ذاته، ونفي هذه المحبة المتعلقة بالعبد لا شك أنها نفي لأمر طبيعي يشعر به الإنسان، ومن هنا يكون استنكار الإنسان لها أشد وأكبر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب، فإنهم يقولون: قلب متيم إذا كان معبدا للمحبوب، والمتيم: المتعبد، وتيم الله: عبد الله، وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ولهذا لم يكن له صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض خليل، إذ الخلة لا تحتمل الشركة، فإنه كما قيل: قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا].

يعني: الخلة هي رأس المحبة، وهي القمة في المحبة؛ ولهذا لا تقبل القسمة والاشتراك، بينما عموم المحبة يمكن أن تنقسم فيكون هناك أكثر من محبوب للشخص، أما محبة التأله التي فيها ذل وخضوع وانكسار فلا تكون إلا لله وحده لا شريك له.." (١)

"الفرق بين المحبة والخلة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد أخبر تعالى أنه (يحب المتقين) (ويحب المحسنين) و (يحب المقسطين) و (يحب التوابين) و (يحب المتطهرين) ويحب ﴿الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤]، وقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين، ومحبة المؤمنين له حتى قال: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

أما الخلة فخاصة، وقول بعض الناس: إن محمدا حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، وظن أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف، فإن محمدا أيضا خليل الله كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة، وما يروى: أن العباس يحشر بين حبيب وخليل وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها.

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى: هي محبته ومحبة ما أحب، كما في الصحيحين: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)].

هذه الآيات هي في سياق كون الله عز وجل يحب؛ لأنه أضاف المحبة إليه، فيحب يعني: الله عز وجل، فهناك ضمير مستتر في الجملة يعود إلى الله سبحانه وتعالى.

وهناك محبة لله ولوازم لهذه المحبة، فمن لوازم محبة الله عز وجل: محبة ما يحب، مثل: فرائض الله عز وجل التي أمر بها، فإنه لا يأمر شرعا إلا بما يحب، ومن ذلك أيضا: الأعيان التي يحبها الله كالصحابة والأنبياء قبل ذلك، وكالأماكن التي يحبها الله

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢/٨

مثل: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وبلاد الشام عموما، ومثل: الأوقات التي يحبها الله سبحانه وتعالى، كمحبة الله لشهر رمضان أكثر من محبته لغيره من الشهور، ومحبته سبحانه وتعالى للعشر الأوائل من ذي الحجة أكثر من محبته لغيرها وهكذا، فربك يخلق ما يشاء ويختار.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن من كان فيه هذه الثلاث وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له به مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى.

ومن قال: إن اللذة إدراك الملائم كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء فقد غلط في ذلك غلطا بينا، فإن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة، فإن الإنسان مثلا يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة ليست هي الأكل، ولذلك يشتهي النظر إلى الشيء فإذا نظر إليه التذ به، واللذة تتبع النظر، ليست نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء، بل تحصل عقيب رؤيته، قال تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [الزخرف:٧١]، وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام من فرح وحزن، وأمثال ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب أو الشعور بالمكروه، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن].

هذه قضية واضحة، فإن اللذة التي تتعلق بهذه الأعمال ليست هي مجرد إدراك الملائمة، وإنما هي قدر زائد على هذا الإدراك؛ لأن إدراك الملائمة هو الشعور به، لكن ما يحصل في القلب من ارتياح وانبساط وما يحصل فيه من مشاعر تتفاوت من شخص إلى شخص بناء على اللذة التي حصلها، فينبغي إدراك هذه القضية.

والضالون من أهل الكلام وغيرهم عندما يقولون: إن محبة الله عز وجل هي إرادة الثواب أو إرادة هذا العمل أو نحوه، يريدون بهذا الهروب من معنى المحبة وردها إلى الإرادة، لكن المحبة قدر زائد على مجرد الإرادة، وفي حالة العبد يكون هناك في المحبة لذة، وهي قدر زائد على مجرد الإدراك، فإن الإدراك أمر علمي قد يحصل بدون فرح ولا سرور، وقد يحصل بدون انبساط، وقد يحصل بدون أي علامة من علامات التفاعل مع هذا الأمر، فالإدراك معناه: العلم أو الإرادة، لكن القدر الزائد على الإدراك والقدر الزائد على العلم هذا هو ما يسميه الآن علماء النفس: بالعواطف، أو هو المشاعر التي تحصل للإنسان من فرح وحزن ولذة وسعادة ونحو ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار.

فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله؛ لأنه أكمل الناس محبة لله؛ وأحقهم بأن يحب ما يحب." (١)

"علاقة المحبة بالأمر الكوني

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله الجهاد في سبيله، والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهى الله عنه، ولهذا قال في صفة من **يحبهم ويحبونه**: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل، فأين هذا من قوم يدعون المحبة؟! وسمعوا كلام بعض الشيوخ: المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان، ولا يمكن لأحد أن يحب كل موجود، بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه، وأن يبغض ما ينافيه ويضره].

لأن الأمور الموجودة منها: أمور تلائم، ومنها: أمور تنافر، وهناك أمور يمكن للإنسان محبتها، وأمور لا يمكن محبتها، ولهذا فإن الدعوى التي تقتضي الجبر المطلق والخضوع المطلق لكل من خلقه الله عز وجل دعوى باطلة من ناحية الشريعة، وباطلة من الناحية الواقعية، فمثلا: لو جاءك شخص وقتلك فهل تحبه؟ هذا أمر غاية في البطلان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه، وأن يبغض ما ينافيه ويضره، ولكن استفادوا بهذا الضلال من اتباع أهوائهم، ثم زاد انغماسا في أهوائهم وشهواتهم، فهم يحبون ما يهوونه كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة، زاعمين أن هذا من محبة الله، وكذبوا وضلوا؛ لأن محبة الله لا تكون إلا ببغض ما يبغضه الله ورسوله، وجهاد أهله بالنفس والمال.

وأصل ضلالهم أن هذا القائل الذي قال: إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب، قصد بمراد الله تعالى: الإرادة الكونية في كل الموجودات، أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المقالة فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى: محبته ورضاه، فكأنه قال: تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله، وهذا معنى صحيح، فإن من تمام الحب لله ألا يحب إلا ما يحبه الله، فإذا أحببت ما لا يحب كانت المحبة ناقصة، وأما قضاؤه وقدره فهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه، فإن لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم أكن محبا له، بل محبا لما يبغضه].." (٢)

"شروط المحبة الصادقة لله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، إنك أنت العليم الحكيم.

أما بعد: قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فاتباع هذه الشريعة، والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٨/٤

(٢) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٨/١٣

الذين **يحبهم ويحبونه**، وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته، أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته، فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله تعالى، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى؛ لما فيه من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شرا من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم].

لأن اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه مع أنهم في الحقيقة لم يمتثلوا هذه المحبة وينقادوا للمحبوب قولا وعملا، وكذلك الذين ادعوا أنهم يحبون الله عز وجل وهم يبتدعون البدع المضلة، والتي يتصورون أنها تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء بهم شبه من اليهود في دعواهم أنهم أحباب الله عز وجل، مع أنهم في الحقيقة هم من غضب الله عز وجل عليهم، ولعنهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر الله سبحانه وتعالى.

فدعوى المحبة مجرد ادعاء لا يكفي، بل لا بد أن يكون معه اتباع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وانقياد في القول والعمل لما أمر به المحبوب فعلا، ولما نهى عنه المحبوب تركا، أما من تنكب الصراط، وأصبح يأتي ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، ويترك ما أمر الله سبحانه وتعالى به، فدعواه المحبة دعوى زائفة لا حقيقة لها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي التوراة والإنجيل من الترغيب من ذكر محبة الله ما هم متفقون عليه، حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس، ففي الإنجيل أعظم وصايا المسيح: أن تحب الله بكل قلبك، وعقلك، ونفسك، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم براء من محبة الله إذا لم يتبعوا ما أحبه، بل اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم، والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم، وهو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم، كما في الحديث الصحيح القدسي عن الله تعالى أنه قال: (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هروله)].

ليس المقصود بالمحبة هنا المحبة القلبية العاطفية المجردة، وإن كانت محبة الله عز وجل محبة قلبية عاطفية مقصودة في محبة الله سبحانه وتعالى، يعني: أن يكون قلبه مشتاقا إلى الله عز وجل، ويتمنى لقاءه، ويفرح بذكره، كل ذلك مطلوب شرعا، لكن لا بد أن ينضاف إليه اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد يكون العبد أحيانا محبا محبة قلبية مجردة، لكنه في سلوكه وعمله بعيد عن المواصفات الحقيقة للمحب من حيث اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا ابتلى الله سبحانه وتعالى الذي يدعون محبته باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١].." (١)

"محبة المؤمنين لربهم ورضواهم عنه ومحبته لهم وروضوانه عنهم

قال رحمه الله تعالى: [وأما المؤمنون فيؤمنون بحق ذلك دون باطله، وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيهما الهدى والنور، وفيهما بيان الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢/٩

فأما إثبات الحق من ذلك وهو ما يحصل لأنبياء الله وأوليائه، الذين هم المتقون من السابقين والمقتصدين، وما قد يحصل من ذلك لكل مؤمن، مثل: محبتهم لله تعالى، ومحبته لهم، ورضوانهم عنه، ورضوانه عنهم، فقد قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ [آل عمران:٧٦].

وقال تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧].

وقال: ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٤].

وقال: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقال: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ [التوبة:١٠٨].

وقال: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩].

وقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤].

وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١].

وقال: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم)) إلى قوله: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ [التوبة:٢٤].

وقال: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء:١٢٥].

وقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال: ﴿أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [البينة:٧ - ٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي).

(إن الله جميل يحب الجمال).

(إن الله نظيف يحب النظافة).

(إن الله وتر يحب الوتر).

(إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها).

وقال: (إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم).

وفي القرآن من ذكر الاصطفاء والاجتباء والتقريب والمناجاة والمناداة والخلة ونحو ذلك ما هو كثير، وكذلك في السنة.

وهذا مما اتفق عليه قدماء أهل السنة والجماعة وأهل المعرفة والعبادة والعلم والإيمان].

أراد الشيخ أن ينبه على أمر قدم له قبل قليل، ثم ختم أيضا بهذه الخاتمة التي أراد بها أن يذكر وجه الاستنتاج من هذه النصوص، فالشيخ يقول: إن الذين موهوا على الناس في مسألة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أخذوا جانبا من الجوانب التي يمكن أن يعبر عنها شرعا بأنها قرب بين العبد وربه، فاستغلوا مسألة القرب والاجتباء والاصطفاء والمحبة والرضا ليجعلوها وسيلة إلى القول بالوحدة والاتحاد والحلول، لا سيما وأن النصارى أكثر مفاهيمهم للحلول التي عبروا فيها عن التثنية والتثليث تدور حول هذه المعاني، وهو من باب الإيهام.

وهناك قدر صحيح ف." (١)

"الفرق بين المحبة الإيمانية والوجد المذموم

قال رحمه الله تعالى: [وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بأكمل محبة في أكمل معرفة، فأخرج بمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم -التي هي أصل الأعمال- المحبة التي فيها إشراك وإجمال، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [التوبة:٢٤].

ولهذا كانت المحبة الإيمانية هي الموجبة للذوق الإيماني والوجد الديني، كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار)، فجعل صلى الله عليه وسلم وجود حلاوة الإيمان معلقا بمحبة الله ورسوله الفاضلة، وبالمحبة فيه في الله، وبكراهة ضد الإيمان].

يريد الشيخ رحمه الله أن يجر العلماء المهتدين ممن يستعملون المصطلحات الصوفية إلى المعاني الشرعية، فكلمة الوجد والذوق التي استعملها هي كلمات ومصطلحات صوفية، الأصل أن نتجنبها، ولسنا بحاجة إليها، ولم ترد في الكتاب والسنة، والاشتباه فيها أكثر، فهي مشتبهة، والغالب أنها تستعمل على الوجه الباطل، لكن الشيخ يحاول أن يجر الذين ابتلوا باستعمال هذه المصطلحات من العلماء والعباد إلى المعاني الشرعية التي يمكن أن تحتملها ألفاظ هذه المصطلحات، مع أنه ينفي المعاني البدعية، وينوه دائما عن فسادها وعن ابتداعها، فهو يشير في قوله: (المحبة الإيمانية الموجبة للذوق الإيماني والوجد به) استعمل هذه المصطلحات ليشير إلى أن الوجد والذوق كل منهما مقيد بالمعاني الشرعية التي يجب أن ترد إلى الكتاب والسنة، وإلى معاني الإيمان وثمراته.

قال رحمه الله تعالى: [وفي صحيح مسلم عن العباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)، فجعل ذوق طعم الإيمان معلقا بالرضا بهذه الأصول، كما جعل الوجد معلقا بالمحبة؛ ليفرق صلى الله عليه وسلم بين الذوق والوجد الذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة، وبين ما أمر

---

(١) شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٤/١٦

الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين غيره، كما قال سهل بن عبد الله التستري: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، إذ كان كل من أحب شيئا فله ذوق بحسب محبته.

ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١]، قال الحسن البصري: ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله؛ فطالبهم بهذه الآية، فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده.

وقد ذكر نعت المحبين في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال المفرق في الملتين قبلنا، وهو الشدة والعزة على أعداء الله، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله].

أراد الشيخ أن يبين هنا أن الملتين السابقتين: ملة موسى عليه السلام، وملة عيسى عليه السلام، كل واحدة منهما تميزت بميزة، وأن الكمال الذي وصف الله به هذه الأمة وميزها به مفرق بين الملتين، فملة موسى عليه السلام تميزت بالشدة والعزة والقوة؛ لأنها كانت رسالة إلى أهل الكبرياء والتعالي الفراعنة، ثم إلى بني إسرائيل الذين احتاجوا إلى هذا الموقف إزاء الباطل، والرحمة في ملة عيسى عليه السلام؛ ولذلك عيسى لم يبعث إلى سلطان كما بعث موسى إلى سلطان، فميز الله ملة موسى عليه السلام بالشدة والعزة على أعداء الله، وميزت رسالة عيسى عليه السلام بالرحمة والرفق، فجمع الله هاتين الخصلتين في هذه الأمة، جعل في هذه الأمة القوة والعزة على الكافرين، وجعل الرحمة والذلة للمؤمنين.

قال رحمه الله تعالى: [ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق].

يعني: الحب المجمل المطلق هو الذي لا يصرف إلى معين، هذا الحب ل." (١)

"وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥١ - ٥٦].

فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن، وقال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾

---

(١) شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٣/١٧

[التوبة:٧١] وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] إلى قوله: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الأنفال:٧٥] وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [الحجرات:٩ – ١٠].

] في هذا البحث بين المؤلف رحمه الله أن الله تعالى أوجب على المؤمن أن يوالي أخاه المؤمن، وأن المؤمنين يجب أن يوالوا بعضهم بعضا، وموالاة المؤمن: يعني نصره وحبه وتأييده والدفاع عنه، والوقوف معه في السراء والضراء، فكما أوجب الله على المؤمن موالاة المؤمنين كذلك أوجب معاداة الكفار، وبغضهم والبعد عنهم، وبغض دينهم، وعدم مصادقتهم ومخالتهم، فلا يتخذ الكافر صديقا، ولا يركن إليه، بل على المؤمن أن يبغضه ويبغض دينه.

إذا واجب على المؤمن أن يوالي المؤمنين، أي: ينصرهم ويحبهم ويواليهم ويدافع عنهم، وواجب عليه أن يعادي الكفار ويبغضهم ولا يتولاهم ولا يحبهم ولا يوافقهم فيما هم عليه ولا يعاشرهم ولا يصادقهم، وإنما إذا عاملهم تكون معاملة دنيوية على حسب الحال من البيع والشراء معهم إذا احتاج، وهذا لا يلزم منه موالاة، فقد أوجب الله على المؤمنين موالاة المؤمنين ومعاداة الكفار.

أوجب الله موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأوجب عليهم معاداة الكافرين، وقد سرد المؤلف رحمه الله الآيات التي في سورة المائدة والتي نهى الله فيها عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم﴾ [المائدة:٥١] يعني أيها المسلمون! ﴿فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١]، فتولي الكفرة ردة وكفر، أما الموالاة فهي معصية وكبيرة، والموالاة هي: المعاشرة والمخالطة بدون حاجة لا لبيع ولا لشراء ولا للدعوة إلى الله، فيتخذ الكافر صديقا، أما التولي فهو: محبتهم بالقلب، وينشأ عن ذلك نصرتهم وإعانتهم على المسلمين، فهذا ردة، فمن أحب الكافر بقلبه وأعانه على المسلمين بالسلاح أو بالرأي أو بالمال فهو كافر مثله؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١] فالتولي ردة والموالاة كبيرة.

ثم قال الله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾ [المائدة:٥١ – ٥٢] الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، ﴿يسارعون فيهم﴾ [المائدة:٥٢] أي: يوالون اليهود والنصارى، ويقولون: ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ [المائدة:٥٢] وحجتهم هي: أن نتخذ يدا مع اليهود ونتخذ يدا مع المسلمين، فإن انتصر المسلمون قالوا لهم: نحن معكم فأعطونا من الغنائم، وإن انتصر اليهود صاروا معهم وقالوا: نحن معكم، وإنما أظهرنا لهم أننا منهم ونحن معكم، ولهذا كان عبد الله بن أبي يوالي بعض اليهود فإذا قيل له: لماذا؟ قال: أنا أخشى الدوائر.

فإذا كانت الدائرة لليهود فيكون لي معهم يد.

قال الله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم

لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٢ - ٥٤]، هذا هو وصف المؤمنين: يحبون الله ويحبهم الله.

﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة:٥٤] أي أنهم يعطفون على إخوانهم، ويرقون لهم، ويخفضون الجناح لهم، لكنهم على الكفار أعزة وأقوياء.

﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة:٥٤ - ٥٥]، فهذا هو الإيمان، فولي المؤمن هو الله ورسوله والمؤمنون.

من هم المؤمنون؟ قال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٥ - ٥٦].

ثم علق المؤلف على الآية فقال: فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون، وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة، وكل مؤمن فهو ولي للمؤمنين، وكل مؤمن وليه الله ورسوله والمؤمنون سواء كان منتسبا إلى حرفة، أو كان جزارا، أو خياطا، أو بناء أو مزارعا، أو تاجرا، أو موظفا، أو عربيا، أو عجميا، سواء كان منتسبا إلى نسبة معينة، أو بلدة من البلدان سواء كانت في المشرق أو في المغرب، أو كان على مذهب الشافعي أو كان مالكيا أو حنفيا، فكل من اتصف بهذه الصفات فهو ولي المؤمن، لا تنظر إلى حرفته ولا إلى بلده ولا إلى نسبته، كل مؤمن تقي متصف بهذه الصفات نتولاه بقطع النظر عن الحرفة وعن النسبة والبلدة والمذهب والطريق.

قال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾ [التوبة:٧١]، فالمؤمن ولي أخيه ينصره ويؤيده مهما كان.

وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢]، فهذه هي أوصافهم، فمن اتصف بهذه الصفات فهو ولي، فيجب على المؤمنين أن يوالي بعضهم بعضا، فإذا كان مؤمنا مهاجرا مجاهدا آوى ونصر فهذا هو المؤمن الذي يتولى.

قال الله: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال سبحانه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات:٩] لماذا نص." (١)

"عناصر الدرس

- قوله: (وقوله: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين).
- قوله: وقوله: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).
- قوله: (وقوله: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم).
- قوله: (وقوله: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**).

---

(١) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١١/٧

- قوله: (وقوله: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).

- الاستدلال بالآيات لإثبات صفة المحبة لله عز وجل.

- قوله: (وقوله: وهو الغفور الودود).

- قوله: (وقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم).

- شروع من المصنف في ذكر صفة الرحمة لله عز وجل.

- بيان الفرق بين الاسمين الرحمن، والرحيم.

- قوله: (وقوله: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما).

- قوله: (وقوله وكان بالمؤمنين رحيما).

- قوله: (وقوله ورحمتي وسعت كل شيء).

- دلالة هذه الآيات على أن الرحمة تنقسم إلى قسمين:

- قوله: (وقوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة).

- قوله: (وقوله (وهو الغفور الرحيم).

- قوله: (وقوله: فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

- من أسمائه سبحانه وتعالى الحفيظ، وهو نوعان:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فقد وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩]).

وذكر قبلها قوله سبحانه: (﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥]). وقلنا: هذا شروع من المصنف رحمه الله تعالى في بيان صفة المحبة لله جل وعلا، وبينا أنه أردفها بـ أو أنه جعلها بعد الآيات المتعلقة بالإرادة ليبين أن ثم فرقا بين الإرادة والمحبة، فثم فرق بينهما ولذلك جعل أولا ما يتعلق بالإرادة، ثم ما يتعلق بالمحبة.

ومحبته عز وجل لمن شاء من عباده هذه موافقة لأمره ونهيه، قلنا: أراد شرعا بمعنى أحب ورضي، حينئذ تكون موافقة لأمره ونهيه، فإنه سبحانه يحب المقسطين، ويحب المؤمنين، ويحب المتطهرين، والمسلمين، وهؤلاء هم من امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه، وأما المشركون فليس لهم نصيب البتة من هذه المحبة، إذا لها سبب، ولذلك هي قديمة النوع حادثة الآحاد كالشأن في الإرادة، وأما المؤمن الذين خلط عمل صالحا وآخر سيئا فهذا فيه جهتان:

– جهة تقتضي محبته لما فيه من الإيمان والعمل الصالح.

– وجهة تقتضي بغضه لما فيه من شعب الكفر أو شعب المعاصي.." (١)

"قال المصنف رحمه الله تعالى وقوله: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤]، **﴿يحبهم ويحبونه﴾** فيه مبادلة المحبة من جانبين. قال: **﴿يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم﴾ قوله: ﴿من يرتد منكم عن دينه﴾ أي: يرجع عن دينه، ولذلك الردة هي من كفر بعد إسلامه، والردة لغة الرجوع وشرعا هو الذي يكفر بعد إسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا، هكذا يذكره الفقهاء، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، من هو المرتد؟ هو الذي يكفر بعد إسلامه يكون مسلما ثم يرجع، حصل معنى الرجوع، بماذا بأي سبب يحصل؟ لهو أن أنواع أربعة:

– إما بالنطق باللسان.

– وإما بالاعتقاد.

– وإما بالشك والريب.

– أو بالفعل.

أربعة أنواع للكفر، وقولهم نطقا أو شكا أو فعلا لا يشترط فيه الاعتقاد، لا نقول: بأنه بالنطق مع اعتقاده، ولا نقول: بالشك مع الاعتقاد، أو بالفعل مع الاعتقاد، لماذا؟

لأن لو جعلناه كذلك لحصرنا الكفر في الاعتقاد فقط، الكفر الاعتقادي وهذا مذهب الجهمية وليس مذهب أهل السنة والجماعة، وإنما مذهب أهل السنة والجماعة أن الكفر يكون بالنطق فقط دون الاعتقاد، ولذلك لو سب الله تعالى ولا يعتقد شيئا نقول: كفر بعد إسلامه، لمجرد نطقه. وكذلك لو ترك الصلاة بمجرد الترك نقول ماذا؟

يعني لغير لعذر شرعي حينئذ نقول ماذا؟ ترتب عليه الكفر، هل يشترط الاعتقاد؟ لا يشترط الاعتقاد. إذا المراد من حدد أنواع الكفر هنا بأنها أربعة وجعل الاعتقاد قسما واحدا لا نرد الثلاثة إلى الاعتقاد وإلا وقعنا في محذور شرعي.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/١٨

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١٨

"قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أي من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير منه وأقوم سبيلا كما قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] الآية والقوم جماعة من الناس. قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ أي أهل رقة وتواضع للمؤمنين. قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده، و ﴿على الكافرين﴾ كالأسد على فريسته، وليس العكس. قوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ أهل غلظة وشدة على الكافرين، وهذه من صفات أهل الإيمان من صفات المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] قوله: يجاهدون في سبيل الله أي بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وذلك تحقيق دعوى المحبة والجهاد لغة بذل الطاقة والوسع، وشرعا قتال الكفار. وقد تكاثرت الأدلة على فضل الجهاد والحث عليه. قوله أو قوله: ﴿ولا يخافون لومة لآئم﴾ أي لا تأخذهم في الله لوم تلائم، وهذا علامة صحة المحبة، كل هذه علامات تدل على ماذا؟ على أن المحبة قائمة في القلب، وهذا علامة صحة المحبة، أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله ورسوله راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يخافون في ذلك لوم تلائم ولا عدل عادل. قوله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ أي من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له.

قوله: ﴿والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه.

أفادت هذه الآية كسابقها: إثبات المحبة حقيقة من الجانبين، يحب العبد ربه، والرب يحب عبده الصالح.

وأفادت هذه الآية التحذير عن معصية الله سبحانه وتعالى، وأن الكافر والعاصي لم يضر إلا نفسه.

وأفادت عظيم قدرته سبحانه وتعالى في أن من تولى عن دينه وأعرض عنه فإنه يستبدل به غيره، والله الغني عن خلقه.

وأفادت أن هذه الأربع من صفات المؤمنين، وهي الحب في الله، والبغض في الله، والجهاد في سبيل الله، والقيام بأمره على الكبير والصغير والقريب والبعيد.." (١)

"الأدلة على إثبات صفة المحبة

وهذه الصفة ثبتت لله بالكتاب وبالسنة وإجماع أهل السنة.

أما الكتاب: فقد قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، فهذا تصريح من الله جل وعلا إذ قال: (يحبهم) فأثبت لنفسه صفة المحبة.

وقال جل في علاه: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢]، فقال: (يحب التوابين) وفي هذه أيضا أثبت لنفسه صفة المحبة.

وأما في السنة: فقد جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم خيبر: (لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله)، فأثبت لربه المحبة وقال: (يحبه الله ورسوله) (ويحب الله ورسوله) يعني: وهو أيضا يحب الله ورسوله.

وأيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين في) أو قال: (في جلالي)، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، ف (حقت محبتي) دلالة بالتصريح على إثبات محبة الله جل في علاه كصفة له سبحانه.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/١٨

وأيضا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله عبدا نادى في السماء) فقال: (أحب الله عبدا) وهذه صفة تثبت لله؛ لأنها أضيفت لله جل في علاه، وقد قلنا سابقا: إن المضاف لله نوعان: إضافة عين، وإضافة معنى.

وإضافة العين مثل: إضافة الكعبة لله، فهي عين قائمة بذاتها، ومثل عيسى، وناقة الله، وهذه الإضافة هي إضافة تشريف.

وأما إضافة المعنى: فهي مثل قولنا: عزة الله وقدرة الله ومحبة الله، فهذه إضافة معنى، والمعنى ليس عينا قائمة بذاتها، إذا: فتكون إضافة صفة لموصوف.

إذا: هذه الصفة ثابتة لله بالكتاب وبالسنة، وأيضا أجمع أهل السنة على ثبوت هذه الصفة لله جل في علاه، والعبد الذي اعتقد الاعتقاد الجازم في الله جل في علاه، وتعلم العقيدة السليمة السديدة يتعبد لله بأن يثبت هذه الصفة لله، ويقول: أثبت لله محبة تليق بجلاله وكماله وبهائه وعظمته، ولا تماثل محبته محبة المخلوقين، ولا نكيفها فالكيفية لا نعلمها، وأيضا: لا نعطلها، أي: نفوض الكيفية لله جل في علاه بلا تعطيل، فلا ننفي الصفة عن الله جل في علاه.." (١)

"وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] من أوصافهم ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم﴾ وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم﴾ والأذلة جمع ذليل لا ذلول، والأعزة جمع عزيز أي: يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة على عكس ما كانوا مع المؤمنين يظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين، فهذه صفات المحبين إيمان وعمل، بل ضحوا بأعز ما يملكون وهو النفس وذلك الجهاد في سيل الله. وجاء في الحدث القدسي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه». إذا إنما تكون المحبة من الله عز وجل مبنية على فعل الفرائض وتكميلها بالنوافل، فإن لم توجد حينئذ ليس ثم محبة، «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع» به يعني: موفق في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله تعالى «وبصره الذي يبصر به» فلا يبصر به إلا ما يرضي الله تعالى «ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» الحديث. إذا دعواهم أنهم يحبون الله تعالى مع تركهم شرعه، فحينئذ نقول: هذه دعوى باطلة كاذبة إذ الذي يصدق هذه الدعوى هو العمل بشرع الله عز وجل، فإن وجد فحينئذ صحت الدعوى وإلا فهو كذب محض، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (٢)

"(وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩]) هذه الصفة الخامسة وهي صفة الرضا، وذكر المصنف آية واحدة، وصفة الرضا من الصفات الثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف، الكتاب كقوله تعالى:

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٦

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٧/١٢

﴿رضي الله عنهم﴾. ﴿رضي الله﴾ ما وجد تقرير؟ نقول: هنا فعل أسند إلى الرب جل وعلا، وهنا إضافة، نسب الفعل إلى الله عز وجل ﴿رضي الله﴾، كقوله: ﴿جاء ربك﴾. والأصل في الأفعال أنها صفات لفاعليها من حيث المعنى فالله عز وجل موصوف بكونه يرضى، ومن السنة قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم، وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تنزيل، وهي الصفة الفعلية لأنها متعلقة بالمشيئة، ثم رضا الله تعالى يكون عن العمل وقد يكون عن العامل، يعني: يرضى عن العمل ويرضى عن العامل، والثاني لازم له ولأنه لا يرضى عن العامل إلا إذا رضي عمله، ليس منفكا عن العمل، لكن من حيث ما جاء في الشرع جاء تعليق الرضا بالعمل وجاء تعليق الرضا بالعامل، بمعنى أن رضا الله تعالى متعلق بالعمل وبالعامل، ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧]. هذا متعلق بماذا؟ بالعمل، فإن يرضى الشكر لكم رضيت لكم الإسلام دينا، الإسلام دينا عملا، وفي الحديث الصحيح: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا». «يرضى لكم». يعني الذي تعملوه؟ إذا عمل، وأما العامل فقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. فرضا الله صفة ثابتة لله عز وجل وهي في نفسه وليس شيئا منفصلا عنه، يعني: قائم به جل وعلا، وهي صفة حقيقية متعلقة بمشيئته وهي من الصفات الفعلية كما سبق، فيرضى الله تعالى عن المؤمنين ولا يرضى عن القوم الكافرين، يرضى ولا يرضى، إذا يكون في وقت متصفا بالرضا، وفي وقت آخر متصفا بغيره، ويرضى عن المتقين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، فيرضى عن أناس ولا يرضى عن آخرين ويرضى أعمالا ويكره أعمالا.

(وقوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]) هذا فيه إثبات الصفة السادسة وهي صفة المحبة، وذكر المصنف لها آية واحدة ﴿يحبهم﴾ هذا فيه إسناد الفعل إلى الرب جل وعلا وهو فعل مضارع، قلنا: الأفعال كلها صفات في المعنى. والمحبة من صفات الله تعالى ثابتة له بالكتاب والسنة والإجماع، والكتاب كما سبق، والسنة قوله – صلى الله عليه وسلم – يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». «يحبه الله» هذا فيه إسناد المحبة إلى الرب جل وعلا فهو موصوف بكونه يحب، متفق عليه، وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يحب ويحب، فيجب حينئذ الإثبات الصفة كذلك من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.." (١)

"شروط كلمة لا إله إلا الله

ذكر العلماء أن لها سبعة شروط أشرنا إليها قبل ذلك، وهي: العلم ثم اليقين، أي: اعلم أنه لا إله إلا الله علما يقينا، بمعنى: أن يقولها الإنسان مستيقنا ومصدقا في قلبه وواثقا من أنه لا إله إلا الله سبحانه وتعالى؛ لذا فهو ينفي أن يكون شاكا في ذلك.

ومن شروط لا إله إلا الله القبول: أن تعبد الله عز وجل بشرعه، فتقبل منه ما أتاك عن طريق النبي صلوات الله وسلامه عليه، أن تقبل ولا تستكبر على ذلك، إذا: يقين وقبول لما جاء من عند رب العالمين ينافي أن تشك وأن تستكبر أو أن تعاند ذلك، فالقبول: أن يقبل الإنسان شرع الله سبحانه ولا يرده، وقد يفعل قد لا يفعل، يعني: الإنسان قبل الشريعة فقد

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٩

يعمل ما يرضي الله، ولكن أحيانا يقع في المعاصي، وليس معنى ذلك أنه لم يقبل.
هناك فرق بين من يجحد ذلك ويرده على الله، وبين من يقبله، فمن الرخصة: أن يفطر المعذور في رمضان، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) فأنت تقبل صدقة الله سبحانه، وقد تسافر فتفطر وأنت قبلت هذه الصدقة من الله عز وجل، وقد تسافر وتصوم وأنت قد قبلت أيضا هذه الصدقة من الله رب العالمين.
فالقبول: معناه: عدم الرد، والفرق كبير بين أن يقول: أنا أقبل هذه الرخصة وأفطر في السفر؛ لأنه يشق علي ذلك، وبين أن يقول: الرخصة من الله صدقة تصدق بها علي، قبلت رخصة الله سبحانه وتعالى، ولكني أخاف أن أموت قبل أن أقضي هذا اليوم، فأنا لا يشق علي الصيام الآن، لكنني أخاف أن يشق علي بعدما أكون حاضرا بعد رمضان، فهو قابل لذلك.
وانظروا إلى إبليس لما أمره الله عز وجل أن يسجد لآدم لم يقبل ذلك من ربه، قال تعالى: ﴿قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾ [الإسراء:٦١] فلم يسجد ورد ما أمره الله عز وجل به، فاستكبر على هذا الأمر.
فهناك فرق بين أن يقبل العبد هذه الشريعة العظيمة ويعصيه، ولكن الأصل أنه قبل ذلك إذا عصى الله استغفر، وأقر بأنه عاص، فهو قابل لشرع الله رب العالمين ولكن غلبت عليه شقوته فوقع في المعصية، وبين أن يرد ذلك ولا يقبله، كالذين يرفضون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ [النساء:٣٤] ويقولون: الرجل مثل المرأة، والمرأة لا تأخذ النصف من نصيب الرجل، بل تأخذ مثل نصيبه، فمن يقل ذلك فقد حاد الله سبحانه وتعالى، وجحد ورفض ما جاء من عند رب العالمين ويعد مستكبرا على ما جاء من عند الله، فإن هذا لم يقبل شرع الله سبحانه.
فالعلم، واليقين، والقبول، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، سبعة شروط لـ (لا إله إلا الله) ذكرها في كتاب معارج القبول قال: العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول والصدق والإخلاص والمحبه وفقك الله لما أحبه هذه سبعة شروط، وزاد البعض عليها: أن توالي من يوالي الله سبحانه وتعالى، وتبرأ من أعداء الله سبحانه، وإن كانت داخلة في هذه التي ذكرناها.
لكن الغرض: أن هذه الشروط إذا أتيت بها أتيت بمفتاح الجنة، ولا يجوز له أن يحقق شرطا ويخل بشرط آخر، فلابد من الانقياد لجميع ما جاء من عند رب العالمين سبحانه.
فإذا قبل البعض ورفض البعض ولم ينقد لدين رب العالمين فقد قصر في شرط من شروط لا إله إلا الله.
ثم يلي هذه الشروط: الصدق، والإخلاص، والمحبة: أي: أن يصدق في ذلك، والصدق ينافي الكذب، فلا يكذب، كأن يقول: لا إله إلا الله وهو غير مصدق بها؛ ولذلك الإنسان المنافق والفاجر وهو في قبره عندما يسأل: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ يقول: لا أدري لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.
أي: سمع الناس يقولون: شيئا فقال كما قال الناس، ولم يستيقن في قلبه ولم يتابع بعمله، ولم يعرف ذلك حق المعرفة، وإنما قال كما قال الناس، فكان كاذبا، يكذب قلبه لسانه، فهذا ينافي الصدق الذي أمر الله عز وجل به المؤمنين وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة:١١٩].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه) أي: يقولها صادقا صدقا منافيا أن يكون شاكا، ومنافيا أن يكون كاذبا في هذا الذي يقوله.

فالصدق والإخلاص من شروط لا إله إلا الله، والإخلاص: توحيد رب العالمين: أن يخرج العمل لله، وليس لغير الله سبحانه، فيعبد الله، ويدعو الله، وينذر لله، ويخاف من الله، ويحلف بالله.

وعكس ذلك من يحلف بغير الله سبحانه وتعالى، ويعظم غير الله سبحانه، ويدعو غير الله، ويسجد أو ينحني أو يطوف بالقبور، فهذا إنسان قد جعل مع الله آلهة أخرى، وعبد غير الله، فهو ينافي إخلاصه لله، وقد أمرنا الله سبحانه أن نعبده ولا نشرك به شيئا سبحانه، قال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ [غافر:١٤].

ومن شروط لا إله إلا الله: المحبة لله سبحانه ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذه الكلمة العظيمة، ولدين رب العالمين، والمحبة للمؤمنين، قال الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

فالمؤمنون أعزة على الكافرين، ولكنهم يحبون المؤمنين ويخفضون أجنحتهم لهم، ويتواضعون لهم.

فالمؤمن يحب هذه الكلمة بحبه لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبحبه للمؤمن؛ فإذا جاء بهذه الكلمة بشروطها كان من أهل الجنة.." (١)

"وفي الحديث أن الله تعالى يحبه المؤمنون وهو تعالى يحبهم، كما قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]. وذكرت بالأمس وقبل أمس أن الحبيب لا يطلق من باب الإخبار، وأنتم في واد وأنا في واد، قلنا: الحبيب لم تأت مادته الصواب أنه جاءت مادته في القرآن ﴿يحبهم﴾ إذا يقال الحبيب من باب الإخبار، أين أنتم؟ من باب الإخبار يصح أن يقال الحبيب، فيطلق على الباري جل وعلا كما يقال الصانع والمتكلم ونحو ذلك لأن المادة موجودة وحينئذ انتبهوا.

ثانيا: فضيلة تقديم محبة الله ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - على كل شيء، يعني فضيلة المحبة في الله أن من اتصف بهذه الخصال الثلاث فهو أفضل ممن لم يتصف بها ولو كان المتصف بها كافرا فأسلم أو كان مذنبا فتاب من ذنبه، لأن من تاب من الذنب كمن لا ذنب له، وكذلك الإسلام يهدم ما قبله.

خامسا: مشروعية بغض الكفر. يعني سموها مشروعية فحسب، لا، بل هو ركن في الولاء والبراء، بغض الكفر وبغض الكافرين لا بد من الأمرين [لأن من اتصف] لأن من أن أبغض شيئا أبغض من اتصف به، ثم التصريح بذلك فهو لازم، كذلك من كفره الله تعالى كاليهود والنصارى يلزم من ذلك تكفيره، ومن لم يكفره فهو الذي أليق بالحكم منه من ذلك الذي لم يكفر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله). أربعة أشياء (فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا. رواه ابن جرير). هذا الأثر رواه ابن جرير بكماله كما قال المصنف هنا، وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط، وبعضهم يضعفه لأن مداره على ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، وليث عند الجمهور ضعيف، وإن كان ابن القيم رحمه الله تعالى

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - حطيبة، أحمد حطيبة ٩/٣

رجح في ((زاد المعاد)) أن حديثه حسن، حسن الحديث لكن المشهور أنه ضعيف، ثم هو من قول ابن عباس يعني موقوف على ابن عباس، وجعل له بعض أهل العلم حكم المرفوع لأنه ماذا؟ رتب جزاء على عمل، وترتيب الجزاء على العمل هذا ليس اجتهاديا إنما مرده إلى الشرع، فإن صح الأثر والمعاني المذكورة معلومة يعني ليس فيه جديد فائدة، وإنما هو من باب التأكيد فحسب، وهذا قد يجري عليه لو كان المصنف يرى أن الحديث ضعيف وإنما هو من قول ابن عباس، وإنما هو تصريح بما دل عليه ما سبق ضمنا وهي طريقة لكثير من أهل العلم. إذا إن صح فنقول: له حكم المرفوع.." (١)

"قال الله تعالى: ﴿قل فادرؤوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] يعني ادفعوا ﴿قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون لأنكم ماذا؟ ستبقون على هذه الحال، أنتم قاعدون قاعدون تاركون للجهاد تظنون ماذا؟ أنكم إذا لو تركتم الجهاد ستسلمون من الموت، إذا لا ينبغي لكم أن تموتوا إذا قعدتم. ومع ذلك العكس هو الواقع، فلذلك قال: فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨]، فادفعوه ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ يعني فيما تدعونه من أن القعود ينجي من الموت، هل القعود ينجي من الموت؟ الجواب: لا، صحيح؟ الجواب: لا، بمعنى لو أنه لو قعد وترك الجهاد، فإذا كان كذلك هل نجا نفسه من الموت؟ الجواب: لا. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي – يعني هو الذي قال ذلك –.

مناسبة الآية للباب كالسابقة أن قول (لو) في الأمور المقدرة من سمات المنافقين، صار منهيا عنه، هذا وجه النهي، يعني ليس فيه ماذا؟ صيغة صريحة، ومعلوم كما مر معنا أن النهي لا يؤخذ من صيغة لا تفعل فحسب، لا، قد يكون ماذا؟ قد يكون يذكر وصفا للكفار، إذا صار منهيا عنه، والأصل فيه التحريم، وهكذا.

إذا مناسبة الآية للباب كالسابق أن قول لو في الأمور المقدرة من سمات المنافقين فهي منهي عنه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (في الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»). قوله: (في الصحيح) أي في ((صحيح مسلم)) والحديث اختصره المصنف رحمه الله تعالى، وفي أوله جملة وهي قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» كلاهما محبوبان من الله بدليل أفعل التفضيل، لأنها تدل على الاشتراك كلاهما محبوبان «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك» الحديث إذا المصنف رحمه الله تعالى اختصر الحديث قوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» فيه أن الله موصوف بالمحبة «أحب إلى الله» إذا الله يحب ويحب وهو كذلك، وأنه يحب على الحقيقة، يعني وصف حقيقي كما قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] يحبهم يعني المؤمنين والله تعالى يحبذ ويحب، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة وهي بإجماع السلف خلافا لأهل الباطل.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٧٢

وفيه أنه سبحانه يحب مقتضى أسمائه وصفاته، ومر معنا أن أسماء الباري جل وعلا يتعبد بها ﴿فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] يشمل النوعين: دعاء الثناء والسؤال، ودعاء العبادة.." (١)

"تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١) وقال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (٢).

وهذا الشرط هو نُصرة الله على أنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٣).

فإن نصْرنا الله على أنفسنا، نصَرَنا على أعداءنا، وإن نصرناها عليه خذلنا أمامهم، وتركهم يتمكنون من ديارنا وأعراضنا وأموالنا.

وما حالنا وما وصلنا إليه إلا ترجمة عملية لخذلان الله لنا، فقد نسيناه ونصرنا أنفسنا عليه، فنسينا وخذلنا أمام أعدائنا.

فإن كنا نبغي حقاً النجاة لأنفسنا والعزة لديننا، فلنرفع راية الجهاد ولنعلن الحرب على نفوسنا، ولنجاهدها في جنب الله حتى ننصره عليها، فنصبح مؤهلين لتلقي نصره كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

---

(١) محمد: ٧.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الرعد: ١١.." (٢)

"وبعد أن يتجه المجتمع إلى الإسلام .. لابد أن تنبثق منه –بإذن الله– طائفة تتسلم زمام الحكم، ويصبح الحكم إسلامياً خالصاً يطبق على شعب مسلم .. وهكذا في بقية المجتمعات، ثم تتوحد هذه جميعاً لتكون الدولة الإسلامية العالمية، ويختار أحد أفرادها خليفة للمسلمين.

التمكين للمؤمنين سنة كونية:

وما نقوله هذا ليس أمانيّ ولا أضغاث أحلام .. لأن الله عز وجل سيمكن لدينه في الأرض شئنا أم أبينا .. سيمكن لدينه بنا أو بغيرنا .. فإن أبينا أن نسير في هذا الطريق فسيقبض الله قوماً غيرنا ليسيروا فيه ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٥/٩٠

(٢) طوق النجاة، مجدي الهلالي ص/٧

وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٢).

---

(١) محمد: ٣٨.

(٢) المائدة: ٥٤ – ٥٦.." (١)

"قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ (البقرة: من الآية ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ (المائدة: من الآيتين ٥٣، ٥٤).

وقد أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – إنه: " لايؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين " (١).

وقال لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: " لا حتى أكون أحب إليك من نفسك " (٢). أى لا تؤمن حتى تصل محبتك إلى هذه الغاية.

وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أولى بنا من أنفسنا فى المحبة ولوازمها، أفليس الربّ جل جلاله أولى بمحبته وعبادته من أنفسنا؟.

وكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره، فعطاؤه ومنعه، ومعافاته، وابتلاؤه، وقبضه وبسطه، وعدله، وفضله، وإماتته وإحياؤه، وبره ورحمته وإحسانه وستره، وعفوه وحلمه، وصبره على

---

(١) رواه البخارى (١/ ٥٨) الإيمان، وسملم (٢/ ١٥) الإيمان، وقال الحافظ: قوله:"لايؤمن " أى إيمانا كاملاً. وقال القاضى عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة= =ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة وإحسان كمحبة سائر الناس، فجمع – صلى الله عليه وسلم – أصناف المحبة فى محبته. وقال ابن بطال: ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي – صلى الله عليه وسلم – آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به – صلى الله عليه وسلم – استنقذنا من النار وهدينا من الضلال.

(٢) رواه البخارى (١١/ ٥٢٣) الإيمان والنذور.." (٢)

"شاخصة لانتظار (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (١)، والأبدان قائمة بوظيفة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٢) والقلوب مرتبطة برابطة (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) (٣) والأرواح ترتاح لأذكار (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) (٤). فما للعارف غفلة عن

---

(١) طوق النجاة، مجدي الهلالي ص/٣٤

(٢) تزكية النفوس، أحمد فريد ص/٩٦

مشهوده ولا للعابد غفلة عن معبوده.

لما علمت بأن قلبي فارغ ... ممن سواك ملأته بهواك

وملأت كلي منك حتى لم أدع ... مني مكانا خالياً لسواك (٥).

هاذا هو حال خواص المحبين الصادقين، فإنه من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى، وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

أروح قد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا

فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا

أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا

وفي الأحباب مخصوص بوجد ... وآخر يدعي معه اشتراكا

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكا ممن تباكى

فأما من بكى فيذوب وجدًا ... وينطق بالهوى من قد تشاكا

---

(١) سورة القيامة:٢٢ - ٢٣).

(٢) سورة الفاتحة:٥).

(٣) سورة المائدة: من الآية٥٤).

(٤) سورة الواقعة: من الآية٨٩).

(٥) انظر الروض الفائق في المواعظ والرقائق للعلامة شعيب الحريفيش رحمه الله تعالى (ص ٢١٨).." (١)

"كما جبلت الشمس على الإنارة.

والله تبارك وتعالى سبق في علمه أن يجعل في الأرض خليفة، وأعلم بذلك ملائكته، وأسكنه في الجنة، ليربيه ويريه دار النعيم التي أعدها الله له ولأولاده.

فأمره الله ونهاه، وأعلمه بعدوه وحذره منه، ووفر له كل ما يحتاجه في الجنة، وأمره بالأكل من كل شيء في الجنة، ونهاه عن الأكل من شجرة واحدة، وخلى بينه وبين عدوه إبليس، ليمتحن إيمانه وطاعته قبل نزوله إلى ميدان العمل، فوسوس إليه الشيطان بالأكل، فنسي وغلبته الشهوة فأكل.

وخلى بينه وبين نفسه حتى عصى الله، كما قال سبحانه: ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦)﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦].

ثم ألهمه الله التوبة فتاب، وتاب الله عليه، وبعد أن كملت تربيته، وعرف عدوه، وعاش في داره، أهبطه الله عز وجل من دار

---

(١) تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله، أحمد بن يوسف الأهدل ص/٤٣

النعيم إلى دار الابتلاء والعمل، ليعود إليها ومن آمن من ذريته على أكمل الوجوه.

فكم لله من حكمة في إهباط آدم إلى الأرض، تعجز الألسن عن وصفها، وتعجز العقول عن إدراكها والإحاطة بها:

منها أن الله أنزل آدم ليكون إيمانه وإيمان ذريته تاما، والإيمان قول وعمل، وجهاد وصبر، وبذل وترك، وهذا إنما يكون في دار الامتحان لا في جنة النعيم.

ومنها أن الله خلق آدم وذريته ليستعمرهم في الأرض، ويجعلهم خلفاء الأرض.

فخلقهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم، لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه، فإذا وافوا دار النعيم بعد التعب والكد، عرفوا قدر تلك الدار، وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الحور والولدان.

ومنها أن الله عز وجل أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلا وأنبياء وشهداء، **يحبهم ويحبونه**، وينزل عليهم كتبه، يؤثرون محابه ومراضيه على شهواتهم وما." (١)

"وهو غير مأذون له في أن يكره أحدا من هؤلاء وهؤلاء على الإسلام، لأن الإيمان لا يدخل القلوب بالإكراه، فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه، هو كذلك لا ثمرة له، ولا منفعة منه: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالإسلام جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب وعموم الكفار، ويدعوهم للدخول فيه، لأنه الحق وحده، وما سواه باطل غير مقبول.

فلا ولاء إذا بين المسلمين وأهل الكتاب لا من ناحية الإيمان، ولا من ناحية إقامة منهج الله في الحياة، فكيف يكون التولي؟.

وكيف يكون تعاون المسلم مع من لا يؤمن بالإسلام دينا ومنهجا ونظاما للحياة؟.

فالولي هو الله، والناصر هو الله، والاستنصار بغيره ضلالة، كما أنه عبث لا ثمرة له، ولكن لا يواليهم إلا من في قلبه مرض من المنافقين الذين لا يدركون حقيقة الإيمان: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢)﴾ [المائدة: ٥٢].

فالواجب على المسلمين أن ينتهوا عن موالاة اليهود والنصارى فضلا عن سائر الكفار، لأنهم بموالاتهم يكونون معهم، ويرتدون بذلك عن الإسلام، ومن ارتد عن الإسلام بهذا الولاء أو بغيره فليس عند الله بشيء، وليس بمعجز الله، ولا ضار لدينه.

ولله أولياء وناصرون مدخرون في علم الله، إن ينصرف هؤلاء، يجيء الله بهؤلاء، يقومون بكل ما تركه أولئك: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤].." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٥٧٠

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/١٠٨٢

"فالله على كل شيء قدير، يختار من عباده المؤمنين من يقوم بإقرار دين الله في الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه في حياتهم، وتنفيذ شريعته في خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فمن رفض هذا الفضل، فالله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم، من قوم **يحبهم ويحبونه**، ولا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي، الذي يعرف من هو الله.

وحب الله لعبد من عبيده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته، وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها.

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما، وفضلا من الرب جزيلا، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه، وتعريفه هذا المذاق الجميل، هو إنعام هائل عظيم، وفضل من الله جزيل: ﴿إن ربي رحيم ودود (٩٠)﴾ [هود: ٩٠].

فليست العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر، وعذاب وعقاب، وجفوة وانقطاع، بل بين الله وعباده علاقة الرحمة، علاقة العدل، علاقة الإحسان، علاقة العفو، علاقة الود: ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم (٦٥)﴾ [الحج: ٦٥].

وقد حدد الله للمؤمنين جهة الولاء الوحيدة، والتي تتفق مع صفة الإيمان، وبين لهم من يتولونه بقوله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)﴾ [المائدة: ٥٥].

وهكذا كشف الله جهة الولاء بأن تكون لله ورسوله والمؤمنين، وأن يكون الإسلام هو الدين، ويكون الأمر أمر مفاصلة بين الصف المسلم وغيره.

ولكن حتى لا يكون الإسلام مجرد عنوان، أو مجرد راية وشعار، أو مجرد كلمة تقال باللسان، فإن الله وصف المؤمنين الذين يتولاهم المسلم ويتولونه بأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون ربهم.

والله يعد الذين آمنوا في مقابل الثقة به، والتوكل عليه، والولاء له وحده." (١)

"وأراد سبحانه ابتلاءهم وأمرهم ونهيهم، فأهبطهم إلى الأرض، وعوضهم بذلك أفضل الثواب الذي لم يكن لينال بدون الأمر والنهي.

وأراد عز وجل أن يتخذ من بني آدم رسلا وأنبياء، وأولياء وشهداء، **يحبهم ويحبونه**، فخلى بينهم وبين أعدائه وامتحنهم بهم في هذه الدار.

فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته ومحابه، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينال بدون ذلك أصلا، ولم يكن ينال هذا إلا على الوجه الذي قدره وقضاه من إهباطه إلى الأرض.

والله سبحانه له الأسماء الحسنى، فمن أسمائه الغفور الرحيم، العفو الحليم، القاهر القادر، الكريم الرزاق، التواب الخلاق.

وهو الذي يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويرزق ويشفي.

ولا بد من ظهور أثر هذه الأسماء وغيرها، فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وذريته دارا يظهر عليهم فيها أثر أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٠٨٣/١

فيغفر لمن يشاء .. ويعذب من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء، إلى غير ذلك ..

وكذلك الله تبارك وتعالى هو الملك الحق المبين، والملك الذي هو الذي يأمر وينهى، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويثيب ويعاقب.

فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وذريته دارا تجري عليهم فيها أوامر الملك، ثم ينقلهم إلى دار تتم عليهم فيها أحكام الملك.

وأيضا فإنه سبحانه أنزلهم إلى دار يكون إيمانهم فيها بالغيب، فلو خلقوا في دار النعيم، لم ينالوا درجة الإيمان بالغيب، واللذة والكرامة الحاصلة بذلك لا تحصل بدونه.

والله سبحانه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، والأرض فيها الطيب والخبيث، والكريم واللئيم، والسهل والحزن.

فعلم سبحانه أن في ظهره من لا يصلح لمساكنته في داره، فأنزله وذريته إلى دار." (١)

"استخرج فيها الطيب من الخبيث.

ثم ميزهم سبحانه بعد القدوم عليه بدارين:

فجعل الطيبين أهل جواره، ومساكنته في داره دار السلام.

وجعل الخبيثين في دار الخبث والخبثاء والأشقياء دار البوار.

وأراد سبحانه أن يظهر لعباده وخلقه وملائكته، ما جعله في الأرض من خواص خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه، ومن يتقرب إليه، ويبذل نفسه في مرضاته ومحبته، مع مجاهدة شهوته وهواه ابتغاء مرضاته، لا كمن يعبده من غير معارض له، ولا شهوة تعتريه، ولا عدو سلط عليه كالملائكة.

وأيضا فإنه سبحانه أراد أن يظهر ما خفي على خلقه من شأن عدوه إبليس، ومحاربته له، وتكبره عن أمره، وسعيه في خلاف مرضاته.

وهذا وهذا كانا كامنين مستترين في أبي البشر آدم - صلى الله عليه وسلم -، وفي أبي الجن إبليس، فأنزلهم إلى دار أظهر فيها ما كان الله سبحانه منفردا بعلمه، لا يعلمه سواه، وظهرت حكمته وتم أمره، وظهر للملائكة من علمه ما لم يكونوا يعلمون.

وكذلك الله سبحانه لما كان يحب الصابرين، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الشاكرين، ويحب المتقين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا، وكانت محبته أعلى أنواع الكرامات.

اقتضت حكمته أن أسكن آدم وذريته دارا يأتون بها بهذه الصفات التي ينالون بها أعلى الكرامات من محبته، فكان إنزالهم إلى الأرض من أعظم النعم عليهم.

وأيضا فإنه سبحانه أراد أن يتخذ من بني آدم ذرية يواليهم ويودهم، **ويحبهم ويحبونه**، فمحبته لهم هي غاية كمالهم وشرفهم.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٢٦٩/٢

ولا يتحقق لهم ذلك إلا بموافقة رضاه، واتباع أمره، واجتناب ما يكره.

فأنزلهم دارا أمرهم فيها ونهاهم، ليقوموا بامتثال أمره، واجتناب نهيه، فينالوا درجة محبتهم له، ومحبته لهم.." (١)

"الضعف والخور.

فاقتضت حكمته أن أدخله الجنة، ليعرف النعيم الذي أعد له عيانا، فيكون إليه أشوق، وعليه أحرص، وله أشد طلبا.

واقتضت حكمته أن أراها أباهم آدم، وأسكنه إياها، ثم قص على بنيه قصته، فصاروا كأنهم مشاهدون لها، حاضرون مع أبيهم، فاستجاب من خلق لها وخلقت له، وسارع إليها، فلم يثنه عنها حب العاجلة، بل يعد نفسه كأنه فيها، ثم سباه العدو، فهو دائم الحنين حتى يعود إليها.

فكان إسكان آدم وذريته هذه الدار التي ينالون فيها الأسباب الموصلة إلى أعلى المقامات من إتمام إنعامه عليهم.

والله عز وجل جعل النبوة والرسالة، والخلة والتكليم، والولاية والعبودية من أشرف مقامات خلقه، ونهايات كمالهم، فأنزلهم دارا أخرج منهم فيها الأنبياء، وبعث فيها الرسل، واتخذ من اتخذ منهم خليلا، وكلم موسى تكليما، واتخذ منهم أولياء وشهداء وعبيدا، وخاصة **يحبهم ويحبونه**، وكان إنزالهم إلى الأرض من تمام الإنعام عليهم، والإحسان إليهم.

ومن تأمل آيات الله المشهودة والمسموعة ورأى آثارها علم تمام حكمته في إسكان آدم وذريته في هذه الدار إلى أجل معلوم.

فالله عز وجل إنما خلق الجنة لآدم وذريته، وجعل الملائكة فيها خدما لهم، ولكن اقتضت حكمته أن خلق لهم دارا يتزودون منها إلى الدار التي خلقت لهم، وأنهم لا ينالونها إلا بالزاد كما قال سبحانه: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (١٨) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون (١٩) وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (٢٠)﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠].." (٢)

"ومنها أن من أحب الله فإنه يتبع رسوله فيما جاء به، فيفعل ما أمر به، ويجتنب ما نهى عنه، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدب بآدابه.

ومنها أن المحبين لله يكونون أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله بالنفس والمال واليد واللسان، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، فلا يؤثر فيهم إزدراء الناس لهم، ولومهم إياهم كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤].

ومنها حب لقاء الله تعالى في الجنة، فمن أحب محبوبا أحب لقاءه، وهذا لا ينافي كراهة الموت.

ومنها أن يكون مؤثرا لما يحبه الله على ما تحبه نفسه.

ومنها أن لا يعصي الله، ومن أحب الله فلا يعصه، إلا أن العصيان لا ينافي أصل المحبة، إنما يضاد كمالها، وسببه أن المعرفة

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٢٧٠

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٢٧٤

قد تضعف، والشهوة قد تغلب، فيعجز عن القيام بأصل المحبة.

ومنها أن يداوم على ذكر الله، لا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه قلبه.

ومن اجتمعت فيه علامات محبة الله فقد تمت محبته، وصفا في الآخرة شرابه، ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه، فيمزج شرابه بشيء من شراب المقربين كما قال سبحانه: ﴿إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦)﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٦].

فقابل الخالص بالصرف. ثم قال: ﴿ومزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨)﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨].

فقابل المشوب بالمشوب.." (١)

"فالعبودية حقا كمال الحب لله .. مع كمال التعظيم له .. مع كمال الذل له:

﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤].." (٢)

"وبين الله عز وجل.

وعلامة صحة محبة الله:

الذل للمؤمنين .. الشدة على الكافرين .. الجهاد في سبيل الله .. عدم الخوف إلا من الله.

قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤].

والناس قبيل واحد تجمعهم الإنسانية، وهم إما أن يكونوا فضلاء أو نقصاء.

فالفضلاء تجب محبتهم لموضع فضلهم وحسن تقواهم، والنقصاء تجب رحمتهم لأجل نقصهم، فينبغي لمحب الكمال أن يكون رحيما لجميع الناس، متحننا عليهم، رؤوفا لهم، متوددا إليهم، خاصة الملك والراعي، فإن الملك لا يكون ملكا ما لم يكن محبا لرعيته رؤوفا بهم؛ لأنه بمنزلة رب الدار.

والمحبة والعدل من أسباب نظام الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة؛ لأستغنوا بها عن العدل، فالعدل خليفة المحبة، يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولهذا عظم الله المنة بإيقاع المحبة بين المسلمين كما قال سبحانه: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٦٣)﴾ [الأنفال: ٦٢،٦٣].

ومحبة العبد لله يدعيها كل أحد، لكن ينبغي ألا يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله، ما لم

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٠٢/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٩٧٧/٢

يمتحنها بعلامات تدل عليها.

فالمحبة شجرة طيبة في القلب، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح، وتدل تلك الآثار عليها كدلالة الدخان على النار، ودلالة النور على الشمس.." (١)

"ومن أسمائه سبحانه (الودود)، قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: (الودود) الحبيب (١).

وقال ابن القيم – رحمه الله -: (الودّ أصفى الحب وألطفه) (٢)، وقد قال تعالى عن أوليائه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٤).

إن كثيراً من الناس لا يعرف من العبادة إلا الأعمال الظاهرة، أما حال القلب وعمله وحبه وشوْقه وتعلّقه فقد لا يبالي أن ينصرف لأي وِجْهةٍ ويسلك أيّ سبيل لِقصور فهمه ونقص علمه، ولذلك فإن فَهْم معنى التعبّد والعبادة يبين الأمر على جليّته.

قال ابن القيم – رحمه الله -: (وأما التعبد فهو غاية الحب وغاية الذّل، يُقال: عَبَّدَه الحب – أي ذلّه -، وطريق مُعَبّدٌ بالأقدام – أي مُذلّل – وكذلك المحب قد ذلّه الحب وَوَطّأه، ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله عز وجل.

ولا يغفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادته ويغفر ما دون ذلك لمن

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٨٥) و (٦/ ٢٦٩٨).

(٢) روضة المحبين، ص (٤٧).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.." (٢)

"ترتدوا: (ولا ترتدوا على أدباركم) "٢١/المائدة "أي لا ترجعوا إلي ما كنتم عليه.

يرتد: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) "٥٤/التوبة" أي يتحول، وفي قوله تعالي: (لا يرتد إليهم طرفهم) "٤٣/إبراهيم" أي لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم كما كان يرجع كل لحظة، وكذلك المعني مثبتا فيما جاء في "٤٠/النمل " يرتدد: (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) "٢١٧/البقرة" أي من يتحول عن دينه.

ر د ف

٣ كلمات

١ - ردف الرجل يردفه وردفه يردفه.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣/٢٦٧٤

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين، عبد الكريم الحميد ص/٣٨

ردفا: ركب خلفه أو تبعه ولحقه.

ردف: (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) "٧٢/النمل" أي تبعكم ولحقكم، وعدي باللام لتأكيد وصول الفعل إلي المفعول أو لتضمين ردف معني دنا.

٢ – والرادفة: الواقعة أو النفخة التي تردف وتتبع الأولي.

الرادفة: (يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة) "٧/النازعات".." (١)

"عظيم فضل الله تعالى على عباده بالمسابقة إلى الطاعات والتوبة من السيئات

إن المسابقة إلى الله عز وجل وإلى طريق الله سبحانه أمر مرغوب فيه شرعا، فمنهم هؤلاء السابقون بالخيرات بإذن الله، وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى، يمن على من يشاء من خلقه، يعطيه الرزق ويمن عليه بالهدى، ويعطيه سماحة النفس ويمنعه شحها، فينفق في سبيل الله، ويخلف الله عز وجل عليه، ويعطيه الأجر من عنده، وكذلك إذا تاب الله عز وجل على عبد من عبيده فالتوبة من الله سبحانه، تاب عليه فألهمه أن يتوب، فتاب العبد فقبل منه.

فانظر إلى فضل الله وكرمه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ [التوبة:١١٨]، هم عصوا الله سبحانه وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أمرهم أن يخرجوا معه صلوات الله وسلامه عليه في غزوة تبوك، فإذا بهؤلاء الثلاثة يتخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، هؤلاء الثلاثة لما تخلفوا ظنوا أن الأمر واسع، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتب من الذي خرج ومن الذي لم يخرج؛ لأن الجيش عدده كبير فتخلف هؤلاء، فعصوا الله سبحانه، وعصوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم ورجع من الغزو، جاء المنافقون يعتذرون للنبي صلى الله عليه وسلم وكل منهم يبدي عذره، والنبي صلى الله عليه وسلم يقبل بالظاهر ويدع السرائر لله سبحانه وتعالى.

وجاء هؤلاء الثلاثة: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وكل منهم يقول: (يا رسول الله لم يكن لي عذر، فقال: أما هذا فقد صدق)، إذا: فهذا الذي صدق، من الذي ألهمه أن يصدق مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى الذي يلهم عباده أن يصدقوا وأن يتوبوا؟ هؤلاء الثلاثة صدقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخرهم، قال عن كعب: (أما هذا فقد صدق)، فأرجأه لأمر الله سبحانه وحكمه.

فهجره النبي صلى الله عليه وسلم، وهجره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم خمسين يوما وليلة حتى جاءت التوبة من عند الله سبحانه وتعالى.

فهؤلاء الثلاثة ألهمهم الله التوبة فتابوا، فصدقوا في توبتهم، فإذا به يتوب عليهم سبحانه وتعالى، ويعبر في كتابه بهذا التعبير العظيم الجميل يقول: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة:١١٨]، لم يقل: الذين تخلفوا مع أنهم تخلفوا حقيقة، ولكن الله عز وجل لا يعير بالذنب كرما منه سبحانه وتعالى، ولكن قال: (خلفوا) فالنبي صلى الله عليه وسلم خلفهم وأرجأهم لحكم

---

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ١٨٩/٢

الله سبحانه، حتى يقضي فيهم الله سبحانه وتعالى، ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [التوبة:١١٨]، الإنسان مع إخوانه **يحبهم ويحبونه** ويودهم ويودونه، لكن حين يهجره جميع إخوانه يصعب الأمر على نفسه، وتضيق عليه الدنيا، طالما أنه مؤمن فهو يحب صحبة المؤمنين.

أما الفاسق والكافر فإنه يستبدل بالمؤمنين الفجار والكفار والفسقة، لكن هؤلاء إيمانهم صادق، لذلك جلس كل منهم في بيته ينتظر أمر الله على ما فرطوا في دينهم، وما فرطوا في أمر الله سبحانه، فتابوا توبة نصوحا، فإذا بالله عز وجل يقبل منهم ذلك؛ لأن في قلوبهم حب الله وحب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وانظر إلى كعب بن مالك وقد ذهب يبحث عن ابن عمه أبي قتادة حتى وجده في حائط له داخل بستان، قال: فتسورت البستان، كأن الرجل من شدة ما هو فيه من غم لم ير باب البستان فتسور البستان من فوق السور، ودخل إليه ثم قال: السلام عليكم فلم يرد عليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم منعهم من الكلام مع هؤلاء الثلاثة، فقال: ألا تعلم أني أحب الله ورسوله، فلم يرد عليه، فأقسم عليه قال: الله أعلم، ولم يزد على ذلك.

فكأن الدنيا قد أظلمت في عينيه فرجع إلى بيته وهو يتوسل إلى ربه ويتوب إليه سبحانه، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى التوبة على هؤلاء، فتاب عليهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليهم يبشرهم بتوبة الله عز وجل عليهم، فقرأ عليهم قول الله سبحانه: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ [التوبة:١١٨] أي: ليس لهم ملجأ من الله سبحانه يفرون منه إلا إليه ﴿ثم تاب عليهم﴾ [التوبة:١١٨]، فالله سبحانه ألهمهم أن يتوبوا إليه، ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة:١١٨] أي: ليظهروا توبتهم إلى الله عز وجل فيقبل منهم، ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ [التوبة:١١٨]، سبحانه وتعالى.

فالله صاحب الفضل على عباده، يلهمهم الإحسان ثم يحسن إليهم، ويجازيهم على ذلك سبحانه وتعالى، قال: ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر:٣٢]، أي: إن فعلك الخير ليس من عند نفسك، ولكن بتوفيق الله سبحانه، وانظر إلى قول شعيب النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود:٨٨]، فهو يدعو الله أن يوفقه إلى رضوانه سبحانه.

وكذلك كل إنسان لا يوفقه إلا الله سبحانه وتعالى، فاعرف الفضل لصاحبه، ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ [فاطر:٣٢] أي: الفضل من الله عز وجل أن من على هذه الأمة بأن أورثهم هذا القرآن العظيم وجعلهم من أهله، وجعلهم يعملون به، والفضل من الله أن يتوب عليهم وأن يدخلهم جنته، والفضل عليهم أن جعل منهم السابقين، والسابقون هم أعلى ما يكون عند رب العالمين سبحانه وتعالى.." (١)

"استدلال العلماء بهذه الآية على الرد على الرافضة

هذه الآية يرد بها على الرافضة الشيعة في قضية معينة مهمة، فعلى أن هؤلاء القوم بنو حنفية، فإن هذه الآية تدل على صحة خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه؛ لقوله تعالى: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون) أي: في المستقبل (إلى قوم

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٨/٣٠٧

أولي بأس شديد): وهم بنو حنيفة (تقاتلونهم أو يسلمون) أي: تقاتلونهم أو يسلمون، وهل يمكن أن يكون هؤلاء هم الروم أو الفرس؟ هذا التخيير هل يمكن أن يحمل على الروم أو الفرس؟ قوله: (تقاتلونهم أو يسلمون) هذا حكم من لا يقبل منهم الجزية، أما أهل الكتاب فتؤخذ منهم الجزية، فإذا هذه عارضة، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فإن تطيعوا﴾ [الفتح:١٦] يعني: الإمام الذي يدعوكم إلى قتال هؤلاء القوم الذين هم بنو حنيفة.

﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾ [الفتح:١٦] فهذه الآية تحرض على طاعة الخليفة الذي يأمرهم بقتال هؤلاء القوم، وتبين أن خلافته عند الله خلافة صحيحة، وبهذه الآية يرد على الرافضة -قبحهم الله- في طعنهم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه؛ فإن قتال المرتدين من بني حنيفة وغيرهم كان تحت راية أبي بكر رضي الله تعالى عنه، ولو كان قتال أبي بكر لهم غير شرعي لكان ما يترتب عليه باطل، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه تسرى بامرأة من سبي بني حنيفة في هذا القتال، وولدت له محمد بن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب لكن اشتهرت نسبته إلى أمه، فكون علي أمير المؤمنين نفسه يستفيد من نتائج قتال بني حنيفة ويعتبره شرعيا، ويبني عليه أن هذا السبي وقع صحيحا، ويتسرى بهذه المرأة الحنفية؛ فهو دليل آخر يبطل ضلال الشيعة وعدوانهم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

(تقاتلونهم أو يسلمون) وفي بعض القراءات: تقاتلونهم أو يسلموا، يعني: (أو) ستكون في هذه القراءة بمعنى: حتى يسلموا، قال القرطبي رحمه الله تعالى: تقاتلونهم أو يسلمون هذا حكم من لا تؤخذ منهم الجزية وهو معطوف على تقاتلونهم أي: يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة، وإما الإسلام، لا ثالث لهما.

وفي حرف أبي أو يسلموا بمعنى: حتى يسلموا، كما تقول: كل أو تشبع، يعني: كل حتى تشبع، وقال امرؤ القيس: فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذر قال الزجاج: قوله تعالى: (أو يسلمون) لأن المعنى: أو هم يسلمون من غير قتال، وهذا في قتال المشركين لا في أهل الكتاب.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تبارك وتعالى: في هذه الآيات دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، وهي كآية سورة النور: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ [النور:٥٥]، فالخطاب كان للمؤمنين الحاضرين في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وقت النبوة، ولم يقع هذا الاستخلاف إلا في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم.

وأيضا: تأملوا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤]، فهذا كله مدح لمن يقاتل المرتدين، وأول من قاتل المرتدين أبو بكر رضي الله تعالى عنه والصحابة.

يقول القرطبي: في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم؛ لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وأما قول عكرمة وقتادة: إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا؛ لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قال: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾

[التوبة:٨٣]، فدل على أن المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، فيبعد أن نقول: هم غطفان وهوازن يوم حنين؛ لأن هؤلاء المخلفين حرموا من شرف مصاحبة النبي عليه السلام في القتال طول حياتهم، لكن فتحت لهم فرصة بعد ذلك مع أبي بكر وعمر، فهذا مما يرجح القول بأن الذي سيدعوهم إلى القتال ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم، بدليل أنه قال: ((فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا))، وهذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وهذا يدل على أن المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم للقتال بعد النبي عليه السلام إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الزمخشري: فإن صح ذلك عن قتادة فالمعنى لن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين، أو على قول مجاهد: كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم، يعني: قوله (لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) في تفسير مجاهد يعني: إلا متطوعين ولا يكون لكم نصيب في الغنيمة.

إذا: هذه الآية من الآيات التي يستفاد منها في الرد على الشيعة قبحهم الله سبحانه وتعالى! ومما يؤسف له أننا نسمع كلاما بين الوقت والآخر موجعا وأليما، حينما نرى أناسا ليسوا من العوام لكنهم من الخواص، ومع ذلك ما زالوا حتى الآن يمجدون الشيعة، وأعرف بعض الصحفيين المشهورين جدا في إحدى جرائد المعارضة ما زال بين وقت وآخر يمدح الشيعة والحكومة الإسلامية في إيران، مع أنه نفسه يقر أن الشيعة فيهم كذا وكذا وكذا؛ لأنه ذهب إلى هناك ورأى بعدهم عن الإسلام وإلحادهم في دين الله سبحانه وتعالى، فيكفي جهلا أننا حتى الآن لا نعرف عدونا الحقيقي، ولا نعرف أن هؤلاء الشيعة من أخطر الناس على الإسلام والمسلمين، حتى الآن ما اكتشفتم ذلك؟! قد صدرت مئات الكتب تفضح الشيعة، وتبين خبثهم وعداءهم للدين وللإسلام، وأنهم عقبة أمام الإسلام ودعوة الإسلام، وأنهم منحرفون عن الدين، ليسوا على ديننا، هم على دين آخر، فالشيعة منحرفون انحرافا كاملا عن الدين، وليسوا كما يقول الخداعون المضللون الذين يخدعون الشباب فيقولون: إن مذهب هؤلاء مثل المذهب الحنبلي والشافعي والمالكي، هم أبعد من المعتزلة والأشاعرة وغيرهما من الفرق الضالة، فالذي يقول: هم مثل أي مالكي أو حنبلي أو حنفي، فقد كذب على الله سبحانه وتعالى في هذا الكلام، ولا يعفيهم من هذا الافتراء إلا أن يكونوا جهلة غارقين في الجهل، فحينئذ نرجو لهم العفو والمغفرة إن كان أحدهم جاهلا، أما أن يكون عالما ويقول هذا الكلام فهذا في الحقيقة عدوان على أنصع وأهم وأخطر حقائق الإسلام.

فالشيعة يطعنون في القرآن، والشيعة يكفرون الصحابة إلا ثلاثة، كل الصحابة عندهم مرتدون! وموقفهم من الشيخين معروف، فدينهم كله قائم على اللعن والسباب والشتم، وبعض الناس من شدة الاستغراق العاطفي والحماس الوجداني – عندهم حاجة يسمونها في علم النفس الإنكار– غير مصدق؛ لأن عنده نوعا من الهروب من مواجهة الوضع، كما تأتي لرجل وتقول له مثلا: أبوك مات، فيقول لك: أنت كذاب، لا يتحمل الخبر لقوة الصدمة، فيقابل الخبر بالإنكار كنوع من الحيل الدفاعية، ويخفف على نفسه بهذا قبل أن يفيق، ويتعامل مع الواقع، لكن نحن طولنا جدا في موضوع الإنكار، مثل المريض عندما يأتي إلى الدكتور فيقول له: يا عم! أنت عندك أعراض مرض السكر، اذهب اعمل تحليلا، فهو لا يعمل التحليل ويتمادى ويتأخر فيه، لأنه يخاف أن يكون عنده سكر! فكذلك بعض الناس يخاف أن يبحث المسألة فيجد أن

الشيعة -لأنه أصبح متعلقا بهم- مجرمون ملحدون منحرفون عن الدين، فهو لا يحب أن يتعب نفسه ويبحث.
الثورة الخمينية كانت سنة ١٣٧٩ تقريبا، وإلى الآن إلى عام (١٤٢٠) مازلنا في حالة الإنكار، ولا نريد أن نعرف حقيقة القوم، وأنهم ضالون منحرفون عن الدين مع أن العلماء مازالوا يحذرون منهم، والواقع قد كشفهم وكشف عداءهم للإسلام وطعنهم في الدين، فهذا شيء غريب جدا! فبعض الناس يفتتن بأشياء تلمع، فهم يحبون أن يفتخروا بـ الخميني في موقفه من سلمان رشدي، فنقول لهم: وموقفه من أبي بكر وعمر وعائشة والمهاجرين والأنصار؟! وما موقفه من القرآن الكريم؟! وهو يرى أن دعاء الحجر أو الشجر عملا باطلا لكن لا يحرم! هل هذا الخميني ليس بمشرك وهو يجيز أن تسأل أو تدعو وتعلق قلبك بحجر أو شجر؟! أين موقفك من الخميني وهو يقول: إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا -الاثني عشر- مقام معلوم، ومنزلة سامية، لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل؟! هذا في كتابه: الحكومة الإسلامية، وبعض الإخوة السذج عندما كنا نقول لهم هذا الكلام يقول: الطبعة هذه مزورة، يعني: طبعة كتاب الحكومة الإسلامية مزورة، يقول هذا الكلام ويستميت في الدفاع عن الخميني! فالشاهد أننا ما زلنا في حالة إنكار للواقع، ونحاول أن نهرب من موا." (١)
"تفسير قوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله)
قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة:٢٢] إلى آخره.
((من حاد الله ورسوله))، أي: شاقهما وخالف أمرهما، يعني: لا تجد قوما جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين مودة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع، ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز من مخالطتهم ومعاشرتهم.
يعني: ((لا تجد قوما)) أسلوب خبري؛ لأن (لا) هنا نافية وليست ناهية؛ لكنه ظاهره النفي ومراده النهي، كقوله: (لا ضرر ولا ضرار) وقوله: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [البقرة:١٩٧] فهذا خبر لكن المقصود به: (لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا) فالمقصود هنا: أن هذا من شدة تأكده ولزومه على المؤمنين، كأنه لا يمكن أن تجد مؤمنا يحب الله ورسوله يجمع بين الإيمان ومودة أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم، فالمراد بنفي الوجدان نفي المودة، يعني: لا توادوهم أبدا، على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية في التصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز من مخالطتهم ومعاشرتهم.
وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله: ((ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم)) إلى آخره.
((ولو كانوا آباءهم)) يعني: آباء الموادين، والضمير في (كانوا) لمن حادوا الله ورسوله، يعني: ولو كان هؤلاء الذين حادوا الله ورسوله آباءهم أو أبناءهم إلى آخره، ونلاحظ هنا جمعا وإفرادا، الإفراد بقوله: (حاد الله) وفاعله ضمير تقديره هو، يعود إلى

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٣/١٣٠

(من) فالإفراد بالنظر إلى اللفظ، ثم باعتبار المعنى فقال: ((ولو كانوا آباءهم)) فلذلك يقول القاسمي رحمه الله تعالى: والجمع باعتبار معنى (من)، كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها، فإن قضية الإيمان هجر المحادين.

((أولئك)) إشارة إلى الذين لا يوادونهم ((كتب في قلوبهم الإيمان)) أي: أسسه فيها ((وأيدهم بروح منه))، أي: بنور وعلم ولطف حيت به قلوبهم في الدنيا، وأشار إلى مآلهم في الآخرة بقوله: ((ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون))، أي: الناجحون الفائزون بسعادة الدارين.

يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر: ((لا تجد قوما)) والمراد بها الإنشاء، وهذا للنهي البليغ والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى وأوكد من إيراده بلفظ الإنشاء كما هو معلوم بمحله.

ومعنى قوله: ((يوادون من حاد الله ورسوله))، أي: يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وما جاء في هذه الآية من النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله جاء موضحا في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة:٤].

أكاد أجزم والله تعالى أعلم لو أن هؤلاء المؤمنين إبراهيم والذين معه عاشوا في عصرنا لقيل لهم: أنتم متطرفون وإرهابيون إلى آخر هذه القائمة من الشتائم المعروفة.

فحقيقة ما يحصل الآن هو غسيل مخ للمسلمين في ظل نظام العولمة، وهذا يهدم أصلا أصيلا من أصول الإيمان بعد التوحيد مباشرة، وهو حق من حقوق التوحيد، ألا وهو قضية الولاء والبراء؛ فالآن تجري عملية تغريب عن طريق بث هذه الأفكار المسمومة، وليس التغريب بمعنى التبعية للغرب كما هو شائع، لكن التغريب زيادة غربة الإسلام بين أهله، حتى أن الذي يقول هذا الكلام أصبح إنسانا شاذا متطرفا مهووسا مجنونا يريد الفتنة، ويريد كذا وكذا.

فهذه زيادة غربة الإسلام بإشاعة المفاهيم المسمومة حتى تزداد غربة المفاهيم الصحيحة، ويصبح القائم بها هو الشاذ المتطرف الإرهابي.

ويقول تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩]، الآن نحل محلها الأخوة الإنسانية، وحقوق الإنسان، إلى آخر هذه المصطلحات.

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ [التوبة:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة:٧٣].

وقوله هنا في هذه الآية الكريمة: ((ولو كانوا آباءهم)) زعم بعضهم أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قائلا: إنه قتل أباه كافرا يوم بدر أو يوم أحد.

وقيل نزلت: في عبد الله بن عبد الله بن أبي وزعم من قال ذلك أن عبد الله استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه

عبد الله بن أبي فنهاه.
وقيل نزلت: في أبي بكر، وزعم من قال ذلك أن أباه أبا قحافه سب النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه فضربه ابنه أبو بكر حتى سقط.
((أو أبناءهم)) زعم بعضهم أنها نزلت في أبي بكر حين طلب مبارزة ابنه عبد الرحمن يوم بدر.
((أو إخوانهم)) زعم بعضهم أنها نزلت في مصعب بن عمير، قالوا: قتل أخاه عبيدة بن عمير؛ وقال بعضهم: مر بأخيه يوم بدر وقد كان يأسره رجل من المسلمين، فقال: شدد عليه الأسر، فإن أمه ملية وستفديه.
((أو عشيرتهم)) قال بعضهم: نزلت في عبيدة بن الحارث بن المطلب وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما قتلوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة في المبارزة يوم بدر وهم بنو عمهم؛ لأنهم أولاد ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وعبد شمس أخو هاشم كما لا يخفى.
((أولئك كتب في قلوبهم الإيمان))، أي: ثبته في قلوبهم بتوفيقه.
وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تثبيت الإيمان في قلوبهم جاء موضحا في قوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة﴾ [الحجرات:٧ – ٨].." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)
قال تعالى: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ [الجمعة:٣].
قوله: (وآخرين) معطوف على الأميين، أي: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم وبعثه في آخرين من غير الأميين الذين كانوا موجودين في زمن بعثته عليه الصلاة والسلام، ومن يأتي بعدهم.
فهذه إشارة إلى عموم رسالته، وأنها تشمل الذين سوف يدخلون في الإسلام فيما بعد، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن يدخل في الإسلام إلى يوم القيامة كما فسره مجاهد وغيره واختاره شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى.
فإذا: هذه بشارة بانتشار الدين في الآفاق كلها، وأن الإسلام سوف يعم البشرية فيما بعد.
قال الرازي: فالمراد بالأميين: في قوله (هو الذي بعث في الأميين) العرب، والمراد بالآخرين في قوله: (وآخرين منهم) سواهم من الأمم.
وجعلهم منهم فيه إشارة إلى رابطة العقيدة، وأنها تجعل المسلم أولى الناس بأخيه المسلم، وأن رابطة الدين تكون فوق رابطة الجنس والنسب، فالمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة:٧١].
هناك إعراب آخر لقوله تعالى: (وآخرين) فإنه يجوز أن يكون معطوفا على الأميين كما مر معنا، والقول الآخر: أن يكون معطوفا على الضمير (هم)، في قوله: (يعلمهم ويزكيهم) بمعنى: يعلمهم ويعلم الآخرين من المؤمنين؛ لأن التعليم إذا تناسق

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/١٦٢

إلى آخر الزمان كان كله مسندا إلى أوله، فكأنه هو الذي تولى كل ذلك، فهو علم الصحابة، والصحابة علموا التابعين، ثم التابعون علموا الأمم، وهكذا صار العلم ينتقل من جيل إلى جيل، لكن هذا العلم إذا تناسق في سلسلة متصلة من أهله وطلابه إلى آخر الزمان، فهو في الحقيقة مسند إلى أوله، فمن الذي علم العلماء في زمننا وقبل زمننا وبعد زمننا إلى أن تقوم الساعة؟ إنه النبي عليه الصلاة والسلام، فيصدق عليه أيضا أنه الذي يزكيهم كما علمهم.

أيضا هناك إشارة إلى نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤] فقوله تعالى: ((فسوف يأتي الله بقوم)) يساوي قوله: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ [الجمعة:٣].." (١)

"تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**)

قال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤].

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد) أو (من يرتدد) قراءتان (من يرتد) بالإدغام أو (من يرتدد) بالفتح، ومعناه الردة، أي: يرجع إلى الكفر.

وهذا إخبار بما علم الله سبحانه وتعالى وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

(فسوف يأتي الله بقوم) سوف يأتي الله بدلا عنهم إن هم تركوا دينهم وارتدوا عنه (بقوم **يحبهم ويحبونه**) قال صلى الله عليه وسلم: (هم قوم هذا) وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه.

(أذلة على المؤمنين) يعني: يعطفون على المؤمنين.

(أعزة على الكافرين) أي: أشداء على الكافرين.

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) يعني: يتلقون اللوم من الكفار على مناصرة المسلمين، أما المؤمنون إذا جاهدوا فإنهم لا يخافون أن يلومهم الكفار؛ لأنهم نصروا أهل التوحيد.

(ذلك) أي: ذلك المذكور من الأوصاف: (فضل الله).

(يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)، وقوله: (واسع) أي: كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله.

فلما نهى تعالى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى، وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين؛ لأنه قال: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) يعني: يرتد عن دينه بموالاتهم وموافقتهم في عقائدهم، إلى قوله: (حبطت أعمالهم) شرع هنا في بيان حال المرتدين على الإطلاق، ونوه بقدرته العظيمة، فأعلم أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله سيستبدل به من هو خير لذلك منه، وأشد منعة وأقوم سبيلا؛ لأن هذا المعنى لابد من أن نستحضره في أحلك الظروف التي نمر بها، وفي كل عصر من عصور الدعوة الإسلامية، فلابد من أن نستحضر مهما علت كلمة الكفر وعتى الكافرون في الأرض

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/١٧١

عتوا كبيرا قدرة الله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل قادر على إهلاكهم بكلمة (كن).
فكل من على وجه الأرض من الجن والإنس يمكن أن يكونوا على أتقى قلب رجل واحد، والله قادر على ذلك، فبكلمة (كن) يكون كل العباد كالملائكة، أو كل قلوبهم تكون كقلب محمد عليه الصلاة والسلام الذي هو أتقى قلب في البشر أجمعين.
فالله قادر على هذا، وقادر على أنه كلما جاء للمسلمين أحد يهاجم الإسلام أو يشتم الإسلام يحترق في الحال، ويمكن أن يحصل ذلك بين وقت وآخر، لكن هل هو قاعدة مطردة؟ لا، والملائكة تستطيع أن تمزق أعضاء الكافر، لكن الحياة إذا صارت على هذا المنوال ستلغى حكمة التكليف، والناس جميعهم سيكتشفون أن الإسلام هو دين الحق، لكن نحن في دار ابتلاء وامتحان، فنحن نتعبد بالبحث عن الحق والتحري عنه، ونتعبد بأن تزين صورة الباطل وتعلو كلمته أحيانا، ويضطهد المؤمنون أحيانا، ويصيب المسلم الفقر أو المرض أو نحو ذلك من البلاء؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، والنتيجة تظهر هناك، فلابد من أن نستحضر دائما أن الله سبحانه وتعالى قادر بكلمة (كن) المكونة من حرفين على أن يقلب كل هذه الأوضاع.
فهذا الظلم الذي يحصل للمسلمين في كل مكان من مجازر في البوسنة والهرسك وفي فلسطين وغير ذلك، وهذا العلو الكبير في الأرض لأعداء الله اليهود الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرفع ذلك ويبيد اليهود فلا يبقي منهم واحدا على ظهر الأرض، لكننا في دار الابتلاء كما قال عز وجل: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء:٣٥] أي: فناحسبكم.
فكل الذي نحن فيه الآن ابتلاء واختبار، كما قال عز وجل: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت:١ - ٣] اختبار وابتلاء وامتحان.
فكذلك هنا يقول الله تبارك وتعالى: ((يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم)) فالله غني عنكم أجمعين ((فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه))**، وانظر إلى العظمة! بدأ بقوله: (يحبهم) قبل (يحبونه)، وطبع الإنسان أنه يحب من أحسن إليه، فيحب العبد الله سبحانه وتعالى لاتصافه بالكمال والجمال والجلال، ونحبه -أيضا- لما بسط من النعم التي أفاض بها علينا.
يقول تعالى: ((فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)) ومعنى الآية أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله سيستبدل به من هو خير للدين منه، وأشد منعة وأقوم سبيلا، كما قال عز وجل: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ [النساء:١٣٣]، ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز﴾ [إبراهيم:١٩ - ٢٠]، فليس ذلك بصعب ولا على قدرة ممتنع الله عز وجل.
وهذه الآية من الكائنات التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها في القرآن قبل أن تقع، فقد وقع المخبر به فكان معجزة، فقد روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة، منها ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك الفرق هي: بنو

مدلج، ورأسهم ذو الخمار الأسود العنسي، وبنو حنيفة قوم مسيلمة، وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد، وفزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وبعض تميم وكندة، وبنو بكر بن وائل، وغسان.

وهؤلاء وإن كانوا يوصفون بأنهم أهل ردة إلا أن كلمة الردة في تلك الفترة -فترة أبي بكر رضي الله عنه- كانت تطلق على طائفتين: طائفة أصحاب ردة حقيقية، وهم الذين ارتدوا عن الإسلام كـ مسيلمة الكذاب وغيره، وهؤلاء عدلوا إلى الكفر كما ذكرنا.

أما الصنف الآخر فهم الذين يطلق عليهم وصف الردة تغليبا، وليسوا مرتدين، وإنما هم بغاة، فهم: مسلمون لكنهم بغاة خرجوا بالقوة على الإمام الحق، وهم الذين فرقوا بين الصلاة وبين الزكاة فأنكروا وجوبها، وقالوا: إن الزكاة تؤدى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم﴾ [التوبة:١٠٣] فإذا مات الرسول عليه الصلاة والسلام فلن نؤديها إلى الخليفة بعده.

وهذا وقع منهم بتأويل، فهؤلاء -على الحقيقة- هم أهل البغي، وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمن خصوصا لدخولهم تحت اسم أهل ردة، وإن لم يكونوا في الحقيقة مرتدين؛ لأن الردة أعظم الأمرين وأخطرهما، وكذلك أطلق الاسم على هذه الحروب عموما.

قوله تعالى: ((**يحبهم ويحبونه**))، صفة المحبة حينما تسند إلى الله سبحانه وتعالى تكون ثابتة له عز وجل بلا كيف وبلا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها، ونلاحظ في السيوطي دائما أنه يفسر هذه المحبة بالإثابة، فيقول: (يحبهم) يعني: يثيبهم! والزمخشري أول هذه المحبة فقال: (يحبهم) أي: يثيبهم أحسن الثواب، بتعظيمهم، والثناء عليهم، والرضا عنهم.

وهذا تفسير باللازم، فهذا هو لازم المحبة، وليس هو المحبة؛ لأن الإثابة هي ثمرة ولازم المحبة، فإذا أحبهم الله أثابهم، فهذا منزع كلامي، وليس منزعا سلفيا.

كذلك أيضا أنكر الزمخشري كون محبة العباد لله حقيقية، قال: (يحبونه) يعني: يطيعونه ويطلبون مرضاته.

وهذا خلاف الظاهر، فمحبة العبد ممكنة، وهي واقعة من كل مؤمن، وهي من لوازم الإيمان وشروطه، والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم، فليست المحبة معناها الطاعة؛ فإذا العبد أحب الله فالطاعة لازم وثمرة هذه المحبة، فلنثبت محبة العبد لله، ولا داعي للتأويل الذي يذكره هؤلاء، ألا ترى إلى حديث الأعرابي الذي سأل عن الساعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير عمل، ولكن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فقال عليه الصلاة والسلام: أنت مع من أحببت).

فالحديث يفهم منه أن المحبة غير الأعمال، فلا يصح تفسير (يحبونه) بمعنى: يعملون الأعمال الصالحة.

فهم يحبونه، ومن ثمرة المحبة أنهم يطيعونه ويعملون له الأعمال الصالحة، وهناك الحديث المشهور: (إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: يا جبريل! إني أحب فلانا فأحبه.

فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه.

ثم يوضع له القبول في الأرض).

وهذا كله يفسد هذا التأويل الكلامي.

يقول تعالى: ((أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)) هذه صفة المؤمنين الكمل، وهي أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩].

قال عز وجل هنا أيضا: ((ولا يخافون لومة لائم)) فهذه الآية تدل على أنهم يجاهدون في سبيل الله، وأنهم صلاب في دينهم، فإذا شرعوا في أمر من أمور الدين كإنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة، لا يرعبهم قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لومة لائم.

واللومة هي المرة من اللوم، وفيه مبالغة، كأنه قيل: لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام.

وقيل: قوة التمسك بالحق جعله." (١)

"تفسير قوله تعالى: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم)

قال تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ [الكهف:٦].

قوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾، أي: مهلك نفسك، ﴿على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾، أي: بهذا القرآن، (أسفا) أي: للتأسف على توليهم وإعراضهم عنه، والأسف: فرط الحزن والغضب.

و (لعل) للترجي وهو الطمع في الوقوع أو الإشفاق منه، يقول القاسمي: (لعل) هنا استعارة.

أي: وصلت إلى حالة يتوقع منك الناس ذلك، فمن شدة شفقته على الكافرين المعرضين عن القرآن الكريم، والذين سوف يهلكون بالنار إن استمروا على هذا الكفر، وصل إلى حالة يتوقع المشركون أنه سيموت غما وأسفا وحزنا وأسى.

إذا (لعل) تكون للترجي؛ لكن ليست هنا للترجي، بل للطمع في الوقوع أو الإشفاق منه، أي: وصلت إلى حالة يتوقع منك الناس أنك مهلك نفسك بسبب هذا الحزن لما يشاهد من تأسفك على عدم إيمانهم، وفي النظم الكريم استعارة تمثيلية بتسجيل حاله معهم وقد تولوا وهو آسف من عدم هدايتهم بحال من فارقته أحبته فهم بقتل نفسه، أو كاد يهلك وجدا عليهم وتحسرا على آثارهم.

فكل ذلك كما قال القاسمي: إن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه، ولما كان صلى الله عليه وسلم حبيب الله، ومن لوازم محبوبيته محبته لله لقوله تعالى ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، وكلما كانت محبته للحق أقوى كان شفقته ورحمته على خلقه أكثر؛ لكون الشفقة عليهم ضمن محبته لله، وأشد تعطفه عليهم، فإنهم كأولاده وأقاربه بل كأعضائه وجوارحه في الشهود الحقيقي، فلذلك بالغ في التأسف عليهم حتى كاد يهلك نفسه عليه الصلاة والسلام، فهو لا يسألهم أجرا ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا، إنما يريد لهم السعادة والنجاة، ويشفق عليهم من عذاب الله، كما صرح صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، فقال في الحديث المتفق عليه: (إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا،

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/٤٣

فجعل الجنادب والفراش يقعن فيه، فأخذ يذبهن بيده وهن يتقحمن فيها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي).

هذا تصوير لحاله صلى الله عليه وسلم مع الخلق، فهو من شدة الشفقة والرحمة لهؤلاء الخلق يشفق عليهم من العذاب فمن هلك يهلك رغما عنه، وهو يحاول أن ينقذه بقدر الاستطاعة صلى الله عليه وسلم، فشبه حاله بحال رجل أوقد نارا في الظلام، والفراشة ليس لها عقل فإذا رأت ضوءا في الظلمة، ظنته كوة تنفذ إلى الضياء في الخارج، مثل أي نافذة في غرفة مظلمة تنفذ إلى نور الشمس في الخارج، فتريد أن تخرج إلى الضياء فتنجذب إليه، فإذا نفذت ظنت أنها قد بعدت عن هذه الفتحة، فتعود من جديد لهذا الضوء، فإذا بها تطالها النيران وتحرقها، فهذا الرجل من شدة شفقته على هذا الفراش الذي ليس عنده عقل، جعل يذبهن بيده؛ فيشبه النبي عليه الصلاة والسلام نفسه مع هذه الأمة –أمة الدعوة– أنه واقف على شفير جهنم، وهم يندفعون إليها بأقصى قوتهم، ويلقوا أنفسهم في النار وهو مشفق عليهم من هذا المصير، فجعل يذبهم ويدفعهم بيده، ليمسك بهم بأي طريق، ولو عشوائية.

(وأنا آخذ بحجزكم عن النار)، الحجزة: موضع الخصر وفيها مركز ثقل الإنسان، فهو يحاول أن يمسكهم لأجل أن ينقذهم من النار، لكنهم يقاومونه ويلقون بأنفسهم في النار، فهذه صورته عليه الصلاة والسلام التي وصلت إلى حد أنه يكاد يهلك من شدة الحزن والشفقة عليهم أن يهلكوا في النار؛ فهل توجد رحمة بالبشرية أعظم من هذه الرحمة؟ لا توجد على الإطلاق، ولذلك فإن عدو البشرية كلها هو الذي يشوه الإسلام أو يصد الناس عنه، لأنه يحرمهم من أعظم حق من حقوق الإنسان.

هؤلاء الضالون الكفرة: أمريكا ومن معها يتعلقون بشماعة حقوق الإنسان لاستذلال الأمم وقهرها، لكنهم أفلسوا تماما، فأعظم حق من حقوق الإنسان أن لا يحال بينه وبين السعادة الأبدية وأن ينقذ من الموت، ومن الخلود فيها، والحياة في النار عذاب أليم بشع شنيع بلا نهاية، قال النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه النار: (ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم)، يعني: نار الآخرة أقوى من النار التي في الدنيا سبعين مرة، هل الإنسان يطيق حمل كوب من الشاي؟ لن يستطيع الإنسان، هل سيقرب بدنه إلى النار بواحد على سبعين، فما بالك بهذا العذاب الرهيب الذي وصفه الله سبحانه وتعالى، وهذا كلام حقيقي وسيقع قطعا، فالنار موجودة الآن وتنتظر سكانها والعياذ بالله.

فالشاهد أن الموضوع خطير، والدعوة الإسلامية ما هي إلا إنقاذ للبشرية، وكما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن، وأرسل الرسول وجاهد الصحابة لحمل هذا النور إلى العالمين، فيحاول هؤلاء الكفار أن يطفئوا نور الله سبحانه وتعالى بكل الأساليب القذرة، تارة بتسليط خبيث مصر سلمان رشدي، وتارة بالتشنيع على الإسلام ليل نهار، والإعلام الآن في العالم كله معه، ليس له شغل غير التشنيع على الإسلام والغمز واللمز، وتسليط وكلائهم ونوابهم من العلمانيين والصحفيين الفجرة بالطعن في الدين ليل نهار، كل هؤلاء يتآمرون على البشرية، وهم يضيعون أعظم حق من حقوق الإنسان وهو –على الأقل– أن يطلع على الإسلام في صورته الصحيحة، لكنهم يشوهون لأنهم (يبغونها عوجا) يصورون (سبيل الله) على أنها طريقة معوجة.

هذا كله جريمة في حق البشرية كلها؛ لأنه وضع حواجز دون إنقاذ الناس من النار، ودون الفوز بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة، فهل هناك حق للإنسان أعظم من هذا؟ هؤلاء هم الذين يضيعون حق الإنسان.

فانظر إلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء القوم مع كفرهم، قال تعالى: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ [الزخرف:٧٤ - ٧٥]، لا يخفف عنهم أبدا، وقال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف:٧٧]، أعظم أمنية أن يموتوا حتى يتوقف العذاب، ولكن انظر إلى
A ﴿ قال إنكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ [الزخرف:٧٧ - ٧٨].
فإذا المصير خطير جدا، الدنيا أيام وتنقضي مهما طال العمر، ثم يكون الإنسان إما إلى الجنة في سعادة أبدية، وإما في شقاء أبدي لا يتوقف، فلو قلنا حضارة فرعون لها سبعة آلاف سنة إلى الآن، وقال تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) [غافر:٤٥ - ٤٦]، ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٦] فمعناه أنه منذ سبعة آلاف سنة وهو يعرض غدوا وعشيا على النار، وكم عاش، وكم كان عمره؟ مائة سنة، مائتين سنة، فالعذاب أطول بكثير، ثم انظر إلى الخلود؛ لأنه كان ينوي الكفر إلى الأبد، ولذلك عاقبه الله بعذاب مؤبد بلا نهاية، فالأمر جد خطير، ولذلك أوصي نفسي وإخواني بأن يتأملوا قليلا في قوله: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ [الجن:٢٣] سواء كانت في حق أهل الجنة أو في حق أهل النار؟ فالأمر في غاية الخطورة، ولو أن الإنسان تفكر فيه لما أكل ولا شرب ولا نام ولا هناه عيش.
قوله عز وجل: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم).
يقول الشنقيطي: اعلم أولا أن لفظة (لعل) تكون للترجي في المحبوب، وللإشفاق في المحذور، واستظهر أبو حيان في البحر المحيط: أن لعل في قوله تعالى: (فلعلك باخع نفسك)، للإشفاق عليه صلى الله عليه وسلم أن يبخع نفسه لعدم إيمانهم به.
يعني كأن ربنا سبحانه وتعالى يقول له: أنت تهلك نفسك شفقة عليهم، فليست (لعل) للشك، وإنما هي مقدرة بالاستفهام الذي يعنى به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتل نفسك؟ لا ينبغي أن يطول أسفك على إعراضهم فإن من حكمنا عليه بالشقوة لا تجدي عليه الحسرة.
وقال بعضهم: إن (لعل) في الآية للنهي، وممن قال به العسكري، وعلى هذا فالمعنى: لا تبخع نفسك لعدم إيمانهم، وقيل: هي في الآية للاستفهام المضمن معنى الإنكار.
يقول الشنقيطي: وأظهر هذه الأقوال عندي في معنى (لعل): أن المراد بها في الآية النهي على الحزن عليه.
يقول: إن إطلاق (لعل) مضمنة معنى النهي في مثل هذه الآية أسلوب عربي يدل عليه سياق الكلام، ومن الأدلة على أن المراد بها النهي عن ذلك: كثرة ورود النهي صريحا عن ذلك، كقوله تعالى: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [فاطر:٨])، ويقوي هذا المنحى وجود النهي عن أن يقتل نفسه حسرة عليهم في آية أخرى، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وقال تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [النمل:٧٠]، وقال تعالى: ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾ [المائدة:٦٨] إلى غير ذلك من الآيات.
والباخع: المهلك، أي: مهلك نفسك من شدة الأسف على عدم إيمانهم، ومنه قول ذي الرمة: ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه بشيء نحته عن يديه المقادر أي: الذي سيهلك الحزن نفسه.
وقوله: (على آثارهم) قال القرطبي: الآثار جمع أثر.

ويقال: إثر، فالمعنى: على أثر توليهم وإعراضهم عنك.

وقال أبو حيان في البحر: ومعنى (على آثارهم) من بعدهم، أي: بعد يأسك من إيمانهم، أو بعد موتهم على الكفر، يقال: مات فلان أثر فلان.

أي: بعده، أو: (لعلك باخع نفسك على آثارهم)، يعني: أنت تحزن عليهم بعد ما ماتوا على الكفر، ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾ [المائدة:٦٨] فهم لا يستحقون ذلك.

قال الزمخشري: شبهه وإياهم حينما تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما دا." (١)

"ﷻ ﴿الغفور﴾ الذي يغفر الذنوب جميعا لمن تاب ويعفو عن السيئات لمن استغفر وأناب.

ﷻ ﴿الودود﴾ مأخوذة من الود، والود هو خالص المحبة فهو جل وعلا ودود، ومعنى ودود محبوب، وأنه حاب فهو يشمل الوجهين جميعا، فهو سبحانه الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء، وهو تعالى الودود الواد لأحبابه كما قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾.." (٢)

"وأجاب بعض أهل العلم ممن ذهب هذا المذهب عن قوله (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وقالوا بأن المحاد هو المحارب وليس المسالم بدليل سبب نزول الآية.

وهذا القدر متفق عليه بين الفريق الثاني والثالث إلا أنهم اختلفوا في حكم إضمار البغض في الله للوالد الكافر والزوجة الكتابية فقال فريق منهم إنه يجوز محبتهم بمقتضى الجبلة البشرية والطبع إلا أنه يجب أن يصاحب محبتهم المحبة الطبيعية البغض لهم في الدين وقالوا لا منافاة بين الجمع بين بغضهم في الله وبغض أشخاصهم لكفرهم ومحبتهم بمقتضى الطبع وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله مُجيباً على أحد السائلين الذين استشكلوا جواز الزواج بالكتابية وفي ذات الوقت وجوب بغضها في الله ما يلي (الحمد لله، قد فرض الله موالاة المؤمنين، وحرم مولاة الكافرين قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال تعالى ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وقال تعالى ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ وقال تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .. الآية﴾ والود، والمودة بمعنى المحبة، والمحبة نوعان: محبة طبيعية كمحبة الإنسان لزوجته، وولده، وماله. وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٦/٨٩

(٢) تفسير غريب القرآن - الكواري، كَامِلَةُ الكَوارِي ١٤/٨٥

ومحبة دينية؛ كمحبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله، ورسوله من الأعمال، والأقوال، والأشخاص. قال تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد .. الحديث ".ولا تلازم بين المحبتين بمعنى: أن المحبة الطبيعية قد تكون مع بغض ديني؛ كمحبة الوالدين المشركين فإنه يجب بغضهما في الله، ولا ينافي ذلك محبتهما بمقتضى الطبيعة، فإن الإنسان مجبول على حب والديه، وقريبة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب عمه لقرابته مع كفره قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ ومن هذا الجنس محبة الزوجة الكتابية فإنه يجب بغضها لكفرها بغضاً دينياً، ولا يمنع ذلك من محبتها المحبة التي تكون بين الرجل وزوجه، فتكون محبوبة من وجه، ومبغوضة من وجه، وهذا كثير، فقد تجتمع الكراهة الطبيعية مع المحبة الدينية كما في الجهاد فإنه مكروه بمقتضى الطبع، ومحبوب لأمر الله به، ولما يفضي إليه من العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ومن هذا النوع محبة المسلم لأخيه المسلم الذي ظلمه فإنه يحبه في الله، ويبغضه لظلمه له؛ بل قد تجتمع المحبة الطبيعية، والكراهة الطبيعية كما في الدواء المر: يكرهه المريض لمرارته، ويتناوله لما يرجو فيه من منفعة.." (١)

"س: ما منزلة الولاء والبراء في الإسلام؟

ج: الولاء والبراء من لوازم " لا إله إلا الله" وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨).

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْاْ فإن اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣١ - ٣٢).

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ (المائدة: ٥٤).

وقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩).

ويبين ذلك من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ" أخرجه أحمد (١٨٥٢٤).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ» متفق عليه.." (٢)

---

(١) بسط القول والإسهاب في بيان حكم مودة المؤمن للكافر، أبو فيصل البدراني ص/٣٢

(٢) الولاء والبراء في الإسلام - البركاتي، أبو عاصم البركاتي ص/٩

"(إن القصد هو توحيد المعبود في توحيد الوجهة، ودرء الفرقة كما قال تعالى:
﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

إن الإسلام لابد فيه من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة (لا إله إلا الله) فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .. انتهى).

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، المنافية لضدها، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾.وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾.وفي الحديث: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه واتباع رسوله، واقتفاء أثره وقبول هداه ... انتهى).

ويقول ابن القيم في النونية:

شرط المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا عصيان

فإذا ادعيت له المحبة مع خلافك ... ما يحب فأنت ذو بهتان

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حباً له ما ذاك في إمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه أين ... المحبة يا أخا الشيطان

ليس العبادة غير توحيد المحبة ... مع خضوع القلب والأركان

إلى أن يقول:

ولقد رأينا من فريق يدعي ... الإسلام شركاً ظاهر التبيان

جعلوا له شركاء والوهم ... وسووهم به في الحب لا السلطان

الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله:

إن أصل الدين وكماله، أن يكون الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، والعبادة لله، والاستعانة بالله، والخوف من الله ،والرجاء لله، والإعطاء لله، والمنع لله، وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي أمره لله، ونهيه لله، وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويُضله عن سبيل الله، فلا يستحضر ما لله، وما لرسول الله – صلى

الله عليه وسلم – في ذلك ولا يطلبه فالذي لا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضبهما، وإنما يرضى لشهواته وهواه، ويغضب لذلك فهو ممن قال الله فيهم: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى).." (١)

"ولما كان أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك، فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله ، وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾.ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. ويقول تباركت أسماؤه ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.ويقول كذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فإِنهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾. ويقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ثم إن من الولاء والبراء ما هو شطر العقيدة وركنها الثاني الذي لا تتم إلا به وهو الكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾.فلا يكون مؤمناً من لا يكفر بالطاغوت، وهو كل متبوع أو مرغوب أو مرهوب من دون الله ، فقبول الإيمان والاستمساك بالعروة الوثقى مستلزم للكفر بالطاغوت كما نصت على ذلك الآية الكريمة.

أما الأحاديث والآثار: فكثيرة وأذكر منها:-

(١) ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على أن (تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر).

(٢) روي أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

(٣) روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله، والحب في الله والبغض في الله).

(٤) أخرج ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً).

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/٨

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: (قوله: (ووالى في الله) هذا بيان للازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه، إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً.." (١)

"الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض، فيجب على العبد أن يحب الله – عز وجل –، فيحب كلمة التوحيد، ويحب ما اقتضته ودلّت عليه، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ (٢)، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)) (٤)، وإذا أحب العبد الله – عز وجل – فإنه يحب من يحب الله ورسوله؛ لأن من أحب أحداً أحب من يحبه؛ ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم –: ((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)) (٥)؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته (٦):

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨١ من حديث أبي أمامة صُدَيّ بن عجلان، وله شاهد من حديث معاذ بن أنس الجهني أخرجه أحمد، ٣/ ٤٣٨، و ٤٤٠، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب رقم ٦٠، برقم ٢٥٢١، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن))، وصححه الألباني في سلسلته، برقم ٣٨٠.

(٦) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم للدكتور محمد خليل الهراس، ٢/ ١٣٤.." (٢)

"النية عن جميع شوائب الشرك فيخلص العبد لربه في جميع العبادات، وإذا صرف شيئا منها لغير الله: من نبي أو ولي، أو ملك، أو صنم، أو جني أو غير ذلك فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/٩

(٢) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٨

قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾ (١)،

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ (٢)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه)) (٣).

الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض، فيجب على العبد أن يحب الله – عز وجل –، فيحب كلمة التوحيد، ويحب ما اقتضته ودلت عليه، قال تعالى:

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (٤)، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (٥)، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (٦).

وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٢ – ٣.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، برقم ٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١.." (١)

"شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ (١). وقال: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ (٢).

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال:

﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ (٣).

ووصف نفسه بالمحبة، [ووصف عبده بالمحبة] فقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (٤)، وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٥).

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (٦).

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/٣٥

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال:

﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٩.." (١)

"الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب، وإضافته إلى الله تعالى أشرف قسمي أفعاله فمنه هذه الآية فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فقال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال في الإحسان الذين أنعمت عليهم. ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى ولما جاء إلى ذكر المرض قال وإذا مرضت ولم يقل أمرضني، وقال فهو يشفين ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾ فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول. ومنه قول الخضر عليه الصلاة والسلام في السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأضاف العيب إلى نفسه وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾. فحذف الفاعل وبناه للمفعول وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾. لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل. انتهى.

- سُئل ابن تيمية رحمه الله تعالى عمن يعتقد أن الخير من الله والشر من

الشيطان؟ وأن الشر هو بيد العبد، إن شاء فعله، وإن شاء لم يفعله، فإذا أُنكر عليه في هذه يقول: قال الله تعالى (إن الله لا يأمر بالفحشاء) ، (فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر (وإن عقيدة هذا أن الخير من الله وأن الشر بيده، فإذا أراد أن يفعل الشر فعله ؛ فإنه قال: إن لي مشيئة فإذا أردت أن أفعل الشر فعلته، فهل له مشيئة فعالة أم لا؟.

فأجاب: الحمد لله - أصل هذا الكلام له مقدمتان: إحداهما: أن يعلم العبد أن الله يأمر بالإيمان والعمل الصالح، ويحب الحسنات ويرضاها، ويُكرم أهلها، ويُثيبهم ويُواليهم، ويرضى عنهم، **ويُحبهم ويُحبونه**، وهم جُند الله المنصورون، وحزب الله الغالبون، وهم أولياؤه المتقون، وحزبه المفلحون، وعباده الصالحون أهل الجنة، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون،

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٢٣٤/١

وهم أهل الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأن الله نهى عن السيئات من الكفر والفسوق والعصيان، وهو يُبغض ذلك ويمقت أهله، ويلعنهم ويغضب عليهم، ويُعاقبهم ويُعاديهم، وهم أعداء الله ورسوله، وهم أولياء الشيطان، وهم أهل النار وهم الأشقياء لكنهم يتقاربون في هذا ما بين كافر وفاسق، وعاصٍ ليس بكافر ولا فاسق.

والمقدمة الثانية: أن يعلم العبد أن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه لا رب غيره ؛ ولا خالق سواه، وأنه ما شاء كان ؛ وما لم يشأ لم يكن ؛ لا حول ولا قوة إلا به ؛." (١)

"تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

ووصف نفسه بالمحبة، [ووصف عبده بالمحبة] فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ (٣)، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤).

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (٥).

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩ – ٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٩.." (٢)

"[إثبات صفة الخلة والتكليم لله تعالى]

وقوله: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما).

نقول نحن أهل السنة: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، كما أخبر سبحانه في كتابه: ((وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)) [النساء: ١٢٥] وأخبر سبحانه أنه كلم موسى تكليما، قال سبحانه: ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) [النساء: ١٦٤]، وفي هذا فضيلة لإبراهيم وفضيلة لموسى، فإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وثبت في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) (١) وقال – صلى الله عليه وسلم –: (إن صاحبكم خليل الله) (٢).

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/١٤

(٢) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٥٨

وأهل السنة يثبتون المحبة ويثبتون الكلام لله، ويقولون: إن الله يُحِب ويُحَب، قال تعالى: ((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)) [المائدة: ٥٤] ، ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)) [التوبة: ٤]، ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)) [البقرة: ٢٢٢]، ويُكَلِّم ويَتَكَلَم، فيثبتون صفة المحبة وصفة الكلام.

والخُلَّة هي أكمل المحبة، فإبراهيم – صلى الله عليه وسلم – خليل الله، فله من محبة الله ما تبوأ به منزلة الخُلَّة التي هي: أعلى درجات المحبة، ونبينا – صلى الله عليه وسلم – خليل الله أيضا، فإبراهيم ومحمد هما خليلان لله تعالى، وأما ما ورد في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن إبراهيم خليل الله ... وأنا حبيب الله

(١) تقدم ص ٩٦.

(٢) تقدم ص ٩٥.." (١)

"للخالق سبحانه ويقولون: إن المحبة هي محبة ثوابه، أو محبة طاعته، والمحبة عندهم لا تتعلق إلا بالمخلوق.

ومن المبتدعة من أثبت المحبة من جهة المخلوق، كالصوفية؛ فإنهم يبالغون في إثبات محبة المخلوق للخالق حتى يعبرون عن محبتهم لله بالعشق، وكذلك الفلاسفة يطلقون العشق على الله تعالى. (١)

والحق: ما دل عليه كتاب الله، ودلت عليه الفطر والعقول بأنه سبحانه وتعالى يُحِب ويُحَب؛ يحب ملائكته وأنبياءه والصالحين من عباده، كما أخبر تعالى بذلك عن نفسه، ويحبه أولياؤه كما في الآية التي جمعت بين الأمرين: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)) [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ((قل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)) [آل عمران: ٣١].

وكل صفة تثبت لله تعالى فليست مثل صفة المخلوق، فليس حبه تعالى كحبنا، وليس كلامه وتكليمه ككلامنا، والقول في بعض الصفات كالقول في بعض، فـ ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أنه تعالى له علم لا كعلمنا، وسمع لا كسمعنا، فله محبة لا كمحبتنا، ورِضًا لا كرِضَانا.

وأما ما ذكره الشارح ابن أبي العز (٢) من الكلام في الخُلَّة، وقول الشاعر (٣):

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلا

فهذا تفسير للخُلَّة التي هي صفة المخلوق، وكذلك قوله: (٤) إن

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٣١، والرد على المنطقيين ص ٢٥٨ و ٣٥٩، ودرء تعارض العقل والنقل١/ ١٠٠ و ٢٣١ والرسالة الصفدية ص ١٢٥ و ٢٩٧.

(٢) ص ٣٩٦.

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٩٧

(٣) البيت لبشار بن برد في ديوانه ٢/ ٤٧٥.

(٤) ص ٣٩٧.." (١)

"الحكمة من خلق الإنسان في الأرض وجعله فيها

الدليل الأول: يقول الله سبحانه وتعالى عند بداية خلقه لنا للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة:٣٠] والله سبحانه وتعالى خلقنا في الأرض، قال عز وجل: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود:٦١] فإذا كان خلق الإنسان وعلم الإنسان وعبادة الإنسان كخلق وعبادة الملائكة فأي فائدة من خلقه؟ ولماذا يوضع على الأرض؟ نقول: إنما وضع الإنسان على الأرض وجعل فيها خليفة؛ ليتدبر في علوم الأرض، ويبدع ويستعمر الأرض، وينشأ في الأرض الإنشاءات والعلوم والمخترعات، وليعرف ربه أكثر وأكثر كما سيأتي.

إذا: الله سبحانه وتعالى جعلنا خلفاء في الأرض وليس في السماء، ولا بد أن نعرف علوم الأرض ونبدع فيها؛ لنكون خلفاء حق الخلافة في الأرض.

وقال سبحانه وتعالى للملائكة: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة:٣١] ما هي هذه الأسماء؟ هل هذه الأسماء هي الصلاة والزكاة والذكر والتسبيح والقيام، وما أعظم هذه الأمور؟ هل هذه الأسماء هي أسماء العبادات المختلفة؟ أبدا، يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة:٣١] أي قال له: هذا جبل، وهذا سهل، وهذا بحر، وهذه نخلة، وهذه وهذه علمه علوم الأرض، وبذلك أصبح أهلا ليكون خليفة في الأرض، الملائكة لا تعرف هذه الأسماء؛ لأنها لا تحتاجها، أما الذي يحتاج هذه العلوم فهو الإنسان الذي يعيش على الأرض، ويعبد الله عز وجل على الأرض، وأمر أن يستعمر الأرض، فهذا من أبلغ الأدلة على أن العلوم الحياتية هي مستندات أو مؤهلات الخلافة في الأرض، فإن فقدت الأمة مؤهلات الخلافة في الأرض فلا بد أن تكون في ذيل الأمم، تظل فترة من الزمان في ذيل الأمم ثم تستبدل، نسأل الله عز وجل العفو والعافية، فلو أن الناس أهملت علوم الحياة وتركت الغرب والشرق واليهود والمجوس وعباد البقر يقودون العالم ويقودون المسلمين، فالله عز وجل سيستبدل هؤلاء ثم ﴿يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤].

إذا: من مصلحتنا أن نقف على الثغرة في هذا الوقت قبل أن يستبدل بنا رب العالمين سبحانه وتعالى.." (٢)

"٧ - الفضيلة السابعة: أفضل دار في الجنة للشهداء:

عن سمرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت الليلة رجلين أتياني فصعد أبي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا أما هذه الدار فدار الشهداء. رواه البخاري.

نور على نور:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٩٩

(٢) كيف تصبح عالما، راغب السرجاني ٣/٦

وبعد كل هذه الفضائل والثمرات الجليلة والعظيمة، ألا تشتاق بعد ذلك إلى أن تأتي لأرض الجهاد والرباط؟ أرض العزة والكرامة، أرض الفداء والتضحية، فتكون قريبا من نيل الشهادة التي كانت أمنية النبي صلى الله عليه وسلم.

فما أجمل وأحلى وأروع أن تجمع بين الجهاد في سبيل الله وحفظ القرآن وطلب العلم وقيام الليل وصيام النهار والدعوة إلى الله والأخلاق الحسنة وإتباع السنة.

فتأمل هذه الآيات جيدا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

والحمد لله رب العالمين.

ادعوا لإخوانكم المجاهدين

إخوانكم في

مركز الفجر للإعلام

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م." (١)

"إذن فنحن لا نريد انتصارا وقتيا في معركة من المعارك ثم يعود الحال إلى ما كان عليه، كما حدث في أفغانستان.

لا نريد فقط قائدا يقودنا إلى الانتصار فإن مات وتركنا عادت الهزائم والنكبات، بل نريد أمة جديدة وأجيالا متلاحقة لا تعرف إلا الله وما يرضيه.

نريد رايات الإسلام ترفرف من جديد على ربوع العالم الإسلامي .. على القدس ويافا وحيفا .. على الأندلس والفلبين .. على الهند والصين .. على روما.

نريد الخلافة المفقودة وأستاذية العالم.

نريد أن نستكمل ما بدأته الأجيال الأولى، فيصبح الدين كله لله.

هذه الآمال العظيمة - أحلام اليوم - ستكون بلا شك حقائق الغد كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر " (١).

يقينا سيحدث هذا، وستفتح روما، وسيعود الأقصى، وتأتي خلافة أخرى كأختها الراشدة الأولى، ولكن بمن؟: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

---

(١) كيف تسبق، خالد الحسينان ص/١٨

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/٥٤].

ولكي نكون نحن وأبناؤنا من هؤلاء القوم، ولكي يعود مجد الإسلام من جديد، لابد من التغيير.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣، رقم ١٦٩٩٨)، والطبراني (٢/ ٥٨، رقم ١٢٨٠)، قال الهيثمي (٦/ ١٤): رجال أحمد رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٧٧، رقم ٨٣٢٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (٩/ ١٨١، رقم ١٨٤٠٠).." (١)

"بيان حب الله لعباده وحب عباده له

أعظم شيء أهداه الله إلينا وهدانا إليه هو الإسلام الدين الصحيح، وما دام أنه قد حبب إليك الإسلام وحبب إليك مجالس العلم فاعلم أن الله قد اختارك، قال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص:٦٨].

فربنا اختارك لأجل أن تقعد هذه القعدة، فإذا: هو يحبك، لكن المهم أنك تحبه، وكلنا نحب ربنا، ولكن درجاتنا في الحب مختلفة، أو تعبيراتنا في الحب أو عن الحب متباينة، فشخص يعبر عن الحب بكثرة البكاء، وشخص يحب ربنا بأن يقوم الليل، وآخر يصوم ويكثر من الصيام، وشخص يتصدق، وشخص يستخدم جاهه في خدمات الناس، وشخص يفرج الكربات عن الناس.

فكل يعبر عن حبه لله عز وجل والتقرب منه بالعمل الذي يسره الله له.

اللهم يسر لنا حبك يا رب العالمين! قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] وأحب العباد إلى الله كما قال: من أحبني وحببني إلى عبادي وحبب العباد إلي، وكونه يحبب العباد إلى الله ويحبه هذه واضحة، أما كيف يحببه للعباد فقال الله: يذكرهم بنعمائي، فيحبني عبادي، فأحبهم، فأرضى عنهم، فأنعمهم في الجنة، فيبدأ العبد يذكر الناس بنعم الله عليهم، وأنت حين تعد نعم الله لا تستطيع أن تعد، كما قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم:٣٤] ولا يستطيع إنسان أن يحصي نعم الله أبدا.." (٢)

"أثر اسمي الغفور والودود في حياة الناس

قال عز وجل: ﴿إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٢ - ١٤].

ليس البدء والإعادة من صنع الناس، وإنما البدء والإعادة من فعله عز وجل، وهو ﴿فعال لما يريد﴾ [البروج:١٦]، لا يكرهه أحد على شيء، ولا يمنعه أحد من شيء.

أعظم ما يتنعم به أهل الإيمان معرفتهم بأسماء الله وصفاته، وشعورهم بالحب والاختصاص بالمغفرة، فالله اختصهم بمغفرته، فهو الغفور لهم سبحانه وتعالى، الودود الذي **يحبهم ويحبونه**، ويستشعرون هذا المعنى أضعافا مضاعفة حين يبذلون أنفسهم في سبيل الله عز وجل، ولا تظنوا أن من لم يجد طعاما فجاع، أو من لم يجد شرابا نقيا فعطش، أو من لم يجد فراشا هنيئا

---

(١) كيف نغير ما بأنفسنا، مجدي الهلالي ص/٢٤

(٢) الدار الآخرة - عمر عبد الكافي، عمر عبد الكافي ٦/٣٠

فنام عليه أنه معذب، لا إنما المعذب من لم يعرف ربه عز وجل وإن نام على أوفر الفراش، وإن وجد ألذ طعام، وإن شرب أحلى شراب، لكنه غائب القلب عن الله سبحانه وتعالى، لم يعرف صفاته، ولم يحب ربه عز وجل، فهذا لا ينفعه ما تنعم به، فالله تعالى يقول: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤]، والمؤمنون يشعرون بهذا الود بينهم وبين ربهم سبحانه وتعالى، وأكثر ما يكون عندما يضحون في سبيله، قال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤].

فهم يجدون الحب والود من الغفور الودود عندما يكونون أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وعندما يجاهدون في سبيل الله، وعندما لا يخافون في الله لومة لائم، وبهذا يصلون إلى حب الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج:١٥]، وعرشه من علامات ملكه سبحانه وتعالى، وهو أعظم المخلوقات، ومن دلائل ملكه وعظمته، وهو المجيد عز وجل.

قال تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [البروج:١٦]، فلا اعتراض لنا على فعله، بل يفعل ما يشاء، وله الحمد سبحانه وتعالى، ولا نعترض على الله، بل لا بد من حمده على ذلك، ورضانا عنه عز وجل ربا إلها لا خالق لنا سواه ولا مدبر لأمرنا غيره، ولا نتوكل على غيره ولا نخضع لغيره.." (١)

"حال الداعية كبير الهمة مع قومه ومن يدعوهم

تأمل كيف تعامل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع ذلك الرجل الأعرابي الذي أتى وبال في المسجد، فأراد الصحابة أن يقعوا به ويفتكوا به، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه -يعني: لا تقطعوا عليه بوله-.

فتركه حتى فرغ، ثم أمر بذنوب من ماء -أو سجل من ماء- فأريق على بول الأعرابي، ثم قال للصحابة رضي الله تعالى عنهم: إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)، فأعجب ذلك الأعرابي بمسلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معه، وعبر عن ذلك الإعجاب بأن دعا الله سبحانه وتعالى، فقال: اللهم! ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا! فأنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: (لقد حجرت واسعا)، ولا شك في أن هذا من الاهتمام بأمر الأمة.

ومن مظاهر هذا الاهتمام الذي علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوله: (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة)، وهذا في الحقيقة من المطالب العالية التي لا يفطن لها كثير من الناس، فأحدهم يظن أنه يدعو لنفسه ولمن هم من خاصته، كإخوانه أو أحبابه، ويغفل عن الاهتمام بالدعاء لعموم المسلمين، فهذا من التقصير، وهذا من ضعف الهمة؛ لأنك إذا دعوت لعموم المسلمين تنال هذا الثواب العظيم الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام: (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة)، فلا يزهد في هذا الثواب العظيم إلا من لم تصعد همته إلى نيل حسنات بعدد ملايين المسلمين المأسورين في أقطار الأرض.

وقد ذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعض صفات أهل الجنة، كما في الحديث الذي رواه مسلم، وكان مما قال: (ورجل

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٨/١

رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم)، فمن صفات أهل الجنة أن الواحد منهم رحيم رقيق القلب، فقلبه رقيق، وممتلئ بالرحمة لمن **يحبهم ويحبونه**، وليس لإخوانه والمقربين إليه فحسب، وإنما يرحم الناس كافة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يضع الله رحمته إلا على رحيم.

قالوا: كلنا يرحم يا رسول الله! قال: ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكن يرحم الناس كافة)، فقلبه كبير يتسع لكل إخوانه في الإيمان.

فكل هذه المعاني -بلا شك- تغنينا عن الحديث الضعيف الذي يلهج به كثير من الناس، وهو ما ينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) والمعنى صحيح، وترشد إليه هذه النصوص التي نذكرها، لكن من حيث السند لم يصح هذا الحديث، وتأمل هذا المعنى الذي عبر عنه الشاعر أيضا بقوله: فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد فيدعو الله سبحانه وتعالى بأنه إذا كانت السحابة تنزل الماء فقط على أرضه، ويحرم منها سائر إخوانه المسلمين أن لا تأتي هذه السحابة، فيسأل الله أن ينزل المطر على أرضه، ويعم إخوانه المسلمين، وإن كان سينزل عليه هو وحده فهو لا يريده.

فالداعية إلى الله سبحانه وتعالى الكبير الهمة يقدر تبعات هذا المقام الرفيع، فهو يظمأ حيث يروى الناس، ويسهر حيث ينامون، ويجوع حيث يشبعون، ويتعب حيث يستريحون، ويقدم حيث يحجمون.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: (كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم -يعني: في القتال- اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني: حينما يشتد القتال ويشتد الصدام مع الكفار إلى أصعب ما يكون وأشد ما يكون كان الصحابة رضي الله عنهم من أراد منهم أن يتقي يحتمي برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لشدة بأسه على الكفار، وشدة شجاعته في الجهاد، وإقدامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولذا قال: (فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه)، أي: لا يكون أحد من الصحابة أقرب إلى الأعداء يبارزهم من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: (كنا -والله! - إذا احمر البأس نتقي به صلى الله عليه وسلم، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به صلى الله عليه وسلم).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة -يعني: سمعوا صوتا في الليل فخافوا أن يكون العدو سيهجم عليهم في المدينة- فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم)، يعني أنهم ما إن سمعوا الصوت حتى تجمعوا، وأرادوا أن يتجهوا قبل الصوت، ففوجئوا بأن النبي عليه الصلاة والسلام كان أسرع الناس خروجا ليبحث عن سر هذا الفزع وهذا الصوت الذي صدر، فإلى أن تحركوا هم وجدوه قد ذهب بسرعة ورجع قبلهم، وذلك قبل أن يتحركوا هم، فطمأنهم أنه لم يجد شيئا ولم يجد بأسا، ولذا يقول أنس رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: لن تراعوا. -وهذه كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسا، وإظهارا للرفق بالمخاطب-، وهو على فرس لـ أبي طلحة عري ما عليه سرج

- أي أنه قاد فرس أبي طلحة ولم يكن عليه سرج ولا شيء- في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرا.

أو: إنه لبحر) يعني: أن هذا الفرس أسعفني حينما خرجت.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته -وأشار بأصبعيه- أفضل من أن يعتكف في مسجدي -أي: مسجد المدينة- هذا شهرين)، فلأن تمشي مع أخيك في قضاء حاجة له أفضل من أن تعتكف في مسجد المدينة شهرين، وهذا -بلا شك- تعظيم لقضاء حاجات المسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) فهذه الأحاديث كلها بجملتها تنبهنا إلى أن يحمل الإنسان هم إخوانه المسلمين من حوله دون تمييز.." (١)

"الترغيب والحث على التواضع من القرآن والسنة

الترغيب والحث على التواضع من القرآن

- قال الله تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا [الفرقان: ٦٣] قال ابن القيم: (أي سكينة ووقارا متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين قال الحسن: علماء حلماء وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حلموا والهون بالفتح في اللغة: الرفق واللين والهون بالضم: الهوان فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان والمضموم صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران) (١).

(وقال تعالى مخاطبا رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين [آل عمران: ١٥٩]) (٢).

- كما أمره الله سبحانه وتعالى أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يتواضع لهم فقال: واخفض جناحك للمؤمنين [الحجر: ٨٨] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم) (٣).

وقال عز من قائل: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [الشعراء: ٢١٥]

- ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم (يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين) (٤) حيث قال: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤]

وقال ابن كثير: (هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [الفتح: ٢٩]) (٥)

وقال ابن القيم: (لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول كما في الحديث: المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل) (٦).

---

(١) سلسلة علو الهمة - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٩

- وقوله تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا [الإسراء: ٢٤] (حيث أمر الله بالتواضع - للوالدين- ذلا لهما ورحمة واحتسابا للأجر) (٧).
وقال سبحانه: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين [القصص: ٨٣]

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/ ١٠٨).
(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٢/ ١٤٨).
(٣) ((الجامع لأحكام القرآن)) (١٠/ ٥٦).
(٤) ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٧٥).
(٥) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٣/ ١٣٦).
(٦) ((مدارج السالكين)) لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٢٧)
(٧) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) لعبد الرحمن السعدي (١/ ٤٥٦).." (١)
"أقسام الذل
ينقسم الذل إلى محمود ومذموم:
- الذل المذموم:
وهو التذلل لغير الله على وجه الهوان والضعف والصغار والانكسار والذلة.
- الذل المحمود:
قال الراغب الأصفهاني: (الذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: أذلة على المؤمنين [المائدة: ٥٤]) (١).
- ويشمل الذل المحمود:
١ - الذل لله سبحانه وتعالى:
وهذا الذل عنوان العز والشرف والنصر في الدنيا والآخرة.
قال عمر بن عبد العزيز: (لا يتقي الله عبد حتى يجد طعم الذل) (٢).
وقال الذهبي: (من خصائص الإلهية، العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين. فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه) (٣).
٢ - الذل للمؤمنين:
وهو بمعنى التراحم والتواضع والعطف وليس بمعنى التذلل والانكسار على وجه الضعف والخور.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٤٨/١

قال تعالى: يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [المائدة:٥٤].

قال ابن القيم: (لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال. فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل. وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن ذلول) (٤).

وقال الطبري: (أذلة على المؤمنين، أرقاء عليهم، رحماء بهم ... ويعني بقوله: أعزة على الكافرين، أشداء عليهم، غلظاء بهم) (٥).

وقال ابن كثير: (قوله تعالى: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه) (٦).

٣ - الذل للوالدين:

قال تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا [الإسراء:٢٤].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا) (٧).

وقال السعدي: (تواضع لهما ذلا لهما ورحمة واحتسابا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد) (٨).

---

(١) [٣٥٩١])) ((المفردات في غريب القرآن)) للأصفهاني (ص: ٣٣٠).

(٢) [٣٥٩٢])) ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) لأبي حاتم الدارمي (١/ ٢٩).

(٣) [٣٥٩٣])) ((العرش)) للذهبي (١/ ١٢١).

(٤) [٣٥٩٤])) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٣١٠)

(٥) [٣٥٩٥])) ((جامع البيان في تأويل القرآن)) للطبري (١٠/ ٤٢١)

(٦) [٣٥٩٦])) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٣/ ١٣٦).

(٧) [٣٥٩٧])) ((جامع البيان في تأويل القرآن)) للطبري (١٧/ ٤١٨)

(٨) [٣٥٩٨])) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (١/ ٤٥٦)." (١)

"ابن الحنفية، مهلا مهلا فإن دم الروافض قد فار. والله ما احببناه لهوانا، ولا نعتقد في غيره هدانا، ولكن أخذنا بقول علي وكفانا: رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا. تالله لقد أخذت من الروافض بالثأر، تالله لقد وجب حق الصديق علينا، فنحن نقضي بمدائحه، ونقر به بما نقر به من السنى - البرق - عينا، فمن كان رافضيا فلا يعد إلينا، وليقل لي أعذار. (١)

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ٢٧٠

ومن آيات الفضل والثناء قوله سبحانه وتعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة: ٥٤).

قال الحسن: هو والله أبوبكر وأصحابه، وقال السدي: نزلت في الأنصار، وقال أبوبكر بن عياش: هم أهل القادسية.

وهذا كله يدل على الفضل إذ فيه إثبات المحبة، ومن أحبه الله تعالى فهو ولي الله، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم أولياء الله المتقين، والسادة المقربون.

وقال الإمام ابن كثير: وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين.

---

(١) ابن القيم: محمد: الإمام: الفوائد: دار الكتاب العربي ط٢ ١٤٠٦هـ (١١٠)،انظر: ابن الجوزي: المدهش: ١١٠.." (١)

"أنبأ عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ﷺمن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «ناس من أهل اليمن»." (٢)

"[سورة المائدة (٥) : الآيات ١ الى ١٢٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١) يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣) يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب (٤)

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد

---

(١) الإصابة في الذب عن الصحابة – رضي الله عنهم –، مازن بن محمد بن عيسى ص/٨٢

(٢) تفسير مجاهد؟ مجاهد بن جبر ص/٣١١

حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (٥) يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦) واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (٧) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٨) وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (٩)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣) ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١٤)

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (١٧) وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (١٩)

وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤)

قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (٢٦) واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني

أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩)
فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (٣١) من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (٣٢) إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣) إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤)
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون (٣٥) إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (٣٦) يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (٣٧) والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (٣٨) فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (٣٩)
ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (٤٠) يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (٤٢) وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٣) إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤)
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥) وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧) وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩)
أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩)

قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤)

ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧) قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩)

لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤)

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩)

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون (٨٠) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (٨١) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤)

فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٥) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (٨٦) يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (٨٧) وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (٨٨) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (٨٩)

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (٩٢) ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣) يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤)

يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥) أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦) جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (٩٧) اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨) ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٩٩)

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون (١٠٠) يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم

(١٠١) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢) ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤)
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥) يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين (١٠٦) فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين (١٠٧) ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠٨) يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩)
إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤)
قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥) وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩)
لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)." (١)

"هذه الآية ويقول الذين آمنوا بعضهم لبعض أهؤلاء الذين أقسموا بالله يعني المنافقين جهد أيمانهم إذ حلفوا بالله- عز وجل- فهو جهد «١» اليمين إنهم لمعكم على دينكم يعني المنافقين حبطت أعمالهم يعني بطلت أعمالهم لأنها كانت في غير الله- عز وجل- فأصبحوا خاسرين- ٥٣- فى الدنيا قوله- سبحانه-: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان؟ مقاتل ١/٤٢٩

وذلك حين هزموا يوم أحد شك أناس «٢» من المسلمين فقالوا ما قالوا فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فارتد بعد وفاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بنو تميم وبنو حنيفة وبنو أسد وغطفان وأناس من كندة منهم الأشعث بن قيس فجاء الله- عز وجل- بخير من الذين ارتدوا: بوهب «٣» بطن من كندة وبأحمس بجيلة وحضرموت «وطائفة من حمير» «٤» وهمذان، أبدلهم مكان الكافرين ثم نعتهم فقال- سبحانه-: أذلة على المؤمنين بالرحمة واللين أعزة على الكافرين يعني عليهم بالغلظة والشدة فسدد الله «٥» - عز وجل- بهم الدين يجاهدون في سبيل الله العدو يعني في طاعة الله ولا يخافون لومة لائم يقول ولا يبالون غضب من غضب عليهم ذلك فضل الله يعني دين الإسلام يؤتيه من يشاء والله واسع لذلك الفضل عليم- ٥٤- لمن يؤتى الإسلام، وفيهم نزلت وفي الإبدال: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم «٦» [١٠٣ أ] . وقوله: - سبحانه- إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون- ٥٥- وذلك

أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي-

---

(١) في أ: بجهد، ل: جهد. [.....]

(٢) في ل: ناس، أ: أناس.

(٣) في أ، ل: موهوب.

(٤) من ل.

(٥) في أ: فشد، ل: فسدد.

(٦) سورة محمد: ٣٨.." (١)

"١٦٠ - حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هم قوم من سبأ." (٢)

"١٦٢ - حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون." (٣)

"٢٢٥ - ثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا شعبة بن الحجاج عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هم قوم هذا))، يعني أبا موسى الأشعري.." (٤)

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان؟ مقاتل ٤٨٥/١

(٢) حديث أبي سعيد الأشج؟ أَبُو سَعِيْدٍ الأَشَجُّ ص/٢٧٦

(٣) حديث أبي سعيد الأشج؟ أَبُو سَعِيْدٍ الأَشَجُّ ص/٢٨٠

(٤) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٣

"٢٢٧ – حدثني يحيي بن سليمان الجعفي ثنا حفص بن غياث ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، قال: أهل القادسية: مذحج وكندة وهمدان ومن كان من أصحابهم.." (١)

"٢٢٨ – ثنا أحمد بن يونس ثنا السري بن يحيي قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، قال: هو والله أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه.." (٢)

"٢٢٩ – ثنا يونس بن عبد الأعلى أننا عبد الله بن وهب حدثني عبد الله بن عياش عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوما، وعمر والي المدينة يومئذ، فقال: يا أبا حمزة، آية –[٩٥]– أسهرتني البارحة. قال محمد: وما هي أيها الأمير؟ قال: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ إلى قوله ﴿لومة لائم﴾ قال محمد: إنما عنى الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الولاة من قريش ﴿من يرتد منكم عن دينه﴾ عن الحق ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾. وهم أهل اليمن. قال عمر: يا ليتني وإياك منهم، قال: آمين.." (٣)

"٢٣٠ – حدثني يحيي بن عبد الحميد ثنا معتمر بن سليمان حدثني أبو عمرو مولى بني مخزوم عن قياس بن سعد عن مجاهد: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هم أهل اليمن لما يأتوا بعد.." (٤)

"٢٣١ – حدثني يحيي بن عبد الحميد ثنا عبد الله بن إدريس عن ليث عن مجاهد ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ قال: قوم من سبأ.." (٥)

"٢٥٥ – حدثني إبراهيم بن عبد الله بن حاتم أننا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾: ناس من أهل اليمن.." (٦)

"﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ١ فجمع بين الحبين: حب الخالق وحب المخلوق٢، متقارنين٣.
ثم فرق بين ما يحب وما لا يحب، ليعلم خلقه أنهما متضادان٤ غير متفقين، فقال: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ ٥، و ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ ٦، وقال تعالى٧: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ ٨. ثم فرق بين سخطه وإسخاط العباد إياه، فقال: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ ٩، وقال: ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ .
ثم ذكر إغضاب الخلق إياه، فقال تعالى١١:

---

(١) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٤

(٢) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٤

(٣) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٤

(٤) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٥

(٥) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/٩٥

(٦) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي؟ الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/١١٠

١ سورة المائدة، آية "٥٤".

٢ في ط، س، ش "وحب الخلق".

٣ في ط، س، ش "متقاربين" بالباء الموحدة، وما في الأصل أصوب.

٤ في ط، ش "متضادين"، وما في الأصل هو الصحيح؛ لأنها خبر إن.

٥ سورة النساء، آية "١٤٨".

٦ في الأصل "إن الله لا يحب المسرفين" وصوابه ما أثبتناه، انظر: سورة الأنعام، آية "١٤١"، والأعراف آية "٣١".

٧ لفظة "تعالى" ليست في ط، س، ش.

٨ سورة المائدة، آية "٨٠".

٩ سورة محمد، آية "٢٨".

١٠ في الأصل وس "غضب" والصواب ما أثبتناه، انظر: سورة الفتح، آية "٦".

١١ لفظة "تعالى" ليست في ط، س، ش.." (١)

"الآية رقمها السورة الصفحة

﴿فقير﴾ ١٨١ آل عمران ٢٢١

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ ٥٦ النساء ٧٥٧

﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ ٥٨ النساء ٣٠٤، ٣١٨

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ ١٤٨ النساء ٨٦٥

﴿أرنا الله جهرة﴾ ١٥٣ النساء ٣٦٦

﴿إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ ١٥٧ النساء ٣٩١

﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ ١٦٤ النساء ١٥٥، ١٩٠، ٤٢٩، ٦٨٣

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ ١٧١ النساء ٦٧٤

﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم﴾ ٤١ المائدة ٤٣٩، ٤٤٠

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٥٤ المائدة ٨٦٥

﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ ٦٤ المائدة ٢١٧، ٣٠٧، ٧٢٤

﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ٦٤ المائدة ٢٤١، ٢٤٣، ٢٨٥، ٢٨٦

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ ٧٣ المائدة ٣٠٧

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد؟ الدارمي، أبو سعيد ٨٦٥/٢

﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ ٨٠ المائدة ٨٦٥

﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ١١٦ المائدة ٨٧، ٢١٨، ٤٢٨، ٨٤٤، ٨٤٧." (١)

"السورة التي يذكر فيها المائدة

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٢ الى ٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣)

سئل عن قوله: وتعاونوا على البر والتقوى [٢] فقال: البر الطاعة لله واتقاء المعصية.

قوله: فلا تخشوهم واخشون [٣] يعني: فلا تخشوا الكفار في عبادتي واخشوني في اتباعهم، فقال: أعجز الناس من خشي من لا ينفعه ولا يضره، والذي بيده النفع والضر يخاطبه في قوله: فلا تخشوهم واخشون [٣] .

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥ الى ٦]

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (٥) يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦)

قوله تعالى: اليوم أحل لكم الطيبات [٥] قال:

الطيبات الحلال من الرزق. قوله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم [٦] قال: الطهارة أربعة أشياء: صفاء المطعم وصدق اللسان ومباينة الآثام وخشوع السر، وكل واحد من هذه الأربعة يقابل بكل واحد من تطهير الأعضاء الظاهرة. قوله تعالى: ولكن يريد ليطهركم [٦] يعني يطهركم من أحوالكم وأخلاقكم وأفعالكم، لترجعوا إليه بحقيقة الفقر من غير تعلق

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد؟ الدارمي، أبو سعيد ٩٢١/٢

بسبب من الأسباب. والطهارة على سبعة أوجه «١» : طهارة العلم من الجهل، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعة من المعصية، وطهارة اليقين من الشك، وطهارة العقل من الحمق، وطهارة الظن من النميمة، وطهارة الإيمان مما دونه، ولكل عقوبة طهارة، إلا عقوبة القلب فإنها قسوة «٢» .

[سورة المائدة (٥) : آية ٢٣]

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣)

قوله تعالى: قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما [٢٣] فسئل: ما هذه النعمة؟ فقال: أنعم الله عليهما بالخوف والمراقبة، إذ الخوف والهم والحزن يزيد في الحسنات، والأشر والبطر يزيد في السيئات.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

قوله: أعزة على الكافرين [٥٤] يعني غليظة عليهم. قوله:

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا [٥٥] قال: ولاية الله تعالى الاختيار لمن استولاه، ثم أعلم الرسول أنه ولي المؤمنين، فيجب عليه أن يوالي من والى الله تعالى والذين آمنوا، ثم قال:

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون [٥٦] يعني غالبون هوى نفوسهم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٦٤]

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤)

قوله: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء [٦٤] وقال: يعني حكمه وأمره ونهيه نافذ في ملكه.

---

(١) ذكر في الحلية ١٠/ ٢٠٨ ثلاثة أوجه فقط.

(٢) الحلية ١٠/ ٢٠٨.." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [البقرة: ١٠٤] أي " صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿من يرتد منكم عن دينه﴾ [المائدة: ٥٤] يقول: " من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم ، فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر ، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر ، فلن يضر الله شيئا ، وسيأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**؛ يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا ، بقوم خير من الذين ارتدوا." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا هناد بن السري ، قال: ثنا حفص بن غياث ، عن الفضل بن دلهم ، عن -[٥١٩]- الحسن ، في قوله: ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «هذا والله أبو بكر وأصحابه» حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبي ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن ، مثله." (٣)

"حدثنا هناد ، قال: ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن سهل ، عن الحسن في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «أبو بكر وأصحابه»." (٤)

"حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا حسين بن علي ، عن أبي موسى ، قال: قرأ الحسن: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «هي والله لأبي بكر وأصحابه»." (٥)

"حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال: ثنا أحمد بن بشير ، عن هشام ، عن الحسن في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «نزلت في أبي بكر وأصحابه»." (٦)

"حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي ، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون

---

(١) تفسير التستري؟ سهل التستري ص/٥٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٧/٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٨/٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٩/٨

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٩/٨

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٩/٨

لومة لائم﴾ قال: «هو أبو بكر وأصحابه ، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام ، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام»." (١)

"حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله -[٥٢١]-: ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال ابن جريج: ارتدوا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتلهم أبو بكر "." (٢)

"حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد بن زريع ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة: ﴿ﷺمن يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] إلى قوله: ﴿والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٤٧] أنزل الله هذه الآية ، وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس. فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل البحرين من عبد القيس قالوا: نصلي ولا نزكي ، والله لا تغصب أموالنا. فكلم أبو بكر في ذلك ، فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا ، أعطوها وزادوها: فقال: لا والله ، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه ، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله ، لقاتلناهم عليه. فبعث الله عصابة مع أبي بكر ، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فقاتلهم حتى أقروا بالماعون وهي الزكاة صغرة أقمياء. فأتته وفود العرب ، فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية ، فاختاروا الخطة المخزية ، وكانت أهون عليهم ، أن يعتدوا أن قتلاهم في النار وأن قتلى المؤمنين في الجنة ، وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم ، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال "." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى ، قال: ثنا محمد بن جعفر ، قال: ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعري ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: " أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى بشيء كان معه ، فقال: «هم قوم هذا»." (٤)

"حدثني المثنى ، قال: ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن هشام ، قال: أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن أبي أيوب ، عن علي في قوله: ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ [المائدة: ٥٤] قال: " علم الله المؤمنين ، وأوقع معنى السوء على الحشو الذي فيهم من المنافقين ومن في علمه أن يرتدوا ، قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله﴾ [المائدة: ٥٤] المرتدة عن دينهم بقوم **يحبهم ويحبونه** بأبي بكر وأصحابه "

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥١٩/٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٠/٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٠/٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢١/٨

وقال آخرون: يعني بذلك قوما من أهل اليمن. وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري: عبد الله بن قيس." (١)

"حدثنا ابن المثنى قال: ثنا أبو الوليد ، قال: ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال: سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «يعني قوم أبي موسى»." (٢)

"حدثنا سفيان بن وكيع ، قال: ثنا ابن إدريس ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض الأشعري قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: «هم قوم هذا» في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] "." (٣)

"حدثنا مجاهد بن موسى ، قال: ثنا يزيد ، قال: أخبرنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال: سمعت عياضا الأشعري يقول: لما نزلت: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قومك يا أبا موسى» ، أو قال: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى "." (٤)

"حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبو سفيان الحميري ، عن حصين ، عن عياض ، أو ابن عياض: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «هم أهل اليمن»." (٥)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال: ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله: ﴿ﷺ**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: «أناس من أهل اليمن» حدثني المثنى ، قال: ثنا أبو حذيفة ، قال: ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله." (٦)

"حدثني المثنى ، قال: ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن هشام ، قال: أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي ، في قوله: ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم﴾ [المائدة: ٥٤] قال: " يقول: فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم ، بقوم **يحبهم ويحبونه** بأبي بكر وأصحابه " وأما على قول من قال: عني بذلك: أهل اليمن؛ فإن تأويله: يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله المؤمنين الذين لم يرتدوا بقوم **يحبهم ويحبونه** ، أعوانا لهم وأنصارا. وبذلك جاءت الرواية عن بعض من كان يتأول ذلك كذلك." (٧)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢١/٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٢/٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٢/٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٢/٨

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٢/٨

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٣/٨

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٤/٨

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن الحسين ، قال: ثنا أحمد بن المفضل ، قال: ثنا أسباط ، عن السدي: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] يزعم أنهم الأنصار " وتأويل الآية على قول من قال: عنى الله بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] أبا بكر وأصحابه في قتالهم أهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئا ، وسيأتي الله من ارتد منكم عن دينه بقوم **يحبهم ويحبونه** ، ينتقم بهم منهم على أيديهم. وبذلك جاء الخبر والرواية عن بعض من تأول ذلك كذلك." (١)

""ويقول"، لأنها كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل المشرق، بالواو، وبرفع"يقول" على الابتداء.

* * *

فتأويل الكلام= إذ كانت القراءة عندنا على ما وصفنا (١) =: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول المؤمنون: أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذبا إنهم لمعنا؟

* * *

يقول لله تعالى ذكره، مخبرا عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم="حبطت أعمالهم"، يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلا لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرض واجب، ولا على صحة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرها، إذ لم تكن له (٢) ="فأصبحوا خاسرين"، يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون، عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر، قد وكسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم، وهلكوا. (٣)

* * *

القول في تأويل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله:"يا أيها الذين آمنوا"، أي: صدقوا لله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم="من يرتد منكم عن دينه"، يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: "إذ كان القراءة"، والجيد ما أثبت.

(٢) انظر تفسير"حبط" فيما سلف ٩: ٥٩٢، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير"خسر" فيما سلف ص: ٢٢٤، تعليق: ١، والمراجع هناك.." (٢)

"هو عليه اليوم، فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، (١) فلن يضر الله شيئا، وسيأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم، المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ٥٢٤/٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤٠٩/١٠

ولم يرتدوا، بقوم خير من الذين ارتدوا وابدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله. (٢)

وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وعده من وعد من المؤمنين ما وعده في هذه الآية، لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه، ولا يرتد. فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم، ارتد أقوام من أهل الوبر، وبعض أهل المدر، فأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٧٧ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب: أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوما، وعمر أمير المدينة يومئذ، فقال: يا أبا حمزة، آية أسهرتني البارحة! قال محمد: وما هي، أيها الأمير؟ قال: قول الله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه" حتى بلغ"ولا يخافون لومة لائم". فقال محمد: أيها الأمير، إنما عنى الله بالذين آمنوا، الولاة من قريش، من يرتد عن الحق. (٣)

---

(١) انظر تفسير"ارتد" فيما سلف ص: ١٧٠، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٢) سياق هذه العبارة: "فسوف يجي الله ... المؤمنين ... بقوم ... ".

(٣) الأثر: ١٢١٧٧-"عبد الله بن عياش بن عباس القتباني"، ليس بالمتين، وهو ثقة. مترجم في التهذيب.

و"أبو صخر" هو"حميد بن زياد الخراط"، مضى مرارا، منها برقم: ٤٢٨٠، ٤٣٢٥، ٥٣٨٦، ٨٣٩١، ١١٨٦٧، ١١٨٩١.

ثم انظر الأثر التالي برقم: ١٢١٩٩.." (١)

"ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين، وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم.

فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٧٨ - حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا حفص بن غياث، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن في قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه. (١)

١٢١٧٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن، مثله.

١٢١٨٠ - حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة بن سليمان، عن جويبر، عن سهل، عن الحسن في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، قال: أبو بكر وأصحابه.

١٢١٨١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن علي، عن أبي موسى قال: قرأ الحسن:"فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٠/١٠

ويحبونه"، قال: هي والله لأبي بكر وأصحابه. (٢)

١٢١٨٢ - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا أحمد بن بشير، عن هشام،

---

(١) الأثر: ١٢١٧٨-"الفضل بن دلهم الواسطي القصاب". مختلف في أمره. مضى برقم: ٤٩٢٨.

(٢) الأثر: ١٢١٨١-"حسين بن علي بن الوليد الجعفي"، مضى قريبا: ١٢١٦٤.

و"أبو موسى"، هو: "إسرائيل بن موسى البصري"، نزيل الهند. روى عن الحسن البصري. ثقة لا بأس به. مترجم في التهذيب.." (١)

"عن الحسن في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: نزلت في أبي بكر وأصحابه. (١)

١٢١٨٣ - حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم"، قال: هو أبو بكر وأصحابه. لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام.

١٢١٨٤ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، إلى قوله:"والله واسع عليم"، أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ارتد عامة العرب عن الإسلام= إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس= قالوا: نصلي ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا! (٢) فكلم أبو بكر في ذلك فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها= أو: أدوها= (٣) فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه! (٤)

---

(١) الأثر: ١٢١٨٢-"نصر بن عبد الرحمن الأزدي"، هكذا جاء هنا أيضا في المخطوطة والمطبوعة: "الأودي"، وقد سلف أن تكلم عليه أخي السيد أحمد، وصححه"الأزدي" كما أثبته هنا، ولكني في شك من تصحيح ذلك كذلك، لكثرة إثباته في التفسير في كل مكان"الأودي" انظر ما سلف: ٤٢٣، ٨٧٥، ٢٨٥٩، ٨٧٨٣.

و"أحمد بن بشير القرشي المخزومي"، أبو بكر الكوفي. مضى برقم: ٧٨١٩.

و"هشام" هو: "هشام بن عروة بن الزبير بن العوام"، مضى برقم: ٢٨٨٩، ٨٤٦١.

(٢) القائلون: "نصلي ولا نزكي"، هم الذين ارتدور من عامة العرب.

(٣) في المطبوعة: "أعطوها أو زادوها"، وهو تخليط فاحش، وصوابه من المخطوطة وقوله: "أو: أدوها"، كأنه قال: روى بدل"أعطوها"، "أدوها". و"الهاء" فيهما راجعة إلى"الزكاة" التي منعوها.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١١/١٠

(٤) "العقال" (بكسر العين) : زكاة عام من الإبل والغنم. يقال: "أخذ منهم عقال هذا العام"، أي زكاته وصدقته. وقد فسره آخرون بأنه الحبل الذي كان تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة. وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤدي مع كل فريضة عقالا تعقل به، و"رواء" أي: حبلا. ويروي الخبر"لو منعوني عناقا". و"العناق": الأنثى من أولاد المعز، إذا أتت عليها سنة.." (١)

"فبعث الله عصابة مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم، حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة، فقاتلهم حتى أقروا بالماعون =وهي الزكاة= صغرة أقمياء. (١) فأتته وفود العرب، فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية. فاختاروا الخطة المخزية، وكانت أهون عليهم أن يقروا: أن قتلاهم في النار، وأن قتلى المؤمنين في الجنة، (٢) وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال.

١٢١٨٥ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال ابن جريج: ارتدوا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم أبو بكر.

١٢١٨٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن هشام

---

(١) "صغرة" جمع"صاغر": وهو الراضي بالذل والضيم. و"أقمياء"جمع"قميء": وهو الذليل الضارع المتضائل. والذي في كتب اللغة من جمع"قميء""قماء" (بكسر القاف) و"قماء" (بضمها) . وقد مر في الأثر رقم: ٤٢٢١"قمأة" في المخطوطة، وانظر التعليق عليه هناك. و"أقمياء" جمع عزيز هنا، فإن"فعيلا" الصفة، يجمع قياسا على"أفعلاء"، إذا كان مضاعفا، مثل"شديد" و"أشداء"، وكذلك إذا كان ناقصا واويا أو يائيا، نحو"غني" و"أغنياء"، و"شقي" و"أشقياء". أما الصحيح، فقليل جمعه على"أفعلاء"، مثل"صديق" و"أصدقاء". فإذا صحت رواية"أقمياء" في هذا الخبر، فهو صحيح في العربية إن شاء الله، لهذه العلة ولغيرها أيضا.

(٢) في المطبوعة: "أن يستعدوا أن قتلاهم في النار"، وفي المخطوطة مثلها غير منقوطة، ولم أجد لها تحريفا أقرب مما أثبت، استظهرته من الخبر الذي رواه الشعبي، عن ابن مسعود وهو: قوله: "فوالله ما رضى لهم إلا بالخطة المخزية، أو الحرب المجلية. فأما الخطة المخزية فأن أقروا بأن من قتل منهم في النار، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا. وأما الحرب المجلية، فأن يخرجوا من ديارهم" (فتوح البلدان للبلاذري: ١٠١) .." (٢)

"قال، أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن أبي أيوب، عن علي في قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه"، قال: علم الله المؤمنين، ووقع معنى السوء على الحشو الذي فيهم من المنافقين ومن في علمه أن يرتدوا،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٣/١٠

(١) قال:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله"، المرتدة في دورهم (٢) ="بقوم **يحبهم ويحبونه"**، بأبي بكر وأصحابه. (٣)

* * *

وقال آخرون: يعني بذلك قوما من أهل اليمن. وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري، عبد الله بن قيس. (٤)

ذكر من قال ذلك:

١٢١٨٨ - حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية،"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**،

---

(١) في المطبوعة: "وأوقع معنى السوء"، وأثبت ما في المخطوطة، وأنا في شك من العبارة كلها، وإن كان لها وجه ومعنى.

(٢) في المطبوعة: "المرتدة عن دينهم"، وفي المخطوطة: "في دينهم"، والصواب ما أثبته من الأثر التالي رقم: ١٢٢٠١.

(٣) الأثر: ١٢١٨٦- في المطبوعة: "سيف بن عمرو"، وهو خطأ، صوابه ما أثبت من المخطوطة. وقد مضى مثل هذا الأثر برقم: ١٢١٢٨ وفيه"عبد الله بن هشام". وقد ذكرت هنالك أني لم أعرفه. وسقط من الترقيم؛ رقم: ١٢١٨٧ سهوا.

(٤) عن هذا الموضع، انتهى جزء من تقسيم قديم، وفي المخطوطة ما نصه:

"يتلوه: ذكر من قال ذلك.

وصلى الله على محمد".

ثم يتلوه ما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك".." (١)

"قال: أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: هم قوم هذا!

١٢١٨٩ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، قال: يعني قوم أبي موسى.

١٢١٩٠ - حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال، حدثنا ابن إدريس، عن شعبة = قال أبو السائب: قال أصحابنا: هو:"عن سماك بن حرب"، وأنا لا أحفظ"سماكا" = عن عياض الأشعري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قوم هذا يعني أبا موسى.

١٢١٩١ - حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن إدريس، عن شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري، قال النبي صلى

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٤/١٠

الله عليه وسلم لأبي موسى: هم قوم هذا= في قوله:"فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه".

١٢١٩٢ - حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا شعبة، عن سماك بن حرب قال: سمعت عياضا الأشعري يقول: لما نزلت:"فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قومك يا أبا موسى! = أو قال: هم قوم هذا= يعني أبا موسى. (١)

---

(١) الآثار: ١٢١٨٨- ١٢١٩٢-"عياض الأشعري"، هو"عياض بن عمرو الأشعري"، تابعي، مختلف في صحبته، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. رأى أبا عبيدة بن الجراح، وعمر بن الخطاب، وأبا موسى الأشعري، وغيرهم. قال ابن سعد ٦: ١٠٤: "كان قليل الحديث". روى عنه الشعبي، وسماك بن حرب. مترجم في التهذيب، وأسد الغابة، والإصابة، والاستيعاب: ٤٩٨، والكبير للبخاري ٤/ ١/ ١٩.

وهذا الخبر رواه ابن سعد في الطبقات ٤/ ١/ ٧٩، من طريق عبد الله بن إدريس، وعفان بن مسلم، عن شعبة، عن سماك، عن عياض. والحاكم في المستدرك ٢: ٣١٣، من طريق وهب بن جرير، وسعيد بن عامر، عن شعبة، عن سماك، عن عياض، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ١٦، وقال: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٢، وزاد نسبته لابن أبي شيبة في مسنده، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل. وذكره ابن كثير في تفسيره ٣: ١٧٩، ١٨٠، عن ابن أبي حاتم، عن عمر بن شبة، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن شعبة.." (١)

"١٢١٩٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو سفيان الحميري، عن حصين، عن عياض= أو: ابن عياض="فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، قال: هم أهل اليمن. (١)

١٢١٩٤ - حدثنا محمد بن عوف قال، حدثنا أبو المغيرة قال، حدثنا صفوان قال، حدثنا عبد الرحمن بن جبير، عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه" إلى آخر الآية، قال عمر: أنا وقومي هم، يا رسول الله؟ قال:"لا بل هذا وقومه! يعني أبا موسى الأشعري. (٢)

* * *

---

(١) الأثر: ١٢١٩٣-"وأبو سفيان الحميري"، هو"سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري" الحذاء، الواسطي. صدوق، وقال الدارقطني: "متوسط الحال ليس بالقوي". مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري ٢/ ١/ ٤٧٧، وابن أبي حاتم ٢/ ١/ ٧٤.

و"حصين" هو"حصين بن عبد الرحمن السلمي"، ثقة، من كبار الأئمة. مضى برقم: ٥٧٩، ٢٩٨٦.

و"عياض" هو الأشعري كما سلف في الآثار السابقة. وأما "ابن عياض"، فلم أجد من ذكر ذلك، وكأنه شك من أبي

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٥/١٠

سفيان الحميري، أو سفيان بن وكيع.

وانظر تخريج الآثار السالفة.

(٢) الأثر: ١٢١٩٤-"محمد بن عوف بن سفيان الطائي"، شيخ الطبري، ثقة حافظ، مضى برقم: ٥٤٤٥.

و"أبو المغيرة" هو: "عبد القدوس بن الحجاج الخولاني"، "أبو المغيرة الحمصي" ثقة، صدوق. مضى برقم: ١٠٣٧١.

و"صفوان"، هو: "صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي"، سمع عبد الرحمن بن جبير، مضى برقم: ٧٠٠٩. وهو مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري ٢/ ٢/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم ٢/ ١/ ٤٢٢، وفي ترجمته في التهذيب خطأ بين، ذكر أنه مات سنة (١٠٠) والصواب سنة (١٥٥) ، كما في التاريخ الكبير وغيره.

و"عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي"، تابعي ثقة. مضى برقم: ١٨٦، ١٨٧.

و"شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي" تابعي ثقة، مضى برقم: ٥٤٤٥. و"صفون بن عمرو" يروي عن شريح مباشرة، ولكنه روى هنا عنه بواسطة"عبد الرحمن بن جبير".

وهذا الأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٢، ولم ينسبه لغير ابن جرير.." (١)

"وقال آخرون منهم: بل هم أهل اليمن جميعا.

ذكر من قال ذلك:

١٢١٩٥ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله:"يحبهم ويحبونه"، قال: أناس من أهل اليمن.

١٢١٩٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٢١٩٧ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد قال: هم قوم سبأ.

١٢١٩٨ - حدثنا مطر بن محمد الضبي قال، حدثنا أبو داود قال، أخبرنا شعبة قال، أخبرني من سمع شهر بن حوشب قال: هم أهل اليمن. (١)

١٢١٩٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني عبد الله بن عياش، عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي: أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوما، وهو أمير المدينة، يسأله عن ذلك: فقال محمد:"يأتي الله بقوم"، وهم أهل اليمن! قال عمر: يا ليتني منهم! قال: آمين! (٢)

* * *

وقال آخرون: هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك:

١٢٢٠٠ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٦/١٠

(١) الأثر: ١٢١٩٨-"مطر بن محمد الضبي"، شيخ الطبري، لم أجد له ترجمة ولا ذكرا. وفيمن اسمه"مطر": "مطر بن محمد بن نصر التميمي الهروي"، مترجم في تاريخ بغداد ٣: ٢٧٥. و"مطر بن محمد بن الضحاك السكري"، يروي عن يزيد بن هرون. مترجم في لسان الميزان ٦: ٤٩. ولا أظنه أحدهما، وأخشى أن يكون دخل اسمه بعض التحريف.

(٢) الأثر: ١٢١٩٩- انظر الأثر السالف رقم: ١٢١٧٧، والتعليق عليه.." (١)

"حدثنا أسباط، عن السدي:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، يزعم أنهم الأنصار.

* * *

وتأويل الآية على قول من قال: عنى الله بقوله:"فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه"**، أبا بكر وأصحابه في قتالهم أهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم=: يا أيها الذين آمنوا، من يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئا، وسيأتي الله من ارتد منكم عن دينه بقوم **يحبهم ويحبونه**، ينتقم بهم منهم على أيديهم. وبذلك جاء الخبر والرواية عن بعض من تأول ذلك كذلك:

١٢٢٠١ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن هشام قال، أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي في قوله:"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم"، قال يقول: فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم (١) ="بقوم **يحبهم ويحبونه"**، بأبي بكر وأصحابه. (٢)

* * *

وأما على قول من قال: عنى الله بذلك أهل اليمن، فإن تأويله: يا أيها الذين آمنوا، من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله المؤمنين الذين لم يرتدوا، بقوم **يحبهم ويحبونه**، أعوانا لهم وأنصارا. وبذلك جاءت الرواية عن بعض من كان يتأول ذلك كذلك.

١٢٢٠٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح،

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:"يا أيها الذين

---

(١) قوله: في دورهم"، هو الصواب، وقد كان في المخطوطة والمطبوعة، في الأثر السالف رقم: ١٢١٨٦"في دينهم" و"عن دينهم"، والصواب هو الذي هنا. انظر التعليق السالف ص: ٤١٤ تعليق: ٢.

(٢) الأثر: ١٠٢٠١- هو بعض الأثر السالف رقم: ١٢١٨٦، وكان في هذا الموضع أيضا"سيف بن عمرو"، وهو خطأ، كما بينته هناك.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٧/١٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر؟ الطبري، أبو جعفر ٤١٨/١٠

"أي ذهب ما أظهروه من الإيمان، وبطل كل خير عملوه بكفرهم وصدهم.

عن سبيل الله كما قال: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم).

المعنى ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، أي في وقت يظهر الله

نفاقهم فيه.

* * *

وقوله: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

فيها من العربية ثلاثة أوجه، من يرتدد، ومن يرتد بفتح الدال ومن يرتد

منكم، بكسر الدال. ولا يجوز في القراءة الكسر لأنه لم يرو أنه قرئ به.

وأما (من يرتدد) فهو الأصل، لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضعفين

ظهر التضعيف، نحو قوله: (إن يمسسكم قرح) ولو قرئت إن يمسكم

قرح كان صوابا، ولكن لا تقرأن به لمخالفته المصحف، ولأن القراءة سنة.

وقد ثبت عن نافع وأهل الشام يرتدد بدالين، وموضع يرتد جزم، والأصل كما قلنا يرتدد، وأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين، قال أبو عبيد: إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين وأحسبه غلط، لأن اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد أكثر في الكلام من أن يحصى نحو شرر ومدد، وقدد، وخدد، والكسر في قوله من يرتد يجوز لالتقاء الساكنين لأنه أصل.

والفاء جواب للجزاء، أي إن ارتد أحد عن دينه، أي الذي هو الإيمان.." (١)

"(فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**).

أي بقوم مؤمنين غير منافقين.

(أذلة على المؤمنين).

أي جانبهم لين على المؤمنين، ليس أنهم أذلاء مهانون.

(أعزة على الكافرين).

أي جانبهم غليظ على الكافرين.

وقوله: (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم).

لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويظاهرونهم، ويخافون لومهم.

فأعلم الله عز وجل أن الصحيح الإيمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج؟ الزجاج ١٨٢/٢

لسانه لومة لائم.
ثم أعلم الله عز وجل أن ذلك لا يكون إلا بتسديده
وتوفيقه فقال عز وجل: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).
أي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين فضل
من الله عز وجل عليهم، لا توفيق لهم إلا به عز وجل.
* * *

وقوله: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)
بين من هم المؤمنون فقال: (الذين يقيمون الصلاة).
وإقامتها تمامها بجميع فرضها، وأول فروضها صحة الإيمان بها وهذا
كقولك: فلان قائم بعلمه الذي وليه، تأويله إنه يوفي العمل حقوقه، ومعنى." (١)
"جا في التفسير أن شعارهم لا إله إلا الله، وكلمة التقوى توحيد الله
والإيمان برسوله عليه السلام.
(وكانوا أحق بها وأهلها).
أي كانوا أحق بها من غيرهم، لأن الله - جل وعز - اختار لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ولدينه أهل الخير ومستحقيه، ومن هو أولى بالهداية من غيره.
* * *

وقوله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (٢٧)
رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منامه كأنه وأصحابه - رحمهم الله - يدخلون مكة محلقين ومقصرين، فصدق الله رسوله الرؤيا فدخلوا على ما رأى.
وكانوا قد استبطأوا الدخول.
ومعنى (إن شاء الله) يخرج على وجهين:
أحدهما إن أمركم الله به.
ويجوز وهو حسن أن يكون " إن شاء الله " - جرى على ما أمر الله به في
كل ما يفعل متوقعا، فقال: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء الله).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج؟ الزجاج ١٨٣/٢

* * *

وقوله عز وجل: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

(٢٩)

وصفهم الله بأن بعضهم متحنن على بعض، وأن عليهم السكينة

والوقار، وبعضهم يخلص المودة لبعض، وهم أشداء على الكفار.

أشداء جمع شديد، والأصل أشدداء، نحو نصيب وأنصباء، ولكن الدالين تحركتا فأدغمت الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).." (١)

"المبحث الرابع أسرته وأثرها في تكوين شخصيته

ذكرت سابقا أن أبا الحسن من سلالة الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وكان من فقهاء الصحابة وقرائهم١، وقد أثنى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عليه وعلى قومه، وذلك فيما أخرجه الحاكم بسنده إلى سماك ابن حرب قال: "سمعت عياض الأشعري يقول: لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم قومك يا أبا موسى، وأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي موسى الأشعري" ٢.

وقد كان لأبي موسى وأحفاده من بعده مجهود ضخم في رعاية أمور المسلمين وخدمتهم٣، وقد كان أبو موسى نفسه أحد الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عن الجميع، ولا شك أن هذا الأصل الطيب له أثر في ثمرته الطيبة، ولا شك أن هذا ليس قاعدة مطردة، ولكني أردت هنا أن أبين مدى تأثر الأشعري بالبيئة التي عاش فيها، وما هو الدافع وراء تأثره بالاعتزال منذ حداثة سنه، وهذا ما سيتضح لنا فيما يأتي.

أما أبوه، فقد ذكر أبو بكر بن فورك أنه كان سنيا جماعيا حديثيا٤ وأنه أوصى بالأشعري عند وفاته إلى زكريا بن يحي الساجي٥، وهو إمام في الفقه والحديث.

فوالد الأشعري إذا من أهل السنة والجماعة، بل من أهل الحديث، ويظهر لنا حرصه وتمسكه بمذهب أهل الحديث ما قام به عند وفاته، حيث دفع ابنه إلى إمام من أئمة الحديث، وهو الحافظ زكريا الساجي محدث البصرة، وقد ذكر الذهبي في التذكرة أن الأشعري أخذ عنه مقالة أهل الحديث، كما ذكر ابن عساكر أن الأشعري روى عنه كثيرا في تفسيره٦.

---

١ انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد٦/١٦، والتهذيب لابن حجر ٥/٣٦٢.

٢ أخرجه الحاكم وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ٢/٣١٣. وقال الهيثمي:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج؟ الزجاج ٥/٢٨

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ١٦/٧.

٣ انظر: ما ذكره ابن عساكر في التبيين عن أبي موسى وفضله ومكانته، وكذلك أولاده من بعده ص٥٧–٩١.

٤ انظر: تبيين كذب المفتري ص٣٥.

٥ هو الإمام الحافظ محدث البصرة أبو يحيى زكريا بن يحيي بن عبد الرحمن الساجي (ت/ ٣٠٧هـ) . انظر: ترجمته في تذكرة الحفاظ ٧٠٩/٢، والتبيين ص٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى ٢٩٩/٣، وشذرات الذهب ٢٥٠/٢.

٦ التبيين ص٣٥.." (١)

"منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

قال ابن كعب: أيها الأمير إنما عنى الله ب أيها الذين آمنوا الولاة من قريش.

قوله تعالى: من يرتد منكم عن دينه

٦٥٣٢ - وبه عن محمد بن كعب قوله: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قال: من يرتد عن الحق.

٦٥٣٣ - حدثنا أبي، ثنا هوذة بن خليفة، ثنا عوف بن الحسن من يرتد منكم عن دينة قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر.

قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

[الوجه الأول]

٦٥٣٤ - حدثنا أبي ثنا محمد بن المصفى، ثنا معاوية بن حفص عن أبي زياد الخلفاني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون، ثم من تجيب «١» .

٦٥٣٥ - حدثنا عمر بن شبة، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا شعبة عن سماك قال: سمعت عياض يحدث عن الأشعري. قال: لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قوم هذا «٢» .

٦٥٣٦ - حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** إنه وعيد من الله أنه من ارتد منهم سنستبدل بهم خيرا منهم.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب؟ أبو الحسن الأشعري ص/٢١

الوجه الثاني:

٦٥٣٧ - حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو الأودي قالا: ثنا وكيع عن الفضل بن دلهم عن الحسين فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال: هو والله أبو بكر وأصحابه.

---

(١) . قال ابن كثير: هذا حديث غريب ٣/ ١٢٧.

(٢) . الحاكم ٢/ ٣١٣ قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.." (١)

"٦٥٣٨ - حدثنا أبو فضيل محمد بن جابر، ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك في قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال: هو أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب. جاء بهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام.

الوجه الثالث:

٦٥٣٩ - ذكر عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال: أهل القادسية.

والوجه الرابع:

٦٥٤٠ - حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال: قوم من سبأ «١» .

قوله تعالى: أذلة

٦٥٤١ - حدثنا أبي ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: أذلة على المؤمنين يعني: بالأذلة الرحمة.

قوله تعالى: على المؤمنين

٦٥٤٢ - حدثنا علي بن الحسن المسنجاني، ثنا عبد الرحمن بن أبي العمرو سألته يعني أبا صخر عن قول الله أذلة على المؤمنين قال: قال عمر بن عبد العزيز «٢» ...

عن قوله: أذلة على المؤمنين فقال: أنتم المؤمنون.

قوله تعالى: أعزة على الكافرين

٦٥٤٣ - ذكر عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء عليهم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ٤/١١٦٠

قوله تعالى: يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم

٦٥٤٤ - حدثنا علي بن الحسين ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا إسحاق بن منصور عن أبي مريم عن ليث عن مجاهد قوله: يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم قال: يسارعون في الحرب.

---

(١) . طمس في الأصل والإضافة عن ابن كثير ٣/ ١٢٧.

(٢) . طمس بالأصل.." (١)

"٦٥٣١ - أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، ثنا ابن وهب ، حدثني عبد الله بن عباس يعني ابن عباس القباني ، عن أبي صخر ، عن محمد بن كعب ، عن عمر بن عبد العزيز ، أرسل إليه يوما وعمر يومئذ أمير المدينة ، فقال: يا أبا حمزة آية قرأتها البارحة ، قال محمد: وما هي أيها الأمير؟ قال: قول الله عز وجل ﴿ﷺيا أيها الذين آمنوا من يرتد - [١١٦٠]- منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال ابن كعب: أيها الأمير إنما عنى الله بالذين آمنوا الولاة من قريش." (٢)

"ﷺقوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**." (٣)

"٦٥٣٣ - حدثنا أبي ، ثنا هوذة بن خليفة ، ثنا عوف، عن الحسن: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ، قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر." (٤)

"٦٥٣٤ - حدثنا أبي ، ثنا محمد بن المصفى ، ثنا معاوية بن حفص ، عن أبي زياد الخلقاني ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة ، ثم من السكون ، ثم من تجيب." (٥)

"٦٥٣٥ - حدثنا عمر بن شبة ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا شعبة ، عن سماك ، قال: سمعت عياضا ، يحدث عن الأشعري ، قال: لما نزلت ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قوم هذا»." (٦)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦١/٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٥٩/٤

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

(٥) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

(٦) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

"٦٥٣٦ - حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا عبد الله بن الأجلح ، عن محمد بن عمرو ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] إنه وعيد من الله أنه من ارتد منهم سنستبدل بهم خيرا منهم." (١)

"٦٥٣٧ - حدثنا أبو سعيد الأشج ، وعمرو الأودي ، قالا: ثنا وكيع ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن ، ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: هو والله أبو بكر وأصحابه." (٢)

"حدثنا أبو فضيل ، محمد بن جابر ، ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: هو أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاء بهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام." (٣)

"٦٥٣٩ - ذكر عن أبي بكر بن أبي شيبة ، قال: سمعت أبا بكر بن عياش ، يقول في قوله: ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: أهل القادسية." (٤)

"٦٥٤٠ - حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، ﴿ﷺفسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال: قوم من سبأ." (٥)

"قال الله تعالى: فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده يعني: نصر محمد صلى الله عليه وسلم الذي أيسوا منه أو أمر من عنده يعني: من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. ويقال:

الفتح أي: فتح مكة أو أمر من عنده يعني: الخصب. وقال القتبي: الفتح أن يفتح المغلق.

ثم قال: النصرة فتح، لأن النصرة يفتح الله بها أمرا مغلقا، كقوله: فإن كان لكم فتح من الله [النساء: ١٤١] وكقوله فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده يعني: إظهار نفاقهم، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم من النفاق، نادمين لأن المنافقين لما رأوا من أمر بني قريظة والنضير ندموا على ما قالوا.

ثم قال تعالى: ويقول الذين آمنوا يعني: في ذلك الوقت الذي يظهر نفاقهم، هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم يقول: إذا حلفوا بالله فهو جهد اليمين.

إنهم لمعكم على دينكم. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر يقول الذين آمنوا بغير واو، ومعناه: أن الله تعالى لما بين حال المنافقين، بين على أثره حال المؤمنين. فقال تعالى:

يقول الذين آمنوا يعني: قال الذين آمنوا بعضهم لبعض. وقرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم والكسائي ويقول الذين آمنوا بالواو

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦١/٤

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦١/٤

(٥) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا؟ الرازي، ابن أبي حاتم ١١٦١/٤

وضم اللام ومعناه: عسى الله أن يأتي بالفتح، ويندم المنافقون، ويقول الذين آمنوا عند ذلك هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم وقرأ أبو عمرو ويقول بالواو ونصب اللام، عطفا على قوله: فعسى الله أن يأتي بالفتح وعسى أن يقول الذين آمنوا.
ثم قال تعالى: حبطت يعني: بطلت أعمالهم يعني: المنافقين الذين كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين وعلى دينهم، ولم يكونوا معهم حبطت أعمالهم فلا ثواب لهم في الآخرة فأصبحوا خاسرين يعني: صاروا خاسرين في الدنيا وفي الآخرة.
قوله تعالى:

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأ نافع وابن عامر، ومن يرتدد منكم بالدالين، وقرأ الباقون بالدال الواحدة مع التشديد. فأما من قرأ يرتدد، فهو الأصل في اللغة، وروي عن أبي عبيدة أنه قال: رأيت في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه،." (١)

"بالدالين. وأما من قرأ يرتد لأنه أدغم الدال الأولى في الثانية، فأسكن الأولى، ثم حرك الثانية إلى النصب لالتقاء الساكنين. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن أهل الردة الذين ارتدوا على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن العرب ارتدوا وقالوا:
نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما أن نعطي من أموالنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا. وخرج مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة، وامتنعوا. فشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: وكيف نقاتل قوما، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى» ، فقال أبو بكر الصديق: الزكاة من حقها.
ثم قال: والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم عليه.
فاتفقت الصحابة على قول أبي بكر، وجمعوا العسكر، وجاءهم من قبل اليمن سبعة آلاف رجل، واجتمع ثلاثة آلاف من أفناء الناس، فخرجوا وأميرهم «خالد بن الوليد» ، وقاتلهم، وخرج مسيلمة الكذاب مع أهل اليمامة، واجتمع الأعراب معه، وكان بينهم قتال شديد، فقتل يومئذ من المسلمين مائة وأربعون رجلا ومنهم «ثابت بن قيس بن شماس» ، «وسالم مولى أبي حذيفة» وغيرهما فكاد المسلمون أن ينهزموا كلهم حتى نصرهم الله، وأظهرهم على أعدائه، وقتل مسيلمة الكذاب، وأصحابه، وتاب أهل الردة، فذلك قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** يعني: يحبون الله أذلة على المؤمنين يعني: رحيمة لينة على المؤمنين أعزة على الكافرين يقول: شديدة غليظة على الكافرين يعني: أهل اليمن.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم؟ أبو الليث السمرقندي ٣٩٨/١

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا، وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية» «١» . وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: فسوف يأتي الله بقوم يعني: الجند من جنود الله، مردا وعونا للخليفة أبي بكر، يحبهم الله كحب الوالد لولده، أذلة على المؤمنين كالعبد لسيده، أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته. ويقال:

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** هو أبو بكر وأصحابه، وقال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه. وقال الضحاك: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتدت العرب جاهدهم حتى ردهم إلى الإسلام. وهذا من شمائل أبي بكر، حيث اتفقت الصحابة على رأيه، وذكر أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، هم المنافقون أن يظهروا كفرهم، وتحير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك، حتى جاء عمر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤) كتاب المغازي (٧٥) باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن رقم الحديث (٤٣٩٠) ج ٣ صفحة ١٤٣.." (١)

"المنصوصات كالقبلة والصوم والصلاة وغير ذلك من منصوصات الدين فمن أين قلت إنه غير وبدل بعد تمامه وكماله فإن حاول حجة على دعواه لم يجد

ويقال لهم قال الله عز وجل والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فمن أين قلتم أنتم إنهم غيروا وبدلوا وكفروا والله يمدحهم بهذا المديح ويصفهم بوصف الإيمان وقال عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ فكان أبو بكر الصديق والذين معه قاتلوا أهل الردة حتى رجعوا إلى الدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئا

فمكن بحمده بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفاءه وأمته في أرضه يعبدونه لا يشركون به شيئا

وقال عز وجل ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾." (٢)

"قال الله تعالى ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وقال ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾

وقال ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾

فكانت إرادته لهم سبب إرادتهم له إذ علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ومن أراده الحق فمحال أن لا يريده العبد فجعل المريد مرادا والمراد مريدا غير أن المريد هو الذي سبق اجتهاده كشوفه والمراد هو الذي سبق كشوفه اجتهاده

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم؟ أبو الليث السمرقندي ٣٩٩/١

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع؟ المَلَطي، أبو الحسين ص/٢٧

فالمريد هو الذي قال الله تعالى عنه ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وهو الذي يريده الله تعالى فيقبل بقلبه ويحدث فيه لطفا يثير منه فيه الاجتهاد فيه والاقبال عليه والارادة له ثم يكاشفه الاحوال

كما قال حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي ثم قال وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا

فأخبر أن كشوف أحوال الغيب له كان عقيب عزوفه عن الدنيا

والمراد هو الذي يجذبه الحق جذبه القدرة ويكاشفه بالاحوال فيثير قوة الشهود منه اجتهادا فيه وإقبالا عليه وتحملا لاثقاله كسحرة فرعون لما كوشفوا بالحال في الوقت سهل عليهم تحمل ما توعدهم به فرعون فقالوا ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض﴾

وكما فعل بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل يريد قتل رسول الله فأسره الحق في سبيله." (١)

"الله، يصلح أن يبغضك المنافقون كما تبغضهم أنت، فكأنك تتحبب إلى المؤمنين حتى يحبوك وتتبغض إلى المنافقين حتى يبغضوك بإظهار التباعد عنه وبترك الممالاة له وبنصحك إياهم، فيدل ذلك على قوة إيمانك، لم تأخذك في الله لومة لائم منهم، كما وصف تعالى بذلك من **يحبهم ويحبونه**، ويكون ذلك أبعد لك من المداهنة والنفاق، وأقرب إلى الورع والإخلاص فإذا فعلت ذلك بهم أبغضوك أو مقتوك، فهذا على معنى ما قال الله سبحانه: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح: ٢٩، وقال: (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) المائدة: ٥٤، وكما أمر نبيه عليه السلام في قوله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) التوبة: ١٢٣ وروي عن عيسى عليه السلام أن الله عز وجل قال: أحب عبادي إلي الذين يذكروني بالأسحار ويبغضون إلى الفجار، معناه أن يظهرلهم البغض وينابذهم العداوة حتى يبغضوه، فإذا أبغضوه أبغضهم الله، فيكون بغضهم إليه بهذا المعنى أي كان سبب عقوبة لهم بالبغض والمقت، وقد كان الثوري يقول: إذا رأيت الرجل محببا إلى جيرانه فاعلم أنه منافق، وقال كعب الأحبار لأبي إدريس الخولاني وكان من علماء الشام: كيف أنت في قومك؟ قال يحبوني ويكرموني قال كعب: ما صدقتني التوراة إذن قال: وما في التوراة؟ قال أجد في التوراة أن الرجل العالم لا يحبه جيرانه، وقال بعض المريدين: قلت لبعض أهل المعرفة: أني كثير الغفلة عن الله قليل المسارعة إلى مرضاته، أوصني بشيء أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا، قال: يا أخي، إن استطعت أن تتحبب إلى أولياء الله وتتقرب من قلوبهم فافعل، لعلهم يحبونك فإن الله عز وجل ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظرة، فلعله أن ينظر إليك في قلوبهم لمحبتهم لك فيجيرك جيرة الدنيا والآخرة، إذا لم تكن ممن ينظر إليه كفاحا، وكذلك يقال: إن الله تعالى عز وجل ينظر إلى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة، ثم ينظر إلى قلوب قوم في قلوب قوم وإلى قلوب قوم من قلوب آخرين، فهكذا عندي من عزائم الدين وسبيل الورعين أن تتبغض إلى أعدائه وتتمقت إليهم من المبتدعين والظالمين، ليبغضوك ويمقتوك، فيكون لك من القربة كحب أوليائه لك وحبك لهم، فهذا من أسباب ولاية الله.

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم، لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي، ووصل بعض الأمراء أبا هريرة بألف

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف؟ أبو بكر الكلاباذي ص/١٤٠

دينار وعشرة أثواب فردها عليه وقال، ما كنت لأقبل منه يأخذ المال من غير حله ويضعه في غير حقه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ردوا هدية الفاجر." (١)

"اغتبط بمقامه واطمأن ورضي بحاله، أو كان مقامه على هوى أو لاختلاف أسباب الفتنة والدنيا، قال الله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) النساء: ٩٧ في التفسير: إذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحول منه إلى غيره، وقيل: إذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر والمعاصي أضعف أو أقل من أهل الدين والمعروف، ثم لم ينكر ذلك فقد وجب الخروج منه، ثم قال عز وجل في قوم من المستضعفين عذرهم وأرجى إلى العفو أمرهم: (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) النساء: ٧٥ وقال تعالى في تمام وصفهم واستثنائهم من غيرهم: (ولا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) النساء٩٨ - ٩٩ ولا يصح الرضا إلا بالعصمة من جميع الهوى، وأول الرضا القناعة، وقال بعض أهل المعرفة: لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء إلى باب منزله جميع ما يرغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة، فعرض عليه لم ينظر إلى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله، والعصمة حال الراضي عن الله عز وجل، وهي ظاهر الرحمة، والرحمة أول الرضا من الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي) يوسف: ٥٣ وقال تعالى: (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) هود: ٤٣ فالعصمة من الله لعبده دليل على الرحمة منه، ثم تدخله في مقام المحبة وهي رحمة المحبوبين، ثم ترفعه إلى الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب، ويكون الرضا حاله في جميع تصريف البقية والمطلوب، وهذا آخر كتاب الرضا.

ذكر أحكام المحبة ووصف أهلها وهو المقام التاسع من مقامات اليقين

المحبة من أعلى مقامات العارفين، وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم، قال الله جلت قدرته: (**يحبهم ويحبونه**) المائدة: ٥٤ ثم قال تعالى: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الحديد: ٢١ وهذا الخبر متصل بالابتداء في المعنى لأن الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم، وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار، وقال الله عز وجل مصداق قول نبيه عليه السلام، ردا على من ادعى محبته واحتجاجا عليهم: (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) المائدة: ١٨ وقال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اصنع ماشئت فقد غفرت لك، وروينا عن إسماعيل بن أبان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ثم تلا: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنوب بقوله تعالى: (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران: ٣١ فكل مؤمن بالله فهو محب لله، ولكن محبته على قدر إيمانه، وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه، دليل ذلك استجابتهم له." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ٧٨/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ٨٢/٢

"يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) الحج: ٧٥ وفي الخبر: إذا أحب الله عبدا ابتلاه يعني اختبره؛ فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه، وقال بعض العلماء: إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك، وقال بعض المريدين لأستاذه: قد طولعت بشيء من المحبة فقال: يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه؟ فقال: لا فقال: فلا تطمع في المحبة، فإنه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه، ومن دلائل المحبة حب: كلام الحبيب وتكريره على الأسماع والقلوب، وحدثونا عن بعض المريدين قال: كنت وجدت حلاوة المناجاة في سوء الإرادة، فأدمنت على قراءة القرآن ليلا ونهارا، ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة، قال: فسمعت قائلا يقول لي في المنام: إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي، أما ترى ما فيه من لطيف عتابي، قال: فانتبهت، وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي الأول، وقد قال بعض العارفين: لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل مايريد، وقد كان ابن مسعود يقول: لا على أحدكم أن يسأل على نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله، ومن علامة حب القرآن حب أهل القرآن وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن وحب الله حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي عليه السلام حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرةوقال تعالى وهو أحسن القائلين: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) المائدة: ٥٤ أي لا يرتدون لأنهم أبدال المرتدين، ولا ينبغي أن يكونوا أمثالهم، كما قال: يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم، ومن علامة محبة المولى تقديم أمور الآخرة من كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس، والمبادرة بأوامر المحبوب وبواديه قبل عاجل حظوظ النفس، ثم إيثار محبته على هواك واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمرك به ونهاك، والذل لأوليائه من العلماء به والعاملين، ثم التعزز على أبناء الدنيا الموصوفين بها المؤثرين لها، كما قيل لابن المبارك: ما التوضع؟ فقال: التكبر على المتكبرين، وقال الفتح بن شحرف، رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت: أنبئني بحرف خير فقال: ماأحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب الله، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، وإنما وصف الله أحباءه بالذل للأولياء والعز على الأعداء لأنه يصف من يحبه بأحسن الأوصاف، فالذل للحبيب حسن، والعز على العدو في حسنه مثل العز على." (١)

"قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله عز وجل لقوله: فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين «١» .

قوله تعالى: وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه «٢» .

والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه.

الحسن: إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله «٣» .

وقوله: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى «٤» .

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ٨٨/٢

والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة ولذلك قال عز من قائل: والذين آمنوا أشد حبا لله.

سعيد بن جبير: إن الله يأمر يوم القيامة من أحرف نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فيأتون لعلمهم إن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكافرين: إن كنتم أحبائي لا تحبون النار فينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله.

وقيل: لأن حب المشركين لأوثانهم مشترك لأنهم يحبون الأنداد الكثيرة وحب المؤمنين لربهم غير مشترك لأنهم يحبون ربا واحدا، وقيل: لأن حبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي.

وقيل إن حبهم للأصنام بالتقليد وحب المؤمنين لله تعالى بالدليل والتمييز.

وقيل: لأن الكافرين يرون معبودهم ومصنوعهم والمؤمنون يرون الله تعالى صانعهم، وقيل: لأن المشركين أحبوا الأصنام وعاينوها والمؤمنون يحبون الله ولم يعاينوه بل آمنوا بالغيب في الغيب للغيب.

وقيل: إنما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كان محبته أتم وأصح.

قال الله تعالى: **يحبهم ويحبونه** «٥» .

وقرأ أبو رجاء العطاردي: يحبونهم بفتح الياء وهي لغة يقال: حببت الرجل فهو محبوب

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٢) سورة الإسراء: ٦٧.

(٣) سورة يونس: ١٨.

(٤) سورة الزمر: ٣.

(٥) سورة المائدة: ٥٤.." (١)

"بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد إليه في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب صعب شديد وكان وحشي: يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وقتلت شر الناس في الإسلام.

والفرقة الثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد فادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من قتل بعد وفاته (عليه السلام) من أهل الردة، فعسكر واستكشف أمره فبعث إليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خالد بن الوليد فهزموهم بخالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة ومر على امرأته هاربا نحو الشام فلجأ إلى بني جفنة فأجاروه ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، فهذه الثلاث الذين ارتدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السبعة الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) ، لما مات رسول الله (عليه السلام) شمتت اليهود والنصارى وأظهر النفاق من كان يخفيه وماج الناس وكثر القيل والقال. وارتدت العرب على

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن؟ الثعلبي ٣٤/٢

أعقابها، فارتدت فزار ورأسوا عليهم عيينة بن عين بن بدر، وارتدت غطفان، وأمروا عليهم قرة بن سلمة القسري، وارتدت بنو سليم ورأسوا عليهم النجاخ ابن عبد ياليل، وارتدت بنو يربوع ورأسوا عليهم مالك بن نويرة. وارتدت طائفة أخرى من بني تميم ورأسوا امرأة منهم يقال لها: سجاح بنت المنذر وادعت النبوة ثم إنها زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب.

وارتدت كندة ورأسوا على أنفسهم الأشعث بن قيس. وارتدت بنو بكر بن وائل بأرض البحرين ورأسوا عليهم الحطم بن زيد فلقى الله أمر هؤلاء المرتدين ونصر دينه على يدي أبي بكر (رضي الله عنه) وأما الذي كان على عهد عمر (رضي الله عنه) رأسهم الغاني وأصحابه، وأخبار أهل الردة مشهورة في التواريخ مسطورة يطول بذكرها الكتاب «١» .

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه!

، مجاهد: هم أهل اليمن،

وقال غياض بن غنم الأشعري: لما نزلت هذه الآية أومى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال: هم قوم هذا.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أتاكم أهل اليمن، هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يماني والحكمة يمانية» «٢» .

الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاث آلاف من سائر الناس فجاهدوا في سبيل الله بالقادسية «٣» .

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ٢/ ٤٨٢. ٤٨٩.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٢٥٢.

(٣) كنز العمال: ١٢/ ٩١، يراجع تاريخ الطبري: ٣/ ٧.." (١)

"قال كعب: فلما سلمت على رسول الله وقلت: يا نبي الله من عند الله أم من عندك؟

قال: «بل من عند الله» ثم تلا عليهم: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله وكونوا مع الصادقين وقلت: يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث الأصدقاء حتى أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال: «أمسك عليك بعض مالك فهو أخير لك» [٧٢] ، قلت: فإني أمسك سهمي الذي من خيبر قال: فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي أن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا وأني لأرجو أن لا يكون الله عز وجل أبلى أحدا في الصدق [منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا] «١» وأني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي

، هذا ما انتهى إلينا من حديث الثلاثة الذين خلفوا «٢» .

حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت المفسرون: أي ضاقت عليهم الأرض برمتها وضاقت عليهم أنفسهم [ضاقت

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن؟ الثعلبي ٤/ ٧٨

صدورهم بالهم والوحشة] وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه سمعت الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري وإبراهيم بن محمد بن زيد النيسابوري وعبد الله ختن والي بلد العراق يقول: سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح قال: أن تضيق علينا بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبه ثم تاب عليهم إعادة تأكيد ليتوبوا فهذا بالتوبة منه.

سمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي، سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رميح الزيدي، سمعت الحسن بن علي الدامغاني يقول: قال أبو يزيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله سبحانه ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني قال الله تعالى: **يحبهم ويحبونه** «٣» فظننت أني أرضى عنه فإذا هو رضي عني قال الله تعالى: رضي الله عنهم ورضوا عنه وظننت أني أذكره فإذا هو ذكرني قال الله تعالى: ولذكر الله أكبر «٤» وشئت أن أتوب فإذا هو تاب علي قال الله تعالى: ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال نافع: يعني مع محمد وأصحابه. سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر، ابن جريح وابن حبان: مع المهاجرين دليله قوله تعالى: للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون «٥» .

أخبرني عبد الله بن محمد بن عبد الله. محمد بن عثمان بن الحسن. محمد بن الحسين

(١) عن تفسير الطبري.

(٢) راجع تفسير الطبري: ١١/ ٨١. ٨٣، ومسند أحمد: ٦/ ٣٨٧. ٣٩٠.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٥) سورة الحشر: ٨.." [1]

"هذه الآية وعيد لمن يرتد فيما يستقبل، لأن الله تعالى قد علم أنه سيرتد بعد وفاة نبيه قوم.

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾: قال الحسن والضحاك وغيرهما: هم أبو بكر الصديق وأصحابه، ردوا من ارتد بعد النبي وقال: لا نؤدي الزكاة إلى [أهل] الإيمان.

وقيل: هم أهل اليمن. وقيل هم آل أبي موسى الأشعري، " روي أن النبي A أومأ إلى أبي موسى الأشعري عند نزول هذه الآية، وقال: هم قوم هذا، وهم أهل اليمن " وعن مجاهد أنه قال: " هم قوم سبإ ". وقال السدي: هم الأنصار.." [2]

"- باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهما

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم تقتل المرتدة. وقال الله تعالى: (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم (الآيات، وقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (، [آل عمران: ١٠٠] وقال: (إن الذين آمنوا ثم كفروا (إلى) سبيلا) [النساء: ١٣٧] . وقال: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن؟ الثعلبي ١٠٨/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية؟ مكي بن أبي طالب ١٧٨٤/٣

(، [المائدة: ٥٤] . وقال: (ولكن من شرح بالكفر صدرا (إلى) الغافلون لا جرم (، [النحل: ١٠٦] يقول حقا،) أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) [النحل: ١٠٩] إلى) لغفور رحيم) [النحل: ١١٠ ،) ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا (إلى) خالدون) [البقرة: ٢١٧] . / ٤ – فيه: عكرمة، قال: أتى على بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بدل دينه فاقتلوه) . / ٥ – وفيه: أبو موسى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) بعثه إلى اليمن، ثم اتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه إذا رجل موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديا، فأسلم، ثم تهود، قال: اجلس، قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله فأمر به فقتل. اختلف العلماء فى استتابة المرتد، فروى عن عمر بن الخطاب." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك." (٢)

"فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ قوله تعالى: ﴿يأيها الذينءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ فيهم ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة ، قاله: علي ، والحسن ، وابن جريج ، والضحاك. والثاني: أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية إليه أومأ إلى أبي موسى الأشعري بشيء كان فى يده وقال: (هم قوم هذا) قاله: مجاهد وشريح. ﴿أذلة على المؤمنين﴾ يعني أهل رقة عليهم. ﴿أعزة على الكافرين﴾ يعني أهل غلظة عليهم ، يحكى ذلك عن علي ، وابن عباس. وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿أذلة على المؤمنين غلظ على الكافرين﴾. قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذينءامنوا ... ﴾ الآية ، وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أصحابه حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظهره اليهود من عداوتهم لهم ، قاله الكلبي.." (٣)

"كان نطفة وفى انتهائه إلى جيفة، وفى وسائط حاله كنيف فى قميص، فبالحرى ألا يدل ولا يفخر ... ثم صوره فأحسن صورته فهو قادر على أن يرقيك من الأحوال الخسيسة إلى المنازل الشريفة النفيسة.

والإنسان أفضل من الجان لأن الجان من نار، والنار بالماء تنطفىء وتصبح رمادا ولا يجىء منها شىء. أما الطين (الإنسان) فإذا انكسر عاد به الماء إلى ما كان عليه، ولذلك العدو (إبليس) انطفأ ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة، ولكن آدم عليه السلام لما اغتر جبره ماء العناية فقال تعالى: ثم اجتباه ربه» .

«خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى «يحبهم ويحبونه» خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى «رضى الله عنهم ورضوا عنه»

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال؟ ابن بطال ٥٧١/٨

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون؟ الماوردي ٤٧/٢

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون؟ الماوردي ٤٨/٢

خلق الإنسان من طين ولكنه يقول «فاذكروني أذكركم» خلق الإنسان من طين ولكن:

فكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك من الورى وقع اختياري

وبعد ... فهذه أمثلة سريعة أردنا أن نقدمها للتدليل على المواقف التي يتخذها القشيري فى ظلال القرآن من زوايا مختلفة وفى ظروف متنوعة، ومن مجموع هذه المواقف يتحصل مذهبه فى التصوف فضلا عن مذهبه فى الكلام، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه حاول أن يحل بطريق العلم الصوفي ما عجز المتكلمون عن حله، فحين حل القلب محل العقل ليصعد ويقصد نحو الملأ الأعلى، وأصبح الحق مناط الأمل لم يعد هناك معنى لأى حديث فى الجبر والاختيار والحسن والقبيح والثواب والعقاب- على النحو الذي اشتجر من حوله الخلاف بين المتكلمين. الله- فى عرف هذا الصوفي وفى عرف الصوفية الخلص- مشهود ومحبوب لا معبود فقط، وكل كلام عن جبر الحب وعذاب الحب يسمج ويسخف، وهل هناك أجمل من أن يتعذب الإنسان فى حبه حتى يهلك؟ ألا ما أروعها من غاية! وما أجدر من أن يضيع العمر بين فقد ووجد! وما أعظم أن يكون الحق خلفا لك عن كل حطام الدنيا وأن تكون مشاهدته بديلا لك عن كل نعيم الجنان!." (١)

"للجنس، وقد يميل الجنس إلى الجنس، وتلك محبة من ليس بجنس لهم فذلك أعز وأحق.

ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه، وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود، وأما المؤمنون فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه.

ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذبهم. والكافر تبرأ من الصنم والصنم من الكافر كما قال تعالى: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ... » الآية.

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهى أتم، قال تعالى: **«يحبهم ويحبونه»** .

ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم.

ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر، ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم، واتسعت ذات يدهم اتخذوا أصناما أحسن من التي كانوا يعبدونها قبل ذلك فى حال فقرهم فكانوا يتخذون من الفضة- عند غناهم- أصناما ويهجرون ما كان من الحديد ... وعلى هذا القياس! وأما المؤمنون فأشد حبا لله لأنهم عبدوا إلها واحدا فى السراء والضراء.

قوله جل ذكره:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٦٦]

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦)

إذا بدت لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم، وأما المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم، ويسكن (أولئك) «١» فى القبور سنين ثم يبتليهم فى القيامة بطول الآجال «٢» وسوء الأعمال ثم يلقيهم فى

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ٣٤/١

النار.

---

(١) أضفنا (أولئك) ليمتنع اللبس.

(٢) فى ص (طول الأحوال) ونرجح أنها فى الأصل (الآجال) لأن وصف الأحوال بالطول غير ملائم فضلا عن أننا نفترض أن القشيري لا يستعمل الأحوال الا لأرباب الأحوال. وطول الآجال فى جهنم معناه تأبيد العذاب.." (١)

"عن آفة لأنه قال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، بين أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله.

ويقال قال أولا: «يحببكم الله» ثم قال: «ويغفر لكم ذنوبكم» والواو تقتضى الترتيب ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران أولا **يحبهم ويحبونه** (وبعده) يغفر لهم ويستغفرونه، فالمحبة توجب الغفران لأن العفو يوجب المحبة.

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان «١» وهو صفاؤها.

والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة المحبوب فى السر.

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب.

والحب حرفان حاء وباء، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن، فالمحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه.

قوله جل ذكره:

[سورة آل عمران (٣) : آية ٣٢]

قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)

أمرهم بالطاعة ثم قال: «فإن تولوا» أي قصروا فى الطاعة بأن خالفوا، ثم قال: «فإن الله لا يحب الكافرين» لم يقل العاصين بل قال الكافرين، ودليل الخطاب أنه يحب المؤمنين وإن كانوا عصاة «٢» قوله جل ذكره:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٣٣ الى ٣٤]

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (٣٤)

اتفق آدم وذريته فى الطينة، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذي هو من قبله، لا بالنسب ولا بالسبب.

---

(١) وردت (الإنسان) وهى خطأ من الناسخ (أنظر الرسالة ص ١٥٨) .

(٢) فالمؤمن العاصي منزلة بين المنزلتين: الإيمان والكفر- فى نظر القشيري المتكلم. [.....]." (٢)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ١/١٤٥

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ١/٢٣٦

"يعنى إن الذين سقمت ضمائرهم، وضعفت فى التحقيق بصائرهم تسبق إلى قلوبهم مداراة «١» الأعداء خوفا من معاداتهم، وطمعا فى المأمول من صحبتهم، ولو استيقنوا أنهم فى أسر العجز وذل الإعراض ونفى الطرد لأملوا الموعود من كفاية الحق، والمعهود من جميل رعايته، ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد فتفرقوا فى أودية الحسبان والظنون، وعن قريب يأتيكم الفرج- أيها المؤمنون، وترزقون الفتح بحسن الإقبال، والظفر بالمسئول لسابق الاختيار، فيشعرون الندم، ويقاسون الألم، وأنتم (تعلون) «٢» رءوسكم بعد الإطراق، وتصفو لكم مشارب الإكرام، وتضيء بزواهر القرب مشارق القلوب. حينئذ يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم يعاينون بأبصارهم ما تحققوه بالغيب فى أسرارهم، ويصلون من موعودهم إلى ما يوفى ويربو على مقصودهم.

قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

جعل صفة من لا يرتد عن الدين أن الله يحبه ويحب الله، وفى ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يجب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه. وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمنا يجب أن يكون لله محبا، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه. وفى الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد.

ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه: إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه، والمدح والثناء عليه.

أو يقال إنها بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله.

وكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبته إرادته لإكرامه، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص، والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة،

---

(١) وردت (هرارة) ، وبالرجوع إلى كتب التفسير ساعدتنا على اختيار (مداراة) (انظر تفسير وجدي) .

(٢) وردت (تعلمون) والملائم أن تكون (تعلون) رءوسكم بعد الإطراق.." (١)

"واللفظان يعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله تعالى واحدة وبها يريد سائر مراداته، وتختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق.

وأما محبة العبد لله- سبحانه- فهى حالة لطيفة يجدها فى قلبه، وتحمله تلك الحالة على إيثار «١» موافقة أمره، وترك حظوظ نفسه، وإيثار حقوقه- سبحانه- بكل وجه.

وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد فى الوقت الذي يعبر عنه فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ٤٣١/١

المحبوب، ويقال المحبة ذهاب المحب بالكلية فى ذكر المحبوب، ويقال المحبة خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه، والمحبة بلاء كل كريم، والمحبة نتيجة الهمة فمن كانت همته أعلى فمحبته أصفى بل أوفى بل أعلى.

ويقال المحبة سكر لا صحو فيه ودهش فى لقاء المحبوب يوجب التعطل عن التمييز، ويقال المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه، وسقام لا يعرف دواؤه. ويقال المحبة غريم يلازمك لا يبرح، ورقيب من المحبوب يستوفى له منك دقائق الحقوق فى دوام الأحوال، ويقال المحبة قضية توجب المحبة فمحبة الحق أوجبت محبة العبد «٢» .

قوله جل ذكره: **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

لولا أنه يحبهم لما أحبوه، ولولا أنه أخبر عن المحبة فأنى تكون للطينة ذكر المحبة؟

ثم بين الله تعالى صفة المحبين فقال «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» . يبذلون المهج فى المحبوب من غير كراهة، ويبذلون الأرواح فى الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور.

---

(١) وردت خطأ (إيسار) بالسين

(٢) كلام القشيري فى المحبة هنا لا يكاد يختلف كثيرا عن كلامه عنها فى (الرسالة)." (١)

"توضيحا بأن التكريم لا يكون مقابل فعل، أو معللا بعلة، أو مسببا باستحقاق يوجب ذلك التكريم.

ومن التكريم أنهم متى شاءوا وقفوا معه على بساط المناجاة.

ومن التكريم أنه على أي وصف كان من الطهارة وغيرها إذا أراد أن يخاطبه خاطبه، وإذا أراد أن يسأل شيئا سأله.

ومن التكريم أنه إذا تاب ثم نقض توبته ثم تاب يقبل توبته، فلو تكرر منه جرمه ثم توبته يضاعف له قبوله التوبة وعفوه.

ومن التكريم أنه إذا شرع فى التوبة أخذ بيده، وإذا قال: لا أعود- يقبل قوله وإن علم أنه ينقض توبته.

ومن التكريم أنه زين ظاهرهم بتوفيق المجاهدة، وحسن باطنهم بتحقيق المشاهدة.

ومن التكريم أنه أعطاهم قبل سؤالهم، وغفر لهم قبل استغفارهم، كذا فى الأثر: «أعطيتكم قبل أن تسألونى، وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى» .

ومن تكريم جملتهم أنه قال لهم: «فاذكروني أذكركم» «١» ولم يقل ذلك للملائكة ولا للجن.

وكما خص بنى آدم بالتكريم خص أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- منهم بتكريم مخصوص، فمن ذلك قوله تعالى: «**يحبهم ويحبونه**» «٢» و «رضي الله عنهم ورضوا عنه» «٣» وقوله «والذين آمنوا أشد حبا لله» «٤» .

ومن التكريم قوله: «ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما»
«٥» .

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ٤٣٢/١

(١) آية ١٥٢ سورة البقرة.

(٢) آية ٥٤ سورة المائدة.

(٣) آية ١١٩ سورة المائدة.

(٤) آية ١٦٥ سورة البقرة.

(٥) آية ١١٠ سورة النساء. [.....]." (١)

"الإرث على حسب النسب، وفى استحقاق الفردوس بوصف الإرث لنسب الإيمان فى الأصل، ثم الطاعات فى الفضل.

وكما فى استحقاق الإرث تفاوت فى مقدار السهمان: بالفرض أو بالتعصيب- فكذلك فى الطاعات فمنهم من هم فى الفردوس بنفوسهم، وفى الأحوال اللطيفة بقلوبهم، ثم هم خالدون بنفوسهم وقلوبهم جميعا لا يبرحون عن منال نفوسهم ولا (...) «١» عن حالات قلوبهم.

قوله جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ١٢]

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (١٢)

عرفهم أصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم.

ويقال نسبهم لئلا يخرجوا عن حدهم، ولا يغلطوا فى نفوسهم.

ويقال خلقهم من سلالة سلت من كل بقعه فمنهم من طينته من جردة «٢» أو من سبخة «٣» أو من سهل، أو من وعر.. ولذلك اختلفت أخلاقهم.

ويقال بسط عذرهم عند الكافة فإن المخلوق من سلالة من طين ... ما الذي ينتظر منه؟! ويقال خلقهم من سلالة من طين، والقدر للتربية لا للتربة.

ويقال خلقهم من سلالة ولكن معدن المعرفة ومرتع المحبة، ومتعلق العناية منه لهم قال تعالى: **«يحبهم ويحبونه»** .

ويقال خلقهم، ثم من حال إلى حال نقلهم، يغير بهم ما شاء تغييره.

قوله جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ١٣ الى ١٤]

ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ٢/٣٦٠

(١) مشتبهة فى ص، م وربما كانت (ولا ينفكون) .

(٢) الأرض الجردة التي لا نبات فيها.

(٣) السبخة التي فيها ملح ونز ولا تكاد تنبت.." (١)

"قوله جل ذكره:

[سورة السجده (٣٢) : الآيات ٧ الى ٨]

الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (٧) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨)

أحسن صورة كل أحد فالعرش ياقوتة حمراء، والملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وجبريل طاووس الملائكة، والحور العين- كما في الخبر- فى جمالها وأشكالها، والجنان- كما في الأخبار ونص القرآن. فإذا انتهى إلى الإنسان قال: «خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» «١» .. كل هذا ولكن:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك من الورى وقع اختياري

خلق الإنسان من طين ولكن **«يحبهم ويحبونه»** «٢» ، وخلق الإنسان من طين ولكن: «فاذكروني أذكركم» «٣» ، وخلق الإنسان من طين ولكن «رضي الله عنهم ورضوا عنه» ! قوله جل ذكره:

[سورة السجده (٣٢) : آية ١٠]

وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون (١٠)

لو كانت لهم ذرة من العرفان، وشمة من الاشتياق، ونسمة من المحبة لما تعصبوا كل هذا التعصب في إنكار جواز الرجوع إلى الله ولكن قال: «بل هم بلقاء ربهم كافرون» .

قوله جل ذكره:

[سورة السجده (٣٢) : آية ١١]

قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (١١)

لولا غفلة قلوبهم وإلا لما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت فإن ملك الموت لا أثر منه في أحد، ولا له تصرفات في نفسه، وما يحصل من التوفى فمن خصائص قدرة

(١) آية ٥٤ سورة المائدة.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ٥٦٩/٢

(٢) آية ١٥٢ سورة البقرة.

(٣) آية ٨ سورة البينة.." (١)

"باب المحبة قال الله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: حدثنا السلمي قال: حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله تعالى لقاءه

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا الحكم بن موسى قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا الحسن بن يحيي ، عن صدقة الدمشقي ، عن هشام الكتاني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل عليه السلام ، عن ربه سبحانه وتعالى، قال: من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما ترددت في شيء كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت ، وأكره منسأته ، ولا بدله منه، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعا ، وبصرا ، ويدا ومؤيدا

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عبيد بن شريك ، قال: أخبرنا يحي ، قال: حدثنا مالك ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:." (٢)

"رآه) (١).

وقال قتادة: (ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه) (٢).

وقال في رواية سعيد بن جبير: (ألقى عليه منها محبة لم يلق منها على أحد من البشر) (٣). وهذا كلام المفسرين.

فأما ظاهر اللفظ فإنه يقتضي أن الله تعالى أحبه، وحب الله تعالى إياه أعظم نعمة وأجمل إحسان (٤). ومن قال: إنه حببه إلى خلقه كان المعنى: ألقيت عليك محبة للعباد، وهي مني مخلوقة لي. ومن فسر هذه المحبة بالحسن والجمال كان المعنى: ألقيت عليك سبب محبة، فسمي سبب الحب حبا، أو حذف المضاف.

وقال أبو عبيدة في هذه الآية: (يقول: جعلت لك محبة عندي وعند

---

(١) "الكشف والبيان" ٣/ ١٧ ب، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٩٦.

(٢) "الكشف والبيان" ٣/ ١٧ ب، "معالم التنزيل" ٥/ ٢٧٣، "زاد المسير" ٥/ ٢٨٤، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٩٦، "الدر المنثور" ٤/ ٥٢٩.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري؟ القشيري، عبد الكريم ١٤٠/٣

(٢) الرسالة القشيرية؟ القشيري، عبد الكريم ٤٨٤/٢

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: "جامع البيان" ١٦/ ١٦١، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٢٩، "التسهيل لعلوم التنزيل" ص ٤٠٣، "مجمع البيان" ٧/ ١٨، "روح المعاني" ١٦/ ١٨٩.

(٤) قال الإمام الطبري في "تفسيره" ١٦/ ١٦١: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله ألقى محبته على موسى كما قال جل ثناؤه: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته وربته.

وقال ابن تيمية في "العقيدة الواسطية" ص ٢٠: (ومحبة الله صفة من صفاته الفعلية ودليلها قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾.

ويشهد لهذا ما رواه البخاري في التوحيد، باب: كلام الرب مع جبريل قال -صلى الله عليه وسلم-: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض".." (١)

"حب طاعته والانقياد لأمره، ليس معنى يتعلق بذات القديم سبحانه (١).

وقوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ جواب (لو) محذوف. وقد كثر في التنزيل حذف جواب (لو) كقوله: ﴿ولو أن قرآنا﴾ [الرعد: ٣١] ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال أصحاب المعاني: وحذف جواب (لو) في مثل هذا الآي يكون أفحم وأبلغ؛ لذهاب المخاطب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد، ولو

---

(١) هذا من المؤلف تأويل يخالف ظواهر النصوص، جرى فيه على مذهب الأشاعرة الذين يجيزون إطلاق هذه اللفظة لكنهم يحيلون وقوعه، كما ذكر الرازي في "تفسيره" ٤/ ٢٠٥، فالمؤمنون يحبون الله لذاته، قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ، وقال: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤].

قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان" ١/ ١٦٥: وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله عز وجل وحده، الذي لا تصلح الألوهية إلا له. وأما تقسيم المحبة والإرادة إلى نافعة وضارة، فهو باعتبار متعلقها ومحبوبها ومرادها، فإن كان المحبوب المراد هو الذي لا ينبغي أن يحب لذاته ويراد لذاته إلا هو، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبه، كانت محبته نافعة له. أما الأشاعرة فينفون المحبة بين الله وعبده؛ لأن العقل لا يدل عليها، وكل ما لا يدل العقل عليه فإن الله يجب أن ينزه عنه، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متجانسين، فلا تكون بين رب ومخلوق، وهذه دعوى باطلة يكفي فيها المنع؛ لأن الأصل عدم ثبوت الدعوى، والواقع يدل على ثبوت المحبة بين غير المتجانسين، كما يحب آلاته وبعض بهائمه. علما بأن العقل قد دل على ذلك؛ فإثابة الطائعين ونصرهم

---

(١) التفسير البسيط؟ الواحدي ١٤/٣٩٧

وتأييدهم وإجابة دعائهم دليل على المحبة. وينظر: "شرح العقيدة الواسطية" للشيخ محمد العثيمين ص ١٩٦، "مختصر منهاج القاصدين" ٣٤٣ - ٣٥٦.." (١)

"وانعامه عليه (١).

٣٢ - قوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ قيل: لما نزل (٢) قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله﴾، الآية، قال عبد الله بن أبي (٣): إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى، فنزلت هذه الآية (٤) وبين فيها أن طاعة الله معلقة بطاعة الرسول، ولا يتم لأحد طاعة الله، مع عصيان الرسول؛ ولهذا قال الشافعي - رضي الله عنه -: كل أمر أو نهي، ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، جرى ذلك في الفريضة واللزوم، مجرى ما أمر الله به

---

(١) نقل القرطبي في تفسيره قريبا من هذا القول عن الأزهري. انظر: "تفسير القرطبي" ٤/ ٦٠، "فتح القدير" ١/ ٥٠١، "فتح البيان" ٢/ ٤٢.

وما ذكره المؤلف هنا في محبة الله تعالى هو ما عليه مذهب الأشاعرة؛ حيث ينفون هذه الصفة، وغيرها من الصفات، عن الله تعالى ويعطلونها، ويفسرونها إذا وردت في القرآن والسنة بلوازمها ومقتضياتها، من إرادة الثواب للعبد والعفو عنه والإنعام عليه كما فعل المؤلف، فينفون حقيقة صفة الله، ويحرفونها ويؤولونها، بدعوى أنها توهم النقص في الذات العلية؛ لأن المحبة عندهم، هي: ميل القلب إلى ما يلائم الطبع، وهذا من صفات المخلوق، والله منزه عن ذلك الأمر الذي دعاهم إلى تأويل صفة المحبة، وحملها على الإرادة كما فعل المؤلف.

والذي أوقع الأشاعرة في هذا الخطأ العقدي، هو قياسهم صفات الخالق على صفات المخلوق. ومن قواعد منهج السلف الصالح: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذات الحق لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك صفاته. ومن قواعدهم: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، فيثبت السلف جميع صفات الله، ويمرونها كما جاءت بما يليق بذاته العلية، ولا يؤولونها، ومنها: صفة المحبة. ويثبتون كذلك لوازمها من إرادة الله إكرام من يحبه وإثابته، فالله تعالى يحب، ويحب لذاته، وليس فقط لثوابه، كما قال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

وتأويل الأشاعرة ومنهم المؤلف لصفة المحبة بالإرادة، إنما هو حرف لحقيقة الصفة، وصرف لها عن وجهها الصحيح، ويقال لهم: إن المعنى الذي صرفتم اللفظ إليه، هو نفس المعنى الذي صرفتموه عنه، فالإرادة، هي: ميل الإنسان إلى ما يلائمه، أو إلى ما ينفعه، ودفع ما يضره، وهي من صفات المخلوقين، والله منزه عن ذلك، فإن قال الأشاعرة: إرادة تليق به، قيل لهم: وكذلك له محبة، وصفات تليق به، فالسلامة والحكمة في منهج السلف.

انظر: "لوامع الأنوار البهية" للسفاريني ١/ ٢٢١ وما بعدها، "شرح العقيدة الواسطية" محمد هراس ٤٥، "التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية" لفالح آل مهدي: ١/ ٤٧، "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" للسلمان ١٨٣.

---

(١) التفسير البسيط؟ الواحدي ٣/٤٧١

(٢) في (ب): (نزلت).

(٣) هو: عبد الله بن أبي بن سلول، العوفي الخزرجي. رأس المنافقين بالمدينة، وكان سيد أهل المدينة قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها، وقد اجتمعت الأوس والخزرج على أن يتوجوه عليهم ملكا، فجاء الإسلام وهدى الله الحيين له، ففرط منه هذا الشرف، فدخل في الإسلام مكرها، وأبطن النفاق والضغينة. انظر أخباره في "سيرة ابن هشام" ٢/ ١٧٣، ٢٣٤، ٢٣٦ - ٢٣٨، ٣/ ٥١ - ٥٣، ٦٨، ٢٠٠، ٣٠٣.

(٤) ورد هذا الأثر في "تفسير الثعلبي" ٣/ ٣٧ ب، "تفسير البغوي" ٢/ ٢٧، "زاد المسير" ١/ ٣٧٣ - ٣٧٤، وقال: (هذا قول ابن عباس)، كما ذكره الرازي ٨/ ٢٠.." (١)

"فأما التفسير فقال الحسن: علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** (١).

واختلفوا في ذلك القوم من هم: فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج: هم أبو بكر - رضي الله عنه - وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومنكري الزكاة (٢).

قالت عائشة: مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وارتدت العرب، واشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها (٣).

قال المفسرون: وذلك أن أهل الردة قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فلا نغصب أموالنا، فقال أبو بكر: لا أفرق بين ما جمع الله، قال الله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣]. والله لو منعوني عقالا مما أدوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم عليه (٤).

والمناظرة التي جرت بينه وبين عمر في هذا معروفة (٥).

قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل

---

(١) الأثر في الوسيط ٢/ ١٩٩، البغوي ٣/ ٦٩، "زاد المسير" ٢/ ٣٨٠.

وأخرج الطبري ٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣ من طرق عن الحسن أنه قال: نزلت في أبي بكر وأصحابه.

(٢) أخرج الآثار عنهم: الطبري ٦/ ٢٨٣ - ٢٨٤، وذكرهم البغوي ٣/ ١٦٩، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٢/ ٣٨١، والسيوطي في "الدر المنثور" ٢/ ٥١٧.

(٣) ذكره البغوي ٣/ ٧١.

(٤) أخرج الأثر بنحوه البخاري (١٤٠٠) كتاب الزكاة/ باب: وجوب الزكاة. ومسلم (٢٠) كتاب الإيمان، باب: الأمر

---

(١) التفسير البسيط؟ الواحدي ١٨٢/٥

بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٥) جاء منصوصا عليها في الأثر السابق في البخاري ومسلم.." (١)

"فهؤلاء قاتلوا أهل الردة بأمر أبي بكر، فحمدوا بطاعتهم له وانتهائهم إلى أمره، فليس يخرج أبو بكر عن أن يكون منهم، ثم الآية تتناول بعمومها كل من يكون منهم، ثم الآية تتناول بعمومها كل من يكون بعدهم إلى قيام الساعة، ممن يجاهد أهل الشرك والكفر والردة في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾، بدأ بمحبته لأنها الجالبة والموجبة لمحبتهم، ولا يحب الله إلا من أحبه الله، ولولا محبة الله إياهم ما أحبوه، فهذا طريق في تفسير هذه الآية، وروي مرفوعا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما نزلت هذه الآية (أومأ) (١) إلى أبي موسى الأشعري فقال: "هم قوم هذا" (٢).

أخبرناه الأستاذ أبو إبراهيم إسماعيل بن أبي القاسم النصر اباذي، أخبرنا الإمام أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، حدثنا أبو عمرو الحوضي، حدثنا شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هم قوم هذا". يعني أبا موسى الأشعري. أخرجه الحاكم في المستدرك (٣) عن ابن السماك، حدثنا عبد الملك بن محمد، حدثنا وهب بن جرير عن شعبة، وتفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - أولى بالاتباع، وإذا كان

---

(١) في (ج): (اومى).

قال ابن منظور: "وأومأ تومأ، ولا تقل: أوميت. الليث: الإيماء أن تومئ برأسك أو بيدك ... " اللسان ١/ ٢٠١ (ومأ).

(٢) الطبري ١٠/ ٤١٥، وسيأتي تخريج الحديث.

(٣) ٢/ ٣١٣ وصححه على شرط مسلم، كما أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٤، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٢/ ٥١٨ إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.." (٢)

"﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبرهم تعالى أنه س ﴿يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ﴿أذلة على المؤمنين﴾ كالولد لوالده والعبد لسيده ﴿أعزة على الكافرين﴾ غلاظ عليهم كالسبع على فريسته ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ كالمنافقين الذين كانوا يرقبون الكافرين ويخافون لومهم في نصرة الدين ﴿ذلك فضل الله﴾ أي: محبتهم لله عز وجل ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكفار بفضل من الله عليهم." (٣)

---

(١) التفسير البسيط؟ الواحدي ٤٢٨/٧

(٢) التفسير البسيط؟ الواحدي ٤٣٠/٧

(٣) الوجيز للواحدي؟ الواحدي ص/٣٢٤

"﴿أو أمر من عنده﴾ [المائدة: ٥٢] أي: خصب وسعة لمحمد وأصحابه، وقال مقاتل: يعني: القتل والجلاء لليهود. فيصبحوا يعني: المنافقين ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ [المائدة: ٥٢] من موالاة اليهود ودس الأخبار لهم نادمين.

قوله عز وجل: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٣] ، وقرأ أبو عمرو ويقول الذين نصبا على معنى: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ أهل الحجاز يقول بغير واو استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها.

قال الزجاج: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٣] في وقت إظهار الله نفاق المنافقين: أهؤلاء يعني: المنافقين، ﴿الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [المائدة: ٥٣] حلفوا بالله بأغلظ الأيمان إنهم مؤمنون، إنهم لمعكم أي: إن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كفرهم وحلفهم بالباطل، قال الله تعالى: حبطت أعمالهم: بطل كل خير عملوه بكفرهم وغشهم المسلمين، فأصبحوا خاسرين خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بفوت الثواب والمصير إلى النار.

﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴿٥٤﴾ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴿٥٥﴾ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿٥٦﴾ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿٥٧﴾ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴿٥٨﴾ قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴿٥٩﴾ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴿٦٠﴾ وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴿٦١﴾ وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم." (١)

"السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴿٦٢﴾ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴿٦٣﴾ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤-٦٤] قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ [المائدة: ٥٤] وقرأ أهل الحجاز: يرتدد بإظهار دالين، قال الزجاج: وهو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ظهر التضعيف نحو إن يمسسكم ويجوز في اللغة: «إن يمسكم» ، لأنه يحرك الثاني بالفتح عند الإدغام.

قال الحسن: علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم، فأخبر أنه: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] واختلفوا في ذلك القوم من هم؟ فقال علي بن أبي طالب، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن جريج: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومنكري الزكاة.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ١٩٨/٢

قال قتادة: لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين من عبد قيس، فقال المرتدون: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فلا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر في ذلك، فقال: والله لا أفرق بين ما جمع الله، قال الله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣] ، والله لو منعوني عقالا مما أدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه.

فبعث الله عصائب مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة المفروضة، قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على إثره.." (١)

"وقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء، وحمدناه في الانتهاء، ورأينا ذلك رشدا.

وقال الحسن: لولا ما فعل أبو بكر لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة.

وقال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر، ولقد قام يوم الردة مقام نبي من الأنبياء.

وقال آخرون: المراد بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم﴾ [المائدة: ٥٤] الآية: الأشعريون وهو تفسير النبي صلى الله عليه وسلم على ما

٢٩٣ - أخبرنا الأستاذ أبو إبراهيم الواعظ، أخبرنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا أبو عمرو الحوضي، حدثنا شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قوم هذا» يعني: أبا موسى الأشعري.

رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه، عن عثمان بن السماك، عن عبد الملك بن محمد، عن وهب بن جرير، عن شعبة

وقوله: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] قال ابن عباس: تراهم للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته، وهذا كقوله: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] .

قال الزجاج في هذه الآية: يقول الله تعالى: إن ارتد أحد عن دينه الذي هو الإيمان فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين، ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة: ٥٤] ، أي: جانبهم لين للمؤمنين ليس أنهم أذلة مهانون، ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] ، أي: جانبهم غليظ على الكافرين.

قوله: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله أن الصحيح الإيمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولسانه لومة لائم.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ١٩٩/٢

(٢) التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ٢٠٠/٢

"قسم الأحوال

وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي

المحبة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق

٦١ - باب المحبة

قال الله عز وجل من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ١

المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع على الإفراد

والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو وهي آخر منزل تلقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة." (١)

"قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ وقرأ أهل المدينة والشام: " من يرتدد " والمعنى واحد ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال علي، والحسن: نزل هذا في أبي بكر وأصحابه. وكان الحسن يحلف على هذا، أنه نزل في أبي بكر وأصحابه، وذلك أن النبي لما خرج إلى رحمة الله ارتدت العرب، ولم يبق الإسلام إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد البحرين؛ فهم أبو بكر بالقتال، وكره الصحابة ذلك، وقالوا: إن بعضهم منع الزكاة، ولم يتركوا الصلاة، وقال أبو بكر: والله (لأقاتلن من) فرق بين الصلاة والزكاة، وقيل: إنه سل سيفه، وخرج وحده، وقال: أقاتل وحدي، ثم وافقه الصحابة، قال ابن مسعود: كرهنا ذلك لك في الابتداء، ثم حمدناه عليه في الانتهاء، قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد مولود بعد النبيين أفضل من أبي بكر، لقد قام مقام نبي من الأنبياء، يعني: في قتال أهل الردة، وردهم إلى الإسلام.

وروى عياض الأشعري: " أن النبي قرأ هذه الآية ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ وأشار إلى أبي موسى الأشعري، وقال: هذا وأصحابه " وكانوا من أهل اليمن،." (٢)

"﴿أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على﴾ ولأهل اليمن أمر عظيم في الفتوح التي وقعت في الإسلام، وقد صح عن النبي أنه قال: " الإيمان يمان، والحكمة يمانية " وقيل: أراد بالآية: قوما كان أكثرهم من أهل اليمن؛ فتحوا القادسية في زمان عمر. والأول أصح ﴿أذلة على المؤمنين﴾ ليس من الذل، وإنما هو من الذلة، وهي اللين.

وقوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ ليس من العز وإنما هو من العزة؛ وهي: الشدة، يعني: أن جانبهم لين على المؤمنين، شديد على الكافرين، وقرأ ابن مسعود: " أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين " وهي معنى القراءة المعروفة.

﴿يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم﴾ يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وروى ابن مسعود عن النبي أنه قال: " من أراد الجنة لا شك، فلا يخاف في الله لومة لائم " ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ .

---

(١) منازل السائرين؟ الهروي، أبو إسماعيل ص/٨٨

(٢) تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٢/٤٦

قوله – تعالى –: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ هذا راجع إلى قوله: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ لما منعهم من موالاة اليهود والنصارى، دعاهم إلى موالاة الله ورسوله.

﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ يعني: مصلون؛ إلا أنه خص الركوع تشريفا، وقيل: معناه: خاضعون، وقال السدي: – وهو رواية عن مجاهد – إن هذا أنزل في علي بن أبي طالب، كان في الركوع، ومسكين." (١)

"بقوله: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾، وسموا الأصنام آلهة لذلك، وأصله: إلاه، فحذفوا همزته، وجعلوا الألف واللام عوضا منها، ولكونهما عوضا استجيز قطع الهمزة الموصولة، وإدخال حرف النداء عليه في قولهم: " يالله " وقال سيبويه – في موضع: أصله: لاه، على " فعل " من لاه – يلوه لياها، أي: احتجب، قالوا: وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، وقيل: من أله: إذا فزع، وأَلَهَه: أي: أجاره وأمنه.

وإلا له اسم المفزوع إليه كالإمام لمن يؤتم به. وقيل هو من أله يأله، إذا تحير، وكأنه عنى ذلك أمير المؤمنين – صلى الله عليه وسلم –، بقوله: "كل دون صفاته تحبير اللغات وضل فيما هناك تصاريف والصفات "، ومنع قيل في صفة المفازة: والعاتية تأله العين وسطها " وقيل: أصله: ولاه، من وله يوله " فقلب الواو همزة، فيكون الإله اسما لما يؤله نحوه.

فمن الناس من قال: إن ذلك قيل لأن الأشياء تأله نحوه إما تسخيرا، وإما أرادة وقصدا، كما أنه يسبح له لذلك.

وعلى هذا قال: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن﴾ وذلك إما تسخيرا وإما إرادة ومنهم من قال ذلك مختص بالعقول التي فطرها الله تعالى وأشار إليها بقوله: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾، لأن العقول بفطرتها دالة على وحدانية ومنبئة عن وجوب شكره ما لم يدسها صاحبها كما قال تعالى: ﴿وقد خاب من دساها﴾، ومنهم من قال: ذلك مختص بالأحوال التي ينقطع الإنسان عن غيره، فيقصده بفكره، وإليه أشار بقوله: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾، ومنهم من قال: مختص بالعباد المخلصين والعبادة عنه بذلك كالعبادة عنه بالمحبوب، والمراد المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وبقوله: ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾، وقد أطلق بعض الأولياء وبعض القدماء عليه تعالى لفظ المعشوق، والمشوق، إلا أن كرهه أهل العلم لأمرين: عدم التوقيف فيه، وكون العشق في هذه اللغة متعارفا في اللذات البدنية ...." (٢)

"والنور: عبارة عن العلم والإيمان والظلمة عن ضدهما، ووجه ذلك أنه لما كان للإنسان نظرات بنظر وتبصر، ويرى بهما البصر الحاس في الرأس والبصيرة في القلب، فكما أن البصر لا يستغني في إدراك ما يدركه من المعقولات عن نور يمده وهو نور التوفيق والإيمان، ويقال لفقد البصرين عمى، ولفقد النورين ظلمة، وأعظمهما ضررا فقد البصيرة ونور العقل، ولهذا قال تعالى:

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ فلم يعد فقد البصر عمى.

بالإضافة إلى فقد البصيرة، وقوله: ﴿خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ وقوله: ﴿ويجعل لكم نورا تمشون

---

(١) تفسير السمعاني؟ السمعاني، أبو المظفر ٤٧/٢

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني؟ الراغب الأصفهاني ٤٩/١

به﴾ وقوله: ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ يعني بذلك كلا النورين والظلمتين،
إن قيل: وهل هذا النور موهبة أو مكتسب؟
قيل: لا شك في كونه موهبة، لقوله تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ لكن فيه للاكتساب حظ، فإن ابتداء ما يحصل ذلك للإنسان كشررة، متى لم ترع همدت، وإذا روعيت زادت، كما قال: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ بين تعالى إن الله عز وجل - يوالي المؤمنين بأن يوفقهم ويهديهم، وهم يوالونه بأن يشكروه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ فهو يخرجهم من الجهل والكفر إلى العلم والإيمان والثواب والكافرون، يواليهم الشيطان في إخراجهم إلى أضداد ذلك
إن قيل: لم قال: أولياؤهم وما يفعل بهم الطاغوت هو بالمعاداة أشبه منه بالموالاة؟
قيل: لعمري إن ذلك نهاية المعاداة وتسميته بالموالاة أولى لمقابلة اللفظ، وثانيا: لتحريهم ما يقع بوفاقه، وميلهم إلى حزبه، فجعله موالاهم في اللفظ لا في الحقيقة، ألا ترى أنه قال: ﴿ألم." (١)

"وإنما قال: (فأصبحوا خاسرين) فخص لفظ الإصباح لأمرين:
أحدهما: لما كان أكثر محاربتهم وغاراتهم وقت الصباح كثر عبارتهم عن التغيرات وعلى هذا قول الشاعر:
يا راقدا الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
والثاني: أنه لما كان بالإصباح انتهاء الظلمة، وانتشار الأشعة، وظهور ما كان بالليل مستترا خص (فأصبحوا) تنبيها على زوال غمة الجهالة وظهور الخفاء كقولهم فى المثل لما يظهر: برغ الخفاء بداء الصبح لذي العينين،
ونحو ذلك.

وقوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)
قرأ أهل المدينة من يرتدد وذلك لغة.
قوله (أذلة على المؤمنين) أي ليني الجانب على المؤمنين،." (٢)

"(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٣٨).
وقد تقدم حقيقة محبة الله للعباد ومحبتهم له، وجعل من حقيقة محبتهم لله أن وصفهم أنهم أذلة على المؤمنين، أي متواضعين، فالتواضع الانقياد لما يورث رقة والتعزز على من يورث صعبة، وفي وصفهم بذلك وصف ينفي الجهل
عنهم، وحصول العلم لهم، وتهذيب أنفسهم فإن التواضع ثمرة العلم وتهذيب النفس، وقد تقدم أن الجهاد ضربان: مجاهدة الغير، وذلك إما
باللسان، وإما بالبنان، ومجاهدة النفس، وذلك بإصلاح القوة العلمية، وإصلاح القوة العملية.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني؟ الراغب الأصفهاني ٥٣٣/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني؟ الراغب الأصفهاني ٣٧٩/٤

الجاهد إما مجاهد للنفس، وإما لشياطين الإنس والجن،

قال بعضهم: - جهاد النفس أن لا نتركها تفتر عن الطاعة، وجهاد

الشيطان أن لا يجد منك فرصة فيأخذ منك حظا، وجهاد العدوان تدنوا من

صفة المسلمين.

قوله: (ذلك فضل الله) أي الجهاد في سبيل الله، وما ذكر

به القدم للذين **يحبهم ويحبونه**: (يؤتيه) أي المستحقين.." (١)

"الاستصلاح للأفعال التي خلق الإنسان لأجلها مستخلفا في الأرض مستعمرا فيها.

فصل

اعلم من هاجر إلى الله وجاهد في سبيله فحقيق أن يهديه إلى سبيله كما وعد في قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) . وقال: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا ... إلى قوله: أولئك هم المؤمنون حقا) . والهجرة العظمى هجران فضول الشهوات والمجاهدة الكبرى مدافعة الهوى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " جهادك في هواك ". فمن هدي إلى سبيله وأمعن في مسيره مسارعا في الخيرات ومسابقا إلى مغفرة ربه فحقيق أن يصير من الإبدال، ومعنى الإبدال هم الذين يبدلون من أخلاقهم وأفعالهم الذميمة أخلاقا وأفعالا حميدة، فيجعلون بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل الشره العفة وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وعلى ذلك دل قوله تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى قوله: يبدل الله سيئاتهم حسنات) . والإنسان إذا صار من الإبدال فقد ارتقى إلى درجة الأحباب الذين عناهم الله تعالى بقوله: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونهم**) . فجعله مهيبا في البشر، معظم القدر عند كل واحد، بل قد يبلغ مبلغا تخضع له البهائم والسباع والوحوش والحشرات كخضوعها لسليمان بن داود عليهما السشلام، ويصير الحديد له لينا كما لان لنبيه داود عليه السلام، وتصير النار له إذا خاضها بردا وسلاما." (٢)

"من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني؟ الراغب الأصفهاني ٤/٣٨١

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين؟ الراغب الأصفهاني ص/١١٢

الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثني عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد المهيني حيث قرىء بين يديه ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه لقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب وهذا ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون﴾ وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ فهذا أحد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما." (١)

"كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا

أما بعد: فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٤/٨٦

من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر

ونحن نذكر في هذا الكتاب: بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل **يحبهم ويحبونه** وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي: يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما (١) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهلاه وماله وذكر بزيادة (٢) حديث لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ونفسه والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام: قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال: الآن يا عمر

---

(١) حديث أبو رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله مالإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد

بزيادة في أوله وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

(٢) وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين." (١)

"يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق بيان محبة الله للعبد ومعناها

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة مع معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقال تعالى ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ وقال تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا إن الله يحب التوابين (١) ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به (٤) الحديث وقال زيد بن أسلم إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر

وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر

فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع

وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والإرادة

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٤/٢٩٤

(١) حديث أنس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة

(٢) حديث ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث أخرجه الحاكم وصحح إسناده والبيهقى في الشعب من حديث ابن مسعود

(٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة

(٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه الحديث أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم." (١)

"والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامى أولا للخلق فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرىء عليه قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يحب إلا نفسه وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيىء أسباب طعامه وشرابه فيقال إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له

وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٣٢٧/٤

قد توصل وحبب نفسه إلى الملك

فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول

وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فإن الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال

ولا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فإن التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا." (١)

"وإني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم (١) فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها

وأما السبب الثاني للكراهة فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيء له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته لدءوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد

ومنها أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا إليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقي مستقرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه كما قيل:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٣٢٨/٤

به إلى النهار وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه فإذن من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا:

وأترك ما أهوى ... لما قد هويته ... فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى: علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب المناهي: وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى **يحبهم ويحبونه** وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته

(١) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وفيه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر أن سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية له أن سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف الله عز وجل ما عصاه وفيه عبد الله بن لهيعة." (١)

"**يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] . قوله تعالى: ولو يرى الذين ظلموا، قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب ولو هاهنا محذوف، ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى:

ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به [الرعد: ٣١] الآية، يعني: لكان هذا القرآن، فمن قرأ بالتاء معناه: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم [١] في شدة العذاب، لرأيت أمرا عظيما، قيل: معناه: قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا، أي: أشركوا في شدة العذاب [٢] ، لرأيت أمرا عظيما [٣] ، ومن قرأ بالياء معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب، أي: ولو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب، لعرفوا مضرة الكفر، وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم، قوله تعالى: إذ يرون، قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها، العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب، أي: بأن القوة لله جميعا معناه: [أن العذاب لما رآه المشركون، أي لما عاينوه ولم تنفعهم آلهتهم وتنقذهم منه] [٤] ، رأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعا، وقرأ أبو جعفر ويعقوب أن القوة وأن الله بكسر الألف على الاستئناف، والكلام تام عند قوله: إذ يرون العذاب، مع إضمار الجواب.

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٣٣١/٤

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٦٦ الى ١٦٧]

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب، هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرؤون من الإنس، وتقطعت بهم، أي: عنهم الأسباب، أي: الوصلات [٥] التي كانت بينهم في الدنيا، من القرابات والصداقات، وصارت مخالطتهم [٦] عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام كما قال الله تعالى:

فلا أنساب بينهم يومئذ [المؤمنون: ١٠١] ، وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢٣) [الفرقان: ٢٣] ، وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه، يقال للحبل: سبب، وللطريق: سبب.

وقال الذين اتبعوا، يعني: الأتباع لو أن لنا كرة، أي: رجعة إلى الدنيا، فنتبرأ منهم، أي: من المتبوعين، كما تبرؤا منا: اليوم، كذلك، أي: كما أراهم العذاب، كذلك يريهم الله، وقيل: كتبرئ بعضهم من بعض، يريهم الله: أعمالهم حسرات: ندامات عليهم، جمع حسرة، قيل: يريهم [الله] [٧] ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم تحملوها [٨] ، وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله [وعبدوا] [٩] الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله عز وجل، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا، قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم [وقصورهم] [١٠] فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم: تلك مساكنكم لو

---

(١) في المخطوط «يعني أشرك» بدل «أنفسهم» .

(٢) في المطبوع وحده «العقاب» .

(٣) في المطبوع وحده «فظيعا» .

(٤) زيادة عن المخطوط.

(٥) في المطبوع «الصلات» .

(٦) كذا في المطبوع والمخطوط. وفي- ط- «مخالتهم» . [.....]

(٧) زيادة من المخطوط وط.

(٨) في نسخ المطبوع «عملوا» .

(٩) سقط من المطبوع.

(١٠) زيادة عن المخطوط.." (١)

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث؟ البغوي ، أبو محمد ١٩٧/١

"[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

و، حينئذ ويقول الذين آمنوا، قرأ أهل الكوفة: ويقول، بالواو والرفع على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على أن يأتي، أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية [١] ، استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني: يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، أهؤلاء الذين أقسموا بالله، حلفوا بالله، جهد أيمانهم، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، إنهم لمعكم، أي: إنهم لمؤمنون، يريد أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: حبطت أعمالهم، بطل كل خير عملوه، فأصبحوا خاسرين، خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

قوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، قرأ أهل المدينة والشام يرتدد بدالين على إظهار التضعيف عن دينه، فيرجع إلى الكفر، قال الحسن:

علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه، واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة [٢] .

«٨٠٢» وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن [قالها فقد] [٣] عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» ؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره، قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

٨٠٢- أخرجه الطبري ١٢١٩٠ عن قتادة مرسلا دون اللفظ المرفوع منه وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٣٦٢) .
وأصله أخرجه البخاري ١٣٩٩ و١٤٥٦ و٧٢٨٤ و٧٢٨٥ ومسلم ٢٠ وأبو داود ١٥٥٦ والترمذي ٢٦٠٧ والنسائي (٥/ ١٤) و (٧/ ٧٧) وعبد الرزاق (٨/ ١٨٧) وأحمد (٢/ ٥٢٨) وابن حبان ٢١٦ و٢١٧ والبيهقي (٧/ ٤) و (٨/ ١٧٦) و (٩/ ١٨٢) من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة مرفوعا.

ويأتي في «سورة التوبة» آية: ١١.

(١) كذا في المطبوع والمخطوطين وط، وفي نسخة «الشام» .

(٢) انظر «تفسير الطبرى» ١٢١٨٤ و١٢١٨٨ و١٢١٩٠ و١٢٢٠٦.

(٣) في المطبوع وحده «قال لا إله إلا الله» .." (١)

"وقال قوم: المراد بقوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** هم الأشعريون.

«٨٠٤» روي عن عياض بن [عمرو] [١] الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قوم هذا» ، وأشار إلى أبي موسى الأشعري وكانوا من اليمن.

«٨٠٥» أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد [بن علي الكشميهني أنا علي] [٢] بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية» .

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء [٤] الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه. قوله عز وجل: أذلة على المؤمنين، يعني: أرقاء رحماء، لقوله عز وجل: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة [الإسراء:

٢٤] ، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو [من] [٥] الذل من قولهم دابة

٨٠٤- حسن، أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣) والطبري ١٢١٩٣ والطبراني (١٧/ ٣٧١) وابن سعد (٤/ ٨٠) من حديث عياض الأشعري، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٩٧٦: رجال الطبراني رجال الصحيح! مع أن في صحبة عياض الأشعري اختلاف، والراجح عدم صحته، وقد جزم بذلك أبو حاتم وغيره وبأن حديثه مرسل، ويؤيد ذلك رواية البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٥١) حيث أخرجه من طريق سماك عن عياض عن أبي موسى، ومدار الحديث على سماك بن حرب وهو صدوق من رجال مسلم، لكن اختلط بأخرة، لكن له شاهد من حديث شريح بن عبيد أخرجه الطبري ١٢١٩٩ ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، شريح تابعي.

٨٠٥- حديث صحيح، إسناده حسن لأجل محمد بن عمرو، وقد توبع، من شيخه رجال البخاري ومسلم.

وهو في «شرح السنة» ٣٨٩٦ بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري ٣٤٩٩ ومسلم ٥٢ ح ٨٧ والترمذي ٣٩٣٥ وأحمد (٢/ ٥٠٢) من طريق أبي سلمة به دون صدره.

وأخرجه البخاري ٤٣٨٨ ومسلم ٥٢ ح ٩١ وابن حبان ٧٢٩٧ من طريق شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة بهذا التمام.

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث؟ البغوي ، أبو محمد ٦٠/٢

وأخرجه البخاري ٤٣٨٩ ومسلم ٥٢ ح ٨٥ وأحمد (٢/ ٢٧٠) وابن منده ٤٣١ و٤٣٢ و٣٨٠ والطيالسي ٢٥٠٣ من طرق عن أبي هريرة.

وأخرجه البخاري ٤٣٩٠ ومسلم ٥٢ ح ٨٤ من طريق أبي الأعرج عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم ٥٢ ح ٨٢ وعبد الرزاق ١٩٨٨٨ وأحمد (٢/ ٢٣٥ و٢٦٧ و٤٧٤) وابن حبان ٧٣٠٠ من طرق عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

وبعضهم زاد على بعض.

(١) وقع في النسخ «غنم» والتصويب عن الإصابة وتهذيب الكمال ومعجم الطبراني والجرح والتعديل.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل واستدرك من «شرح السنة» .

(٣) وقع في الأصل «أبي موسى» والتصويب من «ط» و «شرح السنة» وكتب التراجم.

(٤) فناء الدار: ما اتسع من أمامها، أو ما امتد من جوانبها. ويقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو.

(٥) زيادة عن المخطوط.." (١)

"والضراء والشدة والرخاء (١) .

قال سعيد بن جبير: إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام (٢) أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: "إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم" فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقيل إنما قال ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى: "**يحبهم ويحبونه**" (٥٤-المائدة) .

قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به" (الرعد- ٣١) يعني لكان هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما، قيل: معناه قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمرا فظيعا، ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أي لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿إذ يرون﴾ قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ﴿العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ أي بأن القوة لله جميعا معناه لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعا.

وقرأ أبو جعفر ويعقوب إن القوة وإن الله بكسر الألف على الاستئناف والكلام تام عند قوله ﴿إذ يرون العذاب﴾ مع إضمار الجواب

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث؟ البغوي ، أبو محمد ٦٢/٢

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧) ﴾

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب﴾ هذا في يوم القيامة ٢٣/أحين يجمع الله القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس ﴿وتقطعت بهم﴾ أي عنهم ﴿الأسباب﴾ أي الصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقات وصارت مخالتهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام كما قال الله تعالى: "فلا أنساب بينهم يومئذ" (١٠١-المؤمنون) وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا

---

(١) انظر: الوسيط للواحدي: ١ / ٢٣٦.

(٢) في هامش (أ) : لأن من الكفار من يعبد النار إلى آخر العمر، ثم يحرق نفسه فداء للصنم.." (١)

"الذبح، أي: يقتلكم، فنزلت هذه الآية (١) .

﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين، ﴿ومن يتولهم منكم﴾ [فيوفقهم ويعنهم] (٢) ﴿فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: نفاق يعني عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود، ﴿يسارعون فيهم﴾ في معونتهم وموالاتهم، ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ دولة، يعني: أن يدول الدهر دولة فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ قال قتادة ومقاتل: بالقضاء الفصل من نصر محمد صلى الله عليه وسلم على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أو أمر من عنده﴾ قيل: بإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: هو عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فيصبحوا﴾ يعني هؤلاء المنافقون، ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من موالاة اليهود ودس الأخبار إليهم، ﴿نادمين﴾

﴿ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) ﴾

﴿و﴾ حينئذ، ﴿يقول الذين آمنوا﴾ [قرأ أهل الكوفة: "ويقول" بالواو والرفع] (٣) وقرأ أهل

---

(١) انظر: الطبري: ٦ / ٢٧٦ (طبع الحلبي) ، الدر المنثور: ٣ / ٩٩-١٠٠، وهنا نضع كلمة لشيخ المفسرين الإمام الطبري، رحمه الله يبين فيها الصواب من هذه الأقوال، قال: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أن من اتخذهم

---

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ١٧٩/١

نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله ورسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان، وقد يجوز أن الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول وحلفائهما من اليهود، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي أن أحدهم هم باللحاق بدهلك اليهودي والآخر بنصراني بالشام. ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر يثبت بمثله حجة، فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل. فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب: أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عم، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهود أو نصارى خوفا على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية بعده تدل على ذلك".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) ما بين القوسين ساقط من "ب".." (١)

"البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ﴿أن يأتي﴾ أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل [العالية] (١) استغناء عن حرف العطف بملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ حلفوا بالله، ﴿جهد أيمانهم﴾ أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، ﴿إنهم لمعكم﴾ أي: إنهم مؤمنون، يريد: أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿حبطت أعمالهم﴾ بطل كل خير عملوه، ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قرأ أهل المدينة والشام "يرتدد" بدالين على إظهار التضعيف "عن دينه" فيرجع إلى الكفر.

قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة (٢) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل؟ " فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني [عناقا] (٣) كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها" (٤) .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ٦٨/٣

فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره.

(١) في "ب": (الشام) .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦ / ٢٨٣ (طبع الحلبي) .

(٣) في "ب": (عقالا) .

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣ / ٢٦٢، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. برقم (٢٠) : ١ / ٥١-٥٢، والمصنف في شرح السنة: ١ / ٦٦-٦٧.." (١)

"والفرقة الثالثة: بنو أسد، ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد، وكان طليحة آخر من ارتد، وادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل ١٠٨/ب الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه (١) .

وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم [في خلافة أبي بكر رضي الله عنه] (٢) خلق كثير، حتى كفى الله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه (٣) .

قالت عائشة: "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها" (٤) .

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم قوم هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري" (٥) وكانوا من اليمن.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن [علي الكشميهني، حدثنا علي بن] (٦) حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية" (٧)

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفياء الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه.

(١) انظر: البداية والنهاية: ٦ / ٣١٤-٣١٩، ٤ / ٦١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ٦٩/٣

(٣) انظر: حروب الردة للشهيد المؤرخ الكلاعي ص (٣٥) وما بعدها.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٦٦٥، حروب الردة للكلاعي ص (٣٥) . تاريخ الطبري، ٣ / ٢٢٥.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢ / ٣١٣ وصححه على شرط مسلم، وأخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد: ٧ / ١٦) . والطبري في التفسير: ١٠ / ٤١٤-٤١٥.

(٦) زيادة من "ب" و"شرح السنة".

(٧) أخرجه البخاري في المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن: ٨ / ٩٨، ومسلم في الإيمان، باب أهل الإيمان ... (٥٢) : ١ / ٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٠١.." (١)

"ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان، أى صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم. وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله «١» من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى: إنى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود «٢» ويجليهم عن بلادهم، فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم: وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر، وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء. وقيل أو أمر من عنده: أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم. وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب، فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتى، وبالرفع على أنه كلام مبتدأ، أى: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت: وقرئ: يقول، بغير واو، وهي في مصاحف مكة والمدينة والشأم كذلك على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا. فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار. وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة، كما حكى الله عنهم (وإن قوتلتم لننصرنكم) . حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين، أى بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأى أعين الناس. وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ٧١/٣

(١) . أخرجه الطبري من رواية عطية بن سعيد العوفي قال: جاء رجل يقال له عبادة بن الصامت- فذكره مرسلا وأتم منه ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي شيبة. وله طرق أخرى في المغازي لابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه.

(٢) . قوله «يقطع شأفة اليهود» في الصحاح «الشأفة» قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، فضرب بها المثل في الاستئصال اه باختصار. (ع)." [١]

"مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعرى في كتاب استغفر واستغفري:

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة فى بنى الدنيا وكذاب «١»

وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد، وكفى الله أمرهم على يد أبى بكر رضى الله عنه. وفرقة واحدة في عهد عمر رضى الله عنه: غسان قوم جبلة ابن الأيهم نصرته اللطمة «٢» وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم قبل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى موسى الأشعرى فقال: «قوم هذا «٣» » وقيل هم ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس «٤» جاهدوا يوم القادسية. وقيل: هم الأنصار. وقيل: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: «هذا وذووه» ثم قال: لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس «٥» **يحبهم ويحبونه** محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه «٦» وعقابه. ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى

(١) . لأبى العلاء المصري. وأمت- بالتشديد-: صارت إماما في بنى حنيفة وادعت النبوة. ويروى بالمد والتخفيف، أى صارت أيما غير متزوجة وهي بنت المنذر. ووافاها، أى وافقها مسيلمة، فانه تزوجها وكان مدعيا للنبوة أيضا، وبعد قتله تابت وحسن إسلامها.

(٢) . قوله «نصرته اللطمة» لعلها اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب وبز التجار، فحرر.

(٣) . أخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والحاكم والطبراني. والطبري من طريق سماك بن حرب. عن عياض الأشعرى. قال: لما نزلت هذه الآية فذكره. ورواه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن سماك عن عياض عن أبي موسى قال تلوت عند النبي صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتي الله بقوم) الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قومك يا أبا موسى. أهل اليمن.

(٤) . قوله «من أفناء الناس» في الصحاح «فناء الدار» ما امتد من جوانبها. والجمع أفنية. ويقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. (ع)

(٥) . هكذا رواه. وهو وهم منه فان. هذا الكلام إنما ورد في آية الجمعة من طريق أبي العيث عن أبي هريرة وهو متفق

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؟ الزمخشري ٦٤٣/١

عليه. وفي آية القتال رواه الترمذي من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه
(٦) . قال محمود: «محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه. ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم. وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى يوم دك الطور، فتعالى الله عنه علوا كبيرا. ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فان الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات» انتهى كلامه. قال أحمد: لا شك أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذي لا يعدل إليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرها، فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهى ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا، إذ المحبة لغة: ميل المتصف بها إلى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس، كلذة الذوق في المطعوم، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة، ولذة الشم في الروائح العطرة، ولذة السمع في النغمات الحسنة، وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجرى مجراها، فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون الحس، ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها، فليس اللذة برئاسة الإنسان على أهل قرية كلذته بالرئاسة على أقاليم معتبرة.

وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث، فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق، فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم، والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن. وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات، فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة، بل واقعة من كل مؤمن، فهي من لوازم الايمان وشروطه، والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم. وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة، وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها.

ألا ترى إلى الأعرابى الذي سأل عن الساعة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام «ما أعددت لها» قال: ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله. فقال عليه الصلاة والسلام «أنت مع من أحببت» فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات، لأن الأعرابى نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك، ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة، فالمحبة في اللغة إذا تأكدت سميت عشقا، فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات في ذكره وطاعته، فلا يمنع أن تسمي محبته عشقا إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة. وما أردت بهذا الفصل إلا تخليص الحق والانتصاب لأحباء الله عز وجل من الزمخشري، فانه خلط في كلامه الغث بالسمين، فأطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحر منه، ونسب إليهم ما لا يعبأ بمرتكبه، ولا يعد في البهائم فضلا عن خواص البشر، ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله، ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المسمين به حقيقة، أن يؤاخذ الصالح بالطالح (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وهذا كما أن علماء الدين قد انتسب إليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا: إن الأمر أنف،

وجعلوا لأنفسهم شركا في المخلوقات وفعلوا وصنعوا، فلا يسوغ لنا أن نقدح في علماء أصول الدين مطلقا لأنهم قد انتسب إليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بنعتهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا شك أن في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله إلا بمعنى طاعته له لا غير، وهو الذي يحاز إليه الزمخشري. وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه. والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين إلى أنهم جهلوا فأنكروا، كما أن الصبي ينكر على من يعتقد أن وراء اللعب لذة من جماع أو غيره، والمنهمك في الشهوات والغرام بالنساء يظن أن ليس وراء ذلك لذة من رياسة أو جاه أو شبه ذلك، وكل طائفة تسحر بمن فوقها وتعتقد أنهم مشغولون في غير شيء. قال الغزالي: والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك: إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون.." (١)

"[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

اختلف القراء في هذه الآية فقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع «يقول» بغير واو عطف وبرفع اللام.

وكذلك ثبت في مصاحف المدينة ومكة. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم «ويقول» بإثبات الواو. وكذلك ثبت في مصاحف الكوفيين. وقال الطبري كذلك هي في مصاحف أهل الشرق. وقرأ أبو عمرو وحده «ويقول» بإثبات الواو وبنصب اللام. قال أبو علي وروى علي بن نصر عن أبي عمرو النصب والرفع في اللام. فأما قراءة ابن كثير ونافع فمتعاضدة مع قراءة حمزة والكسائي. لأن الواو ليست عاطفة مفرد على مفرد مشركة في العامل وإنما هي عاطفة جملة على جملة وواصلة بينهما والجملتان متصلتان بغير واو. إذ في الجملة الثانية ذكر من الجملة المعطوف عليها. إذ الذين يسارعون وقالوا نخشى ويصبحون نادمين هم الذين قيل فيهم.

أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم فلما كانت الجملتان هكذا حسن العطف بالواو وبغير الواو. كما أن قوله تعالى: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم [الكهف: ٢٢] لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو، وعلى هذا قوله تعالى: أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [البقرة: ٣٩ الأعراف: ٣٦ يونس: ٢٧] ولو دخلت الواو فقيل «وهم فيها خالدون» كان حسنا.

قال القاضي أبو محمد: ولكن براعة الفصاحة في الإيجاز، ويدل على حسن دخول الواو قوله تعالى: ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم [الكهف: ٢٢] فحذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا كحذفها من هذه الآية، وإلحاقها في قوله ثامنهم.

قال القاضي أبو محمد: وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذا القول من المؤمنين إنما هو إذا جاء الفتح حصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى، فحينئذ يقول المؤمنون أهؤلاء الذين أقسموا [المائدة:

٥٣] الآية. وتحتمل الآية أن تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض نخشى أن تصيبنا دائرة [المائدة:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؟ الزمخشري ٦٤٦/١

٥٢] وعند أفعالهم ما فعلوا في حكاية بني قينقاع. فظهر فيها سرهم وفهم منهم أن تمسكهم بهم إنما هو إرصاد لله ولرسوله. فمقتهم النبي والمؤمنون، وترك النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع لعبد الله بن أبي رغبة في المصلحة والألفة، وبحكم إظهار عبد الله أن ذلك هو الرأي من نفسه وأن الدوائر التي يخاف إنما هي ما يخرب المدينة وعلم المؤمنون وكل فطن أن عبد الله في ذلك بخلاف ما أبدى. فصار ذلك موطنا يحسن أن يقول فيه المؤمنون أهؤلاء الذين أقسموا الآية، وأما قراءة أبي عمرو ويقول بنصب اللام فلا يتجه معها أن يكون قول المؤمنين إلا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم، لأن الواو عاطفة فعل على فعل مشركة في العامل، وتوجه عطف ويقول مطرد على ثلاثة أوجه، أحدها على المعنى، وذلك أن قوله فعسى الله أن يأتي بالفتح [المائدة: ٥٢] إنما المعنى فيه فعسى الله أن يأتي بالفتح فعطف قوله تعالى: ويقول على يأتي اعتمادا على المعنى، وإلا فلا." (١)

"وأما قوله: (لأعطين الراية رجلا يحب اله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، فإن هذا حق لا شك فيه فإن عليا رضي الله عنه كان يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟ لأنه كان عن المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وممن شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن حبه إيمان، وبغضه نفاق.

وقوله: (تطاولنا)؛ أي إلى إصابة قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لأعطين الراية رجلا يحب الله)، وأنه استدعي بعلي، وكان أرمد، فدل على أن النص في ذلك قد كان من الله عز وجل، لأنه لم يرد الولاية كونه أرمد (١١٣/ أ) بحضور جماعة أصحاء.

وقوله: (فبصق في عينيه)، أي داوى ألمه، ثم بعثه ليلقى العدو؛ وهو ذو بسطة في الجسم؛ على الجيش ينبغي أن يكود صحيح الأعضاء متمكنا من نفسه، ثابتا في رأيه؛ وإنما بصق في عينيه، واثقا بأن ريقه - صلى الله عليه وسلم - يكفي في برء عينه.

* وهذا أيضا دليل على وكادة التداوي؛ فإن ريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان دواء لعين علي رضي الله عنه، ولو برأت عينه من غير ريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم تجز تلك الفضيلة، ولم تظهر المعجزة في أنه في بريقه.

* وأنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿.. ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ..﴾ دعا عليا وفاطمة حسنا وحسينا؛ فإن هذا يدل على أن المباهلة إنما استعملت في الأعز، وأعز ما عند الآدمي الطفل حتى يكبر، والحسن والحسين رضي الله عنهما كانا صبيين؛ والولد، فكانت فاطمة ولده؛ والحميم،." (٢)

"حرف الحاء

الحاء مع الباء

قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا أحب الله العبد" (١)، و"لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" (٢)، وكل ما جاء من ذكر محبة العبد لله أو محبة الله لعبده كل ذلك محمول على إرادة الله به الخير وهدايته إياه وتوفيقه له،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؟ ابن عطية ٢٠٦/٢

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح؟ ابن هُبَيْرَة ٣٤٩/١

ومحبة العبد لله ترجع إلى طاعته (٣) له وإيثار أمره على سواه، وأما المحبة التي هي الميل إلى المحبوب فالبارئ – سبحانه وتعالى – منزه عنها لا يميل ولا يقال إليه (٤)، وأما محبة الرسول والملائكة لمن **يحبهم ويحبونه** فتكون على ظاهرها من الميل اللائق بالخلق، وتكون من الملائكة بمعنى الاستغفار، وحسن الذكر، والثناء الجميل، وكذلك من البشر التعظيم لهم

---

(١) "الموطأ" ٢/ ٩٥٣، البخاري (٣٢٠٩)، مسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٢٩٧٥)، مسلم (١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٣) في (د): (محبة طاعته).

(٤) ما ذكره المصنف هنا تأويل لصفة المحبة وإخراج لها عن حقيقتها، وصفات الله – عز وجل – ثابتة له كلها كما أثبتها هو ورسوله له، لا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل. ولمعرفة الاعتقاد الصحيح فيها انظر المقدمة، فصل عقيدة المصنف.." (١)

"شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم قوم هذا وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعري قال أبو نعيم رواه إدريس الأودي عن سماك أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الكريم ابن حمزة بن الخضر السلمي بدمشق ثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الحافظ أنبأ أبو القسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي ثنا ابي رحمه الله ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء ببغداد ثنا أبو معمر اسمعيل بن إبراهيم القطيعي ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى الأشعري قال قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال

هم قومك أهل اليمن أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الفضل الفقيه أنبا أبو بكر الخسر وجردي أنبأ أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو عبد الله الصفار ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى قال تليت عند النبي صلى الله عليه وسلم

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم قومك ياأبا موسى أهل اليمن أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي أنبا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الحافظ قال أما بعد فإن بعض أئمة الأشعريين رضي الله عنهم ذاكرني بمتن الحديث الذي أخبرناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال ثنا أبو العباس محمد بن." (٢)

"يعقوب ثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا وهب بن جرير وأبو عامر العقدي قالا ثنا شعبة عن سماك وأخبرنا أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي في كتابه وحدثني أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد بن أبي نصر الطبسي بنيسابور عنه

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار؟ ابن قُرْقُول ٢/ ٢١١

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٤٩

قال أنبا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ثنا محمد ابن يعقوب ثنا إبراهيم بن مرزوق ثنا وهب عن شعبة قال وثنا إبراهيم ثنا أبو عامر عن شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى رضي الله عنه فقال

هم قوم هذا قال البيهقي وذلك لما وجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصا من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة ورد الشبهة والأشبه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل قوم أبي موسى من قوم يحبهم الله ويحبونه لما علم من صحة دينهم وعرف من قوة يقينهم فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفى التشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولهم جعل من جملتهم وعد من حسابهم بمشيئة الله وإذنه أعاننا الله تعالى على ذلك بمنه وختم لنا بالسعادة والشهادة بجوده وليعلم المنصف من أصحابنا صنع الله تعالى في تقديم هذا الأصل الشريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة وجعله خلف حق السلف صدق أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله المصري وأبو بكر ناصر بن أبي العباس بن." (١)

"علي الصيدلاني بهراة قالا أنبأ محمد بن عبد العزيز الفارسي انبأ عبد الرحمن ابن أحمد بن أبي شريح قال نا يحيى بن محمد بن صاعد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد الله بن إدريس عن ليث عن مجاهد في قوله عزوجل ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال قوم سبأ والأشعريون قوم من سبأ وأكرم بذلك أصلا ونسبا

أخبرنا الشيخان أبو القسم عبد الملك بن عبد الله بن داود المغربي وأبو غالب محمد بن الحسن بن علي البصري الماوردي ببغداد قالا أنبأ أبو علي علي بن أحمد بن علي التستري بالبصرة ثنا القاضي الشريف أبو عمر القسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ثنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنن قال ثنا سليمان بن داود المهري أنبا ابن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

إن الله عزوجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها قال أبو داود رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يخبر به شراحيل أخبرناه الشيخ أبو القسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي انا أبو القسم إسماعيل بن مسعدة الجرجاني ببغداد أنا أبو القسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني انا العباس بن محمد بن العباس البصري والقسم بن عبد الله بن مهدي نا حميم قالا نا عمرو بن سواد السرحي ح قال أبو أحمد بن عدي ونا يحيى بن محمد بن يحيى بن." (٢)

"عنه حدثنا الشيخ أبو القسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ املاء بأصبهان أنا أحمد بن عبد الرحمن الذكواني أنا أبو بكر بن مردويه حدثني أحمد بن محمد بن سليمان المالكي نا الحسين بن علي بن حريش التستري حدثنا الحرث بن

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٥٠

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٥١

أبي الحرث نا يعلى بن عبيد عن أبي عمرو بن العلاء عن شهر بن حوشب قال قدم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه

إنه ليدلني على حسن إيمان الأشعريين حسن أصواتهم بالقرآن قال لنا إسماعيل الحسين بن علي بن حريش بالحاء غير المعجمة أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي انا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أنا محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك نا عبد الملك بن محمد الرقاشي نا وهب بن جرير وسعيد بن عامر قالا نا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عياضا الأشعري رضي الله عنه يقول لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قومك ياأبا موسى وأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أبو عبد الله الحافظ هذا حديث صحيح أخبرناه الشريف أبو القسم علي بن إبراهيم الخطيب وأبو الحسن علي بن أحمد الفقيه قالا نا وأبو منصور محمد بن عبد الملك المقري قال أنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب أنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الطرازي بنيسابور انا أبو حامد أحمد بن علي حسنويه المقري أنا ابو جعفر الصائغ البغدادي واسمه محمد بن إسماعيل." (١)

"ابن سالم نا شبابة بن سوارنا شعبة عن سماك عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال

هم قوم هذا قلت وكذا رواه أبو عامر العقدي عبد الملك بن عمرو عن شعبة وكذلك المحفوظ عن عبد الله بن إدريس الأودي عن شعبة وأخبرناه أبو الفضل محمد بن إسماعيل الفضيلي انا ابو القسم أحمد بن محمد الخليلي أنا أبو القسم علي بن أحمد الخزاعي انا الهيثم ابن كليب الشاشي نا العسقلاني يعني عيسى بن أحمد أنا يزيد هو ابن هرون أنا شعبة بن الحجاج عن سماك بن حرب قال سمعت عياضا الأشعري يقول لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى رضي الله عنه

هم قومك ياأبا موسى أو قال

قوم هذا يعني أبا موسى وأخبرناه الشيخان أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله المقري الواعظ وأبو بكر ناصر بن أبي العباس بن علي الصيدلاني بهراة قالا أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي أنا عبد الرحمن بن أحمد بن أبي شريح الأنصاري نا يحيى بن محمد بن صاعد نا أبو سعيد الأشج نا عبد الله بن إدريس عن شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم قوم هذا لأبي موسى رضي الله عنه وعياض هذا هو ابن عمرو الأشعري نسبه مختلف في صحبته وإلا ظهر أن له صحبة وقد أدرك عصر النبي صلى الله عليه وسلم لانتفاء." (٢)

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٦٢

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٦٣

"الشكوك في أنه شهد في صدر خلافة عمر رضي الله عنه يوم اليرموك وقد ضمن بعض أصحاب شعبة أبا موسى إسناده ووصله بذكر أبي موسى فيه وإجازة أخبرناه الشيخ أبو عبد الله بي أبي مسعود الصاعدي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحافظ أنا أبو عبد الله الحافظ في جمعه لأحاديث شعبة قال انا بكر بن محمد بن حمدان بمرو نا أبو قلابة نا عبد الصمد وأبو الوليد قالا نا شعبة عن سماك عن عياض الأشعري عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم

هم قوم هذا يعني أبا موسى وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله أنا ابو بكر أنا أبو علي الروذباري نا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد آبادي نا أبو قلابة فذكره بإسناد مثله وقال عن عياض عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال

هم قوم هذا يعني أبا موسى وهكذا رواه إدريس ابن يزيد الأودي عن سماك أخبرناه الشيخ أبو عبد الله الفراوي أنا أحمد بن الحسين البيهقي انا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو معمر قال البيهقي وأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان نا أحمد بن عبيد الصفار نا محمد بن عيسى نا أبو معمر نا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى رضي الله عنه قال تلوت عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾." (١)

"بنصرة شريعته ومن قام بها إلى يوم القيامة وحين نزل قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى وقال

قوم هذا فوعد الله عز ثناؤه وجل شيئا معلقا بشيء وخص النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم به قوم أبي موسى فكان خبره حقا ووعد الله صدقا وحين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أمته وقبضه الله عزوجل إلى رحمته ارتد ناس من العرب فجاهدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو موسى وقومه حتى عاد أهل الردة إلى الإسلام كما وعد رب الأنام وحين كثرت المبتدعة في هذه الأمة وتركوا ظاهر الكتاب والسنة وأنكروا ما ورد به من صفات الله عزوجل نحو الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام وجحدوا مادلا عليه من المعراج عذاب القبر والميزان وأن الجنة والنار مخلوقتان وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران وما لنبينا صلى الله عليه وسلم من الحوض والشفاعة وما لأهل الجنة من الرؤية وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل ولا يصح في الرأي أخرج الله عزوجل من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إماما قام بنصرة دين الله وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله وزاد." (٢)

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/٦٤

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/١٠٤

"في التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسنة وماكان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة والآراء تصديقا لقوله وتحقيقا لتخصيص رسوله صلى الله عليه وسلم قوم أبي موسى بقوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هذا والكلام في علم الأصول وحدث العالم ميراث أبي الحسن الأشعري عن أجداده وأعمامه الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن علم الأصول وحدث العالم إلا وفد الأشعريين من أهل اليمن ثم ذكر حديث عمران بن الحصين حين أتاه نفر من بني تميم وقد ذكرته في الجزء الأول بإسناده ثم قال فمن تأمل هذه الأحاديث وعرف مذهب شيخنا أبي الحسن رضي الله عنه في علم الأصول وعلم تبحره فيه أبصر صنع الله عزت قدرته في تقديم هذا الأصل الشريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة وجعله خلف حق لسلف صدق وبالله التوفيق هذا وعلماء هذه الأمة من أهل السنة والجماعة في الاشتغال بالعلم مع الاتفاق في أصول الدين على اضرب منهم من قصر همته على التفقه في الدين بدلائله وحججه من التفسير والحديث والإجماع والقياس دون التبحر في دلائل الأصول ومنهم من قصر همته على التبحر في دلائل الأصول دون التبحر في دلائل الفقه ومنهم من جعل همته فيهما جميعا كما فعل الأشعريون من أهل اليمن حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"على الجملة المذكورة صدر هذا الذكر وكتبه عبد الله بن إسماعيل الصابوني وبخط الشريف البكري الأمر على نحو ما بين درج هذا الذكر وكتبه علي بن الحسن البكري الزبيري بخطه وبخط آخر هو إمام من أئمة أصحاب الحديث والأمر على ما وصف في هذا الذكر وكتبه محمد بن الحسن بيده وبخط أبي الحسن الملقاباذي أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه إمام من أئمة أصحاب الحديث ورئيس من رؤسائهم في أصول الدين وطريقته طريقة السنة والجماعة ودينه واعتقاده مرضي مقبول عند الفريقين وكتبه علي بن محمد الملقاباذي بخطه وبخط عبد الجبار الاسفرايني بالفارسية أين بو الحسن أشعري إمام أست كه خداوند عزوجل اين آيت درشان وى فرستاد ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ومصطفى عليه السلام درآن وقت بجدوى اشارت كردبو موسى أشعري فقال

هم قوم هذا وكتبه عبد الجبار بن علي بن محمد الاسفرايني بخطه وبخط ابنه هكذا يقول محمد بن عبد الجبار بن محمد قال الإمام الحافظ رضي الله عنه نقلت هذه الخطوط على نصها من ذلك الدرج ونقلها غيري من الفقهاء وتفسير قول هذا الفارسي

هذا أبو الحسن كان إماما ولما أنزل الله عزوجل قوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى رضي الله عنه وقال

هم قوم هذا." (٢)

"أحمد الهروي قال سمعت ابن شاهين يقول رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء جعفر بن محمد بن حنبل كتب إلي أبو القسم العكبري يخبرني عن أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك قال لما تم للهجرة مايتان وستون سنة رفعت أنواع البدع

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/١٠٥

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/١١٤

رؤسها وتسقت عوام الخلائق كؤوسها حتى أصبحت آيات الدين منطمسة الآثار وأعلام الحق مندرسة الأخبار فأظهر الله سبحانه وتعالى ناصر الحق وناصر الخلق محي السنن مرضي السنن الإمام الرضي الزكي أبا الحسن سقى الله بماء الرحمة تربته وأعلى في غرفات الجنان درجته من أصل باذخ الذري وشرف شامخ القوى وهو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاضيه والمستخلف من قبل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين على القضاء والصلوات والجيوش والإمارة على المؤمنين وتعليم الشريعة للمسلمين وكان زوج أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب وهي أم أبي بردة بن أبي موسى الأشعري جد الإمام أبي الحسن الأشعري وروى دعلج بن أحمد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل نبأ معمر قال ثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى الأشعري قال قرئت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال صلوات الله عليه وسلامه

هم قومك ياأبا موسى أهل اليمن ومعلوم بأدلة العقول وبراهين الأصول أن أحدا من أولاد أبي موسى لم." (١)

"المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال لبيك يا سيدي فغضب الحارث المحاسبي وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك قال أبو حمزة إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذي أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد.

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراط ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم وقال السراج ذكر عن أبي بكرة محمد بن موسى الفرغاني الواسطي أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى وإياك أن تلاحظ حبيبا أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا فقيل له أولا أصلي عليهم قال صلى عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك مقدار قال السراج وبلغني أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال في المستحسنات قال وبلغني عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة قال السراج وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقني فقال النوري سمعت الله يقول: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وليس العشق بأكثر من المحبة قال القاضي أبو يعلى وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق.

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه أحدها من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثاني أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال إني في الجنة فهو في النار" وعن أبي عبد الرحمن السلمي حكى عن عمرو المكي أنه قال كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري؟ ابن عساكر، أبو القاسم ص/١٦٤

أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته وعن محمد بن يحيى الرازي قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول لو قدرت عليه لقتلته بيدي فقلت بأي شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكنني أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به وبإسناد عن أبي القاسم الرازي يقول قال." (١)

"قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت إشرب قليلا من الماء فقال حتى تغرب الشمس

للمهيار

(نفرها عن وردها بحاجر ... شوق يعوق الدمع في المحاجر)

(وردها على الطوى سواغبا ... ذل الغرام وحنين الذاكر)

واشوقاه إلى تلك الأشباح سلام الله على تلك الأرواح

(ها إنها منازل تعودت ... مني إذا شارفتها التسليما)

(وقفت فيها سالما راد الضحى ... ورحت من وجد بها سليما)

(يا نفحة الشمال من تلقائها ... ردي على ذلك النسيما)

يا هذا إن أردت لحاق السادة فخل مخاللة الوسادة واجعل جلدتك بردتك وحد عن الخلق والزم وحدتك أكحل عينيك بالسهر والدمع وضع على قروح الجوع مرهم الصبر وتزود للسير زاد العزم واقطع طريق الدنيا بقدم الزهد واخرج إلى خصب الأخرى عن ضنك الدنيا وسح في بوادي التقى لتنزل بوادي الفخر فإن وصلت إلى دوائك تناولته من يد ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وإن مت بدائك فمقابر الشهداء ﴿في مقعد صدق﴾." (٢)

"٢٦- فصل: محبة الخالق توجب قلقا وشوقا.

١١٢- تأملت قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ، فإذا النفس تأبى إثبات محبة للخالق توجب قلقا وشوقا، وقالت: محبته طاعته، فتدبرت ذلك؛ فإذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس.

١١٣- وبيان هذا: أن محبة الحس لا تتعدى الصور الذاتية، ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتحبها؛ فإنا نرى خلقا يحبون أبا بكر رضي الله عنه، وخلقا يحبون علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقوما يتعصبون لأحمد بن حنبل، وقوما للأشعري١، فيقتتلون، ويبذلون النفوس في ذلك، وليسوا ممن رأى صور القوم، ولا صور القوم توجب المحبة، ولكن لما تصورت لهم المعاني، فدلتهم على كمال القوم في العلوم، وقع الحب لتلك الصور، التي شوهدت بأعين البصائر، فكيف بمن صنع٢ تلك الصور المعنوية وبذلها؟!

١١٤- وكيف لا أحب من وهب لي ملذوذات حسي، وعرفني ملذوذات علمي؟! فإن التذاذي بالعلم، وإدراك العلوم أولى من جميع اللذات الحسية، فهو الذي علمني، وخلق لي إدراكا، وهداني إلى ما أدركته.

١١٥- ثم إنه يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد، أراه فيه بإتقان ذلك الصنع، وحسن ذلك المصنوع. فكل محبوباتي

---

(١) تلبيس إبليس؟ ابن الجوزي ص/١٥٣

(٢) المدهش؟ ابن الجوزي ص/٣٨٢

منه وعنه وبه، الحسية والمعنوية، وتسهيل سبل الإدراك به، والمدركات منه، وألذ من كل لذة عرفاني له، فلولا تعليمه، ما عرفته.

---

١ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري "٢٦٠-٣٢٤"هـ، من الأئمة المتكلمين المجتهدين، كان معتزليا، ثم ترك الاعتزال، ورجع إلى ما عليه أهل السنة والجماعة ينافح عن السنة ببيان قاطع وحجة دامغة، ووافق الإمام أحمد في معتقده كما بين ذلك في آخر كتبه الإبانة عن أصول الديانة.

٢ في الأصل: ضيع، وهو تصحيف.." (١)

"الآية رقمها رقم الفصل

سورة آل عمران

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ٨ ١٩٢

﴿قائما بالقسط﴾ ١٨ ٧١

﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ٢٨ ١٥٠

﴿وكفلها زكريا﴾ ٣٧ ٦٧

﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ١٢٨ ٢٩٣

﴿لا تأكلوا الربا﴾ ١٣٠ ١٩٥

﴿وتلك الأيام﴾ ١٤٠ ٧٢

﴿أم حسبتم أن تدخلوا﴾ ١٤٢ ٥٤

﴿إنما نملي لهم﴾ ١٧٨ ٥٤

﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع﴾ ١٨٥ ١٩

سورة النساء

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ ٥ ١٠١، ٣٧٣

﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ ٢٩ ١٩

﴿وإذا كنت فيهم﴾ ١٠٢ ٥١

﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ ١٢٣ ٢٩، ١٢٢، ٣٥٤

سورة المائدة

﴿يحبهم ويحبونه﴾ ٥٤ ٢٦، ٨٨

﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ٦٤ ٦١، ٧١

---

(١) صيد الخاطر؟ ابن الجوزي ص/٥٨

﴿بلغ﴾ ٦٧ ١٨٢

﴿لا تحرموا طيبات﴾ ٨٧ ٣٦

سورة الأنعام

﴿قل إني أخاف إن عصيت﴾ ١٥ ٣١٥

﴿ولو ردوا لعادوا﴾ ٢٨ ١٩٨، ٢٣٧

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ٣٨ ٧١

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله﴾ ٤٦ ٣٧، ٦٢

﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ ٥٤ ٥٠

﴿أولئك الذين هدى الله﴾ ٩٠ ٣٦

﴿وهذا كتاب أنزلناه﴾ ٩٢ ٧١، ١٢٣." (١)

"فإذا سجد وحان انصرافه من صلاته، قبض على لحيته، وخنقته العبرة، وجعل يقول: بحنين الثكلى وأنين الولهى، يا إلهي، ويا مالك رقي، ويا صاحب نجواي، ويا سامع شكواي، سبقت بالقول تفضلا وامتنانا، فقلت: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** المائدة ٥٤، والمحب لا يعذ حبيبه، فحرم شيبة مالك على النار. إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك، وأي الدارين دار مالك؟.

ثم يناجي كذلك إلى أن يطلع الفجر، فيصلي الصبح بوضوء العتمة رحمه الله.

**." (٢)

"بني النضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الجزية، قاله السدي. والثالث: الخصب، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج. وفيما أسروا قولان: أحدهما: موالاتهم. والثاني: قولهم: لعل محمدا لا ينصر.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٣]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣)

قوله تعالى: ويقول الذين آمنوا قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى: وعسى أن يقول.

ورفعه الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفا. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «يقول» ، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة.

قال المفسرون: لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقهم،

---

(١) صيد الخاطر؟ ابن الجوزي ص/٥١٧

(٢) بحر الدموع؟ ابن الجوزي ص/٦٣

وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جادا في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك؟ فلما قتلت قريظة، لم يطق أحد من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حصدوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: أهؤلاء يعنون المنافقين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان. وقال مقاتل: جهد أيمانهم القسم بالله. وقال الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين إنهم لمعكم على عدوكم حبطت أعمالهم بنفاقهم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

قوله تعالى: من يرتد منكم عن دينه قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: يرتد، بإدغام الدال الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: يرتدد، بدالين. قال الزجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف، ظهر التضعيف. فأما «يرتد» فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحركت الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين. قال الحسن: علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم عليه السلام، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه**. وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال «١» : أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن عليهما السلام، وقتادة، والضحاك، وابن جريج. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد ابو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره.

والثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن، أيضا. والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/ ٦٢٦: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، ما روي به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم أهل اليمن، قوم أبي موسى الأشعري.." (١)

"مما كنت فيه. فقالت: ولم عافاك الله؟ أما علمت أن لله عبادا لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره؟.

٩٧٥ - عابدة أخرى

عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف فسمعت صوتا حزينا وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنت تدري يا حبيبي ... من حبيبي أنت تدري

ونحول الجسم والدمع ... يبوحان بسري

يا عزيزي قد كتمت الحب ... حتى ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت حتى انتحبت وبكيت. ثم قالت: إلهي وسيدي ومولاي، بحبك لي إلا ما غفرت لي. قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي: بحبي لك، حتى تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير؟ ابن الجوزي ١/ ٥٥٩

علمت أن لله عز وجل قوما يحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ المائدة: ٥٤. فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له؟ فقلت: من أين علمت أني ذو النون؟ فقالت: يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك. ثم قالت: انظر من خلفك. فأدرت وجهي، فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها.

٩٧٦ – عابدة أخرى

أبو عبد الملك قال: رأيت امرأة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: اللهم إني أستعديك على نفسي.

٩٧٧ – عابدة أخرى

أبو الأشهب السائح قال: بينا أنا في الطواف إذا بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول: يا وحشتي بعد الإنس، ويا ذلي بعد العز، ويا فقري بعد الغنى. فقلت لها: ما لك؟ أذهب لك مال أو أصبت بمصيبة؟ قالت: لا ولكن كان لي قلب ففقدته، قلت: هذه مصيبتك؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟ فقلت لها: إن حسن صوتك قد عطل على من سمع الكلام الطواف. فقالت: يا شيخ، البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: فالحرم حرمك أم حرمه؟ فقلت: بل حرمه، قالت: فدعنا نتدلل عليه على قدر ما استزارنا إليه. ثم قالت: بحبك لي إلا رددت علي قلبي. قال: فقلت من أين." (١)

"صفة المحبة والمشيئة والإرادة

...

المحبة١، والمشيئة والإرادة٢،

---

١ من أدلة إثباتها قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ المائدة/ ٥٤، وقوله: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة/ ٨، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران/ ٣١، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: " إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض ". رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ((ذكر الملائكة)) ، ح ((٣٢٠٩)) ٢/ ٤٢٤، وكتاب الأدب باب ((المقة من الله)) ح ((٦٠٤٠)) ٤/ ٩٨، وكتاب التوحيد، باب ((كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة)) ح ((٧٤٨٥)) ٤/ ٤٠١، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ((إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده)) ، ح ((٢٦٣٧)) ٤/ ٢٠٣٠.

٢ من أدلة إثبات الإرادة والمشيئة قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ الكهف/ ٣٩، وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ البقرة/ ٢٥٣، وقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ الأنعام/ ١٢٥، وقوله سبحانه: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا

---

(١) صفة الصفوة؟ ابن الجوزي ٢/ ٥١٨

يريد بكم العسر﴾ البقرة/١٨٥، وغيرها. أما من السنة فالأدلة كثيرة جدا. انظر مثلا ما أورده البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه، باب في المشيئة والإرادة، ح ((٧٤٦٤-٧٤٨٠)) ٤/٣٩٦-٤٠٠. والإرادة نوعان:

أ. إرادة كونية ترادفها المشيئة، وهما تتعلقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه فهو سبحانه إذا أراد شيئا وشاءه كان عقب إرادته له، كما قال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ يس/٨٢.

ب. إرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ . راجع شرح الدكتور محمد خليل هراس على العقيدة الواسطية لابن تيمية ص٩٩." (١)

"اللفظ الثالث: الأمر، قال تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد [الروم: ٤] وقال: ألا له الخلق والأمر [الأعراف: ٥٤] وقال حكاية عن موسى عليه السلام إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة [البقرة: ٦٧] .

اللفظ الرابع: الوعد، قال تعالى: وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن [التوبة: ١١١] وقال تعالى: وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده [يونس: ٤] .

اللفظ الخامس: الوحي، قال تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا [الشورى: ٥١] وقال:

فأوحى إلى عبده ما أوحى

[النجم: ١٠] .

اللفظ السادس: كونه تعالى شاكرا لعباده، قال تعالى: فأولئك كان سعيهم مشكورا [الإسراء: ١٩] وكان الله شاكرا عليما [النساء: ١٤٧] .

الفصل الرابع: الإرادة وما بمعناها:

في الإرادة وما يقرب منها: - فاللفظ الأول: الإرادة، قال تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة: ١٨٥] .

اللفظ الثاني: الرضا، قال تعالى: وإن تشكروا يرضه لكم [الزمر: ٧] وقال: ولا يرضى لعباده الكفر [الزمر: ٧] وقال: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة [الفتح: ١٨] وقال في صفة السابقين/ الأولين: رضي الله عنهم ورضوا عنه [المائدة: ١١٩] وقال حكاية عن موسى وعجلت إليك رب لترضى [طه: ٨٤] .

اللفظ الثالث: المحبة، قال: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] وقال: ويحب المتطهرين [البقرة: ٢٢٢] .

اللفظ الرابع: الكراهة، قال تعالى: كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها [الإسراء: ٣٨] وقال:

ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم [التوبة: ٤٦] قالت الأشعرية: الكراهة عبارة عن أن يريد أن لا يفعل وقالت المعتزلة: بل هي صفة أخرى سوى الإرادة، والله أعلم.

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي؟ المقدسي، عبد الغني ص/١١٩

الفصل الخامس السمع والبصر ومشتقاتها:

في السمع والبصر: قال تعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى: ١١] وقال تعالى: لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير [الإسراء: ١] وقال تعالى: إنني معكما أسمع وأرى [طه: ٤٦] وقال: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

[مريم: ٤٢] وقال تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [الأنعام: ١٠٣] .." (١)

"المسألة الثالثة: قوله حبطت أعمالهم يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين، ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، والمعنى ذهب ما أظهروه من الإيمان، وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى، فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة، فإنه لما بطلت أعمالهم بقيت عليهم المشقة في الإتيان بتلك الأعمال، ولم يحصل لهم شيء من ثمراتها ومنافعها، بل استحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

[في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم] فيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن عامر ونافع يرتدد بدالين، والباقون بدال واحدة مشددة، والأول: لإظهار التضعيف، والثاني: للإدغام. قال الزجاج: إظهار الدالين هو الأصل لأن الثاني من المضاعف إذا سكن ظهر التضعيف، نحو قوله إن يمسسكم قرح [آل عمران: ١٤٠] ويجوز في اللغة: إن يمسكم.

المسألة الثانية: روى صاحب «الكشاف» أنه كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بنو مدلج: ورئيسهم ذو الحمار، وهو الأسود العنسي، وكان كاهنا ادعى النبوة في اليمن واستولى على بلادها، وأخرج عمال رسول الله، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن، فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي بيته فقتله، وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل، فسر المسلمون، وقبض رسول الله من الغد وأتي خبره في آخر شهر ربيع الأول.

وبنو حنيفة قوم مسيلمة، ادعى النبوة وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، فأجابه الرسول: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين، وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام، أراد في جاهليتي وفي إسلامي.

وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد: ادعى النبوة، فبعث إليه رسول الله خالدا، فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ١٣٢/١

إسلامه.

وسبع في عهد أبي بكر: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر التي ادعت النبوة وزوجت نفسها من مسيلمة الكذاب، وكندة وقوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد، وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر.

وفرقة واحدة في عهد عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم، وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر، وكان يطوف ذات يوم جارا رداءه، فوطئ رجل طرف ردائه فغضب فلطمه، فتظلم إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه، إلا أن يعفو عنه، فقال: أنا أشتريها بألف، فأبى الرجل، فلم يزل يزيد." (١)

"في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف، فأبى الرجل إلا القصاص، فاستنظر عمر فأنظره عمر فهرب إلى الروم وارتد.

المسألة الثالثة: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه. وقال الحسن رحمه الله: علم الله أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه**، وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب، وقد وقع المخبر على وفقه فيكون معجزا.

المسألة الرابعة: اختلفوا في أن أولئك القوم من هم؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريح: هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب، واشتهر النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها. وقال السدي: نزلت الآية في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين.

وقال مجاهد: نزلت في أهل اليمن.

وروي مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال: هم قوم هذا.

وقال آخرون: هم الفرس لأنه

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده/ على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه، ثم قال: «لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس» .

وقال قوم: إنها نزلت في علي عليه السلام، ويدل عليه وجهان: الأول:

أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال: «لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ،

وهذا هو الصفة المذكورة في الآية.

والوجه الثاني: أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون [المائدة: ٥٥] وهذه الآية في حق علي، فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقه، فهذه جملة الأقوال في هذه الآية

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٧٧/١٢

ولنا في هذه الآية مقامات:

المقام الأول: أن هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض، وتقرير مذهبهم أن الذين أقروا بخلافة أبي بكر وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين، لأنهم أنكروا النص الجلي على إمامة علي عليه السلام فنقول: «لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم ويقهرهم ويردهم إلى الدين الحق» بدليل قوله من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم إلى آخر الآية وكلمة (من) في معرض الشرط للعموم، فهي تدل على أن كل من صار مرتدا عن دين الإسلام فإن الله يأتي بقوم يقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم، فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم ويبطل مذهبهم، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإن الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبدا منذ كانوا علمنا فساد مقالتهم ومذهبهم، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف.

المقام الثاني: أنا ندعي أن هذه الآية يجب أن يقال: إنها نزلت في حق أبي بكر رضي الله عنه والدليل عليه وجهان: الأول: أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين، وأبو بكر هو الذي تولى محاربة المرتدين على ما شرحنا، ولا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه السلام لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين، ولأنه تعالى قال." (١)

"بما ذكرنا أن هذه الآية مختصة به فنقول: إنه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الآية بصفات: أولها: أنه **يحبهم ويحبونه**. فلما ثبت أن المراد بهذه الآية هو أبو بكر ثبت أن قوله **يحبهم ويحبونه** وصف لأبي بكر، ومن وصفه الله تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالما، وذلك يدل على أنه كان محقا في إمامته، وثانيها: قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهو صفة أبي بكر أيضا الدليل الذي ذكرناه، ويؤكده ما

روي في الخبر المستفيض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»

فكان موصوفا بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدة مع الكفار، ألا ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف كان يلازمه ويخدمه، وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وفي آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد، وأصر على أنه لا بد من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده، حتى جاء أكابر الصحابة وتضرعوا إليه ومنعوه من الذهاب، ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزموا وجعل الله تعالى ذلك مبدأ لدولة الإسلام، فكان قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لا يليق إلا به، وثالثها: قوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي، إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل، وذلك لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار كانت في أول البعث، وهناك الإسلام كان في غاية الضعف، والكفر كان في غاية القوة، وكان يجاهد الكفار بمقدار قدرته، ويذب عن رسول الله بغاية وسعه، وأما علي عليه السلام فإنه إنما شرع في الجهاد يوم بدر وأحد، وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة، فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي من وجهين: الأول: أنه كان متقدما عليه في الزمان، فكان أفضل لقوله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل [الحديد: ١٠] والثاني: أن جهاد أبي بكر

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ١٢/٣٧٨

كان في وقت ضعف الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهاد علي كان في وقت القوة، ورابعها: قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا لائق بأبي بكر لأنه متأكد بقوله تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة [النور: ٢٢] وقد بينا أن هذه الآية في أبي بكر، ومما يدل على أن جميع هذه الصفات لأبي بكر أنا بينا بالدليل أن هذه الآية لا بد وأن تكون في أبي بكر، ومتى كان الأمر كذلك كانت هذه الصفات لا بد وأن تكون لأبي بكر، وإذا ثبت هذا وجب القطع بصحة إمامته، إذ لو كانت إمامته باطلة لما كانت هذه الصفات لائقة به.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنه كان موصوفا بهذه الصفات حال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بعد وفاته لما شرع في الإمامة زالت هذه الصفات وبطلت.

قلنا: هذا باطل قطعا لأنه تعالى قال: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصفة حال إتيان الله بهم في المستقبل، وذلك يدل على شهادة الله له بكونه موصوفا بهذه الصفات حال محاربته مع أهل الردة، وذلك هو حال إمامته، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على صحة إمامته، أما قول الروافض لعنهم الله: إن هذه الآية في حق علي رضي الله عنه بدليل

أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطيين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»

وكان ذلك هو علي عليه السلام، فنقول: هذا الخبر من باب الآحاد، وعندهم لا يجوز التمسك به في العمل، فكيف يجوز التمسك به في العلم، وأيضا أن إثبات هذه الصفة." (١)

"لعلي لا يوجب انتفاءها عن أبي بكر، وبتقدير أن يدل على ذلك لكنه لا يدل على انتفاء ذلك المجموع عن أبي بكر، ومن جملة تلك الصفات كونه كرارا غير فرار، فلما انتفى ذلك عن أبي بكر لم يحصل مجموع تلك الصفات له، فكفى هذا في العمل بدليل الخطاب، فأما انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلالة في اللفظ عليه، فهو تعالى إنما أثبت هذه الصفة المذكورة في هذه الآية حال اشتغاله بمحاربة المرتدين بعد ذلك فهب أن تلك الصفة ما كانت حاصلة في ذلك الوقت، فلم يمنع ذلك من حصولها في الزمان المستقبل، ولأن ما ذكرناه تمسك بظاهر القرآن، وما ذكروه تمسك بالخبر المذكور المنقول بالآحاد، ولأنه معارض بالأحاديث الدالة على كون أبي بكر محبا لله ولرسوله. وكون الله محبا له وراضيا عنه. قال تعالى في حق أبي بكر ولسوف يرضى [الليل: ٢١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»

وقال: «ما صب الله شيئا في صدري إلا وصبه في صدر أبي بكر»

وكل ذلك يدل على أنه كان يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وأما الوجه الثاني: وهو قولهم: الآية التي بعد هذه الآية دالة على إمامة علي فوجب أن تكون هذه الآية نازلة في علي، فجوابنا: أنا لا نسلم دلالة الآية التي بعد هذه الآية على إمامة علي وسنذكر الكلام فيه إن شاء الله تعالى، فهذا ما في هذا الموضع من البحث والله أعلم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٨٠/١٢

أما قوله تعالى: **يحبهم ويحبونه** فتحقيق الكلام في المحبة ذكرناه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥] فلا فائدة في الإعادة. وفيه دقيقة وهي أنه تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له، وهذا حق لأنه لولا أن الله أحبهم وإلا لما وفقهم حتى صاروا محبين له.

ثم قال تعالى: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهو كقوله أشداء على الكفار رحماء/ بينهم [الفتح: ٢٩] قال صاحب «الكشاف» أذلة جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذلل، وليس المراد بكونهم أذلة هو أنهم مهانون، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب، فإن من كان ذليلا عند إنسان فإنه ألبتة لا يظهر شيئا من التكبر والترفع، بل لا يظهر إلا الرفق واللين فكذا هاهنا، فقوله أعزة على الكافرين أي يظهرون الغلظة والترفع على الكافرين. وقيل: يعازونهم أي يغالبونهم من قولهم: عزه يعزه إذا غلبه، كأنهم مشددون عليهم بالقهر والغلبة.

فإن قيل: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين.

قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أن يضمن الذل معنى الرحمة والشفقة، كأنه قيل: راحمين عليهم مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني: أنه تعالى ذكر كلمة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم، فيفيد أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم، بل ذاك التذلل إنما كان لأجل أنهم أرادوا أن يضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع. وقرئ (أذلة وأعزة) بالنصب على الحال.

ثم قال تعالى: يجاهدون في سبيل الله أي لنصرة دين الله ولا يخافون لومة لائم وفيه وجهان:

الأول: أن تكون هذه الواو للحال، فإن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فإنه لا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لائم. الثاني: أن تكون هذه الواو للعطف، والمعنى أن من شأنهم أن يجاهدوا في سبيل الله لا لغرض آخر، ومن شأنهم أنهم صلاب في." (١)

"والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة الحجة الرابعة: أنا قد بينا بالبرهان البين أن الآية المتقدمة وهي قوله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه [المائدة: ٥٤] إلى آخر الآية من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبي بكر، فلو دلت هذه الآية على صحة إمامة علي بعد الرسول لزم التناقض بين الآيتين، وذلك باطل، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن عليا هو الإمام بعد الرسول.

الحجة الخامسة: أن علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنه/ تركه للتقية فإنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير، وخبر المباهلة، وجميع فضائله ومناقبه، ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية في إثبات إمامته، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله.

الحجة السادسة: هب أنها دالة على إمامة علي، لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة في الحال،

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٨١/١٢

لأن عليا ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن عليا سيصير إماما بعد ذلك، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت، فإن قالوا: الأمة في هذه الآية على قولين: منهم من قال: إنها لا تدل على إمامة علي، ومنهم من قال: إنها تدل على إمامته، وكل من قال بذلك قال: إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل، فالقول بدلالة الآية على إمامة علي لا على هذا الوجه، قول ثالث، وهو باطل لأنا نجيب عنه فنقول: ومن الذي أخبركم أنه ما كان أحد في الأمة قال هذا القول، فإن من المحتمل، بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علي، فإن السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال، فكان ذكر هذا الاحتمال وهذا السؤال مقرونا بذكر هذا الاستدلال.

الحجة السابعة: أن قوله: إنما وليكم الله ورسوله لا شك أنه خطاب مع الأمة، وهم كانوا قاطعين بأن المتصرف فيهم هو الله ورسوله، وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبا لقلوب المؤمنين وتعريفا لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار، وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصرا له ومعينا له فأي حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى وإذا كان كذلك كان المراد بقوله إنما وليكم الله ورسوله هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة، ولا شك أن لفظ الولي مذكور مرة واحدة، فلما أريد به هاهنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا.

الحجة الثامنة: أنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤] فإذا حملنا قوله إنما وليكم الله ورسوله على معنى المحبة والنصرة كان قوله إنما وليكم الله ورسوله يفيد فائدة قوله **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقوله يجاهدون في سبيل الله [المائدة: ٥٤] يفيد فائدة قوله يقيمون الصلاة ويؤتون/ الزكاة وهم راكعون [المائدة: ٥٥] فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجوه أن الولاية." (١)

"الكذاب لقب نفسه بالرحمن. والثاني: أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به، مثل تسمية من سماه- أبا- للمسيح. وقول جمهور النصارى: أب، وابن، وروح القدس، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم، لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم، وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب. قال أصحابنا: وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله، فإنه ثبت بالدليل أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام، ثم لا يجوز أن يقال: يا خالق الديدان والقرود والقردان، بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذا الأذكار، وأن يقال: يا خالق الأرض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات إلى غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة. والثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه، فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال/ الله، فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٣٨٥/١٢

فإن قال قائل: هل يلزم من ورود الأول في إطلاق لفظه على الله تعالى أن يطلق عليه سائر الألفاظ المشتقة منه على الإطلاق؟

قلنا: الحق عندي أن ذلك غير لازم لا في حق الله تعالى، ولا في حق الملائكة والأنبياء وتقريره: أن لفظ «علم» ورد في حق الله تعالى في آيات منها قوله: وعلم آدم الأسماء كلها [البقرة: ٣١] علمك ما لم تكن تعلم

[النساء: ١١٣] وعلمناه من لدنا علما [الكهف: ٦٥] الرحمن علم القرآن [الرحمن: ١، ٢] ثم لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى يا معلم، وأيضا ورد قوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] ثم لا يجوز عندي أن يقال يا محب. وأما في حق الأنبياء، فقد ورد في حق آدم عليه السلام: وعصى آدم ربه فغوى [طه: ١٢١] ثم لا يجوز أن يقال إن آدم كان عاصيا غاويا، وورد في حق موسى عليه السلام: يا أبت استأجره [طه: ٢٦] ثم لا يجوز أن يقال إنه عليه السلام كان أجيرا، والضابط أن هذه الألفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها على الوارد، فأما التوسع بإطلاق الألفاظ المشتقة منها فهي عندي ممنوعة غير جائزة.

ثم قال تعالى: سيجزون ما كانوا يعملون فهو تهديد ووعيد لمن ألحد في أسماء الله. قالت المعتزلة:

الآية قد دلت على إثبات العمل للعبد، وعلى أن الجزاء مفرع على عمله وفعله.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٨١]

ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١)

اعلم أنه تعالى لما قال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس [الأعراف: ١٧٩] فأخبر أن كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار أتبعه بقوله: ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ليبين أيضا أن كثيرا منهم مخلوقون للجنة. واعلم أنه تعالى ذكر في قصة موسى قوله: ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون [الأعراف: ١٥٩] فلما أعاد الله تعالى هذا الكلام هاهنا حمله أكثر المفسرين على أن المراد منه قوم محمد صلى الله عليه وسلم،

روى قتادة وابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها هذه الأمة

وروي أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال: «هذه فيهم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها»

وعن الربيع بن أنس أنه قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال: «إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم»

وقال ابن عباس يريد أمة محمد عليه الصلاة والسلام المهاجرين والأنصار.

قال الجبائي: هذه الآية تدل على أنه لا يخلو زمان البتة عمن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل، لأنه لا يخلو إما أن يكون المراد زمان وجود محمد صلى الله عليه وسلم، / وهو." (١)

"عن الجهاد أمر منكر، ولو لم يكن الجهاد واجبا لما كان هذا التثاقل منكرا، وليس لقائل أن يقول الجهاد إنما يجب في الوقت الذي يخاف هجوم الكفار فيه، لأنه عليه السلام ما كان يخاف هجوم الروم عليه، ومع ذلك فقد أوجب الجهاد

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٤١٧/١٥

معهم، ومنافع الجهاد مستقصاة في سورة آل عمران، وأيضا هو واجب على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين.
المسألة الخامسة: لقائل أن يقول إن قوله: يا أيها الذين آمنوا خطاب مع كل المؤمنين.
ثم قال: ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض وهذا يدل على أن كل المؤمنين كانوا متثاقلين في ذلك التكليف، وذلك التثاقل معصية، وهذا يدل على إطباق كل الأمة على المعصية وذلك يقدح في أن إجماع الأمة حجة.
الجواب: أن خطاب الكل لإرادة البعض مجاز مشهور في القرآن، وفي سائر أنواع الكلام كقوله:
إياك أعني واسمعي يا جاره

[سورة التوبة (٩) : آية ٣٩]
إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩)
وفي الآية مسائل:
المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى لما رغبهم في الآية الأولى في الجهاد بناء على الترغيب في ثواب الآخرة، رغبهم في هذه الآية في الجهاد بناء على أنواع أخر من الأمور المقوية للدواعي، وهي ثلاثة أنواع:
الأول: قوله تعالى: يعذبكم عذابا أليما.
واعلم أن يحتمل أن يكون المراد منه عذاب الدنيا، وأن يكون المراد منه عذاب الآخرة.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم المطر.
وقال الحسن: الله أعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم. وقيل المراد منه عذاب الآخرة إذ الأليم لا يليق إلا به. وقيل إنه تهديد بكل الأقسام، وهي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقطع منافع الدنيا ومنافع الآخرة. الثاني: قوله: ويستبدل قوما غيركم والمراد تنبيههم على أنه تعالى متكفل بنصره على أعدائه، فإن سارعوا معه إلى الخروج حصلت النصرة بهم، وإن تخلفوا وقعت النصرة بغيرهم، وحصل العتبى لهم لئلا يتوهموا أن غلبة أعداء الدين وعز الإسلام لا يحصل إلا بهم، وليس في النص دلالة على أن ذلك المعنى منهم، ونظيره قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] ثم اختلف المفسرون فقال ابن عباس:
هم التابعون وقال سعيد بن جبير: هم أبناء فارس. وقال أبو روق: هم أهل اليمن، وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية، لأن الآية ليس فيها إشعار بها، بل حمل ذلك الكلام المطلق على صورة معينة شاهدوها. قال الأصم:
معناه أن يخرجه من بين أظهركم، وهي المدينة. قال القاضي: هذا ضعيف لأن اللفظ لا دلالة فيه على أنه عليه السلام ينقل من المدينة إلى غيرها، فلا يمتنع أن يظهر الله في المدينة أقواما يعينونه على الغزو، ولا يمتنع أن يعينه بأقوام من الملائكة أيضا حال كونه هناك، والثالث: قوله: ولا تضروه شيئا والكناية في قول الحسن:
راجعة إلى الله تعالى، أي لا تضروا الله لأنه غني عن العالمين، وفي قول الباقين يعود إلى الرسول، أي لا." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٤٨/١٦

"[البقرة: ٢٨٦] وقال: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا [محمد: ١١] فثبت أن الرب ولي العبد وأن العبد ولي الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى: يحبهم ويحبونه [المائدة: ٥٤] وقال:
والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥] وقال: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين [البقرة: ٢٢٢] وإذا ثبت هذا فنقول: العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريده الله ويأمره به فلأن يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى ولهذا قال تعالى: أوفوا بعهدي أوف بعهدكم [البقرة: ٤٠]
.

الحجة الثانية: لو امتنع إظهار الكرامة لكان ذلك إما لأجل أن الله ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لأجل أن المؤمن ليس أهلا لأن يعطيه الله هذه العطية، والأول: قدح في/ قدرة الله وهو كفر. والثاني: باطل فإن معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعاته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من إعطاء رغيف واحد مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلأن يعطيه رغيفا في مفازة فأي بعد فيه؟

الحجة الثالثة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة: «ما تقرب عبد إلي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا بي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يمشي»

وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر أعضائهم إذ لو بقي هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره. إذا ثبت هذا فنقول: لا شك أن هذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع وإعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من الماء فلما أوصل الله برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأي بعد في أن يعطيه رغيفا واحدا أو شربة ماء في مفازة.

الحجة الرابعة:

قال عليه السلام حاكيا عن رب العزة: «من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة»

فجعل إيذاء الولي قائما مقام إيذائه وهذا قريب من قوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله [الفتح: ١٠] وقال: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا [الأحزاب: ٣٦] وقال: إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة [الأحزاب: ٥٧] فجعل بيعة محمد صلى الله عليه وسلم بيعة مع الله ورضاء محمد صلى الله عليه وسلم رضاء الله وإيذاء محمد صلى الله عليه وسلم إيذاء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات إلى أبلغ الغايات فكذا هاهنا

لما قال: «من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة»

دل ذلك على أنه تعالى جعل إيذاء الولي قائما مقام إيذاء نفسه ويتأكد هذا بالخبر المشهور

أنه تعالى يقول: «يوم القيامة مرضت فلم تعدني، استسقيتك فما سقيتني، استطعمتك فما أطعمتني فيقول يا رب كيف

أفعل هذا وأنت رب العالمين! فيقول إن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدت ذلك عندي»
وكذا في السقي والإطعام فدلت هذه الأخبار على أن أولياء الله يبلغون إلى هذه الدرجات فأي بعد في أن يعطيه الله كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر له كلبا أو وردا «١» .

الحجة الخامسة: أنا نشاهد في العرف أن من خصه الملك بالخدمة الخاصة وأذن له في الدخول عليه في مجلس الأنس فقد يخصه أيضا بأن يقدره على ما لا يقدر عليه غيره، بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك

---

(١) الورد بفتح الواو وسكون الراء، اسم من أسماء الأسد. (الصاوي) .." (١)

"الكتاب كأنه يقول، ما القرآن إلا كتاب ويوحى بمعنى يرسل، ويحتمل على هذا أيضا أن يقال هو مصدر، أي ما القرآن إلا إرسال وإلهام، بمعنى المفعول أي مرسل، وإن قلنا المراد من قوله إن هو قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الإلهام ملهم من الله، أو مرسل وفيه مباحث:

البحث الأول: الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق إلا عن وحي، ولا حجة لمن توهم هذا في الآية، لأن قوله تعالى: إن هو إلا وحي يوحى إن كان ضمير القرآن فظاهر وإن كان ضميرا عائدا إلى قوله فالمراد من قوله هو القول الذي كانوا يقولون فيه إنه قول شاعر، ورد الله عليهم فقال: ولا بقول شاعر وذلك القول هو القرآن، وإن قلنا بما قالوا به فينبغي أن يفسر الوحي بالإلهام.

البحث الثاني: هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجتهد وهو خلاف الظاهر، فإنه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم يحرم وأذن لمن قال تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم [التوبة: ٤٣] ، نقول على ما ثبت لا تدل الآية عليه.

البحث الثالث: (يوحى) يحتمل أن يكون من وحي يوحي ويحتمل أن يكون من أوحى يوحي، تقول عدم يعدم، وأعدم يعدم وكذلك علم يعلم وأعلم يعلم فنقول يوحى من أوحى لا من وحى، وإن كان وحي وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر/ الإيحاء الذي هو مصدر أوحى، وعند ذكر الفعل لم يذكر وحي، الذي مصدره وحي، بل قال عند ذكر المصدر الوحي، وقال عند ذكر الفعل أوحى وكذلك القول في أحب وحب فإن حب وأحب بمعنى واحد، والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الإحباب، وذكر الحب قال أشد حبا «١» [البقرة: ١٦٥] وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال: يحبهم ويحبونه [المائدة: ٥٤] ، وقال: أيحب أحدكم [الحجرات: ١٢] وقال: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون [آل عمران: ٩٢] إلى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضي الثلاثي فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضي، والماضي هو الأصل، والدليل عليه وجهان، لفظي ومعنوي:

أما اللفظي فإنهم يقولون مصدر فعل يفعل إذا كان متعديا فعلا بسكون العين، وإذا كان لازما فعول في الأكثر، ولا يقولون الفعل الماضي من فعول فعلى، وهذا دليل ما ذكرنا.

وأما المعنوي فلأن ما يوجد من الأمور لا يوجد إلا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الإنسان الذي يوجد ويتحقق يكون

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٤٣٥/٢١

زيدا أن عمرا أو غيرهما، ويكون في ضمنه أنه هندي أو تركي وفي ضمن ذلك أنه حيوان وناطق، ولا يوجد أولا إنسان ثم يصير تركيا ثم يصير زيدا أو عمرا.

إذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضيا أو مستقبلا وفي ضمنه أنه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب إذا وجد فإما أن يكون قد مضى أو بعد لم يمض، والأول ماض والثاني حاضر أو مستقبل، ولا يوجد الضرب من حيث إنه ضرب خاليا عن المضي والحضور والاستقبال، غير أن العاقل يدرك من فعل وهو يفعل الآن وسيفعل غدا أمرا مشتركا فيسميه فعلا، كذلك يدرك في ضرب وهو يضرب

---

(١) في تفسير الرازي المطبوع (أو أشد حبا) وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من المعجم المفهرس.." (١)

"مخاطبون بفروع الشرائع. أما قوله تعالى: واركعوا مع الراكعين [البقرة: ٤٣] ففيه وجوه أحدها: أن اليهود لا ركوع في صلاتهم فخص الله الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين، وثانيها: أن المراد صلوا مع المصلين، وعلى هذا يزول التكرار لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة، وثالثها: أن يكون المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل كما قال للمؤمنين: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤] وكقوله تأديبا لرسوله عليه السلام: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [الشعراء: ٢١٥] وكمدحه له بقوله: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك [آل عمران: ١٥٩] وهكذا في قوله تعالى: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون [المائدة: ٥٥] فكأنه تعالى لما أمرهم بالصلاة والزكاة أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد. وحكى الأصم عن بعضهم أنه إنما أمر الله تعالى بني إسرائيل بالزكاة لأنهم كانوا لا يؤتون الزكاة وهو المراد بقوله تعالى: وأكلهم السحت [المائدة: ٦٢، ٦٣] وبقوله:

وأخذهم الربوا ... وأكلهم أموال الناس بالباطل [النساء: ١٦١] فأظهر الله تعالى في هذا الموضع ما كان مكتوبا ليحذروا أن يفضحهم في سائر أسرارهم ومعاصيهم فيصير هذا كالإخبار عن الغيب الذي هو أحد دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

[سورة البقرة (٢) : آية ٤٤]

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤)

اعلم أن الهمزة في أتأمرون الناس بالبر للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم، وأما البر فهو اسم جامع لأعمال الخير، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما، ومنه عمل مبرور، أي قد رضيه الله تعالى وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال بر في يمينه أي صدق ولم يحنث، ويقال: صدقت وبررت، وقال تعالى: ولكن البر من اتقى [البقرة: ١٨٩] فأخبر أن البر جامع للتقوى،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٢٣٦/٢٨

واعلم أنه سبحانه/ وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام. واختلفوا في المراد بالبر في هذا الموضع على وجوه، أحدها: وهو قول السدي أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصية الله، وهم كانوا يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية، وثانيها: قول ابن جريج أنهم كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم كانوا يتركونهما. وثالثها: أنه إذا جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه، وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلاة التي كانت تصل إليهم من أتباعهم، ورابعها: أن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق وكانوا يرغبونهم باتباعه فلما بعث الله محمدا حسدوه وكفروا به، فبكتهم الله تعالى بسبب أنهم كانوا يأمرون باتباعه قبل ظهوره، فلما ظهر تركوه وأعرضوا عن دينه، وهذا اختيار أبي مسلم، وخامسها: وهو قول الزجاج أنهم كانوا يأمرون الناس ببذل الصدقة، وكانوا يشحون بها لأن الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت، وسادسها: لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباع." (١)

"يطيعونهم فيحلون لمكان طاعتهم ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، عن السدي، والقائلون بهذا القول رجحوا هذا القول على الأول من وجوه. الأول: أن قوله: يحبونهم كحب الله الهاء والميم فيه ضمير العقلاء.

الثاني: أنه يبعد أنهم كانوا يحبون الأصنام كمحبتهم الله تعالى مع علمهم بأنها لا تضر ولا تنفع. الثالث: أن الله تعالى ذكره بعد هذه الآية: إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

[البقرة: ١٦٦] وذلك لا يليق إلا بمن اتخذ الرجال أنداد وأمثالا لله تعالى، يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم، ما يلتزمه المؤمنون من الانقياد لله تعالى.

القول الثالث: في تفسير الأنداد قول الصوفية والعارفين، وهو أن كل شيء شغلت قلبك به سوى الله تعالى، فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى وهو المراد من قوله: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه [الفرقان: ٤٣] .

أما قوله تعالى: يحبونهم كحب الله فاعلم أنه ليس المراد محبة ذاتهم فلا بد من محذوف، والمراد يحبون عادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم، أو جميع ذلك، وقوله: كحب الله فيه ثلاثة أقوال: قيل فيه كحبهم لله، وقيل فيه: كالحب اللازم عليهم لله، وقيل فيه: كحب المؤمنين لله، وإنما اختلفوا هذا الاختلاف من حيث إنهم اختلفوا في أنهم هل كانوا يعرفون الله أم لا؟ فمن قال: كانوا يعرفون مع اتخاذهم الأنداد تأول على أن المراد كحبهم لله ومن قال إنهم ما كانوا عارفين بربهم حمل الآية على أحد الوجهين الباقيين إما كالحب اللازم لهم أو كحب المؤمنين لله والقول الأول أقرب لأن قوله: يحبونهم/ كحب الله راجع إلى الناس الذين تقدم ذكرهم، وظاهر قوله: كحب الله يقتضي حبا لله ثابتا فيهم، فكأنه تعالى بين في الآية السالفة أن الإله واحد، ونبه على دلائله، ثم حكى قول من يشرك معه، وذلك يقتضي كونهم مقرين بالله تعالى.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ٤٨٧/٣

فإن قيل: العاقل يستحيل أن يكون حبه للأوثان كحبه لله، وذلك لأنه بضرورة العقل يعلم أن هذه الأوثان أحجار لا تنفع، ولا تضر، ولا تسمع، ولا تبصر ولا تعقل، وكانوا مقرين بأن لهذا العالم صانعا مدبرا حكيما ولهذا قال تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله [الزمر: ٣٨] ومع هذا الاعتقاد كيف يعقل أن يكون حبهم لتلك الأوثان كحبهم لله تعالى، وأيضا فإن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [الزمر: ٣] وإذا كان كذلك، كان المقصود الأصلي طلب مرضات الله تعالى، فكيف يعقل الاستواء في الحب مع هذا القول، قلنا قوله: يحبونهم كحب الله أي في الطاعة لها، والتعظيم لها، فالاستواء على هذا القول في المحبة لا ينافي ما ذكرتموه.

أما قوله تعالى: والذين آمنوا أشد حبا لله ففيه مسائل:

المسألة الأولى: في البحث عن ماهية محبة العبد لله تعالى، اعلم أنه لا نزاع بين الأمة في إطلاق هذه اللفظة، وهي أن العبد قد يحب الله تعالى، والقرآن ناطق به، كما في هذه الآية، وكما في قوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] وكذا الأخبار، روي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام وقد جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض،

وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله متى الساعة؟ فقال ما أعددت لها؟

فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: المرء مع من." (١)

"وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها ولإمرارها كما جاءت، فلا وسع الله عليه.

[ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الصفات]

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله سبحانه: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح: ٦] وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة: ٤٦]." (٢)

"٥٢ - ﴿مرض﴾ شك، أو نفاق، نزلت في ابن أبي، وعبادة، أو في قوم منافقين. ﴿فيهم﴾ في موالاتهم. ﴿دآئرة﴾ هي الدولة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له سميت بذلك، لأنها تدور إليه إلى بعد زوالها عنه. ﴿بالفتح﴾ فتح مكة، او فتح بلاد المشركين، أو الحكم والقضاء. ﴿أو أمر﴾ دون الفتح الأعظم، أو موت من تقدم ذكره من المنافقين أو إظهار

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير؟ الرازي، فخر الدين ١٧٥/٤

(٢) لمعة الاعتقاد؟ موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/١٠

نفاقهم، والأمر بقتلهم، أو الجزية. ﴿يآ أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يآ أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أوليآء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا." (١)

"٤٧-باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤] .

١/٣٨٦-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي." (٢)

"أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] . وقال تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم:٣٢] . وقال تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [الأعراف:٤٨-٤٩] .

١/٦٠٢- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد "رواه مسلم.

٢/٦٠٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" رواه مسلم.

٣/٦٠٤- وعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله. متفق عليه.

٤/٦٠٥- وعنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم، فتنطلق به حيث شاءت. رواه البخاري.

٥/٦٠٦- وعن الأسود بن يزيد قال: سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله يعني: خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة، رواه البخاري.

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام؟ ابن عبد السلام ٣٩٢/١

(٢) رياض الصالحين ط الرسالة؟ النووي ص/١٤٩

٦٠٧/٦- وعن أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب. فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟ فأقبل علي." (١)

"[سورة المائدة (٥) : آية ٥٢]

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢)

فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن أبي وأضرابه. يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم.

يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار.

روي (أن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله، فقال ابن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية موالي) فنزلت.

فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين. أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء، أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم. فيصبحوا أي هؤلاء المنافقون. على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٣]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣)

ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ، وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى، وكأنه قال: عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا، أو يجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث، أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به. أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقول المؤمنين بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله سبحانه وتعالى عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود، فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها، وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا. حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم، وفيه معنى التعجب كأنه قيل أحبط أعمالهم فما أخسرهم.

---

(١) رياض الصالحين ط الرسالة؟ النووي ص/٢١١

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام، والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها، وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق: بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسي، تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول.

وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، فأجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فحاربه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ." (١)

"فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه.

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده، وفي إمرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام. فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قيل هم أهل اليمن لما روي (أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال:

هم قوم هذا) .

وقيل الفرس لأنه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه.

وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيله، وثلاثة آلاف من أفناء الناس. والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه. أذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم، جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل، واستعماله مع على إما لتضمنه معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة. أعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه، وقرئ بالنصب على الحال. يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم، أو حال من الضمير في أعزة. ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل؟ ناصر الدين البيضاوي ١٣١/٢

أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه، أو حال بمعنى أنهم مجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين، فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم، واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان. ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف. فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل.

عليم بمن هو أهله.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٥ الى ٥٦]

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها، وإنما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم، أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح. وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم، وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون، أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الإحسان ومسارعه إليه، وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه. واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيها، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلى هذا يكون دليل على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة.

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم أولياء. فإن حزب الله هم الغالبون أي فإنهم هم الغالبون، ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل: ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم، وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حز بهم.." (١)

"كتاب المحبة والشوق والأنس والرضى

اعلم: أن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق، والأنس، والرضى، ولا قبل المحبة، مقام إلا وهو من مقدماتها، كالتوبة، والصبر، والزهد وغيرها.

واعلم: أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله فرض، ومن شواهد المحبة قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] وهذا دليل على إثبات الحب لله، وإثبات التفاوت فيه.

وفي الحديث الصحيح: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة فقال: "ما أعددت لها؟ " قال: يا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل؟ ناصر الدين البيضاوي ١٣٢/٢

رسول الله: ما أعددت لها من كثرة صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت"، فما فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بها.

وروى أن ملك الموت جاء إلى الخليل عليه السلام ليقبض روحه، فقال له: هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله إليه: هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت اقبض.

وقال الحسن البصري رحمه الله: من عرف ربه أحبه، ومن أحب غير الله تعالى، لا من حيث نسبته إلى الله، فذلك لجهله وقصوره عن معرفته، فأما حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فذلك لا يكون إلا عن حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء، لأن محبوب المحبوب محبوب، بل إن ما يفعل المحبوب محبوب، ورسول الله المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل، ولا محبوب في الحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى، ولا مستحق للمحبة سواه.

وإيضاح ذلك يرجع إلى أسباب:

أحدها: أن الإنسان يحب نفسه، وبقاءه، وكماله، ودوام وجوده، ويكره ضد ذلك من الهلاك والعدم والنقصان، وهذا جبلة كل حي لا يتصور أن ينفك عنها. وهذا." (١)

"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدني وشامي ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق." (٢)

"ما أبغض الله، أو [أبغض] (١) ما أحب الله فقد كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: ٣١].

وروى البخاري ومسلم من رواية أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن (٢) أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى (٣) في النار" (٤).

ومعلوم أن حب الله ورسوله واجب على جميع الوجوه، فمن أحب كلام الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والقائمين بهما على وفقهما من غير تبديل، ولا تغيير، ولا تحريف، ولا تصحيف في لفظهما ومعانيهما، فقد أحب الله

---

(١) مختصر منهاج القاصدين؟ المقدسي، نجم الدين ص/٣٣٨

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل؟ النسفي، أبو البركات ١/٤٥٤

ورسوله، ومن أبغضهم (٥) فقد أبغض الله ورسوله، ومن حرف، أو بدل، أو غير، أو صحف، فقد افترى على الله ورسوله، خصوصا إن كان عامدا لذلك، معتقدا حله، فإنه يكون كافرا [مرتدا] (٦) بلا شك، وإن لم يكن معتقدا حله لكنه عامد معاند، كان إثمه شديدا، وعقابه مزيدا.

---

(١) في (ص): (بغض)، وفي (ظ) و (ن) ما أثبته.

(٢) في (ظ) و (ن): (إذ).

(٣) في (ظ) و (ن): (يقذف).

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١/ ٦٠) رقم (١٦)، ومسلم في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٦) رقم (٤٣) من حديث أنس بنحوه.

(٥) أي: أبغض القائمين بها.

(٦) في (ظ) و (ن) وليست في (ص).." (١)

"اعلم أن المخالفة من تغير وإنكار يعتري الإنسان عند ظهور خوف عتب لتقصير أو رؤية مستقبح منه والله تعالى منزه عن ذلك فوجب تأويله بما يليق بجلاله

فنقول الحياء له مبتدأ أو غاية فمبتدأه تغير جسماني يلحق الإنسان لخوف أو نسبة إلى قبيح فيكدر الحياة ولذلك سمي حياء وغايته ترك ما حصل الحياء منه وهو فعل ما ترك أو ترك ما فعل

والمبتدأ المذكور على الله محال فتعين أن المراد غايته وهو ضرب المثل وإنزال الحق وسيأتي ما في الحديث منه في قسم الحديث إن شاء الله تعالى

الآية التاسعة عشر قوله تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ﴿إن الله يحب التوابين﴾ كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه." (٢)

"هو» وقوله: لآيات أي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل إنما جمع آيات لأن في كل واحد مما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون أي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد. قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢): آية ١٦٥]

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥)

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد؟ ابن العطار ص/٣٣٢

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل؟ ابن جماعة، بدر الدين ص/١٣٨

ومن الناس يعني المشركين من يتخذ من دون الله أندادا يعني أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الأصنام أندادا بعضها لبعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند، أوله مثل منازع وقيل:

الأنداد الأكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى: يحبونهم أي يودونهم ويميلون إليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا أي جعلته معرضا بأن تحبه والمحبة الإرادة كحب الله أي كحب المؤمنين لله والمعنى: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل. وقيل: معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الأصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الأول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الأصنام شركاء له في الحب والذين آمنوا أشد حبا لله أي أثبت وأدوم على محبته لأنهم لا يختارون مع الله سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني. وقيل: إن الكفار يعدلون عن أصنامهم في الشدائد ويقبلون إلى الله تعالى كما أخبر عنهم فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين. والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل: إن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد. وقيل: إنما هو قال والذين آمنوا أشد حبا لله لأن الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله: **يحبهم ويحبونه** ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا. يعني أشركوا في شدة العذاب، لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعا، والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه أن القوة له جميعا، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود وأن الله شديد العذاب قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧]

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)

إذ تبرأ أي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب أي القادة من مشركي الإنس من الأتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم. وقيل: هم الشياطين يتبرؤون من الإنس، والقول هو الأول وتقطعت بهم الأسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة. وقيل: الأعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا. وقيل: العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها. وأصل السبب في اللغة الحبل." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل؟ الخازن ١/١٠٠

"[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٣ الى ٥٤]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

ويقول الذين آمنوا يعني ويقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم وذلك أن المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند ما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى ويقولون إن المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لأعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في أيمانهم الباطلة حبطت أعمالهم أي بطل كل خير عملوه لأجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود فأصبحوا خاسرين يعني أنهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة بإحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم.

قوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الإسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الإيمان فيختار: إما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الإسلام قال الحسن: علم الله تعالى أن قوما سيرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه**. وذكر صاحب الكشاف أن إحدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم: بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي في بيته فقتله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول. وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.

«أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك» فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» وستأتي قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب. وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى:

فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب «١» كما تقدم تفصيله إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فإنهم ثبتوا على الإسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال

---

(١) قوله «ارتد عامة العرب» إلخ الذين تقدم ارتدادهم في زمن أبي بكر سبع فرق لا غير. اهـ.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله». فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. وقال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: هم أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره، فقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء. وقال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير إلى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة، فكان وحشي يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد بذلك وحشي أنه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال إسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم: المراد بقوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية».

وقال السدي: نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على إظهار الدين. وقيل: هم أحياء من أهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر، وعلى هذا التقدير، تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة.

وأما معنى المحبة، فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا. ومحبة الله تعالى العبد، إنعامه عليه وتوفيقه وهدايته إلى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يثيبه أحسن الثواب على طاعته وأن يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل؟ الخازن ٢/٥٤

يتحبب بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن **يحبهم ويحبونه** بمنه وكرمه.

وقوله تعالى: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله: **يحبهم ويحبونه**، يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم وإخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين وهم من رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء أقوياء غلظاء على أعدائهم الكافرين.

قال علي بن أبي طالب: أذلة على المؤمنين يعني أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم. وقال ابن عباس: تراهم كالولد لوالده والعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته. وقال ابن الأنباري: أثنى الله على المؤمنين بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم ويعنفون الكافرين إذا لقوهم. وقيل: إن الذل بمعنى الشفقة والرحمة كأنه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وإنما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم بل ذلك التذلل لأجل أنهم ضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو." (١)

"العقوبة فترى الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والمراد هنا عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثر بهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده الفتح هنا هو ظهور النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، والأمر من عنده: هو هلاك الأعداء بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين الضمير في فيصبحوا للمنافقين والذي أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين ويقول الذين آمنوا قرئ: يقول: بغير واو استئناف وإخبار، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب «١» «عطفا على أن يأتي بالله، أو عطفا على فيصبحوا هؤلاء الذين أقسموا الإشارة إلى المنافقين، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد حبطت أعمالهم يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين، أو من كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبرا.

من يرتد منكم عن دينه خطاب على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع فارتد في حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وقتل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب، وهم [قوم] جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها، وقال: قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري «٢» ، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن، لأن الأشعريين من أهل

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل؟ الخازن ٢/٥٥

اليمن، وقيل: المراد أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجد في قتالهم، والعزم عليه حين

---

(١) . وهي قراءة أبو عمرو، وقرأ أهل الشام والحجاز: يقول بضم اللام. وقرأ أهل الكوفة: ويقول بالواو والضم.

(٢) . روى الطبري بسنده إلى أبي موسى الأشعري هذا الحديث لدى تفسير هذه الآية.." (١)

"———

إلي أنه يصح أن يطلق علي الله عز وجل كل اسم يصح مع تهافيه، والأفهام الصحيحة البشرية لها سعة ومجال في اختيار الصفات. وقال: وما ذهب إليه أهل الحديث هو الصحيح. ولو ترك الانسان وعقله لما جسر أن يطلق عليه غاية هذه الأسماء التي ورد الشرع بها، إذا كان أكثرها تعارفنا يقتضى أعراضا، إما كمية نحو العظيم والكبير، وإما كيفية نحو الحي والقادر، أو زمانا نحو القديم والباقي، أو مكانا نحو العلي والمتعالي، أو انفعالا نحو الرحيم والودود، وهذه معان له تصح عليه سبحأنه علي حسب ما هو متعارف بيننا، وإن كان لها معان معقولة عند أهل الحقائق، من أجلها صح إطلاقها عليه عز وجل.

وقال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بمال يصف به نفسه، فيقول: ((يا رحيم)) لا ((يا رفيق))، ويقول ((يا قوي))، لا ((يا جليد)). وقال الإمام فخرالدين الرازي: قال أصحابنا: ليس كل مائح معناه جاز إطلاقه عليه سبحأنه وتعالي؛ فأنه الخاق للأشياء كلها، ولا يجوز أن يقال: ((يا خالق الذئب، والقردة))، وورد ((وعلم آدم الأسماء كلها))، ((وعلمك مالم تكن تعلم)) ((وعلمناه من لدنك علما)) ولا يجوز ((يا معلم))، ولا يجوز عندي ((يا محب)) وقد ورد ((يحبهم ويحبونه)).

فإن قلت: ما ورد في شرح السنة عن أبي أمية قال: أنه رأي الذي بظهر رسول الله صلة الله عليه وسلم، فقال دعني أعالجه، فإني طبيب، فقال: ((أنت رفيق والله الطبيب))، هل هو إذن منه صلى الله عليه وسلم في تسمية الله بـ ((الطبيب))؟ قلت: لا، لوقوعه مقابلا لقوله: ((فإني طبيب)) مشاكلة وطباقا للجواب علي السؤال لقوله تعالي: ((تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك))

قوله: ((من أحصاها)) فيه وجوه: أحدها ((مح)): معنى ((أحصاها)) حفظها، هكذا فسره البخاري والأكثرون. ويؤيده أنه ورد في رواية في الصحيح ((من حفظها دخل الجنة)). أقول: أراد بالحفظ القراءة بظهر القلب، فيكون كناية؛ لأن الحفظ يستلزم التكرار، فالمراد بإحصاء تكرار مجموعها. وثإنيها: أن يكون بمعنى الضي، والتفقد، والرعاية، فيرجع إلي معنى ما ذكره الشارحون: من أتى عليه حصرا وتعدادا وعلما وإيمانا، فدعا الله بها استحق بذلك دخول الجنة، وذكر الجزاء بلفظ الماضى تحقيقا. وثالثها: أن يكون بمعنى الإطاقة، أي أطاق القيام بحقها والعمل بمقتضاها، وذلك بأن يعتبر معإنيها فيطالب نفسه بما تتضمنه من صفات الربوبية وأحكام العبودية، فيتخلق بها. ورابعها: أن تكون بمعنى العلم، أي عقلها وأحاط بمعإنيها، ويكون من قولهم: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ولب. وخامسها: أن يكون مستعارا للعلم من الإحصاء الذي هو عد

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل؟ ابن جزي الكلبي ٢٣٥/١

الشيء؛ لكونه موجبا للعلم به.

وأقول: لما أكد الأعداد دفعا للتجوز واحتمال الزيادة والنقصان، وقد أرشد الله تعالي بقوله:." (١)

"_____

وقساوته. فالذي كان شقيا في حكمه، أبرزه في نطاق أوليائه، ثم حطه أبلغ حط، وقال: ((فمثله كمثل الكلب)). والذي كان سعيدا في حكمه خلقه في صورة الكلب، ثم حشره في جملة أوليائه، وذكر، في جملة أصفيائه، فقال: ((رابعهم كلبهم))، وقال: ((وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)).

((الودود)) مبالغة الواد. ومعناه: الذي يحب الخير لجميع الخلائق، ويحسن إليهم في الأحوال كلها. وقيل: المحب لأوليائه. وحاصله يرجع إلي إرادة مخصومة. وحظ العبد منه: أن يريد للخلق ما يريد لنفسه، ويحسن إليهم حب قدرته ووسعه، ويحب الصالحين من عباده. قال الشيخ أبو القاسم: قيل: إنه فعول بمعنى الفاعل، كما يقال: رجل قتول، إذا كان كثير القتل. وقيل: إنه بمعنى المفعول، كقولهم: ناقة حلوب، بمعنى محلوبة، فمعنى ((الودود)) في وصفه أنه يود المؤمنين، ويودونه، قال تعالي: ((**يحبهم ويحبونه**)). ومعنى المحبة في صفة الحق لعباده تكون بمعنى رحمته عليهم، وإرادته للجميل لهم، ومدحه لهم، وبمعنى إنعامه عليهم، وإحسانه إليهم. ومحبة العبد لله تعالي تكون بمعنى طاعته له، وموافقته لأمره، وتكون بمعنى تعظيمه له، وهيبته عنه.

وقد تكلموا في اشتقاق المحبة علي وجوه: أحدها: أنه من حبب الإنسان، وهو صفاؤها ونضارتها، فمحة العبد صفاء وقته، وضياء أحواله. وذلك لتنزهه عن الغفلات، وتباعده عن العلات، وتنقيه عن أوضاع المخالفات، وتوقيه من أدناس الزلات. وثإنيها: أنه من قولهم: أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح، فالمحب أبدا يكون مقيما علي باب محبوبه بنفسه وبدنه، فإن لم يمكنه فبقلبه وروحه، والمحب يصل سيره بسراه، ويدع هواه في رضاه. وأنشد:

أحبكم ما دمت حيا فإن أمت يحبك عظم في التراب رميم

يهجر فيأبي إلا الوصال، ويقابل بالصد والرد، والإهانة والطرد، والتنفير والبعد، ولا يزداد بالظاهر إلا جهدا علي جهد، وبالباطن إلا وجدا علي وجد، يؤثر العز علي الذل، والبعد علي القرب. وأنشد:

رأيتك يدنيني إليك تباعدى فباعدت نفسى لابتغاء التقرب

وثالثها: أنه من الحب، وهو القرط، سمى حبا لقلقه واضطرابه، كما أن القرط لا يستقر بل يضطرب دائما، كذلك المحب عديم القرار، فقيد الاصطبار لا يسكن إنينه، ولا يهدأ حنينه، نهاره ليل، وليله ويل، ونومة مفقود، وفي قلبه وقود.." (٢)

"القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر)) رواه الترمذي والدارمي. [٥٧٦٢]

٥٧٦٣ - وعن عمرو بن قيس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((نحن الآخرون،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن؟ الطيبي ١٧٦٧/٦

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن؟ الطيبي ١٧٩٧/٦

غب: قيل الخلة تنسب إلى العبد ولا تنسب إلى الله تعالى، فيقال: إبراهيم خليل الله، ولا يقال: الله خليل إبراهيم، وهو وإن كان من الأسماء المتضايقة التي يقتضى وجود أحدهما وجود الآخر وارتفاعه ارتفاع الآخر، إلا أنه ليس المراد بقولهم: ((إبراهيم خليل الله)) مجرد الصداقة بل المراد الفقر إليه، وخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم وإن شاركته الموجودات كلها في افتقارها إليه لمعنى فيه، وهو أنه لما استغنى عن المعينات من أعراض الدنيا واعتمد على الله حقا وصار بحيث لما قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وصبر إذ ألقى في النار، وعرض ابنه للذبح، صار لاستغنائه عما سواه فقيرا إليه، فخص بهذا الاسم.

أما المحبة فأجيز نسبتها إلى الله تعالى، فقيل: محمد حبيب الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقال الله تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ قال بعض الصوفية: من أحب الله فهو المراد ومنزلته منزلة من سأله فقال: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ ومن أحبه الله فهو المراد ومنزلته منزلة من قال له: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ قوله: ((ومعي فقراء المؤمنين)) هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى، لأنهم استحقوا محبة الله تعالى لمتابعتهم حبيبه واتصافهم بصفته، وليس الفقر عند الصوفية الفاقة والحاجة، بل الفقر عندهم الحاجة إلى الله تعالى لا إلى غيره، والاستغناء به لا عنه بغيره،

قال الثوري: نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود.

وقيل لسهل بن عبد الله: أليس النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر؟

فقال: إنما استعاذ من فقر النفس، الذي مدح صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده فقال: ((الغنى غنى النفس)) فكذلك الفقر المذموم فقر النفس، وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث العاشر عن عمرو رضي الله عنه: قوله: ((نحن الآخرون)) يعني في المجئ إلى." (١)

"العين شذوذا، لأنه مضاعف متعد، وقياسه أن يكون مضموم العين نحو: مده يمده، وجره يجره.

والذين آمنوا أشد حبا لله: قال الراغب: الحب أصله من المحبة، حببته: أصبت حبة قلبه، وأصبته بحبة القلب، وهي في اللفظ فعل، وفي الحقيقة انفعال. وإذا استعمل في الله، فالمعنى: أصاب حبة قلب عبده، فجعلها مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعداء الله. انتهى. وقال عبد الجبار: حب العبد لله: تعظيمه والتمسك بطاعته، وحب الله العبد: إرادة الثناء عليه وإثابته. وأصل الحب في اللغة: اللزوم، لأن المحب يلزم حبيبه ما أمكن. اه. والمفضل عليه محذوف، وهم المتخذون الأنداد، ومتعلق الحب الثاني فيه خلاف. فقيل: معنى أشد حبا لله: أي منهم لله، لأن حبهم لله بواسطة، قاله الحسن أو منهم لأوثانهم، قاله غيره. ومقتضى التمييز بالأشدية، إفراد المؤمنين له بالمحبة، أو لمعرفتهم بموجب الحب، أو لمحبتهم إياه بالغيب، أو لشهادته تعالى لهم بالمحبة، إذ قال تعالى: **يحبهم ويحبونه** «١» ، أو لإقبال المؤمن على ربه في السراء والضراء والشدة والرخاء، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه، أو لعلمه بأن الله خالق الصنم وهو الضار النافع، أو لكون حبه بالعقل والدليل، أو لامتثاله أمره حتى في القيامة حين يأمر الله تعالى من عبده لا يشرك به شيئا أن يقتحم النار، فيبادرون إليها، فتبرد عليهم

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن؟ الطيبي ٣٦٤٨/١١

النار، فينادي مناد تحت العرش: والذين آمنوا أشد حبا لله، ويأمر من عبد الأصنام أن يدخل معهم النار فيجزعون، قاله ان جبير. تسعة أقوال ثبتت نقائضها ومقابلاتها لمتخذ الأنداد. وهذه كلها خصائص ميز الله بها المؤمنين في حبه على الكافرين، فذكر كل واحد من المفسرين خصيصيه. والمجموع هو المقتضي لتمييز الحب، فلا تباين بين الأقوال على هذا، لأن كل قول منها ليس على جهة الحصر فيه، إنما هو مثال من أمثلة مقتضى التمييز.

وقال في المنتخب جمهور المتكلمين: على أن المحبة نوع من أنواع الإرادة، لا تعلق لها إلا بالجائزات، فيستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته. فإذا قلنا: يحب الله، فمعناه: يحب طاعة الله وخدمته وثوابه وإحسانه. وحكى عن قوم سماهم هو بالعارفين أنهم قالوا: نحب الله لذاته، كما نحب اللذة لذاتها، لأنه تعالى موصوف بالكمال، والكمال محبوب لذاته. انتهى كلامه. وعدل في أفعل التفضيل عن أحب إلى أشد حبا، لما تقرر في علم العربية أن أفعل التفضيل وفعل التعجب من واد واحد. وأنت لو قلت: ما أحب

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٥٤.." (١)

"قيل: أحكام الجاهلية وهي إشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان وهي رشا الكهان، ويحكمون لهم بحسبه وبحسب الشهوات، أرادوا بسفههم أن يكون خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام. وقرأ الجمهور: يبغون بالياء على نسق الغيبة المتقدمة. وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب، وفيه مواجهتهم بالإنكار والردع والزجر، وليس ذلك في الغيبة، فهذه حكمة الالتفات والخطاب ليهود قريظة والنضير.

ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي لا أحد أحسن من الله حكما. وتقدم وأن احكم بينهم بما أنزل الله «١» فجاءت هذه الآية مشيرة لهذا المعنى والمعنى: أن حكم الله هو الغاية في الحسن وفي العدل. وهو استفهام معناه التقرير، ويتضمن شيئا من التكبر عليهم. واللام في: لقوم يوقنون، للبيان فتتعلق بمحذوف أي: في هيت لك وسقيا لك أي: هذا الخطاب. وهذا الاستفهام لقوم يوقنون قاله الزمخشري. وقال ابن عطية:

وحسن دخول اللام في لقوم من حيث المعنى يبين ذلك، ويظهر لقوم يوقنون. وقيل: اللام بمعنى عند أي عند قوم يوقنون، وهذا ضعيف. وقيل: تتعلق بقوله: حكما، أي أن أحكم الله للمؤمن على الكافر. ومتعلق يوقنون محذوف تقديره: يوقنون بالقرآن قاله ابن عباس.

وقيل: يوقنون بالله تعالى قاله مقاتل. وقال الزجاج: يوقنون يثبتون عهد الله تعالى في حكمه، وخصوا بالذكر لسرعة إذعانهم لحكم الله وأنهم هم الذين يعرفون أن لا أعدل منه ولا أحسن حكما.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥١ الى ٧٥]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم

---

(١) البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٨٧/٢

الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠)

وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤) ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥)

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧) قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩) لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠)

وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥)

(١) سورة المائدة: ٥/ ٤٩. [.....]." (١)

"ضمير عائد على الله، وهو تقديره بنصره وإظهار دينه وإذا كان كذلك فلا خلاف في الجواز. وإنما منعوا حيث لا يكون رابط وانتصاب جهد على أنه مصدر مؤكد، والمعنى:

أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الأيمان أنهم معكم؟ ثم ظهر الآن من موالاتهم اليهود ما أكذبهم في أيمانهم. ويجوز أن ينتصب على الحال، كما جوزوا في فعلته جهدك وقوله: إنهم لمعكم، حكاية لمعنى القسم لا للفظهم، إذ لو كان لفظهم لكان إنا لمعكم.

حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ظاهره أنه من جملة ما يقوله المؤمنون اعتمادا في الإخبار على ما حصل في اعتقادهم أي: بطلت أعمالهم إن كانوا يتكفلونها في رأي العين. قال الزمخشري: وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم! ويحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى، ويحتمل أن لا يكون خبرا بل دعاء إما من الله تعالى، وإما من المؤمنين. وحبط العمل هنا هو على معنى التشبيه، وإلا فلا عمل له في الحقيقة فيحبط وجوز الحوفي أن يكون حبطت أعمالهم خبرا ثانيا عن هؤلاء، والخبر الأول هو قوله الذين أقسموا، وأن يكون الذين، صفة لهؤلاء، ويكون حبطت هو الخبر. وقد تقدم ذكر قراءة أبي واقد والجراح حبطت بفتح الباء وأنها لغة.

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** وابن كعب والضحاك والحسن وقتادة وابن جريج وغيرهم: نزلت خطابا للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة. ومن يرتد جملة شرطية مستقلة، وهي إخبار عن الغيب.

وتعرض المفسرون هنا لمن ارتد في قصة طويلة نختصرها، فنقول: ارتد في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم مذحج ورئيسهم عبهلة بن كعب ذو الخمار، وهو الأسود العنسي قتله فيروز على فراشه، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله، وسمى قاتله ليلة قتل. ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة رئيسهم مسيلمة قتله وحشي، وبنو أسد رئيسهم طليحة بن خويلد هزمه خالد بن الوليد، وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه. هذه ثلاث فرق ارتدت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنبأ رؤساؤهم. وارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سبع فرق. فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وسليم قوم الفجاه بن عبد يا ليل، ويربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وقد تنبأت وتزوجها مسيلمة وقال: الشاعر:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا." (٢)

"وقال أبو العلاء المعري:

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث، وبكر بن وائل بالبحرين قوم الحظم بن يزيد. وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه. وفرقة

---

(١) البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٤/٢٨٨

(٢) البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٤/٢٩٦

في عهد عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلد الروم بعد إسلامه.
وفي القوم الذين يأتي الله بهم: أبو بكر وأصحابه، أو أبو بكر وعمر وأصحابهما، أو قوم أبي موسى، أو أهل اليمن ألفان من البحر وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا أيام القادسية أيام عمر. أو الأنصار، أو هم المهاجرون، أو أحياء من اليمن من كندة وبجيلة وأشجع لم يكونوا وقت النزول قاتل بهم أبو بكر في الردة، أو القربى، أو علي بن أبي طالب قاتل الخوارج أقوال تسعة.
وفي المستدرك لأبي عبد الله الحاكم بإسناد: أنه لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أبي موسى الأشعري فقال قوم: هذا.
وهذا أصح الأقوال، وكان لهم بلاء في الإسلام زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة فتوح عمر على أيديهم.
وقرأ نافع وابن عامر: من يرتدد بدالين مفكوكا، وهي لغة الحجاز. والباقون بواحدة مشددة وهي لغة تميم. والعائد على اسم الشرط من جملة الجزاء محذوف لفهم المعنى تقديره: فسوف يأتي الله بقوم غيرهم، أو مكانهم. ويحبونه معطوف على قوله: يحبهم، فهو في موضع جر. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون حالا من الضمير المنصوب تقديره:
وهن يحبونه انتهى. وهذا ضعيف لا يسوغ مثله في القرآن. ووصف تعالى هؤلاء القوم بأنه **يحبهم ويحبونه**، محبة الله لهم هي توفيقهم للإيمان كما قال تعالى: ولكن الله حبب إليكم الإيمان «١» وإثابته على ذلك وعلى سائر الطاعات، وتعظيمه إياهم، وثناؤه عليهم، ومحبتهم له طاعته، واجتناب نواهيه، وامتثال مأموراته. وقدم محبته على محبتهم إذ هي أشرف وأسبق.
وقال الزمخشري: وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله، وأمقتهم للشرع، وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقته عند أمثاله من السفهاء والجهلة شيئا وهم: الفرقة المنفعلة والمتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على

---

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ٧.." (١)

"أشداء على الكفار رحماء بينهم «١» وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة، لأن أذلة جمع ذليل وأعزة جمع عزيز، وهما صفتا مبالغة، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله: **يحبهم ويحبونه** «٢» لأن الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صفة مبالغة، وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة، جاء الوصف بالاسم. ولما كانت قبل تتجدد، لأنها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتب عليها، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد. ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن أوكد، ولموصوفه الذي قدم على الوصف المتعلق بالكافر، ولشرف المؤمن أيضا. ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن، قدم قوله **يحبهم ويحبونه** على قوله: أذلة على المؤمنين.
وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم إلا في ضرورة الشعر نحو قوله:
وفرع يغشي المتن أسود فاحم إذ جاء ما ادعى أنه يكون في الضرورة في هذه الآية، فقدم **يحبهم ويحبونه**- وهو فعل- على

---

(١) البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٤/٢٩٧

قوله: أذلة وهو اسم. وكذلك قوله تعالى: وهذا كتاب أنزلناه مبارك «٣» وقرئ شاذا أذلة، وهو اسم وكذا أعزة نصبا على الحال من النكرة إذا قربت من المعرفة بوصفها. وقرأ عبد الله: غلظاء على الكافرين مكان أعزة.

يجاهدون في سبيل الله أي في نصرة دينه. وظاهر هذه الجملة أنها صفة، ويجوز أن تكون استئناف إخبار. وجوز أبو البقاء أن تكون في موضع نصب حالا من الضمير في أعزة.

ولا يخافون لومة لائم أي هم صلاب في دينه، لا يبالون بمن لام فيه. فمتى شرعوا في أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أمضوه لا يمنعهم اعتراض معترض، ولا قول قائل هذان الوصفان أعني: الجهاد والصلابة في الدين هما نتيجة الأوصاف السابقة، لأن من أحب الله لا يخشى إلا إياه، ومن كان عزيزا على الكافر جاهد في إخماده واستئصاله.

وناسب تقديم الجهاد على انتفاء الخوف من اللائمين لمحاورته أعزة على الكافرين، ولأن

---

(١) سورة الفتح: ٤٨/ ٢٩.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ٥٤.

(٣) سورة الأنعام: ٦/ ٩٢.." (١)

"وأما ما زعمت من ذكر سالم مولى أبي حذيفة فمعلوم أن الصحابة يعلمون الإمامة في قريش كما استفاضت بذلك السنن وذلك مما احتجوا به على الأنصار يوم السقيفة فكيف يظن بعمر أنه يولى مولى فأبين يذهب عقلك بل من الممكن أنه كان يوليه ولاية جزئية أو يستشيره فمن يولى ونحو ذلك من الأمور التي يصلح لها سالم مولى أبي حذيفة فإن سالما كان من خيار الصحابة

وقولك جمع بين الفاضل والمفضول فهذا عندك وأما عندهم فكانوا متقاربين ولهذا كانوا في الشورى مترددين

فإن قلت علي هو الفاضل وعثمان المفضول قيل لك فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول وقال بعض العلماء من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال كنا نفاضل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فنقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وفي لفظ ثم ندع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم

فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم وظهر أثر ذلك فإنهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة واتفقوا عليها وكانوا كما نعتهم الله (يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) حتى قال ابن مسعود ولينا أعلانا ذا فوق ولم نأل وفيهم العباس بن عبد المطلب وفيهم من النقباء عبادة بن الصامت وأمثاله وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري وكل من هؤلاء ومن غيرهم لو تكلم بالحق لم يكن هناك عذر يسقطه عنه فقد كان يتكلم من يتكلم منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ولاية من يولى وهو مستحق للولاية ولا يحصل لهم ضرر وتكلم طلحة وغيره في ولاية عمر لما استخلفه أبو بكر وتكلم أسيد بن حضير في ولاية أسامة بن زيد على عهد النبي صلى الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير؟ أبو حيّان الأندلسي ٤/٢٩٩

عليه وسلم وقد كانوا يكلمون عمر فيمن يوليه ويعزله وعثمان بعد ولايته وقوة شوكته وكثرة أنصاره وظهور بني أمية كانوا يكلمونه فيمن يوليه ويعطيه منهم ومن غيرهم

ثم في آخر الأمر لما." (١)

"ونهاية العجز كما صح في الحديث ثلاثة لا ينظر الله إليهم فذكر الفقير المختال وفي لفظ وعائل مستكبر وهذا كما يقال الفقر والزنطرة فيشطح أحدهم حتى كأنه رب ويعزل الرب عن ربوبيته والنبي عن رسالته ثم آخرته شحاذ يطلب ما يقيته أو متلقح على أبواب الرؤساء كما قال الله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وكل من تكبر عوقب بالذل قال الله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فالجهل والغلو والتصديق بالأباطيل دين النصارى والكبر والحسد ورد الحق والذلة والتقية دين اليهود وهؤلاء الرافضة قد التقطوا الكل وتمسكوا به

اللهم اهدنا وإياهم صراطك المستقيم فيا ما يعمل الجهل والهوى بأهله

قال البرهان الخامس والعشرون قوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) قال الثعلبي إنما نزلت في علي وهذا دليل على أنه أفضل فيكون هو الإمام قلنا هذا إفتراء على الثعلبي وإنما قال الرجل في هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) قال علي بن أبي طالب وقتادة والحسن إنهم أبو بكر وأصحابه

وقال مجاهد هم أهل اليمن وبلا ريب إن عليا ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كأبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين والتابعين وقوله (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أيقول عاقل إنها." (٢)

"ويجوز أن يكون هذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وإنما جيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه، ويجوز أن تكون الحال أو الوصف على ما مر تفصيله هو الجار والمجرور فقط، و «آيات» مرفوع بها على سبيل الفاعلية، لأن الجار متى اعتمد على أشياء ذكرتها في أول هذا الموضوع رفع الفاعل، وهذا أرجح من جعلها جملة من مبتدأ وخبر، لأن هذه الأشياء أعني الحال والنعت والخبر أصلها أن تكون مفردة فما قرب منها كان أولى، والجار قريب من المفرد، ولذلك تقدم المفرد ثم الظرف ثم الجملة فيما ذكرت، وعليه الآية الكريمة: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨] فقدم الوصف بالمفرد وهو «مؤمن» ، وثنى بما قرب منه وهو «من آل فرعون» ، وثلث بالجملة وهي «يكتم إيمانه» ، وقد جاء في الظاهر عكس هذا، وسأوضح هذه المسألة إن شاء الله عند قوله: ﴿**يحبهم ويحبونه** أذلة﴾ [المائدة: ٥٤] .

قوله: ﴿مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ فيه أوجه، أحدها أن «مقام» بدل من «آيات» ، وعلى هذا يقال: إن النحويين نصوا على أنه متى ذكر جمع لا يبدل منه إلا ما يوفي بالجمع فتقول: «مررت/ برجال زيد وعمرو وبكر» لأن أقل الجمع الصحيح ثلاثة، فإن لم يوف قالوا: وجب القطع عن البدلية: إما إلى النصب بإضمار فعل، وإما إلى الرفع على مبتدأ محذوف

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال؟ الذهبي، شمس الدين ص/٣٦٨

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال؟ الذهبي، شمس الدين ص/٤٥١

الخبر، كما تقول في المثال المتقدم: «زيدا وعمرا» أي أعني زيدا وعمرا، أو «زيد وعمرو» أي: منهم زيد وعمرو، ولذلك أعربوا قول النابغة الذبياني:

١٣٥٨ - توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع." (١)

"الصريحة بهذه الآية، فإن قوله: ﴿يحبهم﴾ صفة وهي غير صريحة، لأنها جملة مؤولة بمفرد، وقوله «أذلة - أعزة» صفتان صريحتان لأنهما مفردتان، وأما غيره من النحويين فيقول: متى اجتمعت صفة صريحة وأخرى مؤولة وجب تقديم الصريحة إلا في ضرورة شعر كقول امرئ القيس:

١٧٤ - ٦- وفرع يغشي المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فقدم قوله «يغشي» - وهو جملة - على «أسود» وما بعده وهن مفردات، وعند هذا القائل أنه يبدأ بالمفرد ثم بالظرف أو عديله ثم بالجملة، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨] ، وهذه الآية حجة عليه، وكذا قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ [الأنعام: ٩٢] . قال الشيخ: «وفيها دليل على بطلان من يعتقد وجوب تقديم الوصف بالاسم على الوصف بالفعل إلا في ضرورة» ثم ذكر الآية الأخرى. قلت: وليس في هاتين الآيتين الكريمتين ما يرد قول هذا القائل. أما هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ جلمة اعتراض لأن فيها تأكيدا وتسديدا للكلام، وجملة الاعتراض تقع بين الصفة وموصوفها كقوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٦] ف «عظيم» صفة ل «قسم» وقد فصل بينهما بقوله: ﴿لو تعلمون﴾ فكذلك فصل هنا بين قوله «بقوم» وبين صفتهم وهي «أذلة - أعزة» بقوله ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ فعلى هذا لا يكون لها محل من الإعراب. وأما ﴿وهذا كتاب." (٢)

"قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ : يجوز أن يكون كتاب وأنزلناه ومبارك إخبارا عن اسم الإشارة عند من يجيز تعدد الخبر مطلقا، أو بالتأويل عند من لم يجوز ذلك. ويجوز أن يكون أنزلناه ومبارك وصفين لكتاب عند من يجيز تقديم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح. وقد تقدم تحقيق ذلك في السورة قبلها في قوله ﴿بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ بالمائدة: ٥٤] ، قال أبو البقاء: «ولو كان قرئ» مباركا «بالنصب على الحال لجاز» ولا حاجة إلى مثل هذا وقدم الوصف بالإنزال لأن الكلام مع منكري أن الله ينزل على البشر كتابا ويرسله رسولا، وأما وصفه بالبركة فهو أمر متراخ عنهم، وجيء بصفة الإنزال بجملة فعلية أسند الفعل فيها إلى ضمير المعظم نفسه مبالغة في ذلك بخلاف ما لو جيء بها اسما مفردا.." (٣)

"الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي، وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٣/٣١٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٤/٣٠٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؟ السمين الحلبي ٥/٢٢٩

لعبد الله بن أبي، فجعلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار، وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم- إلى قوله- ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون «١» .

وقال الإمام أحمد «٢» : حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «قد كنت أنهاك عن حب يهود» فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات، وكذا رواه أبو داود «٣» من حديث محمد بن إسحاق.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلا، كما قال تعالى: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم [محمد: ٣٨] . وقال تعالى: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز [إبراهيم: ١٩- ٢٠] . أي بممتنع ولا صعب. وقال تعالى هاهنا يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه أي يرجع عن الحق إلى الباطل. قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: في قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** هم أهل القادسية. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: هم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩- ٥٠ وتفسير الطبري ٤/ ٦١٦.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٠١.

(٣) سنن أبي داود (جنائز باب ١ في العيادة) .." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٣/١٢٣

"قال: ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون «١» .

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا معاوية يعني ابن حفص، عن أبي زياد الحلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**. قال «هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب» ، وهذا حديث غريب جدا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث، حدثنا شعبة عن سماك، سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري، قال: لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم قوم هذا» . ورواه ابن جرير «٢» من حديث شعبة بنحوه.

وقوله تعالى: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه.

وقوله عز وجل يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل.

قال الإمام أحمد «٣» : حدثنا عفان، حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش.

وقال الإمام أحمد «٤» أيضا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان عن أبي المثنى، أن أبا ذر رضي الله عنه، قال: بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا، وواثقني سبعا، وأشهد الله علي سبعا- أني

---

(١) هو بنو السكون بن أشرس بن ثور. بطن من كندة من القحطانية. (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٢/ ٥٢٨) .

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٦٢٤.

(٣) مسند أحمد ٥/ ١٥٩. [.....]

(٤) مسند أحمد ٥/ ١٧٢.." (١)

"واستولى على الممالك شرقا وغربا.

وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا: ففرقها على الوجه الشرعي.

والسبيل المرضي. ثم لما مات شهيدا وقد عاش حميدا. أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ١٢٤/٣

عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار.
فكسى الإسلام رئاسته حلة سابغة. وامتدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة. فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها. وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار [التوبة: ١٢٣] وقوله تعالى: وليجدوا فيكم غلظة أي وليجد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر.
كقوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم [التوبة: ٧٣ والتحريم: ٩] وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا الضحوك القتال» يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه، وقوله: واعلموا أن الله مع المتقين أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه، وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم. ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار.
ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام ولله لأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله. والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٤ الى ١٢٥]
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (١٢٤) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥)
يقول تعالى: وإذا ما أنزلت سورة فمن المنافقين من يقول أيكم زادته هذه إيمانا أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا قال الله تعالى: فأما الذين آمنوا فزادتهم." (١)
"مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون [يس: ٧٧- ٨٣] .
وقوله إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره

---
(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٢٠٩/٤

أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز [فاطر: ١٥- ١٧] وقال: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم [محمد: ٣٨] وقال: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه [المائدة: ٥٤] وقال: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا [النساء: ١٣٢] .

[سورة إبراهيم (١٤) : آية ٢١]

وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١)

يقول تعالى: وبرزوا أي برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار، أي اجتمعوا له في براز من الأرض وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا فقال الضعفاء وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم للذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم: إنا كنا لكم تبعا أي مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا، فقالت القادة لهم: لو هدانا الله لهديناكم ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا: إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا «١» الآية.

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى:

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧/ ٤٣٣.." (١)

"يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين

[المائدة: ٥٤] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة [التوبة: ١٢٣] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» «١» . وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» «٢» . وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه، كلا الحديثين في الصحيح.

وقوله سبحانه وتعالى: تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال،

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٤١٩/٤

ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا: ورضوان من الله أكبر [التوبة: ٧٢] .
وقوله جل جلاله: سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن «٣» . وقال مجاهد وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون. وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم، وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن إسماعيل بن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى عن شريك، عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» «٤» والصحيح أنه موقوف. وقال بعضهم: إن للحسنة نورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس.
وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس، كما

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب باب ٢٧، ومسلم في البر حديث ٦٦، ٦٧.
(٢) أخرجه البخاري في المظالم باب ٥، ومسلم في البر حديث ٦٥.
(٣) انظر تفسير الطبري ١١/ ٣٧٠.
(٤) أخرجه ابن ماجة في الإقامة باب ١٧٤.." (١)

"سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا: (٨) ٣٠١ سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمة المدينة: (٣) ١٣٨ سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: صلاة الليل: (٥) ٩٤ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأجلين قضى موسى؟: (٦) ٢٠٨ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك: (٦) ١١٣ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال «أكرمهم عند الله أتقاهم» : (٤) ٣١٦ سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي المؤمنين أكيس: (٣) ٣٠٠ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم: (٧) ٣٦١ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن استوت حسناته وسيئاته فقال أولئك أصحاب الأعراف: (٣) ٣٧٦ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال هم آخر من يفصل بينهم من العباد: (٣) ٣٧٨ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم: (٣) ٣٧٦ سئل

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٧/٣٣٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين، قال: هم مع آبائهم: (٥) ٥١ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق: (٦) ٣٠٧، ٣٠٨ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد: (٣) ٤١٥ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمد: (٤) ٧٢ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلا غيره: (١) ٤٧٠ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله: (٤) ١٣٧ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله عز وجل؟: (٤) ٥٠ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال «علمها عند ربي» : (٣) ٤٧٣ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة: (٥) ٣٦٥ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم: (٨) ٢١١ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية منهم فقال: ما أنا عليه وأصحابي: (٦) ٢٨٥ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير: (٣) ١٣٠ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى والقناطير المقنطرة: (٢) ١٧ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**: (٣) ١٢٤ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل فقال: صبر لا شكوى فيه: (٤) ٣٢٢ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحلل: (١) ٤٧٣." (١)

"إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "قد كنت أنهاك عن حب يهود". فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زرارة، فمات.

وكذا رواه أبو داود، من حديث محمد بن إسحاق. (١)

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه (٢) وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ [النساء:١٣٣] ، وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز﴾ [إبراهيم:١٩، ٢٠] أي: بممتنع ولا صعب. وقال تعالى هاهنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل.

قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر.

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه [رضي الله عنهم] (٣) رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية؟ ابن كثير ٩/٢١٠

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله (٤) ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ هم أهل القادسية. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: هم قوم من سبأ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن محمد بن عمرو، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون.

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا معاوية -يعني ابن حفص-عن أبي زياد الحلفاني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: "هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من

---

(١) المسند (٥/٢٠١) وسنن أبي داود برقم (٣٠٩٤) .

(٢) في ر: "منهم".

(٣) زيادة من أ.

(٤) في أ: "وقال ابن عباس".." (١)

"تجيب". (١) وهذا حديث غريب جدا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبد الصمد -يعني ابن عبد الوارث-حدثنا شعبة، عن سماك، سمعت عياضا يحدث عن الأشعري قال: لما نزلت: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم قوم هذا". ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه. (٢)

وقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا (٣) لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] . وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "الضحوك القتال" فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه.

وقوله [تعالى] (٤) ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم (٥) لائم ولا عذل عاذل.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا سلام أبو المنذر، عن محمد بن واسع، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: أمرني (٦) خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع، أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش. (٧)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٣/١٣٥

وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان عن أبي (٨) المثنى؛ أن أبا ذر قال: بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقني سبعا، وأشهد الله علي تسعا، أني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟ " قلت: نعم، قال: وبسطت يدي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط: على ألا تسأل الناس شيئا؟ قلت: نعم قال: "ولا سوطك وإن

---

(١) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣١٢) "مجمع البحرين" من طريق معاوية بن حفص، عن أبي زياد إسماعيل بن زكريا، عن محمد بن قيس الأسدي، عن محمد بن المنكدر به، وقال: "لم يروه عن محمد بن قيس الأسدي إلا أبو زياد، ولا عنه إلا معاوية. تفرد به أبو حميد، فزاد هنا محمد بن قيس الأسدي".

وذكره ابن أبي حاتم في العلل (٩٥/٢) ولم يذكر محمد بن قيس في سنده كما هو هنا في تفسيره، وقال: سمعت أبي يقول: "هذا حديث باطل".

تنبيه: وقع هنا أبي زياد الحلفاني وفي العلل: الخلقاني، وهو الصواب "الخلقاني" كما في "الاستغناء في المشهورين من حملة العلم بالكنى" لابن عبد البر (١١٩٩/٢) .

(٢) تفسير الطبري (٤١٤/١٠) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣/١٢) وابن سعد في الطبقات (١٠٧/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٣٧١/١٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٥٩/١) من طريق شعبة به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦/٧) : "رجاله رجال الصحيح".

(٣) في ر: "لمتواضعا".

(٤) زيادة من أ.

(٥) في أ: "لومة".

(٦) في د: "أخبرني".

(٧) المسند (١٥٩/٥) .

(٨) في د: "ابن".." (١)

"ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد (١) وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته، عليه السلام. (٢)

ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع. ثم عاجلته المنية، صلوات الله وسلامه عليه، بعد الحجة بأحد وثمانين يوما، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر، رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل، فثبته الله تعالى به

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ١٣٦/٣

فوطد القواعد، وثبت الدعائم. ورد شارد الدين وهو راغم. ورد أهل (٣) الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله. ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان (٤) وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنفس كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد. وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الإله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقا وغربا. وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا. ففرقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيدا وقد عاش حميدا، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار. على خلافة أمير المؤمنين [أبي عمرو] (٥) عثمان بن عفان شهيد الدار. فكسى الإسلام [بجلاله] (٦) رياسة حلة سابغة. وأمدت (٧) في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، فكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وقوله تعالى: ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ [أي: وليجد الكفار منكم (٨) غلظة] (٩) عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر، كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩] ، وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا الضحوك القتال"، يعني: أنه ضحوك في وجه وليه،

---

(١) في ت، ك، أ: "الناس".

(٢) في أ: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) في ت: "آل".

(٤) في أ: "الأصنام".

(٥) زيادة من ت، ك، أ.

(٦) زيادة من ت، أ.

(٧) في أ: "وامتدت".

(٨) في ت، أ: "فيكن".

(٩) زيادة من ت، ك، أ.." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٤/٢٣٨

"وقال: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] ، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا﴾ [النساء: ١٣٣] .

﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١) ﴾

يقول: ﴿وبرزوا [لله] (١) ﴾ أي: برزت الخلائق كلها، برها وفاجرها لله وحده الواحد القهار، أي: اجتمعوا له في براز (٢) من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا.

﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة.

الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، فقالوا لهم: ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾ أي: مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ أي: فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا؟ فقالت القادة لهم: ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين.

﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله، عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا (٣) ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] ، وقال تعالى: ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من (٤) النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩] ،

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في ت: "برار".

(٣) في أ: "فقالوا".

(٤) في ت: "في".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٤٨٨/٤

"﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩) ﴾

يخبر تعالى عن محمد صلوات الله عليه (١) ، أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿محمد رسول الله﴾ ، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ، كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ [التوبة: ١٢٣] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى

---

(١) في ت: "صلى الله عليه وسلم" وفي م: "صلوات الله وسلامه عليه".." (١)

"سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنما، ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول، واختاروا الثاني قاله ابن عباس - رضي الله عنهما.

وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء، ويقبل على الله تعالى [كما أخبر الله تعالى عنهم، فقال: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين﴾ [العنبكوت: ٦٥] والمؤمن لا يعرض عن الله] في السراء والضراء، والشدة والرخاء؛ وقال سعيد بن جبير: إن الله - عز وجل - يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام: أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم، فلا يدخلون؛ لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين، وهم بين أيدي الكفار: إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها، فينادي مناد من تحت العرش ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ .

وقيل: وإنما قال: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ؛ لأن الله تبارك تعالى أحبهم أولا، ثم أحبوه، ومن شهد له المعبود بالمحبة، كانت محبته أتم؛ قال الله تعالى: **«يحبهم ويحبونه»** .

فإن قيل: كيف يمكن أن تكون محبة المؤمن لله أشد مع أنا نرى اليهود يأتون بطاعات شاقة، لا يأتي بمثلها أحد من المؤمنين، ولا يأتون بها إلا الله تعالى، ثم يقتلون أنفسهم حبا لله؟ والجواب من وجوه:

أحدها: ما تقدم من قول ابن عباس، وقتادة، وسعيد بن جبير.

وثانيها: أن من أحب غيره رضي بقضائه، فلا يتصرف في ملكه، فأولئك الجهال [قتلوا أنفسهم بغير إذنه، إنما المؤمنون الذي يقتلون أنفسهم بإذنه، وذلك في الجهاد] .

وثالثها: أن الإنسان، إذا ابتلي بالعذاب الشديد لا يمكنه الاشتغال بمعرفة الرب، فالذي فعلوه باطل.

ورابعها: أن المؤمنين يوحدون ربهم، فمحبتهم مجتمعة لواحد، والكفار يعبدون مع الصنم أصناما، فتنقص محبة الواحد منهم،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٣٦٠/٧

أما الأإله الواحد فتنضم محبة الجمع إليه.

قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ جواب «لو» محذوف، واختلف في تقديره، ولا يظهر ذلك إلا بعد ذكر القراءات الواردة في ألفاظ هذه الآية الكريمة. قرأ عامر ونافع: «ولو ترى» بتاء الخطاب، «أن القوة» و «أن الله» بفتحهما.

وقرأ ابن عامر: «إذ يرون» بضم الياء، والباقون بفتحها.." (١)

"طرف من أطراف العالم؛ لأداء فرض الصلاة، فكان الدوام حاصلا من هذه الجهة، وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام – أيضا –.

وأما كونه هدى للعالمين، فقيل: لأنه قبلة يهتدون به إلى جهة صلاتهم.

وقيل: هدى، أي: دلالة على وجود الصانع المختار، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة، بما فيه من الآيات والعجائب التي ذكرناها.

وقيل: هدى للعالمين إلى الجنة؛ لأن من أقام الصلاة إليه استوجب الجنة.

قوله: ﴿فيه آيات بينات﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة في محل نصب على الحال، إما من ضمير «وضع» وفيه ما تقدم من الإشكال.

وأما من الضمير في «ببكة» وهذا على رأي من يجيز تعدد الحال الذي حال واحد.

وإما من الضمير في «للعالمين» ، وإما من «هدى» ، وجاز ذلك لتخصصه بالوصف، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في «مباركا» .

ويجود أن تكون الجملة في محل نصب؛ نعتا ل «هدى» بعد نعته بالجار قبله. ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب، وإنما جيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه، ويجوز أن يكون الحال أو الوصف على ما مر تفصيله هو الجار والمجرور فقط، و «آيات» مرفوع بها على سبيل الفاعلية لأن الجار متى اعتمد على أشياء تقدمت أول الكتاب رفع الفاعل، وهذا أرجح من جعلها جملة من مبتدأ وخبر؛ لأن الحال والنعت والخبر أصلها: أن تكون مفردة، فما قرب منها كان أولى، والجار قريب من المفرد، ولذلك تقدكم المفرد، ثم الظرف، ثم الجملة فيما ذكرنا، وعلى ذلك جاء قوله تعالى:

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨] ، فقدم الوصف بالمفرد «مؤمن» ، وثنى بما قرب منه وهو ﴿من آل فرعون﴾ [البقرة: ٤٩] ، وثلث بالجملة وهي ﴿يكتم إيمانه﴾ وقد جاء في الظاهر عكس هذا، وسيأتي الكلام عليه – إن شاء الله – عند قوله: ﴿بقوم يحبهم ويحبونه أذلة﴾ [المائدة: ٤٥] .

قوله: ﴿مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن «مقام» : بدل من «آيات» وعلى هذا يقال: إن النحويين نصوا على أنه متى ذكر جمع لا يبدل منه إلا ما يوفي بالجمع، فتقول: مررت برجال زيد وعمرو وبكر؛ لأن أقل الجمع – على الصحيح – ثلاثة، فإن لم يوف، قالوا: وجب القطع عن البدلية، إما إلى النصب بإضمار فعل، وإما إلى الرفع، على مبتدأ محذوف الخبر، كما تقول – في المثال المتقدم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ١٣٩/٣

- زيدا وعمرا، أي: أعني زيدا وعمرا، أو زيد وعمرو، أي: منهم زيد وعمرو.

ولذلك أعربوا قول النابغة الذبياني: [الطويل]." (١)

"بأنه سيأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**. وعلى هذا التقدير: تكون هذه الآية إخبارا عن الغيب، وقد وقع المخبر على وفقه، فيكون معجزا.

واختلفوا في القوم من هم؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج: أبو بكر وأصحابه - رضي الله عنهم - الذين قاتلوا أهل الردة، قالت عائشة - رضي الله عنها - مات رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، وارتد من العرب قوم [واشتهر] النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وذلك بأن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة. والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر بقتالهم، فكره ذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

وقال عمر - رضي الله عنه -: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله» فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعها» .

قال أنس - رضي الله عنه -: كرهت الصحابة - رضي الله عنهم - قتال مانعي الزكاة، وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه عليه في الانتهاء، قال أبو بكر ابن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر - رضي الله عنه -، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة.

وقال السدي: نزلت الآية في الأنصار؛ لأنهم الذين نصروا الرسول وأعانوه على إظهار الدين.

وقال مجاهد: نزلت في أهل «اليمن» .." (٢)

"فقدم قوله: «يغشي» - وهو جملة - على «أسود» وما بعده، وهن مفردات، وعند هذا القائل أنه يبدأ بالمفرد، ثم بالظرف أو عديله، ثم بالجملة، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

قال أبو حيان: وفيها دليل على بطلان من يعتقد وجوب تقديم الوصف بالاسم على الوصف بالفعل إلا في ضرورة، ثم ذكر الآية الآخرى.

قال شهاب الدين: وليس في هاتين الآيتين الكريمتين ما يرد قول هذا القائل، أما هذه الآية فيحتمل أن يكون قوله تعالى:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٥/٤٠٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٧/٣٩٠

«يحبهم ويحبونه» جملة اعتراض، لأن فيها تأكيدا وتشديدا للكلام.

وجملة الاعتراض تقع بين الصفة وموصوفها، كقوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٦] ف «عظيم» صفة ل «قسم» ، وقد فصل بينهما بقوله: «لو تعلمون» ، فكذلك فصل هنا بين «بقوم» ، وبين صفتهم وهي «أذلة - أعزة» بقوله: «يحبهم ويحبونه» ، فعلى هذا لا يكون لها محل من الإعراب.

وأما ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ [الأنعام: ١٥٥] فلا نسلم أن «مبارك» صفة، ويجوز أن يكون [خبر مبتدأ محذوف، أي: هو مبارك] ولو استدل على ذلك بآيتين غير هاتين لكان أقوى، وهما قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء: ٢] ، ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ [الشعراء: ٥] فقدم الوصف بالجار على الوصف بالصريح، وكذا يحتمل أن يقال: لا نسلم أن «من ربهم» و «من الرحمن» صفتان لجواز أن يكونا حالين مقدمين من الضمير المستتر في «محدث» أي: محدث إنزاله حال كونه من ربهم.

و «أذلة» جمع ذليل بمعنى متعطف؛ ولا يراد به الذليل الذي هو ضعيف خاضع مهان: ولا يجوز أن يكون جمع «ذلول» ؛ لأن ذلولا يجمع على «ذلل» لا على أذلة، وإن كان كلام بعضهم يوهم ذلك.

قال الزمخشري: ومن زعم أنه من «الذل» الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غبي عن أن «ذلولا» لا يجمع على «أذلة» .

و «أذلة» و «أعزة» جمعان ل «ذلل» و «عزيز» وهما مثالا مبالغة، وعدى «أذلة» ب «على» وإن كان أصله أن يتعدى باللام لما ضمن من معنى الحنو والعطف، والمعنى: عاطفين [على المؤمنين] على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن يكون المعنى أنهم مع." (١)

"قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ الآية.

يجوز أن يكون «كتاب» و «انزلناه» و «مبارك» إخبارا عن اسم الإشارة، عند من يجيز تعدد الخبر مطلقا، أو بالتأويل عند من لم يجوز ذلك، ويجوز أن يكوزن «أنزلناه» ، و «مبارك» : وصفين ل «كتاب» عند من يجيز تقديم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، وقد تقدم تحقيق ذلك في السورة قبلها، في قوله - سبحانه -: ﴿بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] .

قال أبو البقاء: «ولو كان قرئ:» مباركا «بالنصب على الحال، لجاز» ولا حاجة إلى مثل هذا، وقدم الوصف بالإنزال؛ لأن الكلام مع منكري أن الله ينزل على البشر كتابا، ويرسل رسولا، وأما وصف البركة؛ فهو أمر متراخ عنهم، وجيء بصفة الإنزال بجملة فعلية أسند الفعل فيها إلى ضمير المعظم نفسه مبالغة في ذلك، بخلاف ما لو جيء بها اسما مفردا.

والمراد بالكتاب: القرآن، ووصفه بالبركة، أي: لا يتطرق إليه النسخ، كما في الكتابين، والمراد: كثير الخير والنفع.

﴿فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ .

قيل: «اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة» .

وقيل: اتقوا لترحموا، أي: ليكون الغرض بالتقوى، رحمه الله - تعالى -.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٣٩٢/٧

قوله: «ان تقولوا» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مفعول من أجله.

قول أبو حيان: «والعامل فيه» أنزلناه «مقدرا، مدلولا عليه بنفس» أنزلناه «الملفوظ به، تقديره: أنزلناه أن تقولوا» .

قال: «ولا جائز أن يعمل فيه» أنزلناه «الملفوظ به؛ لئلا يلزم الفصل بين العامل ومعموله بأجنبي، وذلك أن مبارك» : إما صفة، وإما خبر، وهو أجنبي بكل من التقديرين «وهذا الذي منعه هو ظاهر قول الكسائي، والفراء.." (١)

"وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال: ٧٢] إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون - ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦] [المائدة: ٥٥ - ٥٦] .

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم. فالله يتولى عباده المؤمنين، **فيحبهم ويحبونه**، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة. وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه، قال تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ [الإسراء: ١١١] . فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعا، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

[تفسير معنى الولاية]

والولاية أيضا نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ: أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة: فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٢] ف ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٣] ، منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار أمدح، أو مرفوع بإضمار هم، أو خبر ثان لـ إن، وأجيز فيه الجر، بدلا من ضمير عليهم.." (٢)

"يدعوا، ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة)) .

فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تعالى: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ (١) ، وقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم

الغالبون﴾ (٢) ، ووصف أحباءه الذين **يحبهم ويحبونه** بأنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، وروى الإمام أحمد في كتاب " الزهد " (٣) بإسناده عن وهب ابن منبه، قال: إن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - حين كلمه: اعلم أن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب؟ ابن عادل ٥٢٢/٨

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط؟ ابن أبي العز ٥٠٦/٢

من أهان لي وليا، أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة، وبادأني، وعرض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أو يظن الذي يعازني أن يعجزني؟ أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري.

---

(١) الممتحنة: ١.

(٢) المائدة: ٥٥ - ٥٦.

(٣) برقم (٣٤٢) عن وهب بن منبه، به، وهو جزء من حديث طويل.." (١)

"الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) (١) ، فمن أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده، كما قال الله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (٢) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن من

أعرض عن حبنا، وتولى عن قربنا، لم نبال، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة

منه وأحق، فمن أعرض عن الله، فما له من الله بدل، ولله منه أبدال.

ما لي شغل سواه ما لي شغل ... ما يصرف عن هواه قلبي عذل

ما أصنع إن جفا وخاب الأمل ... مني بدل ومنه ما لي بدل

وفي بعض الآثار يقول الله - عز وجل -: ((ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني، وجدت كل شيء، وإن فتك، فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل

شيء)) (٣) .

كان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل كثيرا:

اطلبوا لأنفسكم ... مثل ما وجدت أنا

قد وجدت لي سكنا ... ليس في هواه عنا

إن بعدت قربني ... أو قربت منه دنا (٤)

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل؟ ابن رجب الحنبلي ١٠٦٩/٣

من فاته الله، فلو حصلت له الجنة بحذافيرها، لكان مغبونا، فكيف إذا لم يحصل له إلا نزر يسير حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧٦٨ وصدره بقوله: ((وقد ورد في بعض الكتب الإلهية)) ثم ساقه مطولا.

(٤) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٩/٣٤٤.." (١)

"ما حرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدماء بغير حق فهذا يجري على عوائده في ذلك كله لا على مقتضى الإيمان ومن عمل بمقتضى الإيمان صارت لذته في مصابرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله وربما يرتقي إلى أن يكره جميع ما يكره الله منه وينفر منه وإن كان ملائما للنفوس كما قيل:

إن كان رضاكم في سهري ... فسلام الله على وسني

وقال آخر:

عذابه فيك عذاب ... وبعده فيك قرب

وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني ... لما تحب أحب

الوجه الثاني: إن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة وقيل: إنه ليس فيه رياء كذا قاله الإمام أحمد وغيره وفيه حديث مرفوع مرسل وهذا الوجه اختيار أبي عبيد وغيره وقد يرجع إلى الأول فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لا يطلع عليه غير من أمره ونهاه دل على صحة إيمانه والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرا بينهم وبينه بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه حتى كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة وقال بعضهم: لما اطلع على بعض سرائره إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرا ثم دعا لنفسه بالموت فمات.

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من **يحبهم ويحبونه**.

نسيم صبا تجد متى جئت حاملا ... تحيتهم فاطوا الحديث عن الركب

ولا تذع السر المصون فإنني ... أغار على ذكر الأحبة من صحبي

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل؟ ابن رجب الحنبلي ٣/١٠٧٥

وقوله: "ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي": فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه وأن الصائم يقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح وهذه أعظم شهوات النفس وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:." (١)

"قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

علامات المحبة الصادقة: التزام طاعة الله تعالى، والجهاد في سبيله.

واستحلاء الملامة في ذلك، واتباع رسوله.

قال الله جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) .

وقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة

والرحمة للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: (واخفض جناحك لمن اتبعك من

المؤمنين) ، ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، وهذا يرجع إلى أن

المحبين لله يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة، وقد

سبق في الباب الأول بيان ذلك.

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى:

(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ، وهذا يرجع إلى

أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة، كما سبق." (٢)

"وحب القرآن حب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعلامة حب النبي - صلى الله عليه وسلم - حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، ومن علامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة

بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا يبلغه إلى الآخرة.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

ففي هذه الآية إشارة إلى أن من أعرض عن حبنا، وتولى عن قربنا، لم

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب؟ ابن رجب الحنبلي ص/١٥٤

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي؟ ابن رجب الحنبلي ١/٤٣٥

نبال به، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق، فمن أعرض عن

الله، فما له من الله بدلا، ولله منه أبدال.

ما لي شغل سواه ما لي شغل. . . ما يصرف عن هواه قلبي عذل

ما أصنع إن جفا وخاب الأمل. . . مني بدل ومنه ما لي بدل

وفي بعض الآثار: "يقول الله عز وجل: ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني، وجدت كل شيء، وإن فتك، فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء".

كان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل كثيرا:

اطلبوا لأنفسكم. . . مثل ما وجدت أنا

قد وجدت لي سكنا. . . ليس في هواه عنا

إن بعدت قربني. . . أو قربت منه دنا." (١)

"من فاته الله، فلو حصلت له الجنة بحذافيرها، لكان مغبونا، فكيف إذا لم

يحصل له إلا نزر يسير حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة:

من فاته أن يراك يوما. . . فكل أوقاته فوات

وحيثما كنت من بلاد. . . فلي إلى وجهك التفات

ثم ذكر أوصاف الذين **يحبهم ويحبونه**، فقال: (أذلة على المؤمنين) ، يعني: أنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين، وخفض الجناح.

(أعزة على الكافرين) يعني: أنهم يعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم.

والإغلاظ لهم، فلما أحبوا الله، أحبوا أولياءه الذين يحبونه، فعاملوهم

بالمحبة، والرأفة، والرحمة، وأبغضوا أعداءه الذين يعادونه، فعاملوهم بالشدة

والغلظة، كما قال تعالى: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) .

فإن من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب - وأيضا - فالجهاد في سبيل الله

دعاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان، بعد دعائهم إليه

بالحجة والبرهان، فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم إلى بابه، فمن لم

يجب الدعوة إليه باللين والرفق، احتاج إلى الدعوة بالشدة والعنف: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ".

(ولا يخافون لومة لائم) ، لا هم للمحب غير ما يرضي حبيبه.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي؟ ابن رجب الحنبلي ٤٣٩/١

رضي من رضي وسخط من سخط، من خاف الملامة في هوى من يحب.

فليس بصادق في المحبة.." (١)

"وقف الهوى بي حيث أنت. . . فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة. . . حبا لذكرك فليلمنى اللوم

قوله: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، يعني: درجة الذين يحبهم

ويحبونه بأوصافهم المذكورة (والله واسع عليم) : واسع العطاء.

عليم بمن يستحق الفضل، فيمنحه، ومن لا يستحق، فيمنعه.

* * *

وعن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي أن عمر بن عبد العزيز أرسل

يوما إليه، وعمر أمير المدينة يومئذ، فقال: يا أبا حمزة، إنه أسهرتني البارحة

آية. قال محمد: وما هي أيها الأمير؟

فقال: قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) إلى قوله: (لومة لائم) .

قال محمد: إنما عنى الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا) الولاة من قريش: (من يرتد منكم عن دينه) عن الحق (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) .

وهم أهل اليمن.

قال عمر: يا ليتني وإياك منهم قال: آمين.

* * *

قوله تعالى: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)

[قال البخاري] ؛ وقول الله عز وجل: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) .." (٢)

"وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله وأعظمهم نبيه محمد

- صلى الله عليه وسلم - الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته، كما قال تعالى:

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) .

وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى:

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي؟ ابن رجب الحنبلي ١/٤٤٠

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي؟ ابن رجب الحنبلي ١/٤٤١

أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) .

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين والرأفة بهم والمحبة لهم والشدة

على الكافرين والبغض لهم والجهاد في سبيله فقال:

(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) الآية.

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه وفي هذا

إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه فإذا

امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة

محبته، كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري:

"وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه".

فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات وترك

المحرمات، ولهذا جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن تكره." (١)

"ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة الذي خرجه البخاري، وقد قيل: إنه أشرف حديث روي في ذكر الأولياء. قوله عز وجل: «من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب» يعني: فقد أعلمته بأني محارب له، حيث كان محاربا لي بمعاداة أوليائي، ولهذا جاء في حديث عائشة: «فقد استحل محاربتي» وفي حديث أبي أمامة وغيره: «فقد بارزني بالمحاربة» ، وخرج ابن ماجه بسند ضعيف عن معاذ بن جبل، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى لله وليا، فقد بارز الله بالمحاربة، وإن الله تعالى يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، ولم يعرفوا، [قلوبهم] مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» . فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تعالى: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] [الممتحنة: ١] ، وقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون – ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦] [المائدة: ٥٥ – ٥٦] ، ووصف أحباءه الذين يحبهم ويحبونه بأنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، وروى الإمام أحمد في كتاب " الزهد " بإسناده عن وهب بن منبه، قال: إن الله تعالى قال لموسى عليه." (٢)

"ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته، سواء كانت رعيته عامة كالحاكم، أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده، كما قال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» . وفي " صحيح مسلم "، عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي؟ ابن رجب الحنبلي ٢/٢١٦

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط؟ ابن رجب الحنبلي ٢/٣٣٤

يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» . وفي " الترمذي " عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل» . الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» ، فمن أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده، كما قال الله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] [المائدة: ٥٤] ، ففي هذه الآية إشارة." (١)

"يعني أنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح، ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] يعني أنهم يعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم، والإغلاظ لهم، فلما أحبوا الله أحبوا أولياءه الذين يحبونه، فعاملوهم بالمحبة والرأفة، والرحمة، وأبغضوا أعداءه الذين يعادونه، فعاملوهم بالشدة والغلظة، كما قال تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم – يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٢٩ – ٥٤] ، فإن من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب، وأيضا فالجهاد في سبيل الله دعاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان، فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم إلى بابه؛ فمن لم يجد الدعوة باللين والرفق، احتاج بالدعوة إلى الشدة والعنف عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل. ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] ؛ لا هم للمحب غير ما يرضي حبيبه، رضي من رضي، وسخط من سخط، من خاف الملامة في هوى من يحبه، فليس بصادق في المحبة:

وقف الهوى بي حيث أنت ... فليس لي متأخر عنكم ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

قوله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة: ٥٤] ، يعني درجة الذين **يحبهم ويحبونه** بأوصافهم المذكورة، ﴿والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] : واسع العطاء، عليم بمن يستحق الفضل فيمنحه، ومن لا يستحقه فيمنعه.." (٢)

"وروي «عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، وخشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فاقرر عيني من عبادتك» . فأهل هذه الدرجة من المقربين ليس لهم هم إلا فيما يقربهم ممن **يحبهم ويحبونه**، قال بعض السلف: العمل على المخافة قد يغيره الرجاء، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور، ومن كلام بعضهم: إذا سئم البطالون من بطالتهم، فلا يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك. قال فرقد السبخي: قرأت في بعض الكتب: من أحب الله، لم يكن عنده شيء آثر من هواه، ومن أحب الدنيا، لم يكن عنده آثر من هوى نفسه، فالحب لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء زمرته أول الزمر يوم القيامة، ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل يحبونه ويحبون

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط؟ ابن رجب الحنبلي ٣٣٧/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط؟ ابن رجب الحنبلي ٣٣٩/٢

ذكره ويحببونه إلى خلقه يمشون بين عباده بالنصائح، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء الله وأحباؤه، وأهل صفوته، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه. وقال فتح الموصلي: المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة [عين] . وقال محمد بن النضر الحارثي: ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله عز وجل، وما يكاد يسأم من ذلك. وقال بعضهم: المحب لله طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه." (١)

"وعاداهم كما قال النبي (: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ... " الحديث.

وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد (الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران: ٣١، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: (قل إن كان آبآؤكم وأبنآؤكم وإخوآنكم وأزوآجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهآ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) التوبة: ٢٤.

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين: من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين: من البغض لهم والجهاد في سبيله، فقال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم) المائدة: ٥٤.

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: " وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عندي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ". فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي (من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى." (٢)

"٢ - باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهما

وقال ابن عمر والزهري وإبراهيم: تقتل المرتدة. وقال الله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٨٦) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٧) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (١٦٢) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٨٩) إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٩٠)﴾ [آل عمرن: ٨٦ - ٩٠]. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠)﴾ [آل عمران:١٠٠]. وقال: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط؟ ابن رجب الحنبلي ٢/٣٤١

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى؟ ابن رجب الحنبلي ص/١٢٩

(١٣٧)﴾ [النساء: ١٣٧]. وقال: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (١٠٨) لا جرم﴾ يقول: حقا ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ إلى قوله: ﴿ثم إن ربك﴾ ﴿من بعدها لغفور رحيم﴾ [النحل: ١٠٦ - ١١٠] ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن." (١)

"ثم ساق البخاري آيات مناسبة للتبويب، فقال: وقال الله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله: ﴿وأولئك هم الضالون﴾، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠)﴾، وقال: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا﴾ الآية، وقال: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله﴾ ، إلي قوله: ﴿لغفور رحيم﴾، ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم﴾ إلي ﴿خالدون﴾.

ثم ساق حديث عكرمة قال: أتي علي - رضي الله عنه - بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تعذبوا بعذاب الله" ولقتلتهم؛ لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من بدل دينه فاقتلوه".

وحديث أبي موسي قال: أقبلت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعي رجلان من الأشعريين إلى أن قال: "اذهب أنت يا أبا موسى -أو يا عبد الله بن قيس- إلى اليمن". ثم اتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقي له وسادة قال: انزل. فإذا عنده رجل موثق. قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديا فأسلم ثم تهود. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتي يقتل، قضاء الله ورسوله. ثلاث مرات، فأمر به فقتل.

وحديث عكرمة عن مولاه، وسلف في الجهاد، وهو من أفراده.

وأخرجه الإسماعيلي بلفظ: إن عليا أتي بقوم قد ارتدوا عن الإسلام -أو قال: زنادقة- ومعهم كتب لهم، فأمر بنار فأججت وألقاهم فيها.." (٢)

"وقوله: (لأنها صفة الرحمن) أي: لأن فيها أسماءه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته.

وقوله: ("أخبروه أن الله يحبه") أي: يريد ثوابه؛ لأنه تعالى لا يوصف بالمحبة الموصوفة فيها؛ لأنه يتقدس (عن) (١) أن يميل أو يمال إليه، وليس بذي جنس أو طبع فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسية والطبعية، فمعنى محبته للخلق: إرادته ثوابهم، وقيل: المحبة راجعة إلي نفس الإنابة والتنعيم لا لإرادة، ومعنى محبة المخلوقين له إرادتهم أن ينفعهم (٢).

---

(١) من (ص١).

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح؟ ابن الملقن ٥٠٧/٣١

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح؟ ابن الملقن ٥١١/٣١

(٢) بل هي محبة حقيقية تليق بجلاله، وما ذكره المؤلف هنا في محبة الله تعالى هو ما عليه مذهب الأشاعرة؛ حيث ينفون هذه الصفة، وغيرها من الصفات، عن الله تعالى ويعطلونها، ويفسرونها إذا وردت في القرآن والسنة بلوازمها ومقتضياتها، من إرادة الثواب للعبد والعفو عنه والإنعام عليه كما فعل المؤلف، فينفون حقيقة صفة الله، ويحرفونها ويؤولونها، بدعوى أنها توهم النقص في الذات العلية؛ لأن المحبة عندهم، هي: ميل القلب إلا ما يلائم الطبع، وهذا من صفات المخلوق، والله منزه عن ذلك الأمر الذي دعاهم إلى تأويل صفة المحبة، وحملها على الإرادة كما فعل المؤلف. والذي أوقع الأشاعرة في هذا الخطأ العقدي، هو قياسهم صفات الخالق على صفات المخلوق. ومن قواعد منهج السلف الصالح: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذات الحق لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك صفاته ومن قواعدهم: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، فيثبت السلف جميع صفات الله، ويمرونها كما جاءت بما يليق بذاته العلية، ولا يؤولونها، ومنها: صفة المحبة. ويثبتون كذلك لوازمها من إرادة الله إكرام من يحبه وإثباته، فالله تعالى يحب، ويحب لذاته، وليس فقط لثوابه، كما قال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

وتأويل الأشاعرة لصفة المحبة بالإرادة، إنما هو تحريف لحقيقة الصفة، وصرف لها عن وجهها الصحيح، ويقال لهم: إن المعنى الذي صرفتم اللفظ إليه، هو نفس =." (١)

"وذلك من مقتضى البلاغة عند علماء البيان، حيث يختلف الحالان، ويفترق المقامان.

ومن ثم مدح الله تعالى المؤمنين بالعزة والذلة في آية واحدة (١)، وقرن الوعد بالوعيد، وأنزل الكتاب والحديد، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- نبي المرحمة والملحمة (٢)، وقال الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

ولا شك أن صفة اللطف والرفق والرحمة هي الغالبة القوية في الكتب السماوية، والأحوال النبوية، ومن ثم تمدح الله تعالى بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما، وبأن رحمة الله سبحانه وسعت كل شيء، وليس في وعده لأهل الصلاح بكتابتها؛ التي هي بمعنى إيجابها لهم ما ينفي سعتها لغيرهم، بل هي لهم واجبة، ولغيرهم واسعة، وليس بين أول الآية وآخرها معارضة، ولم يرد مثل ذلك في الغضب ولا قريب منه، وصح عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: "إن الله تعالى كتب كتابا

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

(٢) كما ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم (٢٣٥٥) وأحمد ٤/ ٣٩٥

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح؟ ابن الملقن ١٨٥/٣٣

و٤٠٤ و٤٠٧، والطبراني في " الصغير " ١/ ٨٠ ومن حديث حذيفة عند أحمد ٥/ ٤٠٥، والترمذي في " الشمائل " (٣٦٠)، والبغوي في " شرح السنة " (٣٦٣١) وانظر " مجمع الزوائد " ٨/ ٢٨٤.." (١)

"الملك﴾ و ﴿بيدك الخير﴾، ولو قال: لما خلقت بيدي بصيغة -الإفراد- لكان مفارقا له، فكيف إذا قال: ﴿خلقت بيدي﴾ بصيغة التثنية، هذا مع دلالة الأحاديث المستفيضة بل المتواترة، وإجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله: " المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " (١)، وأمثال ذلك.

وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، فالظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة، وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهره مراد، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه مثل علمنا، وقدرته كقدرتنا.

وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة (٢)، قادر حقيقة لم يكن مرادهم (٣) إنه مثل المخلوق الذي هو حي عالم قادر.

فكذلك إذا قالوا: في قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤] أنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق (٤)، ولا حبا كحبه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧)، والنسائي ٨/ ٢٢١ - ٢٢٢، وأحمد ٢/ ١٥٩ و١٦٠ و٢٠٣، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٣٢٤، والبغوي (٢٤٧٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) قوله: " عالم حقيقة " ساقط من (ش).

(٣) في (ب) و (د): مراد.

(٤) في (ش): المخلوقين.." (٢)

"وقال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأوضح منهما قوله تعالى: ﴿كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾ [النساء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة﴾ [الحجرات: ٧ - ٨].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٧٢/١

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ١٤٣/٤

وحكى الله عن ذي القرنين أنه قال: ﴿هذا رحمة من ربي﴾ [الكهف: ٩٨] يعني ما صنعه الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩].

ويوضحه من النظر أن المحسن بالسبب محسن بالمسبب، خصوصا مع قصد الإحسان بهما.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يحكي عن الله عز وجل: " إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم بها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه ".

أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه (١).

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩.." (١)

"الوجه الثالث: وهو التحقيق أن الدلالات تنقسم إلى دلالة مطابقة، وهي اللغوية، ودلالة تضمن ودلالة التزام (١)، وهما عقليتان، فدلالة الإسلام على الإيمان دلالة تضمن أو التزام، لأنه إما بعضه كالرأس من الإنسان، أو شرطه كالوضوء والنية من الصلاة، فمن ابتغاه، فقد ابتغى أساس الإسلام والدين الذي ينبني عليه، أو رأس الإسلام والدين، فهو مقبول، ولم يصدق عليه أنه ابتغى غير الإسلام دينا، لأن الدين في دلالة المطابقة اللغوية هو المجموع لا البعض، ومعنى الآية: من ابتغى دينا غير الإسلام كاليهودية والنصرانية والمجوسية، لا من ابتغى فريضة من فرائض الإسلام تقربا إلى الله.

والذي غرهم أنهم لم يفهموا لقوله دينا ثمرة، بل جعلوا وجوده كعدمه، وهذا لا يكون في كلام البلغاء، كيف كلام رب العالمين وأحكم الحاكمين.

ونظير هذا قولنا: من ابتغى غير العلماء قدوة، أو غير الثقات راويا، فقد ضل، فإنه لا يلزم الضلال من ابتغاء غير العلماء والثقات خادما أو زوجة أو بغلا أو حمارا، فكذلك من ابتغى غير الإسلام مسجدا، أو وردا، أو ذكرا، أو خشوعا، أو تصديقا، لم يلزم ألا يقبل منه، وإن لم يكن شيء من ذلك وحده يسمى دينا كاملا وإسلاما تاما.

فهذه الوجوه كلها على تقدير تسليم المقدمات كلها إلا الأخيرة، وهي أن الإسلام هو الإيمان، ويكمن النزاع في المقدمة الأولى، وهي قولهم: إن الدين هو مجموع العبادات، فإن ذلك ممنوع، ودليل المنع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]. وقد أجمعت الأمة على أن من ترك بعض العبادات غير مستحل لذلك، فليس بمرتد.

إذا تقرر هذا، فيحتمل أن للدين كمالا، وهو المجموع، وأن يكون أقله هو الذي حكم بردة من تركه، ولئن سلمنا أن الدين هو مجموع تلك الأمور (٢)، لكن

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٧/٢٩٤

(١) في (ف): " إلزام ".

(٢) " تلك الأمور " ساقطة من (ف).." (١)

"وقد قال الزمخشري بذلك مجازا في تفسيره ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ ولم يكفر بذلك وكذلك قال بعض الاشعرية أن الله تعالى يحب المعاصي مجازا ولم يكفروه بذلك ولو قالوه حقيقة كفروا فدل على أن الايمان المجازي في موضع الحقائق كلا شيء فكما لم يضره من آمن بالامر بالقبائح مجازا فكذلك لا ينفع من آمن بالرحمن الرحيم الحكيم مجازا لأنهم بمنزلة الزمخشري في إيمانه بأمر الله بالفسق مجازا مع نفيه لذلك أشد النفي واعتقاده أنه كالعدم يوضحه أنه لا شك ولا خلاف في كفر من آمن بالنبوات مجازا ونفاها حقيقة فأسماء الله الحسنى المعلوم تمدحه بها في جميع كتبه أجل وأعظم من جنته وناره وأنبيائه فلا يكفي الايمان بشيء منها مجازا إلا أن يصح في ذلك اجماع قاطع وبرهان الله أقطع في بعض المواضع يؤمن معه من الوقوع في البدعة والفرقة المنهي عنهما بالنصوص والاجماع وكذلك يقول بعضهم لبعض فيما اختلفوا فيه كما يقول لهم الباطني

وكذلك محبة الله تعالى لأنبيائه وأوليائه التي هي أعظم فضل الله العظيم عليهم وأشرف ما يرجونه من مواهبه العظام وقد نص الله تعالى على ذلك في غير آية من كتابه الكريم كقوله تعالى ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وقوله تعالى ﴿والله يحب الصابرين﴾ وكذلك كون الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وأكبر من ذلك أن الله تعالى اتخذ ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم خليلا بالنص القرآني واتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا بالنص النبوي والخلة في اللغة العربية أرفع مراتب المحبة ولم تزل هذه النصوص مقررة مجللة معتقدة مع تنزيه الله تعالى من نقائصها مثل تنزيهه من نقائص علم المخلوقين وارادتهم في العليم المريد وغيرهما حتى فشت البدعة واجتمعت كلمة المعتزلة والأشعرية على تقبيح نسبة الرحمة والحلم والمحبة والخلة إلى الله تعالى إلا بتأويل موجب لنفي هذه الأشياء عن الله بغير قرينة وموجب تحريم اطلاقها إلا مع القرينة فيجوز عندهم أن تقول إن الله غير رحيم ولا رحمن ولا حليم ولا يحب المؤمنين ولا الصابرين ولا المتطهرين." (٢)

"ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير أو لا يغلبه شيء، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من إيصال الرحمة، والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه، وربما يفرق بينهما بأن المكلف يأمن العقوبة في صفة الحليم دون صفة الصبور. وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها: القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع إلى القدرة ومنها ما يرجع إلى العلم ولا يحيطون بشيء من علمه [البقرة: ٢٥٥] عالم الغيب والشهادة [التغابن: ١٨] وهو بكل شيء عليم [البقرة: ٢٩] علام الغيوب [المائدة: ١٠٩] الله أعلم حيث يجعل رسالته [الأنعام: ١٢٤] علم الله أنكم كنتم تختانون [البقرة: ١٨٧] والله يعلم ما تسرون وما تعلنون [النحل: ١٩] وعلم آدم الأسماء [البقرة: ٣١] ولم يرد علامة وإن كان يفيد المبالغة لأن ذلك بتأويل أمة أو جماعة. والخبير يقرب من العليم وكذا الشهيد إذا فسر بكونه مشاهدا لها، وإذ أخذ من الشهادة كان من وصف الكلام. والحكمة تشارك العلم من

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم؟ ابن الوزير ٢٨٩/٩

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات؟ ابن الوزير ص/١٢٩

حيث إنه إدراك حقائق الأشياء كما هي وتباينه بأنها أيضا صدور الأشياء عنه كما ينبغي.

واللطيف قد يراد به إيصال المنافع إلى الغير بطرق خفية عجيبة، والتحقيق أنه الذي ينفذ تصرفه في جميع الأشياء. ومنها ما يرجع إلى الكلام وكلم الله موسى تكليما [النساء: ١٦٤] وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا [الشورى: ٥١] وإذ قال ربك [البقرة: ٣٠] ما يبدل القول لدي [ق: ٣٠] ومن أصدق من الله قيلا [النساء: ١٢٢] إنما أمره [يس: ٨١] إن الله يأمركم [النساء: ٥٨] وعد الله حقا [النساء: ١٢٢] فأوحى إلى عبده ما أوحى [النجم: ٩] وكان الله شاكرا عليما [النساء: ١٤٧] كان سعيكم مشكورا [الدهر: ٢٢] وذلك أنه أثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون [الذاريات: ١٨، ١٩] وهذا صورة الشكر. ومنها ما يرجع إلى الإرادات يريد الله بكم اليسر [البقرة: ١٨٥] رضي الله عنهم أي صار مريدا لأفعالهم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] والله يحب المطهرين [التوبة: ١٠٨] يريد إيصال الخير إليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها [الإسراء: ٣٨] . الأشعرية: الكراهية عبارة عن إرادة عدم الفعل. المعتزلة: له صفة أخرى غير الإرادة. ومنها ما يرجع إلى السمع والبصر إنني معكما أسمع وأرى [طه: ٤٦] إنه هو السميع البصير [الإسراء: ١] لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [الأنعام: ١٠٣] وأما الصفات الإضافية مع السلبية فكالأول لأنه مركب من معنيين: أحدهما أنه سابق على غيره، والثاني لا يسبق عليه غيرهن وكالآخر فإنه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعد غيرهن، وكالقيوم فإنه." (١)

"أي أبحت لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لأنك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فأعطني هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها لي وأنا خلقتها، فإن طمعت فيها أيضا فاعلم أن الإنسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم حرصه «هل من مزيد» ولا تمتلىء حتى يضع الجبار فيها قدمه أي سابقة رحمته وعنايته «سبقت رحمتي غضبي» «١» .

ثم إنه أبيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقيل لهما اقتنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على أنفسكما، ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على رأسكما، ولا تقربا شجرة المحبة وقد غرست لأجله في الحقيقة **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] . ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال. وأيضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة أنواع المرادات النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فإن الإنسن حريص على ما منع وأيضا إنه تعالى وسع أسباب الانبساط أولا ثم ضيق عليه الأمر آخرا.

وأدنيتني حتى إذا ما فتنتني ... بقول يحل العصم سهل الأباطح.

تجافيت عني حين لالي حيلة ... وغادرت ما غادرت بين الجوانح.

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه، وأنبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض. أيضا كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٧١/١

من الظالمين وهذا كما أسكر موسى بأقداح الكلام وأذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق إلى جماله وطمع في وصاله وقال رب أرني [الأعراف: ١٤٣] عاتبه بسطوة لن تراني [الأعراف: ١٤٣] وذلك أن البلاء والولاء توأمان والمحبة والمحنة رضيعا لبان، والمطلوب كلما كان أرفع كان أعز وأمنع والجمال لا بد له من الدلال، وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المختال. فلما ذاقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لأهل الغرام ودار السلام؟ وأين الفارغ السالي من المحب الغالي؟

فبتنا على رغم الحسود وبيننا ... حديث كطيب المسك شيب به الخمر.

فلما أضاء الصبح فرق بيننا ... وأي نعيم لا يكدره الدهر؟.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥، ٢٢. مسلم في كتاب التوبة حديث ١٤- ١٦. الترمذي في كتاب الدعوات باب ٩٩. ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٣. أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٢، ٢٥٨) .." (١)

"فخامة لشأن صاحبه حيث جعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه. وأكثر الأمة على أن القرآن إنما نزل على محمد لا على قلبه، لكن خص القلب بالذكر لأن السبب في تمكنه صلى الله عليه وسلم من الأداء ثباته في قلبه، فمعنى على قلبك حفظه إياك وفهمه. وقيل: أي جعل قلبك متصفا بأخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما

في حديث عائشة «كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن»

وكان حق الكلام أن يقال على قلبي إلا أنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الأنبياء فيما يرجع إلى المبادئ والغايات دون الأوساط التي يتطرق إليها الاختلاف بتبدل الأزمان والأوقات. ومعنى قوله هدى وبشرى أن القرآن يشتمل على أمرين. أحدهما بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأفعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى، وثانيهما بيان أن الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى، والأول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر أيضا. ولا ريب أن البشرى تختص بالمؤمنين، وأما الهدى فلأنهم هم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين. ولما بين في الآية المتقدمة أن من كان عدوا لجبريل لأجل أنه نزل القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوا لله تعالى، بين في الآية التالية أن من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فإن الله يعاديهم وينتقم منهم. والعداوة بالحقيقة لا تصح إلا فينا لأن العدو للغير هو الذي يريد إنزال المضار به، وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي. فمعنى قوله من كان عدوا لله أي لأولياء الله كقوله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله [المائدة: ٣٣] إن الذين يؤذون الله ورسوله [الأحزاب: ٥٧] . أو يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه، لأن العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لأمره. قال أهل التحقيق: عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره إليهم في الأزل بالقهر

«هؤلاء في النار ولا أبالي»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٦٨/١

كما أن محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله إياهم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] وذلك أن صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة، والأولى علة الثانية. وأفرد الملكان بالذكر دلالة على فضلها كأنهما من جنس آخر، فإن التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات، ولأن الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن أن ينص على اسميهما. وتقديم جبريل في الذكر يدل على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا أن جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الأرواح، وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الأبدان. والواو في جبريل وميكائيل بمعنى «أو» لأن عداوة أحد هؤلاء توجب عداوة الله كما أن عداوة كلهم توجب ذلك، ويحتمل أن يكون الواو على الأصل ويعرف ما ذكرنا من." (١)

"التفسير:

أنه سبحانه وتعالى لما قرر للتوحيد الدلائل الباهرة عقبها تقبيح ما يضاده «فبضدها تتبين الأشياء» والند المثل المناد كما سلف. والمراد بالأنداد هاهنا هي الأصنام التي اعتقد المشركون أنها تقربهم إلى الله زلفى، ونذروا لها النذور وقربوا لأجلها القرابين، وقيل: يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما أحل. عن السدى: واستدل على تفسيره بأن قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولأنه من المستبعد أن تكون محبتهم لها كمحبتهم لله تعالى مع علمهم بأنها لا تضر ولا تنفع ولقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق إلا بمن اتخذ العقلاء أندادا وأمثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى. ويمكن تزييف الحجج بأن ضمير العقلاء جاز عوده إلى الأصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق. قال تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم [فاطر: ١٤] . وأيضا علمهم بأنها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا بذلك ما أشركوا وأيضا التبري لا يمتنع من الأصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم [فاطر: ١٤] وقال أهل العرفان: كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه [الجاثية:

٢٣] يحبونهم يحبون عبادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم، أو يعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من إضافة المصدر إلى المفعول أي كما يحب الله على أنه مصدر من المبني المفعول. وإنما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لأنه غير ملتبس. وقيل: كالحب اللازم عليهم لله وقيل: كحبهم الله أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على أنهم كانوا مقرين بالله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين [العنكبوت: ٦٥] والذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره في السراء ولا في الضراء، ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره، أو يأكلونه كما أكلت باهلة آلهتها من حيس وهو الأقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر:

أكلت حنيفة ربها ... زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والتباعة

واعلم أن إطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القرآن والحديث كما في هذه الآية وكقوله **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤]

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ١/٣٤٣

ويروى أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت. وقد جاء لقبض روحه- هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله إليه: هل رأيت." (١)

"الإجبار، فإن الدين هو الاستسلام لأوامر الشرع ظاهرا والتسليم لأحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن.

ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الأصنام، وطاغوت الخواص هو النفس، وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله. وإيمان العوام إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وإيمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى. وشهود القلب مع المولى. وإيمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله، وإنابة القلب إلى الفناء في الله، وإخلاء السر للبقاء بالله، وهذا هو السكر الموجب للشكر. ولهذا قال موسى بعد إفاقته عن سكر سطوات شراب التجلي تبت إليك [الأحقاف: ١٥] أي عن هذه الإفاقة، فكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالإيمان العياني وشريكا مع القوم بالإيمان البياني كما البياني كما قيل:

لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شيء هالك إلا وجهه [القصص: ٨٨] ولا تكون أيضا من بطشك وإلا كانت منفصمة، بل تكون من بطشه إن بطش ربك لشديد [البروج: ١٢] ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الإيمان فهي للعوام توفيق الطاعة، وللخواص مزيد العناية بالمحبة **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] ولخواص الخواص الجذبة الإلهية التي تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا

قال صلى الله عليه وسلم «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين»

وأعمالهما فانية من عالم الحدوث، وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام، فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين.

ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية، والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية إلى نور الروحانية والربانية، وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء إلى نور الشهود والبقاء. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت: ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان، والأولياء بلفظ الجمع، ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أي هم أولياء الطاغوت كقوله أندادا يحبونهم كحب الله [البقرة: ١٦٥] فإن الطاغوت لو فسر بالأصنام فهي بمعزل عن الولاية وإن فسر بالشيطان أو النفس فهم الأعداء لا الأولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة إلى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية." (٢)

"ترك الزيادات كما

قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» «١»

وذروا ما بقي من الربا تركوا ما سوى الله في طلبه إن كنتم مؤمنين إيمانا حقيقيا. فإن لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم فأذنوا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٦١/١

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٠/٢

بحرب من الله ورسوله ببعد منهما وبغض. وإن تبتم تركتم غيره فلكم رؤس أموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة **يحبهم ويحبونه** لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها. وإن كان ذو عسرة لم يصل إليه ما أعد لأجله عاجلا فنظرة إلى ميسرة وهو وقت وصوله إليه آجلا وأن تصدقوا تبذلوا فينا ما تتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لأنا نجازيكم على قدر مواهبنا إن كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه

«من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» «٢»

ثم إنه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة أي القرآن فقال: واتقوا يوما الآية. وذلك أن فائدة جميع الكتب راجعة إلى معنيين: النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة: الكفر والشرك والجهل والمعاصي والأخلاق المذمومة وحجب الأوصاف وحجاب النفس. والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية: المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والأخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن أنانيته والبقاء بهويته. فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الإنساني من هذه المعاني، لأن حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك إليه، فتقوى العام الخروج بسبب الإقامة بشرائط جاهدوا فينا [العنكبوت: ٦٩] عن الكفر بالمعرفة، وعن الشرك بالتوحيد، وعن الجهل بالعلم، وعن المعاصي بالطاعات، وعن الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة. ثم من هاهنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا [العنكبوت: ٦٩] من حجب أوصافهم إلى درجة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى [النجم: ١٥] فينتفعون بمواهب إذ يغشى السدرة ما يغشى [النجم: ١٦] ثم من هاهنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى [النجم: ١٧] من سدرة المنتهى الأوصاف إلى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبدية أنوار القدس. وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه إلى الله. لأن مبدأ وجودك النفخة، وآخر حالك الجذبة، وبها

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ١١. ابن ماجه في كتاب الفتن باب ١٢. الموطأ في كتاب حسن الخلق حديث ٣.

(٢) رواه الترمذي في كتاب ثواب القرآن باب ٢٥. الدارمي في كتاب فضائل القرآن باب ٦.." (١)

"يتغير بتغير الإحسان وهو لمتابعي الأعمال الذين يطمعون في الأجر على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

والثانية محبة الخواص المتبعين للأخلاق الذين يحبونه إعظاما وإجلالا له، ولأنه أهل لذلك كما قالت رابعة:

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاكا

ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة إلى إيثار الحق على غيره، وهذا الحب يبقى على الأبد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٧١/٢

سأعبد الله لا أرجو مثوبته ... لكن تعبد إعظام وإجلال

والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للأحوال وهي الناشئة من الجذبة الإلهية في مكان من

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»

وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية،

غذينا بالمحبة يوم قالت ... له الدنيا أتينا طائعينا

وحقيقة هذه المحبة أن يفنى المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما أن النار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو. وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقي ولا تذر.

وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة وغيرها فإنها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين، حتى الوجود فإنه وإن عم الخالق والمخلوق إلا أن وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به، فليس في الكون إلا الله وأفعاله. قرأ القارئ بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير رحمه الله قوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] فقال: بحق يحبهم لأنه لا يحب إلا نفسه فليس في الوجود إلا هو، وما سواه فهو من صنعه. والصانع إذا مدح صنعه فقد مدح نفسه. والغرض أن محبة الله للخلق عائدة إليه حقيقة إلا أنه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها، مع أنها صدرت عن محل واحد هو محل

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف»

فما تعلقت إلا بأهل المعرفة وذلك

قوله: «فخلقت الخلق لأعرف»

لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الأعمال فقيل لهم فاتبعوني بالأعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف." (١)

"نزاهة فراشه فقال: ومن لم يستطع أي من لم يقدر أن يسخر عجوز الدنيا الصالحة بأسرها ويجعلها منكوحة له ويحصنها بتصرف شرائع الإسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما، فليتصرف في القدر الذي ملكت يمين قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه لأنها مأمورة بخدمته وهي مؤمنة له بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى: «يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك» . محصنات بالصدق والإخلاص غير مسافحات بالتبذير والإسراف ولا متخذات أخدان من النفس والهوى فإذا أحصن بالإخلاص في العطاء والمنع والأخذ والدفع فإن أتين بفاحشة هي غلبات شهواتها على القلب فليبذل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا في الله جناية وغرامة فهو حدها كما أن حد عجوز الدنيا إذا أحصنها ذوو الطول من الرجال فأتت بفاحشة إهلاكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلاة وأتت بفاحشة حب الخيل فطفق مسبحا بالسوق والأعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الأوامر والنواهي وأن

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ١٤٦/٢

تصبروا عن التصرف في الدنيا بالكلية خير لكم كما
قال صلى الله عليه وسلم: «يا طالب الدنيا لتبر فتركها خير وأبر» .
يريد الله أن يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المئونة.
قال إبراهيم: إني ذاهب إلى ربي [الصافات: ٩٩] وأخبر عن حال موسى بقوله: ولما جاء موسى لميقاتنا [الأعراف: ١٤٣]
وعن حال نبينا بقوله: سبحان الذي أسرى بعبده [الإسراء: ١] وعن حال هذه الأمة بقوله: سنريهم آياتنا [فصلت: ٥٣]
والمعونة هي الجذبة التي توازي عمل الثقلين، فلا جرم كان لغير نبينا الوصول إلى السموات فقط، وكان لنبينا الوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، ولأمته التقرب:
«لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» «١»
. والفرق بين النبي والولي، أن النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير إلا في متابعة النبي وتسليكه. وخلق الإنسان ضعيفا ولهذا أعين بالخدمة حتى يتصل بقوة ذلك إلى مقام لا يصل إليه الثقلان بسعيهم إلى الأبد، وضعفه بالنسبة إلى جلال الله وكماله وإلا فهو أقوى في حمل الأمانة من سائر المخلوقات. وأيضا من ضعفه أنه لا يصبر عن الله لحظة فإنه **يحبهم ويحبونه.**
الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمد
وكان أبو الحسن الخرقاني يقول: لو لم ألق نفسا لم أبق. وغير الإنسان يصبر عن الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٨. أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦) .." (١)

"بما فيه كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو مما لم يصر منسوخا بالقرآن. ومن قرأ بالنصب فلأنه علة فعل محذوف يدل عليه ما تقدمه أي ولأجل حكمهم بما فيه آتيناهم كتابهم، وعلى هذا يجوز أن يكون هدى وموعظة أيضا غرضين معطوفين للحكم والله أعلم.
أما قوله: الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه خلاف. قال القفال: هو كقولك من أطاع الله فهو المؤمن من أطاع الله فهو المتقي، لأن كل ذلك أوصاف مختلفة حاصلة لموصوف واحد، فهذه كلها نزلت في الكفار. وقال آخرون: الأول في الجاحد، والثاني والثالث في المقر التارك. وقال الأصم: الأول والثاني في اليهود، والثالث في النصارى.

التأويل:
سماعون لكذبات الشيطان في وساوسه والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يسنون السنة السيئة لغيرهم يحرفون يغيرون قوانين الشريعة بتمويهات الطبيعة وهذه حال مؤولي القرآن والأحاديث على وفق أهوائهم سماعون للكذب أكالون للسحت لأن الأخلاق الردية أورثتهم الأعمال الدنية. فالأخلاق نتائج الأعمال والأعمال نتائج الأخلاق وكلها من نتائج الاستعداد الفطري فإن جاؤك فاحكم بينهم مداويا لدائهم إن رأيت التداوي سببا لشفائهم أو أعرض عنهم إن تيقنت إعواز الشفاء

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٠١/٢

لشقائهم وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط داوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله الفرق بين بني إسرائيل وبين هذه الأمة أنهم استحفظوا التوراة فضيعوها وحرفوها، وقال في حقنا: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [الحجر: ٩] وكتبنا عليهم كما أن في إهلاك النفس هلاك نفس المهلك ففي إحياء نفس الطالب بحياة الدين حياة نفس محييها، وفي معالجة عين قلبه وأنف قلبه وأذن قلبه وسن قلبه معالجة هذه الأعضاء بمزيد الإدراك.

فمن تصدق بهذا الإحياء فهو كفارة له فيما فرط من إحياء نفسه ومعالجة قلبه طرفة عين. ومن لم يحكم على نفسه بما أنزل الله في تزكيتها وتحليتها فأولئك الذين ظلموا أنفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله أعلم.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٤٨ الى ٥٨]

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩) أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢)

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧)

وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)." (١)

"من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص، أو يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم: وإن قوتلتم لننصرنكم [الحشر: ١١] وقوله:

جهد أيمانهم أي بأغلاظ الأيمان نصب على الحال أي يجتهدون جهد أيمانهم أو على المصدر من غير لفظه. حبطت أعمالهم من قول الله تعالى أو من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء. وفيه معنى التعجب أي ما أحبط

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٩٨/٢

أعمالهم فما أخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه أي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم أن الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه. وقال الحسن: علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فأخبرهم أنه سبحانه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** فتكون الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا.

روي في الكشاف أن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة، ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي، بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول. وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك. فأجاب صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام. أراد في جاهليتي وإسلامي.

وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه.

وسبع في عهد أبي بكر: فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم أبو بكر وكفى الله أمرهم على يديه. وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد أن كان أسلم على يد عمر فرأى رجلا جارا رداءه فلطمه فتظلم الرجل إلى عمر فقضى بالقصاص عليه. فقال: أنا أشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظره فأنظره عمر فهرب إلى." (١)

"والجهل. قال بعض الحكماء: أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام.

التأويل:

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي بالحقيقة لأنه أنزل على قلبه وأنزل سائر الكتب في الألواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن. وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب وأسرارها بخلاف ما أنزل في الألواح فإن الألواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها. لكل جعلنا منكم معاشر

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٦٠٣/٢

الأنبياء شرعة يشرع فيها بالبيان ومنهاجا يسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم أيها الأمم في ما آتاكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان، فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان، ويستفيد العاملون بالبرهان، ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى، ويسلك المشتاقون بنفي المنى، ويجذب العارفون بترك الورى، ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات إلى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق أو اضطرارا بحلول الأجل فإن تولوا عن قبول الحق فاعلم بمطالعة القضاء أنما يريد الله في حكم القدر أن يصيبهم مصيبة الإعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعتراض، فإن الحق سبحانه يلزم بشرط التكاليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف. فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجدوا العبرة بالإيجاد لا بالإيجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية أفحكم الجاهلية يبغون أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت براهين اليقين وانهتكت أستار الريب واستنار القلب بأنوار الغيب يسارعون فيهم لأن شبيه الشيء منجذب إليه أن يأتي بالفتح فتح عيون القلوب أو أمر من عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين آمنوا بأنوار الغيوب في أستار القلوب فأصبحوا خاسرين بإبطال الاستعداد الفطري. بقوم **يحبهم ويحبونه** هم أرباب السلوك أفناهم عنهم بسطوات يحبهم ثم أبقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه، فإن محبة الله للعبد إفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية، ومحبة العبد لله إبقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية. والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية، فلعله فهم غير ما فهمنا. ثم قال إنه تعالى يحب العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة المخصوصة بالغاية، والعبد يحب الله بذات تلك الصفة أبدا أذلة على المؤمنين لارتفاع الأنانية أعزة على الكافرين ببقاء اللاهوتية وإثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في." (١)

"كقوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لأجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لأجل هذه الشجرة، وإن منعه منها كان تحريضا له على تناولها فإن الإنسان حريص على ما منع. ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده إلا أن تكونا ملكين أي من أهل السلو كملكين في زوايا الجنة أو تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما إبليس في كأس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا في لجة المحنة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوآتهما أي سوآت نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الأحبة في البداية وطفقا لاشتعال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما، فلما التهبت احترقت بلظى نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين بالفرقة.

فبينما نحن في لهو وفي طرب ... بدا سحاب فراق صوبه هطل

وإن من كنت مشغوفا بطلعته ... مضى وأقفر منه الرسم والطلل

فالصبر مرتحل والوجد متصل ... والدمع منهمل والقلب مشتعل

وناداهما ربهما نداء العزة والكبرياء ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فإنها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب إن الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٦٠٨/٢

واخجلتا من وقوفي باب دارهم ... لو قيل لي مغضبا من أنت يا رجل

فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية ولوث العجب والأنانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لديه وعلما أن لا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا بأن أوقعناها في شبكة المحبة لا المحبة تبقينا بالوصال ولا المحنة تفنينا بالزوال وإن لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا بتجلي الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى. فأمرا بالصبر على الهجر وقيل: اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح، والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والرفع في أرض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول إلى الحقيقة إلى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب، ارجعي من الهبوط وارفعي بعد السقوط.

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا." (١)

"أوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم خلافي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح العقيم أو قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل «ببعيدة» حملا على لفظ القوم لأنه مؤنث، ولا «ببعيدين» حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف أي وما إهلاكهم ببعيد لأنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدهم. أو المراد وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد. وجوزوا أن بسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما. إن ربي رحيم ودود يجوز أن يكون بمعنى «فاعل» أو «مفعول» كقوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة، وتنبيه على أن سبق الكفر والمعصية لا ينبغي أن يمنعهم عن الإيمان والطاعة. ولما بالغ خطيب الأنبياء في التقرير والبيان قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول إما لقلة الرغبة أو قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبا بحديثه: ما أدري ما تقول.

كأنهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه. وقيل: لأنه كان ألثغ وإنا لنراك فينا ضعيفا عن الحسن: مهينا أي لا عزة لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها. وفسر بعضهم الضعيف بالأعمى لأن العمى سبب الضعف، أو لأنه لغة حمير. وزيف هذا القول أما عند من جوز العمى على الأنبياء فلأن لفظة فينا يأباه لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم، وأما عند من لا يجوزه- كبعض المعتزلة- فلأن الأعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وأنه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا، فلأن يمنع من النبوة كان أولى. ثم ذكروا أنهم إنما لم يريدوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لأجل رهطه- والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة- والرجم شر القتل وهو الرمي بالحجارة، أو المراد الطرد والإبعاد ومنه الشيطان الرجيم. ثم أكدوا المذكور بقولهم وما أنت علينا بعزيز وإنما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لأنهم من أهل ديننا، فالكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب، وإنما لم يقل أعز عليكم مني إيذانا بأن التهاون بنبي الله كالتهاون بالله كقوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله [النساء: ٨٠] واتخذتموه أي أمر الله أو ما جئت به وراءكم ظهريا منسوب إلى الظهر والكسر من

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٣/٢١٩

تغييرات النسب أي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت إليه. ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد في حقهم قال: إن ربي بما تعملون محيط. ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله: اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله في «الأنعام» . قال في." (١)

"دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه إشارة إلى أن للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما أن للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال تعالى: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] والله عليم بحكمة البشارتين وبما يعملون من شرائه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في أيام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم ما عرفوا قدره وإنما ميلهم إلى استجلاب المنافع الردية العاجلة والله أعلم.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٢١ الى ٣٥]

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢١) ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (٢٢) وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٣) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤) واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥)

قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٧) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (٢٩) وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين (٣٠)

فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (٣١) قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين (٣٢) قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين (٣٣) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم (٣٤) ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (٣٥)

القراآت:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٤/٤٦

هيت لك بضم التاء وفتح الهاء: ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء: أبو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن بالهمز، الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء، النجاري عن هشام. الباقون هيت لك بفتحتين." (١)

"ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم فمشوا على الماء.

وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الأولياء ومن أرادها فليطالعها.

وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد وحبيب الرب لقوله **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه إلى حيث يفعل كل ما أمره الله. فأي بعد في أن يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد. وأيضا لو امتنع إظهار الكرامة فذلك إما لأجل أن الله تعالى ليس أهلا له فذلك قدح في قدرته، وإما لأن المؤمن ليس أهلا له وهو بعيد لأن معرفة الله والتوفيق على طاعته أشرف العطايا وأجزلها، وإذا لم يبخل الفياض بالأشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى ومن هنا قالت الحكماء: إن النفس إذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم السفلي كما تتصرف في جسده. قلت: وذلك أن النفس نور ولا يزال يتزايد نوريته وإشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الأنوار الإلهية عليه حتى ينبسط ويقوى على إنارة غيره والتصرف فيه، والوصول إلى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية. حجة المنكرين للكرامات أن ظهور الخوارق دليل على النبوة، فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة. وأجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بأن المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية. وأيضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها. والولي إذا ادعى الكرامة لا يقطع بها، وأيضا أنه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة. جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية، وأما من لا يجوز ذلك من حيث إن النبي مأمور بالإظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن إظهاره يوجب طلب الإشهار والفخر المنهي عنهما، فإنه يفرق بينهما بأن المعجز مسبوق بدعوى النبوة، والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوى قالوا: قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه: «لن يتقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم» «١» .

لكن المتقرب إلى الله بأداء الفرائض لا يحصل له شيء من الكرامات، فالمتقرب إليه بأداء النوافل أولى بأن لا يحصل له ذلك. وأجيب بأن الكلام في المتقرب إليه بأداء الفرائض والنوافل جميعا. قالوا: قال تعالى: وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس [النحل: ٧]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٨.." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٧٤/٤

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٤١٨/٤

"مواشينا من الأوصاف والأخلاق من أفضلة مواشيهم في حوض القوى وأبونا وهو شعيب الروح لا يقدر على سقيه من الأوصاف الإنسانية إلا بالأجر والوسائط، وإنا لا نطيق أن نسقي لضعف حالنا، فسقي موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لأنه متوسط بين العالمين ولهذا سمي قلبا ثم تولى إلى الظل إلى العناية فطلب الفيض الإلهي بلا واسطة وهكذا ينبغي أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف أبدا.

فجاءته إحداهما فيه أن القلب يحتاج في الوصول إلى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفي أو السر. لا تخف نجوت فيه أن القلب إذا وصل إلى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها إن خير من استأجرت من النفس والجسد القوي الأمين لأن القلب استفاد القوة من الجسد والأمانة من الروح ثماني حجج فيه أن الروح في تبليغ القلب إلى مقام الخفي يحتاج إلى تسييره في مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به في خلافة الحق وهي: الحياة والإرادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء. وتمام ذلك إلى العشرة راجع إلى خصوصيته وهما المحبة والأنس مع الله أيما الأجلين قضيت في التخلق بأخلاقك اليمانية وفي المحبة والأنس مع الله فلا عدوان علي أي ليس لك أن تمنعني العبور عن المحبة لأنك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانية. وأما المحبة والأنس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا كل إنسان من المؤمن والكافر فإنه مجبول على تلك الأوصاف وليس من زمرة **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] إلا مؤمن موحد. فلما اتصف موسى القلب بالأوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها إلى حضرة القدس آنس من طور الحضرة نار نور الألوهية. وفي قوله لأهله امكثوا إشارة إلى أن السالك لا بد له من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين. نور يبدو وإذا بدا استمكن شمس طلعت ومن رآها آمن. وفي قوله لعلكم تصطلون إشارة إلى أن الأوصاف الإنسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن إلا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الإلهية من شاطئ الواد الأيمن وهو السر في بقعة البدن من شجرة وجود الإنسان من الرهب أي رهبة من فوات وصال الحضرة وأخي هارون هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا إلا سحر مفترى لأن النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت ومنكسة، والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها إلى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما رأى [النجم: ١١] وما صدقت النفس ما رأت في آبائنا الأولين أي في طبائع الكواكب فإنها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة إلى عالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد. فأوقد لي يا هامان الشيطان على الطين البشرية." (١)

"الأنصار أسلم ثم ندم وأرسل إلى قومه فقالوا يا رسول الله هل له من توبة فنزلت كيف يهدى الله قوما إلى قوله الا الذين تابوا فأسلم قوله وقال يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين قال عكرمة نزلت في شاس بن قيس اليهودي دس على الأنصار من ذكرهم بالحروب التي كانت بينهم فتمادوا يقتتلون فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فذكرهم فعرفوا أنها من الشيطان فعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا سامعين مطيعين فنزلت أخرجه إسحاق في تفسيره مطولا وأخرجه الطبراني من حديث بن عباس موصولا وفي هذه الآية الإشارة إلى التحذير عن مصادقة

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان؟ النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٤٥/٥

أهل الكتاب إذ لا يؤمنون أن يفتنوا من صادقهم عن دينه قوله وقال إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى سبيلا كذا لأبي ذر وللنسفي ثم كفروا ثم آمنوا ثم ازدادوا كفرا الآية وساقها كلها في رواية كريمة وقد استدل بها من قال لا تقبل توبة الزنديق كما سيأتي تقريره قوله من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** وساق في رواية كريمة إلى الكافرين ووقع في رواية أبي ذر من يرتدد بدالين وهي قراءة بن عامر ونافع وللباقين من القراء ورواة الصحيح من يرتد بتشديد الدال ويقال إن الإدغام لغة تميم والإظهار لغة الحجاز ولهذا قيل إنه وجد في مصحف عثمان بدالين وقيل بل وافق كل قارئ مصحف بلده فعلى هذا فهي في مصحفي المدينة والشام بدالين وفي البقية بدال واحدة قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا إلى وأولئك هم الغافلون كذا لأبي ذر وساق في رواية كريمة الآيات كلها وهي حجة لعدم المؤاخذة بما وقع حالة الإكراه كما سيأتي تقريره بعد هذا قوله لا جرم يقول حقا أنهم في الآخرة هم الخاسرون إلى لغفور رحيم والمراد أن معنى لا جرم حقا وهو كلام أبي عبيدة وحذف من رواية النسفي ففيها بعد قوله صدرا الآيتين إلى قوله غفور رحيم وفي الآية وعيد شديد لمن ارتد مختارا لقوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا إلى آخره قوله ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا إلى قوله وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كذا لأبي ذر وساق في رواية كريمة أيضا الآيات كلها والغرض منها قوله إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر إلى آخرها فإنه يقيد مطلق ما في الآية السابقة من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم إلى آخرها قال بن بطال اختلف في استتابة المرتد فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور وقيل يجب قتله في الحال جاء ذلك عن الحسن وطاوس وبه قال أهل الظاهر قلت ونقله بن المنذر عن معاذ وعبيد بن عمير وعليه يدل تصرف البخاري فإنه استظهر بالآيات التي لا ذكر فيها للاستتابة والتي فيها أن التوبة لا تنفع وبعموم قوله من بدل دينه فاقتلوه وبقصة معاذ التي بعدها ولم يذكر غير ذلك قال الطحاوي ذهب هؤلاء إلى أن حكم من ارتد عن الإسلام حكم الحربي الذي بلغته الدعوة فإنه يقاتل من قبل أن يدعى قالوا وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة فأما من خرج عن بصيرة فلا ثم نقل عن أبي يوسف موافقتهم لكن قال إن جاء مبادرا بالتوبة خليت سبيله ووكلت أمره إلى الله تعالى وعن بن عباس وعطاء إن كان أصله مسلما لم يستتب وإلا استتيب واستدل بن القصار لقول الجمهور بالإجماع يعني السكوتي لأن عمر كتب في أمر المرتد هلا حبستموه ثلاثة أيام وأطعمتموه في كل يوم رغيفا لعله يتوب فيتوب الله عليه قال ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة كأنهم فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه أي إن لم يرجع وقد قال تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم واختلف القائلون." (١)

"الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها أحدهما يقول لا نؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحو ذلك وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة أحدهما

---

(١) فتح الباري لابن حجر؟ ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/١٢

يقول يجوز أن تكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوز أن لا تكون صفة والآخر يقول لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه قوله وقال بن عباس المجيد الكريم والودود الحبيب وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس في قوله تعالى ذو العرش المجيد قال المجيد الكريم وبه عن بن عباس في قوله تعالى وهو الغفور الودود قال الودود الحبيب وإنما وقع تقديم المجيد قبل الودود هنا لأن المراد تفسير لفظ المجيد الواقع في قوله ذو العرش المجيد فلما فسره استطرد لتفسير الاسم الذي قبله إشارة إلى أنه قرئ مرفوعا بالاتفاق وذو العرش بالرفع صفة له واختلفت القراء في المجيد بالرفع فيكون من صفات الله وبالكسر فيكون صفة العرش قال بن المنير جميع ما ذكره البخاري في هذا الباب يشتمل على ذكر العرش إلا أثر بن عباس لكنه نبه به على لطيفة وهي أن المجيد في الآية على قراءة الكسر ليس صفة للعرش حتى لا يتخيل أنه قديم بل هي صفة الله بدليل قراءة الرفع وبدليل اقترانه بالودود فيكون الكسر على المجاورة لتجتمع القراءتان على معنى واحد انتهى ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى ما أردفه به وهو يقال حميد مجيد إلخ ويؤيده حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدارقطني بلفظ إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي ذكره بن التين قال ويقال المجد في كلام العرب الشرف الواسع فالماجد من له آباء متقدمون في الشرف وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء فالمجيد صيغة مبالغة من المجد وهو الشرف القديم وقال الراغب المجد السعة في الكرم والجلالة وأصله قولهم مجدت الإبل أي وقعت في مرعى كثير واسع وأمجدها الراعي ووصف القرآن بالمجيد لما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية انتهى ومع ذلك كله فلا يمتنع وصف العرش بذلك لجلالته وعظيم قدره كما أشار إليه الراغب ولذلك وصف بالكريم في سورة قد أفلح وأما تفسير الودود بالحبيب فإنه يأتي بمعنى المحب والمحبوب لأن أصل الود محبة الشيء قال الراغب الودود يتضمن ما دخل في قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** وقد تقدم معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له قوله يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد كذا لهم بغير ياء فعلا ماضيا ولغير أبي ذر عن الكشميهني محمود من حميد وأصل هذا قول أبي عبيدة في كتاب المجاز في قوله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد أي محمود ماجد وقال الكرماني غرضه منه أن مجيدا بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر وحميدا بمعنى مفعول فلذلك قال مجيد من ماجد وحميد من محمود قال وفي بعض النسخ محمود من حميد وفي أخرى من حمد مبني للفاعل والمفعول أيضا وذلك لاحتمال أن يكون حميد بمعنى حامد ومجيد بمعنى ممجد ثم قال وفي عبارة البخاري تعقيد قلت وهو في قوله محمود من حمد وقد اختلف الرواة فيه والأولى فيه ما وجد في أصله وهو كلام أبي عبيدة ثم ذكر في الباب تسعة أحاديث لبعضها طريق أخرى الأول حديث عمران بن حصين وقوله في السند أنبأنا." (١)

"يستدعي الحلف، ولفظ اليد من المتشابهات، ففي مثل هذا افترق العلماء على فرقتين: إحداهما: ما تسمى مفوضة: وهم الذين يفوضون الأمر فيها إلى الله تعالى قائلين: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ (آل عمران: ٧) والأخرى: تسمى مؤولة، وهم الذين يؤولون مثل هذا، كما يقال: المراد من اليد القدرة، عاطفين ﴿والراسخون في العلم﴾ (آل عمران: ٧) على: الله والأول أسلم، والثاني أحكم. قلت: ذكر أبو حنيفة أن تأويل اليد بالقدرة، ونحو ذلك يؤدي إلى التعطيل، فإن الله تعالى

---

(١) فتح الباري لابن حجر؟ ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٠٨

أثبت لنفسه يدا، فإذا أولت بالقدرة يصير عين التعطيل، وإنما الذي ينبغي في مثل هذا أن نؤمن بما ذكره الله من ذلك على ما أراده، ولا نشتغل بتأويله، فنقول: له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين، وكذلك في نظائر ذلك. قوله: (لا يؤمن) أي: إيمانا كاملا، ويقال المراد من الحديث: بذل النفس دونه صلى الله عليه وسلم، وقيل: في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ (الأنفال: ٦٤) أي: وحسبك من اتبعك من المؤمنين، ببذل أنفسهم دونك. وقال ابن بطال: قال أبو الزناد: هذا من جوامع الكلم الذي أوتيه، عليه الصلاة والسلام، إذ أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم بعضا، فجمع عليه السلام، ذلك كله. قال القاضي: ومن محبته: نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل نفسه وماله دونه، وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن، واعترضه الإمام أبو العباس أحمد القرطبي المالكي، صاحب (المفهم) فقال: ظاهر كلام القاضي عياض صرف المحبة إلى اعتقاد تعظيمه وإجلاله، ولا شك في كفر من لا يعتقد ذلك، غير أنه ليس المراد بهذا الحديث اعتقاد الأعظمية إذ اعتقاد الأعظمية ليس بمحبة ولا مستلزما لها، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه عن محبته، قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك لم يكمل إيمانه على أن كل من آمن إيمانا صحيحا لا يخلو من تلك المحبة، وقد قال عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، وأن عمر رضي الله عنه، لما سمع هذا الحديث، قال: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: ومن نفسك يا عمر، فقال: ومن نفسي. فقال: الآن يا عمر. وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل قلب، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك، قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة: ٥٤) ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم، من هذا المعنى أتم، لأن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره ومنزلته أعلم، والله أعلم. ويقال: المحبة إما اعتقاد النفع، أو ميل يتبع ذلك، أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع، ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة، ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والجمال، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار عنه، ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال أنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم، ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما، فيجب كونه أحب منهما، لأن المحبة ثابتة لذلك، حاصلة بحسبها، كاملة بكمالها. وأعلم أن محبة الرسول عليه السلام، إرادة فعل طاعته وترك مخالفته، وهي من واجبات الإسلام قال الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ إلى قوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ (التوبة: ٢٤) وقال النووي: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة بالسوء والمطمئنة، فإن من رجح جانب المطمئنة كان حب النبي عليه السلام، راجحا، ومن رجح جانب الإمارة، كان حكمه بالعكس.

(بيان الأسئلة والأجوبة) . منها: ما قيل: لم ما ذكر نفس الرجل أيضا وإنما يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه قال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأحزاب: ٣٣) وأجيب: بأنه إنما خصص الوالد

والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله تعالى على الرجل غالبا، وربما يكونان أعز من نفس الرجل على الرجل، فذكرهما إنما هو على سبيل التمثيل، فكأنه قال: حتى أكون أحب إليه من أعزته، ويعلم منه حكم غير الأعزة، لأنه يلزم في غيرهم بالطريق الأولى، أو اكتفى بما ذكر في سائر النصوص الدالة على وجوب كونه أحب من نفسه أيضا، كالرواية التي بعده. ومنها ما قيل: هل يتناول لفظ الوالد الأم كما أن لفظ الولد يتناول الذكر والأنثى؟ وأجيب: بأن الوالد إما أن يراد به ذات له ولد، وإما أن يكون بمعنى ذو ولد نحو لابن وتامر، فيتناولهما، وإما أن يكتفى بأحدهما عن الآخر كما يكتفى بأحد الضدين عن الآخر. قال تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ (النحل: ٨١) وإما." (١)

"الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم به من إرسال رسوله، وقال عكرمة: هذه الآية نزلت في شماس بن قيس اليهودي، دس على الأنصار من ذكرهم بالحروب التي كانت بينهم فكادوا يقتتلون، فأتاهم النبي فذكرهم فعرفوا أنها من الشيطان، فتعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا سامعين مطيعين، فنزلت. وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس موصولا.

وقال: الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرالم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا.

هذه الآية الكريمة في سورة النساء، وسيقت هذه الآية كلها في رواية كريمة، وفي رواية أبي ذر هكذا: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا﴾ إلى سبيلا وفي رواية النسفي ﴿ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا﴾ الآية أخبر الله تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع واستمر على ضلالته وازداد حتى مات بأنه لا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ولا طريقا إلى الهدى، ولهذا قال: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي، رضي الله تعالى عنه، أنه قال: يستتاب المرتد ثلاثا، ثم تلى هذه الآية: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الآية.

وقال: ﴿ياأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء والله واسع عليم﴾

هذه الآية الكريمة في المائدة ساقها بتمامها في رواية كريمة وأولها: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد﴾ الآية ووقع في رواية أبي ذر: من يرتدد، بفك الإدغام وهي قراءة ابن عامر ونافع، ويقال: إن الإدغام لغة تميم والإظهار لغة الحجاز. وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في الولاة من قريش، وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر الصديق. قوله: ﴿بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: هم أهل القادسية، وعن مجاهد: هم قوم من سبأ، وقال ابن أبي حاتم بإسناده إلى ابن عباس قال: ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون. قوله: ﴿أذلة﴾ جمع ذليل وضمن الذل معنى الحنو والعطف فلذلك قيل: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، وقرىء: أذلة وأعزة، بالنصب على الحال.

وقال: ﴿من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري؟ بدر الدين العيني ١٤٤/١

هذه الآيات كلها في سورة النحل متوالية سيقت كلها في رواية كريمة، وفي رواية أبي ذر ﴿من شرح بالكفر﴾ إلى قوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ أي: طاب به نفسا فاعتقده. قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الوعيد وأن العضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة. قوله: ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم. قوله: ﴿لا جرم﴾ بمعنى حقا. وجرم فعل عند البصريين واسم عند الكوفيين بمعنى حقا، وتدخل اللام في جوابه نحو: لا جرم لآتينك، وقال تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ فعلى قول البصريين: لا رد لقول الكفار، وجرم معناه عندهم: كسب، أي كسب كفرهم النار لهم.." (١)

"﴿يأيها الذين آمنوا من يرتدد﴾ بالفك والإدغام يرجع ﴿منكم عن دينه﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فسوف يأتي الله﴾ بدلهم ﴿بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿أذلة﴾ عاطفين ﴿على المؤمنين أعزة﴾ أشداء ﴿على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع﴾ كثير الفضل ﴿عليم﴾ بمن هو أهله ونزل لما قال بن سلام يا رسول الله إن قومنا هاجرونا ه ـ". (٢)

"يقول المؤمنون: أهؤلاء الذين أقسموا ... الآية.

وتحتمل الآية أن تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض:

نخشى أن تصيبنا دائرة: إذ فهم منهم أن تمسكهم باليهود إنما هو إرصاد لله ولرسوله، فمقتهم النبي- عليه السلام- والمؤمنون، وترك لهم النبي- عليه السلام- بني قينقاع رغبة في المصلحة والألفة، وأما قراءة أبي عمرو: «ويقول» - بالنصب-، فلا يتجه معها أن يكون قول المؤمنين إلا عند الفتح، وظهور ندامة المنافقين، وفضيحتهم.

وقوله تعالى: جهد أيمانهم: نصب «جهد» على المصدر المؤكد، والمعنى:

أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الأيمان إنهم لمعكم، قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود، وخذل الشريعة- ما يكذب أيمانهم.

وقوله: حبطت أعمالهم: يحتمل أن يكون/ إخبارا من الله سبحانه، ويحتمل أن يكون من قول المؤمنين، ويحتمل أن يكون قوله: حبطت دعاء، أي: بطلت أعمالهم.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٩]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري؟ بدر الدين العيني ٧٨/٢٤

(٢) تفسير الجلالين؟ المحلي، جلال الدين ص/١٤٧

والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)
قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩)
وقوله سبحانه: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ... الآية: خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة، ومعنى الآية أن الله عز وجل وعد هذه الأمة أن من ارتد منها، فإنه يجيء سبحانه بقوم ينصرون الدين، ويغنون عن المرتدين.
قال الفخر «١» : وقدم الله تعالى محبته لهم على محبتهم له إذ لولا حبه لهم، لما وفقهم أن صاروا محبين له. انتهى، وفي كتاب «القصد إلى الله سبحانه» للمحاسبي، قلت للشيخ: فهل يلحق المحبين لله عز وجل خوف؟ قال: نعم، الخوف لازم لهم كما لزمهم الإيمان لا يزول إلا بزواله، وهذا هو خوف عذاب التقصير في بدايتهم حتى إذا صاروا

(١) ينظر: «مفاتيح الغيب» (١٢/ ٢١) .." (١)

"وحكم المخلفين من الأعراب، والحض على الجهاد، وبيان حال ذوي الأعذار، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيعته ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ وأثابهم الفتح وأخذ المغانم وبشارتهم بفتح مكة ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم وذكرهم في التوراة والإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة، ووجه آخر وهو أنه لما قال الله تعالى في آخر سورة القتال ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ كان هذا إجمالا في عظيم ما منحهم وجليل ما أعطاهم، فتضمنت سورة محمد تفسير هذا الإجمال وبسطه، وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم تعتمده في هذا التعليق، وهو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول، ووجه آخر مما يغمض وهو أن قوله تعالى ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ إشارة إلى من يدخل في ملة الإسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب، وقد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى
﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] وأشار إلى ذلك عليه الصلاة والسلام: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» - وعقد السبابة بالإبهام، أشار عليه الصلاة والسلام." (٢)

"القتال تصريحا، وقد تقدم في القتال نبذة من أسرار الكلمتين. ولما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى: ﴿والذين معه﴾ أي بمعية الصحبة من أصحابه وحسن التبعية من التابعين لهم بإحسان: ولما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم، مدحهم بما يشمله فقال تعالى: ﴿أشداء على الكفار﴾ فهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالأسد على فريسته، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿رحماء بينهم﴾ كالوالد مع الولد، لأن الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين، ولا مؤمن في زمانهم إلا

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن؟ الثعالبي، أبو زيد ٢/٣٩٤
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؟ برهان الدين البقاعي ١٨/٢٧٨

من كان من أهل دينهم، فهو **يحبهم ويحبونه** بشهادة آية المائدة.

ولما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم، فكان عجبا، بين الحامل عليه بقوله: ﴿تراهم﴾ أي أيها الناظر لهم ﴿ركعا سجدا﴾ أي دائمي الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية، فكانت الصلاة آمرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص وضير.

ولما كانت الصلاة مما يدخله الرياء، بين إخلاصهم بقوله: ﴿يبتغون﴾ أي يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم وتغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم ﴿فضلا﴾ أي زيادة في الخير ﴿من الله﴾ أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال والجمال الذي أعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله والرقة على أوليائه بما أعطاهم من." (١)

"كتب الله له ألف ألف حسنة، وعن أبي كاهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مستيقنا بها قلبه كان حقا على الله أن يغفر له بكل مرة ذنوب سنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض بناته الأربع زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وهي أصغرهن وأفضلهن: قولي سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء كان وما لم يشأ لم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإن من قالها حين يصبح حفظ حين يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح رواه أبو داود والنسائي وعن عبد الله بن بشر يقول تعالى لملائكته: لا تكتبوا على عبدي ما بين ذلك. رواه الطبراني بإسناد حسن فالحمد لله وتقدم فضل المعوذتين وقل هو الله أحد إذا أصبح وإذا أمسى وحديث من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يأتي إن شاء الله تعالى في باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

باب المحبة

قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال بعض العارفين لن تنالوا محبتي وفي قلوبكم محبة غيري ولا تكون المحبة إلا في قلب حي وحياته بموت النفس. ثم روى في المعنى حكاية كان بعضهم له درة فصيحة الكلام فلما أراد السفر إلى بلاد السودان قالت له يا مولاي أقرأ أصحابي السلام وقل لهم عندي طير منكم في قفص حديد لا يستطيع الطيران إليكم فانظروا في أمره فلما أدى الرسالة إلى جنسها من الطيور ضربوا لأجنحتهم وأظهروا له أنهم ماتوا فندم على تبليغ الرسالة شفقة عليهم فلما رجع أخبرها بذلك فضربت بأجنحتها وألقت نفسها إلى الأرض كأنها ميتة فأخرجها من القفص وألقاها فطارت وقالت يا مولاي إن أصحابي ماتوا ولكن علموني طريق الخلاص وصحح في المنهاج تحريم أكلها ويقول موت النفوس حياتها وقال تعالى **يحبهم ويحبونه** فإن قيل كيف قدم محبته على محبتهم له وقدم ذكرهم على ذكره إياهم قال تعالى فاذكروني أذكركم فالجواب ما قاله الشيخ عبد القادر الكيلاني أن الذكر مقام طلب مكانه أمر بالطلب منه فقد ذكرهم له وأما المحبة فهي تحفة إلهية ليس للعبد فيها اختيار فلا يصح وجودها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له وله الفضل والمنة ومعنى محبة الله توفيقه إياهم لطاعته والآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؟ برهان الدين البقاعي ٣٣٩/١٨

النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على أبي بكر فإنه يحبك ويحب رسولك قاله في الرياض النضرة وذكر أيضا عنه صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين والحب في الله من الإيمان في الإحياء أوحى إلى عيسى لو عبدتني بعبادة أهل السماء والأرض وحب في الله ليس معك وبغض في الله ليس معك ما أغنى عنك ذلك شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أعرض عن صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن سلم على صاحب بدعة ولقيه بالشر." (١)

"فليستغفر الله هي طيبة رواه ابن عازب رضي الله عنه قال في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال البرماوي في شرح البخاري يكره أن يقال للمدينة المشرفة يثرب لأنه من التعبير والتوبيخ ... حكاية: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أسند ظهره إلى جدار إمرأة كافرة فسدت الطاقات وغلقت الأبواب حتى لا تسمع كلامه وصوته فنزل جبريل ونهاه عن الاستظلال بجدارها فإنك أبغض الخلق إليها ثم سرح إلى السماء ثم رجع وقال يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول إن كانت المرأة كافرة فجاهك كبير فلأجل وقوفك في ظل الدار غفرت لها الذنوب والأوزار وقد فتحت أبواب السماء وأبواب قلبها فبادرت المرأة في الحال بفتح الدار وقبلت قدم النبي قاله في كتاب العقائق ورأيت في روض الأفكار أن المرأة خرجت تسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها رجل أتحبينه قالت نعم قال فبحقه إرفعي نقابك حتى أنظر إلى وجهك ففعلت ثم أخبرت زوجها بذلك فأوقد تنورا ثم قال فبحقه عليك أدخلي التنور فألقت نفسها فيه ثم ذهب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع واكشف عنها فرجع فرآها سالمة وقد جللها العرق رأيت في قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** نزلت في إثني عشر رجلا من أهل اليمن دخلوا مكة للحج فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام فقالوا نريد علامة فأخذ قضيبا ووضعه على هبل بعد أن جردوه من الديباج وقال يا هبل من أنا فقال بلسان فصيح أنت رسول الله فسجدوا كلهم جميعا وأعلنوا الشهادتين قال مؤلفه هبل صنم وهو الآن عتبة لباب السلام بمكة كنت كثيرا أخلع نعلي عليه حين أدخل واضعهما عليه إذا أردت الخروج وأردت لبسهما حين أخرج ورأيت في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى إن نهر الماء لموسى ونهر اللبن لسليمان ونهر العسل لمحمد صلى الله عليه وسلم فكما أن العسل فضل على سائر الحلوى كذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم الفضل على سائر الأنبياء ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه حتى رأى أهل مكة جبل حراء يلوح بينهما علما بين شعلتين وقال اشهدوا وهم حينئذ بمنى ودعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب في خيبر بعدها غربت ونبع ماء من بين أصابعه وحن إليه الجذع اليابس فجاء بخرق الأرض فالتزمه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمره فعاد إلى مكانه بعد أن قال له إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه نبتت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة يأكل مني أولياء الله تعالى وأكون في مكان لا أبلى فسمع من يليه كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء ومن معجزاته أنه جيء له بصبي يوم ولد فقال له من أنا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس؟ الصفوري ٥١/١

قال أنت رسول الله قال أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يده وسبح الطعام بين يديه ونطق الجماد برسالته وكذا البهائم قال جابر بن عبد الله لزوجته عرفت في وجه النب." (١)

"فضائل الصحابة

رضى الله تعالى عنهم أجمعين إجمالا وتفصيلا

مناقب أبي بكر وعمر جميعا رضي الله عنهما

قال الله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى قال ابن عباس هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن النبي لأن يلقى عبد بذنوب العباد خير له من أن يبغض رجلا من أصحابه فإنه لا يغفر له يوم القيامة صلى الله عليه وسلم إن الله اختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي الشفاء عنه صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي فمن أحبهم فلحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه قال عبد الرحيم بن زيد أدركت أربعين شيخا من التابعين كلهم حدثوني عن أصحاب رسول الله أنه قال صلى الله عليه وسلم من أحب جميع أصحابي وتولاهم واستغفر لهم جعله الله معي يوم القيامة في الجنة وأفضل التابعين عند أهل المدينة سعيد بن المسيب وعند أهل الكوفة أويس وعند أهل البصرة الحسن وقيس بن أبي حازم سمع العشرة ولم يشاركه أحد في ذلك رضي الله عنهم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أصحابي وأزواجي وأهل بيتي ولم يطعن في أحد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم كان معي في درجتي يوم القيامة ... فائدة: يطعن بالرمح والإصبع يكون بضم العين وفي العرض بفتحها قاله البرماوي في شرح البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من مات من أصحابي بأرض قوم كان نورهم وقائدهم يوم القيامة والصحابي كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وإن ساعة وإن لم يجالسه هذا مذهب البخاري والمحدثين ولا تنقطع الصحبة بالردة وقال ابن الصلاح مات النبي عن مائة ألف صحابي وأربعة آلاف صحابي كلهم سمعوا منه ورووا عنه رضي الله عنهم أجمعين.

مناقب أهل خلق الله على التحقيق

أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية قال الإمام الرازي اشتهرت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما عرضت الإسلام على أحد إلا وتلعثم فيه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه قبله ولم يتوقف فيه فدل الحديث على أن أبا بكر كان أسبق الناس إسلاما فكان أولى الناس باسم الصديق قال على أبو بكر سماه الله صديقا على لسان جبريل ولسان محمد صلى الله عليه وسلم بل وكان خليفته على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا قال الإمام النووي أسلم أبو بكر رضي الله عنه وهو ابن عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة وروى مائة حديث واثنين وأربعين حديثا قال ابن مسعود رضي الله عنه أول من أظهر الإسلام بسيفه محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس؟ الصفوري ٢/٧١

وأبو بكر قال الزبير بن العوام قال النبي يا أبا بكر إن الله أعطاك الرضوان الأكبر قال وما الرضوان الأكبر قال يتجلى لعباده يوم القيامة عامة ولك خاصة قال الرازي في قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** الآية نزلت في أبي بكر لأنه قاتل المرتدين وقهر مسيلمة الكذاب بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد كتب من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفان نصفها لك ونصفها لي فكتب." (١)

"قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس الآية قال الرازي في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي خلقت أي صرتم خير أمة لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وقدم الأمر بالمعروف لأنه أخف من النهي عن المنكر فإن قيل الأمر والنهي فرع والإيمان أصل فكيف قدم الفرع على الأصل فالجواب إن الإيمان إشترك فيه جميع الأمم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من محاسن هذه الأمة فإن قيل قد شاركهم في ذلك غيرهم فالجواب إنهم يأمرون بالمعروف وهو الإسلام وينهون عن المنكر وهو الكفر بالسيف وغيرهم كان ينهى عن المنكر بلسانه عن ابن عباس رضي الله عنهما أعطى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما أعندي أشرف من هذا قال الله تعالى لموسى عليه السلام لا تخف إنك أنت الأعلى وقال لهذه الأمة ولا تحزنوا وأنتم الأعلون وقال لإبراهيم عليه السلام اتخذ الله إبراهيم خليلا وقال لهذه الأمة **يحبهم ويحبونه** وقال لموسى وكلم الله موسى تكليما وقال الله الأمة فاذكروني أذكركم وقال لعيسى وأيدناه بروح القدس وقال لهذه الأمة وأيدهم بروح منه وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال لأمته رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال أيضا دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم هانئ فقام عندها وضحك في نومه ثلاث مرات فلما استيقظ سألته فقال قال لي جبريل إن الله تعالى قد وهب لك جميع أمتك فضحكت وسمعت صوتا فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول كل يوم خمس مرات واشوقاه إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكونها تقول خمس مرات إشارة إلى الصلوات الخمس وعرضت على الأمم فرأيت أمتي وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال سعد بن أبي وقاص أحد العشرة خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة فلما كنا قريبا من عزور انزل ثم رفع يديه ودعا ساعة ثم خر ساجدا ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة ثم خر ساجد ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة ثم خر ساجدا فسألناه عن ذلك فقال سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلا فسجدت شكرا لربي ثم سألته فأعطاني ثلا فسجدت شكرا لربي ثم سألته فأعطاني ثلا الآخر فسجدت شكرا لربي رواه أبو داود في الخبر خلق الله تعالى للعرش ثلثمائة برج كل برج طوله ألف عام وبين البرج والبرج كذلك وخلق بينها ملائكة كالجن والإنس يقولون اللهم اغفر لعصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورأيت في النور للطوسي رضي الله عنه أوحى الله تعالى إلى شعيب عليه السلام قل لبني إسرائيل سميتكم أحبابي فهان عليكم ذلك وسأوثر بهذا الإسم من يطعني ويعقل أمري هم قوم وإذا زكت أعمالهم أو كثرت علموا إن ذلك مني وإذا أقسموا لم يقسموا بغيري أبعث إليهم

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس؟ الصفوري ١٤٦/٢

نبيا أميا مختارا أجعل أمته خير أمة رعاة للشمس يعني يراعون بها أوقات الصلاة فيبادرون إلى أدائها يصلون لي قياما وقعودا يطهرون الوجوه والأطراف ينادي مناديهم من جو السماء لهم دوى كدوي النحل إذا غضبوا وإذا فزعوا كبروني وإذا." (١)

"(ومن أحسن من الله حكما) تمييز (لقوم يوقنون) أي: عندهم فاللام للبيان أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لمن له اليقين بأنه أعدل العادلين وأرحم الراحمين.

* * *

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

* * *

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فلا تعاشروهم معاشرة الأحباب (بعضهم أولياء بعض) فهم متفقون على مخالفتكم ومعاداتكم." (٢)

"- قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

- أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر عن قتادة قال: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض." (٣)

"الله نبيه ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة وأهل الجواثي من عبد القيس وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولانزكي والله يغصب أموالنا فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم وقيل لهم أنهم قد فقهوا أداء الزكاة فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله تعالى عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة قال قتادة: فكنا نحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ إلى آخر الآية

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هو أبو بكر وأصحابه

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس؟ الصفوري ١٨٢/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن؟ الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٧٣/١

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ١٠١/٣

لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وخيثمة الاترابلسي في فضائل الصحابة والبيهقي في الدلائل عن الحسن ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وأصحابه

وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال عمر: أنا وقومي هم يارسول الله قال: بل هذا وقومه يعني أبا موسى الأشعري

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال: لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله." (١)

"﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن من كندة من السكون ثم من التحبيب

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هم قوم من أهل اليمن ثم كندة من السكون

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ قال: هم أهل القادسية

وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمر فرحب بي ثم تلا ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم﴾ ثم ضرب على منكبي وقال: احلف بالله أنهم لمنكم أهل اليمن ثلاثا

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ قال: هم قوم سبأ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هذا وعيد من عند الله انه من ارتد منكم سيتبدل بهم خيرا

وفي قوله ﴿أذلة﴾ له قال: رحماء

وأخرج ابن جرير عن قوله ﴿أذلة على المؤمنين﴾ قال: أهل رقة على أهل دينهم ﴿أعزة على الكافرين﴾ قال: أهل غلظة على من خالفهم في دينهم

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله ﴿أذلة على المؤمنين﴾ قال: رحماء بينهم ﴿أعزة على الكافرين﴾ قال: أشداء عليهم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ١٠٢/٣

وفي قوله ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ قال: يسارعون في الحرب

وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد طوائف من العرب فبعث الله أبا بكر في أنصار من أنصار الله فقاتلهم حتى ردهم إلى الإسلام فهذا تفسير هذه الآية

قوله تعالى: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والبيهقي في الشعب عن أبي ذر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: بحب المساكين وأن أدنو منهم وأن لا أنظر إلى من هو فوقي وأن أصل رحمي وإن جفاني وأن أكثر من قول لاحول ولاقوة إلا." (١)

"وأخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال: محبة في الناس في الدنيا

وأخرج هناد عن الضحاك ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال: محبة في صدور المؤمنين

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال: **يحبهم ويحبونه**

وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل: إني قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء في أهل الأرض

وأخرج ابن مردويه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال كذلك فيقول الله لجبريل: إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني فرضائي عليه فيقول جبريل: رحمة الله على فلان ويقوله حملة العرش ويقوله الذين يلونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الآية التي أنزل الله في كتابه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله: يا جبريل إن فلانا يسخطني ألا وإن غضبي عليه فيقول جبريل: غضب الله على فلان ويقوله حملة العرش ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبد إلى الأرض

وأخرج عبد بن حميد عن كعب قال: أجد في التوراة: أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض حتى تكون بدؤها من الله تعالى - ينزلها على أهل الأرض ثم قرأت القرآن فوجدت فيه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾

وأخرج الحيكم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس بسند ضعيف: أن." (٢)

"الفصل الثالث في النصوص السمعية الدالة على خلافته رضي الله عنه من القرآن والسنة

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ١٠٣/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور؟ السيوطي ٥٤٥/٥

أما النصوص القرآنية

فمنها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لا ئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

أخرج البيهقي عن الحسن البصري أنه قال هو والله أبو بكر لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فذكر قتال أبي بكر لهم إلى أن قال فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وشرح هذه القصة ما أخرجه الذهبي أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتهرت بالنواحي ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم فقال والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس." (١)

"تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ – ١٠ الحشد

فتأمل ما وصفهم الله به من هذه الآية تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه

ومنها قوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ الفتح ٢٩ فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية فإن قوله تعالى ﴿محمد رسول الله﴾ جملة مبينة للمشهود به في قوله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ إلى قوله ﴿شهيدا﴾ الفتح ٢٨ ففيها ثناء عظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ كما قال تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ المائدة ٥٤ فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه وبأن آثار ذلكالإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت على وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ومن ثم قال مالك." (٢)

"وما فيها ألف ولام كما هنا، اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا الحرف الأول في سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها، والريح تذكر وتؤنث ﴿والسحاب﴾ أي: الغيم ﴿المسخر﴾ أي: المذلل بأمر الله يسير حيث شاء الله ﴿بين السماء والأرض﴾ بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله. وقيل: تسخير السحاب

---

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة؟ ابن حجر الهيتمي ٤٥/١

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة؟ ابن حجر الهيتمي ٦٠٦/٢

تقليبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب؛ لأن بعضه يجر بعضا ﴿لآيات﴾ أي: دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ أي: ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون؛ لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة. وقول البيضاوي: وعن النبي صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها» . أي: لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. قال الولي العراقي: لم أقف عليه. وقال السيوطي: لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ، ثم قال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل علي الليلة ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ » ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» . قيل: للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضا في هذه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضاوي: وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه انتهى.

ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه؛ لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام؛ لأنه محمول على التوغل فيه، فيصير فلسفيا.

﴿ومن الناس﴾ وهم المشركون ﴿من يتخذ من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أندادا﴾ أي: أصناما يعبدونها ﴿يحبونهم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كحب الله﴾ أي: كحبهم له كما قال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله، فسووا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله ﴿والذين آمنوا أشد حبا﴾ أي: أثبت وأدوم على حبه؛ لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون محبتهم لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب، ولذلك كانوا إذا اتخذوا صنما أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني، وربما يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عند المجاعة، ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء، ويقبلون على الله كما أخبر الله تعالى عنهم فقال: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (العنكبوت، ٦٥) والمؤمن لا يعرض عن الله تعالى في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

وقيل: إنما قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا﴾ لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** (المائدة، ٥٤) فمحبة العبد لله طاعته والإعتناء بتحصيل مراضيه، ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: باتخاذ الأنداد ﴿إذ يرون﴾ أي: يبصرون ﴿العذاب﴾ يوم القيامة وإذ بمعنى إذا أو أجري المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لأن إذ موضوعة للماضي؛ والمعنى هنا على الاستقبال لتحققه كقوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ (الأعراف، ٤٤) ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿القوة﴾ أي: القدرة والغلبة ﴿﴾ وقوله تعالى: ﴿جميعا﴾ حال ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ وجواب لو محذوف، والتقدير لو يعلمون أن القدرة لله جميعا؛ إذ عاينوا العذاب لندموا أشد الندم، والفاعل ضمير السامع أو الذين ظلموا، ويرى بمعنى يعلم، وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين.." (١)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ١١٠/١

"فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: وأتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك» قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز» فسر المسلمون فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول وكان ذلك أول فتح جاء إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

والفرقة الثانية: بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسليمة الكذاب وكان تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، وبعثه إليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: «أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي فبعث أبو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد في جيش كبير حتى أهلكه الله تعالى على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي.

الفرقة الثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة أحد من ارتد وادعى النبوة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة فبعث أبو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إليه فهزمهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشأم، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، الأولى: فزارة قوم عيينة بن حصن، والثانية: غطفان قوم قرة بن سلمة، والثالثة: بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، والرابعة: بنو يربوع قوم مالك بن نويرة، والخامسة: بعض تميم قوم سجاج بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها لمسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري:

أمت سجاج ووالاها مسليمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

والسادسة: كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشأم، والجمهور أنه مات على ردته وذكرت طائفة أنه عاد إلى الإسلام. وقرأ نافع وابن عامر يرتدد بدالين الأولى مكسورة مخففة والثانية ساكنة والباقون بدال مفتوحة مشددة.

واختلف في القوم في قوله تعالى: ﴿فسوف يأت الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال قتادة بن غنم الأزدي: لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه وكانوا من اليمن، وعن أبي

هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من." (١)

"المائدة آية ٥٥ ٥٦

ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوزه من أن قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف ولا يخفى وقرىء أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ صفة أخرى لقو مترتبة على ما قبلها مبنية مع ما بعدها لكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم كانوا إذا خردوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعد منزلتها في الفضل ﴿فضل الله﴾ أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون في الاتصاف بها ﴿يؤتيه من يشآء﴾ إيتاءه إياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿والله واسع﴾ كثير الفواضل والألطاف ﴿عليم﴾ مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية." (٢)

"السيئات (وترحمني) : بقبول ما صدر عني من العبادات (وإذا أردت فتنة) ، أي: ضلالة أو عقوبة (في قوم) ، أي: جمع أو قبيلة (فتوفني غير مفتون) ، أي: وهو إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى حسن الخاتمة (وأسألك حبك) قال الطيبي: يحتمل أن يكون معناه: أسألك حبك إياي، أو حبي إياك، أقول: ولا شك أن الأول أكمل فعليه المعول، قال تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤] قال الطيبي: وعلى هذا يحمل قوله: (وحب من يحبك) : ولا يخفى أن الإضافة هنا إلى المفعول أنسب لأنه إلى التواضع أقرب، قال الطيبي: وأما قوله (وحب عمل يقربني إلى حبك) : فيدل على أنه طالب لمحبته ليعمل حتى يكون وسيلة إلى محبة الله إياه، فينبغي أن يحمل الحديث على أقصى ما يمكن من المحبة في الطرفين، ولعل السر في تسميته بحبيب الله لا يخلو من هذا القول اهـ.

وقوله: لا يخلو ظاهر، ولا يخلو من احتمال آخر، [ف قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إنها) أي: هذه الرؤيا (حق) ، رؤيا الأنبياء وحي، فادرسوها، أي فاحفظوا ألفاظها التي ذكرتها لكم في ضمنها، أو أن هذه الكلمات حق فادرسوها، أي: اقرءوها ثم تعلموها أي معانيها الدالة هي عليها، قال الطيبي: أي: لتعلموها فحذف اللام أي لام الأمر رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن، أي لذاته، صحيح لغيره، وقال بعضهم: معناه: أو صحيح على حذف حرف الترديد،

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؟ الخطيب الشربيني ٣٨١/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؟ أبو السعود ٥٢/٣

أي للتنويع يعني هو عند قوم حسن، وعند آخرين صحيح، ويؤيده سؤاله البخاري وجوابه الآتي.

وقال الطيبي: أي له إسنادان، هو بأحدهما حسن وبالآخر صحيح، أو أراد بالحسن معناه اللغوي وهو ما تميل إليه النفس، ولا تأباه، وسألت محمد بن إسماعيل أي البخاري صاحب الصحيح عن هذا الحديث أي إسناده فقال: هذا حديث صحيح.." (١)

"١٦٠١ - وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ". فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: " ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءأكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه» ". متفق عليه.

١٦٠١ - (وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من أحب لقاء الله قال الأشرف: الحب هنا هو الذي يقتضيه الإيمان بالله، والثقة بوعده، دون ما يقتضيه حكم الجبلة. وفي النهاية: المراد باللقاء المصير إلى دار الآخرة، وطلب ما عند الله. (أحب الله لقاءه) ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قال الطيبي: وليس الغرض بلقاء الموت ؛ لأن كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليه كره لقاء الله ؛ لأنه يصل إليه بالموت، والموت دون لقاء الله، وبه تبين أن الموت غير اللقاء لكنه معترض دون الغرض المطلوب فيجب أن يصبر عليه، ويتحمل مشاقه ؛ ليصل بعده بالفور إلى اللقاء. قال ابن الملك: وهذا على أنه تعالى لا يرى في الدليل اليقظة عند الموت ولا قبله، وعليه الإجماع. (فقالت عائشة أو بعض أزواجه) شك من الراوي (إنا) أي: كلنا معشر بني آدم. (لنكره الموت) أي: بحسب الطبع، وخوفا مما بعده. (قال: ليس ذاك) بكسر الكاف وفي نسخة بفتحها، أي: فليس الأمر كما ظننت يا عائشة، إذ ليس كراهة المؤمن الموت لخوف شدته كراهة لقاء الله، بل تلك الكراهة هي كراهة الموت الإيثار الدنيا على الآخرة، والركون إلى الحظوظ العاجلة إذا بشر بعذاب الله وعقوبته عند حضور الموت. (ولكن المؤمن) بالتشديد ويخفف. (إذا حضره الموت) أي: علامته، أو وقته، أو ملائكته. (بشر برضوان الله) بكسر الراء وضمها. (وكرامته) قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة﴾ [فصلت: ٣٠] الآيات الثلاث. (فليس شيء) أي: من الدنيا زينتها حينئذ. (أحب إليه) أي: إلى المؤمن. (مما أمامه) أي: قدامه من المنزلة والكرامة عند الله. (فأحب لقاء الله) أي: بالضرورة، أي: طمعا للحسنى وزيادة. (وأحب الله لقاءه) بالمحبة السابقة الأزلية التي أوجبت محبة العبد له تعالى كما قال: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] . (وإن الكافر إذا حضر) على بناء المفعول أي: حضره الموت، أو ملائكة العذاب، وأنواعه، ولعل حكمة البناء للمجهول هنا زيادة التهويل بحذف الفاعل ؛ ليشمل جميع ما ذكره وغيره. (بشر) فيه تهكم نحو

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ٦٢٧/٢

﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١] ، أو مشاكلة للمقابلة، أو أريد المعنى اللغوي أي: أخبر. (بعذاب الله) له في القبر. (وعقوبته) وهي أشد العذاب في النار. وأبعد." (١)

"أي: الله تعالى. (قلنا: نعم يا رسول الله) ، وهذا توطئة للتهيؤ بالإصغاء للكلام ؛ ليحصل الإدراك على الوجه التام. (قال: إن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي؟) محتمل أن يكون المراد باللقاء المصير إلى دار الآخرة أو بمعنى الرؤية، وكلاهما صحيح قاله الأبهري، وفي الثاني نظر. (فيقولون: نعم يا ربنا) استعطافا لمزيد عطائه ورضوانه. (فيقول: لم؟) قال ابن الملك: أي: لأي سهو أذنبتم؟ والصحيح لم أحببتم لقائي؟ . (فيقولون؟ رجونا عفوك ومغفرتك) وفيه أن من حسن الظن بالله أحب لقاء الله، ولعل حكمة الاستفهام مع علمه تعالى ببواطنهم إعلام السامعين بسبب محبتهم للقائه على حد: ﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾ [البقرة: ٢٦٠] أو المراد زيادة الانبساط والتلذذ بهم لسماع كلام الرب على البساط كقوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى﴾ [طه: ١٧] ، فيقول: (قد وجبت لكم) لي تثبتت، ففي الحديث القدسي: " «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ". رواه الطبراني والحاكم عن واثلة، وقال تعالى: «إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه» . رواه مالك والبخاري، والترمذي عن أبي هريرة، ومعناه أن محبة لقائه تعالى علامة محبة الله لقاءه ؛ لأنها سبب لهذه فإن صفات الله تعالى قديمة، وكذا حكم الكراهة التي هي بمعنى عدم الرضا، ففي التنزيل: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] . (رواه في شرح السنة، وأبو نعيم في الحلية) وقال المنذري: رواه أحمد من طريق عبد الله بن زحر. قال ميرك: وهو مختلف فيه. ورواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد كذا في التصحيح.." (٢)

"قال القشيري: من الواجب على العبد أن يعلم أنه ليس كل إنعامه انتظام أسباب الدنيا، والتمكن من تحصيل المنى، والوصول إلى الهوى، بل ألطاف الله فيمن يزوي عنهم الدنيا أكبر، وإحسانه إليهم أوفر وإن قرب العبد من الرب على حسب تباعده من الدنيا.

وفي بعض الكتب: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال في الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي ولذة طاعاتي.

(الحكيم) : أي: ذو الحكمة، وهي كمال العلم وإتقان العمل، أو فعيل بمعنى الفاعل فهو مبالغة الحاكم، فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، أو بمعنى المفعل أي الذي يحكم الأشياء ويتقنها ومنه قوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] ، ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣] ، ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢] ، فعليك أن تجتهد في التخلق به والتعلق بكتابه بأن تسعى في تكميل قواك النظرية بتحصيل المعارف الإلهية، واستكمال القوة العملية بتخلية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وتجليتها بتحسين الشمائل بما يوجب الزلفى إلى الدرجات العلى، والقرب إلى المولى، فإنه تعالى يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، والحكمة هي علم الكتاب والسنة، لا علوم الفلاسفة.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ١١٥٧/٣

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ١١٦٠/٣

قال القشيري: من حكمه تعالى على عباده تخصيصه قوما بحكم السعادة من غير استحقاق وسبب، ولا جهد ولا طلب، بل تعلق العلم القديم بإسعاده، وسبق الحكم الأزلي بإيجاده، وخص قوما بطرده وإبعاده، ووضع قدره من بين عباده من غير جرم سلف، ولا ذنب اقترف، بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المشيئة بجحد قلبه وقساوته، فالذي كان شقيا في حكمه أبرزه في نطاق أوليائه، ثم بالغ في ذمه حيث قال: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ [الأعراف: ١٧٦] والذي كان سعيدا في حكمه خلقه في غير صورة الكلب، ثم حشره في زمرة أوليائه، وذكره في جملة أصفيائه فقال: ﴿رابعهم كلبهم﴾ [الكهف: ٢٢] . اهـ. وهو معنى قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] وورد أنه تعالى يدخل النار بلعم بن باعورا على صورة كلب أصحاب الكهف، ويدخل الجنة كلبهم على صورة بلعم، فلا تغتر بالظواهر، فإن العبرة بالسرائر.

(الودود) : مبالغة الواد من الود، وهو الحب أي الذي يحب الخير لكل الخلائق، وقيل المحب لأوليائه وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ [الشورى: ٤٠] وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة، وقيل: فعول بمعنى مفعول، فالله محبوب في قلوب مخلوقاته، مطلوب لجميع مصنوعاته، وفي الحقيقة كما في نظر أرباب الشهود، أنه ليس في الكون لغيره وجود، فهو الواد وهو الودود، كما أنه الحامد والمحمود، والشاهد والمشهود، ليس في الدار غيره ديار، وحظ العبد منه أن يريد للخلق ما يريد في حقه ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعه، ومنه قوله: («لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه») .

قال القشيري: معنى الودود في وصفه أنه يود المؤمنين ويودونه قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ومعنى المحبة في صفة الحق لعباده: رحمته عليهم وإرادته للجميل لهم ومدحه لهم، ومحبة العباد لله تعالى تكون بمعنى طاعتهم له وموافقتهم لأمره، وتكون بمعنى تعظيمهم له وهيبتهم منه. اهـ. وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم: ٩٦] أي: فيما بينه وبينهم، أو فيما بينهم وبين خلقه، ولا مانع من الجمع، وفي الأثر القدسي أنه تعالى يقول: «إن أود الأود إلي من يعبدني لغير نوال، لكن ليعطي الربوبية حقها» .

(المجيد) : هو مبالغة الماجد من المجد، وهو سعة الكرم، فهو الذي لا تدرك سعة كرمه، ولا يتناهى توالي إحسانه ونعمه. قال القشيري: ومن أعظم ما أنعم الله على عباده حفظه عليهم توحيدهم ودينهم، حتى لا." (١)

"إلى الفاعل وإلى المفعول والأول أبلغ وهو الأصل مع أنهما متلازمان قال تعالى: " ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] "، والثاني أظهر لأن الأول أزلي ولا يتعلق الدعاء إلا بالحادث ولمناسبة قوله (وحب من ينفعني حبه عندك) على ما هو الظاهر منه والظرف متعلق بينفعني، وكلام ابن حجر وهو: من يتقرب إليك بحبه من المقربين إليك موهم فتأمله، (اللهم ما رزقتني) ولفظ الحصن كما رزقتني، (مما أحب) أي الذي أعطيتني من الأشياء التي أحبها من صحة البدن وقوته وأمتعة الدنيا من المال والجاه والأولاد والأمنية والفراغ، (فاجعله قوة) أي عدة، (لي فيما تحب) بأن أصرفه فيما تحبه وترضاه من الطاعة والعبادة، (اللهم ما زويت) في الحصن اللهم وما زويت من الزي بمعنى القبض والجمع ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام - «اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر» أي اطوها كما في رواية أخرى، أي ما قبضته ونحيته وبعدته (عني) بأن منعتني

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ١٥٧٧/٤

ولم تعطني (مما أحب) أي مما أشتهيه من المال والجاه والأولاد وأمثال ذلك (فاجعله فراغا) أي سبب فراغ خاطري (فيما تحب) أي من الذكر والفكر والطاعة والعبادة قال القاضي: يعني ما صرفت عني من محابي فنحه عن قلبي واجعله سببا لفراغي لطاعتك ولا تشغل به قلبي فيشغل عن عبادتك، وقال الطيبي: أي اجعل ما نحيته عني من محابي عونا لي على شغلي بمحابك، وذلك أن الفراغ خلاف الشغل فإذا زوى عنه الدنيا ليتفرغ بمحاب ربه كان ذلك الفراغ عونا له على الاشتغال بطاعة الله وفي الحديث قال عمر - رضي الله عنه - عجبت لما زوى الله عنك (رواه الترمذي) .." (١)

"٢٤٩٦ - وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كان من دعاء داود يقول: (اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومالي وأهلي، ومن الماء البارد») قال: وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذكر داود يحدث عنه: يقول: («كان أعبد البشر») . رواه الترمذي، وقال حديث حسن غريب.

٢٤٩٦ -[وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كان من دعاء داود يقول) : اسم كان بحذف إن كما في: أحضر الوغى أي قوله: («اللهم إني أسألك حبك») : من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول، والأول أظهر، إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وأما قول ابن حجر: أي: حبي إياك، فإنه فاتحة كل كمال فغفلة عن اصطلاح أرباب الحال، («وحب من يحبك») : كما سبق، أما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء، وأما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا، كما." (٢)

"[باب الحب في الله ومن الله]

الفصل الأول

٥٠٠٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» ". رواه البخاري.

---

[١٦] باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله أي: في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء والهوى، ومن الله أي: من جهة الله أي: إذا أحب عبدا أحبه لأجل الله وسببه، ومن هاهنا كما في قوله تعالى: ﴿تفيض من الدمع﴾ [المائدة: ٨٣] وفي كما في قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وهو أبلغ من حيث جعل المحبة مظروفا، كذا حققه الطيبي، وفيه أن مآلهما إلى معنى واحد، والظاهر أن مراده عنوان الباب فضيلة الحب لله، وما يترتب عليه من الحب من جانب الله، كما سيصرح الأحاديث الآتية بهذا المعنى، فالصواب أن يقال: إن (في) تعليلية و (من) ابتدائية، والمعنى حب العبد العبد لأجل رضا الرب، والحب الكائن من الله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ١٧٢٦/٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ١٧٣١/٥

للعبد، والثاني نتيجة الأول، كما في الشريعة، أو مقدمة له كما في الطريقة، أو هو محفوف بهما، كما في الحقيقة على ما حقق في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] والله أعلم.

الفصل الأول

٥٠٠٣ - (عن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأرواح») أي: أرواح الإنسان (جنود) : جمع جند أي: جموع (مجندة) : بفتح النون المشددة أي: مجتمعة متقابلة، أو مختلطة منها: حزب الله " ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] " ومنها حزب الشيطان " ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] " وفي قوله تعالى: ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ [الفتح: ٤] إشارة إلى الجندين حيث أحدهما علوي الهمة، والآخر سفلي الهمة. (فما تعارف منها) : التعارف جريان المعرفة بين اثنين والتناكر ضده أي: فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها في الأبدان (ائتلف) : بهمزة وصل، ثم همزة ساكنة تبدل ألفا في الوصل جوازا، وتبدل ياء حال الابتداء وجوبا أي: حصل بينهما الألفة والرأفة حال اجتماعهما بالأجساد في الدنيا (وما تناكر منها) أي: في عالم الأرواح (اختلف) أي: في عالم الأشباح، والإفراد والتذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما، والمراد منه بطريق الإجمال والله أعلم بحقيقة الحال أن الأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على مراتب مختلفة وشواكل متباينة، وكل ما شاكل منها في عالم الأمر." (١)

"٥٠٠٩ - وعن أنس - رضي الله عنه - «أن رجلا قال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: " ويلك! وما أعددت لها؟ ". قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: " أنت مع من أحببت " قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها» . متفق عليه.

٥٠٠٩ - (وعن أنس «أن رجلا قال: يا رسول الله! متى الساعة؟») أي: وقت قيام القيامة، ولما كان السؤال محتملا لأن يكون تعنتا وإنكارا لها، وأن يكون تصديقا بها وإشفاقا منها واشتياقا للقاء ربها. (قال) : امتحانا له (ويلك! وما أعددت لها؟) : وإلا لو تحقق عنده صلى الله عليه وسلم إيمانه بها وإيقانه إلا لقال له: ويحك بدل ويلك. (قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله) : ولم يذكر غيره من العبادات القلبية والبدنية والمالية ؛ لأنها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها، ولأن المحبة هي أعلم منازل السائرين، وأعلى مقامات الطائرين، فإنها باعثة لمحبة الله أو نتيجة لها. قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: " ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] " فكان من المعلوم الواضح عندهم أن المحبة المجردة من غير المتابعة ليس لها كثير فائدة ولا كبير عائدة، (قال: أنت مع من أحببت) أي: ملحق بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس والأهل والمال، ومدخل في زمرته، ومن علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب وفيه على مراد غيره، ولذا قالت رابعة العدوية:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ٣١٣١/٨

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع.." (١)

"٥٢٦٣ - وعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل» ".

٥٢٦٣ - (وعن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رضي من الله باليسير من الرزق ") أي: من قنع، منه بقليل من الطعام (" رضي الله منه ") وفي نسخة: عنه (" بالقليل ") : وفي نسخة: باليسير (" من العمل ") . أي: من الطاعة، وفي حديث رواه ابن عساكر عن عائشة: من رضي عن الله رضي الله عنه. فإن قلت: هذا الحديث يدل على أن رضا العبد مقدم، وفي قوله سبحانه: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] إيماء إلى أن رضا العبد متأخر. قلت: التحقيق أن رضا العبد محفوف برضاءين. من الله رضا أزلي تعلق به العلم الأولي، ورضا أبدي تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الأخروي، وفي الحقيقة رضا العبد إنما هو أثر رضا الله عنه أولا. وأما رضا الله آخرا فإنما هو غاية الرضا الذاتي من النعت الصفاتي، وهو الإحسان والإنعام، وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] .." (٢)

"٦٠٨٩ - وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر: " «لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: " أين علي بن أبي طالب؟ ". فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال فأرسلوا إليه ". فأتي به فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» ". متفق عليه.

وذكر حديث البراء، قال لعلي: " «أنت مني وأنا منك» " في باب " بلوغ الصغير ".

٦٠٨٩ - (وعن سهل بن سعد) ، أي الساعدي (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر) ، أي: زمن محاصرته أو آخر نهار من أيامه لما في البخاري: فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" لأعطين هذه الراية ") أي: العلم التي هي علامة للإمارة " غدا " أي: في غد " رجلا يفتح الله على يديه "، أي بسببه (" «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ") وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وبحثه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ٣١٣٥/٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ٣٢٩٥/٨

طويل الذيل عزيز النيل، وفي رواية قال: «فبات الناس يدوكون ليلهم أيهم يعطى» ، والدوك: الخوض (فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، أي: أتوه وقت الغدوة (كلهم يرجون) ، أي: يتمنون (أن يعطاها) ، أي الراية التي هي آية الفتح، فجمع الضمير في يرجون نظرا إلى معنى "كلهم "، وأفرد في يعطى نظرا إلى لفظه، وفيه لطيفة وهي شمول الرجاء دون حصول الإعطاء (فقال: " أين علي." (١)

"في السفر // وإسناده حسن //

(دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله **يحبهم ويحبونه** (ابن سعد عن الحسن مرسلا) هو البصري

(دعوني من السودان) يعني من الزنج كما بينه في رواية أخرى (فإنما الأسود لبطنه وفرجه) أي لا يهتم إلا بهما فإن جاع سرق وأن شبع فسق وحينئذ فاقتناء الزنجي خلاف الأولى عبدا كان أو أمة (طب عن ابن عباس) // بإسناد ضعيف //

(دعوه) أي اتركوا يا أصحابي من طلب مني دينه فأغلظ فلا تبطشوا به (فإن لصاحب الحق مقالا) أي صولة الطلب وقوة الحجة (خ ت عن أبي هريرة) وكذا رواه مسلم

(دعوه) أي المريض (يئن) أي يستريح بالأنين أي يقول آه ولا تعنفوه عليه (فإن الأنين من أسماء الله تعالى) أي لفظ آه من أسماء الله تعالى لكن هذا تتداوله الصوفية ويذكرون له أسرار ولم يرد به توقيف من حيث الظاهر (يستريح إليه العليل) فيه رد لقول طاوس أن الأنين مكروه ولكونه شكوى (الرافعي) في تاريخ قزوين (عن عائشة) قالت دخل المصطفى وعندنا عليل يئن فقلنا اسكت فذكره

(دفن البنات من المكرمات) أي من الأمور التي يكرم الله بها آباءهن ونعم الصهر القبر قال بعضهم هذا خرج مخرج التعزية للنفس (خط عن ابن عمر) // بإسناد ضعيف //

(دفن بالطينة) وفي رواية بالتربة (التي خلق منها) قاله لما رأى حبشيا يقبر بالمدينة فما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي خلق منها ويموت فيها (طب عن ابن عمر) // بإسناد ضعيف //

(دليل الخير كفاعله) أي له ثواب كما أن لفاعل الخير ثوابا ولا يلزم تساويهما (ابن النجار) في تاريخه (عن علي) // وإسناد ضعيف //

(دم عفراء أزكى عند الله) في رواية أحب إلى الله (من دم سوداوين) أي ضحوا بالعفراء وهي شاة يضرب لونها إلى بياض غير ناصع فإن دمها أفضل من دم شاتين سوداوين (طب عن كثيرة) بفتح الكاف وكسر المثلثة (بنت أبي سفيان) الخزاعية لها صحبة كذا ذكره أبو نعيم وابن منده وقال ابن ماكولا بموحدة // وإسناده ضعيف //

(دم) شاة (عفراء أحب إلي من دم سوداوين) يعني في الأضاحي (حم ك عن أبي هريرة) قال في المهذب فيه أبو نفال واه

(دم عمار) ابن ياسر (حرام على النار أن تأكله أو تمسه) لأن كمال الإيمان يطفئ حر النيران ونبه بالدم على بقية أجزاء بدنه (ابن عساكر عن علي) ورواه عنه أيضا البزار ورجاله ثقات

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ الملا على القاري ٣٩٣٣/٩

(دوروا مع كتاب الله حيثما دار) فأحلوا حلاله وحرموا حرامه فإنه لكتابه المبين والصراط المستقيم (ك عن حذيفة) بن اليمان

(دونك) بكسر الكاف أي خذي حقك يا عائشة (فانتصري) من زينب التي دخلت من غير إذن وهي غضبي ثم قالت أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريعيها ثم أقبلت على عائشة فقال لها النبي ذلك (هـ عن عائشة) // بإسناد لين //

(دية المعاهد) بفتح الهاء أي الذمى الذي له عهد (نصف دية الحر) أي المسلم وبه أخذ مالك وقال أبو حنيفة كدية مسلم وقال الشافعي كثلثها (دعن ابن عمرو) في إسناده مجهول

(دية عقل الكافر نصف عقل المؤمن) أراد بالكافر من له ذمة أو أمان وبه قال مالك مطلقا وأحمد أن كان القتل خطأ والأفدية مسلم (ت عن ابن عمرو) بن العاص // بإسناد حسن //

(دية المكاتب بقدر ما عتق منه دية الحر وبقدر ما رق منه دية العبد) قال الخطابي اجمعوا على أن المكاتب قن ما بقي عليه درهم جانيا ومجنيا عليه ولم يقل بهذا الحديث إلا النخعي وتعقب بأنه حكى عن أحمد (طب عن ابن." (١)

"١٠٥٥ - (أشد الناس بلاء في الدنيا نبي أو صفي) ولهذا قيل في حديث آخر: إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم. وسر ذلك قال الحراني إن من شأن الطين الذي منه البشر وما تولد منه أنه لا يخلص من الشوائب ويصفو عن الكدر إلا بعد معاناة شديدة. ألا ترى أن الذهب أصفاه وهو لا يخلص عن غش ما ولا يعرى عن مخالطة الدنس بالكلية إلا بالإمتحان بشدة النيران؟ قال القرطبي: أحب الله أن يبتلي أصفياءه تكملا لفضائلهم ورفعة لدرجاتهم عنده وليس ذلك نقصا في حقهم ولا عذابا. بل كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجريه الله عليم وقال الجيلاني: إنما كان الحق يديم على أصفيائه البلايا والمحن ليكونوا دائما بقلوبهم في حضرته لا يغفلوا عنه لأنه **يحبهم ويحبونه** فلا يختارون الرخاء لأنه فيه بعدا عن محبوبهم وأما البلاء فقيد للنفوس يمنعها من الميل لغير المطلوب فإذا دام ذابت الأهوية وانكسرت القلوب فوجدوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد كما قال تعالى في بعض الكتب الإلهية: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي: أي على الكشف منهم والشهود وإلا فهو عند كل عبد انكسر قلبه أم لا

(تخ عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) أي عن بعضهم رمز المصنف لحسنه." (٢)

"١٠٥٦ - (أشد الناس بلاء الأنبياء) قالوا ثم من؟ قال (ثم الصالحون) أي القائمون بما عليهم من حقوق الحق والخلق قالوا ثم من؟ قال (ثم الأمثل فالأمثل) قال الراغب: الأمثل يعبر به عن الأشبه بالفضل والأقرب إلى الخير وأماثل القوم كناية عن خيارهم. وقال الأمثل أفعل من التماثل والجمع أماثل وهم الفضلاء قال ابن عطاء الله: خرجت زوجة القرشي من عنده وهو وحده فسمعت رجلا يكلمه ثم انقطع كلامه فدخلت عليه. فقالت ما عندك أحد والآن سمعت كلاما عندك. قال: الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد فقال كل هذه ففيها شفاؤك. قلت اذهب -[٥٢٠]- أنت وزيتونتك لا حاجة لي فيها وكان به داء الجذام (٣) قال ابن عربي: هنا مسألة يجب بيانها: إن الله أحب أنبياءه وأولياءه والمحب لا يؤلم

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير؟ المناوي ٩/٢

(٢) فيض القدير؟ المناوي ٥١٩/١

(٣) تنبيه

محبوبه. ولا أحد أشد ألما ولا بلاء منهم فمن أين استحقوا هذا مع كونهم محبوبين؟ قلنا إن الله قال ﴿يحبهم ويحبونه﴾ والبلاء لا يكون أبدا إلا مع الدعوى فمن ادعى فعليه الدليل على صدق دعواه فولا الدعوى ما وقع البلاء ولما أحب الله من عباده من أحب رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حبه فادعوه فابتلاهم من حيث كونهم محبوبين فإنعامه دليل على صدق محبته فيهم وابتلاهم لما ادعوه من صدق حبهم إياه. فافهم. قال الطيبي: وثم فيه للتراخي والفاء للتعاقب على التوالي كما سبق وإنما ألحق الصالحون بالأنبياء لقربهم وإن كانت درجتهم منحطة عنهم وسره أن البلاء في مقابل النعمة فمن كانت نعمة الله عليهم أكثر كان بلاؤهم عليه أشد ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد وفيه دليل على أن القوي يحمل ما حمل والضعيف يرفق به لكن كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان البلاء ومنهم من ينظر إلى أهل البلاء فيهون عليه وأعلى منه من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض وأرفع منه من يشغله المحبة عن طلب رفع البلاء وأنهى المراتب من يلتذ به

(طب عن أخت حذيفة) بن اليماني فاطمة أو خولة رمز المصنف لحسنه." (١)

"٤٢٢٥ - (دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله سمعت امرأة من العابدات تقول: بحبك لي إلا غفرت لي ما غفرت لي فقيل: أما يكفيك أن تقولي بحبي لك؟ قالت: أما سمعت قوله ﴿ويحبهم ويحبونه﴾ فقدم محبته على محبتهم له

(ابن سعد) في الطبقات (عن الحسن مرسلا) وهو البصري." (٢)

"٥٤٥٠ - (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل) أي علامة حب الله لعبده حب عبده لذكره لأنه إذا أحب عبدا ذكره وإذا ذكره حبب إليه ذكره فيذكر ربه بذكره تعالى له كما يحبه بحبه له قال تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله لأن ذكر الله للعبد يثير من العبد ذكره له وقد يجري على ظاهره ويكون المعنى علامة المحب لله كثرة ذكره له لأن من أحب شيئا أكثر ذكره وفي الخبر أنت مع من أحببت أي إن كنت كذلك فأنت مع من أحببت شهودا له بالقلب وذكرا له باللسان وخدمة له بالأركان فذكر الله من العبد بلسانه علامة شهوده له بجنانه كما قال: اعبد الله كأنك تراه

(هب عن أنس) بن مالك ورواه عنه الحاكم والديلمي." (٣)

"٨٣٠٩ - (من أحب لقاء الله) أي المصير إلى ديار الآخرة بمعنى أن المؤمن عند الغرغرة يبشر برضوان الله وجنته فيكون موته أحب إليه من حياته (أحب الله لقاءه) أي أفاض عليه فضله وأكثر عطاياه (ومن كره لقاء الله) حين يرى ماله من العذاب حالتئذ (كره الله لقاءه) أبعده من رحمته وأدناه من نقمته وعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف - [٣٠]- منال النفس من المعرفة التي بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه والقصد بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله

---

(١) فيض القدير؟ المناوي ١/٥١٩

(٢) فيض القدير؟ المناوي ٣/٥٣٢

(٣) فيض القدير؟ المناوي ٤/٣٢٠

لقاءهم لأن المحبة صفة الله ومحبة العبد ربه منعكسة منها كظهور عكس الماء على الجدر كما يشعر به تقديم يحبهم على يحبونه في التنزيل كذا قرره جمع وقال الزمخشري: لقاء الله هو المصير إلى الآخرة وطلب ما عند الله فمن كره ذلك وركن إلى الدنيا وآثرها كان ملوما وليس الغرض بلقاء الله الموت لأن كلا يكرهه حتى الأنبياء فهو معترض دون الغرض المطلوب فيجب الصبر عليه وتحمل مشاقه ليتخطى لذلك المقصود العظيم وقال الحرالي: هذه المحبة تقع لعامة المؤمنين عند الكشف حال الغرغرة وللخواص في محل الحياة إذ لو كشف لهم الغطاء لما ازدادوا يقينا فما هو للمؤمنين بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للموقن في حياته لكمال الكشف له مع وجوب حجاب الملك الظاهر

(تتمة) ذكر بعض العارفين أنه رأى امرأة في المطاف وجهها كالقمر معلقة بأستار الكعبة تبكي وتقول بحبك لي إلا ما غفرت لي فقال: يا هذه أما يكفيك أن تقولي بحبي لك فما هذه الجرأة؟ فالتفتت إليه وقالت له: يا بطال أما سمعت قوله تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ فلولا سبق محبته لما أحبوه فخجل واستغفر

(حم ق) في الدعوات (ت) في الزهد (ن) في الجنائز (عن عائشة وعن عبادة) بن الصامت وفي الباب غيرهما أيضا." (١)

"جميع ما يلزمون به في الإستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه

فلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها أعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق ويأتي كلامه كله

ومن المتشابه المحبة في وصفه تعالى بها في قوله ﴿يحبهم ويحبونه﴾ المائدة ٥٤ وقوله ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ طه ٣٩ لأن المحبة ميل القلب إلى ما يلائم الطبع والله منزه عن ذلك وحينئذ فمحبة الله تعالى للعبد هي إرادة اللطف به والإحسان إليه ومحبة العبد لله هي محبة طاعته في أوامره ونواهيه والإعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحب الله أي يحب طاعته وخدمته أو يحب ثوابه وإحسانه وهذا مذهب جمهور المتكلمين

قال العلامة الطوفي ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء إلى أن الله تعالى لا يحب وإنما محبته محبة طاعته وعبادته وقالوا هو أيضا لا يحب عباده المؤمنين وإنما محبته إرادته الإحسان إليهم قال والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق أن الله تعالى يحب ويحب لذاته وأما حب ثوابه فدرجة نازلة

قال وأول من أنكر المحبة في الإسلام الجعد بن درهم أستاذ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد." (٢)

"أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن لم يؤمر فنبي فحسب، وهو أفضل من النبي إجماعا لتمييزه بالرسالة التي هي على الأصح خلافا لابن عبد السلام أفضل من النبوة فيه.

وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ على حسب معرفته

---

(١) فيض القدير؟ المناوي ٦/٢٩

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات؟ مرعي الكرمي ص/٧٧

به، وأعرف الناس با تعالى نبينا، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب﴾ ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية» : الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر اهـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها.

قال ابن القيم: وظن أن المحبة أرفع من الخلة وأن إبراهيم خليل ومحمدا حبيب غلط وجهل، وما احتج به لأن المحبة أرفع من الخلة من نحو حديث البيهقي أنه تعالى قال له ليلة الإسراء: «يا محمد سل تعط فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا، فقال: ألم أعطك خيرا من هذا؟» إلى قوله: «واتخذتك حبيبا» وإن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل، قال تعالى في نبينا: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم: ٩) وفي إبراهيم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ (الأنعام: ٧٥) والخليل." (١)

"هو لكونها علامة لحب ذلك الأمير تعالى اللازمة لحب الله تعالى (له) قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة: ٥٤) ولحصول الفتح على يديه (فتساورت) أي: تطاولت له كما جاء في رواية لمسلم أيضا (رجاء أن أدعى لها) بالبناء للمفعول (فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليبن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال التوجه (حتى يفتح الله عليك) أي: واصبر على الجهاد واترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك، ويحتمل أن تكون حتى تعليلية ويكون علم كونه علة لذلك بالوحي (فسار علي) أي: عقب الأمر مبادرا للجهاد (شيئا) أي: من السير فهو مفعول مطلق (ثم وقف ولم يلتفت) لئلا يخالف نهيه عنه، وفهم منه علي رضي الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة، فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب وإن كان يحتمل أن يكون المراد من ترك الالتفات كما قال المصنف الحث على الإقدام والمبادرة إلى ما أمر به، وأن يكون المراد لا تتصرف بعد لقاء عدوك حتى يحصل الفتح، ففيما فعله علي رضي الله عنه الأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر (فصرخ) أي: رفع صوته (يا رسول الله على ماذا) مركب بمعنى على أي شيء (أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) سكت فيه عن ذكر أداء الجزية. وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام قبل القتال. ومذهبنا ومذهب آخرين إن كان القوم ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال أو من غيرهم فلا، ولذا قال (فإذا فعلوا ذلك) فيه إطلاق الفعل

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٣١/١

على القول: أي إذا تلفظوا بهذه الكلمة (فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها) أي: فيؤخذ بذلك كالنفس بالنفس والزكوات (وحسابهم على ا) أي يكف عن قتالهم بنطقهم بذلك، وأما ما بينهم وبين الله تعالى فإن صدقوا وآمنوا بالقلب نفعهم ذلك في الآخرة ونجوا من العذاب كما نفعهم في الدنيا، وإلا فلا ينفعهم بل يكونون منافقين من أهل النار." (١)

"الأمور الواجبات، لأن الأمر بها جازم فيتضمن أمرين: الثواب على فعلها، والعقاب على تركها، بخلاف النفل، فلذا كان الفرض أكمل وأحب إلى الله وأشد تقربا.

وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة: ١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين **يحبهم ويحبونه**. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها) .

قال بعض المحققين: التحقيق أن هذه الصيرورة مجاز أو كناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب إليه بما ذكر، وتأييده وإعانته له وتوليه في جميع أموره، حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي بها يدرك ويستعين، ولذا جاء في رواية أخرى «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي» أي أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه: أي سواء الجزئيات والكليات، وهذا يرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق أفعاله الجزئيات.

وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ضلال وكفر إجماعا، وما وقع في عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس مرادا لهم،." (٢)

"١٧٥٣ – (وعن أبي العباس) وقيل: أبو يحيى (سهلبن سعد) بن مالكبن خالدبن ثعلبة ابن حارثةبن عمروبن الخزرجبن ساعدةبن كعببن الخزرج الأنصاري (الساعدي رضي الله عنه) كان اسمه حزنا فسماه النبي سهلا. قال الزهري سمع سهل من النبي، وكان له في وفاة النبي خمس عشرة سنة، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين. قال ابن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٣٠٧/٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٣١١/٢

سعد: وهو آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي ليس فيه خلاف، وقال غيره: بل فيه الخلاف كذا في «التهذيب» للمصنف. قلت: ويؤيد الخلاف الذي نقله المصنف ما تقدم في باب التقوى من «اليواقيت الفاخرة» أن آخر من مات بالمدينة السائبن يزيد المعروف بابن أخت النمر. توفي سنة إحدى وتسعين، وروي له عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا، اتفقا على ثمانية وعشرين، وانفرد البخاري بأحد عشر (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال يوم خيبر) جرت عادة العرب الكناية بيوم كذا عن غزوته سواء كانت في يوم أقل أو أكثر، هذا المقال صدر منه في بعض أيام تلك الغزوة فإنها كانت أياما (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه) والتنوين في رجل للتعظيم، وأبدل منه ما يزيد في تعظيمه قوله: (يحب الله ورسوله) بالنصب (ويحبه الله ورسوله) أي: جامع للوصفين حائز للشرفين المتلازمين ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وتقدم أن المراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإنابته، والمراد من محبة العبد ورسوله امتثال أوامرهما واجتناب مناهيهما (فبات الناس يدوكون) يخوضون (ليلتهم) أي: فيها (أيهم يعطاها) بالبناء للمفعول (فلما أصبح الناس غدوا) هو السير أول النهار، والرواح: السير آخره هذا أصلهما، وقد يستعمل كل في موضع الآخر (على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كلهم يرجو) الإفراد باعتبار لفظ كل قال في «مغني اللبيب» إذا أضيفت كل إلى معرفة فقالوا: يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناه وقد اجتمعا في قوله تعالى:

﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم﴾ (مريم: ٩٣ – ٩٤) والصواب أن الضمير لا يعود إليها من خبرها إلا مفردا مذكرا على لفظها نحو ﴿وكلهم آتيه﴾ وقوله: «كلكم راع» وأما لقد أحصاهم فجملة." (١)

"مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل قوم الحطم، وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام (﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾) يل هم أهل اليمن لما روي «أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى وقال: هم قوم هذا» وقيل سلمان لما روي «أنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: وذووه» وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس، والراجع إلى من محذوف والتقدير: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم (
﴿أذلة على المؤمنين﴾) عاطفين عليهم متذللين، جميع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع «علي» إما لتضمين معنى العطف والحنو، أو التنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم، أو لمقابلة (﴿أعزة على الكافرين﴾) أي شداد متغلبين عليهم، من عزة إذا غلبه، وقرىء بالنصب على الحال (﴿يجاهدون في سبيل ا﴾) صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة (﴿ولا يخافون لومة لائم﴾) عطف على يجاهدون، بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينالله، أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فإنهم يخرجون مع المسلمين في الجهاد خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعلمون ما يلحقهم به لوم من جهتهم، واللومة المرة من اللوم، وفي تنكير

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٢/٤٥١

لائم مبالغتان (ذلك) أي ما تقدم من الأوصاف (﴿فضل الله يؤتيه﴾) يمنحه ويوفق له (﴿من يشاء﴾) من خلقه (﴿وا واسع﴾)كثير الفضل (﴿عليم﴾) بمن هو أهله.

١٣٨٦ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله تعالى قال) هكذا أورده هنا بصيغة الماضي وفي الأربعين، يقول بصيغة المضارع، وعلل بعض الشراح بقوله مضارعا لأن المضارع يدل على الحال الخاص (من عادى لي وليا) من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو فهو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو من المولاة ضد المعاداة فهو من تول الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصر وقدم الظرف للاختصاص: أي من اتخذ وليا لي لا لغيري عدوا (فقد آذنته) بالمد أي أعلمته (بالحرب) أي إني محارب له عنه: أي مهلكه بأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد." (١)

"وأصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه على فرخه، والجناحان من ابن آدم جانباه.

(وقال الله تعالى) : (﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾) قال ابن عطية: وهذه استعارة بمعنى لين لهم جانبك ووطىء لهم أكنافك والجناح الجانب والجنب ومنه واضمم يدك إلى جناحك فهو أمر بالميل إليهم، والجنوح الميل اهـ. ولا مخالفة بين كونه كناية واستعارة: أي تمثيلية لاختلاف الاعتبار، قال في «النهر» : وقد كان كثير الشفقة على من بعث إليه، وقد تقدمت الآية مع الكلام عليها في باب ضعفة المسلمين.

(وقال تعالى) : (﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾) وقد ارتد قبائل في عهده، وفي خلافة أبي بكر وعمر (﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾) بدلهم ومكانهم، وحرف التنفيس لتحقيق الوعد (يحبهم) يهديهم ويثبتهم (ويحبونه) أي يطيعونه وهم أبو بكر وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون، قال في النهر في «مستدرك الحاكم» عن أبي موسى الأشعري: لما نزلت أشار إلى أبي موسى وقال: هم هذا. وهذا أصح الأقوال وكان لهم بلاء في الإسلام زمن رسول الله، وعامة فتوح عمر على أيديهم (﴿أذلة على المؤمنين﴾) أي متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين عليهم أجنحتهم. وأذلة جمع ذليل لا ذلول الذي هو نقيض الصعب لأنه لا يجمع على أفعلة، بل على ذلل وتعديته بعلى لما أشرنا إليه من تضمينه معنى الحنو والعطف (﴿أعزة على الكافرين﴾) شداد متغلبين عليهم. قال في «النهر» : جاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة لأن أذلة وأعزة جمع ذليل وعزيز، وهما من صيغ المبالغة، وجاءت الصفة قبلهما بالفعل في قوله، **يحبهم ويحبونه** لأنه الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صيغة مبالغة وكانت لا تتجدد، بل هي كالغريزة جاء الوصف بالاسم. ولما كانت الصفة قبل تتجدد لأنها عبارة عن فعل الطاعات والإنابة المرتبة عليها جاء الوصف بالفعل المقتضي للتجدد، ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن آكد ولموصوفه ألزم قدم على الوصف المتعلق بالكافر ولشرف المؤمن أيضا، ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه آكد مما بينه وبين المؤمن قدم قوله

يحبهم ويحبونه على قوله أذلة على المؤمنين وفي الآية إبطال قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم والفعل لا يتقدم الفعل إلا في ضرورة الشعر، وقرىء شاذا بنصب أذلة وأعزة على الحالية من." (٢)

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٢٦٠/٣

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؟ ابن علان ٥١/٥

"محذوف كذلك اى مثل ذلك الإيراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبرى بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم اى ندمات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذي انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به واصل الحسر الكشف ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية ان كانت بصرية تكون حسرات حالا من أعمالهم والمعنى ان أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون أعمالهم الا حال كونها حسرات وان كانت قلبية فهى ثالث مفاعيل يرى وعليهم يتعلق اما بحسرات والمضاف محذوف اى على تفريطهم او بمحذوف منصوب على انه صفة لحسرات اى حسرات مستولية عليهم فان ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها ويتحسرون على ما فعلوه من المعاصي لم عملوها قال السدى ترفع لهم الجنة فينظرون إليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون وما هم بخارجين من النار لانهم خلقوا لاجلها- روى- انه يساق اهل النار الى النار لم يبق منهم عضو الا لزمه عذاب اما حية تنهشه او ملك يضربه فاذا ضربه الملك هوى في النار مقدار أربعين يوما لا يبلغ قرارها ثم يرفعه اللهب ويضربه الملك فيهوى فاذا بدا رأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاذا عطش أحدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فاذا دنا من وجهه سقط وجهه ثم يدخل في فيه فتسقط أضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون في النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخرجون قال سعيد بن جبير ان الله تعالى يأمر يوم القيامة من احرق نفسه في الدنيا على ربوبية الأصنام ان يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكفار ان كنتم احبائى فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها وينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال تعالى **يحبهم ويحبونه** ومن لم يكن أهلا لمحبة الله ازلا طردته العزة الى محبة الانداد وهي كل ما يحب سوى الله فمن وكل الى المحبة النفسانية تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الأصنام فكما ان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون الأولاد ويعبدونها فمحبة الأولاد والأزواج والأموال تمنع عن محبة الله ومن أحب الله يرى ما سواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن كان في الأزل أهلا لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغير الله لانها من عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والأعداء أحبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والأحباء أحبوا الله بمحبة باقية ربانية بل احبوه بجميع اجزائهم الفانية والباقية اللهم أوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين يا أيها الناس نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس كلوا مما في الأرض اى من بعض ما فيها من اصناف المأكولات لان كل ما فيها لا يؤكل حلالا حال من الموصول اى حال كونه." (١)

"وملك دلها جدا وملك جانها جدا زيرا انسانيت ملك در دنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت راند **يحبهم ويحبونه** وجان ملك در عالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فردا كه

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٢٧١/١

علم كبرياى او بقيامت برايد كه لمن الملك اليوم من از كوشه دل خويش بدستورى او درى بركشايم ودردى از دردهاى او بيرون دهم تا كرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك ﷲ معترضى براه آيد كويم او كه چون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ما چون او ملك جبارى داريم چرا نكوييم لمن الملك ﷲ او را چون ما بنلﷲانست ما را چون او خداوند است. ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين ابى يزيد البسطامي قدس سره الهى ملكى أعظم من ملكك اى فان ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جدا فان هذا المقام من مزالق الاقدام وهو تعالى وحده على كل شيء من الأشياء وعلى كل مقدور من الانعام والانتقال وغيرهما قدير مبالغ فى القدرة عليه ومنتهى الى أقصاها يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الأمور ودقائقها قال بعضهم وهو على كل شيء قدير اى ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان الموجود الواجب لا يحتاج فى وجوده الى شيء ويمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممكن لا يراد وجوده إذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالإيجاد وبالموجود بالابقاء والتحويل من حال الى حال قال القاشاني وهو القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجده على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشيء بالممكن إذ تعلل القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفى التأويلات النجمية) تعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله الذي بيده المطلقة الملأى السحاء سلطنة الوجود المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهو أي هويته المطلقة ظاهرة فى كل شيء قادرة على كل شيء الذي خلق الموت والحياة شروع فى تحصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الاول فلا وقف على القدير والموت عند اهل السنة صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زائدة على نفس لذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الموت والحياة جسمان وان الله خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهى التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد رايحتها شيء الا حى وهى التي أخذ السامري من اثرها قبضة فألقاها على العجل فحيي فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير وإلا فهما فى التحقيق من قبيل الصفات لا من قبيل الأعيان هكذا قالوا وجوابه ان كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لا ينافى أن يكون لهما صورة محسوسة كالاعيان فانهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية فى ذلك العالم بها يرى ويشاهد يشاهده من يغيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله." (١)

"عليه السلام وأمته مخصوصون بالوصول والوصال مخفف عنهم كلفة الفراق والانقطاع فاما النبي عليه السلام فقد خص بالوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى وبالوصال بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وانقطع سائر الأنبياء عليهم السلام فى السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم فى سماء الدنيا الى ان رأى ابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة فعبر عنهم جميعا الى كمال القرب والوصول. واما الامة فقال فى حقهم (من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا) فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبي والولي فى ذلك ان النبي مستقل بنفسه فى السير الى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٧٤/١٠

بحسب استعداده الكامل والولي لا يمكنه السير الا فى متابعة النبي وتسليكه فى سبيل الله قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغى ان يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات. قال جنيد البغدادي قدس سره مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. قال على كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم

كرت بايد كه بينى روى ايمان ... رخ از آيينه امرش مكردان

ز شرعش سر مپيچ از هيچ رويى ... كه همچون شانه ميكردى بمويى

قال الشيخ السعدي قدس سره

خلاف پيمبر كسى ره كزيد ... كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفت جز بربي مصطفا

ثم فى قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا اشارة الى ان الإنسان لا يصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التي فطر الناس عليها فانه **يحبهم ويحبونه** وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم فى المحبة والإنسان مخصوص بالمحبة. واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الإنسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير لضعفه من حال الى حال ومن صفة الى اخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة اخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل ما يؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لا يقدر ان يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدر ان تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الإنسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق بأخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء فى الحديث الرباني (انا ملك حى لا أموت ابدا عبدى أطعني أجعلك ملكا حيا لا يموت ابدا) فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية

كى شوى انسان كامل ... اى دل ناقص عقل

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اى لا تأخذوا وعبر عن الاخذ بالأكل لان المقصود الأعظم من الأموال الاكل فكما ان الاكل محرم فكذلك سائر وجوه التصرفات أموالكم بينكم بالباطل اى بوجه." (١)

"الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولاختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو)

هر كه او نيك ميكند يابد ... نيك وبد هر چه ميكند يابد

ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بان يوفوا جميع ما أوجبه عليهم من التكاليف شرع فى ذكر التكاليف مفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز وجل من قائل أحلت لكم بهيمة الأنعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى أحل لكم أكل البهيمة من الانعام وهى الإبل والبقر والضأن والمعز وذكر كل واحد

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ١٩٤/٢

من هذه الأنواع الاربعة زوج بانثاه وانثاه زوج بذكره فكان جميع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين على التفصيل المذكور فى سورة الانعام فالبهيمة أعم من الانعام لان الانعام لا تتناول غير الأنواع الاربعة من ذوات الأربع والحق بالانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما إلا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام بتقدير المضاف اى الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذي حرمه المتلو من القرآن من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة بعد هذه الآية او بتقدير نائب الفاعل اى الا ما يتلى عليكم فيه آية كريمة غير محلي الصيد الصيد بمعنى المصدر اى الاصطياد فى البر او المفعول اى أكل صيده بمعنى مصيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع فى الكتاب والسنة وأنتم حرم اى محرمون حال من الضمير فى محلى. والحرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان إذا دخل فى الحرم او فى الإحرام وفائدة تقييد إحلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم إحلال الصيد حال الإحرام إتمام النعمة واظهار الامتنان بإحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة الإحرام من مظان حاجتهم الى إحلال غيره حينئذ كأنه قيل أحلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الأوقات محتاجين الى إحلالها إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الإيفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات. والاشارة فى الآية أوفوا بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد **يحبهم ويحبونه** ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده أحلت لكم بهيمة الأنعام اى ذبح بهيمة النفس التي هى كالانعام فى طلب المرام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم يعنى الا النفس المطمئنة إذا تليت عليها ارجعي الى ربك فانها تنفرت من الدنيا وما فيها فانها كالصيد فى الحرم وأنتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال بإحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب ومحبوب إن الله يحكم بذبح
النفس إذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترفع فى مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع الى حضرة الربوبية عند اطمئنانها." (١)

"غيره وفى الحديث (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم فينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق ثمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) يعنى من لم يجد شيأ يتقى به النار فليتق منها بقول حسن يطيب به قلب المسلم فان الكلمة الطيبة من الصدقات. والاشارة فى الآية ان الله تعالى أخذ الميثاق من اليهود والنصارى على التوحيد كما أخذ من هذه الامة يوم الميثاق ولكنه لما وكل الفريقين الى أنفسهم نسوا ما ذكروا به فما بقي لهم حظ من ذلك الميثاق بابطال الاستعداد الفطري لكمال الانسانية فصاروا كالانعام بل هم أضل اى بل كالسباع يتحارشون ويتناوشون بالعداوة والبغضاء الى يوم القيامة فان ارباب الغفلة لا الفة بينهم وان اصحاب الوفاق لا وحشة بينهم واما هذه الامة لما أيدت بتأييد الا له إذ كتب فى قلوبهم الايمان

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٣٣٧/٢

بقلم خطاب ألست بربكم يوم الميثاق وأيدهم بروح منه ما نسوا حظا مما ذكروا به وقيل لنبيهم عليه الصلاة والسلام وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقال تعالى خطابا لهم إذ لم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم فاذكروني أذكركم على ان ذكره إياهم كان قبل وجودهم وذكرهم إياه حين ذكرهم المحبة وقال **يحبهم ويحبونه** كذا فى التأويلات النجمية يا أهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والإنجيل قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والإيذان بوجوب اتباعه يبين لكم حال من رسولنا اى حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى كثيرا كائنا من الذي كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب اى التوراة والإنجيل الذي أنتم اهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام فى الإنجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه اى لا يظهره ولا يخبره إذا لم يضطر اليه امر دينى صيانة لكم عن زيادة الافتضاح قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين المراد بالنور والكتاب هو القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق او الاعجاز الواضح والعطف المنبئ على تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالأول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد بالذات او لانهما فى حكم الواحد فان المقصود منهما دعوة الخلق الى الحق أحدهما رسول الهى والآخر معجزته وبيان ما يدعو اليه من الحق من اتبع رضوانه اى رضاه بالايمان به سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على ان يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة او سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس على ان يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فان يهدى انما يتعدى الى الثاني بالى او باللام كما فى قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى ظلمات فنون الكفر والضلال إلى النور الى الايمان وسمى الايمان نورا لان الإنسان إذا آمن ابصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره بإذنه." (١)

"الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك. ويقال أراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك الاضحية وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله انه قرب كبشا أملح اقرن فقال (لا اله الا الله والله اكبر ان صلاتى ونسكى) الى قوله تعالى وأنا أول المسلمين ثم ذبح فقال (شعره وصوفه فداء لشعرى من النار وجلده فداء لجلدى من النار ودمه فداء لدمى من النار ولحمه فداء للحمى من النار وعظمه فداء لعظمى من النار وعروقه فداء لعروقى من النار) فقالوا يا رسول الله هنيئا مريئا هذا لك خاصة قال (لا بل لامتى عامة الى ان تقوم الساعة أخبرني به جبريل عليه السلام عن ربى عز وجل) ومحياي ومماتي اى وما انا عليه فى حياتى وأكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة فالتقدير ذا محياى وذا مماتى فجعل ما يأتى به فى حياته وعند موته ذا حياته وذا موته كقولك ذا انائك تريد الطعام فاضافته بأدنى ملابسة لله رب العالمين لا شريك له اى خالصة له تعالى لا أشرك فيها غيره وبذلك الإخلاص أمرت لا بشيء غيره وأنا أول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته. وفيه بيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به يقتدى به عليه السلام من اسلم منهم والاشارة إن صلاتي ونسكي اى سيرى على منهاج الصلاة هو معراجى

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٢/٣٦٩

الى الله تعالى وذبيحة نفسي ومحياي حياة قلبي وروحى ومماتي اى موت نفسى لله رب العالمين لطلب الحق والوصول اليه لا شريك له فى الطلب من مطلوب سواه وبذلك أمرت اى ليس هذا الطلب والقصد الى الله من نظرى وعقلى وطبعى انما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته إذ اوحى الى وقال وتبتل إليه تبتيلا وقال قل الله ثم ذرهم وأنا أول المسلمين يعنى أول من استسلم عند الإيجاد لامركن وعند قبول فيض المحبة لقوله **يحبهم ويحبونه** والاستسلام للمحبة فى قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام (أول ما خلق الله نورى) كذا فى التأويلات النجمية وفى الآية حث على التوحيد والإخلاص وعلامتهما التبري من كل شيء سواه تعالى ظاهرا وباطنا ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية وعن مالك بن دينار قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وإذا شاب يمشى فى الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت ايها الشاب من اين قال من عنده قلت والى اين قال اليه قلت واين الزاد قال عليه قلت ان الطريق لا يقطع الا بالماء والزاد وهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي بخمسة أحرف قلت وما هذه الخمسة الا حرف قال قوله تعالى كهيعص قلت وما معنى كهيعص قال اما قوله كاف فهو الكافي. واما الهاء فهو الهادي. واما الياء فهو المؤدى. واما العين فهو العالم. واما الصاد فهو الصادق ومن كان صاحبه كافيا وهاديا ومؤديا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى حمل الزاد والماء قال مالك فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصى على ان ألبسه إياه فابى ان يقبله وقال ايها الشيخ العرى خير من قميص دار الفناء حلالها حساب وحرامها عقاب وكان إذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لى ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما احرم الناس ولبوا." (١)

"وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه كما قال الكاشفى [او را آواز داد وكفت اين پسريست كه دلو را كران ساخته پس بمدد كارئ او يوسف را از چاه بر آورده]

چون آن ماه جهان آرا بر آمد ... ز جانش بانك يا بشرى بر آمد

بشارت كز چنين تاريك چاهي ... بر آمد پس جهان افروز ماهي

وذلك لان ماء الحياة لا يوجد الا فى الظلمات كما ان العلم الإلهي انما يوجد فى ظلمات هذا القلب والقالب وفى التأويلات النجمية يشير الى ان القلب كما له بشارة من تعلق الجذبة وخلاصه من الجب فكذلك للجذبة بشارة فى تعلقها بالقلب وخلاصه من الجب وهى من اسرار **يحبهم ويحبونه** وأسروه اى أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة لئلا يطالبوا بالشركة فيه بضاعة حال كونه بضاعة اى متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بصعت منه اى قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم وشروه اى باعوه وهو من الاضداد والضمير للوارد وأصحابه يقول الفقير أيده الله القدير جعلوه عرضة للابتذال بالبيع والشراء لانهم لم يعرفوا حاله اما لان الله تعالى اغفلهم عن السؤال ليقضى امرا كان مفعولا او لانهم سألوا عن حاله ولم يفهموا لغته لكونها عبرية. وهاهنا روايات واهية بعيدة ينبغى ان لا يلتفت إليها وان ذهب إليها الجم الغفير من المفسرين ولله در المولى ابى السعود فى إرشاده بثمن بخس زيف ناقص العيار قال الكاشفى [ببهاى اندك وبى اعتبار] وهو بمعنى المبخوس لان الثمن لا يوصف بالمعنى المصدري ووصف بكونه مبخوسا اما لرداءته وغشه او لنقصان وزنه من بخسه

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ١٢٩/٣

حقه اى نقصه كما فى حواشى ابن الشيخ. وقال بعضهم بثمن بخس اى حرام منقوص لان ثمن الحر حرام انتهى حمل البخس على المعنى لكون الحرام ممحوق البركات والقول الاول هو الأصح دراهم بدل من ثمن اى لا دنانير معدودة اى غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه فى نفسه لانهم كانوا يزنون الاوقية وهى أربعون درهما وبعدون ما دونها. فعن ابن عباس انها كانت عشرين درهما. وعن السدى اثنين وعشرين درهما قيل ان الصبيان أخذوا النبي عليه السلام فى طريق المسجد وقالوا كن لنا جملا كما تكون للحسن والحسين قال لبلال اذهب الى البيت وائت بما وجدته لاشترى نفسى منهم فاتى بثماني جوزات فاشترى بها نفسه وقال (أخي يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وباعوني بثماني جوزات) كذا فى روضة الاخبار وكانوا اى البائعون فيه فى يوسف من الزاهدين الزهد والزهادة قلة الرغبة فى الشيء اى من الذين لا يرغبون فيما بايدهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من أول مساوم باوكس ثمن هذا مع الجمال الظاهر وفيه اشارة الى ان الجمال الظاهر لا خطر له عند الله تعالى وانما الجمال هو الجمال الباطن وفى الحديث (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم بل الى قلوبكم وأعمالكم) يعنى إذا كانت لكم قلوب واعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقا سواء كانت لكم صور حسنة واموال فاخرة أم لا والا فلا وليس بيع يوسف بثمن بخس بأعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة فلا بد من الإمساك والاحتماء والقناعة: قال المولى الجامى قدس سره." (١)

"الفرع من الإلهام بجامع الموافقة وقد ثبت ان العلماء ورثة الأنبياء فعلومهم علومهم ففى الاتباع لهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم اجر كثير وثواب عظيم ونجاة من المهالك كما قال الحافظ

يار مردان خدا باش كه در كشتىء نوح ... هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

إن ربك هو يفصل يقضى بينهم بين الأنبياء وأممهم المكذبين او بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل [وهر يك را مناسب او جزا دهد] وكلمة هو للتخصيص والتأكيد وان ذلك الفصل يوم القيامة ليس الا اليه وحده لا يقدر عليه أحد سواه ولا يفوض الى من عداه فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين هنا اى فى الدنيا قال بعض الكبار ان الله تبارك وتعالى يحكم بين عباده لوجوه. او لها لعزتهم لانهم عنده أعز من ان يجعل حكمهم الى أحد من المخلوقين بل هو بفضله وكرمه يكون حاكما عليهم.

وثانيها غيرة عليهم لئلا يطلع على أحوالهم أحد غيره. وثالثها رحمة وكرما فانه ستار لا يفشى عيوبهم ويستر عن الأغيار ذنوبهم. ورابعها لانه كريم ومن سنة الكرام انهم إذا مروا باللغو مروا كراما. وخامسها فضلا وعدلا لانه الخالق الحكيم الذي خلقهم وما يعملون على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فان رأى منهم حسنا فذلك من نتائج إحسانه وفضله وان رأى منهم قبيحا فذلك من موجبات حكمته وعدله وانه (لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية. وسادسها عناية وشفقة فانه تعالى خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فلا يجوز من كرمه ان يخسروا عليه. وسابعها رحمة ومحبة فانه تعالى بالمحبة خلقهم لقوله (فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف) وللمحبة خلقهم لقوله (يحبهم ويحبونه) فينظر فى شأنهم

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٤/٢٢٩

بنظر المحبة والرضى وعين الرضى عن كل عيب كليلة. وثامنها لطفا وتكريما فانه نادى عليهم بقوله (ولقد كرمنا بني آدم) فلا يهين من كرمه.

وتاسعها عفوا وجودا فانه تعالى عفو يحب العفو فان رأى جريمة فى جريدة العبد يحب عفوها وانه جواد يحب ان يجود عليه بالمغفرة والرضوان. وعاشرها انه تعالى جعلهم خزائن أسراره فهو اعلم بحالهم واعرف بقدرهم فانه خمر طينتهم بيده أربعين صباحا وجعلهم مرآة يظهر بها جميع صفاته عليهم لا على غيرهم ولو كان الملائكة المقربين ألا ترى انه تعالى لما قال (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فما عرفوهم حق معرفتهم حتى قال تعالى فيهم عزة وكرامة (إني أعلم ما لا تعلمون) اى من فضائلهم وشمائلهم فانهم خزائن أسراري ومرآة جمالى وجلالى فانتم تنظرون إليهم بنظر الغيرة وانا انظر إليهم بنظر المحبة والرحمة فلا ترون منهم الا كل قبيح ولا أرى منهم الا كل جميل فلا ارضى ان أجعلكم حاكما بينهم بل بفضلي وكرمى انا افصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فاحسن الى محسنهم وأتجاوز عن مسيئهم فلا يكبر على اختلافهم لعلمى بحالهم انهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فعلى العاقل ان يرفع الاختلاف من البين ولا يقع." (١)

"لان اهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الاشارة وانما لم يصرح بوجوب المحبة لانها مخصوصة بقوم دون سائرا الخلق كما قال (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) فعلى هذا بقوله (فاذكروني أذكركم) يشير الى أحبوني احببكم

بدرياى محبت آشنا باش ... صدف سان معدن در صفا باش

وسبحوه ونزهوه تعالى عما لا يليق به قال فى المفردات السبح المر السريع فى الماء اوفى الهواء والتسبيح تنزيه الله وأصله المر السريع فى عبادة الله وجعل عاما فى العبادات قولا كان او فعلا او نية بكرة وأصيلا اى أول النهار وآخره وقد يذكر الطرفان ويفهم منهما الوسط فيكون المراد سبحوه فى جميع الأوقات خصوصا فى الوقتين المذكورين المفضلين على سائر الأوقات لكونهما مشهودين على ما دل عليه قوله عليه السلام (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وافراد التسبيح من بين الاذكار لكونه العمدة فيها من حيث انه من باب التحلية وفى الحديث (اربع لا يمسك عنهن جنب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) فاذا قالها الجنب فالمحدث اولى فلا منع من التسبيح على جميع الأحوال الا ان الذكر على الوضوء والطهارة من آداب الرجال وفى كشف الاسرار [وسبحوه اى صلوا له بكرة يعنى صلاة الصبح وأصيلا يعنى صلاة العصر [اين تفسير موافق آن خبرست كه مصطفى عليه السلام كفت (من استطاع منكم ان لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس ولا غروبها فليفعل) ميكويد هر كه تواند از شما كه مغلوب كارها وشغل دنيوى نكردد بر نماز بامداد پيش از برآمدن آفتاب ونماز ديكر پيش از فروشدن آفتاب با چنين كند اين هر دو نماز بذكر مخصوص كردد از بهر آنكه بسيار افتد مردم را اين دو وقت تقصير كردن در نماز وغافل بودن از ان اما نماز بامداد بسبب خواب ونماز ديكر بسبب امور دنيا ونيز شرف اين دو نماز در ميان نمازها پيداست نماز بامداد شهود فرشتكانست] لقوله تعالى (إن قرآن الفجر كان

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ١٢٧/٧

مشهودا) يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار [ونماز ديكر نماز وسطى است كه رب العزة كفت] (والصلاة الوسطى) وفى الحديث (ما عجت الأرض الى ربها من شيء كعجيجها من دم حرام او غسل من زنى او نوم عليها قبل طلوع الشمس) والله تعالى يقسم الأرزاق وينزل البركات ويستجيب الدعوات فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فلا بد من ترك الغفلة فى تلك الساعة الشريفة وفى الحديث (من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة) ومن هنا لم يزل الصوفية المتأدبون يجتمعون على الذكر بعد صلاة الصبح الى وقت صلاة الاشراق فللذكر فى هذا الوقت اثر عظيم فى النفوس وهو اولى من القراءة كما دل عليه قوله عليه السلام (ثم قعد يذكر الله) على ما فى شرح المصابيح ويؤيده ما ذكر فى القنية من ان الصلاة على النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن فى الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها. وذكر فى المحيط انه يكره الكلام بعد انشقاق الفجر الى صلاته وقيل بعد صلاة الفجر ايضا الى طلوع الشمس وقيل الى ارتفاعها وهو كمال العزيمة قال بعض الكبار إذا قارب." (١)

"زيرا آن روز كه اين آيت آمد مصطفى عليه السلام سخت شاد شد واز شادى كه بوى رسيد سه بار بكفت] أمتي ورب الكعبة والله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم كما اصطفى رسولهم على جميع الرسل وكتابهم على كل الكتب وهذا الايراث للمجموع لا يقتضى الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل يشمل من يحفظ منه جزأ ولو انه الفاتحة فان الصحابة رضى الله عنهم لم يكن واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع بانهم مصطفون كما فى المناسبات قال الكاشفى [عطارا ميراث خواند چه ميراث مالى باشد كه بى تعب طلب بدست آيد همچنين عطيه قرآن بى جست وجوى مؤمنان بمحض عنايت ملك منان بديشان رسيد وبيكانكان را در ميراث دخل نيست دشمنان نيز وبهرهاى اهل قرآن متفاوتست هر كس بقدر استحقاق واندازه استعداد خود از حقائق قرآن بهره مند شوند] زين بزم يكى جرعه طلب كرد يكى جام وفى التأويلات النجمية انما ذكر بلفظ الميراث لان الميراث يقتضى صحة النسب او صحة السبب على وجه مخصوص فمن لا سبب له ولا نسب له فلا ميراث له فالسبب هاهنا طاعة العبد والنسب فضل الرب فاهل الطاعة هم اهل الجنة كما قال تعالى (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) فهم ورثوا الجنة بسبب الطاعة واصل وراثتهم بالسببية المبايعة التي جرت بينهم وبين الله بقوله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهؤلاء أطاعوا الله بانفسهم وأموالهم فادخلهم الله الجنة جزاء بما كانوا يعملون واهل الفضل هم اهل الله وفضله معهم بان أورثهم المحبة والمعرفة والقربة كما قال (**يحبهم ويحبونه**) الآية ولما كانت الوراثة بالسبب والنسب وكان السبب جنسا واحدا كالزوجية وهما صاحبا الفرض وكان النسب من جنسين الأصول كالآباء والأمهات والفروع كل ما يتولد من الأصول كالاولاد والاخوة والأخوات وأولادهم والأعمام وأولادهم وهم صاحب فرض وعصبية فصار مجموع الورثة ثلاثة اصناف صنف صاحب الفرض بالسبب وصنف صاحب الفرض بالنسب وصنف صاحب الباقي وهم العصبة كذلك الورثة هاهنا ثلاثة اصناف كما قال تعالى فمنهم اى من الذين اصطفينا من عبادنا ظالم لنفسه فى

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ١٩٢/٧

العمل بالكتاب وهو المرجأ لامر الله اى الموقوف امره لامر الله اما يعذبه واما يتوب عليه وذلك لانه ليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) الآية ولا من ضرورة الاصطفاء المنع عن الوصف بالظلم هذا آدم عليه السلام اصطفاه الله كما قال (إن الله اصطفى آدم) وهو القائل (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية سئل ابو يزيد البسطامي قدس سره أيعصى العارف الذي هو من اهل الكشف فقال نعم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) يعنى ان كان الحق قدر عليه فى سابق علمه شيأ فلا بد من وقوعه واعلم ان الظلم ثلاثة. ظلم بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق وظلم بينه وبين الناس. وظلم بينه وبين نفسه وهو المراد بما فى الآية كما فى المفردات وتقديم الظلم بالذكر لا يدل على تقديمه فى الدرجة لقوله تعالى (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) كما فى." (١)

"ذلك الأثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية وان أسرف وفرط فى جنب الله واما الياس فدليل الاحتجاب الكلى واسوداد الوجه فالله تعالى يغفر الذنوب جميعا بشرط بقاء نور التوحيد فى القلب فاذا لم يبق دخل فى قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فالقنوط من أعظم المصائب وقد أمهل تعالى عباده تفضلا منه الى وقت الغرغرة فلو رجع العبد الى الله قبل آخر نفس يتنفسه قبل إن الله يغفر الذنوب حال كونها جميعا كأنه قيل ما سبب النهى عن القنوط من الرحمة فاجيب بان سبب النهى هو (إن الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء فهو وعد بغفران الذنوب وان كثرت وكانت صغائر او كبائر بعدد الرمال والأوراق والنجوم ونحوها. والعموم بمعنى الخصوص لان الشرك ليس بداخل فى الآية اجماعا وهى ايضا فى العاصي مقيدة بالمشيئة لان المطلق محمول على المقيد وسيجيئ بقية الكلام على الآية قال عليه السلام (ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم) وقال عليه السلام (ان تغفر اللهم فاغفر جما وأي عبد لك لا الما) يعنى
[چون آمرزى خداوندا همه بيامرز وآن كدام بنده است كه او كناه نكرده است] والفرق بين العفو والمغفرة هو ان حقيقة العفو هو المحو كما أشير اليه بقوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) والتبديل الذي أشير اليه بقوله (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) هو من مقام المغفرة قاله الشيخ الكبير رضى الله عنه فى شرح الأربعين حديثا ثم قال فى مقام التعليل إنه تعالى هو وحده الغفور الرحيم الاول اشارة الى محو ما يوجب العقاب والثاني الى التفضل بالثواب وصيغة المبالغة راجعة الى كثرة الذنوب وكثرة المغفور والمرحوم قال الأستاذ القشيري قدس سره التسمية بيا عبادى مدح والوصف بانهم أسرفوا ذم فلما قال يا عبادى طمع المطيعون ان يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤسهم ونكس العاصي رأسه وقال من انا حتى يقول لى هذا فقال الله تعالى (الذين أسرفوا على أنفسهم) فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رؤسهم انتعشوا وزالت زلتهم والذين رفعوا رؤسهم اطرقوا وزالت صولتهم ثم قوى رجاؤهم بقوله على أنفسهم يعنى ان أسرفت لا تقنط من رحمة الله بعد ما قطعت اختلافك الى بابنا فلا ترفع قلبك عنا. والالف واللام فى الذنوب للاستغراق والعموم وجميعا تأكيد له فكأنه قال اغفر ولا اترك وأعفو ولا أبقى فان كانت لكم جناية كثيرة عميمة فلى بشأنكم عناية قديمة وفى كشف الاسرار [بدانكه از آفريدكان

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٣٤٧/٧

حق تعالى كمال كرامت دو كروه راست يكى فرشتكان وديكر آدميان «ولهذا جعل الأنبياء والرسل منهم دون غيرهم» وغايت شرف انسانى در دو چيز است در عبوديت ودر محبت عبوديت محض صفت فرشتكانست وعبوديت ومحبت هر دو صفت آدميان است فرشتكانرا عبوديت محض داد كه صفت خلق است وآدميان را بعد از عبوديت خلعت محبت داد كه صفت حق است تا از بهر اين امت ميكويد (يحبهم ويحبونه)

ودر عبوديت نيز آدميان را فضل داد بر فرشتكانكه عبوديت فرشتكان بى اضافت كفت (بل عباد مكرمون) وعبوديت آدميان باضافت كفت (يا عبادي) آنكه بر مقتضاى محبت فضل خود بر ايشان تمام." (١)

"جواسيس العيوب وقد احسن من قال الأخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس امارة بالسوء والأخ لا يأمرك الا بخير وقيل الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين وشبر بشبر يسع المتحابين كما قال الحكماء ده درويش در كليمى بخسبند ودو پادشاه در اقليمى نكنجند واعلم ان المواخاة امر مسنون من لدن النبي عليه السلام فانه آخى بين المهاجرين والأنصار يا أيها الذين آمنوا لا يسخر السخرية ان يحقر الإنسان أخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعده ممن لا يلتفت اليه اى لا يستهزئ قوم اى منكم وهو اسم جمع لرجل من قوم آخرين ايضا منكم والتنكير اما للتعميم او للتبعيض والقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجرى بين بعض وبعض فان قلت المنهي عنه هو ان يسخر جماعة من جماعة فيلزم ان لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب أن تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهى شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون والإنكار ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك يعنى انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به في الأغلب او لوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجال لانهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الإناث بما هو مشتق من النسوة نفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير

وما أدرى ولست إخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

عسى شايد أن يكونوا باشند خيرا منهم تعليل للنهى اى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله من الساخرين ولا خبر لعسى لاغناء الاسم عنه ولا نساء اى ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة من نساء منهن وانما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للاشعار بان مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعا حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجلس الذكر لان الإنسان انما يسخر ممن يلابسه غالبا عسى أن يكن اى المسخور منهن خيرا منهن اى من الساخرات فان مناط الخميرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فعله اجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله واستهانة من عظمه الله وفي التأويلات النجمية يشير الى انه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر الى أحد بنظر الا زرآء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لان في استحقار أخيك عجب نفسك مودع كما نظر إبليس بنظر الحقارة الى آدم عليه السلام فأعجبه نفسه فقال اما خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعن الى الابد لهذا

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ١٢٥/٨

المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن انه خير منه يكون إبليس وقته واخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم فبالقوم يشير الى اهل المحبة وارباب السلوك فانهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** يعنى لا ينظر المنتهى من ارباب الطلب بنظر الحقارة الى المبتدئ والمتوسط عسى." (١)

"مخالف لقوله عليه السلام من صدق كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد قلت اللائح لى فى التوفيق أن يقال مصدق الكاهن يكون كافرا إذا اعتقد انه عالم بالغيب واما إذا اعتقد انه ملهم من الله أوان الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفي هدية المهديين من قال اعلم المسروقات يكفر ولو قال انا اخبر عن اخبار الجن يكفر ايضا لان الجن كالانس لا يعلم غيبا ولا مجنون وهو من به جنون وهو زوال العقل او فساده وفي المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفي التعريفات الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الافعال والأقوال على نهج العقل الا نادرا وهو عند ابى يوسف ان كان حاصلا في اكثر السنة فمطبق وما دونه فغير مطبق وفي التأويلات النجمية يشير الى ان طبيعة الإنسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحاني الذي جبل على فطرة الإسلام في الإنسان مودع بالقوة كالجوهر في المعدن فلا يستخرج الى الفعل الا بجهد جهيد وسعى تام على قانون الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام وإرشاده وبعده بإرشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم من المشايخ المسلكين وفي زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله وطلب الحق الا من كتب الله في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وهو الصدق في الطلب وحسن الارادة المنتجة من بذر **يحبهم ويحبونهم** وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه انتهى يقول الفقير في الآية تشريف للنبي عليه السلام جدا حيث ان الله تعالى ناب عنه في الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو ايضا تصريح بما علم التزاما فان الأمر بالتذكير الذي هو متعلق بالوحى وان كان مقتضاء كمال العقل والصدق فى القول يقتضى ان لا يكون عليه السلام كاهنا ولا مجنونا فهذا النفي بالنسبة الى ظاهر الحال فانه لا يخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فان قوله لا اله نفى للوجود المتوهم الذي يتوهمونه والا فلا شيء غير الإثبات فافهم والله المعين

سيدى كزو هم قدرش برترست ... خاك پايش چرخ را تاج سرست

أم يقولون بلكه مى كويند در حق تو أم المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ونقل البغوي عن الخليل انه قال ما في سورة الطور من ذكر أم كله استفهام وليس بعطف يعنى ليست بمنقطعة وقال في برهان القرآن أعاد أم خمس عشرة مرة وكلها إلزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي عين المعاني أم هاهنا خمسة عشر وكله استفهام اربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله وقد قالوهما وأم هم قوم طاغون وأم يريدون

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٧٩/٩

كيدا وقد فعلوها وسائرها للانكار وفي فتح الرحمن جميع ما في هذه السورة من ذكر أم استفهام غير عاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره أجاهل." (١)

"والأوزاعي، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك، والإمام أحمد، وإسحاق، فكل هؤلاء - رضي الله عنهم - يقولون في الآيات المتشابهة: أمروها كما جاءت. قال سفيان بن عيينة - وناهيك به: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله. فهذا مذهب سلف الأمة وفضلاء الأئمة - رضي الله عنهم، فلهذا قلت (فاسمع) سماع إذعان وتفهم وامتثال وتعليم (من) منطوق (نظامي) ومفهومه، ومحترزه ومعلومه، (واعلما) فعل أمر مؤكد بنون التأكيد الخفيفة المنقلبة ألفا، أي اعلم ذلك علم تحقيق وتحرير وتدقيق، واعتمده واعتقده، فإنه نهج سلف الأمة، وسبيل أحبار الأئمة، (ولا نرد ذاك) الوارد في الكتاب المنزل، وما جاء عن النبي المرسل ولا شيئا منه (بالعقول) ، بضرب من التأويل أو التمويه والتضليل، (لـ) أجل (قول) إنسان (مفتر) من الفرية، وهي الكذب، ومنه " «فقد أعظم على الله الفرية» "، أي الكذب، ومنه قوله - تعالى: ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه﴾ [الممتحنة: ١٢] ، يقال: فرى يفري فريا، وافترى يفتري افتراء إذا كذب، ومفتر اسم فاعل منه، (به) أي بذلك القول الذي تقوله، والتأويل الذي تأوله (جهول) ، صفة لمفتر من صفات المبالغة، فإن الله - جل ثناؤه - سمى نفسه في كتابه العزيز بالرحمن الرحيم، ووصف نفسه بالرحمة والمحبة، فقال: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] ، وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، وقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٤]- و ﴿يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥]- و ﴿يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦]- و ﴿يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤]." (٢)

"إذا علمت ذلك فمما يثبته له تعالى السلف دون غيرهم - صفة الرحمة، وقد أشار إليها بقوله ((من رحمة)) وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام كما تقدم في أول الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في شرح العقيدة الأصفهانية: الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنه قد علم بالسمع مع العقل أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، كما قال: (﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم: ٦٥]) ، (﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢]) ، ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الإخلاص: ٤] ، وقد علم بالعقل أن المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، فلو كان المخلوق مثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع، والخالق يجب وجوده وقدمه، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه، بل يجب حدوثه وإمكانه، فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك، وهذا جمع بين النقيضين.

قال: إذا عرف هذا فنقول: إن الله تعالى سمى نفسه في القرآن العظيم بالرحمن الرحيم، ووصف نفسه بالرحمة، كما قال:

---

(١) روح البيان؟ إسماعيل حقي ٩/١٩٩

(٢) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ١/٩٩

﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] ، ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] .
قال: ومن الناس من جعل رحمة الله تعالى عبارة عما يخلقه من النعمة، ومنهم من جعل رحمته إرادته لأنهم زعموا أن الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه، وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج، والله تعالى منزه عنها، فالمراد بها في حقه إرادة الخير والإحسان إلى من يرحمه، فإن أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المبادئ التي هي انفعالات، وقد مر في أول الكتاب الكلام على الرحمة بما لعله يشفي ويكفي.

[صفات المحبة والرضا والغضب]

قوله ((ونحوها)) أي نحو الرحمة من محبته تعالى ورضاه وغضبه ونحو ذلك قال تعالى " ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤]- ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ [طه: ٣٩]- ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥]- و: ﴿يحب المتقين﴾ [آل عمران: ٧٦]- و: ﴿يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦]- و: ﴿يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ [الصف: ٤] ".
قال شيخ الإسلام: ومن الناس من نفى أن تكون له صفة محبة أو رضا أو غضب غير الإرادة، قال علماء الخلف المحبة ميل القلب إلى ما يلائم الطبع والله." (١)

"منزه عن ذلك، وحينئذ فمحبة الله تعالى للعبد إرادة اللطف به، والإحسان إليه، ومحبة العبد لله هي محبة طاعته في أوامره ونواهيه، والاعتناء بتحصيل مراضيه، فمعنى يحب الله أي يحب طاعته وخدمته أو يحب ثوابه وإحسانه، وهذا مذهب جمهور المتكلمين.
قال الإمام العلامة المحقق الأصولي الطوفي الحنبلي - رحمه الله تعالى - ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء إلى أن الله تعالى لا يحب، وإنما محبته محبة طاعته وعبادته. وقالوا أيضا: هو لا يحب عباده المؤمنين، وإنما محبته إرادته الإحسان إليهم.
قال: والذي دل عليه الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وجميع مشايخ الطريق أن الله تعالى يحب ويحب لذاته، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة.
وهذا كلام شيخ الإسلام؛ فإنه قال: للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال (أحدها) : أن الله تعالى يحب ويحب، كما قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به، ويحب عباده المؤمنين.
قال شيخ الإسلام: وهذا قول سلف الأمة وأئمتها، وقول أئمة شيوخ المعرفة.
(والقول الثاني) : أنه يستحق أن يحب لكنه لا يحب إلا بمعنى أن يريد، وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية.
(والثالث) : أنه لا يحب ولا يحب، وإنما محبة العباد له إراداتهم طاعته، وهذا قول الجهمية ومن وافقتهم من متأخري أهل الكلام كالرازي.

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٢٢١/١

فيقال لمن نفى رحمة الله ومحبته وغضبه ورضاه ونحوها وأثبت له الإرادة: لم نفيت تلك وأثبت له الإرادة؟ فإن قيل: لأن إثبات هذه الصفات تشبيه لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق، والغضب غليان الدم لإرادة الانتقام، ونحو ذلك، والرب منزه عن مثل صفات المخلوقين، قيل له: وكذلك يقول لك منازعك في الإرادة أن الإرادة المعروفة ميل الإنسان إلى ما ينفعه، ودفع، ما يضره، والله تعالى منزه عن الاحتياج إلى عباده، وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه، بل هو الغني عن خلقه كلهم

فإن قيل الإرادة التي نثبتها لله تعالى ليست مثل إرادة المخلوقين، كما أنا قد اتفقنا، وسائر المسلمين على أنه حي عليم قدير، وليس هو مثل سائر الأحياء العلماء القادرين، قال لك أهل الإثبات: وكذلك المحبة والرحمة ونحوهما التي نثبتها لله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق." (١)

"﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ ١ الآية. وينبغي لكم إذا عجزتم أو جبنتم أنكم ما تلوموننا، ونحمد الله الذي يسر لنا هذا، وجعلنا من أهله. وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ٢ الآية. جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم في هذا لومة لائم.

وقيل لي: إن ولد ابن سحيم كاتب لكم جواب الذي جاه فاذكر لي، وأبلغ السلام عيالكم ومن أردتم من الإخوان، وسليمان وثنيان يبلغون الجميع السلام. والسلام.

---

١ سورة الحج آية: ١١.

٢ سورة المائدة آية: ٥٤.." (٢)

"ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد في قلوب الناس ١ أن الرافضي عندهم ولو كان عالما عابدا أبغض وأشد ذنبا من السني المجاهر بالكبائر.

الثاني: أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع. فمثال البدعة التي شددوا فيها مثل تشديد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، خوفا مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير به المسلم مرتدا. فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة، أهله وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٢ الآية. وقوله تعالى ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ ٣ الآية.

وقال ابن وضاح في كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره: أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة قال رحمه الله، إن فتنة الكفر هي الردة. يحل فيها السبي والأموال، وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي والأموال، وهذا الذي نحن فيه

---

(١) لوامع الأنوار البهية؟ السفاريني ٢٢٢/١

(٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس)؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٣٢٠

فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال٤. وقال

---

١ وقع في أكثر النسخ لفظ (اليوم) إثر قوله (في قلوب الناس) وسقط في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف وسقوطه أبلغ.

٢ سورة المائدة آية: ٥٤.

٣ سورة آية: ٧٣-٧٤.

٤ هكذا ورد قول ابن وضاح في نسخة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ومخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين وهو الموافق لما في كتاب ابن وضاح ووقع في روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبقية ما عندنا من النسخ الخطية خلل في العبارة. يتبين من مراجعة النسخ المذكورة.." (١)

"حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا.

فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ ١. قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ٢. وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ ٣. وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين. فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٤. وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ ٥ إلى قوله ﴿والله يحب المحسنين﴾ . فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضي له من القضاء خيرا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له" ٦. والصبار الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال؛ وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي به إلى قبيح المآل. فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين؟

---

١ سورة الحج آية: ١١.

٢ سورة آل عمران آية: ١٤٢.

٣ سورة محمد آية: ٣١.

---

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٣١٥

٤ سورة المائدة آية: ٥٤.

٥ سورة آل عمران آية: ١٤٤.

٦ مسلم: الزهد والرقائق (٢٩٩٩) ، وأحمد (٦/١٥) ، والدارمي: الرقاق (٢٧٧٧) .." [1]

"ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون ١، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

(الأصل الخامس) : بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار. ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران وهي قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ٢ الآية. وآية في سورة المائدة وهي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٣ الآية، وآية في يونس وهي قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ٤. ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ٥، ومن تبعهم فليس منهم.

---

١ أي في نظرهم.

٢ سورة آل عمران آية: ٣١.

٣ سورة المائدة آية: ٥٤.

٤ سورة آية: ٦٢-٦٣.

٥ في الدرر السنية (الرسول ومن اتبعه) بالأفراد.." [2]

"ثم تكلم على بقية حفظ الإيمان، فقال:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

---

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٣٢٧

(٢) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)؟ محمد بن عبد الوهاب ص/٣٩٥

قلت: (من) : شرطية، و (يرتدد) «١» : فعل الشرط، فمن قرأه بالتفكيك فعلى الأصل، ومن قرأه بالإدغام ففتحه تخفيفا. وجملة (فسوف يأتي) : جواب، والعائد من الجملة محذوف، أي: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم.. الخ.
و (أذلة) : نعت ثان لقوم، جمع ذليل، وأتى به مع علي لتضمنه معنى العطف والحنو، و (لا يخافون) : عطف على يجاهدون، وجملة: (وهم راكعون) : حال، إن نزلت في على رضى الله عنه، أو عطف إن كانت عامة.
يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ويرجع عنه بعد الدخول فيه، فسيأتي الله بقوم مكانهم يحبهم فيثبتهم على دينهم، ويحبونه فيجاهدون من رجع عن دينه، وهم أهل اليمن، والأظهر أنهم أبو بكر الصديق وأصحابه، الذين قاتلوا أهل الردة، ويدل على ذلك الأوصاف التي وصفهم الله بها من الجد في قتالهم، والعزم عليه، التي كانت من أوصاف الصديق، وكذلك قوله: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فقد كان أبو بكر ضعيفا في نفسه، قويا في ذات الله، لم يخف في الله لومة لأئم، حين لامه بعض الصحابة في قتالهم.
وفي الآية إخبار بالغيب قبل وقوعه، فقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق: بنو مدلج، وكان رئيسهم الأسود العنسي، تنبأ باليمن، واستولى على بلادهم، ثم قتله فيروز الديلمي، ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها، وأخبر بموته الرسول- عليه الصلاة والسلام- فسر المسلمون. وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب، تنبأ باليمامة، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، فأجابه صلى الله عليه وسلم: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» ، فحاربه أبو بكر بجند المسلمين، وقتله وحشي قاتل حمزة، وبنو أسد قوم طليحة، تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله، فهرب إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر (يرتدد) بدالين، وقرأ الباقون (يرتد) بدال واحدة.." (١)

"وفي عهد أبي بكر، بنو فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن مسلمة، وبنو سليم، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم، قوم سجاح المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الإشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين، فكفى الله أمرهم على يديه. وفي مدة عمر رضى الله عنه غسان، قوم جبلة بن الأيهم، الذي ارتد من اللطمة.
فهؤلاء جملة من ارتد من العرب. فأتى الله بقوم أحبهم وأحبوه، فجاهدوهم حتى ردوهم إلى دينهم. ومحبة الله للعبد: توفيقه وعصمته وتقريبه من حضرته. ومحبة العبد لله: طاعته والتحرز من معصيته، وسيأتي في الإشارة الكلام عليها.
ثم وصفهم بقوله: أذلة على المؤمنين أي: عاطفين عليهم خافضين جناحهم لهم، أعزة على الكافرين شداد متغالبين عليهم، وهذا كقوله فيهم: أشداء على الكفار رحماء بينهم، «١» يجاهدون في سبيل الله من ارتد عن دين الله، ولا يخافون لومة لائم لصلابتهم في دين الله، وفيه إشارة إلى خطأ من لام الصديق في قتال أهل الردة، وقالوا له: كيف تقاتل قوما يقولون: لا إله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؟ ابن عجيبة ٥١/٢

إلا الله؟ فقال: (والله لنقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) – فلم يلتفت إلى لومهم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، الإشارة إلى ما خصهم الله به، من المحبة والأخلاق الكريمة، والله واسع الفضل والعطاء عليم بمن هو أهله.

ولما نهى عن موالاة الكفار ذكر من هو أهل للموالاة فقال: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يقل: أولياؤكم بالجمع، تنبيها على أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبع، ثم وصفهم بقوله:

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون أي: خاضعون لله، ولعباده متواضعون، منقادون لأحكامه، أو يتصدقون في حال ركوعهم في الصلاة، حرصا على الخير ومسارعة إليه، قيل: نزلت في علي- كرم الله وجهه- سأله سائل وهو راكع فى صلاة، فطرح له خاتمه، وقيل: عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها.

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا، أي يتخذهم أولياء، فإن حزب الله هم الغالبون أي: فإنهم الغالبون، ووضع الظاهر موضع المضمر ليكون كالبرهان عليه، فكأنه قال: ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم، وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء، فإنه حزب الشيطان، وأصل الحزب: القوم يجتمعون لأمر حزبهم. قاله البيضاوي.

الإشارة: محبة الحق تعالى لعبده سابقة على محبته له، كما أن توبته عليه سابقة لتوبته، قال تعالى: **يحبهم ويحبونه**، ثم تاب عليهم ليتوبوا «٢» ، قال أبو يزيد رضى الله عنه: غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما انتهيت، رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدمت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبه لي من قبل طلبي له. هـ.

---

(١) من الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٢) من الآية ١١٨ من سورة التوبة. [.....]." (١)

"قل تبكيتا وتجهيلا لهم: لله الشفاعة جميعا أي: هو مالكها، ولا يقدر أحد أن يتصدى لها، إلا أن يكون المشفوع له مرتضى، والشفيع مأذونا، وكلاهما مفقود في أصنامهم، ثم قرر اختصاصه بالشفاعة بقوله:

له ملك السماوات والأرض أي: له التصرف فيهما، وفيما فيهما من المخلوقات، لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون إذنه ورضاه، ثم إليه ترجعون يوم القيامة، لا إلى أحد سواه، فيفعل يومئذ ما يريد.

قال النسفي: له ملك السماوات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة، فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له، فله الملك في الدنيا والآخرة. هـ.

الإشارة: الشفاعة إنما تكون لأهل الجاه عند الله، والجاه يعظم بحسب التوجه، والتوجه يعظم على قدر المحبة، والمحبة على حسب العناية السابقة، **يحبهم ويحبونه** فبقدر أنوار التوجه تعظم أنوار المواجهة، وبقدر أنوار المواجهة تتسع المعرفة، وبحسب المعرفة يكون الجاه، وبقدر الجاه تتسع الشفاعة، حتى إن الواحد من الأولياء يشفع في وجود بأسره من أهل زمانه، إما عند

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؟ ابن عجيبة ٥٢/٢

موته، أو عند الحساب. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر علامة أهل الشرك، فقال:

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥) قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦)

قلت: «وحده» : منصوب عند سيبويه، على المصدر، وعند الفراء: على الحال، والظاهر: أنه أطلق المصدر على اسمه.

يقول الحق جل جلاله: وإذا ذكر الله وحده أي: إذا أفرد الله بالذكر، ولم تذكر معه آلهتهم، فمدار المعنى على قوله: وحده، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة أي: انقبضت ونفرت، كقوله:

... وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا «١» ، وإذا ذكر الذين من دونه يعني: آلهتهم، ذكر الله معهم، أو لم يذكر، إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها، ونسيانهم ذكر الله، أو: وإذا قيل لهم:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم.

---

(١) من الآية ٤٦ من سورة الإسراء. [.....]." (١)

"فضول، فمن سأل بالله فيما ليس عليه ولا عليك فرضه، فإعطاؤك إياه لإجلال حق الله وتعظيمه، وليس عليك بفرض ولا حتم. انظر تمامه في الحاشية الفاسية.

الإشارة: إن المتقين ما سوى الله في جنات المعارف، وعيون العلوم والأسرار. قال القشيري: في عاجلهم في جنة الوصل، وفي آجلهم في جنة الفضل، فغدا نجاة ودرجات، واليوم قربات ومناجاة. هـ. (آخذين ما آتاهم ربهم) من فنون المواهب والأسرار، وغدا من فنون التقريب والإبرار، راضين بالقسمة، قليلة أو كثيرة. إنهم كانوا قبل ذلك: قبل الإعطاء، محسنين، يعبدون الله على الإخلاص، يأخذون من الله، ويدفعون به، وله، ولا يردون ما أعطاهم، ولو كان أمثال الجبال، ولا يسألون ما لم يعطهم، اكتفاء بعلم ربهم.

قال القشيري: كانوا قبل وجودهم محسنين، وإحسانهم: كانوا يحبون الله بالله، **يحبهم ويحبونه** وهم في العدم، ولما حصلوا في الوجود، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، كأن نومهم عبادة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «نوم العالم عبادة» «١» ، فمن يكون في العبادة لا يكون نائما، وهجوع القلب: غفلته، وقلوبهم في الحضرة، ناموا أو استيقظوا، فغفلتهم بالنسبة إلى حضورهم قليلة. وقال سهل رضي الله عنه: أي: كانوا لا يغفلون عن الذكر في حال، يعني هجروا النوم لوجود الأنس في الذكر، والمراد بالنوم: نوم القلب بالغفلة.

(وبالأسحار هم يستغفرون) ، قال القشيري: أخبر عن تهجدهم، وقلة دعاويهم، وتنزلهم بالأسحار، منزلة العاصين، تصغيرا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؟ ابن عجيبة ٥/٨٥

لقدرهم، واحتقارا لفعلهم. ثم قال: والسهر لهم فى ليالهم دائم، إما لفرط لهف، أو شدة أسف، وإما لاشتياق، أو للفراق، كما قالوا:

كم ليلة فيك لا صباح لها ... أفنيتها قابضا على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد ... وضعت خدي على بنان يدي «٢»

وإما لكمال أنس، وطيب روح، كما قالوا:

سقى الله عيشا قصيرا مضى ... زمان الهوى في الصبا والمجون «٣»

لياليه تحكي انسداد لحاظ ... لعيني عند ارتداد الجفون. هـ. «٤»

---

(١) أخرجه الديلمي (مسند الفردوس ح ٦٧٣١) عن عبد الله بن أبي أوفى، بزيادة «ونفسه تسبيح» وعمله مضاعف، ودعاؤه مستجاب، وذنبه مغفور» وأخرجه الديلمي (ح ٦٧٣٤) والبيهقي فى الشعب (ح ٣٩٣٧) بلفظ «الصائم» بدل «العالم» . وانظر كشف الخفاء ٢/ ٤٤٥، والأسرار المرفوعة ص ٣٧٤.

(٢) القائل هو أحمد بن يوسف، صاحب ديوان الرسائل فى عهد المأمون. انظر الأغانى (٢٢/ ٥٧٠) .

(٣) فى الأصول: السجون.

(٤) البيت فى الأصول: [لياليه تحكى إنشاء اللحاظ.. للعين عند ارتداء الجفون] والمثبت هو الذي فى لطائف الإشارات.." (١)

"ثم سفه أحلامهم بقوله: أم له البنات ولكم البنون، حيث اختاروا لله ما يكرهون، وهم حكماء في زعمهم، أم تسئلهم أجرا على التبليغ والإنذار فهم لأجل ذلك من مغرم مثقلون أي: من التزام غرامة فادحة محملون الثقل، فلذلك لا يتبعونك. والمغرم: أن يلزم الإنسان ما ليس عليه. أم عندهم الغيب أي: اللوح المحفوظ، المكتوب فيه الغيوب، فهم يكتبون ما فيه، حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو إثبات.

أم يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة، فالذين كفروا وهم المذكورون، ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر، أي: ف هم المكيدون الذين يحيق بهم كيدهم، ويعود عليهم وباله، لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر وغيره. أم لهم إله غير الله يمنعهم من عذابه، سبحان الله عما يشركون أي: تنزيها له عن إشراكهم، أو: عن شركة ما يشركونه به. وحاصل ما ذكر الحق وتعالى من الإضرابات: أحد عشر، ثمانية طعنوا بها في جانب النبوة، وثلاثة في جانب الربوبية، وهو قوله: أم خلقوا من غير شيء، أم خلقوا السماوات والأرض، أم لهم إله غير الله ذكرها الحق تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي: كما طعنوا في جنابك طعنوا في جانبي، فاصبر حتى نأخذهم.

الإشارة: فذكر أيها الخليفة للرسول، فما أنت بحمد الله بكاهن ولا مجنون، وإن رموك بشيء من ذلك. قال القشيري: قد علموا أنه صلى الله عليه وسلم بريء من الكهانة والجنون، ولكنهم قالوه على جهة الاشتفاء، كالسفيه إذا بسط لسانه فيمن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؟ ابن عجيبة ٤٦٩/٥

يشنأه «١» بما يعلم أنه بريء مما يقوله. هـ. وكل ما قيل في جانب النبوة يقال مثله في جانب الولاية، سنة ماضية. قال القشيري: طبع الإنسان متنفرة من حقيقة الدين، مجبولة على حب الدنيا والحظوظ، لا يمكن الخروج منها إلا بجهد جهيد، على قانون الشريعة، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه، وهم العلماء الربانيون، الراسخون في العلم بالله، من المشايخ المسلكين في كل زمان، والخلق مع دعوى إسلامهم ينكرون على سيرهم في الأغلب، ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة، والانقطاع عن الخلق، والتبتل إلى الله، وطلب الأمن. كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وهو الصدق في الطلب، وحسن الإرادة المنتجة من بذر **يحبهم ويحبونه**، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. هـ مختصرا.

وقوله تعالى: قل تربصوا ... الآية، قال القشيري: ولا ينبغي لأحد أن يتمنى نفاق سوقه بموت أحد، لتنتهي النوبة إليه، قل ما تكون هذه صفته إلا سبقته منيته، ولا يدرك ما تمناه. هـ. وقال في مختصره: الآية تشير إلى التصبر في الأمور، ودعوة الخلق إلى الله، والتوكل على الله فيما يجري على يد عباده، والتسليم لأحكامه فى

---

(١) أي: يبغضه.." (١)

"وجذب الله العبد الى جنابه سبب للمحبة من العبد لله تعالى فمحبة العبد لله تعالى فرع لمحبة الله تعالى إياه وظل لها قال الله تعالى وألقيت عليك محبة مني وقال **يحبهم ويحبونه** قدم يحبهم على يحبونه هذا ما ذكرت هو المحبة الذاتية وما ذكر البيضاوي ان المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحمله على ما يقربه اليه فهو بيان للمحبة الصفاتية وهى بمراحل عن المحبة الذاتية الا ترى ان الام يحب ولدها بلا ملاحظة كمال فيه فذلك قريب من المحبة الذاتية وليست منها لان محبة الام تتفرع على علم انتساب الولد إليها واما محبة الله تعالى فهى اعزوا على من ذلك فقد ورد فى الصحيحين وغيرهما عن ابى هريرة وابن عباس وغيرهما مرفوعا بألفاظ مختلفة ان لله تبارك وتعالى مائة رحمة منها رحمة واحدة قسمها بين الخلائق يتراحمون بها وادخر لاوليائه تسعة وتسعين- واما ما ذكر البغوي ان حب المؤمنين لله تعالى اتباعهم امره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فليس هذا تعريفا للمحبة بل بيان لمقتضاه وما يدل عليه فاتبعوني الفاء للسببية وذلك لان المحبة سبب لابتغاء مرضات الله تعالى- والمرضى من غير المرضى لا يدرك بالرأى بل بتعليم الله تعالى بتوسط الرسل فثبت ان المحبة سبب لاتباع الرسل والاتباع دليل على وجودها وعدمه دليل على عدمها فمن ادعى المحبة مع مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كذاب يكذبه كتاب الله تعالى يحببكم الله جواب للامر تقديره ان تتبعونى يحببكم الله- فان قيل مقتضى هذه الاية ان محبة الله تعالى العبد يتفرع على اتباع الرسول المتفرع على محبة من العبد لله تعالى المسبوق بمحبة من الله للعبد فيلزم الدور- قلنا هذه محبة اخرى من الله تعالى سوى المحبة السابقة فمحبة العبد لله تعالى محفوف بمحبتين من الله سبحانه سابق ولاحق فالمحبة السابقة ما ذكرناه سابقا والمحبة اللاحقة هى التي تقتضى الرحمة والتفضل الكامل الذي ورد فى الحديث ان جزءا واحدا منها اى من الرحمة قسمها الله بين الخلائق وادخر لاوليائه تسعة وتسعين- ولاقتضاء تلك المحبة اللاحقة من الله تعالى المغفرة والرحمة عطف عليه قوله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؟ ابن عجيبة ٥/٤٩٥

(٣١) قال البغوي لما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابى لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فنزل.

قل أطيعوا الله ... ." (١)

"مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث واما على تنزيل عسى الله ان يأتي منزلة عسى ان يأتي الله لان كليهما بمعنى واحد فالتقدير عسى ان يأتي الله بالفتح وعسى ان يصبحوا الا على تقدير كون يأتي خبر عسى لانه حينئذ لا بد من الضمير فى خبر عسى عائدا الى اسمه وجاز ان يقال لفظة الله فى قوله اقسموا بالله مظهر فى موضع الضمير والله اعلم على ما أسروا في أنفسهم استبطنوه من النفاق وموالاة الكفار فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم نادمين خبر ليصبحوا والجار والمجرور متعلق به.

ويقول الذين آمنوا قرأ الكوفيون بالواو ويقول بالرفع على انه كلام مبتدأ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بغير واو وهكذا فى مصاحفهم ويقول بالرفع على الاستيناف كانه فى جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرأ ابو عمرو ويعقوب بالواو ويقول بالنصب على انه معطوف على يصبحوا والمعنى إذا جاء الله بالفتح يصير المنافقون نادمين ويقول المؤمنون متعجبين او على احتمالات اخر ذكرناها فى فيصبحوا والتقدير عسى ان يأتي الله بالفتح وقول المؤمنين كذلك او عسى ان يأتي الله بالفتح او عسى ان يقول المؤمنون او عسى الله ان يقول المؤمنون أهؤلاء المنافقون الذين اقسموا به تعالى كذلك أهؤلاء يعنى المنافقين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم اى أغلظها مصدر قائم مقام الجملة الواقعة حالا تقديره اقسموا بالله يجتهدون جهدا ايمانهم ولذلك جاز كونه معرفة او منصوب على المصدرية من اقسموا لانه بمعناه إنهم اى المنافقين لمعكم هذه الجملة جواب للقسم يعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين حيث كانوا يقسمون بانهم لمع المؤمنين وتبجحا بما من الله عليهم من الإخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين كانوا يحلفون لليهود بالمعاضدة ويقولون لهم ان أخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين

فى الدنيا والاخرة هذه الجملة اما من مقولة المؤمنين او من مقولة الله تعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم وخسرانهم.

يا أيها الذين آمنوا من يرتد «١» قرأ نافع

---

(١) عن قتادة انه قال انزل الله هذه الاية وقد علم انه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام الا ثلثة مساجد اهل المدينة واهل مكة واهل جواثا من عبد القيس وقال الذين ارتدوا نصلى الصلاة ولا تزكى والله لا يغصب أموالنا فكلم ابو بكر فى ذلك يتجاوز عنهم وقيل اما انهم لو قد فقهوا أدوا الزكوة فقال والله لا افرق بين شيء جمعه الله لو منعونى عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله بعصائب مع ابى بكر فقاتلوا حتى قتلوا وأقروا بالماعون وهو الزكوة قال قتادة فكنا نتحدث ان هذه الاية نزلت فى ابى بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ والبيهقي فى سننه وابن عساكر ١٢ منه (فائده) لم

---

(١) التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٣٧/١

يوجد قتال مع المرتدين الا فى زمن ابى بكر وقد لامه الصحابة وكرهوا ذلك القتال فى الابتداء فلم يخف لومتهم ثم حمدوه فى الانتهاء ١٢ منه وعن ابى موسى الأشعري قال قلت عند النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي الله بقوم يحبونه ويحبهم قال هؤلاء من اهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب وعن القاسم ابن محمره قال أتيت عمر فرجت فى ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ثم ضرب على منكبي وقال احلف بالله انهم لمنكم اهل اليمن ثلثا أخرجه البخاري فى تاريخه قلت وقع قتال عسكر ابى بكر مع اهل الردة بامداد اهل اليمن ١٢ منه." (١)

"وابن عامر يرتدد بفك الإدغام والباقون بالإدغام بفتح الدال منكم عن دينه يعني عن الإسلام الى الكفر قال الحسن علم الله تبارك وتعالى ان قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم فاخبر انه سياتى فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** العائد الى عن محذوف تقديره فسوف يأتي الله اى يقيم الله تعالى لمدافعتهم قوما منكم **يحبهم ويحبونه** واختلفوا فى ذلك القوم من هم قال على رض ابن ابى طالب والحسن والضحاك وقتادة هم ابو بكر وأصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعى الزكوة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكوة وهم ابو بكر بقتالهم فكره ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قاله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر رض والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكوة وقالوا." (٢)

"وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وقد ارتد بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم فى خلافة ابى بكر رض خلق كثير سبع فرق

فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم شجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وأسلمت آخرا وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم حتى كفى الله بالمسلمين أمرهم ونصر دينه على يدى ابى بكر رض قالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرب النفاق ونزل بابى ما لو نزل بالجبال الراسيات «١» لها ضمها «٢» وارتد فى خلافة عمر غسان قوم جبلة ابن الايهم لما اجرى عليه عمر حكم القصاص تنصر وصار الى الشام وقال قوم المراد «٣» بقوم **يحبهم ويحبونه** هم الأشعريون روى عن عياض بن غنم قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا وأشار الى ابى موسى الأشعري رواه ابن جرير فى سننه والطبراني والحاكم وكانوا من اليمن عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم اهل اليمن هو أضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية متفق عليه وقال الكلبي هم احياء من اليمن الفان من النخع وو خمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من إفناء الناس فجاهدوا فى سبيل الله

---

(١) التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ١٢٧/٣

(٢) التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ١٢٨/٣

يوم القادسية فى ايام عمر رض أذلة جمع ذليل من ذل يذل ذلا وذلالة بالضم وذلة بالكسر ومذلة وذلالة بالفتح بمعنى هان كذا فى القاموس والذلة انكانت على الإنسان من نفسه فهى محمودة قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اى كن كالمقهور لهما وانكانت من غيره عليه فعليه عذاب قال الله تعالى ترهقهم ذلة وضربت عليهم الذلة والمسكنة وضد الذلة العز بمعنى الغلبة والعزيز الذي يقهر ولا يقهر وهى إن كان للانسان من نفسه لنفسه فمذموم قال الله تعالى بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وقد يستعار

---

(١) اى القائمات ١٢

(٢) اى كسرها ١٢

(٣) اخرج ابن سعد وابن ابى شيبة واحمد والطبراني والبيهقي فى الشعب عن ابى ذر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع يحب المساكين وان ادنوا منهم وان انظر الى من هو أسفل منى ولا انظر الى من هو فوقى وان اصل رحمى وان جفانى وان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنز تحت العرش وان أقول الحق وان كان مرا ولا أخاف فى الله لومة لائم وان لا أسأل الناس شيئا ١٢ منه." (١)

"والله واسع فضله وقدرته وقالت الصوفية واسع وسعة بلا كيف يتجلى كمالاته فى المظاهر كلها عليم بمواقع اعمال قدرته لا يفوته ما يقتضيه الحكمة.

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا متصل بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وما بينهما اما لتاكيد النهى كقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى فترى الذين فى قلوبهم الاية واما لتوطية تعيين من هو حقيق للولاية كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** الاية وهذه الاية لتعيين من هو حقيق بالولاية والنفي المستفاد بانما هو على قول البصريين لتاكيد النهى المستفاد مما سبق وانما قال وليكم ولم يقل أوليائكم للتنبيه على ان الولاية لله خاصة على الاصالة وما هو لرسوله وللمؤمنين فبالتبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين أمنوا لانه جار مجرى الاسم ولو قدر له موصوف يكون صفة ثانية لموصوفه او بدل منه ويجوز نصه على المدح وكذا رفعه بتقدير المبتدأ يعنى هم او الاستيناف فى جواب من الذين أمنوا وهم راكعون الواو للعطف على يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة والمعنى هم مصلون صلوة ذات ركوع بخلاف صلوة اليهود والنصارى فانها لا ركوع فيها او المعنى هم خاضعون متخشعون فى صلوتهم وزكوتهم قال الجوهري يستعمل الركوع تارة فى التواضع والتذلل وجاز ان يكون الواو للحال من فاعل يؤتون اى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلاة مسارعة الى الإحسان اخرج الطبراني فى الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال وقف على على بن ابى طالب سائل وهو راكع فى تطوع ونزع خاتمه وأعطاه السائل فنزلت انما وليكم الله ورسوله الاية وله شواهد قال عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى انما وليكم الله قال نزلت فى على ابن ابى طالب وروى ابن مردويه عن وجه اخر عن ابن عباس مثله واخرج ايضا عن على مثله واخرج ابن جرير عن مجاهد وابن ابى حاتم عن سلمة

---

(١) التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ١٣٠/٣

بن كهيل مثله وروى الثعلبي عن ابى ذر والحاكم فى علوم الحديث عن على رض فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا وهذه القصة تدل على ان العمل القليل فى الصلاة لا يبطلها وعليه انعقد الإجماع وعلى ان صدقة التطوع تسمى زكوة ونزول هذه الاية فى على رض لا يقتضى تخصيص الحكم به لان العبرة لعموم اللفظ دون خصوص المورد كما يدل عليه صيغة الجمع ولعل ذكر." (١)

"كثير منهم، هو هذا (١) العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض. ولم يعذرهم به؛ قال الله تعالى: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين ءامنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) (٢) ثم قال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (٣) فأخبر تعالى، أنه لابد عند وجود المرتدين: من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين. ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والشدة على الكافرين.
بضد من كان تواضعه وذله (٤) ، ولينه: لعباد القباب، وأهل القحاب واللواط. وعزته، وغلظته: على أهل التوحيد (٥) والإخلاص!!!.
فكفى بهذا دليلا (٦) على كفر من وافقهم.
وإن ادعى أنه خائف؛ فقد قال تعالى (ولا يخافون لومة لائم) .
وهذا بضد من يترك الصدق، والجهاد: خوفا من المشركين.
ثم قال تعالى: (يجاهدون في سبيل الله) (٧) . أي: في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم؛ لتكون كلمته (٨) هي العليا

---

(١) (م) هذا هو.
(٢) سورة المائدة الآيتان ٥٢ - ٥٣
(٣) سورة المائدة آية ٥٤
(٤) (م) : وذله. ساقطة.
(٥) (م) لأهل.
(٦) (م) دليل. تحريف.
(٧) سورة المائدة آية ٥٤.
(٨) (ط) (م) (ع) (ر) كلمة الله.." (٢)

---

(١) التفسير المظهري؟ المظهري، محمد ثناء الله ١٣٢/٣
(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥٣

"الغواية، إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم. قلت: وهذا جواب بليغ جدا.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث، وهو أن هذا ورد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل، فيكون أرجح.

قوله: (كما يكره أن يقذف في النار) ، أي: يستوي عنده الأمران، الإلقاء في النار، والعود في الكفر.

قلت: وفي الحديث من الفوائد: أن الله تعالى يحبه المؤمنون، وهو تعالى يحبهم، كما قال: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ١.

وفيه رد ما يظنه بعض الناس من أنه من ولد على الإسلام أفضل ممن كان كافرا فأسلم، فمن اتصف بهذه الأمور، فهو أفضل ممن لم يتصف بها مطلقا، ولهذا كان السابقون الأولون أفضل ممن ولد على الإسلام.

وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقا، والصواب أنه إن لم يتب كان نقصا وإن تاب فلا، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة، وإن كانوا في أول الأمر كفارا يعبدون الأصنام، بلا المنتقل من الضلال إلى الهدى، ومن السيئات إلى الحسنات يضاعف له الثواب، قاله شيخ الإسلام.

وفيه دليل على عداوة المشركين وبغضهم، لأن من أبغض شيئا أبغض من اتصف به، فإذا كان يكره الكفر كما يكره أن يلقى في النار، فكذلك يكره من اتصف به.

قوله: (وفي رواية لا يجد أحد) ، هذه الرواية أخرجها البخاري في "صحيحه" ولفظه: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه

---

١ سورة المائدة آية: ٥٤.." (١)

"بقيتهم في الإسلام طوعا وكرها، وظهر مصداق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ١ الآية. قال الحسن البصري -رحمه الله-: هم والله أبو بكر، وأصحابه.

وقد روى البخاري في صحيحه تفسير ذلك بما ذكرنا، فقال في ترجمة مريم من (أحاديث الأنبياء) ، قال الفربري: عن أبي عبد الله البخاري، عن قبيصة قال: هم الذي ارتدوا على عهد أبي بكر، فقاتلهم أبو بكر، يعني حتى قتلهم، وماتوا على الكفر.

قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا بصيرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المذكورين.

قال الحافظ: ورجح عياض والباجي وغيرهما ما قاله قبيصة راوي الخبر، ولا يبعد أن يدخل في ذلك -أيضا- من كان في زمنه من المنافقين، كما في حديث الشفاعة: "وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها" ٢، فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين.

(الوجه الثاني) : أن يقال: الخوارج، ومن سلك سبيلهم يحملون هذه الأحاديث على علي رضي الله عنه ومن والاه، ويقولون:

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد؟ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤١٢

إنهم ارتدوا، وأشركوا، فكما أنهم مخطئون ظالمون في ذلك، فكذلك الروافض، والشيعة الذين يحملون هذه الأحاديث على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وجمهور الصحابة، أو على معاوية ومن قاتل معه عليا؛ بل قولهم أظهر فسادا، وأبعد عن الحق والصواب من قول الخوارج، فإن كان كلامهم صحيحا فكلام الخوارج أقرب إلى الصحة.

(الوجه الثالث) : أن أهل البيت الذين ذكروا في حديث زيد بن أرقم، وما في معناه هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حرمت عليهم الصدقة، قال: علي، وآل جعفر، وآل العباس، وآل أبي لهب، كما أخبر بذلك زيد بن أرقم،

---

١ سورة المائدة آية: ٥٤.

٢ البخاري: التوحيد (٧٤٣٨) ، ومسلم: الإيمان (١٨٢) ، وأحمد (٢/٢٧٥) .." (١)

"قوله: من عادى لي وليا. قال في الصحاح: والولي ضد العدو انتهى. والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة البغض والبعد. قال ابن حجر في فتح الباري: المراد بولي الله العالم بالله تعالى [المواظب] على طاعته المخلص في عبادته " انتهى.

وهذا التفسير للولي، هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه. ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية. كقوله سبحانه: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾

وكقوله عز وجل: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ .

وكقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا، فإن حزب الله هم." (٢)

"فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة، وحط عنه به خطيئة» . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ومهيمنا عليه قال: مؤتمنا عليه.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال: المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عنه في قوله:

شرعة ومنهاجا قال: سبيلا وسنة. وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا أن نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد

---

(١) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول)؟ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص/٨٥

(٢) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها؟ الشوكاني ص/٢٢٣

إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم وأن احكم بينهم بما أنزل الله إلى قوله: لقوم يوقنون. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: أفحكم الجاهلية يبغون قال: يهود. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال: هذا في قتيل اليهود.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥١ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الظاهر أنه خطاب للمؤمنين حقيقة وقيل: المراد بهم المنافقون، ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه. وقد كانوا يوالون اليهود والنصارى فنهوا عن ذلك.

والأولى أن يكون خطابا لكل من يتصف بالإيمان أعم من أن يكون ظاهرا وباطنا أو ظاهرا فقط، فيدخل المسلم والمنافق، ويؤيد هذا قوله: فترى الذين في قلوبهم مرض والاعتبار بعموم اللفظ، وسيأتي في بيان سبب نزول الآية ما يتضح به المراد. والمراد من النهي عن اتخاذهم أولياء أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة. وقوله: بعضهم أولياء بعض تعليل للنهي، والمعنى: أن بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم، وليس المراد بالبعض إحدى طائفتي اليهود والنصارى، وبالبعض الآخر الطائفة الأخرى للقطع بأنهم في غاية من العداوة والشقاق وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء «١» وقيل: المراد أن كل واحدة من الطائفتين توالي الأخرى وتعاضدها وتناصرها على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وعداوة ما جاء به وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين.

---

(١) . البقرة: ١١٣.." (١)

"وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي والله لا تغصب أموالنا، فكلم أبا بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة، فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه،

---

(١) فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٢/٥٧

فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة.

قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** إلى آخر الآية. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن الحسن نحوه. وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه الآية، قال عمر: أنا وقومي يا رسول الله؟ قال: «لا بل هذا وقومه» يعني أبا موسى الأشعري. وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال: لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قوم هذا» ، وأشار إلى أبي موسى الأشعري. وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري قال: تليت عند النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي الله بقوم الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قومك يا أبا موسى أهل اليمن» . وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: فسوف يأتي الله بقوم الآية، فقال: «هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب» . وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون. وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية. وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمر فرحب بي، ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم الآية، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله إنهم لمنكم أهل اليمن، ثلاثا. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عطية بن سعد، قال في قوله: إنما وليكم الله ورسوله إنها نزلت في عبادة بن الصامت. وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتم وهو راكع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال:

ذاك الراكع، فأنزل الله فيه إنما وليكم الله ورسوله. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب. وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه. وأخرج ابن مردويه عن عمار نحوه أيضا. وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عنه نحوه.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٧ الى ٦٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١)

وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣)." (١)

"الرد على احمد بن علي بن احمد بن سليمان المرائي

...

بسم الله الرحمن الرحيم١

الحمد لله رب العالمين وبه العون على إبطال زخرف الملحدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا معين.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وعلى أتباعهم الذين شهدوا لله بالوحدانية ولرسوله بالبلاغ المبين وسلم تسليما.

أما بعد:

فاعلم أيها الطالب للهدى المتباعد عن أسباب الضلال والردى أني رأيت ورقة لبعض الناكبين عن الحق المبين المعرضين عن توحيد رب العالمين٢ فإذا هي مفصحة عن ضلال مفتريها معلنة بفساد طوية منشيها ومتلقيها مع تناقضها وبشاعة ما فيها فتارة تراه سائلا مسترشدا وتارة مفتيا مضللا مفندا لا يدري ولا يدري أنه فعزمت على أن أعرض ورقته على بعض أصحابنا الذين لهم ملكة في معرفة العلوم ولهم بصر ناقد وفهم مستقيم في تمييز الصحيح من السقيم لأكتفي بهم في رد ذلك الزيغ والضلال

---

١ في الأصل: بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخنا عبد الرحمن بن حسن قدس الله روحه.

٢ هو أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان المرائي كما نص على ذلك المؤلف في آخر الورقة ١٠/ب من هذه الكتاب.." (٢)

"**يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ١ ذكر لها أربع علامات:

إحداها: أنهم أذلة على المؤمنين. قيل: معناه أرقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم، فلما ضمن "أذلة" هذا المعنى عداه بأداة "على". قال عطاء -رحمه الله-: للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته، ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ٢.

العلامة الثالثة٣: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان. وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذه علامة صحة المحبة. فكل محب أخذه اللوم على محبوبه فليس بمحب

---

(١) فتح القدير للشوكاني؟ الشوكاني ٢/٦١

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٠١

على الحقيقة. وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ ٤. فذكر المقامات الثلاثة: الحب. وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب، ومن المعلوم قطعا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته؛ بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه. وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب، فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح وبهجة النفوس، وقرة العيون وأعلى نعيم الدنيا والآخرة. ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته؛ فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم؛ بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها، وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده والله المستعان.

وقال -رحمه الله تعالى- أيضا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا

خفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها. وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني عن الجنيد.

---

١ سورة المائدة آية: ٥٤.

٢ سورة الفتح آية: ٢٩.

٣لم يذكر الثانية. ولعله اكتفى بما في كلام عطاء من الإشارة إليها بقوله: وعلى الكافرين.

٤ سورة الإسراء آية: ٥٧.." (١)

"قوله: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقوله: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٨]

وقوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]

وقوله: ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ [النساء: ٥٨]

وقوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ [الكهف: ٣٩]

وقوله:. . ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ [المائدة: ١]

وقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ [الأنعام: ١٢٥]

وقوله: ﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]

وقوله:. . ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩]

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؟ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٣٤

وقوله:. . ﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]

وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ [الصف: ٤]

وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤]

وقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠]

وقوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧]

وقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣]

وقوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤]." (١)

"والبعد (١) والضحك (٢) والتعجب (٣) والحب (٤) والكره (٥) والمقت (٦) والرضا (٧) والغضب (٨) والسخط (٩) والعلم (١٠) والحياة (١١) والقدرة (١٢) والإرادة (١٣) والمشيئة (١٤) والفوق (١٥) والمعية (١٦) والفرح (١٧) إلى غير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة. فأدلة ذلك مذكورة فيها.

فكل هذه الصفات، تساق مساقا واحدا، ويجب الإيمان بها على أنها صفات حقيقية، لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يمثل، ولا يعطل، ولا يرد، ولا يجحد، ولا يؤول بتأويل يخالف ظاهره.

---

(١) لا يوصف الله بـ " البعد " إذ هذا الوصف مما لا دليل عليه في الكتاب والسنة بل يخالف قوله تعالى:. . . فإني قريب. . . ولعل المؤلف أراد العلو عندما ذكر القرب وقد سبق أن قال المؤلف: " فكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكره من علو وفوقيته فإنه سبحانه علي في دنوه وقريب في علوه ".

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد " البخاري (٦ / ٣٩ فتح) ومسلم (١٨٦٧) كلاهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٣) قال صلى الله عليه وسلم: " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " رواه البخاري (٦ / ١٤٥ فتح) .

(٤) قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. . . [المائدة: ٥٤] .

(٥) قال تعالى:. . . ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم. . . [التوبة: ٤٦] .

(٦) قال تعالى: كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف: ٣] .

---

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر؟ صديق حسن خان ص/٣٦

(٧) قال تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. . . [الفتح: ١٨] .

(٨) قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم. . . [الممتحنة: ١٣] .

(٩) قال تعالى:. . . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم. . . [المائدة: ٨٠] .

(١٠) قال تعالى: علم الإنسان ما لم يعلم [العلق: ٥] .

(١١) قال تعالى: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. . . [البقرة: ٢٥٥] .

(١٢) قال تعالى: تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير [الملك: ١] .

(١٣) قال تعالى:. . . إن ربك فعال لما يريد [هود: ١٠٧] .

(١٤) قال تعالى:. . . قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. . . [آل عمران: ٧٣] .

(١٥) انظر التعليق: رقم (٩) بحاشية ص ٧١.

(١٦) قال تعالى:. . . وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير [الحديد: ٤] . وليعلم القارئ أن هذه المعية هي معية العلم والإحاطة – لا معية الذات – كما ذكر أهل التفسير، وقد مضى قول نعيم بن حماد وبيان المصنف لمعنى المعية فليراجع.

(١٧) انظر التعليق رقم (١) بحاشية ص ٦٥.." (١)

"وقرأ أبو عمرو بالنصب مع الواو عطفا على «يصبحوا» لا على «يأتي» لأن ذلك القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط. والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أي غاية أيمانهم إنهم لمعكم بالمعونة فإن المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله:

وإن قوتلتم لننصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين للمنافقين متعجبين من حالهم متبجحين بما من الله عليهم من إخلاص الإيمان عند مشاهدتهم لإظهارهم الميل إلى موالاة اليهود والنصارى أنهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم أنهم معنا في ديننا في السر ومن أنصارنا فالآن كيف صاروا موالين لأعدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم، وهذا أنسب لقراءة الرفع مع إثبات الواو على الاستئناف، أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصب ولقراءة الرفع مع حذف الواو، ولقراءة الرفع مع الواو بجعل عطف جملة على جملة والله أعلم. حبطت أعمالهم أي بطل ما أظهروه من الإيمان وبطل كل خير عملوه لأجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى فأصبحوا خاسرين (٥٣) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**.

قرأ ابن عامر ونافع «يرتدد» بدالين من غير إدغام وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها. روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشر فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الأولى: بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار – ويلقب بالأسود– كان له حمار يقول له: قف، فيقف! وسر، فيسير! وكانت نساء أصحابه يتعطرن بروث حماره وكان كاهنا ادعى النبوة. فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات

---

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر؟ صديق حسن خان ص/٧٢

اليمن وأمرهم بالنهوض إلى حراب الأسود، فقتله فيروز الديلمي على فراشه. والثانية: بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد وحشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه. والثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث أبو بكر خالدا فهزمهم وأفلت طليحة فهرب نحو الشام، ثم أسلم أيام عمر وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر.

الأولى: فزارة قوم عيينة بن حصن.

والثانية: غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري.

والثالثة: بنو سليم قوم الفجأة بن عبد ياليل.." (١)

"والرابعة: بنو يربوع قوم مالك بن نويرة.

والخامسة: بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وهي ادعت النبوة وزوجت نفسها لمسيلمة الكذاب.

والسادسة: كندة قوم الأشعث بن قيس:

والسابعة: بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفرقة واحدة في عهد عمر وهي: غسان قوم جبلة بن الأيهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف، فوطئ رجل طرف ردائه فغضب فلطمه، فاشتكى الرجل إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه. فقال: أنا أشتريها بألف، فأبى الرجل، فلم يزل يزيد في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف، فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر فأنظره، فهرب جبلة إلى الروم وارتد، والمراد بقوم **يحبهم ويحبونه** كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج: هم أبو بكر وأصحابه لأنهم الذين قاتلوا أهل الردة. ومعنى يحبهم أي يلهمهم الطاعة ويثيبهم عليها. ومعنى ويحبونه أي يطيعون لأوامره تعالى ونواهيه أذلة على المؤمنين أي عاطفين عليهم أعزة على الكافرين أي شداد عليهم كما

قال صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»

«١» . وكان أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه، ولا يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر إلى المرتدين وإلى مانعي الزكاة حتى انهزموا وجعل الله ذلك مبدأ لدولة الإسلام يجاهدون في سبيل الله أي لنصرة دين الله ولا يخافون لومة لائم فالواو للحال أي بخلاف المنافقين فإنهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، فمن كان قويا في الدين فلا يخاف في نصرة دين الله بيده ولسانه ولومة لائم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلي، إلا أن حظ أبي بكر في الجهاد أتم، لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث. وفي ذلك الوقت كان الإسلام في غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية وسعه.

وأما علي فإنه كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي لوجهين: لتقدمه على جهاد علي في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الإسلام ذلك أي

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٢٧٦/١

وصف القوم بالمحبة والشفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع أي كامل القدرة فلا يعجز عن هذا

---

(١) رواه أحمد في (م ٣/ ص ٢٨١) ، وابن ماجة في المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله.." (١)

"سورة النمل

مكية، وهي أربع وتسعون آية، ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا

طس أي هذا مسمى بطس تلك أي تلك السورة آيات القرآن وكتاب مبين (١) ، أي مظهر للحكم والأحكام وأحوال الآخرة.

وقرأ ابن أبي عبلة برفع «كتاب مبين» . هدى وبشرى للمؤمنين (٢) ، هما حالان من آيات، أي هادية إلى الله ومبشرة بالوصول إلى الله بهدايته للمصدقين بتلك الآيات أو بدلان منها، أو خبران آخران لتلك

كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني من طلبني بدلالات القرآن وجدني بالعيان»

. الذين يقيمون الصلاة أي يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعها في حقها.

ويؤتون الزكاة أي يعطونها بشرائطها وهم بالآخرة هم يوقنون (٣) أي هؤلاء هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم، لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب.

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا يخلق في قلبه بما فيها من المضار والآفات، فهم يعمهون (٤) أي ينهمكون فيها أولئك أي الموصوفون بعدم الإيمان بما في الآخرة وبالعمد في الأعمال الذين لهم سوء العذاب وهو عمي القلوب وصممه وبكمه، وهم في الآخرة هم الأخسرون (٥) أي أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب، ولأنهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يربحوا المولى وذلك لأن قوما من المختصين بتوفيق من الله يحبهم ويحبونه قد خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات إليهما في طلب المولى، فربحوا المولى. فلهذا لما وجد أبو يزيد في البادية قحف رأس مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفي. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦) ، أي وإنك يا أشرف الخلق لتؤتى القرآن من عند ذات مصيب في أفعاله لا يفعل شيئا إلا على وفق علمه. عليم بكل شيء سواء كان ذلك العلم مؤديا إلى العمل أو لا. وقال بعضهم: أي إنك جاوزت حد كمال كل رسول فإنهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل، والرسالات." (٢)

"الرجس﴾ . [الأحزاب: ٣٣] . وقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ . [البقرة: ١٨٥] .

زمنها الرحمة، قال تعالى: ﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ . [الأنعام: ١٤٧] . وقال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ . [لأعراف: ١٥٦] .

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ٢٧٧/١

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد؟ نووي الجاوي ١٦٥/٢

ومنها المحبة، قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ . [المائدة: ٥٤] .
ومنها الغضب، قال تعالى: ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم﴾ . [الفتح: ٦] .
ومنها الرضى، قال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ . [البينة: ٨] .
ومنها المشيئة، قال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ . [القصص: ٦٨] .
ومنها الوجه، قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام﴾ . [الرحمن: ٢٧] .
ومنها اليد، قال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ . [الفتح: ١٠] .
ومنها الفرح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يفرح بتوبة العبد أشد فرحا من فاقد راحلته بأرض فلاة" ١.
ومناه الخلة، قال تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ . [النساء: ١٢٥] .
والإلحاد فيها نوعان: تعطيلي بمعنى أنه يعطل حقائق معانيها ويؤولها، كالجهمية ومن تبعهم، وفروخ الأشاعرة في بعضها، ش

---

١ رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤٩) عن ابن مسعود بنحوه.
ورواه أيضا البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) عن أنس بنحوه.
ورواه مسلم (٢٧٤٥) عن النعمان بن بشير بنحوه، وعن البراء بن عازب (٢٧٤٦) .." (١)

"الشرك بالجزية. وقيل: قتل قريظة وإجلاء النضير. وقيل: أن يورث المسلمين أرضهم وديارهم. (العاشر) - ما ذكره الله تعالى من الأمر الذي يؤول إليه حالهم. وأنهم يصبحون نادمين على ما أسروا في أنفسهم من غشهم للمسلمين ونصحهم للكافرين. وقيل: من نفاقهم. وقيل: من معاندتهم للكفار، وذلك حين معاينتهم للعذاب. وقيل: في الدنيا، بما صاروا فيه من الذلة والصغار. (الحادي عشر) - ما ذكره الله تعالى من تعجب المؤمنين من فضيحة أعداء الله وخبثهم في إيمانهم بقوله تعالى: ويقول الذين آمنوا أهؤلاء.. الآية. (الثاني عشر) - ما أخبر الله من حالهم بقوله تعالى: حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين قيل: خسروا حظهم من موالاتهم. وقيل: أهلكوا أنفسهم. وقيل: خسروا ثواب الله. انتهى.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم
لما نهى تعالى- فيما سلف- عن مولاة اليهود والنصارى، وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين بقوله: فإنه منهم وقوله: حبطت أعمالهم- شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق.

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد؟ حامد بن محسن ص/٣٧

ونوه بقدرته العظيمة. فأعلم أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلا. كما قال تعالى: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم [محمد صلى الله عليه وسلم: ٣٨] . وقال تعالى:

إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين [النساء: ١٣٣] . وقال تعالى: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز [فاطر: ١٦- ١٧] . أي:

بممتنع ولا صعب.

وفي هذه الآية مسائل:

الأولى: قال المحققون: هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها. وقد وقع المخبر به على وفقها. فيكون معجزا. فقد روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"الجملة إلى أهل الردة، إذ كانت أعظم الأمرين وأهمهما.

انظر تتمة هذا المبحث في (نيل الأوطار) في كتاب الزكاة.

قال الشوكاني: فأما مانعوا الزكاة منهم، المقيمون على أصل الدين، فإنهم أهل بغي. ولم يسموا على الانفراد كفارا، وإن كانت الردة قد أضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين، وذلك أن الردة اسم لغوي. فكل من انصرف عن أمر كان مقبلا عليه، فقد ارتد عنه. وقد وجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحق. وانقطع عنهم اسم الثناء والمدح، وعلق بهم الاسم القبيح، لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقا.

الثانية: قوله تعالى: **يحبهم ويحبونه.**

مذهب السلف في المحبة المسندة له تعالى. أنها ثابتة له تعالى بلا كيف ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها. كما تقدم في الفاتحة في الرحمن الرحيم.

فتأويل مثل الزمخشري لها- بإثابته تعالى لهم أحسن الثواب، وتعظيمهم والثناء عليهم والرضا عنهم- تفسير باللازم، منزع كلامي لا سلفي. وقد أنكر الزمخشري أيضا كون محبة العباد لله حقيقية، وفسرها بالطاعة وابتغاء المرضاة. فرده صاحب (الانتصاف) بأنه خلاف الظاهر. وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب، والمجاز الذي لا يعدل إليه عن الحقيقة، إلا بعد تعذرها، فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد، لينظر: أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا؟ إذ المحبة، لغة، ميل المتصف بها إلى أمر ملذ. واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحسن: كلذة الذوق في المطعوم، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة، ولذة الشم في الروائح العطرة، ولذة السمع في النغمات الحسنة، وإلى لذة تدرك بالعقل: كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها. فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون الحس، ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها، وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٤/١٦٨

فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق. فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى، ومعرفة جلاله وكماله، تكون أعظم. والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات. فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة، بل واقعة من كل." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٥]

ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (٥)

ما لهم به من علم ولا لآبائهم أي ما لهم بالولد، أو باتخاذه، أو بالقول، من علم. بل إنما يصدر عن جهل مفرط، وتوهم كاذب، وتقليد للآباء. لا عن علم يقين، ويقين. ويؤيده قوله: كبرت كلمة أي ما أكبرها كلمة تخرج من أفواههم وذلك لأن الولد مستحيل لا معنى له. إذ العلم اليقيني يشهد أن الوجود الواجبي أحدي الذات، لا يماثله الوجود الممكن. والولد هو المماثل لوالده في النوع، المكافئ له في القوة. وجملة (تخرج من أفواههم) صفة ل (كلمة) تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم. قال الشهاب: لأن المعنى: كبر خروجها. أي عظمت بشاعته وقباحته، بمجرد التفوه. فما بالك باعتقاده إن يقولون إلا كذبا أي قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلا. وذلك لتطابق الدليل القطعي، والوجدان الذوقي على إحالته.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٦]

فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦)

فلعلك باخع أي مهلك نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن أسفا أي لتأسف على توليهم وإعراضهم عنه. أو متأسفا عليهم.

و (الأسف) فرط الحزن والغضب. وفي (العناية) : لعل للترجي. وهو الطمع في الوقوع أو الإشفاق منه. وهي هنا استعارة. أي وصلت إلى حالة يتوقع منك الناس ذلك. لما يشاهد من تأسفك على عدم إيمانهم. وفي النظم الكريم استعارة تمثيلية بتشبيه حاله معهم، وقد تولوا، وهو آسف من عدم هدايتهم، بحال من فارقته أحبته.

فهم بقتل نفسه. أو كاد يهلك وجدا عليهم وتحسرا على آثارهم. وسر ذلك- كما قال القاشاني- أن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه.

ولما كان صلى الله عليه وسلم حبيب الله، ومن لوازم محبوبيته محبته لله لقوله **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] ، وكلما كانت محبته للحق أقوى، كانت شفقته ورحمته على خلقه أكثر. لكون الشفقة عليهم ظل محبته لله، وأشد تعطفه عليهم. فإنهم كأولاده وأقاربه. بل كأعضائه وجوارحه في الشهود الحقيقي. فلذلك بالغ في التأسف عليهم، حتى كاد يهلك نفسه. وقوله تعالى:." (٢)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ١٧١/٤

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٦/٧

"فخرج صاحبه عن الإنسانية، وقد أفاد ما لم يطابق من اعتقاد وقوع غير الواقع، فدخل في حد الشيطنة، فاستحق المقت الكبير عند الله، بإضاعة استعداده، واكتساب ما ينافيه من أضداده. وكذا الخلف، لأنه قريب من الكذب، ولأن صدق العزم وثباته من لوازم الشجاعة التي هي إحدى الفضائل اللازمة لسلامة الفطرة، وأول درجاتها. فإذا انتفت انتفى الإيمان الأصلي بانتفاء ملزومه، فثبت المقت من الله. انتهى.

لطيفة:

قال الزمخشري: هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه. قصد في كبر التعجب من غير لفظه. ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين. وأسند إلى أن تقولوا، ونصب مقتا على تفسيره، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص، لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه. واختير لفظ (المقت) لأنه أشد البغض وأبلغه، ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا، حتى جعل أشده وأفحشه.

و (عند الله) أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله، فقد تم كبره وشدته.

قال الناصر: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس، وهو تكراره لقوله:

ما لا تفعلون وهو لفظ واحد، في كلام واحد. ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الصف (٦١) : آية ٤]

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤)

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال القاشاني:

لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله، إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون الله لنفسه. فأصل الشرك ومحبة الأنداد، محبة النفس. فإذا سمح بالنفس، كان غير محب لنفسه، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئا من الدنيا. وإذا كان بذله للنفس في اللهو وفي سبيله لا للنفس، كما قال- ترك الدنيا للدنيا- كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء، فكان من الذين قال فيهم: والذين آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥] ، وإذا كانوا كذلك يلزم محبة الله إياهم، لقوله: **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] ، انتهى.

تنبيهات:

الأول- في ذكر هذه الآية عقيب مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار، فلم يفلوا. انتهى.." (١)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل؟ القاسمي ٢١٦/٩

"وإذا قيل: هذا كان قولا ثالثا في المسألة؛ وحينئذ فيبين لصاحبه أن هذا القول خطأ مخالف للسنة ولإجماع الصحابة، فإن الصحابة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبعدهم إلى انقراض عصرهم لم يسافر أحد منهم إلى قبر نبي، ولا رجل صالح.

وقبر الخليل عليه السلام بالشام لم يسافر إليه أحد من الصحابة، وكانوا يأتون بيت المقدس ويصلون فيه، ولا يذهبون إلى قبر الخليل، ولم يكن ظاهرا بل كان في البناء الذي بناه سليمان عليه السلام. ولا كان قبر يوسف يعرف، ولكن أظهر ذلك بعد أكثر من ثلثمائة سنة من الهجرة، ولهذا وقع فيه نزاع، فكثير من أهل العلم ينكره، ونقل ذلك عن مالك وغيره، لأن الصحابة لم يكونوا يزورونه فيعرف. ولما استولى النصارى على الشام نقبوا البناء الذي كان على الخليل، واتخذوا المكان كنيسة، ثم لما فتح المسلمون البلد بقي مفتوحا، وأما على عهد الصحابة فكان قبر الخليل عليه السلام مثل قبر نبينا صلى الله عليه وسلم. ولم يكن أحد من الصحابة يسافر إلى المدينة لأجل قبر النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا يأتون فيصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة، ويسلم من سلم عند دخول المسجد والخروج منه، وهو مدفون في حجرة عائشة، فلا يدخلون الحجرة ولا يقفون خارجا عنها في المسجد عند السور، وكان يقدم في خلافة أبي بكر وعمر أمداد اليمن الذين فتحوا الشام والعراق- وهم الذين قال الله فيهم: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ١. ويصلون في مسجده كما ذكرنا، ولم يكن أحد يذهب إلى القبر، ولا يدخل الحجرة ولا يقوم خارجها في المسجد، بل السلام عليه من خارج الحجرة، وعمدة مالك وغيره فيه على ما فعل ابن عمر.

وبكل حال فهذا القول لو قاله نصف المسلمين لكان له حكم أمثاله في مسائل النزاع، وأما أن يجعل هو الدين الحق ويستحل عقوبة من خالفه ويقال بكفره فهذا خلاف إجماع المسلمين، وخلاف ما جاء به الكتاب والسنة، فإن كان

---

١ سورة المائدة: ٥٤.." (١)

"عليه في الصلاة، وعند دخولهم المساجد وغير ذلك، ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر، وقد يكون فعله غير ابن عمر أيضا، فهكذا رأي من رأى من العلماء هذا جائزا اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ولا يقف يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون ذلك، إذ لم يكن هذا سنة سنها لهم.

وكذلك أزواجه كن على عهد الخلفاء وبعدهم يسافرون للحج، ثم ترجع كل واحدة إلى بيتها كما وصاهن بذلك، وكانت أمداد اليمن الذين قال الله فيهم: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ١ على عهد أبي بكر وعمر يأتون أفواجا من اليمن للجهاد في سبيل الله، ويصلون خلف أبي بكر وعمر في مسجده، ولا يدخل أحد منهم إلى داخل الحجرة، ولا يقف في المسجد خارجا منها، لا لدعاء ولا صلاة ولا سلام ولا غير ذلك، وكانوا عالمين بسنته، كما علمهم الصحابة والتابعون أن حقوقه ملازمة لحقوق الله، وأن جميع ما أمر الله به وأحبه من حقوقه وحقوق رسوله فإن صاحبها يؤمر بها في جميع

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني؟ الألوسي، محمود شكري ١٨١/١

المواضع والبقاع، فليست الصلاة والسلام عليه عند قبره بأوكد من ذلك في غير ذلك المكان، بل صاحبها مأمور بها حيث كان، إما مطلقا وإما عند الأسباب المؤكدة لها، كالصلاة والدعاء والأذان، ولم يكن شيء من حقوقه ولا شيء من العبادات هو عند قبره أفضل منه في غير تلك البقعة، بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده، ومن اعتقد أنه قبل القبر لم يكن له فضيلة -إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه والمهاجرون والأنصار وإنما حدثت له الفضيلة في خلافة الوليد بن عبد الملك لما أدخل الحجرة في مسجده- فهذا لا يقوله إلا جاهل مفرط في الجهل، أو كافر، فهو مكذب لما جاء، مستحق للقتل.

وكان الصحابة يدعون في مسجده كما كانوا يدعون في حياته، لم يتجدد لهم

---

١ سورة المائدة: ٥٤.." (١)

"الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ إلى قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ ١ وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة، الذي يعبد الله فيها على حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر ما هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ ٢ وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ٣ وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ ٤ وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٥ وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان، كما قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ ٦.

فإذا أنعم الله على إنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضي الله له من القضاء خيرا له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له؛ إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له" ٧.

والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال، وكل واحد من السراء والضراء في

---

١ سورة الحجرات: ١٤- ١٥.

٢ سورة الحج: ١١.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني؟ الألوسي، محمود شكري ١/١٩٨

٣ سورة آل عمران: ١٤٢.

٤ سورة محمد: ٣١.

٥ سورة المائدة: ٥٤.

٦ سورة آل عمران: ١٤٤.

٧ أخرجه مسلم (٢٩٩٩) بلفظ: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير.."." (١)

"باب الإشارة في تفسير قوله تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون * فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ ١ وهي الشهوات الدانية واللذات الفانية، ويجعلون ما ورثوه ذريعة إلى أخذ ذلك: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ ٢ ولا بد، لأنا واصلون كاملون، وهذا حال كثير من متصوفة زماننا، فإنهم يتهافتون على الشهوات تهافت الفراش على النار، ويقولون إن ذلك لا يضرنا لأنا واصلون، وحكي عن بعضهم أنه يأكل الحرام الصرف، ويقول: إن النفي والإثبات يدفع ضرره، وهو خطأ فاحش وضلال بين، أعاذنا الله تعالى وإياكم من ذلك، وأعظم منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعي لأحدهم، ويقول كل منا بحر والبحر لا ينجس، ولا يدري هذا الضال أن من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير، ومنهم من يحكي عن بعض الكاملين المكملين من أهل الله تعالى ما يؤيد به دعواه، وهو كذب لا أصل له، وحاشا ذلك الكامل مما نسب إليه. انتهى.

وقال الزمخشري عند الكلام على قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٣. ما نصه: "محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله تعالى لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم، ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم، وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوؤهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المنفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى، وفي مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عليه السلام، ثم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا، ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم، كذلك

---

١ سورة الأعراف: ١٦٨- ١٦٩.

٢ سورة الأعراف: ١٦٩.

٣ سورة المائدة: ٥٤.." (٢)

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني؟ الألوسي، محمود شكري ٣٢٦/٢

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني؟ الألوسي، محمود شكري ٤٣٣/٢

"واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتي من أمثاله من السلفة في معاداة أهل البدع والضلالة ضلالة لا تخرج عن الملة، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين:

الأول: غلظ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون أهل الكبائر، كما تجد في قلوب الناس اليوم أن الرافضي عندهم ولو كان عالما عابدا أبغض وأشد ذنبا من السني المجاهر بالكبائر.

والأمر الثاني: أن البدعة تجر إلى الردة الصريحة، كما وجد في كثير من أهل البدع.

فمثال البدعة التي شددوا فيها مثل تشديد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، خوفا مما وقع من الشرك الذي يصير به المسلم مرتدا.

فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، والنفاق الأكبر، ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي نزل فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة: ٧٣-٧٤] .." (١)

"متوهما تفرغاها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم فرضى الله عنهما وعن زنيرة التي عذبها المشركون في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك إلا إيمانا وكذا أم عنيس كانت أمة لبني زهرة، وكان يعذبها الأسود بن عبد يغوث حتى أعتقها الصديق رضي الله عنه وعنهما.

ورضي الله عن لبينة أسلمت قبل عمر وكان عمر يعذبها حتى يسأم، ويقول لها: إني لم أدعك إلا سآمة، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم؛ ورضى الله عن أم ياسر أغلظت القول مرة لأبي جهل فطعنها في قبلها بحربة في يده فكانت أول شهيدة في الإسلام فرضى الله عنها، ولعنات الله عليه، وقف طريد الله على باب أبي بكر فقال لابنته: أين أبوك؟ فقالت: لا أدري، فرفع يده فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها، فرضى الله عنهم وعنهن أجمعين. وعن الأنصار منهم والمهاجرين، وعن كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم، وحرهم وعبدهم، وعربيهم وعجميهم، وفارسيهم وحبشيهم، نصروا الله فنصرهم، وأعزوا دينه فأعزهم قال المنافقون ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فكذبهم الله وسفه أحلامهم، فقال: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ .

فهم لا غيرهم حزب الله الذين بشروا بقول الله: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ وهم لا غيرهم الموصوفون بقوله تعالى ﴿**يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ .." (٢)

---

(١) كشف الشبهتين؟ سليمان بن سحمان ص/٣٧

(٢) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات؟ الشقيري ص/٣٧٦

"أعز الله بها المؤمنين السالفين فيسلكون سبيلها، فأنتم السبب في وقوعهم في هذا الذل الكبير، بل انقلبت عليهم آية ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ فكأنها ما أنزلت في المسلمين.

يا علماء الإسلام: يقول الله في كتابه ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ، فصفة المؤمنين عند الله أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكفار، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ .

هذا وإن الألوف وألوف الألوف ممن يتسمون بالمسلمين والمؤمنين ليقفون أمام اليهودي الحقير ليس الكبير أو النصراني الدنيء أذل من الشاة إن خاطبه خاطبه وهو خاشع ذليل بين يديه لا يرفع إليه رأسه ولا طرفه كأنه واقف بين يدي رب العالمين وأحكم الحاكمين.

هذا مع أن الله قد وصف هؤلاء الكافرين والمنافقين بأنهم أجبن الجبناء وأضعف الضعفاء؛ قال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ أي وكانوا أشكالا حسنة، وذوي فصاحة وألسنة. وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجبن والجزع ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام ليست بأشجار تثمر ولكنهم خشب مسندة إلى حائط ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يتعقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى: (أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت؛ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة." (١)

"عن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». تحفة ١٣٧٣٤

١٥ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ح وحدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال النبى – صلى الله عليه وسلم – «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». تحفة ٩٩٣، ١٢٤٩

الباب الأول كانا عاما لكل مسلم، وهذا خاص كالجزئي منه، وليس الحب فيه هو الشرعي، أو العقلي، كما قاله البيضاوي: إن الحب عقلي، وطبعي، والمراد هو العقلي، وقد مر مني أن الحب صفة واحدة، تختلف باختلاف المتعلق، إن صرفتها إلى الآباء والأبناء، سميت طبعية، وإن صرفتها إلى الشرع، سميت شرعية، فالفرق باعتبار المتعلق، كيف وقول الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا﴾ .. إلخ [التوبة: ٢٤] أوجب أن يكون حبهما أزيد من الكل، وحب هذه الأشياء ليس إلا طبعيا. وعند المصنف رحمه الله تعالى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك».

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات؟ الشقيري ص/٣٨٦

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: «الآن يا عمر»، وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن علي دينا ... إلخ رواه البخاري. وأمثاله كثيرة تدل على أن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب عندهم مما في الأرض جميعا، ولم يكونوا يعلمون غير المحبة التي تكون فيما بينهم (١).

---

(١) قال الشيخ بدر الدين العيني: إن هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم -أي الحب الشرعي- بل ميل قلب -أي الحب الطبعي- ولكن الناس يتفاوتون في ذلك. قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من هذا المعنى أتم، لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره، ومنزلته أعلم، والله أعلم.

ويقال: المحبة إما اعتقاد النفع، أو ميل يتبع ذلك، أو صفة مخصصة، لأحد الطرفين بالوقوع، ثم الميل: قد يكون بما يستلذه بحواسه، كحسن الصورة، وبما يستلذه بعقله، كمحبة الفضل والجمال، وقد يكون لإحسانه عليه، ودفع المضار عنه، ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما جمع من الجمال الظاهر والباطن، وكمال أنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين، بهدايتهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعيم، ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين.

لو كانت فيهما فيجب كونه أحب منهما. ثم قال الشيخ العيني رحمه الله تعالى: وإنما يجب أن يكون الرسول أحب إليه من نفسه، قال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] إلخ فلله در الشيخ رحمه الله تعالى حيث برهن على أن حب النبي - صلى الله عليه وسلم - يجب على كل مسلم أكثر من نفسه ووالديه، اللهم اجعل حبك وحب رسولك أحب إلينا من أنفسنا ومن الماء البارد. آمين.." (١)

"٦٩٢١ - قوله: (من أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر) ... إلخ، وهذا لا يخالف ما روي من حديث الهدم، فإنه فيما إذا تضمن إسلامه التوبة، وإلا فالحكم فيه، كما في حديث الباب، وقد مر تفصيله في - الإيمان.

٢ - باب حكم المرتد والمرتدة

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم: تقتل المرتدة. واستتابتهم.

وقال الله تعالى ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٨٦) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٧) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٨) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٨٩) إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٩٠)﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٩٠] وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري؟ الكشميري ١/١٥٧

من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠)﴾ [آل عمران: ١٠٠] وقال: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧)﴾ [النساء: ١٣٧]. وقال: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (١٠٨) لا جرم﴾ يقول: حقا ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [النحل: ١٠٧ - ١١٠]. ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧].

٦٩٢٢ - حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال أتى على - رضى الله عنه - بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقتلتهم لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من بدل دينه فاقتلوه». طرفه ٣٠١٧ - تحفة ٥٩٨٧ - ١٩/ ٩

٦٩٢٣ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن قرة بن خالد حدثنى حميد بن هلال حدثنا أبو بردة عن أبى موسى قال أقبلت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ومعى رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يمينى، والآخر عن يسارى ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستاك فكلاهما سأل. فقال «يا أبا موسى». أو «يا عبد الله بن قيس». قال قلت والذى بعثك بالحق ما أطلعانى على ما فى أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل. فكأنى أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت فقال «لن - أو - لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا." (١)

"٧٣ - باب [٣٤٨٩] قوله (أخبرنا أبو داود) الطيالسي (عن أبي إسحاق) السبيعي (سمعت أبا الأحوص) اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي

قوله اللهم إني أسألك الهدى والتقى أي الهداية والتقوى

قال الطيبي أطلق الهدى والتقى ليتناول كل ما ينبغي أن يهتدى إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق وكل ما يجب أن يتقى منه من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق وطلب العفاف والغنى تخصيص بعد تعميم انتهى العفاف والغنى العفاف والعفة هو التنزه عما لا يباح والكف عنه والغنى ها هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه مسلم وبن ماجة

٤ - باب [٣٤٩٠] قوله (عن محمد بن سعد الأنصاري) الشامي صدوق من السادسة (عن عبد الله بن ربيعة) بن يزيد الدمشقي وقيل بن يزيد بن ربيعة مجهول من السادسة

قوله (يقول) اسم كان بحذف إن أي قوله اللهم إني أسألك حبك من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول والأول أظهر

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري؟ الكشميري ٦/ ٤٠٠

إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى **يحبهم ويحبونه** وحب من يحبك كما سبق إما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء

وإما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا كما ورد في الدعاء حببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا

وأما ما ورد في الدعاء من سؤال حب." (١)

"الحب فتأولوه كما تأولوا غيره من صفات الله تعالى وشئونه الكمالية، توهما منهم أنها تعارض تنزهه عن مشابهة الناس في صفاتهم البشرية، فكان حظهم من معرفة ربهم وإلههم التعطيل بشبهة التنزيه الذي هو معنى سلبي محض ثم أعدنا بيان ما ذكر في تفسير قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (٥: ٥٤) .

وأما حب رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فهو دون حبه عز وجل، وفوق حب تلك الأصناف الثمانية وغيرها ممن يحب من الخلق كالعلماء العاملين، والمرشدين المربين، والفنانين المتقين، والزعماء السياسيين، والأغنياء المحسنين فإنه - صلى الله عليه وسلم - كان المثل البشري الأعلى، والأسوة الحسنة المثلى، في أخلاقه وآدابه وفضائله وفواضله وسياسته ورياسته وسائر هديه، قد خصه الله بجعله خاتم النبيين، وإرساله رحمة للعالمين، وجعل اتباعه هو الدليل على حب متبعه لله عز وجل،

وجعل جزاءه عنده حبه تعالى لمتبعه، ومغفرته لجميع ذنوبه، وذلك نص آية (٣: ٣١) آل عمران التي ذكرناها آنفا، وسنزيد هذا الحب وحب الله تعالى بيانا في هذا المقام، وقد عطف عليهما الجهاد في سبيله منكرا؛ لأنه أظهر آياتهما ونكتة تنكيره وإبهامه إفادة أن كل نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله قل أو كثر، فإن تاركه لأجل حب شيء من تلك الأصناف الثمانية وتفضيلها عليه يستحق الوعيد الذي في الآية، والجهاد أنواع ترجع إلى جنسين: الجهاد بالمال، والجهاد بالنفس. والقتال نوع من أنواع الجنس الثاني، ومنها أنواع أخرى علمية وعملية. فمهندس الحرب الحق العادلة مجاهد في سبيل الله، وواضع الرسوم لمواطنها وطرقها كذلك، إلخ.

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - فلا ريب أن من كان ما ذكر من الأصناف الثمانية كلها أو بعضها أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فهو غير تام الإيمان أو غير صحيحه كما تشير إليه آية المائدة (٥: ٥٤) التي استشهدنا بها آنفا. فقوله عز وجل فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و. . . أبهم لتذهب أنفسهم فيه كل مذهب، وأقرب ما يفسر به قوله في وعيد المنافقين من هذه السورة: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا (٥٢) وما كان أولئك الذين يؤثرون حب أهلهم وأموالهم على حب الله ورسوله، والجهاد في سبيله إلا من المنافقين فهم الذين كانوا يثبطون المؤمنين عن الجهاد، ويوحون إليهم زخرف الاعتراض على نبذ عهود المشركين، وإعلان حالة الحرب بينهم وبين المؤمنين، كما بيناه مرارا. وما روي عن مجاهد أن المعنى." (٢)

---

(١) تحفة الأحوذي؟ عبد الرحمن المباركفوري ٩/٣٢٤

(٢) تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ١٠/٢١٠

"إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم (إلا) مركبة من " إن " الشرطية و " لا " النافية للحال والاستقبال كإن لم للماضي أي: إلا تنفروا كما أمركم الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعذبكم الله عذابا أليما في الدنيا يهلككم به بعصيانكم بعد قيام الحجة عليكم، ويستبدل بكم قوما غيركم، قيل: كأهل اليمن وأبناء فارس، وليس في محله، فإن الكلام للتهديد والله يعلم أنه لا يقع الشرط ولا جزاؤه، وإنما المراد قوم يطيعونه ويطيعون رسوله؛ لأنه قد وعد بنصره، وإظهار دينه على الدين كله، فإن لم يكن ذلك بأيديكم، فلا بد أن يكون بأيدي غيركم ولن يخلف الله وعده (٢٢: ٤٧) قال تعالى: يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله (٥: ٥٤) الآية، وقد مضت سنته تعالى بأنه لا بقاء للأمم التي تتثاقل عن الدفاع عن نفسها، وحفظ حقيقتها وسيادتها، ولا تتم فائدة القوة الدفاعية والهجومية إلا بطاعة الإمام والقائد العام، فكيف إذا كان الإمام والقائد هو النبي الموعود من ربه العزيز القدير بنصر من نصره، وهلاك من عصاه وخذله؟ .

ولا تضروه شيئا أي: ولا تضروه تعالى شيئا ما من الضرر في تثاقلكم عن طاعته ونصرة رسوله؛ لأنه غني عنكم ولن يبلغ أحد ضره ولا نفعه، بل هو القاهر فوق عباده، وكل من في السماوات والأرض مسخر بأمره، وإن كان قد

جعل للبشر شيئا من الاختيار هو حجة عليهم فيما يلقون من الجزاء على الأعمال، وقيل: إن المراد: ولا تضروا رسوله بتثاقلكم فإنه عصمه من الناس، وكفل له النصر بقرينة الآية الآتية: والله على كل شيء قدير ومنه إهلاككم إن أصررتم على العصيان، وتوليتم عن إقامة دينه، وإتمام نوره، ونصر رسوله بقوم آخرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (٥: ٥٤) كما قال في آخر سورة القتال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٤٧: ٣٨) وهذا حجة على من زعم من الروافض أنه لولا ثبات علي كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا حول بغلة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين لقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذهب دينه فلم تقم له قائمة، والله أكبر من جهلهم، ورسوله أعظم عنده ممن ثبت، وممن لم يثبت حول بغلته، ووعده أصدق من غلوهم في رفضهم، وهاك من حجج كتابه ما يزيد شبهة بدعتهم افتضاحا، وحجة السنة وأهلها اتضاحا.

قال عز وجل: إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا أي: إلا تنصروا الرسول الذي استنفركم في سبيل الله على من أرادوا قتاله من أولياء الشيطان فسينصره الله بقدرته وتأييده، كما نصره إذ أجمع المشركون على الفتك به، وأخرجوه من داره وبلده. أي: اضطروه إلى الخروج والهجرة، ولولا ذلك لم يخرج – وقد تكرر في التنزيل ذكر إخراج." (١)

"جنده، وهزم الأحزاب وحده، فخذل الله الكافرين، وفضح المنافقين، وظهر تأويل الآيتين، وما في معناهما، وفقا لقوله: (والعاقبة للمتقين) وفي القرآن كثير من أخبار الغيب، التي يعبر عنها أهل الكتاب بالنبوات، وهي الأصل عندهم في صدق الأنبياء، وهم مع ذلك يكابرون في نبوة خاتم النبيين، ويمارون في (نبواته) الظاهرة الصريحة الثابتة بالسند والدليل على تصديقهم (بنبوات) رمزية تختلف فيها وجوه التأويل (يرونا السهى فنريهم القمر) بل نريهم ما هو أضوأ من الشمس وأظهر (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٢٤: ٤٠) .

---

(١) تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ١٠/٣٦٨

(ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) هذه الآيات من تتمة السياق السابق، فلما كان من يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعد منهم كان أولئك الذين يسارعون فيهم من مرضى القلوب مرتدين بتوليهم إياهم، فإن أخفوا ذلك فإظهارهم للإيمان نفاق، ولما بين الله حالهم أراد أن يبين حقيقة يدعمها بخبر من الغيب، يظهره الزمن المستقبل ؛ وهي أن المنافقين مرضى القلوب لا غناء فيهم، ولا يعتد بهم في نصر الدين وإقامة الحق، وإنما يقيم الله

الدين ويؤيده بالمؤمنين الصادقين الذين يحبهم الله، فيزيدهم رسوخا في الحق، وقوة على إقامته، ويحبونه فيؤثرون ما يحبه من إقامة الحق والعدل وإتمام حكمته في الأرض على سائر محبوباتهم من مال ومتاع، وأهل وولد.." (١)

"هذه هي الحقيقة، وأما خبر الغيب فهو أنه سيرتد بعض الذين آمنوا عن الإسلام جهرا، فلا يضره ذلك ؛ لأن الله تعالى يسخر له من ينصره ويجاهد لحفظه، فقال: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) قرأ ابن عامر ونافع " يرتدد " بدالين، والباقون " يرتد " بدال واحدة مشددة، وهما لغتان ؛ فلغة إظهار الدالين هي الأصل، ولغة الإدغام تشديد يراد به التخفيف، والمعنى: من يرتد منكم يا جماعة الذين دخلوا في أهل الإيمان عن دينه لعدم رسوخه، فسوف يأتي الله مكانهم، أو بدلا منهم بقوم راسخين في الإيمان **يحبهم ويحبونه**. . . إلى آخر ما ذكره من صفات المؤمنين الصادقين.

أخرج رواة التفسير المأثور عن قتادة، واللفظ لابن جرير، أنه قال: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام، إلا ثلاثة مساجد - أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس. قالوا (أي المرتدون) : نصلي ولا نزكي، والله لا نغصب أموالنا، فكلم أبو بكر في ذلك فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها وزادوها، فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه، فبعث الله عصابة مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فقاتلهم حتى أقروا بالماعون - وهي الزكاة - صغرة أقمياء، فأتته وفود العرب فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية ؛ فاختاروا الخطة المخزية، وكانت

أهون عليهم أن يستعدوا، أن قتلاهم في النار، وأن قتلى المؤمنين في الجنة، وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم، وما أصاب المسلمين لهم من مال فهو لهم حلال، فالقوم الذين يحبهم الله ويحبونه على هذا هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، ونقل المفسرون هذا القول عن علي المرتضى والحسن وقتادة والضحاك، ورووا عن السدي أنه قال: إنهم الأنصار ؛ لأنهم هم الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: هم الفرس لحديث ورد في مناقب سلمان أنهم قومه،

---

(١) تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ٣٥٩/٦

ولكنه ضعيف، وقيل: نزلت في علي كرم الله وجهه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وعد في خيبر بأن يعطي الراية غدا رجلا يحبه الله، ثم أعطاها عليا، وليس هذا بدليل، ولفظ القوم لا يجري على الواحد ؛ لأنه نص في الجماعة، وغلاة." (١)

"وأما الدليل على إثبات صفة الرحمة: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ ، ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ .

وأما الدليل على إثبات صفة الحب له ـ تعالى ـ: فقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

وأما الدليل على إثبات حب عباده له: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ .

وأما الدليل على إثبات صفة الرضا له: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ .

وأما الدليل على إثبات صفة الغضب له ـ سبحانه ـ: فقوله ـ تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم﴾ ، وفي الآية الثانية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ ، وفي موضع ثالث: ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ .

وأما الدليل على إثبات صفة التعجب له ـ تعالى ـ: فقوله ـ جل ذكره ـ في سورة (الصافات) : ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ . على قراءة من قرأ بضم التاء؛ وهما: حمزة والكسائي ..." (٢)

"هم الذين ثبتوا على الإسلام والطاعة لخليفة رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– ولم يبدلوا شيئا، وطائفة كثيرة بقيت على الإسلام وإنما امتنعت عن أداء الزكاة، وهذه هي التي توقف عمر وغيره في قتالها وشرح الله صدر أبي بكر لقتالها ورجع الصحابة– رضي الله عنهم– إليه، وطائفة أخرى ارتدت عن الإسلام جملة كأصحاب طليحة وسجاح –وقد راجعا الاسلام بعد– والأسود ومسيلمة وكان في غمار هؤلاء المرتدين أفراد من المؤمنين يقاومون وتوقفت طائفة تنتظر لمن تكون الغلبة.

وكان السر الأكمل في هذه الردة على تفصيلها أن يتبين للناس أن الذين اتبعوه اتبعوه لأنه نبي لا لأنه عربي.

لقد ثبت المحو به مباشرة في الأكثر الأظهر، وثبت المحو بواسطة خليفته ومن معه ممن انطبق عليهم قول الله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾. والمحو على يد هؤلاء السادة محو به، وهكذا كل محو يقع على يد أتباعه إلى يوم الدين فهو محو به وله مثل حسنات مباشريه على قاعد السابق للخير والبارىء به والداعي إليه.

وكذلك الإسم الرابع فهو مختص بمعناه لأن الله لم يجمع الناس جمعا تشريعيا على نبي قبله فقدكان النبي يرسل إلى قومه خاصة وأرسل هو – صلى الله عليه وآله وسلم– إلى الناس عامة.

---

(١) تفسير المنار؟ محمد رشيد رضا ٣٦٠/٦

(٢) الكشف المبدي؟ محمد بن حسين الفقيه ٤٠٥/١

وكذلك الإسم الخامس فهو المختصر، بختم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

...

هذه الأسماء الشريفة نأخذ منها حظ العلم وحظ العمل، فأما حظ العلم فقد تقدم، وأما حظ العمل فعلينا إذ علمنا معنى." (١)

"الصالح، والاتباع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان في قوم انفرد بينهم بذلك وحده. ولا يستوحش من انفراده بينهم؛ فحسبه رضى الله ومحبته، وكفى بهما أنسا.

وليثق بأنه- إن صدق وأمد الله في عمره- يكون له ود وقبول في عباد الله، وأنس بمن **يحبهم ويحبونه** لله، وتلك المحبة النافعة الدائمة والصلة المتينة الجامعة، التي تجمع بين أهلها في الدنيا والآخرة.

جعلنا الله والمسلمين من العاملين له المتحابين فيه.

...

٦ - حسن التلقي وطلب المزيد

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤)﴾ [طه: ١١٤].

من أدب المتعلم:

لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالما إلا من كان متعلما، كما لن يصلح معلما إلا من قد كان متعلما.

ومحمد- صلى الله عليه وآله وسلم- الذي بعثه الله معلما كان أيضا متعلما: علمه الله بلسان جبريل، فكان متعلما عن جبريل عن رب العالمين، ثم كان معلما للناس أجمعين.

أرأيت أصل العلم ومن معلموه ومتعلموه؟

ثم أرأيت شرف رتبة التعلم والتعليم؟!

لا جرم كان لرتبة التعلم آدابها ولرتبة التعليم آدابها. وكان محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- أكمل الخلق في آدابهما؛ بما أدبه الله، وأنزل عليه من الآيات فيهما، مثل آيتنا اليوم وغيرها.

لزوم الصمت عند السماع:

كان النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- إذا أنزل عليه جبريل- عليه السلام- بالوحي وقوله عليه، قرأ معه وساوقه (١) في القراءة. وكان ذلك منه- صلى الله عليه وآله وسلم- لحرصه على حفظه وعدم نسيانه، حتى يبلغه كما أنزل عليه.

ولأن تعلق قلبه بما يسمع من جبريل، وامتلاءه به، واستيلاء ذلك المسموع على لبه، يدعوه إلى النطق به، لما بين القلب واللسان من الارتباط، ولأن شوقه إلى ذلك المسموع ومحبته ورغبته فيه، تبعثه على التعجل بقراءته.

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير؟ ابن باديس، عبد الحميد ص/٣٢٣

(١) ساوقه: تابعه وسايره وجاراه (المعجم الوسيط: [ص:٤٦٤])..‏" (١)

"(٤) إنهم لهم سيمى يعرفون بها، فلهم نور فى وجوههم، وخشوع وخضوع يعرفه أولو الفطن.

(٥) إن الإنجيل ضرب بشأنهم المثل فقال: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ذاك أنهم فى بدء الإسلام كانوا قليلى العدد ثم كثروا واستحكموا وترقى أمرهم يوما فيوما حتى أعجب الناس بهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتوالد منها.

الإيضاح

(محمد رسول الله) أي إن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله بلا شك ولا ريب مهما أنكر المنكرون، وافترى الجاحدون.

(والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) أي إن صحابته الذين معه غليظة قلوبهم على الكفار، رقيقة قلوب بعضهم على بعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم.

ونحو الآية قوله: «فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» وقوله: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»

وفى الحديث «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»

وقوله صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه»

وعلى هذا جاء قوله:

حليم إذا ما الحلم زين أهله ... على أنه عند العدو مهيب." (٢)

"[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أن من يتولى الكافرين من دون الله يعد منهم، وأن الذين يسارعون فيهم مرضى القلوب مرتدون بتوليهم إياهم، فإن أخفوا ذلك فإظهارهم للإيمان نفاق.

بين هنا حقيقة دعمها بخبر من الغيب يظهره الزمن المستقبل، فالحقيقة أن المنافقين ومرضى القلوب لا غناء فيهم ولا يعتد

---

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير؟ ابن باديس، عبد الحميد ص/٣٤٣

(٢) تفسير المراغي؟ المراغي، أحمد بن مصطفى ١١٥/٢٦

بهم فى نصر الدين وإقامة الحق فالله إنما يقيم دينه بصادقى الإيمان الذين يحبهم فيزيدهم رسوخا فى الحق وقوة على إقامته، ويحبونه فيؤثرون ما يحبه من إقامة الحق والعدل على سائر ما يحبون من مال ومتاع وأهل وولد.

وخبر الغيب أنه سيرتد بعض الذين آمنوا عن الإسلام جهرا ولا يضره ذلك، لأن الله تعالى يسخر من ينصره ويحفظه.

الإيضاح

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

روى ابن جرير عن قتادة قال: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد- أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من عبد القيس- قالوا (أي المرتدون) نصلى ولا نزكى، والله لا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر فى ذلك فقيل له: إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها وزادوها فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء." (١)

"الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم.

قوله تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ أي: متى استقاموا على العهد فاستقيموا لهم.

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] . وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] . وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] . وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤] .

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قال ابن كثير: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ أي: من الذنب وإن تكرر غشيانه. ﴿ويحب المتطهرين﴾ أي المتنزهين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهى عنه من إتيان الحائض، أو في غير المأتى.

قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ قال ابن كثير: أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء والحكماء: (ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب) . ثم قال تعالى: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر. قال الحسن البصري: (زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فيه إثبات صفة محبة الله تعالى لعباده على ما يليق بجلاله. قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوما." (٢)

"يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم – صلى الله عليه وسلم – فأخبر أنه سيأتي بقوم **يحبهم ويحبونه**.

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ روى أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري

---

(١) تفسير المراغي؟ المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٩/٦

(٢) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية؟ فيصل المبارك ص/٣٦

رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال) .

وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤] . وقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١] . ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] . ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣] . ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] . ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] .

قوله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾ قال ابن كثير: أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، ولو كان الذنب من أي شيء كان.

والودود: قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب.

قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الحديث: " أن عيسى عليه السلام قال للمعلم؟ الرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة ".

قوله تعالى: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ وأول الآية: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأحوالهم ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ .." (١)

"الآية أن المنافقين لا يعول عليهم في شيء ولا يعتمد عليهم في أمر فهم متأرجحون. مرجفون خائفون مضطربون، لا يثبتون على حال ويقولون ما لا يفعلون، فهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام وحاربوه في السر وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن.

فهم أصعب من العدو الظاهر وأشد خطرا من غيرهم.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

الإعراب:

(يأيها الذين آمنوا) مر إعرابها «١» ، (من يرتد منكم) مثل من يتولهم منكم «٢» ، (عن دين) جار ومجرور متعلق ب (يرتد) ، و (الهاء) ضمير مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب الشرط (سوف) حرف استقبال (يأتي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (بقوم) جار ومجرور متعلق به (يأتي) ، (يحب) مثل يأتي و (هم) ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الواو) عاطفة (يحبون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل و (الهاء) ضمير مفعول به (أذلة) نعت لقوم مجرور مثله (على المؤمنين) جار ومجرور متعلق بأذلة وقد ضمن معنى عاطفين، وعلامة الجر الياء (أعزة) نعت ثان لقوم مجرور مثله (على الكافرين) مثل على المؤمنين (يجاهدون) مثل

---

(١) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية؟ فيصل المبارك ص/٣٧

(١) في الآية (١) من هذه السورة.

(٢) في الآية (٥١) من هذه السورة.." (١)

"وجملة «يشاء» : لا محل لها صلة الموصول (من) .

وجملة «الله واسع ... » : لا محل لها استئنافية.

الصرف:

(لومة) ، مصدر مرة من لام يلوم باب نصر، وزنه فعلة بفتح الفاء.

(لائم) ، اسم فاعل من لام الثلاثي وزنه فاعل، وفيه قلب الواو همزة لمجيئها بعد ألف فاعل وأصله لاوم، وهذا القلب مطرد في كل فعل معتل.

البلاغة

الطباق: بين أذلة وأعزة..

الفوائد

اقتران جواب الشرط بالفاء..

في هذه الآية اقترن جواب الشرط بالفاء بقوله تعالى: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** وهنا وجب اقترانه بالفاء لوقوع سوف في الجواب ولعله من المفيد أن نذكر بحالات وجوب اقتران جواب الشرط بالفاء وهي:

١ - إذا كان الجواب جملة أسميه كقوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى.

٢ - إذا كان الجواب جمله طلبية فعلها أمر أو مضارع مقترن بلام الأمر أو لا الناهية كقوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا.

٣ - أن يكون فعل الجواب جامدا كقولنا: إن أحسنت فعسى أن يحبك الناس.

٤ - أن يكون مقترنا ب (ما) كقولنا: إن عاقبت المسيء فما قصرت.." (٢)

"﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٧] ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤] ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤] ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١] ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] ﴿وهو

(١) الجدول في إعراب القرآن؟ محمود صافي ٣٨٣/٦

(٢) الجدول في إعراب القرآن؟ محمود صافي ٣٨٥/٦

الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٦٤] ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: ٩٣] ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ [محمد: ٢٨] ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف: ٥٥] ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ [التوبة: ٤٦] ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٣]." (١)

"الدرس الثامن والسبعون

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جآؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم." (٢)

"قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ : ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنه منهم. يقول: فإن من تولاهم، ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه، وما هو عليه راض. وإذا رضيه ورضي دينه، فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه.

وقوله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة﴾ ، قال قتادة: أناس من المنافقين كانوا يوادون اليهود، ويناصحونهم دون المؤمنين. ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ قال: بالقضاء، ﴿أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ من موادتهم اليهود ومن غشهم للإسلام وأهله. وقال السدي: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ فتح مكة، ﴿أو أمر من عنده﴾ ، قال: الأمر: الجزية. وقال مجاهد: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾ حينئذ يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين.

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة؟ عبد الرحمن السعدي ص/٣٦

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن؟ فيصل المبارك ٢/٧٣

قال البغوي: يعني: يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ حلفوا بالله ﴿جهد أيمانهم﴾ ، أي: حلفوا بأغلظ الإيمان، ﴿إنهم لمعكم﴾ ، أي: إنهم لمؤمنون؟ يريد أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم، وحلفهم بالباطل؛ قال الله تعالى:

﴿حبطت أعمالهم﴾ بطل كل خير عملوه، ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب، وفوات الثواب.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) ﴾ .

قال الضحاك في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم﴾ هو: أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام. وعن مجاهد في قول الله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ، قال: أناس من أهل اليمن. وعن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله." (١)

"بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ، قال: أومأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال: «هم قوم هذا» . رواه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ، قال علي رضي الله عنه: أهل رقة على أهل دينهم، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم.

وقوله تعالى: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (أمرني خليلي – صلى الله عليه وسلم – بسبع: أمرني: بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني: أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني: أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني: أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني: أن أقول الحق وإن كان مرا، وأمرني: أن لا أخاف في الله لومة." (٢)

"﴿٥٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ .

يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه. وأن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجل صفاتهم أن الله ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن؟ فيصل المبارك ٢/٧٦

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن؟ فيصل المبارك ٢/٧٧

الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

كما أن من لازم (١) محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".

-[٢٣٦]-

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.

ومن صفاتهم أنهم ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وقال تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم.

ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير -أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي من عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا.

(١) في ب: لوازم." (١)

"﴿٣٦-٣٨﴾ ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ .

هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفا، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾ أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم، ولهذا قال: ﴿إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها، أنكم ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

﴿فمنكم من يبخل﴾ أي: فكيف لو سألكم، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك.

-[٧٩١]- ثم قال: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.

فإن الله هو ﴿الغني وأنتم الفقراء﴾ تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

﴿وإن تتولوا﴾ عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به ﴿يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن؟ عبد الرحمن السعدي ص/٢٣٥

﴿ويحبونه﴾

تم تفسير سورة القتال، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"﴿١ - ٢٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير * إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد * هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود * بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ .

﴿والسماء ذات البروج﴾ أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته.

﴿واليوم الموعود﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿وشاهد ومشهود﴾ وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

وقيل: إن المقسم عليه قوله ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و ﴿الأخدود﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قوما كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول (١) في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودا [في الأرض] ، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة (٢) يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله.

﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ خلقا وعبيدا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه (٣) ، ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ علما وسمعا وبصرا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن؟ عبد الرحمن السعدي ص/٧٩٠

مماليك لله (٤) ، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم (٥) ؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى (٦) عن سواء السبيل.

ثم وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه -[٩١٩]- وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿إن الذين آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ الذي حصل به الفوز (٧) برضا الله ودار كرامته.

﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام [لقوية] شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾

﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك (٨) ، ﴿وهو الغفور﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿الودود﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعا لها، كانت عذابا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿الودود﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر.

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه"

﴿ذو العرش المجيد﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون ﴿المجيد﴾ نعتا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله (٩) ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿فعال لما يريد﴾ أي: مهما أراد شيئا فعله، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ وكيف كذبوا

المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي: قد أحاط بهم علما وقدرة، كقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره.

﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم.

﴿في لوح محفوظ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسير السورة.

---

(١) في ب: على الدخول.

(٢) في ب: حالة.

(٣) في ب: يتصرف فيهم بما يشاء.

(٤) في ب: أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم مماليك لله.

(٥) في ب: مجازيهم عليها.

(٦) في ب: والجاهل في عمى وضلال.

(٧) في ب: حصل لهم الفوز.

(٨) في ب: فلا يشاركه في ذلك مشارك.

(٩) في ب: فإنه يكون نعتا لله.." (١)

"به» (١) .

س ما دليل اشتراط الإخلاص من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ [الزمر: ٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه» (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» (٣) .

[دليل الصدق من الكتاب والسنة]

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن؟ عبد الرحمن السعدي ص/٩١٨

س: ما دليل الصدق من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿الم - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] إلى آخر الآيات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» (٤) وقال للإعرابي الذي علمه شرائع الإسلام إلى أن قال: «والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفلح إن صدق» (٥)

.

[دليل اشتراط المحبة من الكتاب والسنة]

س: ما دليل اشتراط المحبة من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]

---

(١) رواه البخاري (٧٩) ، ومسلم (الفضائل / ١٥) ، وأحمد (٤ / ٣٩٩) .

(٢) رواه البخاري (٩٩) ، وأحمد (٢ / ٣٧٣) .

(٣) رواه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (مساجد / ٢٦٣) .

(٤) رواه البخاري (١٢٨) ، ومسلم (الإيمان / ٥٣) .

(٥) رواه البخاري (٤٦، ١٨٩١) ، ومسلم (الإيمان / ٨، ٩) ، وأحمد (١ / ١٦٢) ، وأبو داود (٣٩١) .." [١]

"ولكي نفهم جيدا ما يقصده القرآن بهذا الإخلاص ينبغي أن نضيف مجموعتين أخريين من الآيات التي قدم لنا بها تحديدا -هو في الحقيقة سلبي- ولكنه يعبر أصدق تعبير عن هذا الخضوع الخالص.

ففي المجموعة الأولى يلح القرآن على نقطة هي: أن سيطرة أهوائنا يجب أن تنتفي من أحكامنا، فهي شر وثن يتبع: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ ١، ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ ٢، ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ٣.

وفي المجموعة الأخرى يريد القرآن أن يحرر أنفسنا من تأثير العالم الخارجي، فهو يمنعنا من أن نلتمس طاقتنا الأخلاقية في آراء الناس عنا، أو في المواقف التي يمكن أن يتخذوها حيالنا، فرضاهم وسخطهم، ومهابتهم وقدرتهم -يجب ألا نعبأ بها أو نبالي، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ ٤، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ٥ -في مقابل قوله تعالى: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ ٦، وقوله: ﴿يراؤون الناس﴾ ٧، ويريد القرآن أيضا ألا نبالي بجزاء الناس أو عرفانهم: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ ٨، ومن

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية؟ حافظ بن أحمد حكمي ص/١٢

---

١ ٤/ ١٣٥.

٢ ٢٨/ ٥٠.

٣ ٣٨/ ٢٦.

٤ الأحزاب: ٣٩.

٥ المائدة: ٥٤.

٦ النساء: ١٠٨.

٧ النساء: ١٤٢.

٨ الدهر: ٩.." (١)

"﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ ١.

وأخيرا حب الله:

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ٢.

وأن يكون حبه فوق كل شيء:

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ٣.

---

١ النساء: ١١٠.

٢ المائدة: ٥٤.

٣ البقرة: ١٦٥.." (٢)

"وقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الكهف: ٢١] وقوله تبارك وتعالى: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ [طه: ٤١] وقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١١٦] وكقوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ [الأعراف:

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن؟ محمد بن عبد الله دراز ص/٤٨٤

(٢) دستور الأخلاق في القرآن؟ محمد بن عبد الله دراز ص/٧٧١

١٤٥] وكقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ، ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ ، ﴿والله يحب الصابرين﴾ ، ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤] وقوله: ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ ، ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥] ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ [لقمان: ١٨] وكقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ [الفتح: ١٨] ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [البينة: ٨] وقوله: ﴿إن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٩٦] ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] وكقوله تعالى: ﴿سخط الله عليهم﴾ [المائدة: ٨٠] وكقوله: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة: ٤٦] وقوله في اليهود: ﴿غضب الله عليهم﴾ [الممتحنة: ١٣] وفي قاتل النفس المحرمة: ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ [طه: ٨١] وكقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] وكقوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة." (١)

"للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ [الأنفال: ٣٨-٤٠] وقال تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا﴾ [التوبة: ٥] ، يعني: رجعوا عن الشرك إلى التوحيد ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها، وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله عز وجل" ١ الحديث في الصحيح، ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل، وليس هذا موضع بسطها.

"وهكذا" كما كلف صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار "أمته" المستجيبون له "قد كلفوا بذا" أي: الذي كلف به "وفي نص الكتاب" القرآن "وصفوا" أي: بذلك كما قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا﴾ [الفتح: ٢٩] الآية. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

---

١ البخاري "١/ ٧٥" في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فخلوا سبيلهم.

ومسلم "١/ ٥٣/ ح٢٢" في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٣٤٧/١

من حديث ابن عمر وفي الباب من حديث عمر بن الخطاب وأوس بن حذيفة والنعمان بن بشير وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأبي هريرة، رضي الله عنهم.." (١)

"ما اجتنبت الكبائر". قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه١. وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبه، يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله" ٢.

"و" السابع "المحبة" لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] ، فأخبرنا الله -عز وجل- أن عباده المؤمنين أشد حبا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله -صلى الله عليه وسلم- واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ [الفرقان: ٤٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية: ٢٣] ، فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر

---

١ تقدم قبل قليل.

٢ النسائي في عمل اليوم والليلة "ح٢٨" وسنده ضعيف فيه محمد بن عبد الله بن ميمون بن مسيكة ويعقوب بن عاصم، وهما مقبولان كما قال الحافظ: "إذا توبعا، وإلا فلينان".." (٢)

"منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ، **﴿يحبهم ويحبونه﴾** ، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء: ١٢٥] ﴿ومن

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٢/٤٠٩

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٢/٤٢٤

يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [لقمان: ٢٢] ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج: ٣٤] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٦٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" ١.

وقال صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" ٢.

وقد تقدم جملة من نصوص الإخلاص في الكلام على: لا إله إلا الله، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر، وقال صلى الله عليه وسلم: "أحبوا الله من كل قلوبكم"٣.

---

١ رواه البخاري "١/ ٩" في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وغيرها، ومسلم "٣/ ١٥١٥/ ح١٩٠٧" في الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنية".

٢ رواه مسلم "٤/ ٢٢٨٩/ ح٢٩٨٥" في الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

٣ تقدم في المجلد الأول تخريجه، وأن إسناده منقطع مرسل ضعيف.." (١)

"قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] الآيات. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة.

وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة١. وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم؛ فكره ذلك أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله" عز وجل. فقال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم على منعها٢.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة. فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سيفه، وخرج وحده. فلم يجدوا بدا من الخروج في أثره. قال ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة.

وكان قد ارتد في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاث فرق: منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ٢/٥٩٠

العنسي ويلقب بالأسود، وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى معاذ بن جبل ومن معه من

---

١ انظر البداية والنهاية "٦/ ٣١٢".

٢ البخاري "١٣/ ٢٥٠" في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الزكاة، وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، ومسلم "١/ ٥١/ ح٢٠" في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.." (١)

"وادعى النبوة في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأول من قوتل بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه١.

وارتد بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم، ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه. قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وارتدت العرب واشرأب النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بجبار لهاضها. انتهى من تفسير البغوي رحمه الله٢.

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه٣.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننه وابن عساكر عن قتادة: قال الله تعالى هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم﴾ [المائدة: ٥٤] وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة وأهل مكة وأهل جواثى من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا تغصب أموالنا. فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة. فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل، ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة. قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه

---

١ انظر الاستيعاب "٢/ ٤٧٧".

٢ معالم التنزيل، البغوي "٢/ ٢٦٨-٢٧٠".

٣ أخرجه ابن جرير في تفسيره "٦/ ٢٨٢" وأحمد في فضائل الصحابة "ح٦١٣" وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٢" والبيهقي في الدلائل "٦/ ٣٦١" وهو صحيح إلى الحسن.." (٢)

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ١١٤٥/٣

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ١١٤٧/٣

"الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] إلى آخر الآية١.

ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، قال عمر رضي الله عنه: أنا وقومي يا رسول الله؟ قال: "لا بل هذا وقومه" يعني أبا موسى الأشعري٢.

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال: لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله: "هم قوم هذا" وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه٣.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: تليت على النبي، صلى الله عليه وسلم ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ [المائدة: ٥٤] . الآية فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "قومك يا أبا موسى الأشعري؛ أهل اليمن" ٤.

---

١ أخرجه ابن جرير في تفسيره "٦/ ٢٨٣" وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي وابن عساكر كما في الدر المنثور "٣/ ١٠١-١٠٢".

٢ ابن جرير في تفسيره "٦/ ٢٨٤" وهو منقطع فشريح بن عبيد لم يسمع من عمر رضي الله عنه. وروي من طريق عياض الأشعري وحديثه مرسل كما جزم أبو حاتم رحمه الله وهو الآتي.

٣ أخرجه ابن سعد في الطبقات "٤/ ١٠٧" وابن جرير في تفسيره "٦/ ٢٨٣" والحاكم في المستدرك "٢/ ٣١٣" والبيهقي في الدلائل "٥/ ٣٥١-٣٥٢" وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٢" والطبراني "١٧/ ٣٧١/ ح ١٠١٦". وعياض الأشعري: يشك في صحبته. والحديث رواه ابن جرير من رواية عياض عن أبي موسى الأشعري "٦/ ٢٨٤" ويشهد له الحديث الآتي.

٤ أخرجه الحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٢".." (١)

"وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. فقال: "هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب" ١.

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون٢. وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية٣.

قلت. وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلا عن غيرهم، وكان بأس الناس الذي هم فيه، كما رواه ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: وكان يمر عمرو بن معديكرب الزبيدي

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ١١٤٨/٣

فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسودا، فإنما الفارسي تيس. وقد قتل رضي الله عنه أسوارا فارس الفرس وأبلى بلاء حسنا، وكانت له اليد البيضاء يومئذ٤.

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في تأريخه عن القاسم بن ينخسرة قال: أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله أنه لمنكم أهل اليمن. ثلاثا٥.

أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٢" والطبراني في الأوسط: إسناده حسن "المجمع ٧/ ١٨" وكذا قال السيوطي في الدر المنثور. قال ابن كثير: هذا حديث غريب حسن.

٢ أخرجه البخاري في تأريخه وأخرجه ابن أبي حاتم "ابن كثير ٢/ ٧٢-٧٣" وأبو الشيخ كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٣".

٣ أخرجه ابن أبي شيبة كما في الدر المنثور "٣/ ١٠٣".

٤ البداية والنهاية "٧/ ٤٥".

٥ البخاري في تاريخه "٤/ ١/ ١٦١". وقد وقع في المطبوع القاسم بن مخيمرة نقلا عن الدر المنثور "٣/ ١٠٣" وهو خطأ والتصحيح من التاريخ.." (١)

"أعداء الله من أهل وعشير- «أولئك كتب في قلوبهم الإيمان» أي ثبته الله ومكنه فى قلوبهم، فلا تعصف به عواصف الفتن، ولا تغلبهم عليه الأهواء..

«وأيدهم بروح منه» أي أعانهم الله سبحانه وتعالى بروح منه، تقيهم عوادى الفتن، وتعصمهم من نزعات الشيطان..

«ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار» فهذا هو جزاؤهم عند الله.. فقد «رضي الله عنهم» وتقبل منهم أعمالهم، فكان جزاؤهم عنده هذا الرضوان، وذلك النعيم المقيم، وقد أرضاهم هذا النعيم، فحمدوا ربهم وشكروا له..

وفى قوله تعالى: «ورضوا عنه» ما يكشف عن بعض لطف الله بعباده وإكرامه لأهل وده، وإغداق الإحسان عليهم، حتى تطيب نفوسهم وتمتلىء غبطة ورضى.. وهذا ما يشير إليه سبحانه وتعالى فى خطابه لنبيه الكريم:

«ولسوف يعطيك ربك فترضى» ..

وماذا يملك العبد حتى يكون لرضاه عن ربه أو سخطه، وزن أو قدر؟ ..

إنه لا شيء..

ولكن هكذا فضل الله على عباده، وإحسانه على أوليائه.. إنهم أرضوا الله بإيمانهم، وإحسانهم، فكان جزاؤهم عند الله أن يعطيهم حتى يرضوا عنه..

إنه رضى متبادل بين الله وأوليائه. حيث يطلب العبد رضى سيده ومولاه، فإن رضى عنه سيده، فعل به ما يرضيه عنه..

وكما يكون الرضا المتبادل بين الله وأوليائه، يكون الحب المتبادل بين الله وأحبابه.. «**يحبهم ويحبونه**» (٥٤: المائدة) ..

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول؟ حافظ بن أحمد حكمي ١١٤٩/٣

«أولئك حزب الله» .. أولئك الذين جعلوا ولاءهم لله ولرسول الله، هم حزب الله وأنصاره، وجنده، «ألا إن حزب الله هم المفلحون» ومن كان فى حزب الله، ومع الله، فهو من الفائزين المفلحين..." (١)

"وهذا الحلف نفسه، والمبالغة فيه هو الذي يكشف المستور من أمرهم، ويعطى الدليل على أنهم على غير الإسلام.. إذ أنهم لو كانوا مسلمين حقا لما حلفوا وأكدوا الحلف أنهم مؤمنون، ومع المؤمنين.. فما دعاهم أحد أن يحلفوا، ولكن كائن النفاق الذي يعيش فى كيانهم هو الذي حملهم على أن يستروا كذبهم ونفاقهم بهذه الأيمان المؤكدة، حتى لا يفتضح ما فى قلوبهم..

وهكذا المجرم، يحوم حول جريمته، يريد أن يخفى معالمها حتى ولو لم تكن هناك معالم لها.. لأنه لخوفه يتصور أن كل ما كان فى مكان الجريمة من كائنات، شاهد عليه، ينادى فى الناس بالإمساك به قبل أن يفلت.

وقوله تعالى: «حبطت أعمالهم» أي فسد تدبيرهم، وخاب ظنهم، وبطل سعيهم، فكان ذلك خسران لهم أي خسران.. خسروا المؤمنين الذين أصبحوا فيهم وقد افتضح أمرهم لهم، وخسروا أولياءهم من أهل الكتاب بعد أن أصابتهم الهزيمة، وعلت راية الإسلام، وعزت كلمته..

الآيات: (٥٤- ٥٦) [سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

التفسير: بعد هذه المراقبة التي اطلع منها المسلمون على هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على أدبارهم، وألقوا بأنفسهم فى مجتمع اليهود وغيرهم، ممن يكيدون." (٢)

"للإسلام، ويبيتون الشر للمسلمين، وبعد أن عاين المسلمون ما وقع أو ما سيقع للمنافقين من سوء حال وشر منقلب، وخسران للدنيا والآخرة- بعد هذا كان على المسلمين أن يراقبوا أنفسهم، وأن يأخذوا حذرهم من أن يردوا هذا المورد الآسن الآثم.. فجاء قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه» منبها لهم ومحذرا، أن من يرتد منهم عن دينه كما ارتد هؤلاء المنافقون الذين عرفوا أمرهم ومصيرهم، فستكون عاقبة المرتد منهم هى نفس عاقبة أولئك المنافقين: الندم والحسرة والخزي والخسران المبين..

والارتداد، معناه الرجوع إلى وراء، والعودة من المكان الذي كان قد تحرك منه المرتد إلى الأمام.. وهذا يعنى أنه يهدم ما بنى، وينقض ما غزل ولا يفعل ذلك إلا سفيه أحمق! وفى إضافة الدين إلى المؤمن، وبلفظ المفرد. هكذا: «عن دينه» ما يلفت

---

(١) التفسير القرآني للقرآن؟ عبد الكريم يونس الخطيب ١٤/٨٤٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن؟ عبد الكريم يونس الخطيب ٣/١١١٨

المؤمن إلى هذا الدين الذي دخل فيه، وأصبح من أهله، وأنه دينه هو، وثمرته عائدة عليه وحده، وأنه الدين الذي ينبغي أن يعيش فيه، ويشتد حرصه عليه.

إذ هو الدين الذي يدين به كل عاقل.. إنه دينه، إن كان من أهل العقل والرشاد.

وقوله تعالى: «فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم» هو معطوف على جواب الشرط، وليس جوابا للشرط، وإن كانت الفاء الواقعة فى جواب الشرط تشير إلى هذا الجواب..

ويكون معنى الآية هكذا: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسيلقى مالقى هؤلاء المنافقون الذين ارتدوا، من نكال وبلاء وسوء مصير، ثم إنه لن يضر الله شيئا، ولن يضير المسلمين فى شىء، لأنه سيخلى مكانه، الذي كان له." (١)

"فى الإسلام، ليأخذه من هو أولى به منه، وأكرم عند الله، وأكثر نفعا للمسلمين، وأعظم غناء فى الإسلام.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ... » الآية.

وهؤلاء القوم الذين سيأتى الله بهم، ويدخلهم فى دينه، قد وصفوا بأوصاف أربعة:

أولا: يحبهم الله ويحبونه..

وحب الله لهم: دعوتهم إلى الإسلام، وشرح صدورهم له، وتثبيت أقدامهم فيه.. لأنه سبحانه وتعالى هو الذي أحبهم، وهو الذي اختارهم ودعاهم.. وهذا فضل عظيم، ودرجة من الرضا، لا ينالها إلا من أكرمه الله، واستضافه، وخلع عليه حلل السعادة والرضوان.. جعلنا الله من أهل محبته، وضيافته.

أما حبهم هم لله، فهو فى استجابة دعوته، وامتثال أمره، والولاء له، ولرسوله وللمؤمنين..

ثانيا: «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» .

إجماع المفسرين على أن هذا الوصف، هو وصف لهؤلاء القوم بعد أن دخلوا فى الإسلام، فكانت تلك صفتهم، وهذا سلوكهم فيه.. «أذلة على المؤمنين» أي متخاضعين للمؤمنين، لا يلقونهم إلا باللين والتواضع.. «أعزة على الكافرين» أي أشداء وأقوياء، لا يلقى منهم أهل الكفر إلا بلاء فى القتال، واستبسالا فى الحرب.. أما فى السلم فهم جبال راسخة فى الإيمان..

لا ينال أحد منهم نيلا فى دينه، ولا يطمع أحد من أعداء الإسلام فى موالاتهم أو فى تعاطفهم معه.." (٢)

"الأعمال الصالحة.. فهؤلاء الأولياء هم الذين تعلقوا بالله، فجذبهم الله إليه، وأنزلهم منازل رحمته ورضوانه.. فأمنوا فى جنابه من كل خوف على متوقع، أو حزن على فائت «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .. فمن اتخذ الله وليا له، اتخذه الله وليا، ومن أحب الله أحبه الله، كما فى قوله تعالى: «فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**» (٥٤: المائدة) .. ومن أحبه الله فلا تسأل عما هو فيه من غبطة وسرور، مما يتنزل عليه من ربه من سكينة، وما يفاض عليه من نفحات وبركات..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن؟ عبد الكريم يونس الخطيب ١١١٩/٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن؟ عبد الكريم يونس الخطيب ١١٢٠/٣

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري: «ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، وإن استعاذنى لأعيذنه» .

فالطاعات، والمداومة عليها، هى التي تقرب العبد من ربه، فإذا قرب منه كان فى جناب حماه، وعلى بساط رحمته، لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يجزع إذا جزع الناس. ولا يبيت على هم إذا بات الناس على هموم: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .

وفى تعدية الخوف بحرف الجر (على) ، إشارة إلى أن الخوف إنما يكون من توقعات المستقبل، فهو مقبل لا مدبر.. ويكون المعنى لا خوف مقبل عليهم..

وفى التعبير عن الإيمان بالماضي «الذين آمنوا» وعن التقوى بالمستقبل «وكانوا يتقون» – إشارة إلى أن الإيمان يسبق التقوى، التي تقوم على اتقاء محارم الله، لأن هذا الاتقاء هو من معطيات الإيمان بالله..." (١)

"من رحمة ونحوها كوجهه (١) ... ويده وكل ما من نهجه (٢)

---

(١) أي: فكل وصف جاء في كتاب الله، وصح عن نبيه – صلى الله عليه وسلم – نثبته من غير تمثيل من ذلك: وصفه بالرحمة قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] . ﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [الزخرف: ٣٢] فنصفه بها على ما يليق بجلال الله، وليست كرحمة المخلوق.

وقوله: ونحوها، كالمحبة، والرضا، والغضب، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿يحب المتقين﴾ [التوبة: ٤] ﴿يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦] **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤] . ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المجادلة: ٢٢] .

وقال ﴿وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: ٩٣] فهو سبحانه المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به، ويحب عباده المؤمنين، ويغضب، ويرضى، فنصفه سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه، على ما يليق بجلاله، هذا مذهب أهل السنة والجماعة. وقوله: كوجهه، أي: من الصفات الثابتة له صفة الوجه، بلا كيف، قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] . ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وفي الحديث: «أعوذ بنور وجهك. وغير ذلك.

(٢) أي: ومن الصفات الثابتة له تعالى بنص الكتاب والسنة صفة اليدين، قال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] . ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] .

وفي الحديث: «يمين الله ملأى، لم يغض ما في يمينه، وبيمينه الأخرى القبض، يأخذهن بيده اليمنى، ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى وكلتا يدي ربي يمين، ويقبض أصابعه ويبسطها، ويجعلها في كفه» . وغير ذلك مما ثبت مما لا يحصى، فيداه صفتان

---

(١) التفسير القرآني للقرآن؟ عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٤٠/٦

من صفات ذاته بإجماع السلف.

وكل شيء ورد من صفات الله من نهج اليد والوجه ونحوهما كالقدم والرجل والساق نثبته كما جاء عن الله، قال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢] . وفي الحديث: «حتى يضع رب العزة فيها رجله» . وفي رواية: «فيها قدمه» . ونقر ما أتى عن الله على مراد الله، ونؤمن بذلك ونصدق به، ونعتقد أن له معاني حقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته.." (١)

"دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المخرج ثم خرج فإذا تور مغطى فقال: من صنع هذا؟

قال عبد الله: فقلت أنا، فقال: اللهم علمه تأويل القرآن!

وقال ابن مسعود "نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد" توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة رضي الله عنه.

قوله:

"وأما الإثبات المفصل " فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ الآية بكمالها، وقوله ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ السورة وقوله ﴿وهو العليم الحكيم﴾

﴿وهو العليم القدير﴾ ﴿وهو السميع البصير﴾ ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ﴿وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد﴾ ، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ، ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ . وقوله ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ وقوله ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ الآية وقوله ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ وقوله ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ وقوله ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ وقوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ وقوله ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ وقوله ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ وقوله ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وقوله: ﴿إنما أمره." (٢)

"المخلوق تتفق في الاسم دون أن يقتضي ذلك تماثل.

قوله:

ووصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ وقال: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ وكذلك وصف نفسه بالإرادة وعبده بالإرادة فقال: ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ . ووصف

---

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية؟ عبد الرحمن بن قاسم ص/٤١

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ٣٣/١

نفسه بالمحبة ووصف نعبده بالمحبة فقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ووصف نفسه بالرضا ووصف عبده بالرضا فقال: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه، وكذلك وصف نفسه أنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ وليس المقت مثل المقت وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، فقال: ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ وقال: ﴿أنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد، ووصف نفسه بالعمل فقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾ ووصف عبده بالعمل فقال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ وليس العمل كالعمل، ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة فقال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ وقال: ﴿ويوم يناديهم﴾ وقال: ﴿وناداهما ربهما﴾ ووصف عباده بالمناداة والمناجاة فقال: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ وقال: ﴿إذا ناجيتم الرسول﴾ وقال: ﴿إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان﴾ وليس المناداة والمناجاة كالمناداة والمناجاة. ووصف نفسه بالتكليم في قوله تعالى:." (١)

"كقدرتنا، وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير فكذلك إذا قالوا في قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبا كحبه، ولا رضا كرضاه. فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا. وإن كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي، وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام في الجميع واحدا.

ش: الكلام فيما سبق في أول هذه القاعدة مع المشبهة ونفاة الصفات كلها أما هنا فالخطاب مع الأشعري حين يقول "ظاهر النصوص مراد" أو يقول: "ظاهر النصوص ليس بمراد" ولذا قال المؤلف: "وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها".

والمتفق على مدلولها بين الأشاعرة وأهل السنة هي الصفات السبع. والمتنازع في إثبات مدلولها هي ماعدا الصفات السبع، إذا كان القائل يجري الجميع مجرى واحدا قيل له ماذا تقصد بالظاهر؟ أتقصد به ما يماثل صفات المخلوقين؟ أن تقصد به ما يليق بالله؟ وعلى كل فمن المعلوم أن الله سبحانه لما وصف نفسه بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر واتفق أهل السنة والأشاعرة ومن تبعهم على إثبات ذلك، وأن ظاهر ذلك مراد: كان من المعلوم أنهم لا يقصدون أن ظاهرها هو ما يماثل صفات المخلوقين: فكذلك لما قال أهل السنة أنه موصوف بالاستواء." (٢)

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ٥٩/١

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ١٥٩/١

"والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وقد عرف التشابه الخاص بقوله: وهو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، كما عرف الأحكام الخاص بقوله: والأحكام هو الفصل بينهما والوجه الذي يحصل به الاشتباه هو القدر المشترك بين المشتبهين. أما الوجه الذي تحصل به المخالفة فهو القدر الفارق المميز، فأسماء الله تعالى وصفاته تتفق مع أسماء المخلوقين وصفاتهم في اللفظ وفي المعنى الكلي المشترك. قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال سبحانه: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ وقال عز وجل: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ .

فالذين لا يفرقون بين الأمور وأن اتفقت من وجه واختلفت من وجه آخر يظنون أنهم إذا أثبتوا الصفات لله شبهوه بالمخلوقات، ومن الناس من يهتدي لمعرفة ما يحصل به الاشتراك وما يحصل به الاختلاف بين

المتشابهين، وهؤلاء هم الذين اثبتوا له ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله كما قال تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وحينئذ فالتشابه الخاص إنما يعتبر متشابها بالنسبة لبعض الناس دون بعض وليس في حد ذاته متشابها غير أن ذلك، ومثل المؤلف لذلك: باشتباه موجودات الآخرة، من لبن وعسل، وماء وخمر، وذهب وفضة، وحور ومساكن بموجودات الدنيا.

فإن بعض الناس تشتبه عليهم هذه الأمور فيظنون أن هذه الحقيقة مماثلة لتلك الحقيقة من كل وجه. أما أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيفهمون من النصوص ما يزيل عنه هذا الاشتباه ويعلمون أن ما أعده الله في دار البقاء والخلود من أنواع النعيم أكمل وأعظم مما يشهدونه في دار الفناء والزوال. وقوله "والتشابه الذي لا يتميز معه" معناه أن التشابه الخاص الذي لا يتضح معه المعنى بسبب ما بين الأمرين المشتبهين من." (١)

"مواضعه. والخطأ في القياس دعوى مماثلة المعاني للمعاني، لما بينها من القدر المشترك. ووجه خطئهم من جهة التأويل تلاعبهم بالنصوص، وإساءة الظن بها، ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، وليس لهم على ذلك حجة من كتاب ولا سنة، بل العمدة عندهم نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان. ووجه خطئهم من جهة القياس أنهم أتوا بألفاظ مجملة ليست في الكتاب ولا في السنة مثل متحيز ومحدود، وجسم ومركب، ونحو ذلك وجعلوا منها مقدمات مسلما بها عندهم ومدلولا عليها بنوع قياس،

وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه في إثبات حدوث العالم بحدوث الإعراض؟ أو إثبات إمكان الجسم بالتركيب من الأجزاء، فوجب طرد الدليل بالحدوث والإمكان لكل ما شمله هذا الدليل.

والقياس الفاسد لا ينضبط كما أن التأويل الفاسد ليس له قانون مستقيم. وذلك أن كلا منهما غير مرتكز على نقل صحيح أو عقل صريح. والتأويل الخطأ يكون في النصوص المتشابهة؟ وذلك كألفاظ نصوص صفات الله وألفاظ نصوص صفات المخلوقين قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وقال سبحانه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال: ﴿فإذا

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ١/٢١٤

استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ فتأولت المبتدعة مدلول نصوص صفات الله لما بين النصوص من التشابه. والقياس الخطأ يكون في المعاني المتشابهة حيث أن كلا من المقيس والمقيس عليه له نصيب من المعنى الكلى المشترك.." (١)

"وقد وردت أخبار أخوتهم وتراحمهم في مواضع كثيرة من القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين في سورة العقود [٥٤] .

وفي تعليق رحماء مع ظرف (بين) المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف هو إليه تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا قال النبيء صلى الله عليه وسلم «تجد المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى له جميع الجسد بالسهر والحمى»

. والخطاب في تراهم لغير معين بل لكل من تتأتى رؤيته إياهم، أي يراهم الرائي.

وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعا سجدا. وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه.

والسيما: العلامة، وتقدم عند قوله تعالى: تعرفهم بسيماهم في البقرة [٢٧٣] وهذه سيما خاصة هي من أثر السجود.

واختلف في المراد من السيما التي وصفت بأنها من أثر السجود على ثلاثة أنحاء الأول: أنها أثر محسوس للسجود، الثاني أنها من الأثر النفسي للسجود، الثالث أنها أثر يظهر في وجوههم يوم القيامة. فبالأول فسر مالك بن أنس وعكرمة وأبو العالية قال مالك: السيما هي ما." (٢)

"وجملة فإن الله هو الغني الحميد قائمة مقام جواب الشرط لأن مضمونها علة للجواب، فالتقدير: ومن يتول فلا يضر الله شيئا ولا يضر الفقير لأن الله غني عن مال المتولين، ولأن له عبادا يطيعون أمره فيحمدهم.

والغني: الموصوف بالغنى، أي عدم الاحتياج. ولما لم يذكر له متعلق كان مفيدا الغنى العام.

والحميد: وصف مبالغة، أي كثير الحمد للمنفقين على نحو قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة: ٥٤] الآية.

ووصفه ب الحميد هنا نظير وصفه ب «الشكور» وفي قوله: إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم [التغابن: ١٧] ، فإن اسمه الحميد صالح لمعنى المحمود فيكون فعيلا بمعنى مفعول، وصالح لمعنى كثير الحمد، فيكون من أمثلة المبالغة لأن الله يثيب على فعل الخير ثوابا جزيلا ويثني على فاعله ثناء جميلا فكان بذلك كثير الحمد. وقد

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية؟ فالح بن مهدي آل مهدي ٢١٨/١

(٢) التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٢٠٥/٢٦

حمله على كلا المعنيين ابن برجان الإشبيلي (١) في «شرحه لأسماء الله الحسنى» (٢) ووافقه كلام ابن العربي في «أحكام القرآن» في سورة الأعراف، وهو الحق.

وقصره الغزالي في «المقصد الأسنى» على معنى «المحمود» .

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر فإن الله الغني الحميد بدون ضمير فصل، وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام. وقرأه الباقون فإن الله هو الغني الحميد بضمير فصل بعد اسم الجلالة وكذلك هو مرسوم في مصاحف مكة والبصرة والكوفة، فهما روايتان متواترتان.

---

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الأشبيلي المتوفي سنة ٥٣٦ هـ، وبرجان بموحدة في أوله مفتوحة ثم راء مشددة مفتوحة.

(٢) هو شرح موسع ينحو الطرائق الصوفية، لم يذكره في «كشف الظنون» ، أوله «الحمد لله الذي باسمه تفتتح المطالب، ذكر فيه مائة واثنين وثلاثين اسما مستخرجة من ألفاظ القرآن، مخطوط نادر توجد منه نسخة بالمكتبة العاشورية بتونس نسخت سنة ١٠٢١ هـ.." (١)

"بإضافته إلى «الأيمان» صار من نوع اليمين فكان مفعولا مطلقا مبينا للنوع. وفي «الكشاف» في سورة النور جعله مصدرا بدلا من فعله وجعل التقدير: أقسموا بالله يجهدون أيمانهم جهدا، فلما حذف الفعل وجعل المفعول المطلق عوضا عنه قدم المفعول المطلق على المفعول به وأضيف إليه.

وجملة حبطت أعمالهم استئناف، سواء كانت من كلام الذين آمنوا فتكون من المحكي بالقول، أم كانت من كلام الله تعالى فلا تكونه. وحبطت معناه تلفت وفسدت، وقد تقدم في قوله تعالى: فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة في سورة البقرة [٢١٧] .

[٥٤]

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

تقضى تحذيرهم من أعدائهم في الدين، وتجنيبهم أسباب الضعف فيه، فأقبل على تنبيههم إلى أن ذلك حرص على صلاحهم في ملازمة الدين والذب عنه، وأن الله لا يناله نفع من ذلك، وأنهم لو ارتد منهم فريق أو نفر لم يضر الله شيئا، وسيكون لهذا الدين أتباع وأنصار وإن صد عنه من صد، وهذا كقوله تعالى: إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر [الزمر: ٧] ، وقوله: يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين

---

(١) التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٤١٤/٢٧

[الحجرات: ١٧] .

فجملة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم إلخ معترضة بين ما قبلها وبين جملة إنما وليكم الله [المائدة: ٥٥] ، دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله ومن يتولهم منكم فإنه منهم [المائدة: ٥١] . فتعقيبها بهذا الاعتراض إشارة إلى أن اتخاذ اليهود." (١)

"قيل: لم يبق إلا أهل ثلاثة مساجد: مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد (جؤاثى) في البحرين (أي من أهل المدن الإسلامية يومئذ) . وقد صدق الله وعده ونصر الإسلام فأخلفه أجيالا متأصلة فيه قائمة بنصرته.

وقوله: يأتي الله بقوم، الإتيان هنا الإيجاد، أي يوجد أقواما لاتباع هذا الدين بقلوب تحبه وتجلب له وللمؤمنين الخير وتذود عنهم أعداءهم، وهؤلاء القوم قد يكونون من نفس الذين ارتدوا إذا رجعوا إلى الإسلام خالصة قلوبهم مما كان يخامرها من الإعراض مثل معظم قبائل العرب وسادتهم الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة زمن أبي بكر، فإن مجموعهم غير مجموع الذين ارتدوا، فصح أن يكونوا ممن شمله لفظ بقوم، وتحقق فيهم الوصف وهو محبة الله إياهم ومحبتهم ربهم ودينه، فإن المحبتين تتبعان تغير أحوال القلوب لا تغير الأشخاص فإن عمرو بن معد يكرب الذي كان من أكبر عصاة الردة أصبح من أكبر أنصار الإسلام في يوم القادسية، وهكذا.

ودخل في قوله بقوم الأقوام الذين دخلوا في الإسلام بعد ذلك مثل عرب الشام من الغساسنة، وعرب العراق ونبطهم، وأهل فارس، والقبط، والبربر، وفرنجة إسبانية، وصقلية، وسردانية، وتخوم فرانسا، ومثل الترك والمغول، والتتار، والهند، والصين، والإغريق، والروم، من الأمم التي كان لها شأن عظيم في خدمة الإسلام وتوسيع مملكته بالفتوح وتأييده بالعلوم ونشر حضارته بين الأمم العظيمة، فكل أمة أو فريق أو قوم تحقق فيهم وصف: **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهم من القوم المنوه بهم أما المؤمنون الذين كانوا من قبل وثبتوا فأولئك أعظم شأنا وأقوى إيمانا فأتاهم المؤيدون زرافات ووحدانا.

ومحبة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو
تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه. فهي صفة تحصل للعبد من كثرة تصور عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكن من قلبه، فمنشؤها السمع." (٢)

"وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم الآية [٩ \ ٤٢] .

وهذه الأسباب لحلف المنافقين التي ذكرت في هذه الآيات راجعة جميعا إلى السبب الأول، الذي هو الخوف ؛ لأن خوفهم من المؤمنين، هو سبب رغبتهم في إرضائهم، وإعراضهم عنهم بأن لا يؤذوهم، ولذا حلفوا لهم، ليرضوهم، وليعرضوا عنهم، خوفا من أذاهم، كما هو ظاهر.

تنبيه

---

(١) التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٦/٢٣٤

(٢) التحرير والتنوير؟ ابن عاشور ٦/٢٣٦

قوله في هذه الآية الكريمة: ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا [٥ \ ٥٣] فيه ثلاث قراءات سبعيات.

الأولى: يقول بلا واو مع الرفع، وبها قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر.

الثانية: ويقول بإثبات الواو مع رفع الفعل أيضا، وبها قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي.

الثالثة: بإثبات الواو، ونصب «يقول» عطفا على (أن يأتي بالفتح) وبها قرأ أبو عمرو.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين الآية.

أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضهم فإن الله يأتي عوضا عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين، والتواضع لهم، ولين الجانب، والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – فأمره بلين الجانب للمؤمنين، بقوله: واخفض جناحك للمؤمنين [١٥ \ ٨٨] ، وقوله: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [٢٦ \ ٢١٥] ، وأمره بالقسوة على غيرهم بقوله: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير [٩ \ ٧٣] ، وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الآية [٣ \ ١٥٩] ، وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم، بقوله: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [٤٨ \ ٢٩] .." (١)

"إلى غير ذلك من الآيات.

وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله، وجلاله. وإن ما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث، ولا إشكال في شيء من ذلك، وكذلك الصفات التي اختلف فيها المتكلمون ؛ هل هي من صفات المعاني أو من صفات الأفعال، وإن كان الحق الذي لا يخفى على من أنار الله بصيرته أنها صفات معان أثبتها الله – جل وعلا – لنفسه، كالرأفة والرحمة.

قال في وصفه – جل وعلا – بهما:

فإن ربكم لرءوف رحيم [١٦ \ ٤٧] ، وقال في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم بهما: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم [٩ \ ١٢٨] ، وقال في وصف نفسه بالحلم: ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم [٢٢ \ ٥٩] .

وقال في وصف الحادث به: فبشرناه بغلام حليم [٣٧ \ ١٠١] ، إن إبراهيم لأواه حليم [٩ \ ١١٤] .

وقال في وصف نفسه بالمغفرة: إن الله غفور رحيم [٢ \ ١٨٢] و [٥ \ ٣٤] و [٥ \ ٣٩] و [٥ \ ٩٨] و [٨ \

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٤١٥/١

٦٩] و [٩ \ ٥] و [٩ \ ٩٩] و [٩ \ ١٠٢] و [٢٤ \ ٦٢] و [٢٩ \ ١٤] و [٦٠ \ ١٢] و [٧٣ \ ٢٠] .
لهم مغفرة وأجر عظيم [٤٩ \ ٣] ، ونحو ذلك من الآيات.
وقال في وصف الحادث بها: ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [٤٢ \ ٤٣] ، قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله الآية [٤٥ \ ١٤] ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى [٢ \ ٢٦٣] ، ونحو ذلك من الآيات.
ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف الحادث به أيضا فقال: رضي الله عنهم ورضوا عنه [٥ \ ١١٩] ، ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم [٥ \ ٥٤] ، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [٣ \ ٣١] .." (١)

"قوله تعالى: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «المائدة» ، في الكلام على قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [٥ \ ٥٤] وفي «الحجر» ، في الكلام على قوله تعالى: واخفض جناحك للمؤمنين [١٥ \ ٨٨] وقد وعدنا في سورة «بني إسرائيل» ، في الكلام على قوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا [١٧ \ ٢٣] بأنا نوضح معنى خفض الجناح، وإضافته إلى الذل في سورة «الشعراء» ، في هذا الموضع، وهذا وفاؤنا بذلك الوعد، ويكفينا في الوفاء به أن ننقل كلامنا في رسالتنا المسماة: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» .
فقد قلنا فيها، ما نصه: والجواب عن قوله تعالى: واخفض لهما جناح الذل [١٧ \ ٢٤] أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته ؛ لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه. قال تعالى: واضمم إليك جناحك من الرهب [٢٨ \ ٣٢] والخفض مستعمل في معناه الحقيقي، الذي هو ضد الرفع ؛ لأن مريد البطش يرفع جناحيه، ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما، والتواضع لهما ؛ كما قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب أسلوب معروف، ومنه قول الشاعر:
وأنت الشهير بخفض الجنا ... ح فلا تك في رفعه أجدلا
وأما إضافة الجناح إلى الذل، فلا تستلزم المجاز كما يظنه كثير ؛ لأن الإضافة فيه كالإضافة في قولك: حاتم الجود.
فيكون المعنى: واخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة، أو الذلول على قراءة الذل بالكسر، وما يذكر عن أبي تمام من أنه لما قال:
لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي
جاءه رجل فقال له: صب لي في هذا الإناء شيئا من ماء الملام، فقال له: إن أتيتني." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٢٧
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٦/١٠١

"وقد ذكرنا بعض الآيات الدالة على هذا في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة الآية [٣٥ \ ٢] . وفي سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا [٤٦ \ ٨] .

قوله تعالى: فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين.
ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين. والسكينة تشمل الطمأنينة والسكون إلى الحق والثبات والشجاعة عند البأس.
وقد ذكر - جل وعلا - إنزاله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين في براءة في قوله: ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين [٩ \ ٢٦] ، وذكر إنزال سكينته على رسوله في قوله في براءة: إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه الآية [٩ \ ٤٠] .
وذكر إنزاله سكينته على المؤمنين في قوله: فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم الآية [٤٨ \ ١٨] .
وهذه الآيات كلها لم يبين فيها موضع إنزال السكينة، وقد بين في هذه السورة الكريمة أن محل إنزال السكينة هو القلوب، وذلك في قوله: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين الآية [٤٨ \ ٤] .

قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.
ما ذكره - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة ذكره في سورة التوبة، وسورة الصف، وزاد فيهما أنه فاعل ذلك، ولو كان المشركون يكرهونه، فقال في الموضعين: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [٩ \ ٣٣] ، [٦١ - ٩] .

قوله تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [٥ \ ٥٤] .." (١)
"وكأين من نبي قاتل معه ربيون [٣ \ ١٤٦] ، على قراءة «قتل» بالبناء للمفعول، هو ربيون لا ضمير النبي.
وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح بالآيات القرآنية في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير [٣ \ ١٤٦] ، وذكرنا بعضه في الصافات في الكلام على قوله تعالى: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين [٣٧ \ ١٧١] .

قوله تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٣٩٧/٧

عشيرتهم.

وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر، والمراد بها الإنشاء، وهذا النهي البليد، والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى وأوكد من إيراده بلفظ الإنشاء، كما هو معلوم في محله، ومعنى قوله: يوادون من حاد الله ورسوله: أي يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله – جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده [٦٠ \ ٤] ، وقوله تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [٤٨ \ ٢٩] ، وقوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [٥ \ ٥٤] ، وقوله تعالى: وليجدوا فيكم غلظة الآية [٩ \ ١٢٣] ، وقوله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم [٩ \ ٧٣] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ولو كانوا آباءهم زعم بعضهم أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قائلا: إنه قتل أباه كافرا يوم بدر أو يوم أحد، وقيل: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي المنافق المشهور، وزعم من قال؛ أن عبد الله استأذن النبي – صلى الله عليه وسلم – في قتل أبيه عبد الله بن أبي، فنهاه. وقيل: نزلت في أبي بكر، وزعم من قال؛ أن أباه أبا قحافة سب النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل إسلامه فضربه ابنه أبو بكر حتى سقط.." (١)

"وهذا القول منه – رحمة الله تعالى علينا وعليه –، يتضمن القولين الأول والثاني من الأقوال الثلاثة، تفضل الله على الأميين ببعثة هذا النبي الكريم فيها، وتفضل الله على النبي ببعثته فيهم مما لا يشعر بأنه لا خلاف بين هذه الأقوال الثلاثة، وأنها من الاختلاف التنوعي أو هي من المتلازمات فلا مانع من إرادة الجميع؛ لأن فضل الله تعالى قد شمل الجميع.

وقد نص الأول بقوله: لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [٣ \ ١٦٤] وهذا عين ما في سورة «الجمعة» سواء، لأن الامتنان هو التفضل.

ونص على الثاني بقوله تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما [٤ \ ١١٣] .

ونص على الثالث بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [٥ \ ٥٤] .

فقوله: فسوف يأتي، ويساوي: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم [٦٢ \ ٣] ، فهو خلاف تنوع، وفضل الله شامل للجميع.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ٥٥٦/٧

قوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا.

قال الشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه – في إملائه: هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بما فيها بأسفار أي: كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة؛ لأنهم كلفوا باتباع محمد – صلى الله عليه وسلم – وإظهار صفاته للناس فخانوا، وحرفوا وبدلوا فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم اهـ.

فأشار الشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه – إلى أن وجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد أوضح الله تعالى." (١)

"وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ ، ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ ، ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ ، ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ .

وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ ، وقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ، ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ .

﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ، ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء﴾ ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ ، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ، ﴿فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾ .

قوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ، ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ ، وقوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ ، ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ ، وقوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ ،وقوله: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ .." (٢)

"شاءه فوقع.

وقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه ... ﴾ إلخ؛ الآية تدل على أن كلا من الهداية والضلال بخلق الله عز وجل، فمن يرد هدايته أي: إلهامه وتوفيقه يشرح صدره للإسلام، بأن يقذف في قلبه نورا، فيتسع له، وينبسط؛ كما ورد في الحديث، ومن يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج، فلا ينفذ إليه نور الإيمان، وشبه ذلك بمن يصعد في السماء.

.] (وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (١) ، ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (٢) ، ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ (٣) ، ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (٤) ، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٥) ، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (٦) ، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟ الشنقيطي، محمد الأمين ١١٧/٨

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/

في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (٧)) .[.

---

(١) البقرة: (١٩٥) .

(٢) الحجرات: (٩) .

(٣) التوبة: (٧) .

(٤) البقرة: (٢٢٢) .

(٥) آل عمران: (٣١) .

(٦) المائدة: (٥٤) .

(٧) الصف: (٤) .." [1]

"وقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (١) .

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون – ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (٣) .

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم.

فالله يتولى عباده المؤمنين؛ **فيحبهم ويحبونه**، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا؛ فقد بارزه بالمحاربة.

وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه.

قال تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ (٤) .

فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعا؛ خلاف الملوك وغيرهم، ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

---

(١) محمد: (١١) .

(٢) التوبة: (٧١) .

(٣) المائدة: (٥٥، ٥٦) .

(٤) الإسراء: (١١١) .." [2]

"﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي وتاب أيضا على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة؛ فلم يقبل رسول الله توبتهم وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. وقيل ﴿الذين خلفوا﴾ أي تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم﴾ فلم يبق فيها أنس ولا سرور، وذلك بسبب أن الرسول عليه

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/١٠١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس؟ محمد خليل هراس ص/٢٧٤

الصلاة والسلام دعا لمقاطعتهم؛ فكان أحدهم يفشي السلام لأقرب أقربائه فلا يرد عليه، وهجرتهم نساؤهم وأهلوهم تيقنوا ﴿أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ فأكثروا من الابتهال والاستغفار، إلى أن تاب عليهم العزيز الغفار ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم بما وسعت: لجأوا إلى اللطيف المنان، الرحيم الرحمن؛ فتاب عليهم ليتوبوا فانظر - يا رعاك الله وهداك - إلى رحمة مولاك يتوب عليك لتتوب ﴿تاب عليهم ليتوبوا﴾ ويحببك لتحبه ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ويرضى عنك لترضى عنه ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ فاسأله أن يتوب عليك، وأن يحببك، وأن يرضى عنك تاب الله علينا فيمن تاب، وأحبنا فيمن أحب، ورضي عنا فيمن رضي." (١)

"[سورة المائدة (٥) : آية ٥٤]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

الإعراب:

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) الكلام مستأنف مسوق لبيان حال المرتدين على الإطلاق. وقد تقدم اعراب النداء كثيرا. ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويرتد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون وحرك بالفتحة لخفتها كما تقدم في قاعدة المضعف، ومنكم متعلقان بمحذوف حال، وقرىء «يرتدد» بفك الإدغام. وعن دينه متعلقان بيرتد، والفاء رابطة لجواب الشرط، وجملة سوف يأتي الله في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر «من» ، ويأتي الله فعل وفاعل، وبقوم متعلقان بيأتي، وجملة يحبهم صفة لقوم، وجملة يحبونه عطف على جملة يحبهم. وفي محبة الله للعبد، وحب العبد لله، أبحاث شيقة اشتجر حولها الخلاف، وليس هذا مقام بحثها، فليرجع إليها القارئ في المطولات (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أذلة صفة ثانية لقوم، وعلى المؤمنين متعلقان بأذلة، وهو صفة مشبهة، وأعزة صفة ثالثة، وعلى الكافرين متعلقان بأعزة (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) جملة يجاهدون صفة رابعة لقوم، وجملة ولا يخافون عطف على جملة يجاهدون، فهي بمثابة صفة خامسة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) الجملة مستأنفة." (٢)

"واسم الاشارة مبتدأ، وفضل الله خبره، و «ذلك» قد يشار به الى المفرد والمثنى والمجموع، وهو هنا يشير به الى الأوصاف التي أولها:

يحبهم ويحبونه، وجملة يؤتيه خبر ثان، ولك أن تجعلها مستأنفة، والهاء مفعول به أول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ليؤتيه، والواو استئنافية، والله مبتدأ، وواسع خبر أول، وعليم خبر ثان.

(١) أوضح التفاسير؟ محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٢٤٣

(٢) إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ٢/٥٠٦

البلاغة:

١- محبة العبد لله بطاعته له، وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب بالسبب.

٢- الطباق بين أذلة وأعزة.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٥ الى ٥٦]

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

الإعراب:

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتقرير الحكم فيمن يوالي الله ورسوله والمؤمنين. وإنما كافة ومكفوفة، ووليكم خبر مقدم، والله مبتدأ مرفوع ويجوز العكس، ورسوله." (١)

"كل شيء من الدماء حرام ... شربه ما خلا دم العنقود

فاسقنيها فدى لعينيك نفسي ... من غزال وطارفي وتليدي

شيب رأسي وذلتي ونحو لي ... ودموعي على هواك شهودي

أي يوم سررتني ... (البيت) إعراب بعض الكلمات:

(كم) خبرية وتمييزها مجرور بالاضافة إليها أو بمن وقد تقدم القول فيها مطولا وهي هنا في محل رفع مبتدأ خبره ببياض، وكما قتلت نعت لمصدر محذوف، هذا ولهم في العشق حديث طويل، وخبره عند أرباب التصوف معقول قال الجنيد: «العشقة ألفة رحمانية وإلهام شوقي أوجبهما كرم الله على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها إلا بتلك الألفة وهي موجودة في الأنفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم» وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال: **«يحبهم ويحبونه»** وقد تقدم القول فيه مطولا، وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع، وقال الفضيل بن عياض كلاما جميلا منه: «لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية، وما أحسن قول أبي فراس الحمداني:

وكم في الناس من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري." (٢)

"وبين حسن التعامل والتعايش والتعاون بين المسلمين وغيرهم إذا لم يكن بينهم حالة حرب وعداء وكان الغير كافا لسان ويده عنهم مما قررته آية سورة الممتحنة هذه لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن

---

(١) إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ٢/٥٠٧

(٢) إعراب القرآن وبيانه؟ محيي الدين درويش ٧/٣١٤

تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) .
ولقد احتوت الآيتان الثانية والثالثة بشرى تطمينية بانتصار المسلمين على أعدائهم من يهود وغير يهود وبخيبة المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويصانعونهم احتياطا للطوارىء ولقد تحققت هذه البشرى فكان ذلك من المعجزات القرآنية.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)
. (١) أذلة: هنا بمعنى مشفقين رحماء.
(٢) أعزة: هنا بمعنى أشداء عنفاء.
(٣) إذا ناديتم إلى الصلاة: كناية عن الأذان الإسلامي على ما عليه الجمهور.
وفي هذه الآيات:
(١) نداء للمؤمنين فيه تحذير من الارتداد عن دينهم وإنذار لهم وهوان ذلك على الله إن هم فعلوه، فارتدادهم لن يضر الله وإنما يضرهم. وإن الله لقادر في مثل هذه الحالة على الإتيان بمؤمنين آخرين مخلصي الإيمان **يحبهم ويحبونه**. رحماء." (١)
"وروي مع ذلك عن عياض الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أومأ إلى أبي موسى الأشعري وقال هؤلاء قومك أو هؤلاء قوم هذا. وروى الطبري عن أبي جعفر أحد الأئمة الاثني عشر أن الآية [٥٥] نزلت في علي بن أبي طالب لأنه تصدق وهو راكع. وعن ابن عباس أن الآيات [٥٧- ٦١] نزلت في رفاعة بن زيد التابوت وسويد بن الحرث اليهوديين اللذين كانا أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم. وهناك رواية تذكر أن الآيات [٥٤ و ٥٥] نزلت في عبد الله بن سلام لما أسلم هو وبعض اليهود فقطع سائر اليهود موالاتهم لهم فأنزل الله الآيات لتطمين الذين أسلموا من اليهود. وقد أورد البغوي والخازن وابن كثير والنيسابوري هذه الروايات. منهم من أوردها جميعها ومنهم من أورد بعضها ومنهم من عزاها إلى الطبري ومنهم من أوردها من طرق أخرى.
وبينما يروى الطبري أن الآية [٥٤] عنت أبا موسى الأشعري وقومه يروي ابن كثير مع هذه الرواية رواية عن جابر بن عبد الله بأنها عنت قوما من اليمن ثم من كنده ثم من السكون ثم من تجيب. كما يروى النيسابوري حديثا عن النبي يفيد أنها عنت سلمان الفارسي وقومه.
ومفسرو الشيعة ورواتهم وعلماؤهم يعلقون أهمية كبيرة على هذه الآيات وبخاصة الآيات [٥٤ و ٥٥ و ٥٦] ويرون فيها

---
(١) التفسير الحديث؟ محمد عزة دروزة ١٥٨/٩

على ضوء أحاديث وروايات ينفردون في روايتها نصا قرآنيا على ولاية علي رضي الله عنه وأولاده للمؤمنين وإمامتهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهم. وهذا ما يجعلنا نسهب شيئا في شرح هذا الأمر لوضع الأمر في نصابه الحق إن شاء الله.

فمما أورده الطبرسي أحد مفسريهم والمعتدلين منهم «١» رواية عن علي بن إبراهيم بن هاشم أن الآية الأولى نزلت في مهدي الأمة وأصحابه وأولها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصب حقهم. وقد عقب المفسر على الرواية قائلا وينصر هذا القول كون ما جاء في فقرتها الثانية فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**

---

(١) في تفسيره المسمى مجمع البيان.." (١)

"﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعآئر الله. . . .﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم. . . .﴾ .

﴿يا أيهآ الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهدآء بالقسط. . . .﴾ .

﴿يا أيهآ الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم. . . .﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أوليآء. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات مآ أحل الله لكم ولا تعتدوا. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيآء إن تبد لكم تسؤكم. . . .﴾

﴿ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. . . .﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية. . . .﴾

هذه ستة عشرة نداء وجهت الى المؤمنين خاصة، يعتبر كل نداء منها قانونا ينظم ناحية من نواحي الحياة عند المسلمين بأنفسهم، وفيما يختص بعلاقتهم بأهل الكتاب.

وفيها كذلك نداءات من الله لرسوله، وليس هناك نداء له E بهذا الوصف في غير هذه السورة: وهما قوله تعالى:

---

(١) التفسير الحديث؟ محمد عزة دروزة ٩/١٦٠

﴿يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ ،
وقوله تعالى: ﴿يأيها الرسول بلغ مآ أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ .
وقد وجهت نداءين الى أهل الكتاب: وهما قوله تعالى:
﴿يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ ، وقوله تعالى:
﴿يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ .
وأمرت الرسول الكريم ثلاث مرات ان يوجه اليهم النداء في موضوعات ثلاثة في شأن ما يثيرون به الخلاف بينه وبينهم.
﴿قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منآ إلآ أن آمنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل﴾ .
﴿قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ومآ أنزل إليكم من ربكم﴾ .
﴿قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل﴾ .
هذه جملة النداءات التي وجهت الى الرسول A، والى المسلمين، والى اهل الكتاب، أو أمر النبي بتوجيهها اليهم في هذه السورة، وقد مرت كلها في اثناء الكلام عليها باختصار، ومن اراد زيادة تفصيل فليرجع الى ما كتبه في التفسير استاذنا المرحوم الشيخ شلتوت.
نسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن توجهت قلوبهم اليه، ولم يعتمدوا في قبولهم ونجاتهم الا عليه، وان يجعل ثمرة ايماننا زكاة نفوسنا، وثبات قلوبنا، وصلاح اعمالنا، وفكاك اسارنا.
﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ . والحمد الله رب العالمين.." (١)
"التي ارتكبها أولئك المترجمون تعصبا وتحريفا للكتاب، ولم يتفطنوا إلى التناقض الذي بين الصفتين، فالإنسان الوحشي لا يتصل بالناس ولا يألفهم ولا يألفونه، **ويحبهم ويحبونه.**
ولا يستغرب التحريف من المترجمين فقد أخبر العالم اللغوي الأديب المحقق إبراهيم اليازجي أنهم دعوه إلى لندن ليعينهم على ترجمة التوراة، فكان يختلف معهم كثيرا فكلما ذكر لهم عبارة فصيحة تؤدي المعنى يرفضونها، ويقولون: "إنها تشبه عبارات القرآن"، وهم يريدون أن يبتعدوا عن عبارات القرآن كل الابتعاد، وقد نظرت في الكلمة التي ترجموها وهي (بري آدم) في معجم (روبين أفنيوم كوسمن) فوجدت لها المعاني التالية أنقلها بأمانة من الإنكليزية إلى العربية: ١- الحمار الوحشي، ٢- الحيوان الوحشي، ٣- ساكن الصحراء، ٤- خشن الطبع، ٥- وحشي، ٦- همجي، ٧- إنسان وحشي سيء الخلق.
فأي هذه الألفاظ يصلح لترجمة ذلك اللفظ الوارد في مقام البشارة والمدح والثناء على مولود، علم الله أنه يكون رسولا نبيا، أبا لأمة عظيمة، ولأفضل خلق، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، لاشك أن اللفظ الوحيد الذي تصح به الترجمة هو الثالث، وهو أنه ساكن الصحراء وهو المطابق للواقع، فإن إسماعيل كان يسكن بمكة - شرفها الله - ويعيش في الصحراء على لحم الصيد، وفي الحديث: "ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا "، وفي صحيح البخاري أن إبراهيم توجه لزيارة ابنه إسماعيل

---

(١) تيسير التفسير للقطان؟ إبراهيم القطان ١/٤٥٢

في مكة فلم يجده، فسأل زوجته عنه فأخبرته أنه ذهب للصيد، ثم ذهب لزيارته مرة ثانية وثالثة فلم يجده، إنه كان غائبا يصطاد للمعيشة لا للتنزه، وفي كل مرة كان يوصي زوجته بشيء تقوله له إذا رجع.

وقد تبين أن أولئك المترجمين أخطأوا خطأ فاحشا في ترجمة ذلك اللفظ، وأغلب الظن أن يكونوا متعمدين، فقبح الله التعصب، فإنه ما دخل شيئا إلا أفسده، والمراد بعرب الحجاز: ربيعة ومضر.

٣- انتظر إسماعيل الرجل الذي وعده في المكان الذي وعده أن يجتمع به يوما وليلة، وانتظر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي تبايع معه في الجاهلية قبل أن يكون نبيا في المكان الذي وعده ثلاثة أيام، فما المراد بهذا الانتظار؟ هل هو حرص على قضاء تلك الدريهمات؟ لا والله، ولكنه تلقين درس في الأخلاق، يعتبر به كل موفق، ويلتزمه كل إنسان ذو شرف ومروءة يحترم نفسه. والعادة الجارية في الشعوب الراقية التي تقدس الأخلاق أن المتواعدين إذا مرت خمس دقائق إلى ربع ساعة ولم يجيء أحدهما فقد برئت ذمة المنتظر، وبقيت ذمة صاحبه معلقة، فإن كان له عذر قاهر برئت ذمته هو أيضا، وألا توجه اللوم إليه، وكان هو الخاسر الذي يجب عليه أن يعتذر لصاحبه ويخجل كل الخجل.

وكل أمة شاع فيها الوفاء بالوعد وتنافس أبناؤها في التخلق بهذا الخلق الجميل الذي هو أحد أركان." (١)

"أنهاكم عن ذلك)) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد إيراد هذا الحديث: ((فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في مرض الموت من فعله والصلاة عند القبور من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها (أي السيدة عائشة) ((خشي أن يتخذ مسجدا)) فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال صلى الله عليه وسلم: ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)))) انتهى.

قال محمد تقي الدين: في هذا الحديث دليل على أن أبا بكر الصديق هو أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يستحق أن يكون خليفة بعده.

قال العلماء: الخلة أعلى درجة من المحبة، ولذلك صرح النبي صلى الله عليه وسلم بالمحبة لأبي بكر وابنته عائشة وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل، وأبى أن يتخذ أحدا من أهل الأرض خليلا. والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب الصالحين المتواضعين للمؤمنين، الأشداء على أعداء الإسلام كما قال في سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**. أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين." (٢)

"زيد أن يأتى ويقوم أبوه كل هذا حسن جائز، بخلاف الأول لأنك لو قلت: عسى زيد أن يقوم أبوه، حسن، وهذا كله بمنزلة: ليس زيد بخارج ولا قائم عمرو، وهذا لا يجوز وإن كان فى موضع «عمرو» :

«أبوه» ، جاز.

وقد قيل: «ويقول» معطوف على «الفتح» لأنه بمعنى: أن يفتح، فهو معطوف على اسم، فاحتيج إلى إضمار «أن» ،

---

(١) أخلاق الشباب المسلم؟ محمد تقي الدين الهلالي ص/٣٢

(٢) الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق؟ محمد تقي الدين الهلالي ص/٣١

ليكون مع «يقول» مصدرا، فتعطف اسما على اسم، فيصير بمنزلة قول الشاعر:

للبس عباءة وتقر عيني

والرفع فى «ويقول» ، على القطع.

«جهد أيمانهم إنهم» : إنهم، نصب على المصدر وكسرت «إن» من «إنهم» على إضمار: قالوا إنهم، لأن اللام فى خبرها.

٥٤- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم **«يحبهم ويحبونه»** : نعت ل «قوم» ، وكذلك «أذلة» ، و «أعزة» ، و «يجاهدون» ، نعت أيضا لهم.

ويجوز أن يكون حالا منهم، والإشارة بالقوم الموصوفين فى هذا الموضع هى إلى الخلفاء الراشدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم، وهذا يدل على تثبيت خلافتهم رضى الله عنهم أجمعين.

٥٥- إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون «وهم راكعون» : ابتداء وخبر، فى موضع الحال من المضمر فى «يؤتون» أي يعطون ما يزكيهم عند الله فى حال ركوعهم أي: وهم فى صلاتهم، فالواو واو الحال، والآية على هذا المعنى نزلت فى على بن أبي طالب، صلوات الله عليه.

ويجوز أن يكون لا موضع للجملة، وإنما هى جملة معطوفة على الموصول، وليست بواو الحال، والآية عامة.." (١)

"٥٢- (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) فترى:

وقرىء:

فيرى، بالياء، المثناة التحتية، والفاعل ضمير يعود على «الله» ، أو «الرأى» ، وهى قراءة إبراهيم، وابن وثاب.

يسارعون:

وقرىء:

يسرعون، من أسرع، وهى قراءة قتادة، والأعمش.

٥٣- (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) ويقول:

وقرىء:

١- بغير واو، وهى قراءة الابنين، ونافع، كأنه جواب قائل: ما يقول المؤمنون حينئذ؟ وكذا هى فى مصاحف أهل مكة والمدينة.

٢- بالواو، وهى قراءة الباقين.

٣- بنصب اللام، وهى قراءة أبى عمرو.

٤- برفعها، وهى قراءة الكوفيين.

---

(١) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٤/ ١٢٠

٥٤- (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) يرتد:

قرىء:

١- بدالين مفكوكا، وهى لغة الحجاز، وهى قراءة نافع، وابن عامر.

٢- بدال واحدة مشددة، وهى لغة تميم، وهى قراءة الباقين.." (١)

"باب الحاء

حبب حبب يحببكم أحببت رات ٧ حبب إليكم الإيمان عمر ٣١ فاتبعونى يحببكم الله ص ٣٢ إني أحببت حب الخير قص ٥٦ إنك لا تهدى من أحببت يحب بق ١٩٠ إن الله لا يحب المعتدين (ما ٨٧) - ١٩٥ إن الله يحب المحسنين (ما ١٤) - ٢٠٥ والله لا يحب الفساد- ٢٢٢ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين- ٢٧٦ والله لا يحب كل كفار عمر ٣٢ فإن الله لا يحب الكافرين- ٥٧ و ١٤٠ والله لا يحب الظالمين- ٧٦ فإن الله يحب المتقين (بة ٤ و ٧) - ١٣٤ و ١٤٨ والله يحب المحسنين (ما ٩٦) - ١٤٦ والله يحب الصابرين- ١٥٩ إن الله يحب المتوكلين نسا ٣٦ لا يحب من كان مختالا نسا ١٠٧ لا يحب من كان خوانا- ١٤٨ لا يحب الله الجهر بالسوء ما ٤٢ إن الله يحب المقسطين- ٦٤ والله لا يحب المفسدين نعم ١٤١ إنه لا يحب المسرفين (عف ٣١) عف ٥٥ إنه لا يحب المعتدين نف ٥٨ إن الله لا يحب الخائنين بة ١٠٨ والله يحب المطهرين نح ٢٣ إنه لا يحب المستكبرين حج ٣٨ إن الله لا يحب كل خوان قص ٧٦ إن الله لا يحب الفرحين- ٧٧ إن الله لا يحب المفسدين روم ٤٥ إنه لا يحب الكافرين لق ١٨ لا يحب كل مختال (حد ٢٣) شو ٤٠ إنه لا يحب الظالمين رات ٩ إن الله يحب المقسطين (مت ٨) - ١٢ أيحب أحدكم أن يأكل صف ٤ إن الله يحب الذين أحب يحبون نعم ٧٦ قال لا أحب الآفلين عمر ١٨٨ ويحبون أن يحمدوا بة ١٠٩ يحبون أن يتطهروا ور ١٩ إن الذين يحبون أن حشر ٩ يحبون من هاجر إليهم هر ٢٧ هؤلاء يحبون العاجلة تحبون تحبوا عمر ٣١ إن كنتم تحبون الله- ٩٢ حتى تنفقوا مما تحبون- ١٥٢ من بعد ما أراكم ما تحبون عف ٧٩ ولكن لا تحبون الناصحين ور ٢٢ ألا تحبون أن يغفر الله قيا ٢٠ كلا بل تحبون العاجلة فجر ٢٠ وتحبون المال حبا جما بق ٢١٦ وعسى أن تحبوا شيئا يحبهم يحبونه يحبونهم ما ٥٤ فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** بق ١٦٥ أندادا يحبونهم يحبونكم تحبونها تحبونهم عمر ١١٩ ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم صف ١٣ وأخرى تحبونها استحبوا يستحبون بة ٢٣ استحبوا الكفر نح ١٠٧ ذلك بأنهم استحبوا حس ١٧ فاستحبوا العمى إبر ٣ الذين يستحبون الحياة." (٢)

"الحاء

(حب) : الحب والحبة يقال فى الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات، والحب والحبة فى بزور الرياحين. قال الله تعالى: كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقال: ولا حبة في ظلمات الأرض وقال تعالى:

---

(١) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٥/٢٠٥

(٢) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٧/١٠٤

إن الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى: فأنبتنا به جنات وحب الحصيد أي الحنطة وما يجرى مجراها مما يحصد، وفى الحديث: «كما تنبت الحبة فى حميل السيل»

والحب من فرط حبه. والحبب تنضد الأسنان تشبيها بالحب. والحباب من الماء النفاخات تشبيها به، وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة، وحببت فلانا يقال فى الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شعفته وكبدته وفأدته. وأحببت فلانا جعلت قلبي معرضا لحبه لكن فى التعارف وضع محبوب موضع محب واستعمل حببت أيضا فى موضع أحببت، والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا وهى على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه:

ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ومحبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: وأخرى تحبونها- نصر من الله وفتح قريب ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم. وربما فسرت المحبة بالإرادة فى نحو قوله تعالى: فيه رجال يحبون أن يتطهروا وليس كذلك فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم آنفا فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة، وقوله عز وجل: إن استحبوا الكفر على الإيمان أي إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان فى الشيء أن يحبه واقتضى تعديته فعلى، وعلى معنى الإيثار، وعلى هذا قوله تعالى: وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا الآية، وقوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** فمحبة الله تعالى للعبد إنعاما عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه. وقوله تعالى: إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي فمعناه أحببت الخيل حبي للخير، وقوله تعالى: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين أي يثيبهم وينعم عليهم وقال: لا يحب كل كفار أثيم وقوله تعالى: إن الله لا يحب كل مختال فخور تنبيها أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه فى ذلك وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين والمتطهرين، وحبب الله إلى كذا، قال الله تعالى: ولكن الله حبب إليكم." (١)

"فذلك وحي إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قيل، وقوله:

وأوحى في كل سماء أمرها فإن كان الوحى إلى أهل السماء فقط فالموحى إليهم محذوف ذكره كأنه قال أوحى إلى الملائكة لأن أهل السماء هم الملائكة، ويكون كقوله: إذ يوحي ربك إلى الملائكة وإن كان الموحى إليه هى السموات فذلك تسخير عند من يجعل السماء غير حى، ونطق عند من جعله حيا، وقوله: بأن ربك أوحى لها فقريب من الأول وقوله: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه فحث على التثبت فى السماع وعلى ترك الاستعجال فى تلقيه وتلقنه.

(ودد) : الود محبة الشيء وتمنى كونه، ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود لأن التمني هو تشهى حصول ما توده، وقوله: وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله: سيجعل لهم الرحمن ودا فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة فى قوله: لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت الآية. وفى المودة التي تقتضى المحبة المجردة فى قوله: قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقوله: وهو الغفور الودود- إن ربي رحيم ودود فالودود يتضمن ما دخل فى قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** وتقدم معنى محبة الله لعباده ومحبة العباد له، قال بعضهم: مودة الله لعباده هى مراعاته لهم.

روى أن الله تعالى قال لموسى: أنا لا أغفل عن الصغير لصغره ولا عن الكبير لكبره، وأنا الودود الشكور

---

(١) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ١١٨/٨

فيصح أن يكون معنى:

سيجعل لهم الرحمن ودا معنى قوله: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ومن المودة التي تقتضى معنى التمني: ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وقال: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال:

ودوا ما عنتم- ود كثير من أهل الكتاب- وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم- ودوا لو تكفرون كما كفروا- يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وقوله: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فنهى عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم كقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم إلى قوله: بالمودة أي بأسباب المحبة من النصيحة ونحوها: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة وفلان وديد فلان:

مواده، والود صنم سمى بذلك إما لمودتهم له أو لاعتقادهم أن بينه وبين الباري." (١)

"يسارعون فيهم ينكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان، أي صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم.

فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين.

أو أمر من عنده بقطع شأفة اليهود، ويجليهم عن بلادهم.

فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)

٥٣- ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين:

أهؤلاء الذين أقسموا لكم بأغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار.

حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين، أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها فى رأى عين الناس، وفيه معنى التعجب، كأنه قيل:

ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم.

٥٤- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم:

من يرتد وقرىء: من يرتدد.

يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وألا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه. ومحبة الله لعباده أن يثيبهم

---

(١) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٥٨٥/٨

أحسن ثواب على طاعتهم ويثني عليهم ويرضى عنهم.

أذلة على المؤمنين فيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين.." (١)

"٢٥٢٠- (١٥) وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: كان من دعاء داود يقول: اللهم إني أسالك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومالي وأهلي، ومن الماء البارد قال: وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا ذكر داود يحدث عنه يقول: كان أعبد البشر.

الخطاب وقد تقدم بسط ذلك في شرح حديث ابن مسعود (ج٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣) فنذكر، وقد علم بما ذكرنا أن النداء المذكور ليس مما يدعيه ويفعله أهل البدع من دعاء الأنبياء وندائهم وخطابهم معتقدين حضورهم في الخارج للاستعانة والاستعانة بهم في تفريج الكرب وقضاء الحوائج، وهذا ظاهر جلي إلا لأهل الجدل والعناد.

٢٥٢٠- قوله (يقول) اسم كان بحذف أن، أي قوله ((اللهم إني أسالك حبك)) من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول، أي حبك إياي أو حبي إياك والأول أظهر إذ فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (– ٥: ٥٤) قاله القاري: ((وحب من يحبك)) كما سبق، أما الإضافة إلى المفعول فهو ظاهر كمحبتك للعلماء والصلحاء، وأما الإضافة إلى الفاعل فهو مطلوب أيضا كما ورد في الدعاء ((حببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا)) (والعمل) بالنصب عطف على المفعول الثاني ويحتمل الجر عطفا على من يحبك، أي وحب العمل من إضافة المصدر إلى مفعوله فقط، ويؤيده حديث معاذ بن جبل عند الترمذي في تفسير ص بلفظ: وأسالك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك (الذي يبلغني) بتشديد اللام، أي يوصلني ويحصل لي (حبك) يحتمل لاحتمالين (اللهم اجعل حبك) أي حبي إياك (أحب إلي من نفسي ومالي) أي من حبهما حتى أوثره عليهما ((وأهلي)) كذا وقع في نسخ المشكاة الحاضرة عندنا ((من نفسي ومالي وأهلي)) وهكذا في جامع الأصول (ج٥ ص١١٠) وجمع الفوائد (ج٢ ص٦٥٨) ، وفي الترمذي ((من نفسي وأهلي)) ، أي بدون لفظة ((ومالي)) وهكذا عند الحاكم (ج٢ ص٤٣٣) ، وكذا ذكر ابن الجزري في الحصن. قال في اللمعات قوله ((من نفسي)) ، أي من حب نفسي، والمراد اجعل حب نفسك أحب إلي من نفسي لكنه لم يقل كذلك وإن جاز إطلاقه عليه مشاكلة لغاية التأدب – انتهى. قلت: وقع إطلاقه عليه في الحديث من غير مشاكلة أيضا ((أنت كما أثنيت على نفسك)) (ومن الماء البارد) أعاد ((من)) ها هنا ليدل على استقلال الماء البارد في كونه محبوبا وذلك في بعض الأحيان فإنه يعدل بالروح. قال في اللمعات: فيه مبالغة لأن حب الماء البارد طبيعي لا اختيار فيه، ففيه إشارة إلى سراية المحبة إلى الطبيعة أيضا وذلك أكمل مراتب المحبة (قال) أي أبو الدرداء: (إذا ذكر) ، أي هو (داود يحدث عنه) أي يحكي (يقول) بدل من يحدث ذكره الطيبي. قال القاري: والأظهر أنه حال من الضمير في يحدث، وفي الترمذي ((قال)) مكان ((يقول)) وفي المستدرك ((وكان إذا ذكر داود وحدث عنه قال)) وهذا يدل على أن قوله ((يحدث)) في رواية الترمذي حال من الضمير في ((ذكر)) وقوله ((يقول)) أو ((قال)) جزاء للشرط، وعلى قول الطيبي والقاري يكون ((يحدث)) جزاء للشرط ولا يخفى ما فيه (كان)

---

(١) الموسوعة القرآنية؟ إبراهيم الإبياري ٩/٣٨٩

أي داود (أعبد البشر) أي أكثرهم عبادة في زمانه كذا قيد الطيبي. قال القاري: وعلى تقدير الإطلاق لا محذور فيه إذ لا يلزم من الأعبدية الأعلمية فضلا عن الأفضلية.." (١)

"عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت." (٢)

"عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ يشبه قوله تعالى في آية أخرى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ فلفظ ﴿أذلة﴾ هنا بمعنى رحماء هناك، ولفظ ﴿أعزة﴾ هنا بمعنى أشداء هناك، إذ القرآن يفسر بعضه بعضا.

ثم يزيد كتاب الله هذا الموضوع توضيحا وتبيينا، فيخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم، لافتا نظره إلى الدوافع والأسباب التي جعلت كفار أهل الكتاب ومن في حكمهم يتنكرون لحكم الله، ويصرون على الكفر بما أنزل الله، فهم يعيشون عيشة كلها فسوق وانحراف، وهم أسرع الناس إلى ارتكاب الفواحش والآثام ن وأكثرهم تهالكا على الظلم والطغيان، وأشدهم انهماكا في أكل أموال الناس بالباطل.

ولو كان هذا الأمر مقتصرا على عامتهم، والخاصة منهم تنكره وتقاومه لهان الخطب، ولكن خاصتهم متواطئة عليه مع العامة بسكوتها وتهاونها، إذ لا تنكره ولا تقف في وجهه بحال.

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؟ عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٧٥/٨

(٢) التيسير في أحاديث التفسير؟ محمد المكي الناصري ٦٣/٢

وذلك قوله تعالى: ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم." (١)

"١- ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ ١.

٢- ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ٢.

٣- ﴿ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ ٣.

٤- ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ ٤.

٥- ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٥.

٦- ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ ٦.

ومن السنة النبوية قوله عليه الصلاة والسلام:

١- "إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه، أو كما يكره أن تؤتى معصيته" ٧.

٢- "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" ٨، وهو دعاء يدعو به الداعي في ليلة يرجو أن تكون ليلة القدر -كما ثبت ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها.

---

١ سورة البقرة آية: ١٩٥.

٢ سورة التوبة آية: ٤، ٧.

٣ سورة المائدة آية: ٩٣.

٤ سورة آل عمران آية: ٣١.

٥ سورة المائدة آية: ٥٤.

٦ سورة التوبة آية: ١٠٨.

٧ حديث رواه أحمد في مسنده ٢/١٠٨، والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمر، وصححه السيوطي. راجع فيض القدير ٢/٢٩٢.

٨ أخرجه أحمد "٦/١٧١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٥٨"، والترمذي في الدعوات ٥/٥٣٤، وابن ماجه في الدعاء ٢/١٢٦٥، وقال الترمذي: حسن صحيح.." (٢)

"وهم أنبياء السبقة العالمة"، ولست أدري ما مفهوم النبوة عند ابن رشد؟ حتى تبيح له فلسفته مثل هذا الادعاء علما بأنه من الفلاسفة الذين يشملهم ادعاؤه فلاسفة اليونان من غير المسلمين مثل أستاذه أفلاطون ومثل أرسطو فهل تبيح فلسفة ابن رشد أن يكون أمثال هؤلاء من قدماء الفلاسفة وحدثائهم من المسلمين وغير المسلمين من أنبياء الله

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير؟ محمد المكي الناصري ٢/٦٩

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه؟ محمد أمان الجامي ص/٢٨٣

تعالى؟!! والله المستعان.

نعود إلى قول ابن رشد: "الحق لا يضاده الحق بل يوافقه ويشهد له". وهو حق بقطع النظر عما أراد به أبو الوليد، وسبق أن نقلنا عن بعض المحققين قوله: "العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح"،١ وعندما يحصل الاختلاف بين العقل والنقل لا بد من أحد أمرين:

أحدهما: أن النقل غير صحيح في نفسه أو أسيء فهمه وفسر تفسيرا غير صحيح.

ثانيهما: المعقول الذي ادعى أن النقل يخالفه غير صريح وغير سليم، بل إنه أصيب بأدران الشبهة أو الهوى الذي غيره حتى فقد العقل سلامته، بل هو إما مريض أو ملوث ولا محالة، ولو كان العقل يتمتع بعافيته وسلامته، والنقل يتمتع بصحته وقوته لا يكاد أن يختلفان.

وهذه قاعدة عظيمة ونافعة بإذن الله، ومقبولة لدى العقلاء المنصفين، بل لا يكاد يتردد فيها كل من نظر في العقليات، وله اطلاع على النقليات، ورزق التجرد عن التعصب والهوى والتحيز.

وقد أشار أبو الوليد بن رشد إلى هذه القاعدة في كتابه (منهاج الأدلة) في غير ما موضع في أثناء مناقشته لبعض علماء الكلام في تأويلهم البعيد عن روح الإسلام وفي رد شبههم التي عرضوها على الشريعة ليعارضوها بها، ومما قاله أبو الوليد في هذا الصدد قوله:

"وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرا مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا إن التأويل ليس هو المقصود به، وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده، واختبارا لهم" ثم قال أبو الوليد: "نعوذ بالله من هذا الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزا من جهة الوضوح والبيان" إلى أن قال: "وما أبعد عن مقصد الشرع من قال: فيما ليس بمتشابه أنه متشابه، ثم إنه أول ذلك المتشابه بزعمه وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل، مثل ما قالوه في آية الاستواء على العرش، وغير ذلك مما قالوا إن ظاهره متشابه" يشير أبو الوليد إلى بعض آيات الصفات التي حرفها كثير من علماء الكلام، وتبعهم كثير من الناس في تحريفهم باسم التأويل كآية مجيء الرب يوم القيامة ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر:٢٢) ، وصفة المحبة ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة: ٥٤) ، وصفة الرحمة التي دل عليها قوله عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن"، و "ارحموا من في الأرض

---

١ موافقة صريحة المعقول لصحيح المنقول. لابن تيمية.." (١)

"من شكل واحد أي متماثلان. وكلمة «يرتد» بها «دالان» وأصلها «يرتدد» . و «يرتد» بها مثلان والنطق بهما صعب. ولذلك حاول الناس في مثل هذه الحالة أن يدغموا مثلا في مثل. ولذلك كان من اللازم أن نسكن الحرف الأول من المثلين. والمفروض أن «الدال» الثانية ساكنة؛ لأن «من» شرطية جازمة. والدال الأولى أصلها بالكسر. ولا بد من الإدغام. والإدغام يقتضي إسمان الحرف الأول. إذن فمن أجل الإدغام نفعل ذلك.

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد؟ محمد أمان الجامي ص/٨٠

ونحن نعلم أن الساكنين لا يلتقيان، وكان تسكين الحرف الأول لأنه ضروري للإدغام، أما الحرف الساكن الآخر فهو الطارئ. فنتصرف فيه، ولذلك نحركه بالفتح حتى نتخلص من التقاء الساكنين. ولذلك نقول: «من يرتد» بالفتح.

وجاء لي ذات مرة سؤال يقول: كيف يأتي القرآن ب «يرتد» بالنصب أي بالفتح؟ وقلت: إنها ليست «فتحة نصب» والسائل يفهم أن «من» إما اسم موصول، وإما هي «من» الشرطية، فلو كانت اسما موصولا؛ لكان القول «من يرتد» – بالضم – وإن كانت «من» الشرطية لجاءت بالتسكين ولأن ما قبلها جاء ساكنا للإدغام تخلصنا من السكون بالفتحة وهي «فتحة» التخلص من ساكنين، لأنه – كما قلنا – لا يلتقي ساكنان.

والذي يظهر لنا ذلك هو آية البقرة التي قال فيها الحق: «ومن يرتدد» بدليل أنه عندما عطف قال: «فيمت» بالجزم عطفا على يرتدد. أما السبب في أن جواب الشرط واضح في آية المائدة أنه لم يأت فعل جوابي أو عطف، وجواب الشرط هو قول الحق: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ويدل على ذلك دخول الفاء على كلمة سوف لكن لو كان الحق قد قال: من يرتد منكم عن دينه يأت الله بقوم **يحبهم ويحبونه** كان يمكن الفهم بسرعة أن «من» شرطية، لأن كلمة «يأت» جاءت مجزومة بحذف آخرها، ومن هنا يتضح أن الفتحة في «يرتد» هي فتحة التخلص من التقاء الساكنين.

وما السبب في أن الحق يأتي بآية على هذا النسق، وآية أخرى على ذاك النسق؟ نحن نعلم أن القرآن قد نزل بلغة قريش. وكانت قريش تمتلك السيادة. ولم تكن." (١)

"المصفاة المنتقاة، فكل شاعر كان يقدم أفضل ما عنده من شعر. وكل خطيب كان يأتي بأحسن ما عنده من خطب. وبذلك كانت قريش تسمع أجود الكلمات. ولهذا كانت اللغة التي عندهم هي اللغة العالية. ولذلك عندما جيء لزمن كتابة القرآن كانت الوصية:

إن اختلف عليكم شيء فاكتبوه بلغة قريش؛ لأن لغة قريش أخذت من اللغات محاسنها. وبنو تميم والحجاز كانوا مختلفين في بعض الأشياء. ولذلك كنا نسمع – عندما نتعلم الإعراب – قول المعلم وهو يسألنا: هل «ما» حجازية أو تميمية؟ وهذا يدلنا على أن هناك خلافا بين النطق في القبيلتين.

وفي الآية التي نحن بصددها ندغم ونقول: ﴿من يرتد﴾ وفي آية البقرة ننطقها دون إدغان فنقول: «ومن يرتدد» .

وكأن الحق جاء بآية على لغة الحجاز واية على لغة تميم، وذلك برهان جديد على أن القرآن لم يأت ليحقق سيادة القريش، إنما هو للناس كافة؛ لذلك نجد من كل لهجة كلمة، ليتضح أن القرآن لعموم الناس جميعهم.

وعندما نقرأ قول الحق: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]

نعلم أنه سبحانه يعلمنا أنه قادر على أن يأتي بأهل إيمان غير الذين ارتدوا عنه، تماما كما أخبرنا من قبل: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولائك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٠٤/٥

[البقرة: ٢١٧]

والقول هنا: خبر عن مصير المرتد إلى جهنم بعد أن تقوم الساعة.." (١)

"ولكن القول: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ يدل على أن إجراء سيحدث قبل أن تقوم القيامة. ومن ذا الذي يستطيع أن يتصور أن إلها ينزل قرآنا يتحدى به ثم يأتي في القرآن بقضية مازالت في الغيب ويجازف بها، إن لم تكن ستقع؟ . والحق يقول: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ و «سوف» تخبرنا بموقف قادم سيأتي من بعد ذلك. ونقول هنا: من الذي يستطيع أن يتحكم في اختيارات الناس للإيمان؟ . لا أحد يستطيع أن يتحكم في اختيارات الناس للإيمان إلا الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يتحكم ويحكم ويخبرنا بأنه سوف يأتي أناس يؤمنون بدلا من المرتدين.

أما إن ارتد أناس، وانتظروا أن يروا البديل لهم، ولم يأت فماذا يكون الأمر؟ لا بد أن تنصرف الناس عن الدين. ولم يكن الحق ليجازف ويجري على لسان محمد بأن قوما سيرتدون وهو لا يعلم أيأتي قوم مرتدون؟ والعلم جاء في هذه الآية كما جاء في كل القرآن من الله جل وعلا. وقد قالها الحق قضية كونية: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ . وهل هناك قوم يحبهم الله وهم لا يحبونه؟ ونقول: إن هذا لا يحدث مع الله، وإن كان يحدث في الحياة البشرية مثلما قال الشاعر العربي:

أنت الحبيب ولكني أعوذ به ... من أن أكون محبا غير محبوب

وشقاء المحبين إنما يأتي من أن العاشق يحب أحدا، وهذا الحبيب لا يبادله الحب؛ لذلك يظل العاشق باكيا طوال عمره. ولنا أن نلحظ أن حب الله هو السابق في هذا القول الكريم: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ؛ لأن هذه هي صفة الانكشاف للعلم، لقد علم الحق أنهم سيتجهون إليه فأحبهم، وعندما جاءوا فعلوا ما جعلهم محبوبين لله، ثم ما هو الحب؟ . إنه ودادة القلب. وقلنا الكثير من قبل في أمر ودادة القلب. ونعرف أن هناك لونا من الحب يتحكم فيه العقل. ولونا آخر من الحب لا يتحكم فيه العقل ولكن تتحكم فيه العاطفة.

ومثال هذا عندما نذهب إلى طبيب ويصف لنا دواء مرا غير مستساغ الطعم، ونجد الإنسان الموصوف له الدواء يذهب إلى الصيدلية للسؤال عن الدواء، فإن لم." (٢)

"يجده فهو يلف ويدور ويسأل في كل صيدليات البلد فإن لم يجده فهو يوصي المسافر إلى الخارج لعله يأتي له بالدواء. وإذا جاء له صديق بهذا الدواء فهو يمتلئ بالامتنان بالسرور. أيقبل المريض على الدواء غير المستساغ بعاطفته ام بعقله؟ إنه يقبل على الدواء غير المستساغ الطعم ويحبه بعقله. والحب العقلي - إذن - هو إيثار النافع.

ومثال ذلك نجد الوالد لابن غبي يحب ابنا ذكيا لإنسان غيره.

الوالد - هنا - يحب ابنه الغبي بعاطفته. ولكنه يحب ابن جاره لأنه يمتلك رصيدا من الذكاء. إذن هناك حب عقلي وحب عاطفي. وهذا ما يحدث في المجال البشري لكن بالنسبة لله فلا.

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٠٦/٥

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٠٧/٥

وعندما يقول الحق: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أي أنهم يحبون الله بعقولهم، وقد يتسامى الحب إلى أن يصير بعاطفتهم، وقد يجرب ذلك حين يجري الله على أناس أشياء هي شر في ظاهرها، ولكنهم يظلون على عشق لله. ومعنى ذلك أن حبهم لله انتقل من عقولهم إلى عاطفتهم. وسيدنا عمر جرى معه حل هذا الإشكال. كيف؟

لقد قال صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» .

وهناك من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أحب إليه من ماله وولده لكن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: أنت أحب إلي من مالي وولدي أما نفسي فلا وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» .

وهنا علم عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد الحب العقلي؛ لأن عمر رضي الله عنه علم أيضا أن الحب العاطفي لا يكلف به، ولذلك قال عمر: الآن أحبك عن نفسي، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن." (١)

"يا عمر. أي كأنه في هذه اللحظة قد اكتمل إيمان عمر. إذن فحب الله لا تقل فيه أيها المؤمن هل هو حب عقلي أو حب عاطفي؟؛ لأن المراد بحب الإله هو دوام فيوضاته على من يحب، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالحق يلقاه في أحضان نعمه ويتجلى عليه برؤيته: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]

والحسنى هي الجنة. أما الزيادة فقد قال المفسرون: إنها رؤية المحسن.

﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ وعندما يقول الحق: «فسوف» فلنعلم أن ما يأتي بعدها هو من إعلامات النبوة التي جاءت على لسان محمد في قرآن الله؛ لأن ذلك الأمر قد حدث كما جاء في قرآن الله، فقد ارتد قوم وانقسموا في الردة إلى قسمين؛ قسم ارتد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسم ارتد على عهد أبي بكر، ومنهم من ارتد على عهد عمر. وحين تنظر إلى ما بعد «سوف» لا بد أن تعرف أن هناك امتدادا زمنيا.

وأول الارتداد كان في اليمن وكان ذلك بعد حجة الوداع وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان في اليمن كاهن مشعوذ اسمه عبهلة بن كعب، ويقال له: ذو الخمار، أو ذو الحمار في رواية أخرى، وهو الذي يعرف في كتب التاريخ الإسلامي باسم الأسود العنسي.

هو أحد الكذابين اللذين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «بينما أنا نائم إذ اوتيت خزائن الأرض، فوضع في يدي سواران من ذهب فكبر علي وأهمني، فأوحي إلي ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» .

وكان لهذا الكاهن حمار روضه صاحبه رياضة من لون خاص تماما كتدريب." (٢)

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٠٨/٥

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٠٩/٥

"النبوة. إذن فقد تعرض المؤمنون على زمن رسول الله صلى اله عليه وسلم للهزة في العقيدة بحكاية ذي الخمار أو ذي الحمار. وكانت قصة ذي الخمار كالمصل الواقي الذي يربي المناعة، وأخبرهم الله بها أولا: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ .

وذلك ليعطي الحق سبحانه وتعالى المؤمنين مناعة إيمانية وكأنه يقول للمؤمنين: لا تظنوا أنكم لن تتعرضوا إلى هزات عقدية دينية بل ستتعرضون. وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: قد يجوز أن يفهم الناس أني وأنا حي أقوم على منهج الله في الأرض فإذا أنا مت ربما ارتدوا عن الدين.

ورسول الله عندما يبلغ ذلك للمؤمنين عن الله – سبحانه – إنما كان بقصد تربية المناعة. فلو فوجئ المسلمون بالردة ولم يكن الله قد خبرهم بها لما كان عندهم احتياط مناعي. والاحتياط المناعي هو أول عملية في الوقاية. ونعلم أن العلم المعاصر استطاع فصل الميكروب أو الفيروس المسبب لمرض وبائي، ويقوم العلماء بإضعاف هذا الميكروب أو الفيروس، ثم يوضع قليل من هذا الميكروب أو الفيروس بعد إضعافه في الجسم البشري، فتتحرك في الجسم أجهزة الوقاية والحماية لتقاتل هذا الميكروب أو الفيروس وتنتصر عليه، وبذلك تمتلك قوى الوقاية والحماية داخل الجسم القدرة على مقاومة هذا المرض، وهكذا أراد الحق بهذا القول الكريم: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ .

إذن فحين يوجد الارتداد، لا يفاجأ المسلمون بهذا الارتداد، ويثقون تماما أنه بمجرد مجيئ الارتداد فإن وعد الله الآخر يجيء: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فلا فزع عند المؤمنين ساعة يحدث الارتداد ولا زلزلة في النفوس. وساعة يأتي الارتداد يقول المؤمن:

إن الذي صدق في أنه يحدث الارتداد، سيصدق في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ . وإذا رأيت «السين» تسبق قولا فإن هذا يعني أن الزمن الذي يفصل بين الحدث والحدث قريب وقليل مثل قوله الحق: ﴿سيقول السفهآء من الناس﴾ [البقرة: ١٤٢]." (١)

"أما عندما تقرأ «سوف» فأعلم أن الزمن الذي يفصل بين الحدث والحدث متسع وبعيد. ولذلك نحن نرى أن الردة قد امتدت في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – وفي عهد عمر – رضي الله عنه –.

وما هي ذي مواصفات القوم الذين يأتي بهم الله في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ؟ إنها مواصفات ست: يحبهم الله، ويحبون الله، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم.

وكيف يكون الإنسان المؤمن ذليلا وعزيزا في آن واحد؟ لأن الحق لا يريد أن يطبعنا على لون واحد من الانفعال، ولكنه يريد لنا أن ننفعل تبعا للموقف. فعندما يحتاج الموقف إلى أن يكون المؤمن عطوفا فالمؤمن يواجه الموقف بالعاطفة. وعندما يحتاج الموقف إلى الشدة فالمؤمن يواجه الموقف بالشدة. وإن احتاج الموقف إلى الكرم، فالمؤمن يقابل الموقف بالكرم. فالمسلم – إذن – ينفعل انفعالا مناسبا لكل موقف، وليس مطبوعا على انفعال واحد. ولو انطبع المؤمن على موقف ذلة دائمة

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢١٢/٥

فقد يأتي لمواجهة موقف يتطلب العزة فلا يجدها ولو طبع المؤمن على عزة دائمة فقد يأتي لمواجهة موقف يتطلب الذلة فلا يجدها؛ لذلك جعل الحق قلب المؤمن لينا قادرا على المواجهة كل موقف بما يناسبه.

والمؤمن عزيز أمام عدوه لا يغلب، ويجابه بقوة. والمؤمن يخفض جناح الذل من الرحمة لوالديه امتثالا لأمر الحق سبحانه: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء: ٢٤]

وهل إذا خفض المؤمن جناح الذل لوالديه. أيخدش ذلك عزته؟ لا. بل ذلك أمر يرفع من عزة الإنسان. والحق يريد المؤمن أن يكون غير مطبوع على لون واحد من الانفعال، ولكن لكل موقف انفعاله. وحين ينفعل المؤمن للمواقف المختلفة فهو يميز ما يحتاج إليه كل موقف ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ويقال في اللغة: «ذليل لفلان» فلماذا – إذا – يقول الحق هنا:." (١)

"لأنها تتدانى له. وإن نام المؤمن لتدانى قطاف الثمار إلى مكانه وبذلك يستطيع أن يأكل منها في أي وقت وعلى أي وضع.

وهنا يأتي الحق بالقول الحكيم: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ أي أن ذلة المؤمن لأخيه المؤمن ترفع منزلته. وبها يكون المؤمن أهلا لأن ترفع منزلته؛ لأنه مصطفى بأن الله يحبه وأنه يحب الله، ولا توجد رفعة أكثر من هذه رفعة. ولذلك نجد القول المأثور: (من تواضع لله رفعه) .

أي من تواضع وفي باله الله فإن الله يرفعه.

﴿أعزة على الكافرين﴾ وهذا هو الوصف الثالث للمؤمنين في تلك الآية بعد قوله الحق: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم** **ويحبونه** أذلة على المؤمنين﴾ .

إن المؤمن عزيز على الكافرين بأنه لا يغلب، وما دام هو يعرف ذلك فهو ينضم إلى الجهاد في سبيل الله. ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ وكلمة «الجهاد في سبيل الله» تخصص لونا من الجهاد، فالإنسان قد يجاهد حمية أو دفاعا عن جنسيته أو أي انتماء آخر، وكل هذه الانتماءات في عرف الذين لا قيمة لها إلا إذا نبعت من الانتماء إلى منهج الله، لتكون كلمة الله هي العليا.

وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل القتال:

«فيما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال:» من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .»

وما دام المؤمن محبوبا من الله ويحب الله وذليلا على المؤمنين وعزيزا على الكافرين،." (٢)

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢١٣/٥

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢١٥/٥

"مادام الأمر كذلك فعندما يتولى مؤمن أمر قيادة غيره من المؤمنين فلا أحد منهم يأنف أن يكون تحت قيادته. وبذلك يخرج المؤمن عن دائرة الاستعلاء والاستكبار؛ لأنه يجاهد في سبيل الله. ولو جاءه إنسان ليلومه على ذلك فهو لا يسمح له، وكأنه سبحانه يوضح: تنبهوا جيدا إلى أن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله والذين هم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين ويجاهدون في سبيل الله فلا نظن أنهم بمنأى عن سخرية الساخرين، وهزؤ المستهزئين، ولوم اللائمين ليردوهم عن هذه العملية.

ولذلك يقول الحق: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ وقد وضح ذلك على مر تاريخ الإسلام وجاء الحق بقوم **يحبهم ويحبونه** وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين وجاهدوا في سبيل الله وما خافوا لومة لائم.

وساعة نستقرئ هذه الآية نجد أن» سوف «ابتدأ مدلولها الأول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .» وحين سئل رسول الله عن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله وفيهم هذه الصفات؛ أشار بيده مرة إلى أبي موسى الأشعري، وقال صلى الله عليه وسلم : «هم قوم من هذا» .

وعندما نزل قوله تعالى: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ [الجمعة: ٣]

«سأل أبو هريرة – رضي الله عنه – رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هم يا رسول الله؟ . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال:» لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء «.

وقد حدثت الردة الأولى في اليمن، وكانت في قوم أبي موسى الأشعري، وكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل – كما أوضحنا – وبعد ذلك تطوع فيروز الديلمي ودخل على من كان يدعي النبوة ذي الخمار أو ذي الحمار، وقتله. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ." (١)

"لأن حياته ستكون ثمن الرجوع عن الإسلام وهذا دليل على جدية هذا الدين وعدم السماح بالعبث في عمليات الدخول فيه. وحين يصعب الإسلام عملية الدخول فيه إنما يعطي فرصة الاختيار ليعلم من يختار الدين الإسلامي أن يعي أن الرجوع عن الإسلام ثمنه الحياة. وساعة يطلب دين أن يفكر الإنسان جيدا قبل أن يدخل فيه فهل في ذلك خداع أو نصيحة؟ إنما النصيحة وهي عملية لصالح الإسلام، وهي أمر علني ليعلم كل داخل في الإسلام أن هذا هو الشرط.

ولو أن الإسلام يريد تسهيل المسألة لقال: تعال إلى الإسلام واخرج متى تريد. لكن الدين الحق لا يخدع أحدا. وسبحانه يقول: ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ [الأنفال: ٤٢]

وتكلمنا من قبل عن الردات التي حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كلمة «سوف» التي جاءت في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ تدل على الامتدادية. وقد حدثت ردة في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – وظهر سبعة ادعوا النبوة، مثال ذلك: «بنو فزارة» قوم عيينة بن حصن ارتدوا وأرسل إليهم أبو بكر – رضي الله عنه – من حاربهم. وكذلك قوم غطفان ارتدوا.

وكذلك قوم قرة بن هبيدة بن سلمة، وكذلك بنو سليم. قوم الفجاءة بن عبد ياليل، فأرسل لهم أبو بكر من يؤدبهم. وبنو

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢١٦/٥

يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض من بني تميم الذين ادعت فيهم النبوة سجاح بنت المنذر والتي تزوجت مسيلمة. وكذلك «كندة» قوم الأشعث بن قيس، وكذلك قوم الحطم بن ضبيعة وهم بنو بكر بن وائل في البحرين. وقضى عليهم سيدنا أبو بكر مما جعل كثيرا من القوم يقولون: إن القوم الذين يحبهم الله ويحبون الله وفيهم كل تلك الأوصاف هم أبو بكر ومن معه. ولكن أيمنع ذلك أن كل جماعة سيكون فيها مثل أبي بكر – رضي الله عنه –؟ لا. ومثال ذلك علي بن أبي طالب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:

«عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ." (١)

"والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها سآءت مستقرا ومقاما﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٦]

هؤلاء هم عباد الرحمن الذين **يحبهم ويحبونه**. أما الذي يتمرد على منهج الله فعليه أن يعرف أنه غير قادر على أن يتمرد على قدر الله. وأراد الحق أن يعطينا مناعة إيمانية حين قال: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه﴾** وتتجلى تلك المناعة في أن المؤمن لا بد أن يلتفت إلى هؤلاء الذين يرتدون عن دين الله بادعاء أنهم أنبياء من بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن هذه الآية توضح لنا ما جد وما يجد من أمر هؤلاء المرتدين، والواحد منهم يعلن: أنا نبي مرسل. ويجد هذا النبي المزيف من يستمع له ويصدقه ويتبعه، ولا يجد من يسأله: إن كنت نبيا فما معجزتك؟ لكنه يجد من يصدقون هذا الزيف لهوى في نفوسهم.

هذا الهوى يتلخص في أن مثل هذا النبي المزيف يأتي بمنهج ميسر يخدع به أتباعه الذين يخدعون أنفسهم بأن الواحد منهم متدين، لكنه يتبع منهاجا ضالا. وكثير من الذين ادعوا أنهم أنبياء وأنه هو المهدي المنتظر لم يسألهم أحد: ما المعجزة الدالة على صدق نبوتكم؟ لأن النبي المزيف من هؤلاء يلهي الناس بالتخفيف من التكليف.

إننا نجد بعضا من المثقفين أو الذين يدعون أنهم يعملون عقولهم في كل شيء يتبعون هؤلاء الدجالين. وقد رأينا منذ أعوام قليلة العجب العجاب، عندما ادعى أحدهم النبوة. وآمن به واتبعه عدد من الرجال والنساء.

وكانت المرأة المتزوجة تدخل على هذا النبي المزيف لتقبله ويقبلها من شفتيها وأمام زوجها. أين نخوة الرجل – إذن – في مثل هذا الموقف؟ إنه التدليس الضال الذي يدعي لنفسه الهداية، إنها هداية إلى الجحيم.

وهل تنبع تلك التيارات من الإسلام؟ لا، بل تأتي من قوم يبغضون الإسلام،." (٢)

"ويصطادون الرجل الذي تظهر عليه المواهب والمخايل، ويقنعونه بأنه يمكن أن يلعب دور النبي المزيف.

مثال ذلك الهندي ميرزا غلام أحمد الذي جاء بالقاديانية. ونعلم أن الإنجليز قد استعمروا الهند لسنوات طويلة، وكانوا يعتبرونها درة التاج البريطاني. ونعلم أن خصوم الإسلام وعلى رأسهم الاستعمار يحاولون أن ينالوا من الإسلام؛ لأنهم رأوا

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢١٩/٥

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٢٣/٥

أن التمسك بالدين أتاح للمسلمين فتح الأمبراطوريات لا بالسيف ولكن بحماية حق الاعتقاد.

إذا كانت الدعوة قد نشأت في الجزيرة العربية؛ فقد امتدت إلى آفاق الأرض. وانهزمت الفرس والروم أمام الذين يحملون راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» . ومن بعد ذلك نجد أن الذين هزموا التتار هم المسلمون، وكذلك اشتعلت الحروب الصليبية في حملات متتابعة، ولكن المقاتلين تحت راية الإسلام أنزلوا بهم الهزيمة الضارية.

إن الذي أرهق الاستعمار من الإسلام طاقة الإيمان والقتال في سبيله ولذلك جاء ميزرا غلام أحمد وحاول أن يضعف القدرة على الجهاد عند المسلمين، فقال: لقد جئت لكم لألغي الجهاد من العقيدة الإسلامية. وجرؤ ميزرا غلام أحمد، وأعلن إلغاء القتال. والحق يقول في كتابه الكريم: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [البقرة: ٢١٦]

وسبحانه بقدرته يمهل ولا يهمل. وجاء وباء الكوليرا في الهند سنة ١٩٠٨ ليقضي على غلام أحمد وينهي تأكيدا لقوله الحق: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]

وظهر أيضا في فارس وهي موطن سلمان الفارسي من ادعى لنفسه النبوة، وكان من الذكاء بحيث حاول التسلل إلى الإسلام؛ لينقلب عليه من بعد ذلك، قال الرجل: أنا الباب ومن بعدي سيأتي المهدي.." (١)

"الحكومات أن تضرب على أيدي العابثين بدين الله لا أن تترك مسائل الدين لهبات الأفراد. وكل منا مطالب بأن يرد عن دين الله كل دخيل عليه وكل محاولة لوضع أمور ليست من الدين في شيء. وجزى الله قضاء مصر خيرا حينما تصدوا لمثل هذه الدعوات ووقفوا دفاعا عن الإسلام لتبيين وإيضاح كل أمر دخيل عليه، فدستور الدولة ينص على أن مصر بلد مسلم، وإن كانت بعض التقنيات في دور التشريع.

وجزى الله قضاء مصر عنا خيرا، فقد وضحوا تلك المسائل وبينوها. وعرفنا بسلوكهم أن خميرة الإيمان هي التي تحكم سلوك المسلم الحق، وإن تخلت عنه بعض القوانين التي عليه أن يحكم بها.

وكلما حدث حادث من تلك الحوادث لنا أن نتذكر القول الصدق من الله: ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] .

وكل هذه الحركات المناوئة للإسلام تنتهي ويبقى الإسلام قويا بأبنائه الذين يحبهم الله ويحبونه. هؤلاء الذين وصفهم الحق: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] .

ويذيل الحق سبحانه هذا القول الكريم: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] .

نعم إنه فضل من الله؛ لأنهم ما داموا يحبهم الله ويحبون الله وهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين فقد جعلهم سبحانه حملة لواء منهجه لتكون كلمة الله هي العليا. وذلك تفضل من الله. ولنعلم أن الخير لا يعود منا على الله؛ لأنه سبحانه هو واهب كل خير، ولم يأت لنا الخير من بعد خلقنا، ولكن نحن الذين طرأنا على الخير، نحن طرأنا على الأرض، وعلى السماء بما فيهما من كل كنوز الخير،." (٢)

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٢٤/٥

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٣٠/٦

"ونلحظ أن الحق أوضح في الآية السابقة: إن الله هو المولى، وهنا تكون أنت أيها العبد المؤمن من الذين يتولاهم الله، تماما مثل قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ .." (١)

"بينما قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مملوءا قوة وحزما، انظر إلى موقف الاثنين عندما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى؛ وارتد عدد من المسلمين عن الإسلام، ومنعوا الزكاة؛ وقرر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يحارب هؤلاء المرتدين؛ لأنهم أنكروا ركنا من أركان الإسلام، هنا وقف عمر بن الخطاب ضد رأي أبي بكر وقال: يا أبا بكر أنحارب أناسا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فقال أبو بكر: أجبار يا عمر في الجاهلية خوار في الإسلام؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه.

وهكذا انقلبت المواقف؛ فالقوة والشدة ملأت قلب أبي بكر الذي كان مشهورا بالرقة والرحمة والعطف، بينما امتلأ قلب عمر باللين، وهو المشهور بالشدة والقوة. ولو أن عمر هو الذي قال كلمة أبي بكر لقالوا: شدة ألفها الناس من عمر.

ولكن الناس قالوا عن عمر الشديد: «قد لان قلبه بينما اشتد قلب أبي بكر» هذه هي المواقف الإيمانية التي تملأ نفس كل مؤمن. فالذي يصنع موقف المؤمن هو إيمانه لا طبعه؛ ولذلك قال الحق في وصفه للمؤمنين: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ... ﴾ [المائدة: ٥٤] .." (٢)

"أي: إياكم أن تحزنوا على هؤلاء المنافقين بسبب قعودهم عن الجهاد معكم ولا تقولوا: نحن خسرناهم في قتالنا؛ لأن الحق لا يحتاج إليهم ولا إلى جهادهم. وسبحانه القائل: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ [الأنعام: ٨٩]

ويقول سبحانه: ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٣٨]

وكذلك يقول الحق سبحانه: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقرآء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨]

وأيضا نجد قوله الحق: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ... ﴾ [المائدة: ٥٤]

إذن: فتخلف بعض أصحاب القوة والمال والجاه عن الجهاد، يجب ألا يشيع الفزع أو الحزن في نفوس المؤمنين؛ لأن الله معهم، ولأنهم لهم." (٣)

"تكون العداوة هينة لو كانت من جانب موسى وحده، ولكن شاء سبحانه ألا تكون العداوة من جانب موسى فقط، بل من جانب فرعون أيضا، فيقول سبحانه: ﴿يأخذه عدو لي وعدو له ... ﴾ [طه: ٣٩]

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٣٢٤٠/٦

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٥١١٩/٨

(٣) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٥٤٠٧/٩

ويقول سبحانه في مجال الحب المتبادل: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ... ﴾ [المائدة: ٥٤]

فحين يحبون الله يرد سبحانه على تحية الحب بحب زائد، وهم يردون على تحية الحب منه سبحانه بحب زائد، وهكذا تتوالى زيادات وزيادات؛ حتى نصل إلى قمة الحب، ولكن الحب عند الله لا نهاية له، وأنت حين تقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... ﴾ [النمل: ٥٩]

ويقول سبحانه أيضا: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام ... ﴾ [الأحزاب: ٤٤]

لم يأت سبحانه هنا ب «ال» التعريفية؛ لأنها لو جاءت لانحصرت السلام في لون واحد. فأنت حين تقول: لقيت الرجل، فأنت تحدد الرجل. لكنك إن قلت: لقيت رجلا. فقد يكون الرجل هذا أو ذاك أو غيرهما. فإن جاء الاسم نكرة صار شائعا، أما إن كان بالتعريف فيكون محددا.

والحق حين تكلم عن يحي عليه السلام قال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ [مريم: ١٥]." (١)

"وكثيرا ما يعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر. والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقهم الغذاء يرى عجبا، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام وتكسيره، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أن يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة ثم يناولانهم غذاءهم جاهزا يسهل بلعه، وإن تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراصون فرحة وسعادة.

إذن: قوله تعالى: ﴿جناح الذل. .﴾ [الإسراء: ٢٤]

كناية عن الخضوع والتواضع، والذل قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة، يقول تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين. .﴾ [المائدة: ٥٤]

فلو كان الذلة هنا بمعنى القهر لقال: أذلة للمؤمنين، ولكن المعنى: عطوفين على المؤمنين. وفي المقابل ﴿أعزة على الكافرين. .﴾ [المائدة: ٥٤]

أي: أقوياء عليهم قاهرين لهم.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشدآء على الكفار رحمآء بينهم. .﴾ [الفتح: ٢٩]

لأن الخالق سبحانه لم يخلق الإنسان رحيما على الإطلاق." (٢)

"والإيمان ينشئ علاقات مختلفة:

فهو يربط بين المؤمنين وبين الله برباط المودة، والمحبة؛ ويقيم العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، على أساس من الشفقة والرحمة.

ويقيم العلاقة بين المؤمنين وبين أعداء الله، الصادين عن الحق، على أساس من الغلظة والقسوة.

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين

---

(١) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٥٤٩٩/٩

(٢) تفسير الشعراوي؟ الشعراوي ٨٤٦٤/١٤

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (١).

وقد تجلت هذه الصفات فى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (٢).

والعمل الصالح الذى تزكو به النفس، ويطهر به القلب، وتعمر به الحياة، أثر من آثار الإيمان.

ولهذا يأتى الإيمان فى الآيات القرآنية مقرونا بالعمل الصالح؛ لأن

---

(١) سورة المائدة – الآية ٥٤.

(٢) سورة الفتح – الآية ٢٩.." (١)

"شرح حديث: (ازهد في الدنيا يحبك الله)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف رحمه الله: [عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله سلم فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) .

حديث حسن، رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة] .

أيها الإخوة! نجد في ألفاظ هذا الحديث تصويرا لاتجاه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبعد غايتهم، فهذا رجل جاء يسأل رسول الله عن عمل، لا لمال يحصل عليه، ولا لرئاسة يتولاها، ولا لمفخرة في الدنيا؛ ولكن جعل نصب عينيه أن يكون في الدنيا محبوبا عند الناس، وفي الآخرة محبوبا عند الله، فمحبة الله سبحانه غايته، وهكذا حال الصحابة يسعون بكل أعمالهم للحصول على شرف محبة الله سبحانه، ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وإن تبادل المحبة بين العبد وربه أمر عجيب! يصعب على إنسان أن يصور كنهه، وهو -كما يقولون-: أمر ذوقي، يتذوقه الإنسان ولا يستطيع أن يعبر عنه.

هذا الرجل أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الاتجاه؛ لأن غايته سليمة، ومطلبه كريم، ويوجهه إلى العمل الذي يحصل به على هذه المحبة من الله ومن الناس: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) .

إذا: الزهد طريق المحبة، فإن كان لله فزهدك في الدنيا، وإن كان للناس ففي ترك ما في أيديهم.

---

(١) العقائد الإسلامية؟ سيد سابق ص/٨٣

ولو فتشنا تفتيشا أدق قليلا: فهل الذي بأيدي الناس كله والذي يزهد فيه الإنسان إنما هو جزء من الدنيا؟! ولكن عمليا: الزهد في عموم الدنيا هو الزهد في خصوص ما بأيدي الناس.." (١)

"﴿يبدأ﴾ ولم يذكر ما الذي يبدؤه، فمعناه ﴿يبدأ﴾ كل شيء، ويعيد كل شيء، فكل الأمر بيده عز وجل، فاعرف أيها العبد من أين أنت، وأنك ابتدأت من عدم، واعرف منتهاك وغايتك، وأن غايتك إلى الله عز وجل ﴿وهو الغفور الودود﴾ ﴿الغفور﴾ يعني ذو المغفرة، والمغفرة ستر الذنب والعفو عنه فليست المغفرة ستر الذنب فقط بل ستره وعدم المؤاخذة عليه كما جاء في الحديث الصحيح: «إن الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيامة ويقرره بذنوبه حتى يقربها ويعترف فيقول الله عز وجل: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» (١) ، ويذكر أن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد منهم ذنبا وجده مكتوبا على باب بيته فضيحة وعارا (٢) ، لكننا نحن ولله الحمد قد ستر الله علينا، فعلينا أن نتوب إلى الله ونستغفره من الذنب فتمحى آثاره، ولهذا قال: ﴿وهو الغفور﴾ أي الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها. ﴿الودود﴾ مأخوذة من الود، والود هو خالص المحبة فهو جل وعلا ودود، ومعنى ودود أنه محبوب وأنه حاب، فهو يشمل الوجهين جميعا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] . فهو جل وعلا واد يحب الأعمال، ويحب الأشخاص، ويحب الأمكنة وهو كذلك أيضا محبوب يحبه أولياؤه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] . فكلما كان الإنسان أتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى الله، فهو جل وعلا واد وهو أيضا مودود، أي أنه يحب ويحب، يحب سبحانه وتعالى الأعمال ويحب العاملين، ويحب الأشخاص يعني أن محبة الله قد تتعلق بشخص

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٣) .

(٢) البيهقي في الشعب (٢/١٤٥، ٥/ ٤٢٦) .." (٢)

"زعم أهل التعطيل الذين حكموا على الله بعقولهم وقالوا: ما وافق عقولنا من صفات الله تعالى أثبتناه وما لا فلا، ولهذا قاعدتهم في هذا، يقولون: ما أقرته عقولنا من صفات الله أقررناه، وما خالف عقولنا نفيناه، وما لم توافقه ولم تخالفه فأكثرهم نفاه وقالوا: لا يمكن أن نثبته حتى يشهد العقل بثبوته، وبعضهم توقف فيه.

وأقربهم إلى الورع الذين توقفوا ومع ذلك فلم يسلكوا سبيل الورع، إذ سبيل الورع أن نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه مطلقا، سواء أدركته عقولنا أم لا، وأن ننفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه مطلقا، سواء أثبتته عقولنا أو لا، وما لم ترد عقولنا بإثباته أو نفيه نثبته إن أثبته الله تعالى لنفسه، وننفيه إن نفاه الله تعالى عن نفسه. وعلى هذا فمحبة الله تعالى للعباد ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، قال الله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) (المائدة: الآية٥٤) وقال عز وجل: (إن الله يحب المتقين) (التوبة: الآية٤) (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) (الصف: ٤) وآيات متعددة.

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم؟ عطية سالم ٢/٧٣

(٢) تفسير العثيمين: جزء عم؟ ابن عثيمين ص/١٣٨

فيقول أهل العقل الذين حكموا على الله بعقولهم: محبة الله يعني إثابته على العمل.

فنقول: الإثابة على العمل أليس من لازمها المحبة؟ لأنه لا يمكن أن يثيب على عمل إلا وهو يحبه، إذ العقل لا يمكن أن يحكم بأن أحدا يثيب على عمل وهو لا يحب العمل، العقل ينفي هذا، فإذا رجعنا إلى العقل صار العقل دليلا عليه.

وحينئذ يجب أن نثبت المحبة بدون واسطة، فنقول: هي محبة حقيقية.

فلو أنكروا المحبة وقالوا: إن الله لا يحب فقد كذبوا القرآن، ولذلك نقول: إنكار حقيقة الصفات إن كان إنكار تكذيب وجحد فهو كفر، وإن كان إنكار تأويل فهذا فيه تفصيل:

١-إن كان للتأويل مساغ لم يكفر، لكنه خالف طريق السلف، فيكون بهذا الاعتبار فاسقا مبتدعا.." (١)

"وإذا أحب الله وقام بعبادته، فإن الله تعالى يحبه، بل إن الله عز وجل يعطيه أكثر مما عمل، يقول تعالى في الحديث القدسي: "من ذكرني في نفسهن ذكرته في نفسي"، ونفس الله أعظم من نفوسنا. "ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه". وفي الحديث أيضا: "أن من تقرب إليه شبرا تقرب الله إليه ذراعا، ومن تقرب إليه ذراعا، تقرب إليه باعا، ومن أتى إلى الله يمشي، أتاه الله هرولة" (١).

إذا فعطاه الله عز وجل وثوابه أكثر من عملك.

وفي الآية من الأسماء والصفات مما سبق في التي قبلها.

الآية السادسة: قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

الفاء واقعة في جواب الشرط في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، أي: إذا ارتددتم عن دين الله، فإن ذلك لا يضر الله شيئا، ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾، وهذا كقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨].

فكل من ارتد عن دين الله، فإن الله لا يعبأ به، لأنه تعالى غني عنه، بل يزيله ويأتي بخير منه، ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ بدل منهم ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾، وإذا كانوا يحبون الله ويحبهم الله فسوف

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/٣٢١

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى: "ويحذركم الله نفسه"، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي اللع عنه في كتاب الذكر والدعاء/ باب الحث على باب الحث على ذكر الله تعالى.." (١)

"وفي الآية من الأسماء والصفات ما سبق في التي قبلها.

الآية الثامنة: قوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤].

﴿الغفور﴾: الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها.

﴿الودود﴾ مأخوذ من الود، وهو خالص المحبة، وهي بمعنى: واد، وبمعنى: مودود، لأنه عز وجل محب ومحبوب، كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]، فالله عز وجل واد ومودو، واد لأوليائه، وأولياؤه يودونه يحبونه، يحبون الوصول إليه وإلى جنته ورضوانه.

وفي الآية اسمان من أسماء الله: الغفور، والودود. وصفتان: المغفرة، والود.

وأتمنى لو أن المؤلف أضاف آية تاسعة في المحبة، وهي الخلة، لقوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء: ١٢٥]، والخليل هو من كان في أعلى المحبة، فالخلة أعلى أنواع المحبة، لأن الخليل هو الذي وصل حبه إلى سويداء القلب وتخلل مجاري عروقه، وليس فوق الخلة شيء من أنواع المحبة أبدا.

يقول الشاعر لمعشوقته:

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

فالنبي عليه الصلاة والسلام يحب أصحابه كلهم، لكن ما." (٢)

"الطهارة من النجاسة أو من الأحداث، لأنها شرط لصحة الصلاة، خوفا من أن تفسد صلاتنا، لكن يغيب عنا كثيرا أن نشعر بأن هذا قربة وسبب لمحبة الله لنا، لو كنا نستحضر عندما يغسل الإنسان نقطة بول أصابت ثوبه أن ذلك يجلب محبة الله له، لحصلنا خيرا كثيرا، لكننا في غفلة.

خامسا: قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: ٣١]: هذا أيضا يستوجب أن نحرص غاية الحرص على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، بحيث نترسم طريقه، لا نخرج منه، وا نقصر عنه، ولا نزيد، ولا ننقص.

وشعورنا هذا يحمينا من البدع، ويحمينا من التقصير، ويحمينا من الزيادة والغلو، ولو أننا نشعر بهذه الأمور، فانظر كيف يكون سلوكنا آدابنا وأخلاقنا وعباداتنا.

سادسا: قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]، نحذر به من الردة عن الإسلام، التي منها ترك الصلاة مثلا، فإذا علمنا أن الله يهددنا بأننا إن ارتددنا عن ديننا، أهلكنا الله، وأتى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٢٣٤/١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٢٣٨/١

بقوم **يحبهم ويحبونه**، ويقومون بواجبهم نحو ربهم، فإننا نلازم طاعة الله والابتعاد عن كل ما يقرب للردة.

سابعا: قوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤].

إذا آمنا بهذه المحبة، فعلنا هذه الأسباب الخمسة التي." (١)

"ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كونا أو تعبد به خلقه شرعا فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ ١، ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ ٢.

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه وهم يحبونه: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ٣، ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٤، ﴿والله يحب الصابرين﴾ ٥، ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ ٦، ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ ٧.

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ ٨، ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ ٩.

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ ١٠.

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم: ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم﴾ ١١،

---

١ سورة التين، الآية: ٧.

٢ سورة المائدة، الآية: ٥٠.

٣ سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٤ سورة المائدة، الآية: ٥٤.

٥ سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

٦ سورة الحجرات، الآية: ٩.

٧ سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

٨ سورة الزمر، الآية: ٧.

٩ سورة التوبة، الآية: ٤٦.

١٠ سورة البينه، الآية: ٨.

١١ سورة الفتح، الآية: ٦.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين؟ ابن عثيمين ٢٤٥/١

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/١١

"الأصل الخامس

بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية من سورة آل عمران وهي قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١] . الآية، وآية في سورة المائدة وهي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٤] . الآية، وآية في يونس وهي قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين أمنوا وكانوا يتقون﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢] ، ثم صار الأمر عند الله أكثر من يدعى العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الشرح

قوله: "بيان الله سبحانه لأولياء الله. . . إلخ"

أولياء الله تعالى هم الذين أمنوا به وأتقوه واستقاموا على دينه

وهم من وصفهم الله تعالى بقوله:﴾ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿فليس كل من يدعي الولاية." (١)

"أدعى محبة الله تعالى نظرنا في عمله فإن كان متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو صادق وإلا فهو كاذب.

الآية الثانية: قوله تعالى في المائدة:﴾ يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** ﴿، ﴾سورة المائدة، الآية: ٥٤﴿ . الآيتين فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتها:

الوصف الأول: أنهم أذلة على المؤمنين فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم.

الوصف الثاني: أنهم أعزة على الكافرين أي أقوياء عليهم غالبون لهم.

الوصف الثالث: أنهم يجاهدون في سبيل الله أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا.

الوصف الرابع: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم. أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم

---

(١) شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة؟ ابن عثيمين ص/١٣٥

يمنعهم ذلك من القيام بدين الله ع وجل.

الآية الثالثة: قوله تعالى في يونس: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢] . فبين الله تعالى أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصفين: الإيمان والتقوى فالإيمان بالقلب، والتقوى بالجوارح، فمن أدعى الولاية ولم يتصف بهذين الوصفين فهو كاذب.." (١)

"٤٧ . باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [المائدة: ٥٤] .

٣٨٦/١ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني، أعطيته، ولئن استعاذني، لأعيذ نه)) رواه البخاري.

معنى ((آذنته)) : أعلمته بأني محارب له. وقوله ((استعاذني)) روي بالباء وروي بالنون.

٣٨٧/٢ . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلانا، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)) متفق." (٢)

"٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (الشعراء: ٢١٥) .

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (المائدة: ٥٤) وقال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: ١٣) وقال تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) (النجم: ٣٢)

وقال تعالى: (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (الأعراف: ٤٩، ٤٨) .

---

(١) شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة؟ ابن عثيمين ص/١٣٧

(٢) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٢٦٧/٣

EXقال النووي رحمه الله تعالى في كتاب رياض الصالحين: باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين.

التواضع: ضد التعالي يعني ألا يترفع الإنسان ولا يترفع على غيره، بعلم ولا نسب ولا مال ولا جاه ولا إمارة ولا وزارة ولا غير ذلك؛ بل الواجب على المرء أن يخفض جناحه للمؤمنين، أن يتواضع لهم كما كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة عند الله؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع للمؤمنين، حتى إن الصبية لتمسك بيده لتأخذه إلى أي مكان تريد فيقضي حاجتها عليه." (١)

"الصلاة والسلام.

وقول الله تعالى: (واخفض جناحك للمؤمنين) (الحجر: ٨٨) ، وفي آية أخرى: (لمن اتبعك من المؤمنين) (الشعراء: ٢١٥) .

(واخفض جناحك) (الشعراء: ٢١٥) : أي تواضع؛ وذلك أن المتعالي والمترفع يرى نفسه أنه كالطير يسبح في جو السماء، فأمر أن يخفض جناحه وينزله للمؤمنين الذي أتبعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلم من هذا أن الكافر لا يخفض له الجناح وهو كذلك؛ بل الكافر ترفع عليه وتعالى عليه، واجعل نفسك في موضع أعلى منه؛ لأنك مستمسك بكلمة الله، وكلمة الله هي العليا.

ولهذا قال الله عز وجل في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) (الفتح: الآية٢٩) ، يعني أنهم على الكفار أقوياء ذوو غلظة، أما فيما بينهم فهم رحماء.

ثم ساق المؤلف الآية الثانية وهي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون) (المائدة: ٥٤) ، أي من يرجع منكم عن دينه فيكون كافرا بعد أن كان مؤمنا.

وهذا قد يقع من الناس، أن يكون الإنسان داخلا في الإسلام عاملا به، ثم يزيغه الشيطان- والعياذ بالله- حتى يرتد عن دينه، فإذا ارتد عن دينه فإنه لا يكون وليا للمؤمنين، ولا يكون معينا للمؤمنين، ولذا قال (يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) يعني بقوم مؤمنين، (يحبهم ويحبونه) .

(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون) ، فهم في جانب المؤمنين." (٢)

"أذلة لا يترفعون عليهم، ولا يأخذون بالعزة عليهم، ولكنه يذلون لهم، أما على الكفار فهم أعزة مترفعون، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه)) إذلالا

---

(١) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٣/٥١٤

(٢) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٣/٥١٥

لهم، وخذلانا لهم؛ لأنهم أعدى أعداء لك، وأعداء لربك، وأعداء لرسولك، وأعداء لدينك، وأعداء لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه الآية دليل على إثبات المحبة من الله عز وجل، وأن الله يحب ويحب (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) ، وهذا الحب حب عظيم لا يماثله شيء، تجد المحب لله عز وجل ترخص عنده الدنيا، والأهل، والأموال؛ بل والنفس، فيما يرضي الله عز وجل، ولهذا يبذل ويعرض رقبته لأعداء الله، محبة في نصرة الله عز وجل ونصرة دينه، وهذا دليل على أن الإنسان مقدم ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه.

ومن علامات محبة الله: إن الإنسان يديم ذكر الله؛ يذكر ربه دائما بقلبه ولسانه وجوارحه.

من علامات محبة الله: أن يحب من أحب الله عز وجل من الأشخاص، فيحب الرسول صلى الله عليه وسلم ويحب الخلفاء الراشدين، ويحب الأئمة، ويحب من كان في وقته من أهل العلم والصلاح.

من علامات محبة الله: أن يقوم الإنسان بطاعة الله، مقدما ذلك على." (١)

"يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ وابتداؤنا إياهم بالسلام إكرام لهم وإعزاز لهم والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزا على الكافرين قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ فهم لهم العزة على الكافرين يعني يرى المسلم أنه أعز من الكافر وأن له العزة عليه ولهذا لما كثرت العمالة النصرانية بيننا اليوم ذهبت الغيرة من القلوب وكأن النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الوثني كأنه لا يخالفنا إلا كما يخالف المالكي الحنبلي والشافعي أو ما أشبه ذلك عند بعض الناس يظنون أن اختلافنا مع أهل الكفر كاختلاف المذاهب الأربعة في الإسلام نسأل الله العافية وهذا لاشك أنه من موت القلوب فلا يحل للإنسان أبدا أن يعز الكافر والمشروع أن نعمل كل ما فيه غيظ لهم ولكن يجب علينا أن نفي لهم بالعهد الذي بيننا وبينهم إذا كان بيننا وبينهم عهد فمثلا عمال ولو كانوا نصارى أولا نقول لا تأتي بعمال نصارى في الجزيرة العربية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأمر فقال أخرجوا اليهود." (٢)

"يكذب للمصلحة فيقون مثلا لأحدهم: إن فلانا لم يفعل شيئا يضرك وما أشبه ذلك ويتأول شيئا آخر غير الذي أظهره لهذا الرجل حتى يتم الصلح بينهما، والصلح خير.

أما الآية الثانية فهي قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ يعني أنكم لو ارتدتم عن دينكم فإن ذلك لا يضر الله شيئا يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** لقيامهم بعبادته واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن من أقوى أسباب محبة الله للعبد أن يتبع الرسول كما قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ فأنت إذا أحببت أن الله يحبك فأتبع الرسول الطريق بين

---

(١) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٣/٥١٦

(٢) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٤/٤٢٢

واضح يقول الله عز وجل ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ وهذا هو وصف المؤمن حقا أنه بالنسبة لإخوانه المسلمين ذليل متواضع متهاون ومتسامح، أما على الكافرين فهم أعزة على الكافرين يعني أنهم أقوياء أمام الكافر لا يلينون له ولا يداهنونه ولا يوادنه، كل هذا بالنسبة للكافر حرام على المؤمن لا يجوز للمؤمن أن يواد الكافر، ولا يجوز له أن يذل له؛ لأن الله تعالى جعل له دينا يعلو على الأديان كلها بل يجب علينا أن نبغض الكفار وأن نعتبرهم أعداء لنا وأن نعلم أنهم لن يفعلوا بنا شيئا هو مصلحتنا إلا لينالوا ما هو أشد مما نتوقع من الإضرار بنا لأنهم أعداء، والعدو ماذا يريد أن يفعل بك؟ يريد أن يفعل بك كل سوء وإن تظاهر." (١)

"لأنه حق ولا يمكن أن يخاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظاهره بدون بيان كيف، وقد قال: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ [النساء: ٢٦] وقال: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦] ويقول عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] . ويقول: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] . ومن خاطب غيره بما يريد منه خلاف ظاهره بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده.

- أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل؟ فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة؛ لأن هذا الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالنص والإجماع، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفرا وباطلا، ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين.

* وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق.

فاتفقوا على: أن لله تعالى حياة، وعلما، وقدرة، وسمعا، وبصرا، حقيقة، وأنه مستو على عرشه حقيقة، وأنه يحب ويرضى، ويكره ويغضب حقيقة، وأن له وجها ويدين حقيقة؛ لقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ [الفرقان: ٥٨] . وقوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الأنعام: ١٠١] . ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [المائدة: ١٠٢] . ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] . وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] . وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] . ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] . ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ [التوبة: ٤٦] . ﴿وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام﴾." (٢)

"وتواتر عند الناس أن الذي قاتل أهل الردة هو أبو بكر الصديق وأصحابه قاتل مسيلمة الكذاب المدعي للنبوة وأتباعه بني حنيفة، وأهل اليمامة. وقد قيل: إنهم مائة ألف أو أكثر. وقاتل طليحة الأسدي وكان قد ادعى النبوة بنجد واتبعه من أسد وغطفان ما شاء الله، وادعى النبوة سجاح -امرأة تزوجها مسيلمة الكذاب- فتزوج الكذاب بالكذابة. وأيضا فكان من العرب من ارتد عن الإسلام لم يتبع متنبئا كذابا، وقد ذكر أئمة التفسير أن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (١) أنهم أبو بكر وعمر ومن تبعهما من أهل اليمن

---

(١) شرح رياض الصالحين؟ ابن عثيمين ٢٤١/٦

(٢) تقريب التدمرية؟ ابن عثيمين ص/٥٦

وغيرهم.

فمن أعظم فضائل الصديق عند الأمة أولهم وآخرهم أنه قاتل المرتدين. وأعظم الناس ردة كان بنو حنيفة، ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة؛ بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب (٢) .

٣- قاتل مانعي الزكاة:

وأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فأولئك ناس آخرون امتنعوا من أدائها بالكلية فقاتلهم على هذا، لم يقاتلهم ليؤدوها إليه. وقد حصل لعمر أولا شبهة في قتالهم حتى ناظره الصديق وبين له وجوب قتالهم فرجع إليه، والقصة في ذلك مشهورة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) منهاج جـ٤/١٢٩، ٥٨، ٥٩، ٢٢٨، وأخرج البيهقي عن الحسن البصري في قوله تعالى ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم﴾ الآية قال: هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم إلى الإسلام (تأريخ الخلفاء ص٦٥) .." (١)

"... الشرح....

الصفة الخامسة: الرضى:

الرضى من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها". رواه مسلم١٨.

وأجمع السلف على إثبات الرضى لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو رضى حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤] .

---

١٨ مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب "٢٧٣٤" "٧٩" من حديث أنس

---

(١) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة، وأحقهم بالخلافة؟ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١٢٣

بن مالك رضي الله عنه.

*الأكلة: الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء.." (١)

"... الشرح....

الصفة السادسة: المحبة:

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم خبير: "لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله". متفق عليه١٩.

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يحب ويحب فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى.

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله تعالى في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح: ٦] .

---

١٩ البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة خيبر "٤٢١٠".

ومسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي "٢٤٠٦" "٣٤".

من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

*والرجل المقصود في الحديث: هو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كما وضحت الرواية.." (٢)

"﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا﴾ (٢) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار.

ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار لإمكان أنه تاب أو كانت له حسنات ماحية أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك.

الرافضة كثير منهم ليسوا منافقين ولا كفارا؛ بل بعضهم له إيمان وعمل صالح، ومنهم من هو مخطئ يرجى له مغفرة الله، لكن الجهل بمعنى القرآن والحديث شامل لهم كلهم؛ فليس فيهم إمام من أئمة المسلمين في العلم والدين.

الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق كثير مسلمون ظاهرا وباطنا ليسوا زنادقة منافقين لكنهم جهلوا واتبعوا أهواءهم.

والردة قد تكون عن أصل الإسلام كالغالية من النصيرية والإسماعيلية فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة والشيعة.. وقد تكون الردة عن بعض الدين كحال أهل البدع الرافضة وغيرهم. والله تعالى يقيم قوما **يحبهم ويحبونه** يجاهدون من ارتد عن الدين أو بعضه كما يقيم من يجاهد الرافضة المرتدين عن الدين في كل زمان (٣) .

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/٥٣

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين؟ ابن عثيمين ص/٥٤

(١) سورة النساء آية: (١٠) .

(٢) سورة النساء آية: (٣٠) .

(٣) ج (٣) ص (٢٠٨) ج (٣) ص (٦٢، ٦٣) ج (٤) ص (٦٠) .." (١)

"الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة» . كلاهما في الصحيح.

الثالث: الإخلاص، قال الله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ، وقال ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ، وعن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه» .

وعن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» . رواه مسلم.

الرابع: الصدق، قال الله تعالى ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ ، عن ابن عباس قال: من جاء بلا إله إلا الله وقال ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» . متفق عليه. وتقدم قوله - صلى الله عليه وسلم -: «يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه» . الحديث رواه مسلم.

وقال - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام: «أفلح إن صدق ".

الخامس: المحبة قال الله تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه﴾**

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» . الحديث. متفق عليه.." (٢)

"وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل. أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» . الحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجة.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي قال: «لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستسقوات فلا تسقوا، وتستنصروا فلا تنصروا» . رواه الطبراني.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، ووفقنا للعمل بما فهمتنا، اللهم إن كنا مقصرين في حفظ حقك، والوفاء بعهدك،

---

(١) آل رسول الله وأولياؤه؟ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١٥٥

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان؟ عبد العزيز السلمان ٢/٢٥٥

فأنت تعلم صدقنا في رجاء رفدك، وخالص ودك، اللهم أنت أعلم بنا منا، فبكمال جودك تجاوز عنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(موعظة)

عباد الله بما أن الله جل وعلا من عليكم بالإسلام فيجب عليكم أن تحبوه، فإنه الذي بيده خير الدنيا والآخرة، وأن تحبوا رسوله الذي لولا الله ثم لولاه لكنتم من حطب جهنم تلتهب بكم أبد الآبدين، وأن تحبوا أحباب الله، وأحبابه هم الذين لزموا طاعة مولاهم وتباعدوا عن معصيته كما يتباعد الإنسان عما يقتله من سم ونحوه بل السم أهون وأخف من كثير المعاصي كيف لا والمعاصي لا تسلم فاعلها إلا إلى العذاب الأليم إن لم يتجاوز عنه مولاه مضى في صدر هذه الأمة أناس قال الله فيهم: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وهم الذين كانوا بأرواحهم في سبيل الله يجودون، وكانوا يرون السعادة كل السعادة في ذلك الجود وإذا لم يستطيعوا." (١)

"٣١- (موعظة)

عباد الله بما أن الله جل وعلا من عليكم بالإسلام فيجب عليكم أن تحبوه، فإنه الذي بيده خير الدنيا والآخرة، وأن تحبوا رسوله - صلى الله عليه وسلم - الذي لولا الله ثم لولاه لكنتم من حطب جهنم تلتهب بكم أبد الآبدين، وأن تحبوا أحباب الله، وأحبابه هم الذين لزموا طاعة مولاهم وتباعدوا عن معصيته كما يتباعد الإنسان عما يقتله من سم ونحوه بل السم أهون وأخف من كثير من المعاصي كيف لا والمعاصي لا تسلم فاعلها إلا إلى العذاب الأليم إن لم يتجاوز عنه مولاه، مضى في صدر هذه الأمة أناس قال الله فيهم: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] . وهم الذين كانوا بأرواحهم في سبيل الله يجودون، وكانوا يرون السعادة كل السعادة في ذلك الجود وإذا لم يستطيعوا كانوا لذلك يحزنون وكان هؤلاء الناس يحبون رسولهم فوق محبتهم لأموالهم وأنفسهم وكان حب أحدهم لأخيه أعظم من حبه لآثاثه وماله يحب له ما يحب لنفسه ولذلك كانوا في كل المنافع لا يعرفون إلا خلق الإيثار، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: ٩] . سل التاريخ عنهم يخبر عنهم أخبارا ما سمعت قط بمثلها يخبرك أنهم كانوا سادة الدنيا يعترف بذلك العدو قبل الصديق اعتراف إقرار وإذعان يخبرك أنهم كانوا إذا اتجهوا لغزو جهة ينهزم أهلها وبينهم وبينهم مسافة عظيمة وكيف لا يعزهم ربهم وقلوبهم كانت وقفا على حبه وحب رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحب كل ما يرضيه من مبار، هؤلاء كانوا عبيد الله عبودية ما رأت الدنيا عبودية مثلها في سائر العبيد عدا الرسل الكرام لذلك كانوا يحنون لطاعته حنينا لا ينقضي عجبه وهو مخلص وشديد كانوا لا يشبعون من العبادة بالنهار فيستقبلون الليل." (٢)

"صفة المحبة

س٩٩- ما الذي تفهمه عن معنى قوله تعالى (واحسنوا إن الله يحب المحسنين) (إن الله يحب المقسطين) (إن الله يحب المتقين) (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم**

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان؟ عبد العزيز السلمان ٣٧/٥

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار؟ عبد العزيز السلمان ٢٨٣/١

ويحبونه) (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) (وهو الغفور الودود) ؟

ج- في هذه الآيات إثبات صفة المحبة وهي الصفات الفعلية وسببها امتثال ما أمر الله به من الإحسان في عبادة الله وإلى عباد الله ويؤخذ من الآية الثانية امتثال ما أمر الله به من العدل في المعاملات والأحكام مع كل أحد قريب أو بعيد عدو أو صديق قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) والعدل في حقوق الله بأن تصرف نعمه في طاعته ولا يستعان بشيء منها في معصيته وسبب لمحبة الله وفي الآية الثالثة الحث على تقوى الله عز وجل والتقوى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وقيل التحرز بطاعة الله عن معصيته ومن التقوى الاستقامة على الوفاء بالعهد لمن استقام من المشركين على العهد ولم ينقضه وسبب لمحبة الله للعبد في الآية الرابعة الإكثار من التوبة من المعاصي والتطهر عن الأحداث والنجاسات بالطهارة الحسية والتطهر من الذنوب والمعاصي بالطهارة المعنوية بالتوبة النصوح والاستغفار والإكثار من." (١)

"قول أهل السنة في الصحابة ورد قول الرافضة

نقول بتفضيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكذلك أيضا بقية الخلفاء، وذلك لأن الرافضة صاروا يطعنون في الصحابة كلهم لا يستثنون منهم إلا عددا يسيرا كـ عمار وصهيب وسلمان وعددا يسيرا من الموالي يدعون أن هؤلاء هم الذين بقوا مع علي، وأما البقية فإنهم ارتدوا لما لم يبايعوا عليا، فصاروا يطعنون في الصحابة ويشتمونهم، ويستنكرون جميع ما ورد فيهم من الأدلة التي تدل على فضلهم.

وقد استدل الرافضة على قولهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) ، فالرافضة يقولون: إن الصحابة أحدثوا بعده.

أي أن من حدثهم كتمانهم -بزعم الرافضة- الخلافة التي لـ علي أو الوصية التي لـ علي، وبهذا الكتمان صاروا بذلك محدثين مرتدين.

مع أنا نقول: إن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين قاتلوا المرتدين، وأنزل الله تعالى فيهم الآيات، ومنها آية سورة المائدة، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤] ، هكذا وصفهم بست خصال، من هؤلاء؟ هم الصحابة الذين قاتلوا المرتدين من العرب الذين ارتدوا حول المدينة، ثبت هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بالمدينة وبمكة وبغيرها من القرى التي حولها، ثبتوا رغم كثرة من انحرف وارتد، فقاتلوا أولئك الذين ارتدوا حتى ردوهم إلى الإسلام.

وشهد الله لهم بأنهم: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وأنهم: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة:٥٤] متواضعين لبعضهم، و: ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤] ، وكذلك قوله: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤] ، وهذه الصفات تنطبق على الصحابة رضي الله عنهم، وقد جحدها الرافضة وادعوا أن هذا ليس وصفا لهم.

وأنزل الله فيهم أيضا آيات في آخر سورة الأنفال، وهي قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية؟ عبد العزيز السلمان ص/٤٩

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] ، فمن تنطبق عليه هذه الآيات؟ ذكر الله تعالى فيها الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، هؤلاء هم المجاهدون، ثم ذكر فيها الأنصار ﴿والذين آووا ونصروا﴾ [الأنفال:٧٢] ، فالأنصار والمهاجرون هم الذين تضمنتهم هذه الآية ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] ، فالذين لم يتولوهم ماذا تقول فيهم؟ تقول: ليسوا منهم، وليسوا من المؤمنين ولا من أولياء المؤمنين، بل هم برآء منهم.

فالرافضة الذين يتبرؤون منهم يتصفون بهذه الصفات -أنهم ليسوا منهم- ويدخلون في النص الذي بعده: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ [الأنفال:٧٤] ثم قال تعالى في وصف الصحابة مرة أخرى: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ [الأنفال:٧٤] ، كل هذا وصف للمؤمنين وشهادة لهم.

والرافضة يقولون: إن هذه الفضائل التي مدحهم الله بها بطلت بردتهم؟! وهل الله تعالى يمدحهم وهو يعلم أنهم سيرتدون؟! أليس الله عالما بمن يستحق المدح؟! لو كانوا سيرتدون ما مدحهم الله تعالى ولا أثنى عليهم هذا الثناء، فإن الله عالم بمن يموت على الإسلام ومن يموت مرتدا.

فهذه هي القاعدة عند الرافضة، أن فضائل الصحابة بطلت بردتهم، وهذه الحجة واهية؛ فإن الله تعالى لا يمكن أن يمدحهم هذا المدح وهو يعلم أنهم سيرتدون في وقت من الأوقات وستحبط أعمالهم، فالله تعالى عالم بكل شيء.

ثم نقول للرافضة: هذا تنقص منكم لله تعالى؛ إذ معناه أن الله لا يعلم الأمور المستقبلة، فيمدحهم وهو لا يعلم أنهم سوف ينقلبون ويرتدون ويكفرون بعد ذلك وسوف ينقضون بيعتهم.

واستدل المؤلف بهذه الآية في سورة الفتح: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح:١٨] رضي الله عن الذين بايعوه تحت الشجرة وهم أكثر من ألف وأربعمائة، ومنهم الخلفاء الراشدون، والعشرة وأجلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بايعوه على أن لا يفروا، وقيل: إنهم بايعوه على الموت.

والمعنى متقارب، كأنهم يقولون: نبايعك على أن نقاتل فنقتل أو ننتصر ولو أدى ذلك إلى الموت، وعلى أننا لا نفر ولو قتلنا واحدا بعد واحد.

هذا الرضا معناه أن الله تعالى رضي أعمالهم وأقوالهم، وعلم سعادتهم وأهليتهم فصرح بأنه رضي عنهم.

ومن العجائب أني رأيت لبعض الرافضة في هذا الزمان رسالة بعنوان (المراجعات) ، ومن عجائبها أنه لما ذكر هذه الفضيلة قال: اقرءوا ما قبلها، إن الله تعالى ذكر أنهم سوف يرتدون، فالله تعالى يقول: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ [الفتح:١٠] ، فيقول: هذا دليل على أن منهم من نكث.

فهل هذا صحيح؟! هل في الآية دليل على أن فيهم من ينكث أو من نكث؟! إنما أخبر الله بأن من نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى فإنما يوفي لنفسه، وليس فيها أن أنهم نكثوا كلهم كما تقوله الرافضة، إنما فيها الإخبار بأن الذين يبايعونه فإنهم يبايعون الله، ثم أيضا ليست هي بيعة الرضوان، بل البيعة العامة؛ إذ كل من جاء مسلما فإنه يبايع النبي صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يخبرهم ويقول: أيها المؤمنون الأعراب وأهل الحضر والصغار والكبار والنساء والرجال! أنتم تبايعون

النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، ولكن احذروا إذا نكثتم، فإن نكثكم على أنفسكم وضرركم بهذا النكث يعود عليكم فخذوا حذركم.

ومعلوم أن هناك من بايع من الأعراب ثم نكث وارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا فليست الآية يراد بها أهل بيعة الرضوان؛ لأن أهل بيعة الرضوان ثبت رضا الله تعالى عنهم، فلا يمكن أن يسخط عليهم بعده أبدا؛ لأنه إذا حل رضاه على قوم فلا يسخط بعده أبدا.

ثبت أيضا في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) ، ولما كان في غزوة حنين وتقابلوا مع هوازن، وكانت هوازن معها نبال شديدة انهزم الكثير من الصحابة، فعند ذلك أمر العباس بأن يصيح وينادي: يا أصحاب الشجرة.

فلما سمعوا ذلك قالوا: لبيك لبيك.

ولووا أعناق رواحلهم وجاؤوا مسرعين نحو الصوت، تذكروا هذه البيعة، ولا شك أن هذا دليل على أنهم أوفياء بما عاهدوا الله تعالى عليه.

كذلك هذه الآية في سورة التوبة: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾ [التوبة:١٠٠] هذه الآية ذكر الله تعالى فيها نوعين من الصحابة، الأول هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والثاني هم الأتباع من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة أو من غير مكة من القرى إلى المدينة، والأنصار هم الذين أسلموا من أهل المدينة ونصروا الله تعالى ورسوله.

﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ [التوبة:١٠٠] قيل: إن المراد الذين أسلموا بعد الفتح، وقيل: الذين أسلموا بعد صلح الحديبية. وقيل: المراد الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.

أي: ساروا على طريقتهم، وتمسكوا بسنتهم فهؤلاء جميعهم من أتباعهم، فهؤلاء المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم، فما أعظمها من فضيلة أن يرضى الله تعالى عنهم وأن يثبت الله تعالى رضاه عنهم.

إذا من أثبت الله رضاه عنهم لم يكن منهم بعد ذلك ما يوجب سخط الله، ولا يمكن أن يثبت الله أنه رضي عنهم وهو يعلم أنهم سيسخطون ربهم فيما بعد ذلك، ولم يوجب للتابعين ذلك إلا بشرط الإحسان فقال: (والذين اتبعوهم بإحسان) ، ولم يقل: اتبعوهم فقط، بل: (بإحسان) ، فأوجب للمحسنين من أتباعهم الرضا، فمن كان من التابعين ومن بعدهم يتنقصهم لم يقم بالإحسان، ولم يكن حريا بالإحسان، فلا مدخل له في ذلك، فالذين جاؤوا من بعدهم ولكنهم يتنقصونهم ويعيبونهم ويقدحون في خلافتهم لا شك أن مثل هؤلاء لم يتبعوهم بإحسان بل اتبعوهم بإساءة.

فأساؤوا صحبتهم، وأساؤوا سمعتهم، وسبوهم وتنقصوهم، فأين هم من الإحسان؟! ليسوا من أهل الرضا.

يقول: [ومن غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه] .

الذي يغيظه مكانهم كافر، دليل ذلك هذه الآية في سورة الفتح: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ [الفتح:٢٩] ، ثم وصفهم بصفات فقال: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ [الفتح:٢٩]

هكذا مثلهم الله، ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح:٢٩] .

فنقول: أي." (١)

"الاستدلال بالقرآن على فضل الصحابة

وبما أن هذا القرآن أصبح محفوظا متعبدا بتلاوته، فلابد أن يكون كله حجة وكله دليلا، فيستدل به على فضلهم، فقد ذكر الله تعالى فضلهم ونوه بمقامهم في عدة سور قرآنية.

ففي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤] .

وفي آخر سورة الأنفال قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا﴾ [الأنفال:٧٢] إلى آخر السورة، كل ذلك في مدحهم.

وفي سورة التوبة قول الله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين﴾ [التوبة:١٠٠] ، إلى قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [التوبة:١١٨] .

وكذلك قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ [التوبة:١٢٠] .

وهكذا قوله: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ [التوبة:١١٧] أربعون ألفا من الصحابة اتبعوه في ساعة العسرة، أي: في غزوته إلى تبوك، هؤلاء قد تاب الله عليهم ورضي عنهم.

وكذلك قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح:١٨] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ [الحشر:٨] ، وكذلك قوله: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ [الحشر:٩] ، إلى قوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ [الحشر:١٠] .

ونحن نقوله ونرجو أن نكون من المعتقدين له: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ [الحشر:١٠] ، والغل الحقد والحسد والبغضاء، فمن كان في قلبه غل لهم فإنه شقي ليس من أتباعهم حقا.

وهذه الآيات في سورة الحشر فيمن يستحق الفيء، فإن الآيات في تقسيم الفيء الذمي هو: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ [الحشر:٨] ، ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ [الحشر:٩] ، ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا﴾ [الحشر:١٠] ، فالذين جاؤوا من بعدهم إن كانوا يدعون على الصحابة ويكفرون من آمن قبلهم فليسوا من أهل الفيء ولا يستحقونه، هذا استنباط الإمام أحمد رحمه الله.

ثم إن المؤلف استنبط من بعض الآيات خلافة الخلفاء، فمن ذلك الآية التي في سورة النور: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ١١/١٢

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ [النور:٥٥] فقوله: (منكم) لا شك أن الخطاب واقع للصحابة، وأن الصحابة هم الذين استخلفوا في الأرض، وقوله: ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ [النور:٥٥] شهادة لهم بأنهم آمنوا وعملوا الصالحات.
ثم وعدهم بثلاثة أشياء: الأول: ﴿ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ [النور:٥٥] .
الثاني: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ [النور:٥٥] ، وهذا قد حصل.
الثالث: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ [النور:٥٥] ، وهذا أيضا قد حصل، فإن الله تعالى قد أبدلهم بعد خوفهم أمنا، فأمنوا بعدما نشروا دين الله تعالى وانتشر الإسلام في أطراف البلاد فأمنت البلاد، فأصبح الناس إخوانا لا يعرض أحد لأحد، يسافر الرجل وحده ولا يعرض له أحد، وقد بشرهم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ففي حديث عدي بن حاتم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ليوشكن أن ترى الظعينة ترحل من عدن حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله) ، وعدن في أقصى اليمن كما هو معروف، وقد وجد ذلك في عهد الصحابة، والظعينة: هي المرأة تركب على بعير لوحدها.
ولو كانت منهية عن السفر، ولكن معناه أنه وجد أمن حتى لو سافرت وحدها لرجعت إلى أهلها دون أن تخاف على شيء أبدا، وهذا واقع أيضا.
وبكل حال فهذا قد تحقق مبدؤه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كان بعد ذلك في عهد الخلفاء رضي الله تعالى عنهم.
ثم إن الله تعالى أخبرهم بالمنافقين الذين أسلموا ظاهرا ولم يؤمنوا باطنا، وتخلفوا عن غزوة تبوك، وعاتبهم الله تعالى بقوله: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ [التوبة:٨٣] .
ثم أخبر بأنهم سوف يطلبون الخروج حتى يبدلوا كلام الله: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ [الفتح:١٥] يريدون أن يغيروا كلام الله، فقال له في سورة التوبة: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ [التوبة:٨٣] ، ثم قال في سورة الفتح: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح:١٦] ، فمتى دعوا؟ دعوا في عهد الصحابة وعهد الخلفاء الراشدين، ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾ [الفتح:١٦] ، فهذا حصل في عهد الخلفاء، أنهم رضي الله عنهم دعوا هؤلاء الأعراب وغيرهم من المتخلفين، فمنهم من أطاع ومنهم من لم يطع، فوعد الله الذي أطاعوا بأن يثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتوعد الذين تولوا بأن يعذبهم عذابا أليما.
والذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أحياء خوطبوا بذلك لما تخلفوا عنه، وبقي من هم في خلافة الخلفاء ما أوجب لهم بطاعتهم إياهم الأجر وبترك طاعتهم العذاب إيذانا من الله بخلافتهم.
ولا شك أن هذه أدلة واضحة على خلافتهم، وكذلك على فضلهم، فيعتقد المسلم أنهم خير الأمة، ولا يكون مثلهم بعدهم، فهم خير قرون الأمة، زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (خير الناس قرني -أو: القرن الذين بعثت فيهم- ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) .
ولاشك أن هذه التزكية واقعة على الصحابة؛ إذ هم القرن الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، فالصحابة خير من

الذين بعدهم من تلامذتهم وأولادهم -من حيث العموم-، ولأجل ذلك اتفق العلماء على عدالتهم، فإذا روى الحديث صحابي لم يسألوا عنه، بل يقولون: الصحابة كلهم عدول لا نتردد في أحد منهم؛ وذلك لأن الله تعالى زكاهم في هذه الآيات: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة:١٠٠] ، فهذه التزكية تسبب قبول رواياتهم، وتسبب أيضا الترحم عليهم.

هذا ما يعتقده كل مسلم، ولا عبرة بمن انحرف عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد ذكر شيخ الإسلام: أن أهل السنة وسط في الصحابة بين غلاة وجفاة، ولكن في الحقيقة الغلو والجفاء كله في الرافضة، فإنهم غلوا في حق علي وذريته، وجفوا في حق الباقيين.

فغلوهم في علي وذريته الذين يسمونهم أهل البيت هو أن دعوهم من دون الله، وجعلوهم مقبولي الرواية، وعلقوا عليهم ما ليس لهم، وجفاؤهم في حق الباقين التكفير والتضليل والتنديد بهم، مع أن الخوارج أيضا قد جفوا في حق علي وكفروه، وكذلك كفروا أكثر الصحابة الذين معه بل أكثر المسلمين، وادعوا أنهم مرتدون، وذلك لأن الخوارج يكفرون بارتكاب الذنب، فصار الخوارج جفاة في حق علي وذريته، والرافضة غلاة في حقهم جفاة في حق بقية الصحابة.." (١)

"الصفة الخامسة: الرضا:

الصفة السادسة: المحبة:

الصفة السابعة: الغضب:

الصفة الثامنة: السخط:

الصفة التاسعة: الكراهية:

وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ، وقوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقوله في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ وقوله: ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ وقوله: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ .

(أ) بين ما في هذه الآيات من المعاني؟

(ب) وما نوع الصفات التي تؤخذ منها؟

(ج) وكيف يرد على من أنكرها؟

(أ) في هذه الآيات دلالة على أن الأعمال الصالحة سبب للسعادة، والحصول على رضا الله ومحبته التي تسبب الفلاح والفوز، وأن الأعمال السيئة سبب للشقاوة التي علامتها سخط الله وغضبه.

وفيه إثبات العلل، وارتباط الأسباب بالمسببات، وقد أنكر بعض الطوائف الارتباط بين العمل والجزاء.

(ب) وفي الآيات إثبات بعض الصفات الفعلية التي يفعلها الله بمشيئته،." (٢)

---

(١) اعتقاد أهل السنة؟ ابن جبرين ١٣/١٢

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين؟ ابن جبرين ص/٧١

"الكلام على المحبة والخلة وثبوتهما لمحمد عليه السلام

قال المؤلف رحمه الله: [قوله: (وحبيب رب العالمين) .

ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة وهي الخلة، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) ، وقال: (ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) ، والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

وفي الصحيح أيضا: (إني أبرأ إلى كل خليل من خلته) ، والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران:١٣٤] ، وقال تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ [آل عمران:٧٦] ، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢] ، فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي الذي فيه: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) لم يثبت.

] مشتهر عند غلاة الصوفية ونحوهم أن المحبة أعلى من الخلة، وأنها أعلى الصفات؛ ولأجل ذلك يبالغ أهل السلوك وأهل التصوف في وصف المحبة وفي آثار المحبة ونحو ذلك، ولهم فيها أقوال في تعريفاتها، وقد بحث معهم ابن القيم رحمه الله في بعض كتبه في تعريف المحبة، كما في كتابه الذي كتبه في المحبة واسمه (روضة المحبين) ، وكذلك في كتابه الذي سماه (مدارج السالكين) ، عند باب المحبة، وكذلك في كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) ، فإنه تكلم في هذه الكتب على المحبة ونقل عن أهل السلوك وأهل التعبد وأهل التصوف تعريفات لها حتى أوصلها إلى ثلاثين تعريفا، وانتهى إلى أن قال: إن المحبة كاسمها لا تحتاج إلى تعريف ولا تزيدها التعريفات إلا غموضا، فالمحبة كلمة محبوبة لذيذة، وكلمة معروفة عند السامع لا تحتاج إلى تفكير.

ولا شك أن صفة المحبة تثبت بين المؤمنين في حق الله على المؤمنين، وفي حقهم من الله لهم، ومن بعضهم لبعض، فثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) .

وفي حقوق المسلم لأخيه: أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وكما في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، فهذه هي المحبة من المؤمن لأخيه، ولكن لها آثار، وذلك لأنك إذا أحببت أخاك كان من آثار ذلك أن توده وأن تقترب منه، وأن تدله على خير ما تعلمه وتحذره عن شر ما تعلمه، هذه آثار تلك المحبة، فمن كان صادقا فإنها تظهر عليه آثارها.

وأما محبة الله تعالى لعباده فهي المحبة المطلوبة، يقول في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ويده التي يمشي بها) وكذلك الآيات التي سبقت فيها إثبات أن الله يحب من هذه صفته، ومثلها كثير، كقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾

[المائدة:٥٤] ، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله﴾ [الصف:٤] ، وقوله: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [المائدة:٤٢] وأشباه ذلك كثير، فإذا الله تعالى يحب عباده المؤمنين الذين هذه صفاتهم، وآثار محبته أنه يوفقهم ويسددهم، فكل المؤمنين يحبون الله تعالى.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد أخبر بأنه يحب أشخاصا، ومن ذلك قوله في حق علي: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) فأعطاها عليا.

ولا شك أن المؤمنين كلهم يعرفون أنهم يحبون الله حبا شديدا، وأن سبب محبتهم له أنه أعطاهم وخولهم وأنعم عليهم وهداهم، وأنه هو ربهم ومالكهم وسيدهم والمتصرف فيهم، وأنه المستحق لأن يعبد ويصلى له ويسجد، وأنه الذي بيده الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو الذي يثيب ويعاقب، فكانت هذه الأسباب لمن يحب ربه، وقد تكلمنا على محبته فيما سبق وأن لها آثارا، وأن البعض من الناس يقولون: إنهم يحبون الرسول ويحبون الله، وأن هناك آية تفضحهم تسمى آية المحنة، وهي قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١] ، وهكذا قول الشاعر: تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا عجيب في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع فإذا: ليست المحبة خاصة بالأنبياء، بل الله يحب المؤمنين والمتقين، ولا يحب محمدا أو نبيا من الأنبياء فحسب، بل يحب عباده كلهم إذا كانوا صالحين مصلحين محسنين مؤمنين تائبين قانتين مطيعين له متطهرين مقاتلين في سبيله، وغير ذلك من الصفات التي رتب المحبة عليها.." (١)

"الخلة وموقعها من المحبة

وأما الخلة فهي أعلى أنواع المحبة، يقول الشاعر: قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فالخلة أعلى أنواع المحبة، وقد أثبتها الله تعالى لإبراهيم في قوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء:١٢٥] ، وثبت الحديث الذي سبق، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) ، فالخليلان هما محمد وإبراهيم حازا هذه المرتبة التي هي أعلى أنواع المحبة.

وقد تطلق الخلة فيما بين الآدميين، فقد حكى الله عن قول بعض الكفار وهو في النار: ﴿ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ [الفرقان:٢٨] يعني: أحبه محبة قوية.

وكذلك أخبر عن أهل المحبة الدنيوية وسماهم أخلاء، قال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف:٦٧] ، وعلى هذا فالخلة أعلى أنواع المحبة، وقد ثبتت من الله تعالى لإبراهيم ثم لمحمد صلى الله عليه وسلم، فهما الخليلان.

فمن يقول: إن محمدا حبيب الله، وإن إبراهيم خليل الله، وإن المحبة أعلى من الخلة فقد أخطأ، بل الخلة أعلى من المحبة فهي

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١١/١٥

أعلى صفاتها، وإبراهيم ومحمد كلاهما خليل الله تبارك وتعالى، وبقية المؤمنين والمتقين أحباء الله تعالى الذين **يحبهم ويحبونه**." (١)

"شبهة إنكار المحبة بين العبد وربه والرد عليها

المحبة من أعلى صفات الله الفعلية، الله تعالى يحب عباده، ويتخذ من يشاء منهم خليلا، فإبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم هما الخليلان اللذان اتخذهما الله لهذه الخلة التي هي من خصائصهما، وأما بقية الخلق فإنهم يحبون الله تعالى والله تعالى يحب المؤمنين ويحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين كما أخبر بذلك.

فالمحبة عامة للمؤمنين، والخلة خاصة بالخليلين، وهي من الله تعالى.

صفة الخلة وصفة المحبة عموما، أنكرتها الجهمية من الجانبين، فقالوا: الله لا يحب ولا يحب، أنكروا أن المؤمنين يحبون ربهم، وأنكروا أن الله يحبهم، لماذا؟ يقولون: إن المحبة لا تكون إلا بين اثنين بينهما تجانس، فالإنسان يحب إنسانا لأنه إنسان؛ ولأن بينهما تجانسا، وليس بين الرب وبين الخلق تجانس، يقولون: الرب قديم، والإنسان حادث، فما دام أن بينهما هذا التفاوت فلا يمكن أن يكون بينهما هذه المحبة التي هي خاصة بالمتجانسين.

هذه شبهة، ولا شك أنها شبهة باطلة، فالمؤمنون يجدون في قلوبهم المحبة، ويجدون من ربهم آثار هذه المحبة، فالله تعالى يحب عباده، ومن آثار هذه المحبة: أنه ينصرهم، ويكرمهم، ويؤيدهم، ويقويهم، ويعلي شأنهم، ويعلي كلمتهم، ويوفقهم، ويسدد خطاهم، أليس ذلك دليل من آثار المحبة؟ إذا رأيت إنسانا يكرم رجلا، ويقدسه، ويقدمه، ويدخله بيته دائما، ويزوره، ويستزيره، ويهدي له، ويقبل هديته، ويمدحه في المجالس، ألست تستدل على أنه يحبه؟ نعم، وتقول: هذا يحب فلانا، وبينهما محبة.

نحن نشهد آثار رحمة الله تعالى، نشهد أنه يوفق بعض عباده، وأنه ينصرهم ويؤيدهم، ويقويهم ويقوي عزائمهم، ويقوي قلوبهم، أليس ذلك من آثار المحبة؟ بلى؛ هذا دليل على أنه أحبهم حيث أظهرهم وقواهم ونصرهم وأيدهم، كما حصل لأولياء الله تعالى في كل مكان وزمان.

إذا: نستدل بآثار المحبة على وجودها، هذا لو لم ترد في الأدلة، فكيف والأدلة الشرعية كثيرة كقول الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، اجتمعت المحبتان: ((**يحبهم ويحبونه**)) ، وهذا رد على المعتزلة في الجهتين، هم يقولون: لا يحب ولا يحب، والآية أثبتت أنه يحبهم وأنهم يحبونه، ومن آثار محبته لهم: أنه ينصرهم ويؤيدهم ويقوي كلمتهم، وآثار محبتهم لربهم: أنهم يعبدونه، ويخلصون العبادة له، ويوحدونه ويطيعونه، ويطيعون أمره، ويعظمون شرعه، ويستعدون للقائه، ويعملون بشرائعه كلها، ويحذرون من أسباب غضبه، ويفعلون أسباب ثوابه، وهذا دليل على أنهم يحبونه.

كذلك أيضا محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم واجبة عليهم، وهي تابعة لمحبة الله تعالى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) .

نحن نحب هذا النبي صلى الله عليه وسلم، والكثير يقولون: نحن نحبه، ونشهد أنه رسول الله، لكن لهذه المحبة علامات، فلابد

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ١٥/١٢

أن تظهر في الذي يحبه علامات المحبة، ومن أبرزها طاعته واتباعه، قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١] .." (١)

"المؤمنون كلهم أولياء الرحمن

قال المؤلف: [قوله: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن) .

قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة.

وقد قرأ حمزة: (ما لكم من ولايتهم من شيء) بكسر الواو، والباقون بفتحها.

فقيل: هما لغتان.

وقيل: بالفتح النصرة، وبالكسر: الإمارة.

قال الزجاج: وجاز الكسر؛ لأن في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور، مثل: الخياطة ونحوها.

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة:٢٥٧] ، وقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد:١١] ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة:٧١] .

وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٥-٥٦] فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم.

فالله يتولى عباده المؤمنين، **فيحبهم ويحبونه**، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة.

وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال الله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ [الإسراء:١١١] ، فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعا، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره] .." (٢)

"موقف آل البيت من أبي بكر وعمر ومخالفة الرافضة لهم في ذلك

يعترف جميع أهل السنة بأفضلية عمر، ومن أهل السنة علي بن أبي طالب الذي تعظمه الشيعة، وترفع من قدره، وتعلي شأنه، وتغلو فيه الغلو الزائد، ومنهم من يدعوه من دون الله، فيزعمون أنه عدو لهؤلاء الخلفاء، وأنهم أعداء له، وأن من والى

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٤/٣٥

(٢) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٢/٤٩

عليا فلابد أن يعادي أبا بكر وعمر فإنهما ضدان، ويقولون: لا ولاء إلا ببراء، بمعنى أنك إذا واليت عليا فتبرأ من أبي بكر وعمر؛ لأنه لا يمكن أن توالي هذا وهذا في آن، فإنهما ضدان مفترقان، فنقول: كذبتم، بل هما صاحبان، بل هما أخوان، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة كلهم إخوة، وعلي واحد منهم، **يحبهم ويحبونه**، ويصلي خلفهم ويتولى ولايتهم، ويأخذ أعطياتهم، ويجالسهم، ويؤانسهم، ويكلمهم، ويصحبهم، ولم يظهر لهم عداوة، ولم يقاطعهم، ولم يهجرهم، ولكنكم أنتم –أيها الشيعة– نكست فطركم، وتغيرت أفهامكم، ورأيتم الحق باطلا والباطل حقا، وصوبتم ما كان خطأ، وزعمتم عداوة بين الصحابة لم تكن، وإنما العداوة والبغضاء منكم، فأنتم أهل الحقد وأهل البغضاء، كيف تجعلون بين الصحابة بغضاء وهي لم تحصل ولم تكن؟ ما هي العلامات التي تدل على أنها حصلت بينهم؟ يذكر العلماء أن الآثار شبه متواترة عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول على المنبر (أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) فيعترف بذلك ويصرح به على المنبر، سبحان الله! أين صرفت عقول هؤلاء الرافضة من هذا الأثر الذي يعتبر مشهورا غاية الشهرة؟! ومع ذلك يخالفونه، فيكفرون ويشتمون ويسبون هذين الخليفتين اللذين يعترف إمامهم وقدوتهم –في زعمهم– بفضلهما.

وهذا ولده محمد ابن الحنفية وهو أيضا ممن يغلون فيه؛ لأنه من أولاد علي، ولكن ليس كغلوهم في الحسن والحسين، فيسأل ابن الحنفية أباه ويقول: يا أبت! من أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيقول مستغربا: يا بني! أما تعرف؟! فيقول: لا، فيقول: أبو بكر، فيعترف علي بأن أفضل الأمة هو أبو بكر، ولفضله اتخذ واليا وخليفة عليهم، ولفضله سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يسأله: ثم من أفضل بعد أبي بكر؟ فيقول: عمر، وعلى هذا فـ عمر رضي الله عنه هو ثانيه في الخلافة، وهو ثانيه أيضا في الفضل، يقول محمد بن الحنيفة: قلت: ثم أنت يا أبتي! خشي أن يقول: ثم عثمان، وأحب أن يكون أبوه له الفضل، ولكن عليا رضي الله عنه تواضع غاية التواضع، وقال: ما أنا إلا واحد من أفراد المسلمين أو كما قال، مع أن له الفضل، وقد اختلف العلماء من أهل السنة في تفضيل عثمان وعلي، والخلاف في ذلك ليس مخرجا من الملة ولا يضلل به.." (١)

"منزلة أولياء الله

ذهب بعض المبتدعة إلى أن الأولياء أفضل من الأنبياء، سبحانك هذا بهتان عظيم، فالأولياء بم صاروا أولياء؟ ومتى نزل عليهم الوحي؟ الأولياء تولاهم الله وصاروا أولياءه عندما اتبعوا رسله، وأطاعوهم واتبعوا شريعته؛ فبذلك أصبحوا من أوليائه، فتولاهم الله، وتولى توفيقهم وحفظهم، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة:٢٥٧] وليهم أي: حافظهم، وهو الرقيب عليهم، وهو الموفق لهم، وقال تعالى: ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة:٢٢] حزب الله هم جنده، وهم عباده الصالحون، وهم الذين **يحبهم ويحبونه**، الذين شهد لهم بولايته، واتباعهم لأمره، وتقبل شرعه، وعلى هذا فالناس قسمان: ولي لله، وعدو لله، لا يخرج الإنسان من هذين القسمين، ومن تولاه الله حفظه، ومن عادى ربه خلى بينه وبين أعدائه، فصار وليا للشياطين تستهويه وتستحوذ عليه، وتغريه وتؤزه إلى الشر أزا ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ [مريم:٨٣] فمن لم يكن وليا لله فهو ولي للشيطان، وعلى هذا المنوال

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٥/٨٥

وضع شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه المشهور الذي طبع عدة مرار واسمه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجعل هذا الكتاب في بيان أولياء الله وعلامتهم، وأولياء الشيطان وعلامتهم، وبين أن كل من آمن بالله واتقاه حق تقواه، وحقق الإيمان به، فهو ولي لله تعالى ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٦] ، والله تعالى ذكر أن أولياءه هم المؤمنون المتقون، وذكر ثوابهم.

فقال الله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٢-٦٣] ، لا تفسر ولاية الله إلا بما فسرها به الله سبحانه، فأولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، فكل من حقق الإيمان بالغيب من الإيمان بالله والإيمان بالبعث والإيمان بالحساب والجزاء والإيمان بالقدر خيره وشره والإيمان بالملائكة والكتب والرسل، والإيمان بكل ما أخبر الله تعالى به، وكذلك ظهرت عليه آثار هذا الإيمان من العمل والاستعداد، وكذلك حقق تقوى الله ومخافته ورجاءه، وعمل بطاعته؛ فإنه من أولياء الله، وأما من خالف ذلك ولم يطع أمر الله بل خالفه، وعاند وعصى، وطغى وبغى؛ فإنه من أولياء الشيطان.

إذا: أولياء الله هم كل المؤمنين، وكل المتقين، فكلهم أولياء لله، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي ولاية الله: (يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ، فجعل ولي الله تعالى هو الذي يواليه ويتولاه، ومن عاداه فإنه حرب لله، وأي شخص يقوى على محاربة الله؟! وصريح الحديث: أن أولياء الله يتولاهم ربهم وينصرهم ويعزهم ويحميهم على من خالفهم، وعلى من خرج عليهم، وكذلك في القرآن: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة:٥٥] ، وإذا كان الله ولينا فإننا أولياء الله، وإذا كان الرسول ولينا فنحن نتولاه، وإذا كان المؤمنون أولياء بعضهم من بعض فإنهم أولياء الله، وقد ذكر الله تعالى ولاية المؤمنين بعضهم لبعض فقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة:٧١] يعني: ينصر بعضهم بعضا، ويؤيد بعضهم بعضا، ويحمي بعضهم بعضا، ويتناصرون فيما بينهم؛ وذلك لأنهم جميعا أولياء الله، فكل منهم يتولى الآخر وينصره، ويحرصون على اكتساب ولاية الله بهذه الأمور التي هي ولاية من تولاه الله، ومحبته ونصرته، والقرب منه، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في الأثر المشهور: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك.

من أراد أن ينال ولاية الله وأن يكون من أولياء الله؛ فليحب أولياء الله وليوالهم وليقرب منهم، وليعاد أعداء الله وليقاطعهم وليبتعد عنهم، وبذلك ينال العبد ولاية الله له، ويكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.." (١)

"وفي وصف أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، مدح عظيم لهم، وجمع بين الوصفين على سبيل الاحتراس، فهم ليسوا أشداء مطلقا، ولا رحماء مطلقا، وإنما شدتهم على أعدائهم، ورحمتهم لإخوانهم في العقيدة، وشبيه بهذه الآية قوله- تعالى- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ... «١» .

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين؟ ابن جبرين ٢/٩١

قال صاحب الكشاف: «وعن الحسن أنه قال: «بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم، أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه..» «٢» .

وأسمى من هذا كله في بيان تراحمهم قوله- تعالى-: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...

ثم وصفهم بوصف آخر فقال: تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا.

أى: تراهم وتشاهدهم- أيها العاقل- راكعين ساجدين محافظين على الصلاة ولا يريدون من وراء ذلك إلا التقرب إلى الله- تعالى- والظفر برضاه وثوابه..

ثم وصفهم بوصف ثالث فقال: سيماهم في وجوههم من أثر السجود.. أى: علامتهم وهو نور يجعله الله- تعالى- في وجوههم يوم القيامة، وحسن سمت يعلو وجوههم وجباههم في الدنيا، من أثر كثرة سجودهم وطاعتهم لله رب العالمين.

فالمقصود بهذه الجملة بيان أن الوضاءة والإشراق والصفاء.. يعلو وجوههم من كثرة الصلاة والعبادة لله، وليس المقصود أن هناك علامة معينة- كالنكتة التي تكون في الوجه- كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان.

واختار- سبحانه- لفظ السجود، لأنه يمثل أعلى درجات العبودية والإخلاص لله- تعالى-.

قال الآلوسى: «أخرج ابن مردويه بسند حسن عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في قوله- تعالى-: سيماهم في وجوههم من أثر السجود النور يوم القيامة» .

ثم قال الآلوسى: ولا يبعد أن يكون النور علامة على وجوههم في الدنيا والآخرة- للآثار

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٤٦.." (١)

"ففي هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه- سبحانه- نفى حبه عن الكافرين، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه، ولأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولى وهو أفحش أنواع الإعراض، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيدا عن محبة الله.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس في النفوس إخلاص العبادة الله، والخشية من عقابه، والأمل في ثوابه، والإكثار من العمل الصالح الذي يؤدى إلى رضا الله ومحبته.

وبعد هذا الحديث الحكيم المتنوع- من أول السورة إلى هنا- عن وحدانية الله، وقدرته النافذة وعلمه المحيط، وعن أحقيته للعبادة والخضوع، وعن الكتب السماوية وما اشتملت عليه من هدايات وعن محكم القرآن ومتشابهه، وعن رعاية الله- تعالى- لعباده المؤمنين، وعن تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم، وعن الشهوات التي يميل الإنسان بطبعه إليها وعما هو أفضل منها، وعن دين الإسلام وأنه هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وعن بعض الرذائل التي عرفت

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ٢٨٧/١٣

عن أكثر أهل الكتاب، وعن حث الناس على مراقبة الله- تعالى- وإخلاص العبادة له حتى يكونوا ممن **يحبهم ويحبونه** فيسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم.. بعد كل ذلك تحدث القرآن- في أكثر من ثلاثين آية- عمن اصطفاهم الله من عباده، وعن جانب من قصة مريم، وقصة زكريا وابنه يحيى- عليهما السلام- وعن قصة ولادة عيسى- عليه السلام- وما صاحبها من خرق للعادات، وما منحه- سبحانه- من معجزات وعن محاجة الكافرين من أهل الكتاب في شأنه وكيف رد القرآن عليهم.. استمع إلى القرآن الكريم وهو يحكى ذلك بأسلوبه البليغ المؤثر فيقول:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٣٣ الى ٣٧]

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (٣٤) إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧)." (١)

"والإخلاص فهم يلتمسون منه- سبحانه- أن يخرجهم من بطش الظالمين وحكمهم، وأن يجعلهم تابعين للقوم الذين **يحبهم ويحبونه**، وهم المؤمنون، وأن يهيئ لهم النصر على أعدائهم وأعدائه.

ولقد استجاب الله- تعالى- لهم دعاءهم، حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة، ورزق المؤمنين فتحا قريبا، وإلى ذلك أشار صاحب الكشاف بقوله: «والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين ... وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه، فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي، ونصرهم أقوى النصر.

فإن قلت: لم يذكر الولدان: قلت: تسجيلا بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين، إرغاما لآبائهم وأمهاتهم، ومبغضة لهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء «١» .

ثم ساق- سبحانه- لونا آخر من تحريضهم على الجهاد وهو تحديد الهدف الذي يقاتل من أجله كل فريق فقال: الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا أى أنتم- أيها المؤمنون- إذا قاتلتم فإنما تقاتلون وغايتكم إعلاء كلمة الله، ونصرة الحق الذي جاء به رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم.

أما أعداؤكم الكافرون فإنهم يقاتلون من أجل طاعة الشيطان الذي يأمرهم بكل بغى وطغيان، وإذا كان هذا حالكم وحالهم فعليكم- أيها المؤمنون- أن تقاتلوا أولياء الشيطان بكل قوة وصدق عزيمة إن كيد الشيطان كان ضعيفا أى. إن كيد

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ٢/٨٣

الشيطان وتدبيره كان ضعيفا، لأن الشيطان ينصر أولياءه، والله- تعالى- ينصر أولياءه، ولا شك أن نصرة الله- تعالى- لأوليائه أقوى وأشد من نصرة الشيطان لأوليائه.

فقوله- تعالى- الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد ببيان الغاية والهدف الذي يعمل من أجله كل فريق، وببيان أن المؤمنين ستكون عاقبتهم النصر والظفر لأن الله وليهم وناصرهم.

والفاء في قوله فقاتلوا للتفريع، أى إذا كانت تلك غايتكم أيها المؤمنون وتلك هي غاية

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٣٤." (١)

"[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

قوله- تعالى- من يرتد من الارتداد. ومعناه: الرجوع إلى الخلف ومنه قوله- تعالى- ردوها علي أى: ارجعوها على. وقوله: إن الذين ارتدوا على أدبارهم.

والمراد بالارتداد هنا: الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر والضلال، والخروج من الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الأباطيل والأكاذيب.

قالوا: وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن من الذين دخلوا في الإسلام من سيرتد عنه إلى غيره من الكفر والضلال، وقد كان الأمر كما أشارت الآية الكريمة فقد ارتد عن الإسلام بعض القبائل كقبيلة بنى حنيفة- قوم مسيلمة الكذاب- وقبيلة بنى أسد، وقبيلة بنى مدلج وغيرهم.

وقد تصدى سيدنا أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين الصادقين للمرتدين فكسروا شوكة الردة، وأعادوا لكلمة الإسلام هيبتها وقوتها.

قال الآلوسى ما ملخصه: هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها- وقد وقع المخبر به على وفقها فيكون معجزا- فقد روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة.

ثلاث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهم: «بنو مدلج، ورئيسهم الأسود العنسي و «بنو حنيفة» قوم مسيلمة الكذاب و «بنو أسد» قوم طليحة بن خويلد الأسدى. وسبع في عهد أبى بكر وهم:

فزارة. وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وبعض بنى تميم، وكنده، وبنو بكر ابن وائل.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ٢٢٠/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ١٩٦/٤

"وارتدت فرقة واحدة في عهد عمر وهي قبيلة «غسان قوم جبلة بن الأيهم» «١» .

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا يتخذ أحد منكم أحدا من أعداء الله وليا ونصيرا لأن ولايتهم تفضى إلى مضرتكم وخسرانكم. بل وإلى ردتكم عن الحق الذي آمنتم به، ومن يرتدد منكم عن دينه الحق إلى غيره من الأديان الباطلة فلن يضر الله شيئا، لأنه- سبحانه- سوف يأتى بقوم آخرين مخلصين له، ومطيعين لأوامره، ومستجيبين لتعاليمه. بدل أولئك الذين ارتدوا على أدبارهم، وكفروا بعد إيمانهم. قال- تعالى-: وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم «٢» .

ولفظ فسوف جيء به هنا لتأكيد وقوع الأمر في المستقبل، إذا ما ارتد بعض الناس على أدبارهم.

وقد وصف الله- تعالى- أولئك القوم الذين يأتى بهم بدل الذين كفروا بعد إيمانهم، وصفهم بعدد من الصفات الحميدة، والسجايا الكريمة.

وصفهم- أولا- بقوله: **يحبهم ويحبونه:**

ومحبة الله- تعالى- للمؤمنين هي أسمى نعمة يتعشقونها ويتطلعون إليها، ويرجون حصولها ودوامها. وهي- كما يقول الآلوسى- محبة تليق بشأنه على المعنى الذي أراده.

ومن علاماتها: أن يوفقهم- سبحانه- لطاعته، وأن ييسر لهم الخير في كل شئونهم.

ومحبة المؤمنين لله- تعالى- معناها: التوجه إليه وحده بالعبادة، واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به، والاستجابة لتعاليمه برغبة وشوق.

وقوله: يحبهم جملة في محل جر صفة لقوم. وقوله «ويحبونه» معطوف على يحبهم.

وقدم- سبحانه- محبته لهم على محبتهم له، لشرفها وسبقها، إذ لولا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.

وصفهم- ثانيا- بقوله: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

وقوله: أذلة جمع ذليل، من تذلل إذا تواضع وحنا على غيره، وليس المراد بكونهم أذلة أنهم مهانون، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين.

وقوله: أعزة جمع عزيز وهو المتصف بالعزة بمعنى القوة والامتناع عن أن يغلب أو يقهر

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٦٠.

(٢) سورة محمد. الآية الأخيرة.." (١)

"والإرادة الكونية القدرية هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات، التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) [الأنعام: ١٢٥] . وقوله: (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم. إن كان الله يريد أن يغويكم) [هود: ٣٤] . وقوله: (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [البقرة: ٢٥٣] . وقوله: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي؟ محمد سيد طنطاوي ١٩٧/٤

لا قوة إلا بالله) [الكهف: ٣٩] .

وهذه الإرادة إرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الكائنات، فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله ومشيئته هذه، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين **يحبهم ويحبونه**، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون (١) .

وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث منها (٢) .

والمخلوقات مع كل من الإرادتين أربعة أقسام:

الأول: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع، فأمره وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك ما كان.

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من

(١) راجع: شرح الطحاوية: ص ١١٦ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٨ /١٩٨، ٥٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٨/١٩٨.." (١)

"واعلم – رحمك الله – أن كلامه، وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلالة في ضلالة لا تخرج عن الملة، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين.

الأول: غلظ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ ما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد في قلوب الناس: أن الرافضي عندهم ولو كان عالما عابدا أبغض وأشد ذنبا من السني المجاهر بالكبائر.

الثاني: أن البدع تجر إلى الردة الصريحة، كما وجد من كثير من أهل البدع.

فمثال البدع التي شددوا فيها: مثل تشديد النبي – صلى الله عليه وسلم – فيمن عبدالله عند قبر رجل صالح، خوفا مما وقع من الشرك الصريح، الذي يصير به المسلم مرتدا، فمن فهم، فهم الفرق بين البدع، وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة، ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة:٧٤].

وقال ابن وضاح: «في كتاب البدع والحوادث» بعد حديث ذكره: أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة.." (٢)

"فقال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم

(١) القضاء والقدر للأشقر؟ سليمان الأشقر، عمر ص/١٠٧

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٥٩

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٤ — ١٥].

وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذي يعبد الله فيها على حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ [الحج: ١١] وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ [محمد: ٣١].

وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان، الصابرون على الامتحان، كما قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران: ١٤٤]، إلى قوله: ﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٤٨].

فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع مع يقضي له من." (١)

"قال الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾ [الأنفال: ٣٩] فإذا استقر التوحيد وأحكامه في تلك القرية قاتلوا بها من بعدها ... ولا شك أن قتال المرتدين عن التوحيد، أو الشرائع، أو الشعائر من أهم وأظهر خصائص هذا الدين، قال الله تعالى متوعدا المرتدين: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

والآن نفسح المجال للإمام الشيخ حسين بن غنام –رحمه الله تعالى– في كتابه الرائع «تاريخ نجد» المسمى «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» ليبين لنا سبب ردة أهل «حريملا» وعلة قتالهم، ولكن قبل الشروع في المقصود لا بد أن نشير إلى أن الشيخ ابن غنام كان معاصرا لإمام الدعوة، بل وكان من أتباعه المقربين إليه، وقد كتب هذا المرجع الذهبي الهام بطلب من الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وبهذا أصبح هذا الكتاب الفريد في بابه أصح واصدق ما كتب عن تاريخ الدعوة المباركة، وكل من كتبوا بعده حول هذا الموضوع فهم عيال على الشيخ حسين بن غنام، ولذلك فلقد تعين النصح بوجوب الاهتمام بهذا الكتاب، من قبل الذين يريدون فهم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومراحلها التي مرت بها.." (٢)

"وإن تتولوا عن البيان العظيم، فسوف يستبدل الله بكم غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم. قال الله تعالى متوعدا المدبرين عن دينه، الموالين لأعدائه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٦٨

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٧٣

المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].." (١)

"الثاني: أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع.

فمثال البدع التي شددوا فيها: مثل تشديد النبي – صلى الله عليه وسلم – فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، خوفا مما وقع من الشرك الصريح، الذي يصير به المسلم مرتدا، فمن فهم، فهم الفرق بين البدع، وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة، ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي أنزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة: ٧٤] (٤٠/ش).

فسيرة أهل الحق واضحة وبينة ومحفوظة، وضاربة بعمق في جذر تاريخ البشرية، ومحفوظة، ليحيا من حي عن بينة ... ويهلك من هلك عن بينة.

اللهم بلغت ... اللهم فاشهد ... اللهم فاشهد .... اللهم فاشهد ....

(٤٠/ش) قوله تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ نص قطعي الثبوت والدلالة على أن الكفر والردة عن الإسلام يقع بكلمة، وهذا من أدلة أهل السنة القائلين: بأن الكفر يقع بالقول وبالعمل، وبالاعتقاد.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في أثناء رده على غلاة." (٢)

"فقال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥] وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجه عند الفتنة الذي يعبد الله فيها على حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ [الحج: ١١].

وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾ [محمد: ٣١].

وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٢٣٤

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٤٩١

وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان، الصابرون على الامتحان؛ كما قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى قوله: ﴿والله يحب." (١)

"٧_المحبة: أي المحبة لهذه الكلمة العظيمة، ولما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله"ويقدم محبتهما على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها، فيحب الله محبة مقرونة بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، فيحب ما يحبه الله من الأمكنة؛ كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمساجد_عموما_، والأزمنة؛ كرمضان، وعشر ذي الحجة، وغيرها، وما يحبه من الأشخاص كالأنبياء، والرسل، والملائكة، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وما يحبه من الأفعال كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأقوال كالذكر وقراءة القرآن.

ومن المحبة_أيضا_تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها، وذلك لأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره.

ومن لوازم تلك المحبة أن يكره ما يكرهه الله ورسوله؛ فيكره الكفار، ويبغضهم، ويعاديهم، ويكره الكفر، والفسوق، والعصيان.

قال_تعالى_[يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم] (المائدة:٥٤) .

وقال: [لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم] (المجادلة:٢٢) .

وقال_تعالى_: [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين] (التوبة:٢٤) .." (٢)

"قال ابن القيم×: =وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير الشأن؛ فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها، ومعبودها، ووليها، ومولاها، وربها، ومدبرها، ورازقها، ومميتها، ومحييها؛ فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن؛ فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه.

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة+.

إلى أن قال: =ووجدان هذه الأمور، وذوقها هو بحسب قوة المحبة، وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب، والقرب منه.

وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر كانت الحلاوة، واللذة، والنعيم أقوى.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد؟ مدحت آل فراج ص/٥٢٩

(٢) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ٦/٢٥

يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذوق والوجد.

ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حبا لغيره، ولا أنسا به.

وكلما ازداد له حبا ازداد له عبودية، وذلا، وخضوعا، ورقا له، وحرية من رق غيره+ (١) .

صفات المحبوبين لله:

الله عز وجل يحب ويحب، قال الله تعالى: [فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه]** (المائدة: ٥٤) .

وإليك فيما يلي إجمالا لبعض صفات الذين خصهم الله بالمحبة:

١_ التوابون.

٢_ المتطهرون.

٣_ المتقون.

٤_ المحسنون.

٥_ الصابرون.

٦_ المتوكلون.

٧_ المقسطون.

٨_ الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بينان مرصوص.

٩_ الأذلة على المؤمنين.

١٠_ الأعزة على الكافرين.

١١_ المجاهدون في سبيل الله.

١٢_ الذين لا يخافون لومة لائم.

---

(١) إغاثة اللهفان ص٥٦٧.." (١)

"التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي

وقوله: (ولا شيء مثله).

هذا معتبر بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١]، وهذا من النفي المجمل في القرآن، والله سبحانه وتعالى لما ذكر ما يتعلق بأسمائه وصفاته ذكرها مفصلة مثبتة، وذكر النفي مجملا إلا في مواضع، كقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥]، وكقوله: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩].

ومن قواعد أهل السنة والجماعة في الصفات: أنهم يقولون: إن الله موصوف بالإثبات والنفي؛ والإثبات يقع مفصلا ويقع مجملا، ولكن الأصل فيه في القرآن هو التفصيل.

---

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ٨/٥

والنفي يقع مفصلا ومجملا، ولكن الأصل فيه الإجمال.

أما الإثبات المفصل: فهو ما ذكر في القرآن من ذكر أسماء الله سبحانه وتعالى؛ كقوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام﴾ [الحشر:٢٣] ..

الآيات، وكذلك ما ذكر من الصفات، كقوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] ..

إلى غير ذلك.

ويقع الإثبات مجملا، وهو في الأسماء في مثل قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف:١٨٠]، وفي الصفات في مثل قوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل:٦٠]، وعند هذه الآية قرر أهل السنة والجماعة -ولا سيما من تأخر كـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو الكمال المطلق؛ فإن الخالق أولى به. وإنما تكلم المتأخرون بهذا التفصيل -كـ شيخ الإسلام - مع أنك إذا تتبعت هذه الأحرف قد لا تجدها في كلام السلف، لأن مصطلح القياس من حيث اللغة العربية يقتضي نوعا من التشابه أو التماثل، وإلحاق شيء بشيء، فلم يكن معتبرا في مسائل الصفات، ولكن لما تكلم أهل الاصطلاح بمصطلح القياس على معنى قياس الشمول، وقياس التمثيل، وقياس الأولى، إلى غير ذلك؛ صار كثير من أهل الكلام يعتبرون مذهبهم بنوع هو عند التحقيق من قياس الشمول أو قياس التمثيل، مع أنهم لا يسلمون بذلك، لكن هذا هو حقيقة المذهب، فلما وردت مسائل في القياس، وهل يستعمل القياس في حق الله وصفاته؛ قال من قال من المتأخرين من أهل السنة والجماعة: إنه يستعمل في حقه سبحانه وتعالى قياس الأولى، وهو أن كل كمال مطلق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فإن الخالق أولى به.

ومأخذهم في هذا القياس هو قوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل:٦٠]، مع أن تسميته (مثلا) أصح، وينبغي ألا يسمى قياسا إلا إذا قصد بذلك البيان للمخاطب، أو إذا قيل: أيصح استعمال قياس الأولى في حق الله سبحانه؟ فيقال: نعم، ولكن يسمى (مثلا أعلى) ولا يسمى قياسا اقتداء بحرف القرآن؛ ولأن القياس لفظ حصل فيه اشتراك وإجمال، وجميع صور القياس لا تليق بالله سبحانه وتعالى، وإنما يستخدم في حقه قياس الأولى.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التدمرية: (ويتحقق هذا بأصلين شريفين ومثلين مضروبين)، ثم ذكر الروح ونعيم الجنة، فالمثلان المضروبان هنا هما من باب قياس الأولى، لكن سماهما (مثلا) اقتداء بحرف القرآن.

وأما النفي المجمل في القرآن فهو المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١]، وأما النفي المفصل فهو المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩] ..

إلى غير ذلك.

والنفي المجمل هو الأصل، وأما النفي المفصل فهو فرع عن الإثبات، بمعنى: أنه ليس في القرآن نفي مفصل يراد به النفي المحض، أي: النفي الذي لا يتضمن أمرا ثبوتيا، ومن هنا قيل: إن النفي المفصل في القرآن فرع عن الإثبات، فمثلا: قوله

تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩] أي: لكمال عدله، فتضمن النفي إثبات العدل، وهكذات ..

وعليه: فكل نفي مفصل في القرآن فلابد من أن يتضمن أمرا ثبوتيا.." (١)

"أصلان مهمان في باب الأسماء والصفات

وهنا أصلان مهمان من كلام شيخ الإسلام في باب الأسماء والصفات، ذكره في درء التعارض ولخصه في التدمرية، يقول رحمه الله: (وجمهور الغلط الذي حار فيه كثير من الأذكياء في مسألة الصفات هو ظنهم أن الاشتراك في الاسم المطلق يلزم منه المماثلة عند الإضافة والتخصيص).

بيان هذا الكلام: أن الله سبحانه سمى نفسه فقال: ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ [النساء:٥٨] وقال عن عبده: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان:٢] وقال عن نفسه وعنهم: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]، وقال: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾ [الحشر:٢٣] فسمى نفسه الملك، وقال عن عبده: ﴿وقال الملك﴾ [يوسف:٤٣]، وسمى نفسه العزيز وقال عن عبده ﴿قالت امرأة العزيز﴾ [يوسف:٥١]، وقال: ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ [الأنفال:٣٠]، إلى غير ذلك.

فالملك والرضا والمحبة ..

هذه أسماء مطلقة، أي: لم تضف ولم تخصص ولم تقيد، لكن إذا أضيف اللفظ فقيل: رضا الله، صارت الصفة متعلقة بموصوفها، وإذا قيل: رضا زيد صارت الصفة متعلقة بموصوفها، فيمتنع أن يكون الرضا اللائق بالله هو الرضا اللائق بزيد؛ لأن بين الموصوفين تباينا، فيلزم أن تكون الصفة في الموصوف الأول مباينة للصفة في الموصوف الثاني، وإن كان الاسم مشتركا.

يبين ذلك ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: (ويتبين هذا الأصل بأصلين شريفين ومثلين مضروبين: الأصل الأول أن القول في الصفات كالقول في الذات).

لفظ الذات لم يستعمل في الكتاب ولا في السنة، وأصل الذات هو مؤنث (ذو) الذي هو من الأسماء الخمسة، التي تستعمل مضافة، فتقول: ذو علم، وذو سمع، وذو بصر، فلفظ الذات في الأصل لفظ حادث، ولكنه استعمل في كلام طائفة من أهل العلم على مقصد صحيح.

فالقول في صفات الله كالقول في ذاته، وإن شئت فقل: فرع عن القول في الذات، وهذا رد على المعتزلة والجهمية.

قال: (الأصل الثاني: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر)، فمن زعم في صفة الإرادة أو المحبة أو الغضب أنه يلزم منها التشبيه فيلزمه هذا في صفة العلم، وصفة السمع وغيرها مما يثبته.

قال: (والمثل الأول: نعيم الجنة، فالله أخبرنا أن في الجنة خمرا وماء وعسلا، والدنيا فيها خمر وماء وعسل)، فالاسم واحد وفيه اشتراك، وأما الحقائق فبينها اختلاف، فإذا كان الاشتراك في الاسم الواحد بين المخلوقات لا يلزم منه تماثلها فبين الخالق والمخلوق من باب أولى.

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ١١/١

قال: (والمثل الثاني: الروح، وقد وصفت بصفات، اشتركت فيها مع الجسد في الاسم مع تباينها في الحقيقة، فكذلك الخالق والمخلوق من باب أولى).." (١)

"إثبات صفة المحبة لله عز وجل

ثم قال رحمه الله: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليما إيمانا وتصديقا وتسليما) .

يقول رحمه الله: (نقول) أي: في عقدنا وما ندين الله به وما نتعبد له سبحانه وتعالى به: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، (اتخذ) أي: اصطفى وصير إبراهيم خليلا له سبحانه وتعالى، وفي هذا إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، إثبات أنه يحب وأنه يحب؛ لأنه إنما اصطفاه وصيره خليلا له لكونه يحبه، ففي هذا إثبات أنه سبحانه وتعالى يحب عباده وأن عباده يحبونه، وقد أنكر الجهمية أن يحب الله عز وجل عباده أو أن يحبوه، فقالوا: لا يحب ولا يحب، نسأل الله ألا يحرمنا فضله، لماذا قلتم كذا؟ قالوا: لأنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق؛ وإنما يحب الإنسان ما يناسبه، فالمحبة تكون بين المتناسبين، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق، فضلوا بهذا ضلالا مبينا حيث أنكروا ما أثبته الله في كتابه، فإن الله أثبت أنه يحب من عباده، وأنه يحب منهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] ، وفي غير ما آية قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٤] ، وقال: ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥] ، وقال: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢] والآيات في إثبات محبة الله لعباده كثيرة.

وأما محبة العباد لله فهي ثابتة أيضا في قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] ، وفي قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ، وهذا فيه إثبات المحبة من الله لعباده، ومن العباد للرب جل وعلا.

فيقال لهؤلاء الضالين: أي مناسبة للمحبة أعظم من مناسبة خلق الله إياك، ورزقه إياك، وإمدادك بكل خير؟! إن مناسبة الخلق أعظم مناسبة؛ لأنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان أنه خلقه وأوجده من العدم، ورزقه وأمده بالخيرات، وعافاه وأصلح شأنه وتولى أمره، فهو الرب جل وعلا الذي بلغ بالإنسان غاية الكمال، فتدرج به في مدارج الفضل والإحسان إلى أن بلغه درجة الكمال في الخلق، ودرجة الكمال في الاهتداء، حيث دله وهداه الصراط المستقيم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد:١٠] ، فمن ضل بعد ذلك فإنما يضل على نفسه، لكن الله جل وعلا دل الناس على سبيل النجاة.

فأعظم مناسبة هي ما بين الخالق والمخلوق، ولكن كما قال الله جل وعلا: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٦] نعوذ بالله من الخذلان! وضل في هذه الصفة -صفة المحبة- مثبتة الصفات حيث قالوا: إن الله لا يحب المحبة التي يثبتها أهل السنة والجماعة، إنما محبة الله إرادته الثواب؛ لأنهم لا يثبتون الصفات الفعلية لله جل وعلا، والمحبة صفة فعلية؛ لأنها معلقة بالمشيئة، فمن شاء الله أحبه، ومن شاء لم يحبه.

والصحيح هو: ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة العظيمة للرب سبحانه وتعالى.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٣/٤

(٢) شرح الطحاوية لخالد المصلح؟ خالد المصلح ٧/١٢

"فإن هذا بلاشك يخالف أهل الرغبات، وأهل الشهوات، فيدعو الناس إلى لومه -وهذا شيء طبيعي- وهذه هي المحبة الحقيقية: أن يطبق الإنسان السنة، وليس التعرض للوم هو المقصود بل المراد بهذا أن نفهم حقيقة محبة الله -سبحانه وتعالى- التي قال الله -تبارك وتعالى- فيها: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** [المائدة:٥٤] فأول صفة: **يحبهم ويحبونه**.

من كان عاملا بالسنة فقد تعرض للوم والأذى

ولما ذكر الله الآية السابقة قال في الأخير: ولا يخافون لومة لائم معنى ذلك: أن المحبة الحقيقية لله لا بد أن يتبعها لوم اللائم، ولو طبقت السنة في نفسك فقط لوجدت اللوم والأذى مع أنك لم تدع أحدا! فكيف إذا دعوت إلى الله -تبارك وتعالى- كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم؟! وهذا مما ينبغي أن ينبه إليه وهو: أن أهل الانحراف والزيغ يريدون منك أن تكف عن دعوتهم، فيقولون لك إن كنت تدعوهم: لم يقل لك أحد لاتصل! بل صل، واعف لحيتك، وقصر ثوبك.

فهم يريدون في هذه المرحلة، أن يكتفي الإنسان بإصلاح نفسه ويترك غيره، فإذا فعل الإنسان السنة وانهزم عن دعوتهم لا يقتنعون بهذا، بل يأتون إليه، ويقولون له: لماذا تفعل هذا الشيء فتعرض نفسك للنقد، ولشتيمة الناس ولكذا وكذا؟ ولا يرضون لك حتى تصبح مثلهم، وهذا هو شأن المنافقين وأتباعهم، فإن الناس في النفاق درجات كما قال الله تعالى: ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء [النساء:٨٩] فهذا هو حالهم وشأنهم.." (١)

"[المسألة الأولى] :

الله – عز وجل – اتخذ إبراهيم خليلا، بمعنى أنه سبحانه وتعالى اتصف بأنه أحب إبراهيم عليه السلام، وأحبه حتى جعله خليلا له وهو الحب الخاص.

والمحبة هي القدر المشترك بين معان كثيرة، وقد ذكر ابن القيم وجماعة أن المحبة لها عشر مراتب وفصلوها؛ لكن هذا لا يعنينا في هذا المقام، وإنما الذي يعني أن الخلة أخص من المحبة.

فصفة محبة الرب – عز وجل – لعباده المؤمنين هذه ثابتة بالكتاب والسنة في أحاديث كثيرة وفي آيات كثيرة، كقول الله – عز وجل – ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، فهذه محبة الرب – عز وجل – لهؤلاء، وكذلك في صفات من يحبهم الله – عز وجل – قال ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢] ، ونحو ذلك ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤] .

فالمحبة صفة جاءت في أدلة كثيرة، كذلك في السنة كما في حديث سهل بن سعد المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر في فتح خيبر قال «لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه» (١) فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصفة المحبة ثابتة، أما الخلة فهي محبة خاصة، ولذلك كل من نفى المحبة فإنه ينفي الخلة؛ لأن الخلة أخص، وليس كل من

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي؟ سفر الحوالي ص/٥١٢

نفى الخلة فإنه ينفي المحبة؛ لأنهم قالوا: إن الخلة تتخلل النفس وفيها نوع من المعنى الذي لا يليق بالرب – جل جلاله –.
ولهذا نقول: إنه في صفات الرب – عز وجل – لما ثبتت صفة المحبة بالكتاب والسنة فإن صفة الخلة واتخاذ إبراهيم عليه السلام خليلا واتخاذ محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما في حديث «ولكن صاحبكم خليل الرحمن» (٢) هذا في المعنى واحد لأن أصل الصفة وهي المحبة ثابت باضطراد.

فالخلة محبة خاصة نثبتها كما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) البخاري (٢٩٧٥) / مسلم (٤٧٧٩) / الترمذي (٣٧٢٤)

(٢) مسلم (١٢١٦) / الترمذي (٣٦٥٥) / ابن ماجه (٩٣)." (١)

"[المسألة الثالثة] :

افترقت هذه الأمة في هذه المسألة العظيمة وهي مسألة التكفير إلى ثلاث طوائف.

طائفتان ضلتا، وطائفة هي الوسط وهي التي على سبيل الجماعة، وهذه الطوائف الثلاث هي:

١ – الطائفة الأولى:

من كفر بكل ذنب، وجعل الكبيرة مكفرة وموجبة للخلود في النار، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة وطوائف من المتقدمين ومن أهل العصر أيضا ممن يشركهم في هذا الأصل والعياذ بالله.

٢– الطائفة الثانية:

من قالت: إن المؤمن لا يمكن أن يخرج من الإيمان إلا بانتزاع التصديق القلبي منه وحصول التكذيب، وهؤلاء هم المرجئة وهم درجات وطوائف أيضا.

وهذا مبني على أصلهم في أن الإيمان هو تصديق القلب فلا ينتفي الإيمان عندهم إلا بزوال ذلك التصديق.

وهذا أيضا غلط؛ لأدلة ربما تأتي إن شاء الله تعالى.

٣– الطائفة الثالثة:

وهم الوسط الذين نهجوا ما دلت عليه الأدلة، وأخذوا طريقة الأئمة التي اقتفوا فيها هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فقالوا:

إن الملي والواحد من أهل القبلة قد يخرج من الدين بتبديله في الدين ومفارقته للجماعة بقول أو عمل أو اعتقاد أو شك.

وهذا هو الذي أورده الأئمة في باب حكم المرتد، وقالوا:

إن هذا يدخل في تبديل الدين الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم «من بدل دينه فاقتلوه» ، ويدخل في قول الله – عز وجل – ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] آية البقرة ونحو ذلك، فدل ذلك على أن المؤمن المسلم قد يحصل منه ردة.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل؟ صالح آل الشيخ ص/٢٩٥

وهذه الردة لها شروطها ولها موانعها بتفصيل لهم في كتب الفقه في باب حكم المرتد.

فعند أهل السنة والجماعة:

-لا يتساهل في أمر التكفير بل يحذر منه ويخوف منه.

-وأيضا لا يمنعون تكفير المعين مطلقا؛ بل من أتى بقول كفري يخرجه من الملة أو فعل كفري يخرجه من الملة أو اعتقاد كفري يخرجه من الملة أو شك وارتياب يخرجه من الملة، فإنه بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع يحكم عليه العالم أو القاضي بما يجب من الردة ومن القتل بعد الاستتابة في أغلب الأحوال.." (١)

"٤ - صفة المحبة لله - عز وجل -:

يقرر الشيخ - رحمه الله - صفة المحبة لله - عز وجل - وأن السلف يثبتونها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأن النصر والموالاة ونحو ذلك من آثار محبة الله (١).

وهي صفة لله - عز وجل - فعلية اختيارية ثابتة بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥)﴾ البقرة: ١٩٥.

- وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ المائدة: ٥٤.

ومن السنة:

- حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -: (... لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ...) (٢).

- حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: (إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي) (٣).

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة المحبة لله - عز وجل -، ويقولون: هي صفة حقيقية لله - عز وجل -، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ كما يقول المؤولة. كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعبادة ومحبتهم له، كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ البقرة: ١٦٥، وقوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ المائدة: ٥٤، وقوله: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ التوبة: ٢٤

---

(١) ينظر: التعليق على تفسير الجلالين (ص ٩٦، ١٧١).

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل؟ صالح آل الشيخ ص/٣٥٣

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، برقم (٣٠٠٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي، برقم (٢٩٦٥).

(٤) صفات الله – عز وجل – الواردة في الكتاب والسنة (ص ١٠٤).." (١)

"الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: [الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران، وهي قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] الآية.

وآية في سورة المائدة، وهي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] الآية.

وآية في سورة يونس، وهي قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٢-٦٣] ، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن أولياء الله لابد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم، ولابد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم، يا ربنا! نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء] .

هذا هو الأصل الخامس من هذه الأصول الستة المفيدة العظيمة، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في هذا الأصل: [بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار] .

هذا كالعنوان لهذا الأصل؛ فإن الشيخ رحمه الله يريد أن يقرر في هذا الأصل أن القرآن الكريم قد بين بيانا واضحا لا لبس فيه ولا اشتباه، ولا شك في الفرق بين أولياء الله وبين أولياء الشيطان؛ فإن أولياء الله أولياء الرحمان لهم أوصاف ميزهم الله سبحانه وتعالى بها في كتابه، وذكر ذلك لئلا يشتبه حال أولياء الله بأولياء الشيطان؛ لأن من أولياء الشيطان من يلبس على الناس، فيظهر ولايته للرحمان، وأنه من عباد الله الصالحين الأتقياء الأنقياء، والأمر على خلاف ذلك، فلما كان مدعو الولاية كثرا بين الله سبحانه وتعالى الفصل بين هؤلاء وبين غيرهم، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة لطيفة سماها (الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان) ذكر فيها ما وصف الله سبحانه وتعالى به أولياءه، وما ميزهم به عن أولياء الشيطان، وذكر فيها أشياء كثيرة مفيدة.." (٢)

"تعريف الولاية ومدارها

قال رحمه الله تعالى: [بيان الله سبحانه لأولياء الله] .

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين؟ أحمد بن علي الزاملي ص/١٧١

(٢) شرح الأصول الستة؟ خالد المصلح ٣/٥

أولياء: جمع ولي.
والولي: مأخوذ من الولاية، والولاية: مصدر (ولي) ، وهي بمعنى القرب، تقول: ولي كذا كذا: أي: قرب منه.
وعلى هذا فإن الولاية تدور على أمرين: المحبة، والنصرة، وقد أثبت الله جل وعلا في كتابه ولايته لبعض خلقه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة:٢٥٧] ، فأثبت سبحانه وتعالى ولايته للمؤمنين، كما أن الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون له ولي، لكن الولي المنفي غير الولي المثبت، فالولي المنفي مقيد؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ [الإسراء:١١١] أي: لم يكن له ولي يستنصر ويعتز ويتقوى به فولاية الله عز وجل لمن يتولاهم ليست عن حاجة، ولا عن افتقار، بل هو الغني الحميد جل وعلا، وإنما ولايته سبحانه وتعالى لمن يتولاه هي ولاية رحمة ومنة وفضيلة ومنحة منه جل وعلا وإكرام لمن يتولاه، نسأل الله أن نكون منهم.
إذا: الولاية المثبتة لله عز وجل هي غير الولاية المنفية.
والولاية على اختلاف مواردها تدور على معنيين: المحبة، والنصرة، ويقابل الولاية العداوة، وهي دائرة على البغضاء والكره، فأعداء الله هم من أبغضهم سبحانه وتعالى وأبعدهم وكرههم جل وعلا، فالعداوة مبنية على الإبعاد والكره والبغض، والولاية مبنية على المحبة والنصرة، والله سبحانه وتعالى قد بين أوصاف أوليائه.
وقد لخص الشيخ رحمه الله هذه الأوصاف المذكورة في هذا المقطع القصير من كلامه رحمه الله، لكن من المهم أن نفرق بين أولياء الله وغيرهم، حتى لا يشتبه الأمر، فأولياء الله عز وجل لا يتميزون عن غيرهم بمظهر، بل هم كغيرهم من أهل الإسلام لا يتميزون عنهم بلباس ولا بهيئة، لكنهم يتميزون عن غيرهم بعملهم الصالح، فالمظاهر لا تمييز فيها، لكن المخابر والأعمال هي التي يدور عليها التمييز بين أولياء الله، وبين غيرهم من الناس، فما هو العمل الذي يميز أولياء الله عن غيرهم؟ قال رحمه الله تعالى في بيان ذلك: [ويكفي في هذا]-أي: في بيان الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان- آية في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ، فقوله تعالى: (فاتبعوني يحببكم الله) هذا هو المعيار الفارق والميزان الدقيق لبيان حقيقة الولاية، فالولاية التي يثبت بها للمؤمن الانتساب إلى الله بالولاية هي أن يكون متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ، فعلى قدر ما يكون مع الإنسان من اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم يكون عنده بقدر ذلك من ولاية الله له، وبقدر ما يكون معه من تقصير فإنه ينقص عنه من ولاية الله له بقدر ما حصل منه من التقصير، والناس في هذا درجات متفاوتة، لا يحدها وصف.
فالسمة الأولى لأولياء الله التي يتميزون بها عن غيرهم هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم يكون في أمرين: فيما فرض -وهذا في الدرجة الأولى-، وفيما ندب إليه من الأعمال، وهذا في الدرجة الثانية-، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ، ثم بعد أن ذكر جزاء الأولياء وانتصار الله لهم قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل) ، وهذا طريق تحصيل الولاية، قال: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) ، فذكر الطريقين اللذين يحصل بهما ولاية الله عز وجل، وهذا تفصيل لما أجملته هذه الآية في قوله تعالى: (فاتبعوني) .
فالاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم يكون في الفرائض أولا؛ لأنها أحب ما يتقرب به إلى الله عز وجل، ثم بالنوافل ثانيا.

ولذلك قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ، وإذا أحب الله عبدا فقد تولاه.

ثم قال رحمه الله تعالى: [وآية في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وهذا فيه الإشارة إلى معنى الولاية، وأنها دائرة على المحبة، فهناك قال: ﴿يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ، وهنا قال: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ ، ثم ذكر أوصافهم فقال: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ، فذكر ثلاثة أوصاف: الوصف الأول: (أذلة على المؤمنين) ، فلا علو عندهم ولا استكبار ولا ارتفاع.

الوصف الثاني: (أعزة على الكافرين) ، لا يذلون لهم؛ لأن معهم سبب العزة، وهو الإيمان بالله ورسوله.

الوصف الثالث: الجهاد في سبيل الله.

وهو شامل لجميع أنواع الجهاد، وأعلاها جهاد الكفار المعاندين لله ورسله، فهذا من أوصافهم، والجهاد لا يأخذ صورة واحدة فقط، فلا يقتصر على الجهاد بالسيف والسنان، بل هناك جهاد آخر قد يكون أعظم منه، وهو جهاد العلم والبيان، فالذي يبلغ شريعة الله عز وجل وينصح الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هو من المجاهدين الذين يدخلون في قوله تعالى في آية المائدة: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ، فهذا يشمل جميع أنواع الجهاد.

وهذا تفصيل؛ لأن قوله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فيه بيان مجمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن، وهنا فيه ذكر صفات خاصة وتخصيصها لعظيم أثرها في تحقيق وتحصيل الولاية.

ثم قال: [وآية في سورة يونس، وهي قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس:٦٢] ، وهذا فيه البشارة لهم بانتفاء المخاوف والأحزان عنهم، فقوله تعالى: ﴿لا خوف عليهم﴾ هذا فيما يستقبلون، ﴿ولا هم يحزنون﴾ هذا فيما مضى.

والإنسان إنما يلحقه الأذى من خوف المستقبل، أو فوات الخير في الماضي، فإذا حصل له الأمن من هذين الأمرين كان من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فهو في غاية الطمأنينة والسعادة.

ثم بين سبحانه وتعالى من هم أولياء الله فقال تعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٣] الذين آمنوا بقلوبهم فصلحت قلوبهم واستقامت أفئدتهم، وكانوا يتقون في أعمالهم وجوارحهم.

والتقوى هنا هي فعل ما أمر الله سبحانه وتعالى به وترك ما نهى عنه، وهذا وصف شامل يتميز به أولياء الله عن غيرهم.

ومما تقدم نعلم أن الولاية ليست مكتسبة بالنسب، ولا مكتسبة بالجاه، ولا مكتسبة بالوراثة، ولا مكتسبة بملبس معين، أو بانتساب إلى جهة معينة كمذهب أو غيره، إنما تكتسب بالعمل الذي دائرته الكبرى هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوى الله، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٣] .

قال رحمه الله: [ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشريعة إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل] ، وهذا في وقته رحمه الله؛ حيث هجرت السنة، وتعصب الناس لما كانوا عليه من مذاهب وأقوال، وآراء،

وأصبح المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم غريبا بينهم.

ثم قال: [ومن تبعهم فليس منهم] أي: ومن تبع هؤلاء الذين استقاموا على الكتاب والسنة، فليس منهم، يعني: فليس من أولياء الله؛ لأنه إذا كان الداعي إلى الكتاب والسنة عند هؤلاء الذين تحدث الشيخ عنهم ليس من أولياء الله، فما هي حال غيرهم ممن هو تابع لهم؟ الجواب: أنه لا يكون من أولياء الله من باب أولى.

ثم قال رحمه الله تعالى: [ولابد من ترك الجهاد] .

هذا انتقال إلى تفصيل ما عليه أولئك الذين وصفهم رحمه الله ممن يدعون ولاية الرحمان وهم على خلاف ذلك، قال: [لابد من ترك الجهاد] ، وذكر الجهاد رحمه الله تعالى لأن الله سبحانه وتعالى جعل المجاهدين أولياءه، في قوله جل وعلا: ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله﴾ [المائدة:٥٤] ، فخالفوا النص القرآني الدال على أن الجهاد في سبيل الله من أسباب تحصيل الولاية ومن أوصاف أولياء الرحمن، فلابد عندهم من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، والقرآن يدل على عكس هذا، وهو أن الجهاد من أوصاف أولياء الله سبحانه وتعالى.

ثم قال رحمه الله تعالى: [ولابد من ترك الإيمان أيضا] .

وهذا لكون الإيمان قد جاء في القرآن أنه من أوصاف أولياء الله، كما في قوله جل وعلا: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

ثم قال: [فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم] أي: من اتصف وحافظ على هذين الوصفين فليس من هؤلاء الأولياء المزعومين.

وهؤلاء هم في الحقيقة أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن؛ لأن أولياء الرحمن هم من وصفهم الله في كتابه، وأما هؤلاء فهم معاندون، معارضون، وكل من ادعى الولاية فلابد من عرضه على الكتاب والسنة، فإن ادعى الولاية أو أدعيت له الولاية -إذ قد لا يدعي الولاية لنفسه فيقول: إني ولي، لكن قد يزعم اتباعه أنه ولي- فلابد حينئذ أن نعرض حال هذا الرجل على هذه الموازين الدقيقة والمعايير الناطقة المميزة لأولياء الرحمان عن غيرهم، وبذلك يتبين هل هو من المتبعين للكتاب والسنة، وهل هو من المجاهدين في سبيل الله ج." (١)

"الاشتراك في الاسم المطلق لا يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص

ومحل الإشكال عند الطوائف: أنهم وجدوا أن الصفات التي وصف الله بها نفسه في القرآن، أو وصفه بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من الموارد -وليس دائما- تضاف إلى المخلوقين، قال الله تعالى عن نفسه: ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾ [النساء:٥٨] وقال عن عبده: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان:٢] وقال تعالى عن نفسه: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب:٤٣] وقال عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة:١٢٨] بل قال في آية واحدة: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] فهذا الاشتراك الذي حصل هو مثار الغلط.

---

(١) شرح الأصول الستة؟ خالد المصلح ٥/٤

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ومحل الإشكال الذي عرض لعامة النظار من المتكلمين وغيرهم أن الاشتراك في الاسم المطلق يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص.

قال: وهذا مما يعلم بالعقل والشرع بطلانه.

فالمتكلمون ظنوا أن الاشتراك في الاسم المطلق يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص.

وهذا الظن وهم محض؛ لأن الاسم المطلق الذي وقع به الاشتراك هو كلي لا وجود له في الخارج، ولا يوجد في الخارج إلا المتعينات المضافات المخصصات، بمعنى أنه إذا قيل: يد.

فإن هذه الكلمة كلمة مطلقة لم تضف إلى أحد بعينه، فهذا هو الاسم المطلق، وهذا الكلي في الذهن لا يقع في الخارج إلا مضافا مخصصا.

ولهذا نجد أن المخلوقات –ولله المثل الأعلى– لا يستلزم اشتراكها في الاسم المطلق تماثلها عند الإضافة والتخصيص، بمعنى أنك تقول: رأس الجمل ورأس البعوض، فترى أن الماهية بعد الإضافة مختلفة، فماهية هذا غير ماهية هذا، وشكل هذا غير شكل هذا، فإذا كان الاختلاف بعد الإضافة والتخصيص يطرد في المخلوقات فمن باب أولى أن يكون الاختلاف بين الخالق والمخلوق، فلا يكون سمعه سبحانه كسمع المخلوق، ولا بصره كبصرهم، ولا رحمته كرحمتهم، ولا غضبه كغضبهم، ولا رضاه كرضاهم

وهلم جرا؛ ولهذا كان سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء مع أنه موصوف بهذه الصفات؛ لأنها لا تماثل صفات المخلوقين.." (١)

"القاعدة الأولى

الأولى: أن الله موصوف بالنفي والإثبات عند أهل السنة، وأن جمهور الإثبات في الكتاب والسنة أو على طريقة السلف إثبات مفصل، وغالب النفي الغالب أنه نفي مجمل، فمن ذلك الإثبات المفصل لأسماء الله في القرآن: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾ [الحشر:٢٢] ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥] ومن الإثبات المفصل في الصفات قوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة:٥٤] ..

إلى غير ذلك.

فالإثبات المفصل والنفي المجمل هو الغالب على الطريقة القرآنية النبوية طريقة أهل السنة والجماعة، ولكن يقع في القرآن إثبات مجمل ونفي مفصل، ومثاله في الأسماء قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ [الأعراف:١٨٠] وفي الصفات وقوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل:٦٠] أي: الوصف الأكمل.

ومثال النفي المفصل في القرآن قوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩] وقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] لكن ينبه إلى أن ما يقع من النفي المفصل فإنه يتضمن ثبوت كمال الضد؛ لأن النفي المحض –أي: الذي لا يتضمن أمرا ثبوتيا– ليس بشيء، فلا يكون كمالا، بل يكون في جمهور الموارد نقصا ينزه الله تعالى عنه؛ ولهذا كل نفي

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٤/٣

مفصل في القرآن فإنه يتضمن ثبوت كمال الضد، فقوله: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩] أي: لكمال عدله، وقوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: لكمال حياته وقيوميته

وهلم جرا.." (١)

"القاعدة السابعة

السابعة: وهي قاعدة فاضلة في هذا المقام، وهي من أخص موارد الغلط عند المخالفين، وهي أن الاشتراك في الاسم المطلق لا يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص.

وبعبارة أخرى: أن الاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص في مثل قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١] ذلكم أن الله وصف نفسه بالرضا فقال: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] وأضاف صفة الرضا إلى المخلوقين فقال: ﴿ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] وقال: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة:٥٤] وقال تعالى عن نفسه: ﴿إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾ [النساء:٥٨] وقال عن عبده: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان:٢] وقال عن نفسه: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب:٤٣] وقال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة:١٢٨] وهلم جرا.

فهذا التوارد الذي تراه في القرآن في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص، وإلا للزم أن يكون القرآن متناقضا؛ إذا كان قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١] يعني: أنه لا يوصف الله بصفة ثبت اشتراك بينه وبين المخلوق في اسم الصفة المطلق؛ فيلزم من هذا أن يكون القرآن متناقضا؛ لأنه نفى التشبيه وأثبته.

وإنما الاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص؛ لأن الاشتراك في الاسم المطلق ليس له وجود خارجي، إنما وجوده وجود ذهني، والوجود الخارجي من شرطه: الإضافة والتخصيص والتعيين.

فإذا قلت: محبة.

فهل فهمت أي محبة هنا؟ هل هي محبة الولد لأبيه، أو الأب لابنه، أو الزوج لزوجته، أو هي محبة المؤمن لربه، أو محبة الرب لعبده المؤمن، إذا: هي لفظة مجردة لا تخصيص فيها ولا إضافة ولا تعيين؛ فإذا أضفت فقلت: محبة المؤمنين لربهم.

أو قلت: محبة الله لعبده.

أو قلت: محبة زيد لعمر.

فعند الإضافة والتخصيص يكون معنى المحبة في المقامات الثلاثة مختلفا، والماهية والحقيقة مختلفة.

إذا: من طرق الرد على المخالف أن يقال: إن نعيم الجنة الذي وصفه الله في الكتاب أو في ما جاء في السنة النبوية في كثير من الأسماء يشترك مع نعيم الدنيا، ففي الجنة خمر وفي الدنيا خمر، لكن خمر الجنة ليس كخمر الدنيا؛ لأن الله ذم خمر الدنيا بل سماه رجسا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ [المائدة:٩٠] وهذا

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٣/٢٢

مجمع عليه بين المسلمين، فبالضرورة أن خمر الآخرة ليس مثل خمر الدنيا مع أن الاسم واحد، وكذلك الماء وغيره من الأسماء التي ذكرت في الدنيا وذكرت نعيم الآخرة.

فمثلما: حصل اشتراك في الاسم المطلق بين الخمر والخمر ولم تتماثل الحقيقة، فمن باب أولى إذا أضيفت صفة إلى الله وجاء اسمها في حق العبد ألا تكون الصفة كالصفة.

أي: إذا كان الاشتراك في الاسم المطلق لم يستلزم التماثل في الماهية والحقيقة بين المخلوقات كخمر الدنيا وخمر الآخرة فبين الخالق والمخلوق من باب أولى.

إذا: من ينفي بعض صفات الله كالغضب والرضا ونحوه من الأشاعرة بحجة أن المخلوق يتصف بها أو أن إثباتها يستلزم تشبيها يقال: ما قولكم في علم الله؟ ألم تثبتوا لله علما يليق به مع أن للمخلوق علما، وأثبتم لله قدرة مع أن للمخلوق قدرة، بل ثبوت صفة القدرة للمخلوق أعرف وأشهر من ثبوت صفة الغضب، ومع ذلك قالوا: إن قدرة الباري ليس كقدرة المخلوق، فيقال: فكذلك الغضب والرضا ..

وهلم جرا.

فإن كان النافي من المعتزلة والجهمية الذين ينفون كل الصفات كذلك قيل: أنتم أثبتم لله وجودا مع أن المخلوق موجود، فحصل اشتراك في اسم الوجود، فإما أن تكون ماهية الوجود واحدة وهذا يعلم امتناعه، فإن الله واجب الوجود والمخلوق ممكن الوجود، ومعلوم بالضرورة العقلية والفطرية أن ثمة تباينا بين وجود الخالق ووجود المخلوق مع الاشتراك في اسم الوجود. فالقول في العلم وغيره كالقول في الوجود، فإن قلتم: إثبات العلم يستلزم أن يكون كعلم المخلوق، قيل: لم لم يلزم ذلك في اسم أو في صفة الوجود؟

إذا الأشاعرة يرد عليهم بما يثبتونه من الصفات، ومن ينفي كل الصفات يرد عليه بصفة الوجود التي لا يستطيع أحد أن ينفك عنها.

وهذا هو السبب في عناية شيخ الإسلام بتقرير قاعدة الوجود والفرق بين أنواع الوجود، وأن الاشتراك باسم الوجود المطلق لم يستلزم التماثل في ماهية وجود الخالق ووجود المخلوق؛ لأنه يتحقق به إبطال لمذهب أصناف المخالفين.." (١)

"الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] .

٢ - وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤]

الدليل من السنة:

١- حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: ((... لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ...)) . رواه: البخاري (٣٠٠٩) ، ومسلم (٢٤٠٥) .

٢- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي)) . رواه مسلم (٢٩٦٥) .

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٩/٢٢

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحب والمحبة لله عز وجل، ويقولون: هي صفة حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ كما يقول المؤولة. كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢ / ٣٥٤) : ((إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقوله: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ ... وقد أجمع سلف الامة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا." (١)

"الحديث: ((إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن)) : ((فقوله: ((من اليمن)) ؛ يبين مقصود الحديث؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذين **يحبهم ويحبونه**، الذين قال فيهم: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ، وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية؛ سئل عن هؤلاء؟ فذكر أنهم قوم أبي موسى الأشعري، وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: ((أتاكم أهل اليمن؛ أرق قلوبا، وألين أفئدة؛ الإيمان يمان، والحكمة يمانية)) ، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار؛ فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات)) .

وبنحوه قال الشيخ العثيمين –رحمه الله– في ((القواعد المثلى)) (ص ٥٧) .

النور، ونور السماوات والأرض

صفة ذاتية لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة، وقد عد بعضهم (النور) من أسماء الله تعالى؛ كما سيأتي.

الدليل من الكتاب:

١– قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] .

٢– وقوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ... ﴾ [الزمر: ٦٩] .." (٢)

"قالوا: رجل صبور بمعنى صابر، وشكور بمعنى شاكر، فيكون الودود في صفات الله تعالى عز وجل على هذا المذهب أنه يود عباده الصالحين ويحبهم، والود والمودة والمحبة في المعنى سواء؛ فالله عز وجل ودود لأوليائه والصالحين من عباده، وهو محب لهم.

والقول الآخر: أنه فعول بمعنى مفعول؛ كما يقال: رجل هيوب؛ أي: مهيب، فتقديره: أنه عز وجل مودود؛ أي: يوده عباده ويحبونه وهما وجهان جيدان.

وقد تأتي الصفة بالفعل لله عز وجل ولعبده، فيقال: العبد شكور لله؛ أي: يشكر نعمته، والله عز وجل شكور للعبد؛ أي: يشكر له عمله؛ أي: يجازيه على عمله، والعبد تواب إلى الله من ذنبه، والله تواب عليه؛ أي: يقبل توبته ويعفو عنه)) .اهـ.

وقال ابن القيم في ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص٥٩) : ((الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل

---

(١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة؟ علوي السقاف ص/١٢٢

(٢) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة؟ علوي السقاف ص/٣٥٦

عليه وهو الودود أيضا أي المحبوب قال البخاري في ((صحيحه)) الودود: الحبيب. والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادا لأوليائه ومودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه **يحبهم ويحبونه))** وانظر: ((تفسير غريب القرآن)) (ص ١٨) لابن قتيبة.." (١)

"إثبات صفة المحبة لله تعالى

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥] ، وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩] ، وقوله: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧] ، وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢] ، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤] ، وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤]] .." (٢)

"القدر الذي يثبته أهل السنة من صفة المحبة

اعلم أن صفة المحبة صفة يثبتها أهل السنة والجماعة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ كسائر ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه، أو أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم. والمحبة التي يثبتها أهل السنة والجماعة هي محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله جل وعلا، فيثبتون المحبة من الطرفين من الله لعباده ومن العباد لله سبحانه وتعالى، وكل هذا قد دل عليه الدليل، وقد جمع النوعين في قوله تعالى: (**يحبهم ويحبونه**) ، فأثبت محبته لأوليائه وأصفيائه وعباده المتقين، وأثبت محبة عباده له سبحانه وتعالى، وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥] ، وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩] ، وقوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٤] ، وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢] ، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ؛ هذا فيه محبة الله لعباده ومحبة العباد له سبحانه وتعالى.

ومن ذلك قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤] ، وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج:١٤] ومعنى: الودود المحب، فهو الغفور الودود جل وعلا، وهو سبحانه وتعالى الذي يحب.." (٣)

"... الضحك.

وقال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (١) . ... الفرح،

وقال تعالى: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ (٣) . ... السخط، التعجب،

---

(١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة؟ علوي السقاف ص/٣٧١

(٢) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح؟ خالد المصلح ١٠/٦

(٣) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح؟ خالد المصلح ١٢/٦

المحبة،

الكراهة،

الرحمة.

لا يؤمنون بأن الله تعالى يتكلم متى يتكلم متى شاء ولا يثبتونها صفة لله تعالى ، وأولوا النصوص الواردة بإثباتها وعطلوها عن مدلولاتها ، ومن هنا زعموا أن القرآن الكريم مخلوق لم يتكلم به الله ، وأن نسبة الكلام إلى الله مجاز ، وهو قول الجهمية. أو هو معنى قائم بذات الله خلقه في غيره ، وهو قول الماتريدية ، أو أنه ألفاظ ومعان ، فالألفاظ مخلوقة والمعاني قديمة قائمة بالنفس ، وهو معنى واحد يختلف حسب التعبير به إن عبر عنه بالعربية صار قرآنا وإن عبر عنه بالعربية صار توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا. ... قال تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (٤) ، عن ابن مسعود: "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم" الحديث (٥) . ... الكلام صفة ذات وفعل

ولا تعلق له بالمشيئة الإلهية وهذا قول الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة الذين لا سثبتون لله تعالى إلا كلاما نفسيا لله قائما بذاته من غير حرف ولا صوت. ... وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أو أن القرآن متعلق بالمشيئة والقدرة ، وأنه قائم بذات الرب إلا أنه حدث بعد أن لم يكن ، وهذا قول الكرامية. ...

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) سورة التوبة: ٤٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٤) سورة التوبة: ٦.

(٥) البخاري ١٨٠/٨، والترمذي ٣٦٢/٥، وابن ماجه ٦٩/١، وسنن أبي داود ١٠٦/٥.." (١)

"غالب من أسلم وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه قام فيها قياما لم يدانه فيه أحد من الصحابة، ذكرهم فيه ما نسوا وعلمهم ما جهلوا، وشجعهم لما جبنوا- فثبت الله به دين الإسلام".

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة: ٥٤)
.

يقول الشيخ: "قال الحسن: هم والله أبو بكر وأصحابه١- ويقول: جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمله وأصحابه" ٢.

ثم عمر الفاروق رضي الله عنه فهو الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها؟ د. غالب بن علي عواجي ١٢٨٥/٣

في الخلافة والفضل٣ وهوالمحدث الملهم الذي أمرنا باتباع سنته وله الفضائل المشهورة، والسوابق المأثورة٤.

ثم عثمان ذو النورين هو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل رضي الله

---

١ قال ابن كثير: رواه ابن أبي حاتم، انظر: التفسير، ج ٢ ص ٧٠.

٢ مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣٦، ٣٧ وص ٥٦ ٢-٥٩ ٢ وص ٢٦١-٣٠٠.

٣ مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣٠٢-٣٠٩.

٤ المصدر السابق، الفتاوى ص ٣٥.." (١)

"وإلا لن تضروا الله شيئا، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار" وقد ذم الله الذي لا يثبت على دينه إلا عندما يهواه فقال: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية (الحج: ١١) — وينبغي لكم إذا عجزتم أو جبنتم أنكم ما تلوموننا، ونحمد الله الذي يسر لنا هذا، وجعلنا من أهله، وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين، فلا بد من وجود المحبين، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ الآية (المائدة: ٤٥) — جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم في هذا لومة لائم" ١.

ولقد كانت هذه الغاية ووسيلتها واضحة تمام الوضوح لدى الشيخ فقد ذكر في الإيمان بالله والإيمان بالرسل أن هاهنا غاية ووسيلة، فأما الغاية فهي الإيمان بالله وأما الوسيلة فهي الإيمان بالرسل، وقال الشيخ: "الإيمان بالله مثل الماء والإيمان بالرسل مثل الدلو والرشاء"٢.

ولقد صدق الشيخ ما يقول، وطبق ما كان ينادي به ويقرره ويدعو إليه لأنه عقيدته فلما بين أن من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب بدليل قوله تعالى: ﴿لا

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥٠ ص ٣١٩- ٣٢٠.

٢ الدرر السنية، ط٢، جـ١ ص ١٠٧.." (٢)

"الفصل السادس

في بيان ركائز العبودية الصحيحة

إن العبادة ترتكز على ثلاث ركائز هي: الحب والخوف والرجاء.

فالحب مع الذل، والخوف مع الرجاء، لا بد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] .

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٤٢٧/١

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي؟ صالح بن عبد الله العبود ٧٦٨/٢

وقال في وصف رسله وأنبيائه: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠]
.

وقال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. ذكر هذا شيخ الإسلام في رسالة (العبودية) وقال أيضا: (فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له، والعبادة أصل معناها: الذل. يقال: طريق معبد، إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى، بغاية الحب له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له، ولو." (١)

"بهذه الصفات دخل معهم في المدح: ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ ١

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ٢

هذه الآية الكريمة، الخطاب فيها موجه لعباده المؤمنين إلى أن تقوم الساعة وهي تتضمن وعدا من الله ـ عز وجل ـ لهذه الأمة وهذا الوعد هو أن من ارتد عن دين الإسلام فإنه يأتي ـ سبحانه ـ بقوم ينصرون هذا الدين وبين ـ سبحانه ـ أنه **يحبهم ويحبونه** وأن فيهم رقة ولينا لإخوانهم المؤمنين، كما أنهم متصفون بالغلظة والشدة على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل الله من كفر بهذا الدين ولا يخافون في الحق من لوم اللائم، وهذه الصفات الطيبة وإن كانت عامة في جميع المؤمنين إلا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتهم ـ الصديق أبو بكر ـ هم أقعد وأحق وأولى بهذه الصفات من كل مؤمن يأتي بعدهم فهم أول من يتناوله الخطاب ويدخل فيه دخولا أوليا.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي: صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿من يرتد منكم عن دينه﴾ يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر؛ إما في اليهودية أو النصرانية، أو غير ذلك من صنوف الكفر فلن يضر الله شيئا وسيأتي الله بقوم

---

١. المصدر السابق ٢/٩٨ والآية رقم ٧٩ من سورة المائدة.

٢. سورة المائدة آية / ٥٤.." (٢)

"**يحبهم ويحبونه** يقول: فسوف يجيئ الله بدلا منهم بالمؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد صلى

---

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك؟ صالح الفوزان ص/٥٦

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٦٢/١

الله عليه وسلم وكذلك وعده من وعد من المؤمنين ما وعده في هذه الآية لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه، ولا يرتد، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ارتد أقوام من أهل الوبر وبعض أهل المدر فأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده ... إلى أن قال: ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم. فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه، وروى بإسناده إلى الحسن البصري في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه.

وقال آخرون: يعني بذلك قوما من أهل اليمن، وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري: عبد الله بن قيس ثم روى بإسناده إلى عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال: هم قوم هذا.

وقال آخرون: بل هم أهل اليمن جميعا.

وذكر بإسناده إلى مجاهد في قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ قال: أناس من أهل اليمن وقال آخرون: هم الأنصار.

وروى بإسناده إلى السدي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: إنهم الأنصار.١

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى ﴿يا أيها الذين

---

١. جامع البيان ٦/٢٨٢-٢٨٥، زاد المسير ٢/٣٨١-٣٨٢، تفسير البغوي على حاشية الخازن ٢/٥٤.." (١)

"آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ الآية. قال: "يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله سيستبدل به من هو خير لها وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ ١ ... وذكر عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: إنها نزلت في الولاة من قريش.

وعن الحسن البصري: أنها نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر.

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة ثم من السكون ... إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه.٢

وكل ما تقدم من تنوع سبب نزول الآية في أنها نزلت في الأشعريين، أو في أحياء من أهل اليمن، أو في الولاة من قريش، أو في الأنصار فإن ذلك لا ينافي عموم الآية فالآية عامة في كل مؤمن يحب الله ويحبه، ويوالي فيه، ويعادي فيه ولا يخاف

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٦٣/١

في الله لومة لائم، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم وأسبقهم إليه وهو أول من تناولته الآية رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين، ومما يؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله .

---

١. سورة محمد آية / ٣٨.

٢. تفسير القرآن العظيم ٢/٥٩٥." (١)

"الذين أنعمت عليهم﴾ يدل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه لأنا ذكرنا أن تقدير الآية: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم؟ فقال: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ الآية ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقيين ولو كان أبو بكر ظالما لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه"١.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم ـ أعني الفاتحة ـ بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أبي بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم وأن إمامته حق"٢.

٢/ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ٣.

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر

---

١. التفسير الكبير للرازي ١/٢٦٠.

٢. أضواء البيان ١/٣٦.

٣. سورة المائدة آية/٥٤.." (٢)

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٦٤/١

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٥٣٣/٢

"الصديق رضي الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه "كان في علم الله سبحانه وتعالى . ما يكون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتداد قوم فوعد سبحانه ووعده صدق . أنه يأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ولا يخافون لومة لائم، فلما وجد ما كان في علمه في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق رضي الله عنه"١.

روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم بقوم **يحبهم ويحبونه** بأبي بكر وأصحابه"٢ وروى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى الحسن البصري رحمه الله أنه قال في قوله: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال: هم الذين قاتلوا مع أبي بكر أهل الردة من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: وكذلك قال عكرمة وقتادة والضحاك، وروينا عن عبد الله بن الأهتم أنه قال لعمر بن عبد العزيز: إن أبا بكر قام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا إلى سنته ومضى على سبيله فارتدت العرب، أو من ارتد منهم فعرضوا أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة فأبى أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلا في حياته فانتزع السيوف من أغمادها وأوقد النيران في شعلها وركب بأهل حق الله أكتاف أهل الباطل حتى قررهم بالذي نفروا منه وأدخلهم من الباب الذي خرجوا

---

١. الاعتقاد للبيهقي ص/١٧٣-١٧٤.

٢. جامع البيان ٦/٢٨٥.." (١)

"نجران صدقه خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ولكن الشيعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز.

الشبهة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ١ ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يكذبون على الثعلبي أنه قال: إنما نزلت في علي وهذا دليل على أنه أفضل فيكون هو الإمام٢.

وهذا الاستدلال مردود بوجوه:

الوجه الأول: أن هذا كذب على الثعلبي وأنه قال في تفسيره لهذه الآية: قال علي وقتادة والحسن أنهم أبو بكر وأصحابه.

الوجه الثاني: أن هذا قول بلا حجة فلا يجب قبوله ولا الالتفات إليه.

الوجه الثالث: أن قولهم هذا معارض لما هو أشهر منه وأظهر وهو أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه٣ الذين قاتلوا معه أهل

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٢/٥٣٤

الردة وهذا هو المعروف كما تقدم، لكن الشيعة أرادوا أن يجعلوا فضائل الصديق لعلي وهذا من المكر السيء الذي لا يحيق إلا بأهله.

ولا يشك مسلم في أن عليا رضي الله عنه ممن كان يحب الله ويحبه الله لكن ليس بأحق بهذه الصفة من أبي بكر وعمر وعثمان ولا كان جهاده للكفار أعظم من جهاد هؤلاء ولا حصل به من المصلحة للدين أعظم مما حصل بهؤلاء بل كل منهم له سعي مشكور وعمل مبرور وآثار صالحة في الإسلام والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء فهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

---

١. سورة المائدة آية/٥٤.

٢. منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٥٨/٤، وانظر تفسير العياشي ٣٢٧/١، تفسير القمي ١٧٠/١، "كتاب الصافي" في تفسير القرآن ٤٨٨/١.

٣. انظر جامع البيان للطبري ٢٨٥/٦، الدر المنثور للسيوطي ١٠٢/٣.." (١)

"الوجه الرابع: يقال لهم: على سبيل الفرض: إنها نزلت في علي فهل يصح أن يقول قائل: إنها مختصة به ولفظها يصرح بأنهم جماعة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ إلى قوله: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ فهذا صريح في أن هذا ليسوا رجلا واحدا فإن الواحد لا يسمى قوما في لغة العرب لا حقيقة ولا مجازا، ولو قيل: المراد هو شيعته لقيل إذا كانت الآية أدخلت مع علي غيره فلا ريب أن الذين قاتلوا الكفار والمرتدين أحق بالدخول فيها من غيرهم.

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ لفظ مطلق ليس فيه تعيين وهو متناول لمن قام بهذه الصفات كائنا من كان لا يختص ذلك بأبي بكر ولا بعلي وإذا لم يكن مختصا بأحدهما لم يكن هذا من خصائصه فبطل أن يكون بذلك أفضل ممن يشاركه فيه فضلا عن أن يستوجب بذلك الإمامة بل هذه الآية تدل على أنه لا يرتد أحد إلى يوم القيامة إلا أقام الله قوما **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون هؤلاء المرتدين١.

وبهذه الوجوه الخمسة يبطل استدلال الشيعة بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه.

الشبهة الخامسة: آية الولاية.

وهي قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ ٢.

ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يدعون الإجماع أنها نزلت في علي رضي الله عنه ويذكرون حديثا يعزونه إلى تفسير الثعلبي عن أبي ذر أنه قال: سمعت

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٥٦٥/٢

١. منهاج السنة ٤/٥٨-٦٠، وانظر المنتقى للذهبي ص/٤٥١-٤٥٢.

٢. سورة المائدة آية/٥٥.." (١)

"الوجه الأول: أنهم يطالبون بتصحيح هذا النقل ولا سبيل لهم إلى هذا.

الوجه الثاني: دعواهم أنه رواه الجمهور يقال لهم: إن الثقات الذين رووه لم يرووه هكذا بل الذي في الصحيحين أن عليا رضي الله عنه كان غائبا عن خيبر لم يكن حاضرا فيها حيث كان أرمد ثم إنه شق عليه التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه: "لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه". ولم تكن الراية قبل ذلك لأبي بكر ولا لعمر ولا قربها واحد منهما بل هذا من الأكاذيب ولهذا قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ وبات الناس كلهم يرجوا أن يعطاها فلما أصبح دعا عليا فقيل له إنه أرمد فجاءه فتفل في عينه حتى برأ فأعطاه الراية"١.

وكان هذا التخصيص جزاء مجيء علي مع الرمد وكان إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعلي ليس بحاضر لا يرجونه من كراماته صلى الله عليه وسلم فليس في الحديث تنقيص بأبي بكر وعمر أصلا"٢.

الوجه الثالث: أن مدعى الشيعة غير حاصل. من هذا الحديث الصحيح. إذ لا ملازمة بين كونه محبا لله ورسوله ومحبوبا لهما وبين كونه إماما بلا فصل أصلا على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره كيف وقد قال الله. تعالى. في حق أبي بكر ورفقائه ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ٣ وقال في حق أهل بدر: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ ٤. ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ ٥. وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: يا معاذ: "إني أحبك" ٦ ولما سئل من أحب

---

١. صحيح البخاري ٢/٢٩٩-٣٠٠، صحيح مسلم ٤/١٨٧٢.

٢. منهاج السنة ٤/٩٧-٩٨، وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص/٤٧٢.

٣. سورة المائدة آية/٥٤.

٤. سورة الصف آية/ ٤.

٥. سورة التوبة آية/١٠٨.

٦. المسند ٥/٢٤٥، سنن أبي داود ١/٣٤٩، سنن النسائي ٣/٥٣.." (٢)

"الخبر١ أن عصاة هذه الأمة يمتازون يوم القيامة من عصاة غيرهم كما أن طائعيهم يمتازون عن طائعي غيرهم، وجذبهم إلى ذات الشمال كان تأديبا لهم وعقابا على معاصيهم ولو سلمنا أن المراد بهم ما هو المعلوم في العرف فهم الذين

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٥٦٦/٢

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٥٩٤/٢

ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق رضي الله تعالى عنه"٢.
قال عبد القاهر البغدادي: "وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من كندة، وحنيفة، وفزارة، وبني أسد، وبني بكر بن وائل . لم يكونوا من الأنصار ولا المهاجرين قبل فتح مكة، وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة، وأولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم"٣.
فإذن لا يوجد ولله الحمد ممن ارتد أحد من الصحابة الذين يعدلهم أهل السنة ويترضون عنهم وأولئك المرتدون هددهم الله بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ فعندما ارتد المرتدون تصدى لهم أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم فتبين أن المقصود بقوله . عز وجل .: ﴿بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ٤ الآية هم الصحابة رضي الله عنهم ولا يعلم تصد لهم إلا تصدي الصديق وأصحابه ويكفي أن عليا رضي الله عنه كان أحد المتصدين مع بقية الصحابة، أما الذين ينتقصون الصحابة ويتلذذون بسبهم ولعنهم والبراءة منهم فعليهم إن كانوا صادقين في تشيعهم لأهل البيت أن يكونوا تابعين لهم في تعظيم الصحابة ومحبتهم، ولكنهم كاذبون في ذلك وأنهم أعداء لأهل البيت إذ أهل البيت لم يخرجوا عما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه

---

١. انظر المسند ١٠٢/٣، فقد أورد الإمام أحمد هنا حديثا من أحاديث الحوض وفيه "يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". ففيه إشارة إلى أن هناك علامة يتميز بها عصاة هذه الأمة.
٢. مختصر التحفة الاثني عشرية ص/٢٧٢-٢٧٣.
٣. الفرق بين الفرق ص/٣٥٩.
٤. سورة المائدة آية/٥٤.." (١)

"الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وقد روى أن ذلك كان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره١، وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتا بالنص، وإلا فيكون ثابتا بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من غير نكير وبما ظهر لما توفي عمر فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة ولا رهبة، ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم.
قال الإمام أحمد: لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان، وسئل عن خلافة النبوة، فقال: كل بيعة كانت بالمدينة وهو كما قال: فإنهم كانوا في آخر ولاية عمر أعز ما كانوا وأظهر ما كانوا قبل ذلك، وكلهم بايعوا عثمان بلا رغبة بذلها لهم ولا رهبة، فإنه لم يعط احدا على ولايته لا مالا ولا ولاية وعبد الرحمن الذي بايعه لم يوله ولم يعطه مالا وكان عبد الرحمن من أبعد الناس عن الأغراض مع عبد الرحمن شاور جميع الناس ولم يكن لبني أمية شوكة ولا كان في الشورى منهم أحد غير عثمان، مع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا كما وصفهم الله . عز وجل .: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ أذلة على المؤمنين

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٩٦٠/٣

أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ٢.
وقد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقولوا الحق حيثما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، ولم ينكر منهم أحد ولاية عثمان ... فلولا علم القوم بأن عثمان أحقهم بالولاية لما ولوه وهذا أمر كلما تدبره الخبير ازداد به خبرة وعلما، ولا يشك فيه إلا من لم يتدبره من أهل العلم بالاستدلال، أو من هو جاهل بالواقع أو بطريق النظر والاستدلال والجهل بالأدلة أو بالنظر يورث الجهل، وأما من كان عالما بما وقع وبالأدلة وعالما بطريق النظر والاستدلال فإنه يقطع قطعا لا يتمار فيه أن عثمان كان أحقهم بالخلافة وأفضل من بقي بعده"٣.

---

١. ذكره الحافظ في الفتح ١٦/٧، وعزاه للطبراني.

٢. سورة المائدة آية/٥٤.

٣. منهاج السنة ١٦٥/٣-١٦٦.." [1]

"الشرط الخامس: المحبة.

المحبة لغة: اسم للحب. والحب: نقيض البغض، وهو الوداد كما يأتي ويراد به: الجرة، والخشابات الأربع التي توضع عليها الجرة ذات العروتين - جمعه: أحباب، وحببه، وحبان، وحبوب ١.

وفي اصطلاح الفلاسفة: ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة٢.

والمراد هنا: المحبة، وهي: المودة والرغبة للا إله إلا الله، ولما اقتضته ودلت عليه من الأقوال والأفعال محبة منافية لضدها. ومن ذلك: أن يكون الله سبحانه ورسوله أحب إليه مما سواهما، والمحبة لأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض من ناقض ذلك.

ذلك أنه لا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة، لأن المحبة تدل على الإخلاص المنافي للشرك، ومن أحب الله تعالى أحب دينه٣.

قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ... ﴾ الآية٤.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ...﴾ الآية ٥.

---

١ - انظر: معجم متن اللغة مادة حبب جـ٢ ص٦ - ٨، ولسان العرب مادة حبب ج١ص ٥٤٤.

٢ - المعجم الوسيط ج١ ص١٥١.

٣ - انظر: مختصر العقيدة الإسلامية ص ٣٨ وبيان مسائل الكفر والإيمان ص ١٦٧.

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي؟ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ١٠٤٤/٣

٤ – آية ١٦٥ البقرة.

٥ – آية ٥٤ المائدة.." (١)

"وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] ،

وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ،

وقوله: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٧] ،

وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ،

وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] ،

وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ،

وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤] ، وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤] ،

في هذه الآيات الكريمات: "إثبات محبة الله – تعالى – لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل صلى الله عليه وسلم إمام الحنفاء"١، وهذا هو "الذي جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة، وعليه مشايخ المعرفة، وعموم المسلمين: أن الله يحب، ويحب"٢.

وفي هذه الآيات أيضا أن من الأعمال ما يحبه الله – تعالى-. و "الأعمال التي يحبها من الواجبات، والمستحبات الظاهرة، والباطنة كثيرة ومعروفة"٣.

"وهذه الآيات، وأشباهها تقتضي أن الله يحب أصحاب هذه الأعمال"٤.

واسمه – سبحانه – الودود معناه: المحب، فإنه "هو الذي يود"٥ من شاء من خلقه.

---

١ مجموع الفتاوى (٢/٣٥٤) .

٢ النبوات (ص: ٩٧) ، وانظر: الاستقامة (٢/١٠٣) ، منهاج السنة النبوية (٣/١٦٧ – ١٦٨) .

٣ مجموع الفتاوى (١٠/٦٦) .

٤ النبوات (ص: ١٠٥) .

٥ المصدر السابق (ص: ١٠٨) نقل كلاما كثيرا في معناه ثم قطع بهذا المعنى.." (٢)

"(د) حب الله عز وجل: ولنبدأ بحب الله تعالى، أما النصوص الواردة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تأتي في المبحث القادم.

فقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة لبيان حب الله لعباده المؤمنين وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم

---

(١) شروط لا إله إلا الله؟ عواد المعتق ص/٤٣٥

(٢) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؟ خالد المصلح ص/٥٤

يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] (١) . وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] (٢) وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤] (٣) .

وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» . . . . . .) الحديث (٤) .

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ " قل هو الله أحد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ " فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أخبروه أن الله يحبه» (٥) .

كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] (٦) .

---

(١) سورة المائدة، آية (٥٤) .

(٢) سورة البقرة، آية (٢٢٢) .

(٣) سورة الصف، آية (٤) .

(٤) صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب التواضع، ٨ / ١٣١.

(٥) صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ٩ / ١٤٠-١٤١.

ومسلم. كتاب صلاة المسافرين. باب فضل قراءة " قل هو الله أحد، ١ / ٥٥٧.

(٦) سورة البقرة، آية (١٦٥) .." (١)

"وقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] (١) وقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] الآية (٢) .

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: «متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت» (٣) .

ومن ثم يتبين لنا أن الحب علاقة متبادلة بين الله تعالى وبين عباده المؤمنين. لكن حب الله لعباده صفة من صفاته منزهة عن مشابهة صفات المخلوقين ونصوص الكتاب والسنة تؤكد ذلك أتم تأكيد.

وجمهور السلف على إثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته كما يليق بذاته سبحانه، بلا كيف ولا تأويل ولا مشاركة

---

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع؟ عبد الرءوف محمد عثمان ص/٣٥

للمخلوق في شيء من خصائصها كما أنهم يثبتون محبة العباد لربهم محبة حقيقية قلبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هي أكمل محبة، فإنها كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] (٤) وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية) (٥) .

---

(١) سورة المائدة، آية (٥٤) .

(٢) سورة آل عمران، آية (٣١) .

(٣) صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب علامة الحب في الله، ٨ / ٤٩، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة. باب المرء مع من أحب، ٤ / ٢٠٣٣.

(٤) سورة البقرة، آية (١٦٥) .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. طبع مكتبة المعارف. الرباط. المغرب ١٠ / ٦٦.

وانظر تفسير القاسمي. المسمى محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. ط ٢، طبع دار الفكر. بيروت، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م، ٦ / ٢٥٣- ٢٥٥.." (١)

"من ذكره: ذكره الشرباصي.

٧٦-"المتوفي"

دليله: قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ . (الزمر: من الآية٤٢) .

من ذكره: ذكره القرطبي.

٧٧- "المثبت"

دليله: قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ . (إبراهيم: من الآية٢٧) .

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٧٨- "المجتبى"

دليله: قوله تعالى: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ . (الشورى: من الآية١٣) .

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٧٩- "المجير"

دليله: قوله تعالى: ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ . (المؤمنون: من الآية٨٨) .

---

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع؟ عبد الرءوف محمد عثمان ص/٣٦

من ذكره: ذكره الشرباصي.

٨٠- "المحب"

دليله: قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ . (المائدة: من الآية٥٤) .

من ذكره: ذكره: ا- ابن العربي. ٢- الشرباصي.." (١)

"أمرا عظيما "، إلى آخر ما مر، فقبلوا منه ذلك، وما اعتذر به. (انظر ص ٢٣: ٢٥) .

وعقب على ما سبق وعلى رواية للبخاري، بقوله:

فتأمل عذره وقوله: لم ننفس على أبي بكر خيرا ساقه الله إليه، وأنه لا ينكر ما فضله الله به، وغير ذلك مما اشتمل عليه هذا الحديث تجده بريئا مما نسبه إليه الرافضة ونحوهم، فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم! (ص ٢٦) .

أما الفصل الثالث ففي النصوص السمعية الدالة على خلافة أبي بكر من القرآن والسنة، وبدأ بالنصوص القرآنية فقال:

فمنها قوله تعالى:

" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"

أخرج البيهقي عن الحسن البصري أنه قال: هو والله أبو بكر، لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام ، وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال: لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، فذكر قتال أبي بكر لهم إلى أن قال: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه. " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** "وشرح ثم قال:

وأخرج الدار قطني عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ على بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله، أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: شمر سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا. (انظر ٢٧: ٢٨) .." (٢)

"الكوفة، والحاير الشريف، وعليه إجماع أكثر الأصحاب، لأن الإتمام فيها ... أفضل، لكونها مواضع شريفة تناسب التكثير من العبادة فيها " (١) .

سابعا : زبدة البيان

ذلك هو الكتاب الأول، أما الكتاب الثاني فهو " زبدة البيان في أحكام القرآن"، لأحمد بن محمد الشهير بالمقدسى الأردبيلى (٢) ولنتبين مدى غلوه، وأثر الإمامة فيه نعرض ما يأتى: -

في كتاب الطهارة ذكر أن الإيمان المطلق عند الجعفرية يدخل فيه التصديق والإقرار " بالولاية والإمامة والوصاية لأهل البيت (ع) بخصوص كل واحد واحد " (٣) .

ثم قال: فلنشر إلى ما يدل على كون أمير المؤمنين " ع " إماما، وهو غير محصور، ونقتصر على نبذ منه. منه قوله تعالى:

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى؟ محمد بن خليفة التميمي ص/٢٤٣

(٢) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع؟ علي السالوس ص/٢٢٥

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين﴾ (٤) .
ومما قاله في الآية الكريمة: " ظاهر أنها في أمير المؤمنين وأصحابه الذين ارتدوا بعده من الخوارج، ومحاربيه يوم الجمل وصفين وغيره ".

واستمر لبيان أنها فيه، واستدل بأحاديث لا تصلح للاستدلال هنا، وبأخرى موضوعة، إلى أن قال: وبالجملة الأوصاف كلها موجودة فيه، ويؤيد كونها فيه قوله تعالى متصلا بالآية المذكورة:

---

(١) ص ٨٨، وجامع الكوفة فيه محراب أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وفيه ضربه بالسيف الشقى اللعين عبد الرحمن بن ملجم. " راجع ما كتب عن المسجد ونظرة الشيعة في الجزء الرابع ". والمسجد الرابع هو الحاير الحسيني بكربلاء.

(٢) توفى سنة ٩٩٣ هـ.

(٣) ص ١٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٤.." [1]

"٦- المحبة:

المحبة من صفات الله تعالى الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبدا....". رواه البخاري ومسلم، وفي الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم خيبر: " لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ".

هذا وهناك صفات كثيرة غير ما ذكر ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، أو بأحدهما، وبإجماع السلف، يطول الكلام بذكرها وذكر أدلتها، ومنها: الخلق، والرزق، والرضى، والضحك، والغضب، والعزة، والعلم، والعدل، والحياء، والجمال، والانتقام من المجرمين، والنزول، والكيد لأعدائه، والخداع لمن خادعه، والعين، والأصابع،." [2]

"من آثار الإيمان: أن المؤمن يقف بجوار أخيه المؤمن عند الشدائد ويكون معه في السراء والضراء إن أصابه خير هنأه، وإن أصابته مصيبة عزاه إن احتاج أعطاه؛ فالمؤمن للمؤمن كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

قال -صلى الله عليه وسلم-: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- وروى البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في (سننه) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع؟ علي السالوس ص/٥٧٣

(٢) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية؟ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٤٥

من ورائه)).

وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)) رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

قال ذلك السيوطي في (الجامع الصغير) في الجزء الثاني ص ١٨٤: ومن آثار الإيمان في نفس المؤمن أنه هين لين، يألف إخوانه، ويألفوه، ويتودد إليهم، ويتقرب لهم **يحبهم ويحبونه**، يقدم لهم النفع والخير، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، ولا خير في من لا يقدم النفع إلى الناس، ولو بالكلمة الطيبة، والنصيحة المفيدة؛ فخير الناس أنفعهم للناس.

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((المؤمن يألف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف)).

وروى الدارقطني في الأفراد والضياء في المختارة عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((المؤمن يألف ويؤلف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس)).." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع عشر

(الدعوة إلى التواضع، والتحذير من الكبر)

الدعوة إلى التواضع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

إن الإسلام دعا إلى التواضع وحبب فيه، وجاء في التواضع آيات قرآنية كريمة دعت إليه ورغبت فيه، لقد دعي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أن ينخفض جناحه للمؤمنين، وهي دعوة لكل مسلم ومسلمة، قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ (الشعراء: ٢١٥).

ودعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى التواضع في أحاديث كثيرة، وبين -صلى الله عليه وسلم- أن المسلم لا يزيده التواضع إلا عزا، وأن المتواضع قريب إلى الله قريب إلى الناس، وذكر -صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى أوحى إليه أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد عن أحد، وبين -صلى الله عليه وسلم- أن المسلم يتواضع لأخيه المسلم فلا يحقره ولا يستصغره؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: ((المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره؛ كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه)).

ولقد ذكرت سابقا أن القرآن الكريم نزلت به آيات كريمة دعت إلى التواضع للناس؛ من هذه الآيات الآية التي ذكرتها آنفا وهي قول الحق -سبحانه وتعالى-: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ (الشعراء: ٢١٥)، وقال تعالى: ﴿يا أيها

---

(١) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة؟ جامعة المدينة العالمية ص/٨٦

الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة: ٥٤) فبينت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يحب أناس من المؤمنين ويحبونه؛ قدم محبته لهم على محبتهم إياه، وبين أن أهم وصف لهم أنهم متواضعون لله؛ فهم أذلة على المؤمنين؛ أي متواضعون للمؤمنين، وأعزة وأشداء على الكفار.." (١)

"إثبات صفة المحبة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩]، وقوله: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧]، وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١]، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤]]:

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله قاعدة مطردة عند أهل السنة والجماعة في باب أسماء الرب سبحانه وصفاته شرع بعد ذلك في ذكر الآيات من القرآن الدالة على جملة من الأسماء والصفات.

وعني بذكر هذه الآيات على طريقة فيها قدر من التفصيل، وهذه العناية موجبها ابتداء أن هذا الباب عند عامة المسلمين من أهل الإثبات من السلف والفقهاء وغيرهم مبني على النصوص؛ فمن قواعد أهل السنة والجماعة أن باب الأسماء والصفات باب توقيفي.

ولهذا لا عجب أن يستطرد المصنف بذكر هذه الآيات المتضمنة للأسماء والصفات.

وهنا مقام آخر وهو: أن الإثبات لهذا -الخبري وهو باب غيبي في جملة تفاصيله- لا بد أن يكون معتبرا بالخبر.

فإنه وإن قيل: أن الكليات في باب الأسماء والصفات تدرك بالعقل، وأن بعض الصفات تدرك بالعقل، فلا شك أن العلم بتفاصيل هذا الباب لا بد أن يكون متلقى عن الدليل الخبري القرآني أو النبوي.

وهنا مسألة عني المصنف رحمه الله بتقريرها، فإنه يقول: إن هذا الباب الذي ذكره الله سبحانه وتعالى مفصلا في كتابه، لا بد أن يفقه فيه معناه، فإن الله وصف نفسه في القرآن بالإثبات والنفي، كما في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١].

وهذا الإثبات الذي غلب عليه التفصيل في القرآن، بعض ما ذكر منه مضافا إلى الله سبحانه وتعالى قد جاء ذكره مضافا إلى العبد المخلوق.

وهذه المسألة تعد عند الطوائف أصل فقه هذا الباب، ولهذا لا بد من العناية بها، فإن الله ذكر رحمته وعلمه ومحبته، وبتعبير آخر: ذكر العلم، والرحمة، والمحبة، والسمع، والبصر، مضافة إليه، أي: أنها صفات من صفاته.

وجملة هذه الصفات قد جاء ذكرها في القرآن مضافة إلى العبد، وهذا واضح في السياق الذي ذكره المصنف؛ ففي قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ذكر لصفة المحبة أضافها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه في

---

(١) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة؟ جامعة المدينة العالمية ص/٣٤٩

قوله: ﴿يحبهم﴾ [المائدة:٥٤] وأضاف الصفة إلى عبده بقوله: ﴿ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]، وهلم جرا.

وإن كان لا يلزم أن كل صفة اتصف الرب سبحانه وتعالى بها يصح أن تكون مضافة إلى العبد، لكن لا شك أن قدرا من الصفات المفصلة في القرآن، أضيفت إلى الله في سياق، وأضيفت إلى العبد في سياق آخر.

وقد ذهب السلف رحمهم الله إلى أن الإضافتين كليهما على الحقيقة، فهذه إذا أضيفت إلى الله صفة له على الحقيقة، وإذا أضيفت إلى العبد فهي صفة للعبد على الحقيقة، ولا يلزم من ذلك التشابه والتماثل؛ لأن صفة الله أضيفت إليه فهي لائقة به، وصفة العبد أضيفت إليه وهي لائقة به.

وكما علم بإجماع أهل الفطرة ومن يقرون بأصل وجود الله وربوبيته من المسلمين وغير المسلمين أن ذات الباري سبحانه وتعالى تختلف عن ذوات المخلوقين أجمعين، من بني آدم وغيرهم، فإذا كانت ذاته بالفطرة والعقل وإجماع عامة العقلاء من المسلمين وغيرهم؛ مباينة لذوات المخلوقين؛ فإن الصفات تكون تابعة للذات؛ بل إن الذات لا يمكن أن تنفك في العقل والوجود عن صفاتها؛ ولهذا يمتنع أن ذاتا قائمة بنفسها تكون موجودة إلا وهي متصفة بجملة من الصفات.

وجملة كثيرة من الوهم الذي دخل على أهل البدع من المعتزلة وغيرهم في باب صفات الله انبنت على أن الصفات منفكة عن الذات، أو كما يعبرون: أن الصفات قدر زائد على الذات، وهذا كله لغو في العقل والوجود، فإنه لا يمكن أن ذاتا توجد منفكة عن صفاتها، ولا يمكن أن يقال: إن الصفات قدر زائد على الذات، بل هذا التقسيم أمر يفرضه العقل، وكثير من الآراء التي تكلم بها المخالفون للسلف وزعموا أنها من العقل، حقيقتها أنها من فرض العقل، وليست من حكمه.

وكما قلت سابقا -وهذه قاعدة ينبغي أن يستفاد منها في سائر العلوم، ليس في هذا الباب وحده، بل حتى في مسائل الأصول، والفقه، والتقاسيم، وتنزيل المسائل، وتحصيل موارد النزاع في المسائل، إلى غير ذلك-: إن ما يسمى في المنطق والقواعد بالسبر والتقسيم، أو ما يسمى عند الأصوليين وكثير من الفقهاء بتحصيل مورد النزاع في المسائل، هذا كله ينبني على تحكم العقل، أي: فروضات العقل، فلا بد أن يفرق الناظر وغيره من طلبة العلم بين أمرين:

بين الشيء الذي يفرضه العقل فرضا، وبين الشيء الذي يتصوره العقل ويحكم به.

فإن ما فرضه العقل لا يكون له حقيقة علمية إلا إذا قبل العقل تصوره وتحكيمه، أما إذا عرض عرضا للعقل، فهذا لا قيمة له.

فطوائف المبتدعة يقولون: إن العقل يفرق بين الذات والصفات، ونسميه فرضا في العقل؛ ولكن العقل لا يمكن أن يتصوره. والمسائل التي يفرضها العقل ليست هي من العقل، بل هذا أول المنازل لتحصيل المعارف، وهو من تقدير الله سبحانه وتعالى لهذه القوة في الإنسان ليعلم بها الأشياء ويعرف بها الحقائق.

فالمقصود أن هذا الباب لا بد من فقهه على هذا الاعتبار، فإن سائر ما أضافه الله إلى نفسه لائق به، وسائر ما أضيف إلى العباد لائق بهم، ومن هنا يمتنع أن تكون صفة واحدة من صفاته سبحانه وتعالى مشابهة أو مماثلة لصفات المخلوقين، وليس الجواب عن هذه الإضافة وهذه الإضافة أن يقال: إنما -أي: هذه الصفات- حقيقة في العبد وهي مجاز في حق الله، فإن هذا حقيقته التعطيل لصفات الله سبحانه وتعالى، فإن الصفة من هذه الصفات إذا أضيفت إلى مخلوق في سياق، وأضيفت إلى مخلوق آخر في سياق آخر، لم يلزم من ذلك تماثل الصفة التي أضيفت إلى مخلوقين في سياقين مختلفين، وموجب

عدم تماثل الصفة أن ذات المخلوق الأول تختلف عن ذات المخلوق الثاني، فإذا كان الأمر كذلك، علم أن ما أضيف إلى الله من الصفات يمتنع أن يكون مماثلا لصفة مخلوق، لأن الصفة تابعة للذات، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

وإذا قيل: إن إثبات صفة لله أضيفت إلى العبد يستلزم التشبيه والتمثيل.

قلنا: هذا حقيقته القول بإنكار وجود الله؛ لأن العقلاء من المسلمين وغير المسلمين الذين أقروا بوجود الله –وهم عامة بني آدم– يقولون: إن الله موجود، وإن هذه المخلوقات موجودة، ومع ذلك لم يكن وجوده سبحانه وتعالى كوجود المخلوقات، بل جميعهم يتفقون على أن وجوده سبحانه وتعالى وجود أزلي، وهذا هو معنى كونه ربا ومعنى كونه خالقا، ولو كان وجوده مسبوقا بالعدم لما كان ربا خالقا.

فإذا كان وجوده باتفاق العقلاء من المسلمين وغيرهم يختلف عن وجود غيره من المخلوقات –والعالم وما فيه من الحوادث– دل ذلك على أن لفظ الوجود لفظ أضيف إلى الله وأضيف إلى هذه المحدثات جميعها، ومع ذلك اختلف مراده واختلف معناه في حق الله وحق خلقه.

وهذه قاعدة: أن كل من عارض في صفة من الصفات وزعم أن إثباتها يستلزم أن تكون مشابهة للصفة المضافة إلى المخلوق، فإنه يبين غلطه ومفارقته للحق بذكر صفة الوجود، فيقال له: إنك تؤمن بأن الله موجود، والمحدثات موجودة، ووجودهما مختلفان، فوجوده تعالى هو –كما يسمى– وجود واجب، ووجود المخلوقات وجود ممكن، أو بعبارة أخرى: وجود الله وجود لا أول له، وهو وجود أزلي، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنت الأول فليس قبلك شيء)، ووجود المحدثات مسبوق بالعدم.

ويعارض كذلك ويغلط بصفة العلم، فإن الله يتصف بالعلم، والمخلوق يتصف بالعلم، فمن قال: إن العلم في حق المخلوق حقيقة وفي حق الله مجاز –ومعنى المجاز عند أهل المجاز أنه ما صح نفيه– فحقيقة قوله نفي العلم عن الله، وهلم جرا.

فهنا تعلم أن هذا الباب –باب الأسماء والصفات– لا بد أن يعتبر فيه سياق القرآن، ومن هنا قصد المصنف إلى ذلك.

وهذه الآيات التي ذكرها المصنف هي في تقرير صفة المحبة، وصفة المحبة: من صفاته سبحانه وتعالى المضافة إلى نفسه، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في غير موضع، كما ذكر المصنف هنا، وذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومعناها عند أهل السنة والجماعة كغيرها من الصفات، أن الله سبحانه وتعالى يوصف بالمحبة.

ولكن أنبه إلى أمر مهم سبق الإشارة إليه ولا بد من تقريره على وجه أكثر تفصيلا، فأقول: إن القاعدة المعروفة عند أهل السنة من أن الله سبحانه وتعالى يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يلتزم فيها بالسياق الذي ذكره الله سبحانه وتعالى.

فصفة المحبة لم يذكرها الله سبحانه وتعالى من صفاته المطلقة، وإنما ذكرها من صفاته المضافة في مقام مختص، فإنها ما ذكرت إلا في حق المؤمنين، ولهذا فإن معنى محبته سبحانه وتعالى على الحقيقة: أنه يحب المؤمنين محبة تليق به سبحانه وتعالى، ليست كالمحبة التي تضاف إلى المخلوق.." (١)

---

(١) شرح الواسطية – يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٤/٨

"التنزيه وأنواعه

قوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣] فيه ذكر التنزيه؛ لأنه قال: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣] والمخلوق له علم لكنه ليس بكل شيء عليم، فهذا يدل على الإثبات ويدل على التنزيه، والقاعدة في هذا الباب: (أن كل نص في الإثبات فإنه يدل على الإثبات ويدل على التنزيه).

والتنزيه نوعان:

النوع الأول: تنزيه عام.

النوع الثاني: تنزيه خاص.

والتنزيه الذي نقصده في نصوص الإثبات هو التنزيه العام الذي هو: تنزيه الباري عن كل ما لا يليق به.

وأما التنزيه الخاص: فهو التنزيه المناسب لهذه الصفة، بمعنى: أن الله لما قال: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣] دل ذلك على أنه منزه عن الجهل، والآية تتضمن هذا التنزيه الخاص، ومع تضمنها للتنزيه العام؛ فإن من كان بكل شيء عليما كان هو الأول، وكان هو الآخر، وكان هو الرب ..

وهكذا.

ولذلك فإنه لم يذكر النفي المفصل في القرآن الكريم، فلم يذكر الله تعالى نفي الجهل، ونفي العجز، وغير ذلك من الصفات التي هي مقابلة لصفات الكمال؛ وذلك لأن هذا التفصيل لا معنى له، والله تعالى قد ذكر الإثبات مفصلا، فإن كل نص في الإثبات يدل على نفي التشبيه والتمثيل، ويدل على التنزيه الخاص والتنزيه العام.

قال المصنف رحمه الله: [﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد:٤] وقوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد:٢٨] وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] وقوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء:٩٣]].." (١)

"من يقول في بعض الصفات: الظاهر مراد أو ليس بمراد يلزمه ذلك في جميع الصفات

قال المصنف رحمه الله: [وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد -كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا].

ولذلك إذا قيل: هل الأصل أن يقال: إن ظاهر النصوص مراد أم ليس مرادا؟ قيل -مع القول بأن هذا الكلام دخله إجمال باستعمال بعض الطوائف له-: الأصل أن يقال: إن ظاهر النصوص مراد، وقد سبق أن أشير إلى أن كلمة (الظاهر) لم يأت

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية؟ يوسف الغفيص ٤/٦

ذكرها على هذا الوجه، وإنما جاء في القرآن مثل قول الله تعالى: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ [الأنعام:١٢٠] أما المستعملون للظاهر وما يقابله فهم درجات: فمنهم من يستعمل الظاهر ويجعل المؤول مقابلا له، وهذا هو استعمال جملة المتكلمين لكلمة الظاهر، أما الباطنية فإنهم يجعلون الباطن مقابلا للظاهر.

وقد وقع في كلام الإمام الشافعي أن قال في رسالته: "إن بعض الأدلة تدل على حكم ظاهر، فيكون الحكم المحصل منها حكما ظاهرا، وبعض النصوص إذا قضت بحكم كان هذا الحكم ظاهرا وباطنا".

وكلام الشافعي رحمه الله ليس هو من باب المشاكلة لكلام الباطنية وما إلى ذلك، إنما مقصود الشافعي: أنه إذا قيل عن حكم بأنه واجب، وأن دليله من القرآن كذا وكذا، كمسألة شرعية، فإذا كانت الدلالة قطعية صريحة فإنه يقال: إن هذا الحكم ظاهرا وباطنا.

وقوله: (ظاهرا) أي: أن هذا هو نظرنا واجتهادنا، و (باطنا) أي: أننا نقطع ونعلم أن هذا الحكم هو في نفس الأمر عند الله تعالى، فمثلا: قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران:٩٧] قال الشافعي: إن حج البيت الحرام واجب، وهذا هو الحكم المأخوذ من الآية ظاهرا، أي: بنظرنا في الآية، وهو باطنا، أي: أنه يعلم أن الحكم عند الله في نفس الأمر أن الحج واجب.

لكن قول الله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة:٢٢٨] قد اختلف العلماء في المراد بالقرء، فمنهم من فسره بالطهر، ومنهم من فسره بالحيض، فيقال: إن هذا الحكم حكم ظاهر؛ لأنه اجتهاد المجتهد، ولكن لا يقطع بأنه الباطن، أي: الحكم في نفس الأمر.

فهذا هو مقصود الشافعي: أن دلالة الآيات والأحاديث تكون على وجهين: فإما أن يقال: إن الحكم ظاهر باطن، وإما أن يقال: إن الحكم ظاهر، ولا يجزم بأنه باطن، وليس هذا من باب مشاكلة الباطنية في كلامهم.

قال رحمه الله: [وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه يكون مثل المخلوق الحي الذي هو حي عليم قدير، فكذلك إذا قالوا في قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤] إنه على ظاهره، لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبا كحبه، ولا رضا كرضاه].

وهذا يرجع إلى أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر؛ بمعنى: أن من طرأت له شبهة في صفة من الصفات، فإنه يرد ذلك إلى صفات أخرى محكمة لم تدخل عليها شبهة، أي: محكمة عنده، لم تدخل عليه فيها شبهة، فمن كانت عنده شبهة في صفة النزول، رد ذلك إلى صفة العلم، وصفة العلو، وغيرها من الصفات، فإذا ما بان له أن هذا الباب محكم، وسلم بإحكامه؛ قيل: إن باب الصفات باب واحد.

قال رحمه الله: [فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين؛ لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي].

هذا نتيجة البحث السابق: أن ظاهر النصوص مراد أم ليس مرادا، فيقال: الأصل أن يقال: إن ظاهر النصوص مراد، لكن هذه الجملة لما استعملها من استعملها على معنى من الاشتراك المجمل، وضمنوها بعض المعاني الباطلة، احتيج إلى الاستفصال في بعض مقامات ذكرها.

قال رحمه الله: [وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدا].

أي: أنه لا يجوز في العقل ولا في السمع أن يختص السمع أو العقل بنفي صفة معينة دون غيرها؛ بل إذا فرض أن السمع يدل على النفي؛ لزم أن يدل على نفي سائر الصفات، وإذا فرض جدلا أن العقل يدل على النفي؛ لزم أن يكون دالا على نفي سائر الصفات، ومعلوم أنه يمتنع أن يكون العقل -فضلا عن السمع- دالا على نفي سائر الصفات، فإذا علم هذا الامتناع؛ علم امتناع التأويل لصفة من الصفات؛ لأن الشرع جاء بإثبات الصفات، فإذا علم امتناع اطراد النفي لصفات الله في الشرع وفي العقل؛ علم من هذا الامتناع امتناع النفي لصفة واحدة، فإن القول في سائر الصفات كالقول في آحادها.." (١)

"أمر الله تعالى بتدبر القرآن وفهم معانيه

وقوله: (فأمر بتدبر الكتاب كله):

أي: أن الله سبحانه وتعالى أمر بتدبر الكتاب كله دون استثناء أي شيء منه، ومن المعلوم أن آيات الصفات في كتاب الله متواترة؛ وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتدبر الكتاب -أي: القرآن- كله، مما يدل على أن إمكان العلم بالمعاني في القرآن ممكن، ولو كان العلم بمعاني القرآن ليس ممكنا، أو كان العلم بمعاني آيات الصفات ليس ممكنا؛ لما شرع الله لعباده أن يتدبروا القرآن تدبرا عاما مطلقا لم يستثن من ذلك شيئا من الآيات.

والتدبر: هو درجة تزيد على التصديق بأن هذا قرآن، فإن بعض الناس قد يصدق بأن هذا القرآن، كما هو معروف عند عامة المسلمين، لكن التدبر هو وجه من الفقه والفهم لكتاب الله، وبذلك يعلم غلط طريقة المفوضة؛ لأن من لازم التفويض منع التدبر؛ أما أن يقال: إن الآية لا نعين لها معنى، ولكنه يشرع تدبرها، فإن هذا من باب التناقض.

وأيضا: فإن أمره سبحانه وتعالى بتدبر القرآن كله دليل على غلط طريقة أهل التأويل، ووجه ذلك: أن الله أمر بتدبر القرآن، وجعل هذا حكما لعباده أجمعين، مما يدل على أن ظاهر القرآن مراد، وإلا لو كان ظاهره -كما يقول أهل التأويل- ليس مرادا؛ لما شرع التدبر؛ لأن من تدبر الكلام انقاد إدراكه وعقله إلى إدراك المعنى الظاهر، وهذا يدل على أن ظاهر النصوص مراد.

مع تقييد هذا الكلام بأن يقال: إن الظاهر الذي يحصل بالتدبر العلم به هو: المعاني اللائقة بالله سبحانه وتعالى، وليس هو التشبيه، ولذلك فإن من تدبر قول الله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ [الأعراف:١٤٣] حصل له من هذا التدبر أن الله سبحانه وتعالى كلم موسى بن عمران، ومن تدبر قول الله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة:٥٤] حصل

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية؟ يوسف الغفيص ١٦/٩

له من هذا التدبر أن الله موصوف بالمحبة لعباده المؤمنين، وأن المؤمنين يحبون ربهم، كما أنه سبحانه وتعالى يرضى عنهم ويحبهم.

وقد يقول قائل: إن ما سماه بعض المصطلحين من أهل العلم بالحروف المعجمة –وهذا التسمية في ظني ليست حسنة، إنما يقال: أوائل السور، والمقصود بها الحروف المقطعة في أوائل السور، كقوله تعالى: ﴿الم﴾ [البقرة:١] ﴿كهيعص﴾ [مريم:١] ﴿المر﴾ [الرعد:١]

إلخ– فقد يقول قائل: إن هذه الآيات –وهي أوائل بعض السور– ليست معينة المعنى على مثل سياق قوله تعالى مثلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ [الحجرات:١٢] أو قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ [المائدة:٩٠] إلخ.

فيقال: هذا صحيح، لكن هذه الآيات أيضا –وهي أوائل بعض السور– داخلة في التدبر، ومن معنى التدبر: تحصيل تدبر يكون مناسبا لها، فإن هذه الأحرف مثل: (الم) (المر) (كهيعص)، ليس لها معنى في لسان العرب كسياق: (أقيموا الصلاة) أو (آتوا الزكاة)، فيكون تدبرها تدبرا مناسبا لسياقها، وهنا نرجع إلى أن التدبر يكون مناسبا للسياق، ومن ذلك: أن هذا مما يعلم به اختصاص القرآن، ومما يعلم به إعجاز القرآن ..

وغير ذلك من الأوجه التي تفسر بها.." (١)

"وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ وقال: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ .

هذا في التسليم والانقياد، وأما المحبة فقال جل ذكره: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقال: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وهذه تسمى عند أهل العلم آية المحنة، لأنها امتحان شديد نصبه الله عز وجل لكل من يدعي محبته سبحانه، فمن اتبع رسوله – صلى الله عليه وسلم –، نجح في الامتحان وكان من المحبين لله تعالى حقا لا ادعاء، بل جوزي بتحقق محبة الله تعالى له على قاعدة "الجزاء من جنس للعمل" وهي قاعدة مطردة في القرآن (١) ، بل وفي الشرع كله (٢) ، وزاده الله من فضله مغفرة الذنوب، وأعظم به فضلا وجزاء. فتدبر أيها الأخ السني عظيم ثواب الاتباع، ولا تكن من الغافلين!

على أنني أود أن أنبه إلى أن أصل المحبة في القلب، وأن الاتباع إنما هو ثمرة لها، فلا ينبغي التسوية بينهما كما قد يفهمه البعض. فاشدد يدك على هذه الفائدة، واسع إلى ترسيخ جذور المحبة في قلبك، كما تسعى إلى ظهور ثمار الاتباع على جوارحك.

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما"الحديث (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (٤) .

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية؟ يوسف الغفيص ٣/١٨

(١) – كما في قوله تعالى: (فاذكروني أذكركم) وقوله: (إن تنصروا الله ينصركم) ، فتأمل.

(٢) – راجع كتاب "الجزاء من جنس العمل" للسيد عفاني، فهو في غاية النفاسة.

(٣) – أخرجه البخاري في الإيمان–باب حلاوة الإيمان، برقم: ١٦ (ص٢٦) ، ومسلم في الإيمان برقم: ٤٣ (ص٥٠) .

(٤) – سبق تخريجه.." (١)

"إثبات صفة المحبة لله عز وجل

ثم قال المصنف هنا: [وقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤]] .

وهذه الصفة أيضا وردت في أكثر من آية من كتاب الله سبحانه وتعالى، ووردت أيضا في أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال في خيبر: (لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) ، وبقية القصة معروفة حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقوله: (ويحبه الله ورسوله) دليل على إثبات صفة المحبة، وتأويل هذا لا يجوز.." (٢)

"تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

بعد أن أنهى المصنف رحمه الله تعالى الكلام في باب القدر بدأ يعرض لتعريف الإيمان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين معنى الإيمان في حديث جبريل فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، وقد أجاب عن الإسلام بأنه: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت) .

إذا: فسر الإيمان هنا بالأمور الباطنة، وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، لكنه في حديث آخر في صحيح البخاري وغيره، قال لوفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنتم) ، ففسر الإيمان هنا بالأعمال الظاهرة.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون –وفي رواية مسلم: بضع وسبعون– شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) ، فقوله: (وأدناها إماطة الأذى) الإماطة عمل ظاهري.

وقوله: (أعلاها قول لا إله إلا الله) إيمان ظاهري، كما قال قائل: الرسول يقول: (بضع وستون، أو بضع وسبعون) ، فعددوها لنا، فسنذكر له أولا أركان الإيمان؛ ثم نقول: الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، وبر الوالدين إلخ، فشعب الإيمان ليست مختصة بعمل القلب، وإنما تشمل أعمال الجوارح.

هذا هو الذي انطلق منه أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة لما جاءوا يعرفون الإيمان عرفوه بما قال المصنف هنا،

---

(١) شرح منظومة الإيمان؟ عصام البشير المراكشي ص/٤٢

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٥/٤

فإنه قال: [فصل: والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان] .

قوله: (الإيمان قول باللسان) ، أي نطق، ونطق اللسان هو أن ينطق الإنسان بالشهادتين، وهذا إيمان، وكذلك إذا نطق بذكر الله، فقولك بلسانك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ هذا نطق باللسان، وهكذا بقية الأذكار التي ينطق بها الإنسان بلسانه.

وقوله: (وعمل بالأركان) ، الأركان الجوارح، ومثال العمل بالأركان الصلاة والركوع والسجود، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، فكل ما تفعله بيدك من طاعة لله فهو عمل، وكل ما تمشي إليه برجلك فهو عمل، وكل ما تعمله بجسدك فهو عمل بالأركان.

وقوله: (وعقد بالجنان) ، أي: ما يعتقده الإنسان بالجنان وهو القلب، أي: اعتقاد القلب، واعتقاد القلب هنا يشمل أمرين: يشمل تصديقه، وذلك أن يصدق الإنسان بقلبه، ويشمل أعمال القلوب، مثل الخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والمحبة.

إذا: استنتجنا من تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان أنه يشمل أمورا ثلاثة: يشمل نطق اللسان، ويشمل اعتقاد القلب، ويشمل عمل الجوارح، وهذا واضح جدا.

وقال بعض السلف: (الإيمان قول وعمل) ، وقوله هذا صحيح، فقوله: (قول) أي نطق باللسان، وقوله: (وعمل) يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

فهم بهذا التعريف الصحيح المنطبق على ما عليه أهل السنة والجماعة يحددون المعنى الموافق للتعريف الآخر الذي ذكره المصنف هنا.

ونحن نحدد هذا المعنى لأهل السنة والجماعة، لأن الأدلة دلت على ذلك، فقوله صلى الله عليه وسلم: (آمركم بالإيمان: أن تشهدوا) هذا قول، وهو واجب، وهو من الإيمان.

واعتقاد القلب هو الإخلاص، وقوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقوله: ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ [آل عمران:١٧٥] ، وقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة:٥] ، هذه من أعمال القلوب.

فأعمال الجوارح هي كل ما يتعلق بشعب الإيمان المتعددة التي تعمل بالجوارح، وكلها داخلة في الإيمان، والأدلة على ذلك متواترة.." (١)

"بعض صفات الله عز وجل التي جاءت في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فيقول المؤلف رحمه الله تعالى: [فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن:٢٧] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة:٦٤] ، وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة:١١٦] ، وقوله سبحانه:

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود؟ عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٠

﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة:٢١٠] ، وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩] ، وقوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقوله تعالى في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح:٦] ، وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد:٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة:٤٦]] .." (١)

"صفة المحبة

قال: (وقوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤]) ، فيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل، والمحبة صفة فعلية اختيارية؛ لأنه يحب من يشاء متى شاء، فهي صفة معلقة بمشيئة الله، فهو يحب من يحب، ويبغض من يبغض جل وعلا.." (٢)

"وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥) ﴾ (١) وقوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) ﴾ (٢) وقوله: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧) ﴾ (٣) وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) ﴾ (٤) وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٥) وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (٦) وقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) ﴾ (٧) وقوله: ﴿وهو الغفور الودود (١٤) ﴾ (٨) .

وهذه أيضا مجموعة من الآيات المشتملة على بعض صفات الرب -سبحانه وتعالى- وهي المحبة ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥) ﴾ (٩) ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) ﴾ (١٠) ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) ﴾ (١١) ﴿إن الله يحب المتقين (٤) ﴾ (١٢) ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) ﴾ (١٣) .

---

(١) - سورة البقرة آية: ١٩٥.

(٢) - سورة الحجرات آية: ٩.

(٣) - سورة التوبة آية: ٧.

(٤) - سورة البقرة آية: ٢٢٢.

(٥) - سورة آل عمران آية: ٣١.

(٦) - سورة المائدة آية: ٥٤.

(٧) - سورة الصف آية: ٤.

(٨) - سورة البروج آية: ١٤.

(٩) - سورة البقرة آية: ١٩٥.

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح؟ خالد المصلح ٣/٢

(٢) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح؟ خالد المصلح ٣/١٧

(١٠) - سورة الحجرات آية: ٩.

(١١) - سورة البقرة آية: ٢٢٢.

(١٢) - سورة التوبة آية: ٤.

(١٣) - سورة الصف آية: ٤.." [1]

"وهكذا يفسرون المحبة إما بالإرادة وإما بالثواب، أو إرادة الثواب فيمحون عن الله حقيقة المحبة وهذا مبني على أصولهم الفاسدة وإن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه فيقعون في التناقض، ويفرون من شيء فيقعون في نظير أو في شر منه، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته الناس، يثبتون له كل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله كما تقدم في مذهب أهل السنة والجماعة، فيدخل في ذلك إثبات لله المحبة فأهل السنة يثبتون لله المحبة، بل يثبتون لله المحبة من الجانبين فيقولون: إنه -تعالى- يحب ويحب، يحب المؤمنين والمجاهدين والمقسطين كما في الآيات ويحبه أولياؤه يحبه المؤمنون كما قال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (١) بل إنه يختص بمحبته من يشاء كما ذكر في هذه الآيات، بل إنه يفضل بعض عباده في هذه المحبة، ولهذا اتخذ من عباده من اتخذه خليلا كإبراهيم ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهما- وسائر النبيين ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا (١٢٥) ﴾ (٢) .

ومن الأدلة على إثبات صفة المحبة قوله -تعالى-: ﴿وهو الغفور الودود (١٤) ﴾ (٣) ودود، نقول: من المودة، من المودة قيل: ودود كغفور يعني كثير المغفرة، وودود يعني كثير المودة لأوليائه، وقيل: ودود بمعنى مودود أو محبوب والأول هو الراجح في تفسير هذا الاسم.

نعم أيش تقول: الودود وهو مودد يعني محبوب فعلا هو محبوب لأوليائه **يحبهم ويحبونه** لكن رجح العلامة ابن القيم في كلامه على هذا الاسم إن معناه ودود يعني أي كثير المودة لأوليائه وعباده الصالحين إجراء لهذا الاسم مجرى غفور وشكور وما أشبه ذلك وعفو من الأسماء الحسنى، نعم.

---

(١) - سورة المائدة آية: ٥٤.

(٢) - سورة النساء آية: ١٢٥.

(٣) - سورة البروج آية: ١٤.." [2]

"وكذلك قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد (١٠٧) ﴾ (١) ﴿وأن الله يهدي من يريد (١٦) ﴾ (٢) ويتصل بهذا ذكر المشيئة ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ (٣) ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ (٤) ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) ﴾ (٥) .

وكذلك مما تضمنته الآيات التي أوردها الشيخ في هذا الموضع، الآيات الدالة على صفة القوة في قوله تعالى: ﴿إن الله قوي

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للبراك؟ عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٦٣

(٢) شرح العقيدة الواسطية للبراك؟ عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٦٥

عزيز (٢٥) ﴾ (٦) ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ (٧) ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) ﴾ (٨) ﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ (٩) .

فهذه جملة الصفات التي يجب الإيمان بها: القوة، والرحمة، والمحبة، والإرادة، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله، كما أثبتها لنفسه في كتابه، مع الإيمان بأنها ليست مثل صفات المخلوقين، فليست قوته كقوة العباد، المخلوق يوصف بالقوة ﴿خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ (١٠) ويوصف بالرحمة ويوصف بالمحبة **﴿يحبهم ويحبونه﴾** (١١) ويوصف بالرضى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (١٢) .

---

(١) – سورة هود آية: ١٠٧.

(٢) – سورة الحج آية: ١٦.

(٣) – سورة النحل آية: ٩٣.

(٤) – سورة الرعد آية: ٢٦.

(٥) – سورة الشورى آية: ٤٩.

(٦) – سورة الحديد آية: ٢٥.

(٧) – سورة الكهف آية: ٣٩.

(٨) – سورة الذاريات آية: ٥٨.

(٩) – سورة فصلت آية: ١٥.

(١٠) – سورة الروم آية: ٥٤.

(١١) – سورة المائدة آية: ٥٤.

(١٢) – سورة المائدة آية: ١١٩.." (١)

"القاعدة الرابعة: السؤال في كيفية الصفات كالسؤال في كيفية الذات

من القواعد ما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى وهذه القاعدة نقلت عن جمع من سلف الأمة رحمهم الله تعالى: من سألك عن كيفية صفات الله تعالى فيمكنك أن ترد عليه بجوابين، إذا سألك الإنسان: كيف يضحك الله؟ كيف يتكلم الله؟ كيف يسمع الله؟ كيف يبصر الله؟ فلك جوابان لهذا الرجل: الجواب: الأول: أن تجيبه بالإجابة المشهورة التي نقلت عن الإمام مالك، ونقلت عن ربيعة، ونقلت عن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فنقول: السمع معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، مثلما قال الإمام مالك في الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

الجواب الثاني: إذا سأل: كيف سمع الله؟ تسأله كيف هو الله؟ كيف ذاته؟ هل يستطيع إجابة، فسيقول: لا أدري، وكذلك

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للبراك؟ عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٧٥

كيفية صفاته، لكن الصفة نعلم مدلولها، السمع نعرف مدلوله، الاستواء نعرف مدلوله في اللغة العربية، ونعرف ما المقصود به، والحياة نعرفها، مثلما يقول العلماء رحمهم الله تعالى عندما تكلمنا على حب الصحابة، لما قال ابن القيم: لا يوجد حد أعظم من تعريف المحبة من المحبة هي، بوجودها في الإنسان نعرف مدلولها، والمقصود منها، فإذا قال الله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] نعرف ما مدلول المحبة، لكن كيفية هذه المحبة نقول: الله أعلم، فتصبح المحبة معلومة، والاستواء معلوم، والكلام معلوم وغيره، فنقول: هذه نثبتها لله.

ومثل الآن تجد بعضا من الكتاب وبالأخص بعض المعاصرين يقول: وقد ورد على لسان الرب، لفظة اللسان لا نثبتها لله سبحانه وتعالى أبدا؛ لأنه لابد من نص يدل عليها، وإذا لم يرد نص فإنا نمسك، ونقول: الله يتكلم كيف كلامه؟ نقول: يتكلم بكلام يليق بجلاله وعظمته.

فلو جاء الإنسان بعض من المبتدعة، ولعل ممن أومأ إلى هذا الإمام الغزالي في كتابه: المقصد الأسنى لشرح الأسماء الحسنى، لما ذكر الله أن الله يبصر لكن يبصر بغير أهداب ولا جفون ولا حدقة ولا غيره، هذا تفصيل في النفي لا دليل عليه أصلا، وتجد مثلا إنسانا يقول: الله يتكلم لكن بغير لسان ولا شفتين ولا أوتار صوتية، ولا ولا، من أين جئت بهذا التفصيل؟ فنقول: الله يتكلم بكلام يليق بجلاله وعظمته، وكلام الله ليس ككلام المخلوقين، بل هو له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد، وهذا هو الواجب علينا.." (١)

"أيهما أولى بالتقديم الراية وإلا رجلا؟ إذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين فأيهما أولى بالتقديم؟ أعطيت زيدا درهما، وأعطيت درهما زيدا، لأعطين رجلا الراية، أو لأعطين الراية رجلا، نعم؟

طالب:. . . . .

لماذا؟

طالب:. . . . .

هاه؟

طالب:. . . . .

أول إيه؟

طالب:. . . . .

يعني لو بنينا الفعل للمجهول أيهما أولى أن يكون نائب الفاعل؟ نعم؟

طالب:. . . . .

أعطي الراية رجلا، أو أعطي الراية رجل، الإعطاء فيه آخذ وفيه مأخوذ، أنت إذا أعطيت فالمعطى آخذ، الرجل آخذ، والمادة التي بينكما مأخوذة، متصور وإلا غير متصور الكلام هذا؟ يعني ينفع هذا في باب التقديم والتأخير أن يكون الأولى بأن يكون نائبا للفاعل هو المقدم، والذي لا يصلح أن يكون نائبا من حيث المعنى، نائب للفاعل يكون هو المؤخر، فلو

---

(١) شرح لامية ابن تيمية؟ عمر العيد ١٢/١٠

بنينا هذا الفعل للمجهول، فأيهما الذي ينبغي أن يكون نائب فاعل، الآخذ أو المأخوذ؟ الآخذ، أعطي رجل الراية، أعطي رجل الراية، ولو قلت: أعطيت الراية رجلا؟ تعبير صحيح ما فيه إشكال، لكن الكلام في الأولى، وهنا قال: لأعطين الراية غدا رجلا.

يقدم الشيء وإن كان حقه التأخير للاهتمام به، فالراية مهتم بها بلا شك، والراية مادامت قائمة فمعها النصر، فلذا يهتم بها في الحروب، ويستدل بها على أنه ما زال المقاتل فيه قوة، فإذا سقطت الراية بعدها الهزيمة، فكونه يعتنى بالراية وتقدم في مثل هذا التعبير لا شك أن له حظ، وإلا فالأصل أن الآخذ هو الرجل، والمأخوذ هو الراية، والذي ينبغي أن يقدم كما هو الأصل الفاعل يقدم على المفعول، وإن جاز تقديم المفعول على الفاعل، لكن الكلام في الأولى بالتقديم، يعني الترتيب الطبيعي الفعل ثم الفاعل ثم المفعول، يجوز تقديم المفعول لغرض من الأغراض كما هنا.

" ((رجلا يحب الله ورسوله، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) ": لا شك أن محبة الله فرض من فرائض الدين، وأن المحبة فيه أيضا من أوثق عرى الإيمان، وإذا كان الرجل يحب الله ورسوله، ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [(٥٤) سورة المائدة]، فإذا كانت محبته لله صادقة نشأ عنها محبة الله للعبد.." (١)

"عقيدة أهل السنة في صفات الباري سبحانه وتعالى

قال الموفق رحمه الله: [موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم].

أي أن الله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولهذا كان من أخص أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام أحمد: «نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث».

وأحيانا يقع إشكال لدى بعض طلبة العلم في بداية الطلب؛ فإنهم تارة يقولون: يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو سنة نبيه، وتارة يقولون: الكتاب والسنة والإجماع.

وهذا ليس فيه إشكال؛ لأنه لا ينعقد الإجماع إلا تبعا لنص، ولهذا لا فرق بين أن يقال: الكتاب والسنة، أو يقال: الكتاب والسنة والإجماع.

وقد جاءت صفات الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة بالنفي والإثبات؛ كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١] فهذا نفي ..

﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] وهذا إثبات، ومن قواعد باب الأسماء والصفات: أن الله موصوف بالنفي والإثبات.

فإن قيل: ما الفرق بين المقامين؟

قيل: مقام الإثبات أصل ذكره في القرآن والحديث على التفصيل، وأما مقام النفي فإن الأصل في ذكره الإجمال، ولهذا فإن الله تعالى فصل ذكر الأسماء والصفات، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في القرآن في هذا الباب إثبات مجمل، ونفي مفصل، لكننا نقول: إن الأصل في النفي هو الإجمال ..

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الكريم الخضير؟ عبد الكريم الخضير ١٨/٧

﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١]، وإنما أجمل النفي كهذا الحرف من كتاب الله؛ لأنه أبلغ في تحقيق الكمال والتنزيه من المفصل، فإن قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١] أي: ليس كمثله شيء موجود أو متخيل أو مفروض في الذهن، تعالى سبحانه وتعالى عن كل شيء، فهذا عموم تام في النفي.

وكذلك فصل في الإثبات؛ لأنه أبلغ في تحقيق الكمال، ولأنه ليس من المستحسن الاستطراد في تفصيل النفي، أو الإجمال في ذكر الإثبات، وإنما كان ذكر مجمل الإثبات لبيان شموله وتمامه، قال الله تعالى في ذكر مجمل أسمائه: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ [الأعراف:١٨٠] وهذا إثبات مجمل، وأما المفصل في أسماء الله، فهو كقوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام﴾ [الحشر:٢٣] الآية، والصفات مفصلها كقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] ..

﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩]، وكل اسم ذكر في القرآن فإنه يتضمن صفة، وهذا كله تفصيل للصفات، ومن المجمل في الصفات قوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل:٦٠] أي: الوصف الأكمل، وهذا إجمال في إثبات الصفات.

إذا: الأسماء والصفات ذكرت مجملة ومفصلة، وذكرت مثبتة ومنفية، فالنفي المجمل هو الأصل، كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١]، والنفي المفصل قليل كقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] ..

﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣]، ولهذا فإن كل نفي مفصل يتضمن ثبوتا، وليس في القرآن ولا السنة نفي مفصل يقصد به النفي المحض، فمثلا قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣] لا يقصد به النفي المحض، بل جاء متضمنا لثبوت الكمال: كمال الربوبية والقيومية، ولهذا كانت هذه الآية -على طريقة طائفة من مثبتة الرؤية: كأهل السنة، ومحققي الأشاعرة كـ الأشعري وغيره- دليلا على إثبات الرؤية، فهذا هو المستعمل.

أما من حيث الإثبات فالأصل فيه هو التفصيل، ولا يثبت لله سبحانه وتعالى شيء من الأسماء أو الصفات إلا ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو باب توقيفي على التفصيل، فلا يجتهد في إثبات اسم أو صفة، بل هو موقوف على تفصيل النصوص له، وأما النفي فهو في الجملة توقيفي كذلك، لكن ثمة معنى مهم ذكره ابن تيمية رحمه الله، وهو أن يقال: إن الله منزه عن كل نقص؛ فهل يلزم أن هذا النقص الذي ينزه الرب عنه قد صرح بنفيه في القرآن أو السنة؟

الجواب: لا يلزم، فصار المقام الأول: مقام الإثبات؛ لا يمكن أن نثبت لله اسما أو صفة ليس في الكتاب والسنة.

والمقام الثاني: مقام النفي؛ يمكن أن ينفى عن الله نقص لم يصرح بنفيه في القرآن.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا يقتصر في باب النفي على ما ذكر تفصيلا في القرآن أو في السنة، فإنه يسير، بل كل نقص فإنه ينفى عن الله).

فمثلا: لا يوجد في كتاب الله تصريح بنفي الجهل، وذلك لأن ذكر العلم صفة، واسمه له سبحانه وتعالى (العليم) يدل على نفي الجهل.

ومن هنا استخلص العلماء قاعدة وهي: (أن كل إثبات يتضمن نفي ضده) وهذه قاعدة مطردة؛ لأن المتقابلين يمتنع اجتماعهما في العقل، ولهذا إذا قال قائل: لم لم يذكر الرب سبحانه وتعالى في كتابه تنزهه عن الجهل وغيره من صفات

النقص؟

قيل: هذا مذكور على طريقة من التمام والبلاغة، وهو أنه ذكر إثبات المقابل، فعلم أن ضده يلزم أن يكون منفيا عنه، ومباينا له سبحانه وتعالى.

إذا: نخلص إلى قاعدة وهي: أن باب الأسماء والصفات باب توقيفي، وأنه متحصل بالإثبات والنفي على القاعدة السالفة.." (١)

"ذكر بعض آيات الصفات

قال الموفق رحمه الله: [فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة:٦٤]، وقوله تعالى إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة:١١٦]، وقوله سبحانه: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩]، وقوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة:٥٤]، وقوله تعالى في الكفار: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح:٦]، وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة:٤٦]].

بعدما قرر الموفق رحمه الله المنهج الذي عليه السلف في هذا الباب، وذكر قاعدة السلف في باب أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته؛ ذكر الأدلة التي تصلح أن تكون أمثلة لذلك، وهذا هو الذي درج عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة الواسطية، فإنه حاكى الموفق في ذلك، إذ قرر الإمام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية القاعدة والمنهج عند السلف في الأسماء والصفات، ثم قال: "وقد دخل في هذه الجملة ما ذكره الله في سورة الإخلاص"، وما بعد ذلك من سياقه للآيات.

وعليه: فهذه الآيات قاعدتها واحدة، وهي: أن كل ما ذكر الله سبحانه وتعالى من صفاته في كتابه فإنه حق على ظاهره، ولا يجوز تأويله بما يخالف هذا الظاهر.." (٢)

"٥ - التواضع وذم الكبر

عليه السلام الكبرياء صفة لا تنبغي إلا لله - عز وجل -:

من نبذ خلق التواضع وتعالى وتكبر إنما هو في الحقيقة معتد على مقام الألوهية؛ لأن الكبرياء والعظمة لله وحده، ولا يجوز للعبد أن يتصف بهما أو بأحدهما.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار» (صحيح رواه أبو داود).

فليس بغريب إذا أن نجد التواضع من صفات الصالحين. ومن أخص خصال المؤمنين المتقين ومن كريم سجايا العاملين. قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٢/٢

(٢) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص؟ يوسف الغفيص ٣/٥

الكفرين﴾ (المائدة:٥٤).
وقال الله لنبيه والخطاب عام له ولأمته: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ (الشعراء ٢١٥) وقال تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ (لقمان:١٨).ولا تصعر خدك: أي ولا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرا. مرحا: أي مختالا تمشي خيلاء. مختال فخور: أي متبختر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر.
وقال – عز وجل –: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (غافر:٣٥).
«كذلك» أي: كما طبع على قلوب آل فرعون «يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.
واعلم أخي المسلم: أن الكبر من أخلاق الكفار الفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ (الصافات:٣٥).وقال: ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ (النحل:٢٣).
عليه السلام." (١)

"قال – عز وجل –: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة:٥٤).
هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، عبوسا فى وجه الكافر، ضحوكا بشوشا فى وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ (التوبة:١٢٣).
ثم قال تعالى مادحا لهم: ﴿تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ (الفتح:٢٠).وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله – عز وجل – والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول كما قال تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ (التوبة:٧٢).
ثم قال – عز وجل –: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال على بن أبي طلحة: يعنى السمت الحسن.
وعن زائدة عن منصور عن مجاهد: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر فى الوجه فقال: ربما كان بين عينى من هو أقسى قلبا من فرعون.
الصحابة – رضي الله عنهم – خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم. قال مالك – رضي الله عنه –:بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة – رضي الله عنهم – الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا».وصدقوا فى ذلك فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ؟ شحاتة صقر ١٤٢/١

رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ (الفتح:٢٩).." (١)

"﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (النساء: ١١٥).

والمسلم يهرع إلى سنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مستفتيا كلما طرأ له أمر ذي بال إذ أن حياته المعنوية قائمة بين المسلمين متمثلة بكتب السنة. وعليه أن يرضى بعد ذلك بحكم رسول الله الوارد في سنته.

٣ – محبة الله ورسوله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» (متفق عليه).

ومحبة العبد لربه نور يقذفه الله في قلوب من يحب من عباده الصالحين حتى إن العبد ليجد حلاوة ذلك فلا يعبأ بما يلاقي من أذى في سبيل الله. اسمع قوله ـ جل شأنه ـ: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة:٥٤) فإن محبة العبد لربه مقترنة بمحبة الله تعالى لعبده، ومحبة العبد لربه دليل على معرفته به.

قال الحسن البصري: «من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن».

ولكن ما الدليل على صدق من يدعي محبة الله تعالى؟ إن جواب ذلك في كتاب الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (آل عمران: ٣١)، ومن يصدق في محبته لله ولرسوله يرخص عنده كل غال في سبيل الله؛ استمع إلى قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم." (٢)

"النداء الخامس والثلاثون: في التحذير من الردة عن الإسلام وبيان صفات المؤمنين الصادقين

الآية (٥٤) من سورة المائدة

أعوذ بالله الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾

الشرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن نداءات الرحمن لعباده وأولياءه المؤمنين تدور حول زيادة هدايتهم. وطلب كمالهم وسعادتهم في

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ؟ شحاتة صقر ١٦١/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ؟ شحاتة صقر ٤٠٧/١

الدارين، وها هو ذا تعالى يحذرهم من الردة عن الإسلام، والعودة إلى الشرك، وهذا نادر، وإنما المتوقع هو التهود والتنصر ــ والعياذ بالله ــ، ويدل لذلك تحذيره في النداء الرابع والثلاثين قبل هذا إذ حرم موالاة اليهود والنصارى فقال: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ ، إذ هذا سبيل التهود والتنصر ثم أعلم أن من تولاهم أصبح منهم وبذلك يكون قد ارتد عن الإسلام ودخل في اليهودية أو النصرانية ــ والعياذ بالله تعالى ــ من السلب بعد العطاء ومن الضلال بعد الهدى. وها هو ذا سبحانه وتعالى يناديهم فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد﴾ أي يرجع ﴿منكم﴾ أيها المسلمون ﴿عن دينه﴾ الذي هو الإسلام، وقل لي: بم تكون الردة؟ إنها تكون باعتقاد اليهودية أو النصرانية وحبهم وموالاتهم وشهود معابدهم وعباداتهم، والتزى بزيهم، والسير في ركابهم، يفعل ما يفعلون وترك ما يتركون تعبدا وتدينا، فلنذكر هذا ولا ننسه، ونحذر كل مسلم ومسلمة من الوقوع فيه فإنه الردة الموجبة لغضب الله وعقابه كان هذا في التحذير من الردة. أما." (١)

"صفات المؤمنين الصادقين فقد بينها الله تعالى بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ .

فأولى هذه الصفات حب الرحمن لهم ولنعم هذه الصفة.

وثانيها حبهم لله تعالى وأعظم بها نعمة.

وثالثها كونهم أذلة على المؤمنين أي هينين لينين.

ورابعها أعزة على الكافرين أي أقوياء أشداء.

وهاتان الصفتان: الرابعة والثالثة جاءت من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ١.

وخامسة الصفات: يجاهدون في سبيل الله؛ آي كلما دعا داعي الجهاد حملوا سلاحهم وخرجوا لا هدف لهم ولا غاية سوى رضى الله ونصره دينه وأوليائه.

وسادسة الصفات: أنهم لا يخافون في اعتقاد الحق وقوله والعمل به وإظهاره والدعوة إليه لومة لائم، بل ولا عداء معاد ولا حرب محارب. وذلك لكمال علمهم وصحة إيمانهم وعظيم يقينهم. وقل لي أيها القارئ الكريم بم ختم الله توجيهه لأوليائه شفى هذا النداء العظيم؟ إنه ختمه بقوله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾

إن هذه الصفات الست التي لا يقدر على إعطائها إلا الله، ولا يستحقها إلا أولياء الله هي من فضل الله تعالى، وفضل الله لا يعطى إلا لمن طلبه ورغب فيه وصدق في طلبه وسلك السبيل المحقق له والموصل إليه، وقل لي بما يطلب هذا الفضل العظيم؟ فإني أعلمك بأنه يطلب بالإيمان بالله، والكفر بالطاغوت إذ قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان؟ أبو بكر الجزائري ص/٩٥

١ سورة الفتح: ٢٩." (١)

"ساحات الصيد، أو ميادين التدريب على فنون القتال، فلم يكن في جزيرة العرب شيء يشغل فتيانها غير هذه الأمور، فهم بين حب وحرب، أو حب وصيد!

أما رجال يثرب وشيوخها فإنه يشغلهم شيء آخر، يشغلهم، بالإضافة إلى معاشهم وكسبهم، هذه الحرب التي لا تهدأ إلا لتعود جذعة (١) مرة أخرى، لقد ابتلاهم الله بمجاورة يهود، ويهود لا تعيش إلا في أجواء الدس والوقيعة والغدر والربا! فأوقعت هؤلاء الإخوة من الأوس والخزرج في ضائقات اقتصادية وشرور حربية، جعلت حياتهم جحيما مستمرا، يلجونه طائعين، بل فخورين! حتى إذا طالت عليهم هذه الحال، وأكلت شبابهم وشيوخهم وأموالهم، وكادوا أن يتفانوا، تداعوا إلى الصلح ونبذ الأحقاد، وطي ما مضى من عداء، وانتهى أمرهم إلى أن قرروا تنصيب واحد منهم ملكا عليهم، يصلح من شأنهم، وينظم لهم أمورهم.

هؤلاء هم الرجال الذين عاش بينهم عبد الله بن أنيس فتى يافعا شب عن الطوق، وأخذ يحضر مجالس الرجال، يتعرف على ما يهم هذه البلدة التي آوته حليفا لبني سلمة، محبا لهم، متخذا له من بينهم أصدقاء **يحبهم ويحبونه،**

---

(١) جذعة: جديدة كما بدأت.." (٢)

"الحب الحقيقي

كن من أولياء الله وأحبائه لتسعد، إن من أسعد السعداء ذاك الذي جعل هدفه الأسمى وغايته المنشودة حب الله عز وجل، وما ألطف قوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ .

قال بعضهم: ليس العجب من قوله: يحبونه، ولكن العجب من قوله يحبهم؛ فهو الذي خلقهم ورزقهم وتولاهم وأعطاهم، ثم يحبهم: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

وانظر إلى مكرمة علي بن أبي طالب، وهي تاج على رأسه: رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

إن رجلا من الصحابة أحب ﴿قل هو الله أحد﴾ ، فكان يرددها في كل ركعة، ويتوله بذكرها، ويعيدها على لسانه، ويشجي بها فؤاده، ويحرك بها وجدانه، قال له – صلى الله عليه وسلم –: ((حبك إياها أدخلك الجنة)) .

ما أعجب بيتين كنت أقرؤهما قديما، في ترجمة لأحد العلماء، يقول:

إذا كان حب الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا

فماذا عسى أن يفعل الهائم الذي ... سرى قلبه شوقا على العالم الأعلى

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان؟ أبو بكر الجزائري ص/٩٦

(٢) فدائيون من عصر الرسول؟ أحمد الجدع ص/٢٤

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ .

إن مجنون ليلى قتله حب امرأة، وقارون حب مال، وفرعون حب منصب، وقتل حمزة وجعفر وحنظلة حبا لله ولرسوله، فيا لبعد ما بين الفريقين.." (١)

"قال الله– تعالى–: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: آية ٥٤] .

وقال: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: آية ٣٨] .

١– النصيحة للمؤمنين: ورحمة بهم، ومحبة الخير لهم، والرغبة في إنقاذهم مما أوقعوا به أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وهذا قريب من الثالث.

٢– إجلال الله وإعظامه، ومحبته: وأنه أهل لأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.." (٢)

"﴿ياأيها﴾ ﴿آمنوا﴾ ﴿الكافرين﴾ ﴿يجاهدون﴾ ﴿لائم﴾ ﴿واسع﴾

(٥٤) – يخبر الله تعالى عن عظيم قدرته ويقول إن الذين يرتدون عن دينهم من الإيمان إلى الكفر، ويتولون عن نصرة دينه، وإقامة شريعته، فإن الله سيستبدل بهم من هم خير منهم، وأشد منعة، وأقوم سبيلا، **يحبهم ويحبونه**، يتصفون بصفات المؤمنين وهي: العزة على الكافرين، والرحمة والتواضع مع المؤمنين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يردهم راد عن إذاعة أمر الله، وإقامة حدوده، وقتال أعدائه، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ومن اتصف بهذه الصفات كان فضل الله عليه كبيرا، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك فيعطيه، ممن لا يستحقه فيحرمه إياه.

(وقيل إن هذه الآية نزلت في أبي بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فقد علم الله أن الناس سيرتدون عن الإسلام، وأن عصبة من المؤمنين، من المهاجرين والأنصار، سيقومون بمحاربة المرتدين، وأنهم سيثبتون في حربهم حتى يتم الله نصره للمؤمنين) .

الارتداد عن الدين – العودة إلى الكفر بعد الإيمان.

أذلة على المؤمنين – يتواضعون مع المؤمنين رحمة بهم

أعزة على الكافرين – أشداء عليهم.

لومة لائم – اعتراض معترض في نصرهم الدين.." (٣)

"– ٥٤ – يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم

– ٥٥ – إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

---

(١) لا تحزن؟ عائض القرني ص/٣٠٤

(٢) أدب الموعظة؟ محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٠

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد؟ أسعد حومد ص/٧٢٤

- ٥٦ - ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة: أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلا، كما قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾، وقال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ أي يرجع عن الحق إلى الباطل. قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش، وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر. ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، وقال ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: لما نزلت ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم قوم هذا»، ورواه ابن جرير بنحوه. وقوله تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشدآء على الكفار رحمآء بينهم﴾، وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه، قتال لأعدائه. وقوله عز وجل: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ أي لا يردهم." (١)

"وهذا لا يعارض ما وجد ويوجد في بعض الأمكنة والأزمنة من ترك الجهاد، مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وحذر منه، فوقع في الأمة كما أخبر.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" ١.

فإننا كما نجد مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم في واقع الأمة في الأزمنة المتأخرة، من الإخلاد إلى الأرض، وترك الجهاد، والرضى بالزرع، والتبايع بالربا، وتسلط الأعداء، ونزع المهابة، وإصابتها بالوهن، نجد أيضا مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من دوام الجهاد واستمراره، وبقاء طائفة من أمته يقاتلون على الحق ظاهرين.

فلا تكاد راية الجهاد تسقط من يد إلا وتتلقفها أيادي أخرى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] .

ومقتضى هذا الوعد ألا يزال في الأمة مؤمنون مجاهدون، باذلون، صابرون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم، وهؤلا هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير؟ محمد علي الصابوني ٥٢٧/١

١ رواه أبو داود "٣٤٦٢"، وأبو يعلى في مسنده برقم "٥٦٥٩"، والبيهقي في السنن الكبرى "١٠٤٨٤، وقد صححه ابن القيم في تعليقه عل مختصر سنن أبي داود، والشيخ الألباني في صحيح الجامع "٤٢٣".." (١)

"ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة نذكر منها:

- ولاية الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

وقال سبحانه: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ، ثم وصفهم بقوله: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] .

-محبة الله عز وجل للمؤمنين ومحبة الخلق لهم:

قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم: ٩٦] .

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات -وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية- يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه"١.

- مدافعة الله عن المؤمنين وإنجائه لهم ونصرهم على أعدائهم:

قال سبحانه: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر: ٥١] .

وقال تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ [الحج: ٣٨] ، ولم يذكرها ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم وأتم.

---

١ تفسير ابن كثير "٣/ ١٤٠".." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم أيها الناس.)

قال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ [النساء:١٣٣] وفي معناها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤] وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ [الأنعام:٨٩] وقوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا﴾ [التحريم:٥] .

فالذي لا يتقي الله لن يضر الله شيئا وإنما يضر بالدرجة الأولى والأخيرة نفسه، والله في غنى عن عباده: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر:٧] .

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة؟ محمد يسري ص/٧٨

(٢) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة؟ محمد يسري ص/١٨٢

فقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ [النساء:١٣٣] هي كقوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨] .

ثم قال: ﴿وكان الله على ذلك قديرا﴾ [النساء:١٣٣] .." (١)

"تسلية الله لرسوله مقابل تكذيب الكفار

وفي قوله تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: إن كفر هؤلاء بالذي نزل عليك يا محمد، فاعلم أن هناك من يشهد لك بصحة ما نزل عليك وهو الله سبحانه وتعالى، وفي هذا فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي الآية تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وجهها: أن هناك من هو خير من الكفار يشهد لك إذا كفر هؤلاء بالكتاب.

وهذه الآية في التسلية كقوله تعالى: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ [الأنعام:٨٩] ، وكقوله تعالى في باب التسلية: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد:٣٨] مع الفارق.

(والملائكة يشهدون) شهادة الملائكة مقابل تكذيب أهل الكفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فشهادة الله وحدها تكفي: ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ [النساء:١٦٦] .

والآية كقوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه﴾ [التحريم:٤] ، وكانت موالاة الله تكفي؛ لكن ضم إليها: ﴿وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم:٤] .

أي: فمع أن شهادة الله عز وجل لوحدها تكفي، لكن إن تظاهرتم عليه فهناك من الملائكة من يتظاهر ضدكم، وفوق ذلك كله رب العالمين سبحانه وتعالى.

قال عز وجل: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) أي: بصدق ما أنزل إليك.." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (أعد الله لهم عذابا شديدا.)

قال الله تعالى: ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ [المجادلة:١٥] ، أي: ساء هذا الفعل وساء هذا الصنيع.

فالآية إذا ذمت كل من يتولى اليهود، ويلحق بهم كل من يتولى الكفار أو النصارى ويناصرهم، ويؤازرهم، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [المائدة:٥١] أي: يا من آمنتم بي وصدقتم رسلي، وأقررتم بكتبي.

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي؟ مصطفى العدوي ١٣/٢٠

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي؟ مصطفى العدوي ٤/٢٣

﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ [المائدة:٥١-٥٢] ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾ [النساء:١٤٤] ، أي: أتريدون أن تجعلوا لله سببا يسلط عليكم بسببه العذاب؟ وقال الله سبحانه: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة:٤] الآيات، وقال سبحانه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩] ، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران:١١٨] ، أي: لا يقصرون في إغوائكم وإضلالكم: ﴿ودوا ما عنتم﴾ [آل عمران: ١١٨] ، أي: رغبوا في نزول العنت والمشقة بكم، ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾ [آل عمران:١١٨-١١٩] ، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة:٥٤-٥٥] ، هؤلاء هم أولياؤكم، ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٦] ، والآيات في هذا الباب لا تكاد تحصر، فالله سبحانه وتعالى يقول في شأن المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أو اليهود أولياء: ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ [المجادلة:١٥] ، أي: ساء صنيعهم من اتخاذهم اليهود أولياء من دون المؤمنين، ساء صنيعهم من موالاتهم اليهود والنصارى.." (١)

"يستترون فيه عن المسلمين لسارعوا إليه، لشدة بغضهم للمسلمين، وهو قوله (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون) ففي هذه الآية بيان سبب أيمان المنافقين ونظيرها قوله: (اتخذوا أيمانهم جنة) . وبين تعالى في موضع آخر، أنهم يحلفون تلك الأيمان ليرضى عنهم المؤمنون وأنهم إن رضوا عنهم، فإن الله لا يرضى عنهم وهو قوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين) .

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

قال ابن كثير: يقول الله تعالى مخبرا عن قدراته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقوله تعالى (إن

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي؟ مصطفى العدوي ٧/٥٦

يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) أي: بممتنع ولا صعب.

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية، وعيد من الله أنه من ارتد منكم أنه سيستبدل خيرا منهم.

قال الحاكم أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد، ثنا عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا وهب بن جرير وسعيد بن عامر (قالا) ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت عياضا الاشعري يقول: لما نزلت (فسوف يأتي الله لقوم **يحبهم ويحبونه**) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هم قومك يا أبا موسى". وأومى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى أبي موسى الأشعري.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك ٣١٣/٢) وصححه الذهبي وابن الملقن، وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٣٧١/١٧ ح ١٠١٦) ، وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده -كما في إتحاف الخيرة (١٦٣/١ ح ١٠٣) ، الطبري في (تفسيره ٤١٤/١-٤١٥ ح ١٢١٨٨، ١٢١٩٢) ، وابن حاتم في (تفسيره ١٦٩/٥ ح ٢٦٦) كلهم من طريق شعبة به. وعزاه الهيثمي إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٦/٧) ، وقال البوصيري في الإتحاف: هذا إسناد رواته ثقات.." (١)

"تعلمه القاعدون من النبي - صلى الله عليه وسلم -، قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا، وقد تعلمناه. فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخر، فذلك قوله: (ليتفقهوا في الدين) يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبيه، ويعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)

قال ابن كثير: وقوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر، كما قال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) سورة المائدة آية: ٥٤.

وقال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) سورة الفتح آية: ٢٩. وقال تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) سورة التوبة آية: ٧٣، وسورة التحريم آية: ٩.

قوله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)

قال ابن كثير في قوله تعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أي: زادتهم شكا إلى شكهم، وريبا إلى ريبهم؛ كما قال تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) سورة الإسراء آية: ٨٢. وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور؟ حكمت بشير ياسين ١٩١/٢

بعيد) سورة فصلت آية: ٤٤.
انظر سورة البقرة آية (١٢٥) عند قوله تعالى (في قلوبهم مرض) ، وانظر سورة الأنفال آية (٢) .." (١)
"واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) .
قوله تعالى (ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز)
قال ابن كثير: وقوله (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز) أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وقال: (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**) .
وانظر سورة النساء آية (١٣٣) وتفسيرها، وسورة الأنعام آية (١٣٣) وتفسيرها.
قوله تعالى (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص)
قال الشيخ الشنقيطي: هذه المحاجة التي ذكرها الله هنا عن الكفار بينها في مواضع أخر كقوله: (وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) كما تقدم إيضاحه.
وانظر سورة البقرة آية (١٦٦-١٦٧) .
قوله تعالى (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم)
قال الشيخ الشنقيطي: بين في هذه الآية أن الله وعدهم وعد الحق وأن الشيطان وعدهم فأخلفهم ما وعدهم وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله في وعد الله (وعد الله حقا) وقوله: (إن الله لا يخلف الميعاد) وقوله في وعد الشيطان (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) .." (٢)
"قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)
قال البخاري: حدثنا خلاد بن يحيي قال، حدثنا سفيان عن أبي بردة بن عبد الله بن أبي بردة عن جده عن أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك أصابعه.
(صحيح البخاري ١/٦٧٤ - ك الصلاة، ب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ح٤٨١) ، وأخرجه مسلم (الصحيح -

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور؟ حكمت بشير ياسين ٢/٥٠٢
(٢) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور؟ حكمت بشير ياسين ٣/١٣٣

البر والصلة، ب تراحم المؤمنين ٤/١٩٩٩ ح٢٥٨٥) .

قال ابن كثير: (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكافر، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) .

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (رحماء بينهم) ألقى الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض (تراهم ركعا سجدا) يقول تراهم ركعا أحيانا لله في صلاتهم سجدا أحيانا (يبتغون فضلا من الله) يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا فضلا من الله، وذلك رحمتهم إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته (ورضوانا) يقول: وأن يرضى عنهم ربهم.." (١)

"هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- حرمة موالاة اليهود والنصارى١ وسائر الكافرين.

٢- موالاة الكافر على المؤمن تعتبر ردة عن الإسلام.

٣- موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان، فلذا تؤدى إلى الكفر.

٤- عاقبة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرة.

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) ﴾

شرح الكلمات:

﴿من يرتد٢﴾ : أي: يرجع إلى الكفر بعد إيمانه.

﴿أذلة على المؤمنين﴾ : أرقاء عليهم رحماء بهم.

﴿أعزة على الكافرين٣﴾ : أشداء غلاظ عليهم.

﴿لومة لائم﴾ : عذل عاذل.

﴿حزب الله﴾ : أنصار الله تعالى.

---

١ لا يعد موالاة استعمال اليهودي أو النصراني في عمل تجاري أو عمراني أو مهني، إذا دعت الحاجة إليه، ولا يصح

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور؟ حكمت بشير ياسين ٤/٣٦٢

اسبتطانهم ولا الاستعانة بهم في الجهاد.

٢ قرئ: ﴿يرتد﴾ بالفتح وهي قراءة أهل المدينة والشام.

٣ قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد، والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار؛ كالسبع على فريسته.." (١)

"جهة التوبيخ: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم يعينونكم على محمد؟

فالآية تحتمل قول المؤمنين لبعضهم، أو لليهود.

المرتدون ومعاداتهم المسلمين

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)

الإعراب:

من يرتد: من: شرطية، ويرتد: مجزوم بها.

يحبهم ويحبونه في موضع جر صفة لقوم، وكذلك قوله تعالى أذلة.. وأعزة وكذلك يجاهدون وصف لهم. ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال منهم.

وهم راكعون: جملة اسمية في موضع نصب على الحال من ضمير يؤتون. ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على الصلاة والواو ليست للحال، فلا يكون لها موضع من الإعراب.

البلاغة:

أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين بينهما طباق.

لومة لائم التنكير في الكلمتين للمبالغة.

المفردات اللغوية:

من يرتد يرجع عن الإسلام، والردة: الرجوع عن الإسلام إلى الكفر أو إلى غير دين،." (٢)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري؟ أبو بكر الجزائري ٦٤٣/١

(٢) التفسير المنير للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٢٢٩/٦

"أو ترك ركن من أركان الإسلام كالزكاة جهارا وعنادا. **يحبهم ويحبونه** يثيبهم، ويخلصون له العمل ويطيعونه في كل أمر ونهي. أذلة جمع ذليل أي عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع، من الذل وهو الحنو والعطف. أعزة أشداء متعالين عليهم. لا يخافون لومة لائم أي أنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين كإنكار منكر، أو أمر بمعروف أو مجاهدة في سبيل الله، لا يأبهون لقول قائل ولا اعتراض معترض ولا لوم لائم يلومهم وينتقدهم، خلافا للمنافقين الذين يخافون لوم الكفار. ذلك المذكور من الأوصاف فضل الله. والله واسع كثير الفضل. عليم بمن هو أهله.

إنما وليكم الله أي إنما ناصركم ومعينكم على طريق الأصالة والحقيقة هو الله. وأما ولاية من عداه فهي على سبيل التبع والظاهر. وهم راكعون خاشعون وخاضعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا أي يعينهم وينصرهم. فإن حزب الله هم الغالبون الحزب: الجماعة المجتمعة على أمر واتجاه خاص، وحزب الله: أتباعه، والغالبون: المنتصرون لنصر الله إياهم.

سبب النزول:

نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهم ثلاث:

١- بنو مدلج ورئيسهم الأسود العنسي الذي تنبأ باليمن، وكان كاهنا، وقتل على يد فيروز الديلمي.

٢- وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب الذي تنبأ في اليمامة، وأرسل كتابا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يذكر فيه أنه شريك له، وأن الأرض قسمان

فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

قاتله أبو بكر رضي الله عنه، وقتله وحشي الذي قتل حمزة، وكان يقول:

قتلت في جاهليتي خير الناس، وفي إسلامي شر الناس.

٣- وبنو أسد بزعامة طليحة بن خويلد، ارتد أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وقاتله أبو بكر في خلافته، ففر إلى الشام وأسلم وحسن إسلامه.." (١)

"وارتدت سبع قبائل في عهد أبي بكر وهم:

١- غطفان بزعامة قرة بن سلمة.

٢- فزارة قوم عيينة بن حصن.

٣- بنو سليم قوم الفجاءة عبد يا ليل.

٤- بنو يربوع قوم مالك بن نويرة.

٥- بعض قبيلة بني تميم، بزعامة سجاح بنت المنذر، الكاهنة زوجة مسيلمة.

٦- كندة قوم الأشعث بن قيس.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٦/٢٣٠

٧- بنو بكر بن وائل الحطم بن زيد.

وارتد في عهد عمر جبلة بن الأيهم الغساني، الذي تنصر ولحق بالشام لأنه كان يطوف حول الكعبة، فوطئ إزاره رجل من فزارة، فلطمه جبلة، فهشم أنفه، فشكاه الفزاري إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فحكم إما بالعفو أو القصاص، فقال جبلة: أتقتص مني وأنا ملك، وهو سوقة، فقال عمر: الإسلام سوى بينكما، ثم استمهل إلى غد، فهرب.

فصار مجموع من ارتد إحدى عشرة فئة أو فرقة «١» .

وأما الذين أتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه**: فهم أبو بكر وأصحابه، وقيل: هم قوم من أهل اليمن، وقيل: هم رهط أبي موسى الأشعري، ورجح الطبري أن الآية نزلت في قوم أبي موسى من أهل اليمن، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال: هم قوم أبي موسى «٢» .

---

(١) الكشاف: ص ٤٦٦، تفسير الرازي: ١٢/ ١٨ وما بعدها، سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٧٦، ٦٢١، البداية والنهاية لابن كثير: ٥/ ٤٨- ٥٢، تاريخ الخلفاء: ص ٧٦، سيرة عمر بن الخطاب للطنطاويين: ص ٣٦٠

(٢) تفسير الطبري: ٦/ ١٨٣." (١)

"نزكي فقاتل الصديق جميعهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش، فقاتلهم وسباهم، على ما هو مشهور من أخبارهم.

٢- أصح ما قيل في نزول قوله تعالى: فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**: أنها نزلت في الأشعريين ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن «١» .

وروى الحاكم في المستدرك بإسناده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري، لما نزلت هذه الآية فقال: «هم قوم هذا» .

٣- المؤمنون أذلة على بعضهم، رحماء فيما بينهم، يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، أعزة على الكافرين أشداء عليهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته.

٤- دل قوله: يجاهدون في سبيل الله وقوله: ولا يخافون لومة لائم بخلاف المنافقين: على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي لله تعالى. وقيل: الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة.

٥- الله ولي الذين آمنوا، وقال تعالى هنا: إنما وليكم الله ورسوله قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وقال في رواية أخرى وكما ذكر في سبب النزول عن مجاهد والسدي: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٦/٢٣١

(١) تفسير القرطبي: ٦/ ٢٢٠." (١)

"ولقد بين القرآن الكريم أن جهاد الأعداء سبب البقاء، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة: ٥٤).

وكذلك بين القرآن الكريم أن الجهاد دليل على صدق الإيمان، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ (الحجرات: ١٥).

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: ((من طلب الشهادة صادقا أعطيها وإن لم تصبه)). وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق)) رواه مسلم.

ولقد بين القرآن الكريم أن الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ (آل عمران: ١٦٩: ١٧١).

وعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– في هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ قال: ((أما إنا قد سألنا عن ذلك، قال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل)) رواه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)) رواه مسلم.." (٢)

"لبيك، وكان يجلس مع الناس، إن تكلموا في معنى الآخرة تكلم معهم، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم.

ومن توجيهات القرآن ما تقرؤه في نهاية قصة قارون: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ (القصص: ٨٣) والمتكبرون مصروفون عن تدبر آيات الله وفهمها، قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (الأعراف: ١٤٦).

والدعوة إلى الله في حاجة إلى هذا الخلق؛ ليحظى الداعية بالمحبة والرضا، فيحتل من الناس قلوبهم، فيحظى وتحظى دعوته بالقبول، والرحمة عنوان التواضع، إنها إحساس المؤمن بحاجة إخوانه، فيعاملهم بالرفق، يزور مريضهم، ويحنو على صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويأخذ بيد الضعيف منهم، ويتودد إليهم ويساعد محتاجهم، ويدخل السرور عليهم، ويحوطهم برعايته وعطفه

---

(١) التفسير المنير للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٦/٢٣٦

(٢) التفسير الموضوعي ١ – جامعة المدينة؟ جامعة المدينة العالمية ص/٢٤٥

وبره، وقد قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩) وقال في صفات من يختارهم لنصرة دينه: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (المائدة: ٥٤).

وكم تحظى الدعوة بالنجاح إذا ما اتصف الدعاة بهذه الصفة، بل إن هذه الصفة كانت الباب الواسع الذي دخل منه الإسلام إلى القلوب، سنها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فكان أعظم الناس رحمة بالناس، فتعلقت به القلوب، وسار عليه أصحابه وسلف الأمة الصالح، فانشرحت لمرآهم الصدور، وانتشر دينهم في كل مكان.." (١)

"يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضروا الله شيئا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم **يحبهم ويحبونه**، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحدا. ذلك الإنعام من فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.." (٢)

"واستقرارها في الوجود، أو أمر من عنده يفضح حال المنافقين، ويهتك سترهم، ويرد كيدهم في نحورهم وقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده فيصبح أولئك المنافقون نادمين على ما أسروا وكتموا!! ويقول الذين آمنوا تعجبا وتعريضا وشماتة بهم مخاطبين اليهود، ومشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم، وقد بدت الأمور على غير ما كانوا يرجون:

أهؤلاء (المنافقون) الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أيها اليهود؟ حبطت أعمالهم التي كانوا ينافقون بها من صلاة وصوم ... إلخ. فأصبحوا خاسرين دنيا وأخرى.

وهذا مرض خطير ينتشر في الأمم الضعيفة المستعبدة، ترى الكثير من أبنائها الذين في قلوبهم ضعف وفي نفوسهم مرض يلجئون إلى الأعداء من الأجانب يتخذون عندهم يدا لأنهم ليسوا مؤمنين بالنصر وأن الدولة لهم.

يا قوم: اسمعوا وعوا واعتبروا. فإنما يتذكر أولوا الألباب!!

المرتدون والمحاربون لهم [سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)." (٣)

---

(١) التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة؟ جامعة المدينة العالمية ص/٣٤٩

(٢) التفسير الميسر؟ مجموعة من المؤلفين ص/١١٧

(٣) التفسير الواضح؟ محمد محمود حجازي ٥٢٦/١

"(حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين):

أي بطلت أعمال هؤلاء، وفسدت وذهبت سدى، فكانت عاقبة أمرهم: خسرا في الدنيا، إذ لم تقم للكافرين دولة فينتفعوا بثمار مساعدتهم، وأجر موالاتهم. وخسرا في الآخرة؛ أي حرموا ثواب الإيمان بالله، والإخلاص في طاعته.

وفيه عن التقريع لليهود، والاستهزاء بالمنافقين ما لا يخفى.

ونظير هذا قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون" (١).

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤)﴾.

المفردات:

(يرتد): يرجع عما هو عليه.

(أذلة): جمع ذليل؛ لين. رحيم. متواضع لا بمعنى مهين. أي: رحماء متواضعين.

(أعزة): أقوياء أشداء.

(لومة): المرة من اللوم. ولامه كدره بالكلام؛ لإتيانه ما لا ينبغي.

---

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١١، ١٢." (١)

"(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء):

أي ما تقدم من الأوصاف العظيمة، والفضائل الجليلة، من محبة الله لهم، ومحبتهم لله تعالى، وحنوهم على المؤمنين. والشدة على الكفار، والجهاد في سبيل الله – دون خشية أحد – إنما هو لطف الله وإحسانه: يتفضل – وحده – بمنحه من يشاء من عباده. وذلك بتوفيقه للعمل على تحصيله، والحرص على التحلي به.

(والله واسع عليم):

كامل القدرة، كثير الإفضال، كامل العلم، محيط بكل شيء. فلا يعجزه أن يأتي بمن **يحبهم ويحبونه**، ولا يفوته العلم بمن هو أهل لذلك الفضل.

وقد تحدثت الآية عمن يرتدون قبل أن تقع ردتهم، فكان ذلك إخبارا عن مغيبات، وكان معجزة للرسول، وإعجازا للقرآن.

وقد ارتد من العرب في أواخر عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثلاث فرق:

١ – بنو مدلج: تحت رياسة الأسود العنسي؛ تنبأ باليمن، ثم قتله فيروز الديلمي، في الليلة التي قبض الرسول – صلى الله عليه وسلم – من غدها.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث؟ مجموعة من المؤلفين ١٠٩٥/٢

٢ - بنو حنيفة: أصحاب مسيلمة الكذاب، الذي تنبأ فحاربه أبو بكر - رضي الله عنه - وقتله الوحشي؛ قاتل حمزة، وكان يقول: قتلت في جاهليتي خير الناس، وقتلت في إسلامي شر الناس.

٣ - بنو أسد: قوم طلحة بن خويلد، الذي ادعى النبوة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله عنه لقتاله، فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم، وحسن إسلامه.

وفي خلافة أبي بكر الصديق ارتدت بعض القبائل العربية. وبعضها امتنع عن دفع الزكاة واعتبرها جرما.

فرأى أبو بكر رضي الله عنه قتال المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة، وشرح الله صدور المسلمين لهذا، وجهز الجيوش، واستطاع القضاء على هذه الفتنة، وضم المسلمين بعد أن كادوا يتفرقون.." (١)

"أقسموا بالله وحلفوا الأيمان المغلظة المؤكدة: إنهم معكم، وإنهم مناصروكم على أعدائكم، ثم انكشفوا على حقيقتهم، وتبينت عداوتهم كما قال الله تعالى:

ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون (٥٦) [التوبة: ٩/ ٥٦] .

أي إنهم جماعة خائفون يظهرون الإسلام تقية أو مناورة أو سياسة، لا حقيقة. ثم يضيف المؤمنون قائلين: هؤلاء المنافقون بطلت أعمالهم، التي يؤدونها نفاقا من صلاة وصيام وحج وجهاد، فخسروا بذلك الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة.

وهكذا الزمن كفيل بإظهار الأمور على حقيقتها، فلا بد من أن ينهزم أهل الشر والباطل، وينتصر أهل الحق وجند الإيمان بعد الاستعداد الصحيح والتفافهم مع بعضهم، وإعزاز إيمانهم ودينهم كما قال الله تعالى: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١) إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا لهم الغالبون (١٧٣) [الصافات: ٣٧/ ١٧١- ١٧٣] .

تهديد المرتدين

إن الثبات على الحق والإيمان بالله تعالى مهما حدث من الحوادث والكوارث هو شأن المؤمن العاقل، الصحيح العقيدة، فلا يتزحزح عن إيمانه مهما اختلفت المصالح، أو تعرض للإغراءات والمصائب، ويظل ثابتا على العهد والدين كأنه الجبل الأشم والصخرة العاتية. أما ضعاف الإيمان، والانهزاميون والمتذبذبون الجبناء، فهم الذين لا يصمدون للمحنة أو الأزمة، وتراهم سريعي التبدل والتحول من ساحة الإيمان إلى بؤرة الكفرة ومستنقع الشيطان وأعوانه.

لذا هدد المرتدين بأنهم لن يضروا إلا أنفسهم، فقال الله تعالى:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٤ الى ٥٦]

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث؟ مجموعة من المؤلفين ١٠٩٧/٢

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي؟ وهبة الزحيلي ٤٧١/١

"[٤٩] قوله عز وجل: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة: ٤٩] إليك ﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ [المائدة: ٤٩] قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وأنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل الآية ﴿فإن تولوا﴾ [المائدة: ٤٩] أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ [المائدة: ٤٩] أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿وإن كثيرا من الناس﴾ [المائدة: ٤٩] يعني اليهود ﴿لفاسقون﴾ [المائدة: ٤٩]

[٥٠] ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ [المائدة: ٥٠] قرأ ابن عامر تبغون وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [المائدة: ٥٠]

[قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود] والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض. . . .

[٥١] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ [المائدة: ٥١] اختلفوا في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ [المائدة: ٥١] في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ﴿ومن يتولهم منكم﴾ [المائدة: ٥١] فيوافقهم ويعينهم، ﴿فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة: ٥١]

[٥٢] ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ [المائدة: ٥٢] أي: نفاق يعني عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود، ﴿يسارعون فيهم﴾ [المائدة: ٥٢] في معونتهم وموالاتهم، ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ [المائدة: ٥٢] دولة، يعني: أن يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: نخشى ألا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ [المائدة: ٥٢] قال قتادة ومقاتل: بالقضاء من نصر محمد صلى الله عليه وسلم على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أو أمر من عنده﴾ [المائدة: ٥٢] قيل: بإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فيصبحوا﴾ [المائدة: ٥٢] يعني هؤلاء المنافقون، ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ [المائدة: ٥٢] من موالاة اليهود ودس الأخبار إليهم ﴿نادمين﴾ [المائدة: ٥٢]

[٥٣] (و) حينئذ، (يقول الذين آمنوا) قرأ أهل الكوفة: ﴿ويقول﴾ [المائدة: ٥٣] بالواو والرفع على الاستئناف، وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ﴿أن يأتي﴾ [المائدة: ٥٢] أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية، استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ [المائدة: ٥٣] حلفوا بالله، ﴿جهد أيمانهم﴾ [المائدة: ٥٣] أي: حلفوا بأغلظ الأيمان ﴿إنهم لمعكم﴾ [المائدة: ٥٣] أي: إنهم لمؤمنون، يريد أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿حبطت أعمالهم﴾ [المائدة: ٥٣] بطل كل خير عملوه، ﴿فأصبحوا

خاسرين﴾ [المائدة: ٥٣] خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قرأ أهل المدينة والشام (يرتدد) بدالين على إظهار التضعيف ﴿عن دينه﴾ [المائدة: ٥٤] فيرجع إلى الكفر، قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه، واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه." (١)

"والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وقال قوم: المراد بقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: «لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هم قوم هذا "، وأشار إلى أبي موسى الأشعري» (١) وكانوا من اليمن. قوله عز وجل: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة: ٥٤] يعني: أرقاء رحماء، لقوله عز وجل: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء: ٢٤] ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون. قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] أي: أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم، من قولهم: عزه أي غلبه. قال عطاء: أذلة على المؤمنين: كالولد لوالده والعبد لسيده، أعزة على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم (٢) . ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة: ٥٤] أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤]

[٥٥] ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٥] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ [المائدة: ٥١] إلى قوله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٥] يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال جابر بن عبد الله: «جاء عبد الله بن سلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء» ، وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥] صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس، وقال السدي: قوله ﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥]

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل؟ عبد الله الزيد ٢٣٥/١

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٣١٣ وصححه على شرط مسلم، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ٧ / ١٦، والطبري في التفسير ١٠ / ٤١٤.

(٢) أخرجه البخاري في الأحكام ١٣ / ١٩٣، ومسلم في الإمارة برقم (١٧٠٩) ٣ / ١٤٧٠.." (١)

"٦٢ - تنبهوا - أيها الناس - واعلموا أن الموالين لله بالإيمان والطاعة **يحبهم ويحبونه**، لا خوف عليهم من الخزى فى الدنيا، ولا من العذاب فى الآخرة، وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا؛ لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر.." (٢)

"أولياءه ويحبونه (١).

١٥ - قوله تعالى: ﴿ذو العرش المجيد﴾؛ أي: الله الكريم (٢) الذي له صفات الكمال هو صاحب العرش الذي وسع السموات والأرض (٣).

= الأول: يبدئ الخلق ويعيده، وهو قول الضحاك من طريق عبيد، وقول ابن زيد.

والثاني: يبدىء العذاب في الدنيا ويعيده يوم القيامة، وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، ورجحه ابن جرير، فقال: «وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أنه يبدىء العذاب لأهل الكفر به ويعيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ في الدنيا، فأبدأ لهم ذلك في الدنيا، وهو يعيده لهم في الآخرة.

وإنما قلت: هذا أولى التأويلين بالصواب؛ لأن الله أتبع ذلك قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾، فكان للبيان عن معنى شدة بطشه الذي قد ذكره قبله، أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحا وصحة، قوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾، فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدة عقابه».

(١) فسر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة الودود بأنه الحبيب، وفسره ابن زيد بأنه الرحيم، والرحمة من لازم المحبة.

قال ابن القيم: «... الودود: المتودد إلى عباده بنعمه، الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه. وهو الودود أيضا؛ أي: المحبوب، قال البخاري في صحيحه: «الودود: الحبيب».

والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين، على كونه وادا لأوليائه، وموددا لهم، فأحدهما بالوضع، والآخر باللزوم. فهو الحبيب المحب لأوليائه **يحبهم ويحبونه**، وقال شعيب: ﴿إن ربي رحيم ودود﴾ [هود: ٩]، وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه مع ذلك؛ فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه، ولو كان منه ما كان». (التبيان في أقسام القرآن: ٥٩ - ٦٠).

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل؟ عبد الله الزيد ٢٣٦/١

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم؟ مجموعة من المؤلفين ص/٢٩٦

(٢) فسر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة: المجيد بالكريم.

(٣) سبق تفسير العرش، وقد ورد في المجيد قراءتان: الأولى برفع المجيد، وتكون من صفة الله سبحانه، والثانية بخفض المجيد، وتكون من صفة العرش؛ أي: العرش المجيد الذي صار شريفا ورفيعا بعلوه على المخلوقات، وكونه هو الذي اختص باستواء الرحمن عليه من بين المخلوقات، والله أعلم.." (١)

"فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ يعني فتح مكة وهذه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بوعده تعالى بالفتح والنصرة ﴿أو أمر من عنده﴾ أي يهلكهم بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق كإلقاء الرعب في قلوبهم كما فعل ببني النضير ﴿فيصبحوا على مآ أسروا في أنفسهم نادمين﴾ أي يصير المنافقون نادمين على ما كان منهم من موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ أي يقول المؤمنون تعجبا من حال المنافقين إذا هتك الله سترهم ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾ أي حلفوا لكم يا معشر اليهود بأغلظ الإيمان إنهم لمعكم بالنصرة والمعونة كما حكى تعالى عنهم

﴿وقوتلتم لننصرنكم﴾ [الحشر: ١١] ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ أي بطلت أعمالهم بنفاقهم فصاروا خاسرين في الدنيا والآخرة ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ خطاب على وجه التحذير والوعيد والمعنى: يا معشر المؤمنين من يرجع منكم عن دينه الحق ويبدله بدين آخر ويرجع عن الإيمان إلى الكفر ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ أي فسوف يأتي الله مكانهم بأناس مؤمنين يحبهم الله ويحبون الله ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ أي رحماء متواضعين للمؤمنين أشداء متعززين على الكافرين قال ابن كثير: وهذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه متعززا على عدوه كقوله تعالى ﴿أشدآء على الكفار رحمآء﴾ [الفتح: ٢٩] ومن علامة حب الله تعالى للمؤمن أن يكون لين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين متسربلا بالعزة حيال الكافرين والمنافقين ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ أي يجاهدون لإعلاء كلمة الله ولا يبالون بمن لامهم فهم صلاب في دين الله لا يخافون في ذات الله أحدا ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء﴾ أي من اتصف بهذه الأوصاف الحميدة فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له ﴿والله واسع عليم﴾ أي واسع الإفضال والإحسان عليهم بمن يستحق ذلك، ثم لما نهاهم تعالى عن موالاة الكفرة ذكر هنا من هم حقيقون بالموالاة فقال ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ أي ليس اليهود والنصارى بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ أي المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف الجليلة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون متواضعون لله عز وجل قال في التسهيل: ذكر تعالى الولي بلفظ المفرد إفرادا لله تعالى بهما، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال «إنما أولياؤكم» لم يكن في الكلام أصل وتبع ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾." (٢)

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار؟ مساعد الطيار ص/١١١

(٢) صفوة التفاسير؟ محمد علي الصابوني ٣٢٣/١

"وقد بين تعالى: – أن ذلك التعامل بالرفق لخصوص المسلمين دون الكافرين قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة: ٥٤) .

وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩) (١) .

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ (التحريم: ٩) .

فالشدة في محل اللين حمق وخرق واللين في محل الشدة ضعف وخور

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل (٢)

تلك بعض خيرات التمسك بالقرآن الكريم في حياة الفرد والجماعة والدولة بل والأمة من أرادها فليرجع إلى كتاب ربه الكريم ففي ذلك الخير العميم والهدي إلى الصراط المستقيم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة. معنى مفردات.

﴿أذلة على المؤمنين﴾ "عاطفين عليهم" ﴿أعزة على الكافرين﴾ .

أشداء عليهم وهذه من صفات قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر نفس المصدر الجلالين.

(٢) انظر: الإسلام دين كامل للشيخ الأمين من ص ١٩-٢٤، بتصرف بسيط.." (١)

"العزيمة على الرشد:

فالخطوة الأولى -إذن- في طريق استكمال نواقصنا التربوية هي الصدق في طلب ذلك، والعزم الأكيد على تزكية عقولنا وقلوبنا وأنفسنا وجهدنا، وأن نكون ممن عناهم الله -عز وجل- بقوله: "فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" [المائدة: ٥٤]، فعلي قدر العزم يكون المدد: "فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم" [محمد: ٢١]، فالخير كله -كما يقول ابن رجب- منوط بالعزيمة الصادقة على الرشد، وهي الحملة الأولى التي تهزم جيوش الباطل، وتوجب الغلبة لجنود الحق.

قال أبو حازم: إذا عزم العبد على ترك الآثام، أتته الفتوح.

وسئل بعض السلف: متى ترتحل الدنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة ترحلت الدنيا من القلب، ودرج القلب في ملكوت السماء، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع إلى الدنيا.

ويستطرد ابن رجب قائلا:

من صدق العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد مترددا طمع فيه الشيطان، وسوفه ومناه.

يا هذا: كلما رآك الشيطان قد خرجت من مجالس الذكر كما دخلت،

وأنت غير عازم على الرشد فرح بك إبليس (١).

---

(١) التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين؟ عبد الله بن عمر الشنقيطي ص/٣٢

فعون الله للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها، فمن صمم على إرادة الخير أعانه الله وثبته (٢).

فالبداية-إذن- عزم أكيد ثم الاستعانة الصادقة بالله في تحقيق هذا العزم:

"فإذا عزمت فتوكل على الله" [آل عمران: ١٥٩].

ولنعلم جميعا أن الله -عز وجل- وحده هو الذي يملك إمدادنا بما عزمنا عليه، وأنه سبحانه يريد أن يرى منا صدقنا فيما نعزم، وأهم صورة لإظهار هذا الصدق هو الإلحاح عليه، والتضرع بين يديه .. تضرع واستغاثة تشبه استغاثة الغريق الذي يستغيث بمن حوله ليسارعوا في إنقاذه.

يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه» (٣).

اعزم وتوكل وانطلق:

وبعد صدق العزم والتوكل على الله علينا أن نشرع في استكمال ما ينقصنا من جوانب التربية المختلفة، وإن كان من الأفضل أن نبدأ بالتربية الإيمانية كما أسلفنا ونتبعها بعد ذلك بالجوانب الأخرى حتى يتحقق التوازن التربوي بعون الله.

ولعل من أهم الأسباب التي تعين المرء على الاستمرار في تربية نفسه وبذل جهده في سبيل الله هو وجوده في وسط صالح، وصحبة طيبة، إذا نسي ذكروه، وإذا عزم أعانوه، وإذا غاب تفقدوه "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا" [الكهف: ٢٨].

وفي النهاية نسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ما وفقنا إليه، وأن يعيننا جميعا على استكمال ما ينقصنا لكي نكون عبيدا مخلصين له غير ضالين ولا مضلين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب ١/ ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٤٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير (٥٣٠).." (١)

"الوجه الثاني: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة، لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة؛ ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، وقيل: إنه ليس فيه رياء، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لا يطلع عليه غير من أمره. أو نهاه؛ دل ذلك على صحة إيمانه.

---

(١) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم؟ مجدي الهلالي ص/٤٤

والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرا بينهم وبينه، بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه؛ حتى كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة.

وقال بعضهم لما اطلع على بعض سرائره، إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرا، ثم دعا لنفسه بالموت، فمات.

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من **يحبهم ويحبونه**.

وقوله: "ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي"، فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه، وأن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح، وهذه أعظم شهوات النفس، وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها:

(أ) كسر النفس؛ فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

(ب) تخلي القلب للفكر والذكر؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتغميه، وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر، وتستدعي الغفلة.

وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر.." (١)

"المبين، فيصبح واضح القصد موضحا لمراده ومع ذلك، فهناك إشارات إلى فصاحة القرآن، وبيانه مثل قوله تعالى: ﴿حم، والكتاب المبين﴾ [الزخرف: ٤٣/ ١-٢] وقوله جل من قائل: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٤٩] ، وقال سبحانه: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل: ١٦/ ١٠٣] .

هـ- تربية العواطف الربانية: من خوف وخشوع، ورغبة ورهبة، وترقيق للقلب والمشاعر، فالقرآن ما يزال دائما يوقظ هذه العواطف، وقد يصف آثارها عند من يتلون القرآن حق تلاوته، قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ [الزمر: ٣٩/ ٢٣] .

ومن حسن تلاوة القرآن أنه إذا قرأ القارئ فيه دعاء دعا به، وإن قرأ تهديدا أو عذابا، استعاذ بالله منه، وإن قرأ آيات تدل على عظمة الله خشع قلبه، واغرورقت عيناه بالدموع، وهؤلاء الذين يعملون بتعاليم القرآن بعد أن يرقق قلوبهم قد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ٢/ ١٢١] .

وقال سبحانه: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٥٥/ ٤٦] .

ولا يكتفي القرآن بتربية العواطف المنظمة، بل يربي أيضا العواطف المرغبة التي تربي الأمل، والإقبال على العمل الصالح، ومحبة الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ٢/ ١٦٥] ، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين

(١) أسرار المحبين في رمضان؟ محمد حسين يعقوب ص/٢٢

أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥/ ٥٤] .

وقد بين الله في هذه الآية بعض الآثار العظيمة لمحبة الله، من تذلل للمؤمنين، وإظهار العزة في وجه الكافرين، والجهاد في سبيل الله.

وهكذا نجد في حسن تلاوة القرآن بقصد التربية بالقرآن، أنه يمكن تربية العقل على حسن التفكير، وتأمل آثار عظمة الله، وتربية المشاعر والعواطف بالخوف من الله." (١)

"قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ٢/ ١٦٥] ، قال ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم": "ولحبهم له وتمام معرفتهم به وتوقيرهم، وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه ويلجئون إليه في جميع أمورهم"١.

قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران: ٣/ ٣١] .

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلغ أوامره من شروط محبته، كما وصف الله الذين يحبهم الله، ويحبونه بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥/ ٥٤] .

وإذا تتبعنا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصا على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله، والشعور بفضله والتعرف إلى نعمه، وإلى ما أعد للمتقين في جنات النعيم، وطول مناجاته وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته، إلخ.

د- الرجاء وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعا إلى الجهاد، وطلب الموت في سبيل الله، فكان الصحابي والمجاهد يقول: "بخ، بخ، هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟ " ويهجم على الأعداء حتى يستشهد.

---

١ تفسر ابن كثير، ١/ ٢٠٢، ط دار الفكر - بيروت.." (٢)

"الأصل الخامس والعشرون: ليس الشأن أن تحبه ، إنما الشأن أن يحبك

فهل يحبك الله؟

إخوتى فى الله ، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنى أحبكم فى الله ، وأسأل الله جل جلاله أن يجمعنا بهذا الحب فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .. أحبتى فى الله ، الحب .. حب الله .. اللهم ارزقنا حبك وحب كل عبد صالح يحبك ، وحب كل عمل صالح يقربنا إلى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أهلينا وأنفسنا ومن الماء البارد على الظمأ.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع؟ عبد الرحمن النحلاوي ص/٧٩

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع؟ عبد الرحمن النحلاوي ص/٢٣٥

أحبتى فى الله ، يذكر ابن القيم أن الدنيا لا تقوم إلا على الحب ، فكل حركة وسكنة فى الحياة إنما الدافع عليها الحب ، وأصل الحب حب الله .. وليست القضية أن تعزم وتظل الليل والنعار تقول:

أحبك ، وإنما الشأن أن يحبك هو ، ولذلك اختار الله قوما ، قدم حبه على حبهم ، قال جل جلاله:

" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " (المائدة: ٥٤) ، فقدم حبه على حبهم له ، فهو – سبحانه – أحبهم وبحبه لهم أحبوه ، ولذلك فإن الأصل فى هذه القضية – أيها الأخ الكريم –: هل يحبك الله؟!!

هذا هو السؤال .. الله يحبك أم لا؟ سؤال يحتاج منك فعلا إلى إجابة .. هل تصلح؟ .. هل تستحق؟!." (١)

"وعقلك بالفكر فيه ، ثم لا تجد فى نفسك بقية لغيره .. فانظر أين قدمك .. إذا أحبك وضع قدمه فى المواطن التى يرضاها .. نعم: إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك؟!

علامات حب الله – تعالى – للعبد:

١ – اتباع النبى صلى الله عليه وسلم.

قال الله – تعالى – " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " (آل عمران: ٣١).

٢ – الذلة على المؤمنين.

٣ – العزة على الكافرين.

٤ – المجاهدة فى سبيل الله.

٥ – عدم خوف اللوم فى الله.

وجمع هذه الأربع قول الله – تعالى –: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " (المائدة: ٥٤).

٦ – التقرب إلى الله بالنوافل.." (٢)

"حليم) ، وقال في وصف الحادث به: (فبشرناه بغلام حليم) ، (إن إبراهيم لأواه حليم) .

وقال في وصف نفسه بالمغفرة: (إن الله غفور رحيم) ، (لهم مغفرة وأجر عظيم) ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بها: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور) . (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) . (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) ونحو ذلك من الآيات.

ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف الحادث به أيضا فقال: (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: (فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى؟ محمد حسين يعقوب ص/٢٩١

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى؟ محمد حسين يعقوب ص/٣٠٣

فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال (قل هل أنبئكم بشر من ذالك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه) ، (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه) .

وقال في وصف الحادث بالغضب (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) وأمثال هذا كثير جدا.

والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك، مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

فإذا حققت كل ذلك علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات، فتمدح جل وعلا." (١)

"- صفتا الرضي والمحبة:

[ووصف نفسه جل وعلا بالرضى، ووصف الحادث به أيضا فقال: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: ﴿فسوف يأتى الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾] (١) .

- صفة الحلم:

[وقال وصف نفسه بالحلم: ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾] (٢) .

- صفتا الرحمة والرأفة:

[قال في وصفه جل وعلا بهما: ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾] (٣) .

[الرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسم الرحمن، واسمه الرحيم: وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم، وصيغة التفضيل في قوله: ﴿وأنت خير الراحمين﴾ لأن المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضا، ولا شك أن رحمة الله تخالف رحمة خلقه، كمخالفة ذاته وسائر صفاته لذواتهم، وصفاتهم] (٤) .

---

(١) - ٢/٢٨٢,٢٨٣، الأعراف/٥٤.

(٢) - ٢/٢٨٢، الأعراف/٥٤ ، وانظر ٥/٨٣٤، المؤمنون/١١٨.

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية؟ أبو المنذر المنياوي ١/١١٤

(٣) – ٢٨٢/٢، الأعراف/٥٤.

(٤) ٨٣٤/٥، المؤمنون/١١٨ وأنظر ٢٨٨/٢، الأعراف /٥٦، ٣٤،٣٣/١، الفاتحة /٣.." [١]

"ويجب اثبات استواء الله على عرشه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى (١). ولما سئل مالك بن أنس عن قوله: " الرحمن على العرش استوى " (طه، آية: ٥)، قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالا وأمر أن يخرج السائل من المجلس (٢). وأكثر من صرح بأن الله مستو بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد بن أبي يزيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكيا وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسماء الحسنى وكذلك أبو عمر بن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندليسيين وغير ذلك من السادة المالكية (٣).

إن كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعامة الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شئ وأنه فوق العرش وفوق السماوات مستو على عرشه (٤).

صفة المجئ: قال تعالى: " وجاء ربك والملك صفا صفا " (الفجر، آية: ٢٢)، قال تعالى: " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله " (البقرة، آية: ٢١٠). ويجب إثبات المجئ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجئ حقيقة يليق بالله تعالى (٥).

صفة الرضا: قال تعالى: " رضي الله عنهم ورضوا عنه " (المائدة، آية: ١١٩).

صفة المحبة: قال تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** " (المائدة، آية: ٥٤).

---

(١) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد صـ ٦٢.

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية، عقيدةالمسلمين صـ٨٦.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة صـ (٢/ ١٣٤).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية صـ٩٦.

(٥) لمعة الاعتقاد صـ٥٢.." [٢]

"وأما العلامات الأخرى فقد دل عليها قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " (المائدة، آية: ٥٤).

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية؟ أبو المنذر المنياوي ١٩٥/١

(٢) الإيمان بالله جل جلاله؟ علي محمد الصلابي ص/٨٣

وأنواع العبادات كثيرة وإنما هذه على سبيل المثال وقد قسم العلماء أنواع العبادات التي لا يجوز أن يقصد بها غير الله إلى:

. عبادات اعتقادية: وهذه أساس العبادات كلها وهي أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الذي لا شريك له، ويشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنه لا معبود بحق غيره.

. عبادات قلبية: والعبادات القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله وحده، وصرفها لغير الله شرك كثيرة، كالخوف والرجاء، والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والحب والانابة، والتوكل، والخضوع والخشوع، والاستغاثة .... الخ

. قولية: كالنطق بكلمة التوحيد، إذ لا يكفي اعتقاد معناها بل لابد من النطق بها، وكالاستعاذة بالله، والاستعانة به، والدعاء له، وتسبيحه، وتمجيده، وتلاوة القرآن.

. بدنية: كالصلاة والصوم، والحج والذبح والنذر وغير ذلك.

. مالية: كالزكاة وأنواع الصدقات والكفارات، والأضحية والنفقة (١).

سادسا: أفضل العبادات:

إن أفضل العبادة، العمل على مرضاة الرب في كل وقت وبما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد، الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار.

. والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا، القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر.

---

(١) العقيدة في الله ص ٢٣٦.." (١)

"الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا التي تبين ولايته سبحانه وتعالى لكل مؤمن صالح متق لله سبحانه وتعالى. .

والولاية هي المحبة والنصرة. . فالله سبحانه وتعالى إذا والى عبدا فإنه يحبه وينصره ويعزه ويكرمه كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] .

وكذلك العبد إذا قيل إنه يوالي الله فمعنى ذلك أنه يحب الله وينصره كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] . وقال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧] . فولي الله من ينصره ويحبه، ومن يحب الله ينصره. .، فكل من أحب الله ونصره، وسار في مرضاته، وحفظ حدوده، وأقام شريعته ودينه، فهو ولي الله سبحانه وتعالى. وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - طريق الولاية فقال - صلى الله عليه وسلم -: [قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله؟ علي محمد الصلابي ص/١٢٨

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه] (رواه البخاري) .

هنا بين الرسول فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أن طريق الولاية للعبد هو أن يقوم بأداء الفرائض أولا التي هي أحب الطاعات إليه سبحانه وتعالى، ثم يتدرج في أداء النوافل حتى يحبه الله، فإذا أحبه الله سبحانه وتعالى كان وليا حقا له جل وعلا، وقد جاء في الحديث الصحيح: (إن الله إذا أحب عبدا قال يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له." (١)

"ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه (١).

ـ ومن حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أرحم بعباده من هذه بولدها (٢).

٣ . حض المؤمنين على التحلي بها:

ندب الله تعالى عباده إلى التحلي بالرحمة، وحثهم علبها في بعض مواطنها لكبير أهميتها في تلك المواطن لينالوا أجرها وعظيم ثوابها، وذلك كالرحمة بالوالدين اللذين عظم الله شأنهما وقرن شكرهما بشكره، وطاعتهما بطاعته، فكانت الرحمة عند الكبر محتمة حيث قال تعالى: " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" (الإسراء، آية: ٢٤).

وقد قال الله جل ذكره في شأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" (الفتح، آية: ٢٩).

ـ كما أثبتها يلازمها لهم ولمن اتصف بصفاتهم بقوله سبحانه: " من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" (المائدة، آية: ٥٤).

(١) مسلم رقم ٢٧٥٤.

(٢) مسلم رقم ٢٧٥٤، تحلب: اجتمع حليب ثديها فيه.." (٢)

"اللائقة، لا تشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة، فمن ظن منها شيئا من هذا فمن سوء فهمه أتي" (١).

ثالثا: المحبة: وهي ثمرة العلم بجمال الرب وكماله وإنعامه وإحسانه، لأن القلوب مجبولة على محبة الكمال، وعلى محبة من أحسن إليها. والمحبة التي يثمرها العلم بهاتين الصفتين أكمل أنواع الحب القلبي، وهي محبة التأله التي إذا استقرت في القلب

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة؟ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٢٢٠

(٢) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية؟ علي محمد الصلابي ص/١٣٤

أورثت أهلها كمال الاتباع والإيثار، وموافقة الرب في محبوباته ومكروهاته ظاهرا وباطنا، وليست مجرد دعاوى وعواطف لا حقيقة لها في الواقع، كما يتوهمه المغرورون، أو مجرد محبة عقلية تعني إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، كما يزعم الجهمية نفاة المحبة، إذ الرب عندهم لا يحب ولا يحب، لأن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين الجانبين، ولا مناسبة بين القديم والمحدث!.

والقرآن يكذب مقالتهم في نصوص كثيرة، لقوله تعالى: ﴿فسوف ياتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والحق خلاف ما عليه هؤلاء وهؤلاء، فإن محبة الله ـ تعالى ـ تملأ القلب، وتستتبع آثارها الظاهرة والباطنة، التزاما بالشرع واتباعا لأحكامه وتقديما له على كل محبوب، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٥، وانظر في الحياء وما يتعلق به: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١/ ٢١، ٢١٣، الفوائد لابن القيم ص٩٦، مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٩٠، تفسير السعدي ١/ ١٥٤.." (١)

"للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما (الإثبات المفصل) : فإنه ذكر من أسمائه وصفاته، ما أنزله في محكم آياته كقوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ الآية بكمالها. وقوله: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد﴾ السورة، وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ ، ﴿وهو العليم القدير﴾ ، ﴿وهو السميع البصير﴾ ، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ، ﴿وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعال لما يريد﴾ ، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ .

وقوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ ، وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ الآية. وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ ، وقوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ ، وقوله: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الأيمان فتكفرون﴾ ، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ ، وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ .

وقوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ ، وقوله: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ ، وقوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم." (٢)

---

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره؟ عيسى السعدي ص/٧٩

(٢) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؟ أحمد بن عبد العزيز الحصين ص/٧

"﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظائر هذا متعددة.

وكذلك سمى صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ ، ﴿أنزله بعلمه﴾ ، وقال: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ ، وقال: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ . وسمى صفة المخلوق علما وقوة، فقال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ، وقال: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ ، وقال: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ ، وقال: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ ، وقال: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ ، وقال: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أي بقوة، وقال: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

ووصف نفسه بالمشيئة ووصف عبده بالمشيئة، فقال: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ، وقال: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ .

وكذلك وصف نفسه بالإرادة وعبده بالإرادة فقال: ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ .

ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ، وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .." (١)

"الصالحين والأولياء فهذه خوارق شيطانية، نحاربها أشد المحاربة، وهي سورة شيطانية تسيء إلى الإسلام والمسلمين. فالإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الموحدين يحاربون أولياء الشياطين من الخرافيين والمشغوذين من الصوفية وغيرهم، الذي أدخلوا كثيرا من أقوال شيطانية باسم الكرامة والأولياء، وجعلوها لدجالين ومشعوذين، أمثال أحمد البدوي، والدسوقي، وابن سبعين، وابن الفارض، والشعراني.. الخ.

يقول عبد الظاهر، أبو السمح، إمام الحرم المكي، رحمه الله:

الكرامات لا يملكها أحد لنفسه بل الله يكرم من يشاء من عباده بالإيمان والتقوى، ومن يهن الله فما له من مكرم١.

وأخيرا نختتم هذه الفرية بعطر من صاحب الدعوة المباركة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهو يبين الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قائلا:

بيان الله سبحانه وتعالى وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، وآية في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ الآية، وآية في سورة يونس، قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ .

---

(١) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؟ أحمد بن عبد العزيز الحصين ص/١٣

١ الرسالة المكية ص ٢٥.." (١)

"" العبودية " تعريفا للعبادة الشرعية يستوعب مجالاتها وتفصيلاتها، ويبين أن الدين كله داخل في العبادة، فقال: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ".

[الأصول التي تبنى عليها العبادة]

الأصول التي تبنى عليها العبادة: عرفنا أن أصل العبادة الذل وأن عبادة الله لا بد أن تتضمن مع كمال الذل له كمال الحب والخوف والرجاء، فهذه ثلاثة أصول: المحبة، الخوف، الرجاء.

١ - المحبة: وهي أعظم الأصول الثلاثة، والله سبحانه وتعالى وحده يستحق أن يحب لذاته، ومحبة المؤمنين لربهم تتضاعف إذا دخلوا دار النعيم، بينما الخوف ينقطع بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقد أخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن محبة المؤمنين لله فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] (البقرة الآية: ١٦٥) ، وقال: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] (المائدة: ٥٤) .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» (١) .

وقد جعل الله سبحانه مقياسا لصدق مدعي محبة الله فقال:

---

(١) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؟ أحمد بن عبد العزيز الحصين ص/٣٤٢

(١) كما أخبر سبحانه عن محبته لعباده المطيعين له كما قال تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ، وقال: (**يحبهم ويحبونه**) ، وقال: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة الآية ١٩٥) ، (فإن الله يحب المتقين) (آل عمران الآية ٧٦) وهكذا.." (١)

"يولد*ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الاخلاص: ٤.١] ، وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم: ٢] ، ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤] ، ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] ، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [ابراهيم: ٤] ، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١،٧] ، ﴿وهوالغفور الودود*ذو العرش المجيد*فعال لما يريد﴾ ، [البروج: ١٤.١٦] ، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم*هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: ٤.٣] ، ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد: ٢٨] ، ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم**



(١)

ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] ، ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء: ٩٣] ، ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الأيمان فتكفرون﴾ [غافر: ١٠] ، ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ [البقرة: ٢١٠] ، ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] ، ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤] ، ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ [مريم: ٥٢] ، ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢] ، ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] ، ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم*هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون*هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .
إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل،." (١)

"الآيات الدالة على الإثبات المفصل

الشاهد

١ . ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

٢ . ﴿قل هو الله أحد*الله الصمد﴾ [الاخلاص: ١-٢] .

الحي، القيوم، الأحد، الصمد.

٣ . ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم: ٢] .

٤ . ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤] .

العليم، الحكيم، القدير.

٥ . ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]

٦ . ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [ابراهيم: ٤] .

السميع، البصير، العزيز.

٧ . ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ [يونس: ١٠٧] .

٨ . ﴿وهوالغفور الودود﴾ [البروج: ١٤-١٦] .

الغفور، الرحيم، الودود.

٩ . ﴿ذو العرش المجيد*فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٥-١٦]

المجيد، الفعال لما يريد.

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٦٧

١٠. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم [الحديد: ٣] .
الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العليم.
١١ ﴿. هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: ٤] .
الخالق، استوى على العرش، العليم، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير.
١٢. ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد: ٢٨] .
إثبات السخط.
١٣. ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤]
إثبات صفة المحبة لله.
١٤. ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [البينة: ٨] .
إثبات صفة الرضا.
١٥. ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء: ٩٣] .
إثبات صفة الغضب.
١٦. ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الأيمان فتكفرون﴾ [غافر: ١٠.] .
إثبات صفة المقت وهي شدة الكراهية.
١٧. ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة: ٢١٠.] .
إثبات إتيان الله.." (١)

"وقال: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ [غافر: ٨٣] ، وقال: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤] ، وقال: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ [هود: ٥٢] ، وقال: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: بقوة، وقال: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ [ص: ١٧] أي: ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.
وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم*وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير:٢٨-٢٩] ، وقال: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا *وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ [الانسان: ٢٩-٣٠] .
وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة فقال: ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ [لأنفال: ٦٧] .

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٨٠

ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبد بالمحبة فقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] .

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] . ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الأيمان فتكفرون﴾ [غافر: ١٠.] وليس المقت مثل المقت.

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، وكما وصف عبده بذلك فقال: ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ [لأنفال: ٣٠.] ، وقال: ﴿إنهم يكيدون كيدا*وأكيد كيدا﴾ [الطارق: ١٥.١٦] ، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد.." (١)

"وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا. وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير.

فكذلك إذا قالوا في قوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] ، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [لأعراف: ٥٤] : إنه على ظاهره، ولم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبا كحبه، ولا رضا كرضاه.

فإن كان المستمع يظن أن ظاهره الصفات تماثل صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي، وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدا.

وبيان هذا: أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاض لنا، كالوجه واليد، ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: أن ظاهر هذا غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه.

فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته." (٢)

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/١١٢

(٢) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٣٦

"﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] (١) وقال: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم: ٢] (٢) ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤] (٣) . ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] (٤) . ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] (٥) . ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] (٦) . ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف: ٥٥] (٧) . ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] (٨) . ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [آل عمران: ٢] (٩) . ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح: ٦] (١٠) . وغيرها من آيات الصفات.

---

(١) سورة طه: الآية، ٤٦.

(٢) سورة التحريم: الآية، ٢.

(٣) سورة النساء: الآية، ١٦٤.

(٤) سورة الرحمن: الآية، ٢٧.

(٥) سورة المائدة: الآية، ١١٩.

(٦) سورة المائدة: الآية، ٥٤.

(٧) سورة الزخرف: الآية، ٥٥.

(٨) سورة القلم: الآية، ٤٢.

(٩) سورة آل عمران: الآية، ٢.

(١٠) سورة الممتحنة: الآية، ١٣.." (١)

"وكذلك وصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (المائدة: من الآية٥٤) ، ووصف نفسه بالمناداة فقال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ (مريم: من الآية٥٢) ووصف عبده بالمناداة فقال: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ (الحجرات:٤) ، ووصف نفسه بالتكليم في قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (النساء: من الآية١٦٤) ، ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ (يوسف:٥٤) ، وغيرها كثير (١) .

فهل إطلاق هذه الأسماء والصفات على الله وعلى المخلوق هو من باب المشترك اللفظي (٢) ، أو باب المتواطئ (٣) أو المشكك؟ (٤) .

والفرق بين المشترك اللفظي والمتواطئ أو المشكك كبير جدا، لأن معنى المشترك اللفظي أن اللفظ واحد ولكن المعاني والمدلولات التي يصدق عليها هذا

---

(١) انظر: التدمرية (ص:٢١-٣٠) - ت السعوي -، والجواب الصحيح (٣/١٤٨-١٤٩) .

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ١/٦٠

(٢) المشترك االلفظي هو: اللفظ الواحد الذي يطلق على أشياء مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقا متساويا، كالعين تطلق على آلة البصر، والينبوع، والجاسوس، انظر معيار العلم (ص:٨١) – ت دنيا –، والمعغجم الفلسفي (٣٧٦/٢) – صليبا – والمعجم الفلسفي (ص:١٨٣) – مجمع اللغة –، والمبين للآمدي (ص:٥١) ت الأعسم.

(٣) المتواطئ: يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم الإنسان على زيد وعمرو، أو هو: الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية بالسوية، كالإنسان والشمس، فالإنسان له أفراد في الخارج، والشمس لها أفراد في الذهن، انظر: معيار العلم (ص:٨١) ، والتعريفات (ص:١٠٦) ، والمعجم الفلسفي (٣٣٤/٢) – صلبيا.

(٤) المشكك: هو ما يدل على أشياء لأ/ر عام مشترك بين أفرادها، لا على السواء، بل على التفاوت، أو هو: الكلي الذي لم يتساو صدقه على أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى أو أقدم أو أشد من البعض الآخر، ك الوجود فإنه ف الواجب أولى وأقدم وأشد مما في الممكن، وكالبياض للثلج والعاج. (والعاج ناب الفيل أو عظمه، وقيل هو الذيل وهو شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البرية والبحرية، وقيل كل عظم عند العرب عاج. انظر: النهاية لابن الأثير (٣١٢/٣) ، والصحاح ولسان العرب وتاج العروس مادة: عوج) . وانظر في معنى المشكك: التعريفات (ص:١١٤) ، والمعجم الفلسفي (٣٧٨/٢) – صليبا –، والمبين للآمديب (ص:٥٠-٥١) – ت الأعسم –.." (١)

"من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: من الآية١٦٥] ، وللمفسرين في أفعل التفضيل "أشد حبا لله" قولان: أحدهما: الذين آمنوا أشد حبا لله من حب المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة المشركين مشتركة.

وثانيهما: الذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين لأندادهم١.

٢- قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: من الآية٥٤] ؛ فالله يحبهم بسبب تمسكهم بدينه وشرعه، وهم يحبونه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

٣- قول الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران: ٣١] . يقول الحسن البصري رحمه الله عن هذه الآية: "قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنا نحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل الله تعالى هذه الآية"٢.

٤- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"٣.

واجتماع هذه الشروط يحقق حلاوة الإيمان؛ فيستلذ العبد الطاعات، ويحتمل المشاق، إذا كان ذلك في سبيل رضا الله عز وجل، ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٠٧١/٣

١ انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/ ٣٥٩.

٢ ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٧٧-١٧٨، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر عن الحسن البصر.

٣ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.." (١)

"على هذا الأساس، ردة كاملة لا شبهة فيها ولا غبار عليها، حيث إن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تمنع موالاة الكفار جملة وتفصيلا.

فمحبة هوى النفس بغير التقيد بحب ما يحبه الله، أو بغض ما يبغضه الله، يعتبر شركا وكفرا بواحا، قال تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا) [المائدة: ٧٧] وقال تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) [الفرقان: ٤٣].

فالموالاة الحقيقية لله، والمعاداة فيه، يجب أن تدور عليهما الأعمال الظاهرة، وتنتج عنهما، فالإيمان اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان (١).

والحب في الله والبغض في الله من أسس الإيمان وركائزه العظام، والأعمال الظاهرة تصدق ذلك أو تكذبه، وقد ربط الله عز وجل المحبة بآثارها في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) [المائدة: ٥٤] فصفة المحبين لله المحبوبين عند الله أنهم يكونون (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾

(١) انظر شرح الطحاوية (٢٦٦).." (٢)

"وحيث تقرر بما لا يدع مجالا للشك، وجوب موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين، فقد أكد الله على ذلك، وجعل هذا الأمر من سمات المؤمنين العملية، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) [المائدة: ٥٤] وقال تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) [الفتح: ٢٩].

قال بعض المفسرين: إن من يتول الكفار منكم أيها المسلمون فيرتد بالموالاة لهم، فليعلم أن الله تعالى، يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه.

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/٧٥

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ١/١٤٢

وقال الحسن: علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد دخولهم فيه، بسبب موالاتهم للكفار، فأخبر هؤلاء بأنه سبحانه وتعالى غني عنهم، وأنهم لن يضيروا (١) الإسلام شيئا بنكولهم عنه، حيث إنه تعالى سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأن هؤلاء بردتهم تلك لن يضروا سوى أنفسهم، بحرمانها من منهج الحق والصواب.

وقد وصفت آية المائدة السابقة المؤمنين المحبوبين عند الله المحبين له بأنهم أذلة أي: جمع ذليل؛ لأن ذلول والذل نقيض الصعوبة لا يجمع على أذلة، وإنما يجمع على ذلل، وليس المراد أنهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب، فإن من كان ذليلا عند إنسان فإنه لا يظهر الكبر والترفع عليه ألبتة.

ولتضمن الذل معنى الحنو والعطف، وعدي بعلى دون اللام، كأنه

---

(١) يضيروا بمعنى: يضروا، لسان العرب (٢/ ٥٥٩).." (١)

"بهذه الحال، أحبه الله عز وجل لهذه الصفة التي اتصف بها قال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) [المائدة: ٥٤].

وقد سئل ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهما حسين وعبد الله عن رجل دخل هذا الدين وأحبه وأحب أهله، ويبغض الشرك وأهله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل الإسلام، ويقاتلون أهله، وهو يعتذر بأن مقاتلته لهؤلاء الكفار وترك وطنه من أجلهم يشق عليه ذلك، فهو لا يستطيع مفارقة الأهل والأموال والأولاد والعشيرة.

فهل يكون كافرا أو مسلما؟

فأجابا بأن في ذلك تفصيل.

أولا: أن ينظر إلى هذا الشخص المقيم مع الكفار، هل يقدر على إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من كفر وشرك؟ وهل يقدر على إظهار عداوته لهم، أو أن يظهر لهم أنهم كفار؟ وهل يأمن على أن لا يفتنوه عن دينه، لأجل أهله وماله وولده؟ فإن كانت الإجابات على هذه الأسئلة بنعم فهذا لا يحكم بكفره ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر، ومات بين أظهرهم فيخشى أن يكون داخلا في أهل هذه الآية (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) [النساء: ٩٧، ٩٨].." (٢)

"وقال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) [التوبة: ٧١].

فالأخ المسلم الصادق يرى أن إخوانه أولى به من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، فحاجته إليهم أشد من حاجتهم إليه (١).

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ١٦١/١

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ١٨٠/١

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [المائدة: ٥٤].

فالأخ يتقوى بإخوانه ويسترشد بهم فبدلا من أن يفكر بعقل واحد يفكر بعدة عقول عندما يطرح أي مشكلة من مشاكل الحياة التي تواجهه فيجد من إخوانه تنويرا وتبصيرا لما قد يغيب عنه أو يخفى عليه، ويجد منهم عونا معنويا وماديا له في الحياة.

السبب الخامس: من أسباب تحقيق الموالاة في الله، سلامة الصدر من الغش والحسد والضغينة نحو الإخوان في الله.

فقد أخرج أحمد بإسناد حسن والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه، وقد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي - صلى الله عليه وسلم - تبعه

---

(١) انظر مجموعة رسائل البنا (٢٧٦).." (١)

"المبحث الثالث: موالاة المرتدين ومعاداتهم

معنى الردة لغة: الرجوع. واصطلاحا: رجوع المسلم البالغ العاقل عن الإسلام إلى الكفر، قال تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (٢).

والأصل في معاملة المرتد في الدولة الإسلامية، أن يستتاب ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل بعد ثبوت البينة على ردته. لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة» (٣).

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٧).

(٢) سورة المائدة آية (٥٤).

(٣) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم ج٣ ص١٣٠٢.." (٢)

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ١/٢٥٤

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢/٤٨٧

"وقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] .

وفي الحديث: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) (١) .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله (٢) :

(وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله. ومعاداة من عاداه واتباع رسوله، واقتفاء أثره وقبول هداه) (٣) .

ويقول ابن القيم في النونية:

شرط المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا عصيان

فإذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك ما يحب فأنت ذو بهتان

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبا له ما ذاك في إمكان

وكذا تعادي جاهدا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان

ليس العبادة غير توحيد المحبة ... مع خضوع القلب والأركان

---

(١) صحيح البخاري (ج ١/٦٠) (ح١٦) كتاب الإيمان وصحيح مسلم (ج ١/٦٦) (ح٤٣) كتاب الإيمان.

(٢) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي. عالم سلفي من منطقة تهامة ولد سنة ١٣٤٢ هـ بقرية السلام بالقرب من جيزان. كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم. تتلمذ على الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي. وكان ذا علم وتقوى وعفة. وتوفي رحمه الله سنة ١٣٧٧ هـ وعمره ٣٥ سنة.

انظر ترجمته بقلم ابنه أحمد بن حافظ في أول معارج القبول الجزء الأول.

(٣) معارج القبول (٣٨٣/١) .." (١)

"ويقول تباركت أسماؤه عن أهداف أعداء الله:

﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾ [سورة النساء: ٨٩] .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [سورة المائدة: ٥١] .

ويقول تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٣٨

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] .

أما الأحاديث والآثار: فكثيرة وأذكر منها: -

(١) ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على أن (تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر) (١) .

(٢) روي أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) (٢) .

(٣) روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المسند للإمام أحمد (ج٤/٣٥٧، ٣٥٨) ، الطبعة الثانية / سنة ١٣٩٨ هـ / الناشر المكتب الإسلامي وهو حديث حسن.

(٢) الإيمان لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه توفي سنة ٢٣٥ هـ (ص٤٥) ، تحقيق الألباني وقال.

أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا وهو حسن، المطبعة العمومية بدمشق وانظر المسند (٢٨٦/٤) .." (١)

"والبعد وتجريد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإعراض والترك لما خالف سنته وهديه) (١) .

ومن منهج القرآن أيضا في موضوع الولاء والبراء ضرب المثل، وهذا كثير في القرآن الكريم وأبرز مثال في هذه القضية هو إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وأبو الأنبياء. فإنه هو القدوة الأولى في الولاء والبراء. ونظرا لأهمية ذلك أترك الحديث عنه إلى فصل مستقل في هذا الباب إن شاء الله.

وإذا وجدت محبة الله في القلب، تحمل المؤمن حينئذ وتقبل تكاليف هذه المحبة ولوازم عبادته لله تعالى ومن ذلك جهاد أعداء الله وبغضهم وهجرتهم والصبر على الأذى في سبيل الله.

ثم يمضي القرآن الكريم في أسلوب عرض هذه العقيدة مستخدما التهديد والوعيد بعد البيان والإيضاح وإقامة الحجة على الناس فيقول عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ﴾ [سورة المائدة:٥٤] .

أما المستجيبون لأمر الله فإن الله يحبهم وهو ناصرهم ومولاهم

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [سورة الصف:٤]

---

(١) انظر الرسالة التبوكية لابن القيم (ص٥١) .." (٢)

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٤١

(٢) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/١٠٨

"قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه (١) .

أما البغض في الله فهو أمر ملازم للحب في الله لا ينفصل عنه، لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يوالي محبوبه، ويعادي من يعادي محبوبه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه فهو موافق له في ذلك.

ومعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى:

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [سورة الصف: ٤] .

وقد وصف المولى سبحانه وتعالى عباده الذين يحبهم ويحبونهم فقال:

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] .

أي إنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح، ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم، والغلظة. فهم يحبون من أحبه الله فيعاملونه بالمحبة والرأفة واللين، ويبغضون أعداء الله الذين يعادونه فيعاملونهم بالشدة والغلظة كما قال تعالى:

﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] .

---

(١) مدارج السالكين (٤٥٤/١) .." (١)

"[صفة المحبة]

ثم شرع المصنف في ذكر أمثلة من صفات الله تبارك وتعالى، منها ما دل عليه الكتاب العزيز، ومنها ما دلت عليه السنة الصحيحة بنقل العدل عن العدل.

فقال: " مثل المحبة " وهذه من صفات الله عز وجل العظيمة الثابتة له في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الله عز وجل يحب عباده المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب المتطهرين، ويحب التوابين، ويحب الأنبياء، ويحب الصالحين، ويحب الصلاح ويحب أهله، ويحب الخير ويحب أهله.

وأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله على الوجه اللائق بجلاله، ويثبتون آثارها ولوازمها. فمن لوازم محبة الله عز وجل لعبده: أن يثيبه، وأن يوفقه ويسدده ويعينه، وأن ينعم عليه.

بينما أهل البدع يعطلون الصفة ويكتفون بإثبات لازمها فيجعلونه معناها. فيقولون: محبة الله لعبده أي إنعامه عليه. فيجعلون الإنعام هو المحبة، هذا شأن من كان منهم لا يثبت الإرادة. أما من يثبت الإرادة فيجعل المحبة إرادة الإنعام.

ومثل هذا يقولونه في الرضا والرحمة ونحوها من الصفات.

وهذا باطل؛ لأن فيه تعطيلا لصفة الرب التي أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في سنته. والله عز وجل يحب ويحب، كما قال سبحانه في القرآن: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ١ أي: يحب عباده المؤمنين، وعباده المؤمنون يحبونه.

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٢٦٤

وإذا آمن العبد بمحبة الله للمؤمنين، فينبغي عليه أن يسعى في نيلها، وأن

---

١ الآية ٥٤ من سورة المائدة.." (١)

"٦- المحبة:

المحبة من صفات الله تعالى الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا

ثالثا: أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة أو القوة إلى الله تعالى بصيغة التثنية، فكيف يفسر هذا بهذا؟.

رابعا: أنه لو كان المراد بهما القوة أو القدرة لاحتج بذلك إبليس على ربه حين قال له: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ وقال: وأنا أيضا خلقتني بقوتك وقدرتك.

خامسا: أن صفة اليد تصرفت تصرفا يمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة، فجاءت بلفظ اليد، والكف، وجاء إثبات الأصابع والقبضة، واليمين، والهز لله تعالى، وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد باليد النعمة أو القوة.

قال الإمام أبوحنيفة في الفقه الأكبر ص٣٧: "وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن ... ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف". وينظر الرد على المريسي ص٣٩٠، شرح الطحاوية ص٢٦٥، فتح رب البرية ٤/٥٦، ٥٧.." (٢)

"وهي كذلك أدوات تطهير من أثر الذنوب والغفلات التي يقع فيها العبد «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه» (١).

فجميع الأقدار التي يقدرها الله عز وجل لعباده تحمل في طياتها الخير الحقيقي لهم وإن بدت غير ذلك.

فعلى سبيل المثال: الرزق، فالله عز وجل يبسط الرزق للبعض ويضيقه على البعض لعلمه سبحانه بما يصلح عباده، ألم يقل سبحانه ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى: ٢٧].

فمنعه الرزق الوفير عن بعض الناس ما هو إلا صورة من صور رحمته، وشفقته بهم. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه» (٢).

هذه المعاني العظيمة لا يمكن تذكرها واستحضارها بصورة دائمة، وممارسة مقتضاها في الحياة العملية إلا إذا تمكن حب الله

---

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٤٩

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/١٣٩

من القلب وهيمن عليه، فمفتاح: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ هو: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة: ٥٤].

جاء في الأثر أن الله تعالى يقول: «معشر المتوجهين إلي بحبي، ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظا، وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلما» (٣).

وكان عامر بن عبد قيس يقول: أحببت الله حبا سهل علي كل مصيبة، ورضاني بكل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت (٤).

نعم، أخي فإننا إن أحببنا الله حبا صادقا أحببنا كل ما يرد علينا منه سبحانه.

لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة، وقد كان كف بصره، جاءه الناس يهرعون إليه، كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة، فأتاه عبد الله بن أبي السائب فقال له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك، فرد الله عليك بصرك؟ فتبسم وقال: يا بني، قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري.

وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته، فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله، فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال: لا تبك، فإن أحبه إلى الله أحبه إلي (٥).

ثانيا: التلذذ بالعبادة وسرعة المبادرة إليها

كلما ازداد حب العبد لربه ازدادت مبادرته لطاعته واستمتاعه بذكره، وكان هذا الحب سببا في استخراج معاني الأنس والشوق إلى محبوبه الأعظم، والتعبير عنها من خلال ذكره ومناجاته.

هذه المعاني ما كانت لتخرج إلا إذا فتح لها باب الحب، فالمحب يقبل على محبوبه بسعادة، ويطيع أوامره برضى، لا تحركه لتلك الطاعة سياط الخوف من عقوبة عدم أدائه للعمل، بل يحركه ما حرك موسى عليه السلام عندما قال لربه ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه: ٨٤] وكذلك ما جعل رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول لبلال: «أرحنا بها يا بلال».

إن هناك بالفعل سعادة حقيقية ومتعة وشعور باللذة والنعيم يجدها المحب في مناجاته وذكره وخلوته بربه، وهذا ما يطلق عليه: «جنة الدنيا» ، هذه الجنة من الصعب علينا أن ندخلها من غير باب المحبة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح، أخرجه الإمام في المسند، والحاكم عن أبي سعيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨١٤).

(٣) المحبة لله سبحانه للإمام الجنيد/ ٦٠ - دار المكتبي.

(٤) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب/ ٣٦.

(٥) صلاح الأمة في علو الهمة ٤/ ٥١٦.." (١)

---

(١) كيف نحب الله ونشتاق إليه مجدي الهلالي ص/٩

"تعرف على ربك

القرآن– أخي القارئ– هو أفضل وسيلة لغرس محبة الله في القلب، ولقد تم الحديث بشيء من التفصيل حول هذا الموضوع في أكثر من موضع سابق (١)، ولا داعي لتكرار ما قيل، ولكن نذكر بأمر هام وهو: أن إنشاء الإيمان في القلب من خلال القرآن لن يتم إلا إذا كان هدفنا حين نقرؤه أن نفهم ما نقرؤه – ولو بصورة إجمالية – وأن نجتهد في التأثر به من خلال الترتيل والتباكي مع القراءة. مع عدم إغفال أمر مهم أيضا وهو كثرة قراءته، وإعطاؤه الأولوية الأولى في حياتنا.

قال حذيفة بن اليمان: اقرأوا القرآن بحزن، ولا تجفوا عنه، وتعاهدوه ورتلوه ترتيلا (٢).

وبالإضافة إلى ذلك علينا ونحن نعيش في أجواء محبة الله عز وجل، وبعد أن تعرفنا على كثير من مظاهرها أن نتتبع هذه المظاهر ونحن نقرأ القرآن، فإن هذا من شأنه – إذا ما داومنا عليه– أن يؤكد ويرسخ مدلولها في اليقين، ويزيد الإيمان في القلب ويحوله إلى مقام ثابت.

نعم، علينا ألا نقف عند كل آية لنستخرج منها ما يدل على حب الله لعباده حتى لا تتحول القراءة إلى عملية عقلية فكرية فقط، فالمطلوب– كما قيل سالفا – هو مزج الفكر بالعاطفة، وتجاوب العقل مع القلب، وهذا يستدعى استمرارية وانسيابية القراءة ليتسرب تأثيرها شيئا فشيئا إلى المشاعر حتى تصل فى النهاية لمرحلة الانفعال والتأثر.

معنى ذلك أنه من المناسب أن نبحث عن مظاهر المحبة في القرآن بصورة إجمالية، لا تؤثر بالسلب على تدبرنا العام للآيات، ولاتجعلنا نقف عند كل كلمة، ولعل ما قيل في الصفحات السابقة من شأنه أن يستثير مشاعرنا، وينشئ داخلنا حالة شعورية لمحبة الله عز وجل، فإذا ما استثمرنا وجود هذه الحالة، ودخلنا بها إلى القرآن فسنجد ما يؤكدها من آيات، وسنفاجأ وكأن محور القرآن الرئيس يدور حول هذا الموضوع.

* أخي القارئ:

إن القرآن هو أفضل وسيلة لتنمية حب الله في القلب والوصول لمرحلة الأنس به والشوق إليه سبحانه، لذلك أنصح نفسي وإياك أن نكثر من تلاوته بفهم وترتيل وتباك، وأن نتعرف على الله الودود من خلال هذا الكتاب وحبذا لو خصصنا ختمة أو أكثر لهذا البحث العظيم.

يقول ابن رجب: ومما يستجلب المحبة: تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر لا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له (٣) فتتحقق ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾.

ومما يؤكد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا من اشتاق إلى الله فليستمع كلام الله فإن مثل القرآن كمثل جراب مسك أي وقت فتحه فاح ريحه» (٤).

وقوله: «ما من كلام أعظم عند الله من كلامه، وما رد العباد إلى الله كلاما أحب إليه من كلامه» (٥).

فالأمر واضح، والطريق معبد لتنمية حب الله في القلب، وكيف لا والقرآن بين أيدينا ولا يوجد أي شيء يحول بيننا وبينه، فكلما اهتاجت لدينا مشاعر الشوق إلى الله، وأردنا أن نسكنها، وكلما أردنا أن نأنس بالله، ونزداد حبا له، وتعلقا به فلنهرع إلى المصحف، نناجيه ونتحدث إليه – سبحانه– من خلال قراءتنا وتجاوبنا مع خطابه لنا، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا

أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ في المصحف» (٦).

فإن قلت: ولكن مشاعر الشوق إلى الله لا تهتاج على كثيرا!

---

(١) مثل ما تضمنته كتب: العودة إلى القرآن –بناء الإيمان من خلال القرآن –كيف نغير ما بأنفسنا– حقيقة العبودية.

(٢) لمحات الأنوار للغافقي (٥٦٦).

(٣) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب /٥٥.

(٤) رواه الديلمي عن أبي هريرة، كذا في كنز العمال (٢٤٧٢).

(٥) رواه الدارمي (٣٣٥٤).

(٦) كنز العمال ٢٣٦٦.." [1]

"كلمة أخيرة

حول الطريق إلى محبة الله

وخلاصة القول أن الطريق إلى محبة الله عز وجل – محبة صادقة مثمرة – يبدأ بكثرة قراءة القرآن بفهم وتأثر، وكذلك بالتفكر اليومي في أحداث الحياة التي تمر بنا وتحمل في طياتها مظاهر الحب الإلهي لنا من لطف ورحمة وقيومية وتذكير وتسخير.

ومع هاتين الوسيلتين العظيمتين اللتين من شأنهما إنشاء المحبة في القلب وغرس بذرتها وتأسيس قاعدتها، تأتي الأعمال الصالحة بعد ذلك لترفع البنيان وتسقي البذرة فلا تتركها إلا بعد أن تصبح شجرة وارفة مثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وهذه الأعمال هي ذكر النعم، ورحلات الاعتبار، وكثرة الحمد باللسان، ومناجاة الله بالنعم، وتحبيب الناس في الله عز وجل وأخيرا الإلحاح على الله عز وجل بأن يرزقنا محبته.

نسأل الله عز وجل أن يجعل حبه يهيمن على قلوبنا وأن يفتح لنا باب الأنس به والشوق إليه وأن يجعلنا ممن قال في شأنهم ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة:٥٤] و ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩].

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وللتواصل:

.www. Alemanawalan.Com

* * *." (٢)

---

(١) كيف نحب الله ونشتاق إليه مجدي الهلالي ص/٦٢

(٢) كيف نحب الله ونشتاق إليه مجدي الهلالي ص/٧١

"–أعني الفاتحة– بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين – صلى الله عليه وسلم – أن أبا بكر – رضي الله عنه – من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – على الصراط المستقيم وإن إمامته حق (١).

ب–قال تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (سورة المائدة، آية:٥٤).

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه (كان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ارتداد قوم فوعد سبحانه –ووعده صدق– أنه يأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فلما وجد ما كان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله – صلى الله عليه وسلم – آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق – رضي الله عنه – (٢).

---

(١) أضواء البيان (١/ ٣٦).

(٢) الاعتقاد للبيهقي، ص١٧٣ – ١٧٤.." (١)

"وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حلموا والهون بالفتح في اللغة: الرفق واللين و الهون بالضم: الهوان فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان والمضموم صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول كما في الحديث: "المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب والنمام والبخيل والجبار" وقوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ هو من عزة القوة والمنعة والغلبة قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته كما قال في الآية الأخرى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا عكس حال من قيل فيهم:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٣١/١

كبر علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان الكبر والجبن

قال تعالى: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [سورة: الشعراء - الآية: ٢١٥]

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغي أحد على أحد

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

(حديث أنس في الصحيحين) أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعله.

(حديث الأسود بن يزيد في صحيح البخاري) قال سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.." (١)

"هذه درر من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذوها نبراسا لكم تأتمون به وتأخذون بهديه وتسيرون على منهاجه فتهتدوا ، فإن الله جبله على مكارم الأخلاق ، وأمرنا بالاقتداء به. قال الله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)] الأعراف ١٥٨ [.

رزقنا الله وإياكم محبة هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، ووفقنا إلى اتباع سنته وهديه حتى يأتينا اليقين.

صور من أخلاق الصحابة والتابعين:

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير القرون، وأفضل الأمة، وأكمل المؤمنين، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فرضي عنهم ورضوا عنه فهم كما قال الله عنهم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) [الفتح: ٢٩]

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [المائدة: ٥٤]

وقال تعالى: (والذين تبوأوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [الحشر: ٩]." (٢)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٤٦/١٠

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٩٢/١٠

"الحجاب الأول: الجهل بالله:
الحجاب الثاني: البدعة:
الحجاب الثالث: الكبائر الباطنة:
الحجاب الرابع: حجاب أهل الكبائر الظاهرة:
الحجاب الخامس: حجاب أهل الصغائر:
الحجاب السادس: حجاب الشرك:
الحجاب السابع: حجاب أهل الفضلات والتوسع في المباحات:
الحجاب الثامن: حجاب أهل الغفلة عن الله:
الحجاب التاسع: حجاب اهل العادات والتقاليد والأعراف:
الحجاب العاشر: حجاب المجتهدين المنصرفين عن السير الى المقصود:
وإليك تفصيل ذلك:
الحجاب الأول: الجهل بالله:

إن أغلظ الحجب هو الجهل بالله وإلا تعرفه .. فالمرء عدو ما يجهل، وإن الذين لا يعرفون الله يعصونه، ويعبدون الشيطان من دونه.

ولذلك كان نداء الله بالعلم أولا: فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات [محمد:١٩]

والدواء أن تعرف الله حق المعرفة، وفصل الخطاب في معرفة الله تعالى حق معرفته أنه يتضمن قسمين أساسين:

(أولا: معرفة الله تعالى حق معرفته:

(ثانيا: أثر معرفة الله تعالى حق معرفته على ترقيق القلب

وهاك تفصيل ذلك:

(أولا: معرفة الله تعالى حق معرفته:

فمن عرف الله حق معرفته أحبه كما ينبغي أن يحبه سبحانه، ومن لم يعرف ربه حق معرفته لم يستطع أن يحب ربه سبحانه كما ينبغي أن يحبه، لذلك كان أغلظ الحجب بين العبد وربه هو الجهل بالله تعالى، وكان أهل السنة فعلا طلبة العلم حقا هو أولياء الله الذين **يحبهم ويحبونه،**

واعلم رحمك الله تعالى أنه لا يتم معرفة الله تعالى حق معرفته إلا بالإيمان بأربعة أمور متلازمة هي:

(١) الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

(٢) الإيمان بربوبيته، أي: الانفراد بالربوبية.

(٣) الإيمان بانفراده بالألوهية.

(٤) الإيمان بأسمائه وصفاته. لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك.

فمن لم يؤمن بوجود الله، فليس بمؤمن، ومن آمن بوجود الله لا بانفراده بالربوبية، فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية، فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية والألوهية لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته، فليس بمؤمن، وإن كان الأخير فيه من يسلب عنه الإيمان بالكلية وفيه من يسلب عنه كمال الإيمان.

(الإيمان بوجود الله:

مسألة: إذا قال قائل: ما الدليل على وجود الله عز وجل؟

قلنا: الدليل على وجود الله: العقل، والحس، والشرع.." (١)

"قال: ثم مات في مكانه، فرأته أمه في المنام كأن وجهه فلقة قمر تجلى من سحاب، فقالت له: يا بني، ما فعل بك مولاك؟ قال: رفع درجتي، وقربني من محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمه: يا بني، ما الذي سمعت منك تقوله عند وفاتك؟ فقال لها: يا أماه، هتف بي هاتف وقال لي: يا عمران، أجب داعي الله، فأجبته، ولبيت ربي عز وجل. رحمه الله تعالى.

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في بحر الدموع عن المغيرة بن حبيب: كنت أسمع بمجاهدة المحبين، ومناجاة العارفين، وكنت أشتهي أن أطلع على شيء من ذلك، فقصدت مالك بن دينار، فرمقته على غفلة وراقبته من حيث لا يعلم ليالي عدة، فكان يتوضأ بعد العشاء الآخرة، ثم يقوم إلى الصلاة، فتارة يفني ليله في تكرار آية أو آيتين، وتارة يدرج القرآن درجا، فإذا سجد وحان انصرافه من صلاته، قبض على لحيته، وخنقته العبرة، وجعل يقول: بحنين الثكلى وأنين الولهى، يا إلهي، ويا مالك رقي، ويا صاحب نجواي، ويا سامع شكواي، سبقت بالقول تفضلا وامتنانا، فقلت: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة ٥٤]، والمحب لا يعذب حبيبه، فحرم شيبة مالك على النار. إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك، وأي الدارين دار مالك؟.

ثم يناجي كذلك إلى أن يطلع الفجر، فيصلي الصبح بوضوء العتمة رحمه الله.

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المواعظ عن مجاهد قال: كانت الدموع قد اتخذت في خده مجرى.

- وقال أيضا:

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان نهاد بن مطر العدوى قد بكا حتى عمي، وبكى ابنه العلا حتى عشي بصره. [*] عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان منصره قد بكى حتى جردت عيناه ، وكانت أمه تقول: يا بني لو قتلت قتيلا ما زدت على هذا ،

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ وبكى هشام الدستوائي حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة وهو لا يبصر بها ،

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ وبكى يزيد الرقاشي أربعين سنة حتى أظلمت عيناه وأحرقت الدموع مجاورتها ،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢١/٢

[*] عَلَيْهِ السَّلَامُ وبكى ثابت البناني حتى كاد بصره أن يذهب وقيل له: نعالجك على أن لا تبكي فقال: لا خير في عين لم تبك. أهـ." (١)

"(١) قال تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) [البقرة: ١٩٥]، فالعبد يندفع للإحسان لأنه إن صار من جملة المحسنين نال المحبة.

(٢) وقال تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [البقرة: ٢٢٢]، الحرص على الطهارة الباطنة والظاهرة.

(٣) وقال تعالى: قال تعالى: (والله يحب الصابرين) [آل عمران: ١٤٦]

(٤) وقال تعالى: (إن الله يحب المتوكلين) [آل عمران: ١٥٩]

(٥) وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم) [المائدة: ٥٤]، وما هي صفاتهم؟ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الحق لومة لائم ..

(٦) وأخبر الله تعالى أنه يحب المتقين، قال تعالى: (بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) [آل عمران: ٧٦]

(٧) وأخبر أنه يحب المقسطين، أصحاب العدل الذين يعدلون في أهليهم والولايات التي يتولونها والمناصب التي يتبوءونها قال تعالى: (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) [الحجرات: ٩]

(٨) أخبر تعالى أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

قال تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) [الصف: ٤]

(٩) (حديث سعد ابن أبي وقاص في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.

الغني: الغني عن الناس

الخفي: من لا يريد علوا في الأرض ولا مناصب ولا جاه. الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه.

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال: بلغني أن العبد يعمل العمل سرا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.." (٢)

"((وكان يقال: يكتب الرجل أحسن ما سمع، ويحفظ أحسن ما كتب.

((وقال أعرابي: حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك.

((وقال عمر بن عبد العزيز: ما قرن شيء بشيء أفضل من علم إلى حلم، ومن عفو إلى قدرة.

((وكان ميمون بن سياه إذا جلس إلى قوم قال: إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها.

((وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا إليه رجلا ليضرب عنقه قال: والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤١٧/٣

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٨٣/٥

العفو، فقال الحجاج: أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا؟ وأمسك عن القتل.

((وقدموا رجلا من الخوارج إلى عبد الملك لتضرب عنقه ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكي فهم عبد الملك بالمعلم فقال: دعه يبكي فانه أفتح لجرمه وأصح لبصره وأذهب لصوته، فقال له عبد الملك: أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟! قال: ما ينبغي للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء، فأمر بتخلية سبيله. انتهى ما ذكره الجاحظ. اهـ.

((وسئل الأوزاعي: ما إكرام الضيف؟

قال: طلاقة الوجه، وطيب الكلام.

((وقد جعل ابن القيم رحمه الله طيب الكلام وانتقاءه من الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها

فعد من تلك الأسباب:

مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر. أهـ

(من علامات حسن الخلق التواضع:

و التواضع هو «خفض الجناح ولين الجانب كالجمل الذلول»:

قال تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) [الفرقان: ٦٣]

أي في سكينة ووقار متواضعين «مع خفض جناح ولين جانب»،ليسوا مرحين، ولا متكبرين، أي علماء حكماء، أي أصحاب وقار وعفة، لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا، هذا معنى قوله تعالى:

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) [المائدة: ٥٤]

(معنى أذلة على المؤمنين: أي ينقادون لهم، يشفقون عليهم، يرحمونهم، يعطفون عليهم، «ليس ذل هوان وإنما ذل انقياد»، كيف أن الأم لما أودع الله في قلبها من الرحمة يستطيع ابنها أن يسألها، وأن تجيبه، تجيبه برحمتها به، لذلك المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل.

أما معنى قوله تعالى:

(معنى أعزة على الكافرين:." (١)

"وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول كما في الحديث: "المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب والنمام والبخيل والجبار" وقوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ هو من عزة القوة والمنعة والغلبة قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٩٩/٦

وعلى الكافرين كالسبع على فريسته كما قال في الآية الأخرى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كبر علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان الكبر والجبن

قال تعالى: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [سورة: الشعراء - الآية: ٢١٥]

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغي أحد على أحد

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

(حديث أنس في الصحيحين) أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعله.

(حديث الأسود بن يزيد في صحيح البخاري) قال سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، قال أصحابه وأنت؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة.

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت و لو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت ... .." (١)

"-أعني الفاتحة- بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن أبا بكر - رضي الله عنه - من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - على الصراط المستقيم وإن إمامته حق (١).

ب-قال تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (سورة المائدة، آية:٥٤).

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه (كان في علم الله سبحانه

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦/٤٣٠

وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ارتداد قوم فوعد سبحانه –ووعده صدق– أنه يأتي بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فلما وجد ما كان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله – صلى الله عليه وسلم – آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق – رضي الله عنه – (٢).

---

(١) أضواء البيان (١/ ٣٦).

(٢) الاعتقاد للبيهقي، ص١٧٣ – ١٧٤.." (١)

"فهذه العواطف التي تأتي عن طريق الترغيب والترهيب هي من أركان وركائز التربية الإسلامية والتزكية الإسلامية للنفوس البشرية. يقول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١)﴾ (١).

فجعل اتباع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي يبلغ أوامر الله من شروط محبته تبارك وتعالى.

أيضا يقول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (٢) كما في الآية الكريمة.

على أي الأحوال ينبغي التوازن بين مسألة الترغيب والترهيب لا نتمادى في الترغيب بحيث يصل بالناس إلى الاغترار بالله تبارك وتعالى، ولا نتمادى في الترهيب بحيث يصلون إلى القنوط واليأس من رحمة الله تبارك وتعالى، فكل ذلك مذموم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١)﴾ (٣) فالفرح بزوال الشدة قد ينسي الإنسان عقاب الله وقدرته ويجعله فخور بنفسه معتدا بحوله وقوته وبالتالي يعود إلى المعاصي.

الجمع بين الخوف والرجاء:

فيجب أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء.

الخوف من عقاب الله والخوف من عظمة الله ومقامه تبارك وتعالى، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور، والرجاء في رحمة الله فلا ييأس من عفوه.

---

(١) آل عمران: ٣١.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧١٤/٨

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) هود: ٩ - ١١.." [١]

"الله الشاكرين﴾ (١) ، (الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه) . (٢)

وكان يقول: (كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله) . (٣)

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجهادون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (٤) ، أنها كانت في أبي بكر وأصحابه، لما كان في علم الله أنهم سيقاتلون أهل الردة.

روى الطبري بسنده عن علي - رضي الله عنه - أنه قال في قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ ، (بأبي بكر وأصحابه) .

وعن الحسن البصري قال: (هذا والله أبو بكر وأصحابه) .

وعن الضحاك قال: (هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه، حتى ردهم إلى الإسلام) .

وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير. (٥)

فتأمل أيها القارئ كيف أن هذا الرافضي الحاقد يرمي أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالردة بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -، في حين أنهم هم الذين قاتلوا المرتدين، وأثنى الله عليهم بذلك، واشتهر في الأمة فضلهم بما قاموا به من نصرة دين الله بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -، وجهادهم أولئك المرتدين على

كثرتهم، مما لا يجهله أحد من عوام المسلمين اليوم، فضلا عن علمائهم، ثم يأتي هذا الرافضي فيتهم هؤلاء الصحابة بالردة مصادما بذلك النصوص والواقع،

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٣/٤٥٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة المائدة آية ٥٤.

(٥) تفسير الطبري ٤/٦٢٣-٦٢٤.." [٢]

"إما أن تكون آيات نزلت في الكفار والمنافقين، ينزلونها على الصحابة بجهل وظلم، لا حجة لهم فيها بوجه عند أهل العلم.

---

[١] محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ١٣/٣٣

[٢] الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال إبراهيم بن عامر الرحيلي ص/٢٣١

وإما أن تكون آيات عامة نزلت في حث الأمة على الخير، وأمرها به، أو تحذيرها من الشر ونهيها عنه، والخطاب فيها للصحابة ولمن بعدهم من الأمة، وهي مصدرة في الغالب: بـ (يا أيها الذين آمنوا) وذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه**﴾ (١) وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم﴾ (٢) وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ (٣) وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (٤)

وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ (٥) والأمثلة على هذا كثيرة جدا في القرآن، وليس فيها أي طعن على الصحابة.

وقد خاطب الله تعالى بمثل هذا رسوله – صلى الله عليه وسلم – كما في قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (٦) وقوله: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ (٧) وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاء من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ (٨) وقوله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (٩) وقوله: ﴿ولاتمنن تستكثر – ولربك فاصبر﴾ (١٠) وغيرها من الآيات في معناها فكما أن هذه الآيات بما تضمنته من الأوامر والنواهي من الله

---

(١) سورة المائدة آيه ٥٤.

(٢) سورة الأنفال آيه ٢٧.

(٣) سورة المائدة آيه ٨٧.

(٤) سورة الأنفال آيه ٢٤.

(٥) سورة الحجرات آيه ١٢.

(٦) سورة المائدة آيه ٦٧.

(٧) سورة الزمر آيه ٦٥.

(٨) سورة البقرة آيه ١٤٥.

(٩) سورة الأحقاف آيه ٣٥.

(١٠) سورة المدثر آيتا ٦، ٧.." (١)

"ما تحبه نفسه من الشهوات والملذات والأموال والأولاد والأوطان.

ومنها: أن من أحب الله – تعالى، فإنه يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، فيفعل ما أمر به، ويترك ما هي عنه؛ قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ قال بعض السلف: "ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية المحبة: ﴿قل إن كنتم تحبون

---

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال إبراهيم بن عامر الرحيلي ص/٢٤٥

الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ؛ ففي الآية بيان دليل محبة الله وثمرتها وفائدتها؛ فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفائدتها وثمرتها: نيل محبة الله للعبد ومغفرته لذنوبه.

ومن علامات صدق محبة العبد لله ما ذكره الله بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **يحبهم ويحبونه** أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ١، فذكر في هذه الآية الكريمة لمحبة الله أربع علامات:

العلامة الأولى: أن المحبين لله يكونون أذلة على المؤمنين؛ بمعنى أنهم يشفقون عليهم ويرحمونهم ويعطفون عليهم؛ قال عطاء رحمه الله: "يكونون للمؤمنين كالوالد لولده".

العلامة الثانية: أنهم يكونون أعزة على الكافرين؛ أي: يظهرون لهم الغلظة والشدة والترفع عليهم، ولا يظهرون لهم الخضوع والضعف.

العلامة الثالثة: أنهم يجاهدون في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان؛ لإعزاز دين الله أعدائه بكل وسيلة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم؛ فلا يؤثر فيهم ازدراء

---

١ سورة المائدة، الآية: ٥٤.." (١)

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد صالح الفوزان ص/٧٦